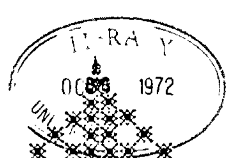
كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر
للامام العارف الرباني سيدي عبد الوهاب
الشعراني نفعنا الله والمسلمين
ببركاته وأفاض علينا
من نفحاته
آمين

(بحلى الهوامش بكتاب الكبريت الاحمر في بيان علوم الشيخ الاكبر لصاحب اليواقيت والجواهر المذكور رضاعف الله تعالى له أسنى الاجور)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وسائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين *(أما بعد)* فيقول العبد الفقير الى عفو الله ومغفرته عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعرانى عفا الله عنه هذا كتاب ألفته فى علم العقائد سميته باليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر حاولت فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر حسب طاقتى وذلك لان المدار فى العقائد على هاتين الطائفتين اذ الخلق كلهم قسمان اما أهل نظر واستدلال واما أهل كشف وعيان وقد ألف كل من الطائفتين كتبا لاهل دائرته فربما ظن من لا غوص له فى الشريعة ان كلام احدى الدائرتين مخالف للاخرى فقصدت فى هذا الكتاب بيان وجه الجمع بينهما والتأييد كلام أهل كل دائرة بالاخرى وهذا أمر لم أر أحدا سبقنى اليه فرحم الله تعالى من عذرنى فى العجز عن الوفاء بما حاولته والتزمته فان منازع الكلام دقيقة جدا وقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه لابى اسحق المزنى عليك بالفقه واياك وعلم الكلام فلأن يقال لك اخطأت خير لك من أن يقال كفرت وأنا أسأل بالله العظيم كل من نظر فى هذا الكتاب من العلماء ان يصلح كل ما رآه فيه من الخطأ والتحريف أو يضرب عليه ان لم يفتح له بجواب نصيحة للمسلمين واعلم أنى لا آذن لاحد ان يكتب له من هذا الكتاب نسخة الا بعد أن يطالع عليه علماء الاسلام السالمين من الحسد ويجيزوه ويضعوا عليه خطوطهم فان عصرى الآن قد ضاق عن كل تحرير وأوصى كل من عجز عن الوصول الى تعقل كلام أهل الكشف أن يقف مع ظاهر كلام المتكلمين ولا يتعداه قال تعالى فان لم يصبها وابل فطل وذلك لان عقائد أهل الكشف مبنية على أمور تشهد وعقائد غيرهم مبنية على أمور يؤمنون بها هذا ميزانهم فى كل ما لم يرد فيه نص قاطع والنفس تجد القوة فى اعتقاد ما عليه الجمهور دون ما عليه أهل الكشف لقلة سالكى طريقهم * ثم اعلم يا أخى انى طالعت من كلام أهل الكشف ما لا يحصى من الرسائل وما رأيت فى عباراتهم أوسع من عبارة الشيخ الكامل المحقق مربى العارفين الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله فلذلك شيدت هذا الكتاب بكلامه من الفتوحات وغيرها دون كلام غيره من الصوفية لكنى رأيت فى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين (وبعد) فهذا كتاب نفيس انتخبته من كتابى المسمى بلواقح الانوار القدسية الذى كنت اختصرته من الفتوحات المكية خاص فهمه بالعلماء الاكابر وليس لغيرهم منه الا الظاهر وقد اشتمل على علوم واسرار ومعارف لا يكاد يخطر علمها على قلب الناظر فيه قبل رؤيته اياه وقد (سميته) بالكبريت الاحمر فى بيان علوم الشيخ الاكبر ومرادى بالكبريت الاحمر اكسير الذهب ومرادى بالشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه أعنى أن مرتبة علوم هذا الكتاب بالنسبة لغيره من كلام الصوفية كمرتبة اكسير الذهب بالنسبة لمطلق الذهب كما سنشير الى ذلك بما نقلناه عن الشيخ رحمه الله فى أبواب فتوحاته والكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى لعزته (واعلم) يا أخى أنى قد طالعت من كتب القوم ما لا أحصيه وما وجدت كتابا أجمع لكلام أهل الطريق من كتاب الفتوحات المكية لا سيما ما تكلم فيه من أسرار الشريعة وبيان منازع المجتهدين التى استنبطوا منها أقوالهم فان نظر فيه مجتهد فى الشريعة

الفتوحات

الفتوحات وواضع لم أفهمها فذكرتم البنظر فيها علماء الاسلام ويحققوا الحق ويبطلوا الباطل ان وجدوه فلا تظن يا أخي أني ذكرتها لكوني أعتقد صحتها وأرضاها في عقيدتي كما يقع فيه المتهورون في أعراض الناس فيقولون لولا انه ارتضى ذلك الكلام واعتقد صحته ما ذكره في مؤلفه معاذ الله ان أخالف جمهور المتكلمين وأعتقد صحة كلام من خالفهم من بعض أهل الكشف الغير المعصوم فان في الحديث يد الله مع الجماعة ولذلك أقول غالبا عقب كلام أهل الكشف انتهى فليتأمل ويحرر ونحو ذلك اظهارا للتوقف في فهمه على مصطلح أهل الكلام وكان شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله يقول لا يخلو كلام الائمة عن ثلاثة أحوال لانه اما أن يوافق صريح الكتاب والسنة فهذا يجب اعتقاده جزما واما ان يخالف صريح الكتاب والسنة فهذا يحرم اعتقاده جزما واما أن لا يظهر لنا موافقته ولا مخالفته فأحسن أحواله الوقف انتهى * وقد أخبرني العارف بالله تعالى الشيخ أبو طاهر المزني الشاذلي رضي الله عنه أن جميع ما في كتب الشيخ محيي الدين مما يخالف ظاهر الشريعة مدسوس عليه قال لانه رجل كامل باجماع المحققين والكامل لا يصح في حقه شطح عن ظاهر الكتاب والسنة لان الشارع أمنه على شريعته انتهى فلهذا تتبعت المسائل التي أشاعها الحسدة عنه وأجبت عنها الان كتبه المروية لنا باعته بالسند الصحيح ليس فيها ذلك ولم أجب عنه بالفهم والصدر كما يفعل غيري من العلماء فمن شك في قول أضفته اليه وعجز عن فهمه وتأويله فلينظر في محله من الاصل الذي أضفته اليه فربما يكون ذلك تحريفا مني واعلم يا أخي ان المراد بأهل السنة والجماعة في عرف الناس اليوم الشيخ أبو الحسن الاشعري ومن سبقه بالزمان كالشيخ أبي منصور الماتريدي وغيره رضي الله تعالى عنهم وقد كان الماتريدي اماما عظيما في السنة كالشيخ أبي الحسن الاشعري ولكن لما غلب أصحاب الشيخ أبي الحسن الاشعري على أصحاب الماتريدي كان الماتريدي أقل شهرة فان أتباع الماتريدي ماوراء النهر يسمعون فقط وأما أتباع الشيخ أبي الحسن الاشعري فهم منتشرون في أكثر بلاد الاسلام كخراسان والعراق والشام ومصر وغيرها من البلاد فلذلك صار الناس يقولون فلان عقيدته صحيحة أشعرية وليس مرادهم نفي صحة عقيدة غير الاشعري مطلقا كما أشار الى ذلك في شرح المقاصد وليس بين المحققين من كل من الاشعرية والماتريدية اختلاف محقق بحيث ينسب كل واحد صاحبه الى البدعة والضلال وانما ذلك اختلاف في بعض المسائل كمسئلة الايمان بالله تعالى نحو قول الانسان انا مؤمن ان شاء الله تعالى ونحو ذلك انتهى وكان سفيان الثوري يقول أهل السنة والجماعة هم من كان على الحق ولو واحدا وكذلك كان يقول اذا سئل عن السواد الاعظم من هم وكذلك كان يقول الامام البيهقي * ثم اعلم يا أخي ان من كان تابعا لاهل السنة والجماعة يجب أن يكون قلبه ممتلئا أنسا باتباعهم وبالضد من خالفهم فيمتلئ قلبه غما وضيقا والحمد لله رب العالمين * وقد حبب لي ان أقدم بين يدي هذا الكتاب مقدمة نفيسة تعين على من يريد مطالعته مشتملة على بيان عقيدة الشيخ محيي الدين الصغرى التي صدر بها في الفتوحات المكية ليرجع اليها من تاه في شئ من عقائد الكتاب فان الكتاب كله كالشرح لهذه العقيدة وتشتمل أيضا على أربعة فصول

(الفصل الاول) في ذكر نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه وبيان أن ما وجد في كتبه مخالفا لظاهر كلام العلماء مدسوس عليه أو مؤول وفي بيان من مدحه وأثنى عليه من العلماء واعترف له بالفضل وذلك لان غالب هذا الكتاب يرجع الى عبارته رضي الله عنه

(الفصل الثاني) في تأويل بعض كلمات نسبت الى الشيخ بتقدير ثبوتها عنه جهل أكثر الناس معانيها وفي ذكر شئ مما ابتلي به أهل الله سلفا وخلفا في كل عصر من الانكار عليهم امتحانا لهم وتمحيصا لذنوبهم أو تنفيرا لهم عن الركون الى الناس وذلك لان الله تعالى لا يصطفي عبدا قط وهو يركن الى سواه الا بأذنه

(الفصل الثالث) في بيان اقامة العذر لاهل الطريق في تعبيرهم بالعبارات المغلقة على من ليس منهم وحاصله

ازدادا علما الى علمه واطلع على اسرار في وجوه الاستنباط وعلى تعليلات صحيحة لم تكن عنده وان نظر فيه مفسر للقرآن فكذلك أو شارح للاحاديث النبوية فكذلك أو متكلم فكذلك أو محدث فكذلك أو لغوي فكذلك أو مقري فكذلك أو معبر للمنامات فكذلك أو عالم بالطبيعة وصنعة الطب فكذلك أو عالم بالهندسة فكذلك أو نحوي فكذلك أو منطقي فكذلك أو صوفي فكذلك أو عالم بعلم حضرات الاسماء الالهية فكذلك أو عالم بعلم الحرف فكذلك فهو كتاب يفيد أصحاب هذه العلوم وغيرها علوما لم تخطر لهم قط على بال وقد أشرنا لنحو ثلاثة آلاف علم منها في كتابنا المسمى بتنبيه الاغبياء على قطرة من بحر علم علوم الاولياء فان علوم الشيخ كلها مبنية على الكشف والتعريف مطهرة من الشك والتحريف كما أشار رضي الله تعالى عنه الى ذلك في الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات بقوله وليس عندنا بحمد الله تعالى تقليد الا للشارع صلى الله عليه وسلم وبقوله في الكلام على الاذان واعلم اني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتابي هذا قط أمرا غير مشروع وما خرجت عن الكتاب والسنة في شئ منه وبقوله في الباب الخامس والستين وثلثمائة واعلم أن

ان ذلك كله خوف أن يرمى أولياء الله بالزور والبهتان فجعلوا لهم رموزا بينهم فيما بينهم لا يفهمها الدخيل بينهم الابتوقيف منهم غيرة على أسرار الله تعالى أن تفشى بين المحجوبين كما أشار الى ذلك القشيرى فى رسالته

(الفصل الرابع) فى بيان جملة من القواعد والضوابط التى يحتاج اليها كل من يريد تحقيق علم الكلام اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق

(بيان عقيدة الشيخ المختصرة المبرئة له من سوء الاعتقاد)

اعلم رحمك الله يا أخى أنه ينبغى لكل مؤمن ان يصرح بعقيدته وينادى بها على رؤس الاشهاد فان كانت صحيحة شهدوا له بها عند الله تعالى وان كانت غير ذلك بينوا له فسادها ليتوب منها وقد أشهد هود عليه السلام قومه مع كونهم مشركين بالله تعالى على نفسه بالبراءة من الشرك بالله والاقرار له بالوحدانية لما علم عليه السلام أن العالم كله سيوقفه الله تعالى بين يديه ويسألهم فى ذلك الموقف العظيم الاهوال حتى يؤدى كل شاهد شهادته وكل أمين أمانته والمؤذن يشهد له كل من سمعه حتى الكفار ولهذا يدبر الشيطان اذا سمع الاذان وله ضراط حتى لا يسمع أذان المؤذن فيلزمه أن يشهد له فيكون من جملة من يسعى فى سعادته وهو لعنه الله عدو محض ليس له الى الخير البتة واذا كان العدو لابد أن يشهد لك كما أشهدته به على نفسك لان المشهد الحق يعطى ذلك بحقيقته فأحرى أن يشهد لك وليك وحبيبك ومن هو على دينك وأحرى ان تشهد أنت فى الدار الدنيا على نفسك بالوحدانية والايمان فيا اخوانى ويا أحبابى رضى الله عنا وعنكم أشهدكم انى أشهد الله تعالى وأشهد ملائكته وأنبياءه ومن حضر من الروحانيين أو سمع انى أقول قولا جازما بقلبى ان الله تعالى اله واحد لا ثانى له منزه عن الصاحبة والولد المالك لا شريك له ملك لا وزير له صانع لا مدبر معه موجود بذاته من غير افتقار الى موجد يوجده بل كل موجود مفتقر اليه فى وجوده فالعالم كله موجود به وهو تعالى موجود بنفسه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه بل وجوده مطلق قائم بنفسه ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء مقدس عن الجهات والاقطار مرئى بالقلوب والابصار استوى على عرشه كما قاله وعلى المعنى الذى أراده كما ان العرش وما حواه به استوى وله الآخرة والاولى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول لا يحده زمان ولا يحويه مكان بل كان ولا مكان وهو الآن على ما عليه لانه خلق المتمكن والمكان وأنشأ الزمان وقال أنا الواحد الحى الذى لا يؤده حفظ المخلوقات ولا ترجع اليه صفة لم يكن عليها من صفة المصنوعات تعالى الله أن تحله الحوادث أو يحلها أو تكون قبله أو يكون بعدها بل يقال كان ولا شئ معه اذ القبل والبعد من صيغ الزمان الذى أبدعه فهو القيوم الذى لا ينام والقهار الذى لا يرام ليس كمثله شئ وهو السميع البصير خلق العرش وجعله حد الاستواء وأنشأ الكرسى وأوسعه الارض والسماء اخترع اللوح والقلم الاعلى وأجراه كاتبا بعلمه فى خلقه الى يوم الفصل والقضاء أبدع العالم كله على غير مثال سبق وخلق الخلق وأخلق بالذى خلق أنزل الارواح فى الاشباح أمناء وجعل هذه الاشباح المنزلة اليها الارواح فى الارض خلفاء وسخر لها ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فلا تتحرك ذرة الا به وعنه خلق الكل من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه لكن علمه سبق فلابد أن يخلق ما خلق فهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو على كل شئ قدير أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا يعلم السر وأخفى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور كيف لا يعلم شيأ هو خلقه ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير علم الاشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها فلم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الانشاء بعلمه أتقن الاشياء وأحكمها وبه حكم عليها من شاء وحكمها علم الكليات على الاطلاق كما علم الجزئيات باجماع من أهل النظر والاتفاق فهو عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون فعال لما يريد فهو المدبر للكائنات فى عالم الارض والسموات لم تتعلق قدرته

جميع ما أتكلم فيه فى مجالسى وتصانيفى انما هو من حضرة القرآن وخزائنه فانى أعطيت مفاتيح الفهم فيه والامداد منه كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى ومناجاته بكلامه وبقوله فى باب الاسرار والنفث فى الروع من وحى القدوس لكن ما هو مثل وحى الكلام ولا وحى الاشارة والعبارة ففرق يا أخى بين وحى الكلام ووحى الالهام تكن من أهل ذى الجلال والاكرام وبقوله فى الباب السادس والستين وثلثمائة واعلم ان جميع ما أكتبه فى تأليفى ليس هو عن روية وفكر وانما هو عن نفث فى روعى على يد ملك الالهام وبقوله فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة جميع ما كتبته وأكتبه فى هذا الكتاب انما هو من املاء الهى والقاء ربانى أو نفث روحانى فى روح كيانى كل ذلك بحكم الارث للانبياء والتبعية لهم لا بحكم الاستقلال وبقوله فى الباب التاسع والثمانين من الفتوحات والباب الثامن والاربعين وثلثمائة منها واعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكرى وانما الحق تعالى يملى لنا على لسان ملك الالهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده

تعالى بايجاد شئ حتى أراده كما أنه لم يرده حتى علمه اذ يستحيل فى العقل أن يريد ما لا يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريده كما يستحيل ان توجد هذه الحقائق من غير حى كما يستحيل ان تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها فما فى الوجود طاعة ولا عصيان ولا ربح ولا خسران ولا عبد ولا حر ولا برد ولا حر ولا حياة ولا موت ولا حصول ولا فوت ولا نهار ولا ليل ولا اعتدال ولا ميل ولا بر ولا بحر ولا شفع ولا وتر ولا جوهر ولا عرض ولا صحة ولا مرض ولا فرح ولا ترح ولا روح ولا شبح ولا ظلام ولا ضياء ولا أرض ولا سماء ولا تركيب ولا تحليل ولا كثير ولا قليل ولا غداة ولا أصيل ولا بياض ولا سواد ولا سهاد ولا رقاد ولا ظاهر ولا باطن ولا متحرك ولا ساكن ولا يابس ولا رطب ولا قشر ولا لب ولا شئ من المتضادات والمختلفات والمتماثلات الا وهو مراد للحق تعالى وكيف لا يكون مراداً له وهو أوجده فكيف يوجد المختار ما لا يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدى من يشاء ويضل من يشاء ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يريدوا شيأ لم يرده الله تعالى لهم ان يريدوه ما أرادوه أو ان يفعلوا شيأ لم يرد الله ايجاده وأرادوه ما فعلوه ولا استطاعوا ذلك ولا أقدرهم عليه فالكفر والايمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وارادته ولم يزل سبحانه وتعالى موصوفاً بهذه الارادة أزلا والعالم معدوم ثم أوجد العالم من غير تفكر ولا تدبر عن جهل فيعطيه التدبر والتفكر علم ما جهل جل وعلا عن ذلك بل أوجده عن العلم السابق وتعيين الارادة المنزلة الازلية القاضية على العالم بما أوجده عليه من زمان ومكان وأكوان وألوان فلا مريد فى الوجود على الحقيقة سواه اذ هو القائل سبحانه وما تشاؤن الا أن يشاء الله وانه تعالى كما علم فأحكم وأراد فخصص وقدر فأوجد كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن أو نطق فى الورى من العالم الاسفل والاعلى لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يحجب بصره القرب فهو البعيد يسمع كلام النفس فى النفس وصوت المماسة الخفية عند اللمس يرى سبحانه السواد فى الظلماء والماء فى الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور وهو السميع البصير تكلم سبحانه وتعالى لا عن صمت متقدم ولا سكوت متوهم بكلام قديم أزلى كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم به موسى عليه السلام سماه التنزيل والزبور والتوراة والانجيل والفرقان من غير تشبيه ولا تكييف فكلامه سبحانه وتعالى من غير لهاة ولا لسان كما سمعه من غير أصمغة ولا آذان كما أن بصره من غير حدقة ولا أجفان كما أن ارادته من غير قلب ولا جنان كما أن علمه من غير اضطرار ولا نظر فى برهان كما أن حياته من غير بخار تجويف قلب حدث عن امتزاج الاركان كما أن ذاته لا تقبل الزيادة والنقصان فسبحانه سبحانه من بعيد دان عظيم السلطان عميم الاحسان جسيم الامتنان كل ما سواه فهو عن وجوده فائض وفضله وجوده وعدله الباسط له والقابض أكمل صنع العالم وأبدعه حين أوجده واخترعه لا شريك له فى ملكه ولا مدبر معه فيه ان أنعم فذلك فضله وان أبلى فعذب فذلك عدله لم يتصرف فى ملك غيره فينسب الى الجور والحيف ولا يتوجه عليه لسواه حكم فيتصف بالجزع لذلك والخوف كل ما سواه فهو تحت سلطان قهره ومتصرف عن ارادته وأمره فهو الملهم نفوس المكلفين التقوى والفجور وهو المتجاوز عن سيئات من شاء هنا وفى يوم النشور لا يحكم عدله فى فضله ولا فضله فى عدله أخرج العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين فقال هؤلاء للجنة ولا أبالى وهؤلاء للنار ولا أبالى ولم يعترض عليه معترض هنالك اذ لا موجود كان ثم سواه فالكل تحت تصريف أسمائه فقبضة تحت أسماء بلائه وقبضة تحت أسماء آلائه ولو أراد الله سبحانه أن يكون العالم كله سعيداً لكان أو شقياً لما كان فى ذلك من شان لكنه سبحانه لم يرد فكان كما أراد فمنهم الشقى والسعيد هنا وفى يوم المعاد فلا سبيل الى تبديل ما حكم عليه وقال تعالى هن خمس وهن خمسون ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد لتصرفى فى ملكى وانفاذ مشيئتى

وذلك شبيه بقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخرها وبقوله فى الباب الثانى من الفتوحات اعلم ان العارفين انما كانوا لا يتقيدون بالكلام على ما بوبوا عليه فقط لان قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز منها فمهما برز لها أمر بادرت لامتثاله والقته على حسب ما حد لها فقد تلقى الشئ الى ما ليس من جنسه امتثالا لامر ربها وبقوله فى الباب السابع والاربعين اعلم ان علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وانما هى من الفيض الالهى انتهى والله أعلم * وانا أسأل بالله العظيم كل ناظر فى هذا الكتاب أن يصلح ما رآه فيه من الزيغ والتحريف عملا بقوله صلى الله عليه وسلم والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه اذا علمت ذلك فاقول وبالله التوفيق (قال) الشيخ رحمه الله فى الباب الثانى من الفتوحات فى قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان الشعر محل الاجمال واللغز والرمز والتورية أى ما رمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لغزنا ولا خاطبناه بشئ ونحن نريد شيأ آخر ولا أجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه وأطال فى ذلك * وقال فيه أذل درجات أهل الادب

فى ملكى وذلك لحقيقة عميت عنها البصائر ولا تعثر عليها الافكار ولا الضمائر الا بوهب الهى وجود روحانى لمن اعتنى الله تعالى به من عباده وسبق له ذلك فى حضرة اشهاده فعلم حين أعلم ان الالوهية أعطت هذا التقسيم وانها من دقائق القديم فسبحان من لا فاعل سواه ولا موجود بذاته الا اياه والله خلقكم وما تعملون ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قل فلله الحجة البالغة ولو شاء لهداكم أجمعين * وكما أشهدت الله وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسى بتوحيده فكذلك أشهد الله تعالى وملائكته وجميع خلقه واياكم على نفسى بالايمان بمن اصطفاه الله واختاره واجتباه من خلقه وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الى جميع الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فبلغ صلى الله عليه وسلم ما أنزل من ربه اليه وادى أمانته ونصح أمته ووقف فى حجة الوداع على من حضره من الاتباع فخطب وذكر وخوف وحذر ووعد وأوعد وأمطر وأرعد وما خص بذلك التذكير أحدا دون أحد عن اذن الواحد الصمد ثم قال ألا هل بلغت قالوا بلغت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد وأنى مؤمن بما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمت به ومما لم أعلم فمما جاء به وقرر الموت عن أجل مسمى عند الله اذا جاء لا يؤخر فأنا مؤمن بهذا ايمانا لا ريب فيه ولا شك كما آمنت وأقررت ان سؤال فاتنى القبر حق والعرض على الله حق والحوض حق وعذاب القبر حق ونصب الميزان حق وتطاير الصحف حق والصراط والجنة حق والنار حق وفريقا فى الجنة وفريقا فى السعير وكرب ذلك اليوم على طائفة حق وطائفة أخرى لا يحزنهم الفزع الاكبر حق وشفاعة الملائكة والنبيين والمؤمنين وشفاعة أرحم الراحمين حق وجماعة من أهل الكبائر من المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة حق والتأبيد للمؤمنين فى النعيم المقيم والتأبيد للكافرين والمنافقين فى العذاب الأليم حق وكل ما جاءت به الكتب والرسل من عند الله علم أو جهل حق فهذه شهادتى على نفسى أمانة عند كل من وصلت اليه يؤديها اذا سئلها حيثما كان نفعنا الله واياكم بهذا الايمان وثبتنا عليه عند الانتقال الى الدار الحيوان وأحلنا دار الكرامة والرضوان وحال بيننا وبين دار سرابيل أهلها قطران وجعلنا من العصابة التى أخذت الكتب بالأيمان وممن انقلب من الحوض وهو ريان وثقل له الميزان وثبت منه على الصراط القدمان انه المنعم المحسان آمين آمين انتهت العقيدة

ولنشرع فى الاربعة فصول فنقول وبالله التوفيق

(الفصل الاول) فى بيان نبذة من أحوال الشيخ محيي الدين رضى الله عنه * كان رضى الله عنه أولا من الموقعين عند بعض ملوك المغرب ثم انه طرقه طارق من الله عز وجل فخرج فى البرارى على وجهه الى أن نزل فى قبر فمكث فيه مدة ثم خرج من القبر يتكلم بهذه العلوم التى نقلت عنه ولم يزل سائحا فى الارض يقيم فى كل بلد بحسب الاذن ثم يرحل منها ويخلف ما ألفه من الكتب فيها وكان آخر اقامته بالشام وبها مات سنة ثمان وثلاثين وستمائة رضى الله عنه * وكان رضى الله عنه متقيدا بالكتاب والسنة ويقول كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك وسيأتى قوله وكل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وهذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه انما هو لعلو مراقيه وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه كما أخبرنى بذلك سيدى الشيخ أبو الطاهر المغربى نزيل مكة المشرفة ثم أخرج لى نسخة الفتوحات التى قابلها على نسخة الشيخ التى بخطه فى مدينة قونية فلم أر فيها شيأ مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات * وقد دس الزنادقة تحت وسادة الامام أحمد بن حنبل فى مرض موته عقائد زائغة ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته * وكذلك دسوا على شيخ الاسلام مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس كتابا فى الرد على أبى حنيفة وتكفيره ودفعوه الى أبى بكر الخياط اليمنى البغوى فأرسل يلوم الشيخ

مع القوم التسليم لهم فيما يقولون واعلاها القطع بصدقهم وما عدا هذين المقامين حرمان * وقال فيه الخلاف لا يصح عندنا ولا فى طريقنا لان الكمل ينظرون كل شئ بعينه ومن هنا قالوا الكامل يكنى بابى العيون (وقال) فى قوله تعالى لا تدركه الابصار أى الابصار المحجوبة وهو اللطيف الخبير أى لطيف بعباده حيث تجلى لهم على قدر طاقتهم وضعفهم عن حمل تجليه الاقدس على ما تعطيه الالوهية * وقال فى قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى القرآن مجملا قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور فقيل له ولا تعجل بالقرآن الذى عندك قبل جبريل فتلقيه على الامة مجملا فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله وقل رب زدنى علما أى بتفصيل ما أجمل من المعانى فى التوحيد والاحكام لا زدنى أحكاما كما توهمه بعضهم فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اتركونى ما تركتكم فاعلم ذلك (وقال) أيضا فى الباب الثانى منها اعلم يا أخى أنه لو كانت علوم الوهب نتيجة عن فكر أو نظر لانحصرت فى أقرب مدة ولكنها موارد تتوالى من الحق على خاطر العبد والحق تعالى وهاب على الدوام فياض على الاستمرار

مجد الدين على ذلك فكتب اليه الشيخ مجد الدين ان كان بكفك هذا الكتاب فأحرقه فانه افتراء من الاعداء وأنا من أعظم المعتقدين في الامام أبي حنيفة وذكرت مناقبه في مجلد * وكذلك دسوا على الامام الغزالي عدة مسائل في كتاب الاحياء وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر باحراقها * وكذلك دسوا على أنا في كتابي المسمى بالبحر المورود جملة من العقائد الزائغة وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين وأنا بريء منها كما بينت ذلك في خطبة الكتاب لما غيرتها وكان العلماء كتبوا عليه وأجازوه فما سكنت الفتنة حتى أرسلت اليهم النسخة التي عليها خطوطهم * وكان ممن انتدب لنصرتي الشيخ الامام ناصر الدين اللقاني المالكي رضي الله تعالى عنه ثم ان بعض الحسدة أشاع في مصر ومكة ان علماء مصر رجعوا عن كتابتهم على مؤلفات فلان كلها فشك بعض الناس في ذلك فأرسلت النسخة للعلماء ثالث مرة فكتبوا تحت خطوطهم كذب والله من ينسب الينا اننا رجعنا عن كتابتنا على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان * وعبارة سيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين المالكي فسح الله تعالى في أجله بعد الحمد لله وبعد فما نسب الى العبد من الرجوع عما كتبته بخطي على هذا الكتاب وغيره من مؤلفات فلان باطل باطل باطل والله ما رجعت عن ذلك ولا عزمت عليه ولا اعتقدت في مؤلفاته شيأ من الباطل وأنا معتقد صحة مقالته باق على ذلك وادين الله تعالى بالاعتقاد في صحة كلامه وولايته فلا ينبغي أن يصدق في شيء مما ينسب الي على ألسنة الذين لا يخشون الله تعالى هذا لفظه في آخر نسخة العهود وعقب اجازته التي كتبها أولا وكتب نحو ذلك أيضا الامام المحقق الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رحمه الله تعالى * اذا علمت ذلك فيحتمل ان الحسدة دسوا على الشيخ في كتبه كما دسوا في كتبي أنا فانه أمر قد شاهدته من أهل عصري في حقي فالله يغفر لنا ولهم آمين * وأما من أثنى على الشيخ من العلماء ومدح مؤلفاته فقد كان الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب كتاب القاموس في اللغة يقول لم يبلغنا عن أحد من القوم انه بلغ في علم الشريعة والحقيقة ما بلغ الشيخ محيي الدين أبدا وكان يعتقده غاية الاعتقاد وينكر على من أنكر عليه ويقول لم تزل الناس منكبين على الاعتقاد في الشيخ وعلى كتابة مؤلفاته بحل الذهب في حياته وبعد وفاته الى أن أراد الله ما أراده من انتصاب شخص من اليمن اسمه جمال الدين بن الخياط فكتب مسائل في درج وأرسلها الى العلماء ببلاد الاسلام وقال هذه عقائد الشيخ محيي الدين بن العربي وذكر فيها عقائد زائغة ومسائل خارقة لاجماع المسلمين فكتب العلماء على ذلك بحسب السؤال وشنعوا على من يعتقد ذلك من غير تثبت والشيخ عن ذلك كله بمعزل * قال الفيروزابادي فلا أدرى أوجد ابن الخياط تلك المسائل في كتاب مدسوس على الشيخ أو فهمها هو من كلام الشيخ محيي الدين على خلاف مراده * قال والذي أقوله وأتحققه وادين الله تعالى به ان الشيخ محيي الدين كان شيخ الطريقة حالا وعلما وامام التحقيق حقيقة ورسما ومحيي علوم العارفين فعلا واسما اذا تغلغل فكر المرء في طرف من مجده غرقت فيه خواطره لانه بحر لا تكدره الدلاء وسحاب لا تتقاصى عنه الانواء كانت دعواته تخرق السبع الطباق وتفترف بركاته فتملأ الآفاق وهو يقينا فوق ما وصفته وناطق بما كتبته وغالب ظني أنني ما أنصفته

وما على اذا ما قلت معتقدي * دع الجهول يظن الجهل عدوانا

والله والله العظيم ومن * أقامه حجة للدين برهانا

ان الذي قلت بعض من مناقبه * ما زدت الا لعلي زدت نقصانا

قال وأما كتبه رضي الله عنه فهي البحار الزواخر التي ما وضع الواضعون مثلها ومن خصائصها ما واظب أحد على مطالعتها الا وتصدر لحل المشكلات في الدين ومعضلات مسائله وهذا الشأن لا يوجد في كتب غيره أبدا * قال وأما قول بعض المنكرين ان كتب الشيخ لا تحل قراءتها ولا اقراؤها فكفر * قال وقد ذدموا الى مرة سؤالا صورته ما تقول في الكتب المنسوبة الى الشيخ محيي الدين بن العربي كالفصوص والفتوحات

والحل قابل على الدوام فاما يقبل الجهل واما يقبل العلم بحسب جلاء مرآة قلبه وصدئها فاذا صفا القلب حصل من العلم في اللحظة الواحدة ما لا يقدر على كتابته في أزمنة متطاولة لاتساع ذلك الفلك المعقول وضيق هذا الفلك المحسوس فكيف ينقضي ما لا يتصور له نهاية ولذلك قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب زدني علما وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس اعلم ان آدم عليه السلام حامل للاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم حامل لمعاني تلك الاسماء التي حملها آدم وهي المراد بحديث أوتيت جوامع الكلم * وقال من أثنى على نفسه فهو أمكن وأتم ممن أثنى عليه الا أن يكون المثنى هو الله عز وجل كيحيى وعيسى في قول الله في حق يحيى عليه السلام وسلام عليه وقول عيسى عليه السلام وسلام علي فعلم أن من حصل الذات فالاسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الاسماء يكون المسمى محصلا عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لانهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الاجر وأيضا فلحضرة الغيبة التي لم تكن لهم فكان لنا تضعيف على تضعيف فنحن الاخوان وهم الاصحاب وهو صلى الله عليه

هل يحل قراءتها واقراؤها وهل هي من الكتب المسموعة المقروءة أم لا * فأجبت نعم هي من الكتب المسموعة المقروءة وقد قرأها عليه الحافظ البرزالي وغيره * ورأيت اجازته بخط الشيخ محيي الدين على حواشي الفتوحات المكية بمدينة قونية وكتابة طبقة بعد طبقة من العلماء والمحدثين فمطالعة كتب الشيخ قربة الى الله تعالى ومن قال غير ذلك فهو جاهل زائغ عن طريق الحق فلقد كان الشيخ والله في زمنه صاحب الولاية العظمى والصديقية الكبرى فيما نعتقد وندين الله تعالى به خلاف ما عليه جماعة ممن مقتهم الله تعالى فحرموا فوائده ووقعوا في عرضه بهتانا وزورا وحاشا جنابه الكريم أن يخالف كلام نبيه الذي استأمنه على شرعه ومن أنكر عليه وقع في أخطر الامور

على نحت القوافي من معادنها * وما على اذا لم تفهم البقر

انتهى كلام الشيخ مجد الدين رحمه الله تعالى * وكان الشيخ سراج الدين المخزومي شيخ الاسلام بالشام يقول اياكم والانكار على شيء من كلام الشيخ محيي الدين فان لحوم الاولياء مسمومة وهلاك أديان مبغضهم معلومة ومن أبغضهم تنصر ومات على ذلك ومن أطلق لسانه فيهم بالسب ابتلاه الله بموت القلب * وكان أبو عبد الله القرشي يقول من غض من ولي لله عز وجل ضرب في قلبه بسهم مسموم ولم يمت حتى تفسد عقيدته ويخاف عليه من سوء الخاتمة * وكان أبو تراب النخشبي يقول اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة في أوليائه * قال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي وقد رأيت اجازة بخط الشيخ كتبها للملك الظاهر بيبرس صاحب حلب ورأيت في آخرها وأجزت له أيضا أن يروي عني جميع مؤلفاتي ومن جملتها كذا وكذا حتى عد نيفا وأربعمائة مؤلف منها تفسيره الكبير في خمسة وتسعين مجلدا وصل فيه الى قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما فاصطفاه الله لحضرته ومنها تفسيره الصغير في ثمانية أسفار على طريقة المحققين من المفسرين ومنها كتاب الرياض الفردوسية في بيان الاحاديث القدسية فهل يحل لمسلم أن يقول لا تجوز مطالعة كتب الشيخ محيي الدين مطلقا ما ذاك الا كفر وتعصب وعناد * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ كمال الدين الزملكاني رحمه الله وكان من أجل علماء الشام وكذلك الشيخ قطب الدين الحموي وقيل له لما رجع من الشام الى بلاده كيف وجدت الشيخ محيي الدين فقال وجدته في العلم والزهد والمعارف بحرا زاخرا لا ساحل له قال وقد أنشدني الشيخ بلفظه من جملة أبيات

تركنا البحار الزاخرات وراءنا * فمن أين يدري الناس أين توجهنا

* وممن أثنى عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي في تاريخ علماء مصر وقال من أراد أن ينظر الى كلام أهل العلوم اللدنية فلينظر في كتب الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله * وسئل الحافظ أبو عبد الله الذهبي عن قول الشيخ محيي الدين في كتابه الفصوص انه ما صنعه الا باذن من الحضرة النبوية فقال الحافظ ما أظن ان مثل هذا الشيخ محيي الدين يكذب أصلا مع ان الحافظ الذهبي كان من أشد المنكرين على الشيخ وعلى طائفة الصوفية هو وابن تيمية * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ قطب الدين الشيرازي وكان يقول ان الشيخ محيي الدين كان كاملا في العلوم الشرعية والحقيقية ولا يقدح فيه الا من لم يفهم كلامه ولم يؤمن به كما لا يقدح في كمال الانبياء عليهم الصلاة والسلام نسبتهم الى الجنون والسحر على لسان من لم يؤمن بهم * وكان الشيخ مؤيد الدين الجندي يقول ما سمعنا باحد من أهل الطريق اطلع على ما اطلع عليه الشيخ محيي الدين وكذلك كان يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي والشيخ كمال الدين الكاشي وقال فيه انه الكامل المحقق صاحب الكمالات والكرامات مع ان هؤلاء الاشياخ كانوا من أشد الناس انكارا على من يخالف ظاهر الشريعة * وممن أثنى عليه أيضا الشيخ فخر الدين الرازي وقال كان الشيخ محيي الدين وليا عظيما * وسئل الامام محيي الدين النووي عن الشيخ محيي الدين بن العربي قال تلك أمة قد خلت ولكن الذي عندنا انه يحرم على كل عاقل أن يسيء الظن بأحد من أولياء الله عز وجل ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم ما دام

وسلم الينا بالاشواق والعامل منا أيضا أجر خمسين ممن يعمل بعملهم لكن من أمثالهم لا من أعيانهم فافهم (وقال) في الباب السادس أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجماد انه لا يعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك فاذا جاءهم عن نبي أو ولي ان حجرا كلمه مثلا يقولون خلق الله فيه الحياة في ذلك الوقت والامر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم وقد ورد ان كل شيء يسمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم ذلك عن كشف لا عن استنباط عن نظر وأطال في ذلك * وقال في الباب السابع اعلم ان الانسان آخر جنس موجود من العالم الكبير وآخر صنف من المولدات قال وأكمل الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات بعد انتهاء خلق العالم الطبيعي باحدى وسبعين ألف سنة ثم خلق الله تعالى الدنيا بعد أن انتهى من مدة خلق العالم الطبيعي باربع وخمسين ألف سنة ثم خلق الآخرة أعني الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا بهذه المدة وسميت الدنيا الاولى لانها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى للجنة والنار

لم يلحق بدرجتهم ولا يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق قال في شرح المهذب ثم اذا أول فليؤول كلامهم الى سبعين وجها ولا نقبل عنه تأويلا واحدا ما ذاك الا تعنت انتهى *وممن أثنى عليه أيضا الامام ابن أسعد اليافعي وصرح بولايته العظمى كما نقل ذلك عن شيخ الاسلام زكريا في شرحه للروض وكان اليافعي يحب رواية كتب الشيخ محيي الدين ويقول ان حكم انكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق حكم ناموسة نفخت على جبل تريد ازالته من مكانه بنفخها قال ومن عادى أولياء الله فكأنما عادى الله وان كان لم يبلغ حد التكفير الموجب للخلود في النار انتهى *وممن أثنى عليه أيضا من مشايخنا محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال السيوطي وترجمه بانه مربي العارفين كما ان الجنيد مربي المريدين وقال ان الشيخ محيي الدين روح التنزلات والامداد وألف الوجود وعين الشهود وهاء المشهود الناهج منهاج النبي العربي قدس الله سره وأعلى في الوجود ذكره انتهى *قلت وقد صنف الشيخ سراج الدين المخزومي كتابا في الرد عن الشيخ محيي الدين وقال كيف يسوغ لاحد من أمثالنا الانكار على ما لم يفهمه من كلامه في الفتوحات وغيرها وقد وقف على ما فيها نحو من ألف عالم وتلقوها بالقبول *قال وقد شرح كتابه الفصوص جماعة من الاعلام الشافعية وغيرهم منهم الشيخ بدر الدين بن جماعة وشاعت كتبه في الامصار وقرئت متنا وشرحا في غالب البلاد وروينا هابالقراءة الظاهرة في الجامع الاموي وغيره بالاسناد وتغالى الناس قديما وحديثا في شرائها ونسخها وتبركوا بها وبمؤلفها لما كان عليه من الزهد والعلم ومحاسن الاخلاق *وكان أئمة عصره من علماء الشام ومكة كلهم يعتقدونه ويأخذون عنه ويعدون أنفسهم في بحر علمه كلا شئ وهل ينكر على الشيخ الا جاهل أو معاند *قال الفيروزابادي رحمه الله بعد أن ذكر مناقب الشيخ محيي الدين ثم ان الشيخ محيي الدين كان مسكنه الشام وقد أخرج هذه العلوم بالشام ولم ينكر عليه أحد من علمائها *قال وقد كان قاضي القضاة الشيخ شمس الدين الخويي الشافعي يخدمه خدمة العبيد وأما قاضي القضاة المالكي فهبت عليه نظرة من الشيخ فزوجه ابنته وترك القضاء وتبع طريقة الشيخ وأطال الفيروزابادي في ذكر مناقب الشيخ ثم قال وبالجملة فما أنكر على الشيخ الا بعض الفقهاء القمع الذين لا حظ لهم في شرب المحققين وأما جمهور العلماء والصوفية فقد أقروا بانه امام أهل التحقيق والتوحيد وانه في العلوم الظاهرة فريد وحيد *وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول ما وقع انكار من بعضهم على الشيخ الا رفقا بضعفاء الفقهاء الذين ليس لهم نصيب تام من أحوال الفقراء خوفا أن يفهموا من كلام الشيخ أمرا لا يوافق الشرع فيضلوا ولو أنهم صحبوا الفقراء لعرفوا مصطلحهم وأمنوا من مخالفة الشريعة *قال شيخ الاسلام المخزومي وقد كان الشيخ محيي الدين بالشام وجميع علمائها تتردد اليه ويعترفون له بجلالة القدار وانه أستاذ المحققين من غير انكار وقد أقام بين أظهرهم نحوا من ثلاثين سنة يكتبون مؤلفات الشيخ ويتداولونها بينهم انتهى *وقال الفيروزابادي قد كان الشيخ محيي الدين بحرا لا ساحل له ولما جاور بمكة شرفها الله تعالى كان البلد اذ ذاك مجمع العلماء والمحدثين وكان الشيخ هو المشار اليه بينهم في كل علم تكلموا فيه وكانوا كلهم يتسارعون الى مجلسه ويتبركون بالحضور بين يديه ويقرؤن عليه تصانيفه قال ومصنفاته بخزائن مكة الى الآن أصدق شاهد على ما قلناه وكان أكثر اشتغاله بمكة بسماع الحديث واسماعه وصنف فيها الفتوحات المكية كتبها عن ظهر قلب جوابا لسؤال سأله عنه تلميذه بدر الحبشي ولما فرغ منها وضعها في سطح الكعبة المعظمة فأقامت فيه سنة ثم أنزلها فوجدها كما وضعها لم يبتل منها ورقة ولا لعبت بها الرياح مع كثرة أمطار مكة ورياحها وما أذن للناس في كتابتها وقراءتها الا بعد ذلك *قال وأما ما أشاعه بعض المنكرين عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام وعن شيخنا الشيخ سراج الدين البلقيني انهما أمرا باحراق كتب الشيخ محيي الدين فكذب وزور ولو أنهما أحرقت لم يبق منها الآن بمصر والشام نسخة ولا كان أحد نسخها بعد كلام هذين الشيخين وحاشاهما من ذلك ولو أن ذلك وقع لم يخف لانه من الامور العظام التي تسير بها الركبان في

أمد ينتهي اليه بقاؤهما فلهما الدوام قال وخلق الله تعالى طينة آدم بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة ومن عمر الآخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة وأطال في ذلك *وقال في الباب التاسع كان الجان في الارض قبل آدم بستين ألف سنة قال وأول من سمي من الجن شيطانا وأول من عصى هو الحارث فأبلسه الله وأبعده وابليس هو بأب للجن كما توهمه انما هو واحد منهم وهو أول الاشقياء من الجن كما كان قابيل أول الاشقياء من البشر *وقال في الباب الحادي عشر بلغنا انه وجد مكتوبا بالقلم الاول على الاهرام انهما بنيت والنسر الطائر في الاسد وهو الآن في الجدي يعني على أيام الشيخ محيي الدين فاحسب ما بينهما تعرف تاريخ عمارتها انتهى ومعلوم ان النسر الطائر لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد مضي ثلاثين ألف سنة قال الشيخ عبد الكريم الجيلي وهو اليوم في الدلو فقد قطع نحو عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك الا بعد ثلثمائة ألف سنة انتهى (قلت) وسيأتي في الباب التسعين وثلثمائة قول الشيخ ولقد ذكرنا في التاريخ المتقدم ان تاريخ اهرام مصر بنيت والنسر في الاسد وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من علم

الآفاق ولتعرض لها أصحاب التواريخ * وقال الشيخ سراج الدين المخزومي كان شيخنا شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني وكذلك الشيخ تقي الدين السبكي ينكران على الشيخ في بداية أمرهما ثم رجعا عن ذلك حين تحققا كلامه وتأويل مراده وندما على تفريطهما في حقه في البداية وسلما له الحال فيما أشكل عليهما عند النهاية * فمن جملة ما ترجمه به الامام السبكي كان الشيخ محيي الدين آية من آيات الله تعالى وان الفضل في زمانه رمى بمقاليده اليه وقال لا أعرف الا اياه * ومن جملة ما قاله الشيخ سراج الدين البلقيني فيه حين سئل عنه اياكم والانكار على شئ من كلام الشيخ محيي الدين فانه رحمه الله لما خاض في بحار المعرفة وتحقيق الحقائق عبر في أواخر عمره في الفصوص والفتوحات والتنزلات الموصلة وفي غيرها بما لا يخفى على من هو في درجته من أهل الاشارات ثم انه جاء من بعده قوم عمي عن طريقه فغلطوه في ذلك بل كفروه بتلك العبارات ولم يكن عندهم معرفة باصطلاحه ولا سألوا من يسلكهم الى ايضاحه وذلك ان كلام الشيخ رضي الله عنه تحته رموز وروابط واشارات وضوابط وحذف مضافات هي في علمه وعلم أمثاله معلومة وعند غيرهم من الجهال مجهولة ولو أنهم نظروا الى كلماته بدلالاتها وتطبيقاتها وعرفوا نتائجها ومقدماتها لنالوا الثمرات المرادة ولم يباين اعتقادهم اعتقاده * قال ولقد كذب والله وافترى من نسبه الى القول بالحلول والاتحاد ولم أزل أتتبع كلامه في العقائد وغيرها وأكثر من النظر في اسرار كلامه ورموزه وابحاثه حتى تحققت بمعرفة ما هو عليه من الحق ووافقت الجم الغفير المعتقدين له من الخلق وحدت الله عز وجل اذ لم أكتب في ديوان الغافلين عن مقامه الجاحدين لكراماته وأحواله انتهى كلام الشيخ سراج الدين البلقيني قال تلميذه شيخ الاسلام المخزومي رحمه الله تعالى ولما وردت القاهرة عام توفي شيخنا سراج الدين البلقيني وذلك في عام اربع وثمانمائة ذكرت له ما سمعت من بعض أهل الشام في حق الشيخ محيي الدين من أنه يقول بالحلول والاتحاد فقال الشيخ معاذ الله وحاشاه من ذلك انما هو من أعظم الائمة وممن سبح في بحار علوم الكتاب والسنة وله اليد العظيمة عند الله وعند القوم وقدم صدق عنده * قال المخزومي فقوي بذلك نفسي وكثر اعتقادي في الشيخ من تلك الساعة وعلمت انه من رؤس أهل السنة والجماعة قال المخزومي ولقد بلغنا ان الشيخ تقي الدين السبكي تكلم في شرحه للمنهاج في حق الشيخ محيي الدين بكلمة ثم استغفر بعد ذلك وضرب عليها فوجدها في بعض النسخ بلا ضرب عليها كما هو في نسخة المؤلف قال مع ان السبكي قد صنف كتابا في الرد على المجسمة والرافضة وكتب الاجوبة العلمية في الرد على ابن تيمية ولم يصنف قط شيأ في الرد على الشيخ محيي الدين مع شهرة كلامه بالشام وقراءة كتبه في الجامع الاموي وغيره بل كان يقول ليس الرد على الصوفية مذهبي لعلو مراتبهم * وكذلك كان يقول الشيخ تاج الدين الفركاح وأطال المخزومي في الثناء على الشيخ محيي الدين * ثم قال فمن نقل عن الشيخ تقي الدين السبكي أو عن الشيخ سراج الدين البلقيني أنهما بقيا على انكارهما على الشيخ محيي الدين الى ان ماتا فهو مخطئ انتهى * قال ولما بلغ شيخنا السراج البلقيني ان الشيخ بدر الدين السبكي شيخ الاسلام بالشام رد على الشيخ في موضعين من كتاب الفصوص أرسل له كتابا من جملته يا قاضي القضاة الحذر ثم الحذر من الانكار على أولياء الله وان كنت ولا بد رادا فرد كلام من رد على الشيخ والا فدع * وسئل العماد بن كثير رحمه الله عمن يخطئ الشيخ محيي الدين فقال أخشى أن يكون من يخطئه هو المخطئ وقد أنكر قوم عليه فوقعوا في المهالك * وكذلك سئل الشيخ بدر الدين بن جماعة عن الشيخ محيي الدين فقال ما لكم وليرجل قد أجمع الناس على جلالته انتهى قال شيخ الاسلام المخزومي وأما ما نقله بعضهم عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام انه كان يقول ابن عربي زنديق فكذب وزور وقد روينا عن الشيخ صلاح الدين القلانسي صاحب القواعد عن جماعة من مشايخه عن خادم الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال كنا في درس الشيخ عز الدين في باب الردة فذكر القارئ لفظة الزنديق فقال بعضهم هذه اللفظة عربية أو عجمية فقال بعض العلماء فارسية معربة أصلها

تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر أمرها على ان بانيها من الناس بالقطع فاذا كان هذا عمر الاهرام فكيف أنت يا أخي بعمر الدنيا والله أعلم * وقال في الباب الثالث عشر لم يتقدم خلق العرش من الملائكة احد سوى الملائكة المهيمين في جلال الله تعالى وبعدهم القلم الاعلى فالملائكة المهيمون أول مظاهر ظهر في العماء والقلم أول ملائكة التدوين والتسطير وأطال في ذكر المخلوقات الاول على الترتيب * وقال في الباب الرابع عشر جملة الاقطاب المكملين في الامم السابقة من عهد آدم عليه السلام الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرون قطبا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد أقدس في حضرة برزخية وأنا بمدينة قرطبة وهم المفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء والماحق والعاقب والمنصور وشجر الماء وعنصر الحياة والشريد والراجع والصانع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والرامي والواسع والبحر والملصق والهادي والمصلح والباقي انتهى قال وأما القطب الواحد فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم الممد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب من حين النشء الانساني الى يوم القيامة والله أعلم * وقال فان الوحي

زنديق وهو الذي يضمر الكفر ويظهر الايمان فقال شخص من الطلبة مثل من فقال شخص بجانب الشيخ عز الدين بن عبد السلام مثل محيي الدين بن العربي ولم ينطق الشيخ عز الدين بشيء قال الخادم فلما قدمت له عشاء وكان صائما سألته عن القطب من هو فقال لا أرى القطب في زماننا هذا الا الشيخ محيي الدين ابن العربي وهو متبسم فأطرقت مليا متحيرا فقال مالك فذلك مجلس الفقهاء ولم يسعني فيه غير السكوت قال المخزومي فهذا هو الذي رويناه عن الشيخ عز الدين بالسند الصحيح انتهى ذكر ذلك كله الشيخ المخزومي في كتابه المسمى بكشف الغطاء عن أسرار كلام الشيخ محيي الدين * (قلت) وقد صنف شيخنا الجلال السيوطي كتابا في الرد على الشيخ محيي الدين سماه تنبيه الغبي في تبرئة ابن العربي وكتابا آخر سماه قمع المعارض في نصرة ابن الفارض لما وقعت فتنة الشيخ برهان الدين البقاعي بمصر فراجعهما

(الفصل الثاني) في تأويل كلمات أضيفت الى الشيخ محيي الدين وذكر جماعة ابتلوا بالانكار عليهم لكون الشيخ اسوتهم * اعلم رحمك الله انه لا يجوز الانكار على القوم الا بعد معرفة مصطلحهم في ألفاظهم ثم اذا أبان بعد ذلك كلامهم مخالفا للشريعة رميناه وقال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب كتاب القاموس في اللغة لا يجوز لاحد أن ينكر على القوم ببادي الرأي لعلو مراتبهم في الفهم والكشف قال ولم يبلغنا عن أحد منهم انه أمر بشيء يهدم الدين ولا نهى أحدا عن الوضوء ولا عن الصلاة ولا غيرهما من فروض الاسلام ومستحباته انما يتكلمون بكلام يدق عن الافهام وكان يقول قد يبلغ القوم في المقامات ودرجات العلوم الى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التي لم يصرح بها في كتاب ولا سنة ولكن أكابر العلماء العاملين قد يردون ذلك الى الكتاب والسنة بطريق دقيق لحسن استنباطهم وحسن ظنهم بالصالحين ولكن ما كل أحد يتربص اذا سمع كلاما لا يفهمه بل يبادر الى الانكار على صاحبه وخلق الانسان عجولا قال وناهيك بابي العباس بن سريج في العلم والفهم تنكر مرة ثم حضر مجلس أبي القاسم الجنيد ليسمع منه شيأ مما يشاع عن الصوفية فلما انصرف قالوا له ما وجدت قال لم أفهم من كلامهم شيأ الا ان صولة الكلام ليست بصولة مبطل انتهى * وكان شيخ الاسلام مجد الدين الفيروزابادي يقول كما أعطى الله تعالى الكرامات للاولياء التي هي فرع المعجزات فلا بدع أن يعطيهم من العبارات ما يعجز عن فهمه فحول العلماء * وكان شيخ الاسلام المخزومي يقول لا يجوز لاحد من العلماء الانكار على الصوفية الا ان سلك طريقتهم ورأى أفعالهم وأقوالهم مخالفة للكتاب والسنة وأما بالاشاعة عنهم فلا يجوز الانكار عليهم ولا سبهم وأطال في ذلك ثم قال وبالجملة فأقل ما يجب على المنكر حتى يسوغ له الهم بالانكار ان يعرف سبعين أمرا ثم بعد ذلك يسوغ له الانكار منها غوصه في معرفة معجزات الرسل على اختلاف طبقاتهم وكرامات الاولياء على اختلاف طبقاتهم ويؤمن بها او يعتقد أن الاولياء يرثون الانبياء في جميع معجزاتهم الا ما استثنى ومنها الاطلاع على كتب التفسير والتأويل وشرائطه ويتبحر في معرفة لغات العرب في مجازاتها واستعاراتها حتى يبلغ الغاية ومنها كثرة الاطلاع على مقامات السلف والخلف في معنى آيات الصفات واخبارها ومن أخذ بالظاهر ومن أول ومن دليله أرجح من الآخر ومنها التبحر في علم الاصوليين ومعرفة منازع أئمة الكلام ومنها وهو أهمها معرفة اصطلاح القوم فيما عبروا عنه من التجلي الذاتي والصوري وما هو الذات وذات الذات ومعرفة حضرات الاسماء والصفات والفرق بين الحضرات وبين الاحدية والوحدانية والواحدية ومعرفة الظهور والبطون والازل والابد وعالم الغيب والكون والشهادة والشؤن وعلم الماهية والهوية والسكر والمحبة ومن هو الصادق في السكر حتى يسامح ومن هو الكاذب حتى يؤاخذ وغير ذلك فمن لم يعرف مرادهم كيف يحل كلامهم أو ينكر عليهم بما ليس من مرادهم انتهى وقد شرح الحافظ ابن حجر بعض أبيات من تائية ابن الفارض رضي الله عنه وقدمها الى سيدي الشيخ مدين ليكتب له عليها اجازة فكتب له على ظاهرها ما أحسن ما قال بعضهم

الفهم من التشريع قد أغلق بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا كان عيسى عليه السلام اذا نزل يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون وحي جديد فعلم انه ما بقي للاولياء الا وحي الالهام على لسان ملك غيب لا يشاهد فيعلمهم بصحة حديث قيل بتضعيفه أو عكسه من طريق الالهام من غير شهود الملك اذ لا يجمع بين شهود الملك وسماع خطابه الا الانبياء وأما الولي فان سمع صوتا لا يرى صاحبه وان رأى الملك لا يسمع له كلاما اذ لا تشريع في وحي الاولياء فافهم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثاني والعشرين والله أعلم * وقال في الباب الخامس عشر الابدال السبعة للاقاليم السبعة انما هم مستمدون من روحانية الانبياء الكائنين في السموات وهم ابراهيم الخليل يليه موسى يليه هرون يتلوه ادريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم عليهم الصلاة والسلام قال وأما يحيى فله تردد بين عيسى وهرون فرد كل بدل يتنزل من حقيقة نبي من هؤلاء الانبياء وكذلك تتنزل العلوم عليهم في أيام الاسبوع لكل يوم علم يتنزل من رقائق نبي من هؤلاء * وقال في الباب السادس عشر ما دخل التلبيس على السوفسطائية

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

ثم أرسلها الى الحافظ فتنبه لامر كان عنه غافلا ثم أذعن لاهل الطريق وصحب سيدى مدين الى ان مات * وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول مما يدلك على ان أهل الطريق ما تعدوا على قواعد الشريعة دون غيرهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع شئ من ذلك على يد أحد ولو بلغ في العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى * وكان الشيخ مجد الدين الفيروزابادي يقول لا ينبغي لاحد من أهل الفكر والنظر الاعتراض على أهل العطايا والمنح فان علوم هؤلاء فرع علوم أهل النظر * وكان الشيخ محيي الدين من أكابر أهل العطايا الذين كشف لهم الحق عن جمال وجهه الباقي فتلألأت سبحاته بالانوار الساطعة الى يوم التلاقي ومن تعرض لتخطئته أو تكفيره فانما هو لجهله وحرمانه أو لعدم فهمه وضعف ايمانه وعدم مبالاته بفوات لسانه انتهى وقد نقل الامام الغزالي في الباب الثامن من كتاب العلم من الاحياء عن بعض العارفين انه كان يقول من لم يكن له نصيب من علم القوم يخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق والتسليم لاهله كما ان من لم يتغلغل في علم الشريعة يخاف عليه الزيغ اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق مما أنكره المتعصبون على الشيخ بحسب الاشاعة قولهم ان الشيخ محيي الدين يقول بفساد قول لا اله الا الله وذلك كفر والجواب بتقدير صحة ذلك عنه ان المراد ان الحق تعالى ثابت في ألوهيته قبل اثبات المثبت ومن كان ثابتا لا يحتاج الى اثباتك اذ ما ثم من تثبت ألوهيته من الخلق حتى ينفى وانما تعبد المؤمن بذلك على سبيل التلاوة ليأجره الله على ذلك وحاشى الشيخ ان يصرح بفساد قول لا اله الا الله هذا لا يقوله عاقل لانها من القرآن العظيم فافهم * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول في كتبه مرارا لا موجود الا الله * فالجواب ان معنى ذلك بتقدير صحته عنه انه لا موجود قائم بنفسه الا هو تعالى وما سواه قائم بغيره كما أشار اليه حديث * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * ومن كان حقيقته كذلك فهو الى العدم أقرب اذ هو وجود مسبوق بعدم وفي حال وجوده متردد بين وجود وعدم لا انفكاك لاحد الطرفين فان صح ان الشيخ قال لا موجود الا الله فانما قال ذلك عندما تلاشت عنده الكائنات حين شهوده الحق تعالى بقلبه كما قال أبو القاسم الجنيد من شهد الحق لم ير الخلق انتهى * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله جعل الحق والخلق واحدا في قوله في بعض نظمه فيحمدني وأحمده ويعبدني وأعبده والجواب بتقدير صحة ذلك عنه ان معنى يحمدني انه يشكرني اذا أطعته كما في قوله تعالى اذكروني أذكركم وأما في قوله فيعبدني وأعبده أي يطيعني باجابة دعائي كما قال تعالى لا تعبدوا الشيطان أي لا تطيعوه والا فليس أحد يعبد الشيطان كما يعبد الله فافهم * وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وخمسمائة من الفتوحات المكية بعد كلام طويل ما نصه وهذا يدلك صريحا على ان العالم ما هو عين الحق تعالى اذ لو كان عين الحق تعالى ما صح كون الحق تعالى بديعا انتهى * ومن دعوى المنكر أن الشيخ يقول بقبول ايمان فرعون وذلك كذب وافتراء على الشيخ فقد صرح الشيخ في الباب الثاني والستين من الفتوحات بأن فرعون من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين والفتوحات من أواخر مؤلفاته فانه فرغ منها قبل موته بنحو ثلاث سنين * قال شيخ الاسلام الخالدي رحمه الله والشيخ محيي الدين بتقدير صدور ذلك عنه لم ينفرد به بل ذهب جمع كثير من السلف الى قبول ايمانه لما حكى الله عنه أنه قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين وكان ذلك آخر عهده بالدنيا وقال أبو بكر الباقلاني قبول ايمانه هو الاقوى من حيث الاستدلال ولم يرد لنا نص صريح أنه مات على كفره انتهى ودليل جمهور السلف والخلف على كفره أنه آمن عند اليأس وايمان أهل اليأس لا يقبل والله أعلم * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ رحمه الله يقول بجواز اباحة المكث للجنب في المسجد فان صح ذلك عن الشيخ فهو موافق فيه لمولانا عبد الله بن عباس والامام أحمد بن حنبل وهو مذهب الامام المزني وجماعة من التابعين والفقهاء فقول المنكر

الا من تشكيك ابليس لهم في الحواس وادخال الغلط عليهم فيها وهي التي يستند اليها أهل النظر في صحة أدلتهم فلما أظهر لهم ابليس الغلط في ذلك قالوا ما ثم علم أصلا يوثق به فان قيل لهم فهذا علم بانه ما ثم علم فاستدركم وأنتم غير قائلين به قالوا وكذلك نقول ان قولنا هذا ليس بعلم وهو من جملة الاغاليط قال الشيخ رحمه الله تعالى وهذا من جملة ما أدخل عليهم ابليس من الشبه وأما نحن فقد حفظنا الله من ذلك فلم نجعل للحس غلطا جملة واحدة وانما الحاكم على الحس هو الذى يغلط كصاحب المرة الصفراء يجد طعم العسل مرا وليس هو يعرف نفسه بدليل ذوق غيره للعسل ووجد أنه الحلاوة ولو ان صاحب المرة أصاب لعرف العلة فلم يحكم على السكر بالمرارة وعرف ان الحس الذى هو الشاهد مصيب على كل حال وأن القاضي على الحس يخطئ ويصيب وذكر الشيخ ذلك أيضا في الباب الرابع والثلاثين فراجعه * وقال في قوله تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم انما لم يذكر العلو والسفل لان هذه الجهات الاربع المذكورة هي التي يأتي الشيطان منها الى الانسان فان جاءك من بين يديك فاطرده بالكشف

ان الشيخ محيي الدين خالف في ذلك الشريعة وأقوال الائمة مردود * ومن ذلك دعوى المنكر أن الشيخ يقول
الولي أفضل من الرسول * والجواب أن الشيخ لم يقل ذلك وانما قال اختلف الناس في رسالة النبي وولايته أيهما
أفضل والذي أقول به ان ولايته أفضل لشرف المتعلق ودوامها في الدنيا والآخرة بخلاف الرسالة فانها تتعلق
بالخلق وتنقضي بانقضاء التكليف انتهى ووافقه على ذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام فالكلام في رسالة
النبي مع ولايته لا في رسالته ونبوته مع ولاية غيره فافهم ونحو ذلك في مسائل كثيرة نسبت للشيخ وسيأتي بيان انها
افتراء وكذب على الشيخ منثورة في مباحثه ان شاء الله تعالى وفي المثل السائر * وبعد المداراة في طريق
المخالف * والله أعلم وقد قال تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون * وقد نقل الجلال السيوطي
رحمه الله في كتابه التحدث بالنعمة مما من الله به علي ان أقام لي عدوا يؤذيني ويمزق في عرضي
ليكون لي اسوة بالانبياء والاولياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء ثم العلماء ثم
الصالحون رواه الحاكم في مستدركه وأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام لا يفقد نبي حرمته الا في بلده *
وروى البيهقي ان كعب الاحبار قال لابي موسى الخولاني كيف تجد قومك لك قال مكرمين مطيعين قال ما
صدقتني التوراة اذن وايم الله ما كان رجل حليم في قوم قط الا بغوا عليه وحسدوه وأخرج ابن عساكر
مرفوعا أزهد الناس في الانبياء وأشدهم عليهم الاقربون وذلك فيما نزل الله عز وجل وأنذر عشيرتك
الاقربين وكان أبو الدرداء يقول أزهد الناس في العالم أهله وجيرانه ان كان في حسبه شئ عيروه وان كان
عمل في عمره ذنبا عيروه انتهى قال الجلال السيوطي رحمه الله واعلم انه ما كان كبير في عصر قط الا كان له عدو
من السفلة اذ الاشراف لم تزل تبتلى بالاطراف فكان لآدم عليه السلام ابليس وكان لنوح حام وغيره وكان
لداود جالوت واضرابه وكان لسليمان صخر وكان لعيسى في حياته الاولى بختنصر وفي الثانية الدجال وكان
لابراهيم النمرود وكان لموسى فرعون وهكذا الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان له أبو جهل وكان لابن عمر عدو
يعبث به كلما مر عليه ونسبوا عبد الله بن الزبير الى الرياء والنفاق في صلاته فصبوا على رأسه ماء حميما فزلع
وجهه ورأسه وهو لا يشعر فلما سلم من صلاته قال ما شأني فذكروا له القصة فقال حسبنا الله ونعم الوكيل
ومكث زمانا يتألم من رأسه ووجهه وكان لابن عباس رضي الله عنهما نافع بن الازرق كان يؤذيه أشد الاذى
ويقول انه يفسر القرآن بغير علم وكان لسعد بن أبي وقاص جهلة من جهال الكوفة يؤذونه مع أنه مشهود له
بالجنة وشكوه الى عمر بن الخطاب وقالوا انه لا يحسن ان يصلي * وأما الائمة المجتهدون فلا يخفى ما قاساه الامام
أبو حنيفة مع الخلفاء وما قاساه الامام مالك واستخفاؤه خمسا وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا جماعة وكذلك
ما قاساه الامام الشافعي من أهل العراق ومن أهل مصر وكذلك لا يخفى ما قاساه الامام أحمد بن حنبل من
الضرب والحبس وما قاساه البخاري حين أخرجوه من بخارى الى خرتنك وقد نقل الثقات منهم الشيخ أبو عبد
الرحمن السلمي وأحمد بن خلكان والشيخ عبد الغفار القوصي وغيرهم انهم نفوا أبا يزيد البسطامي سبع
مرات من بسطام بواسطة جماعة من علمائها وشيعوا ذا النون المصري من مصر الى بغداد مقيدا مغلولا وسافر
معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة ورموا سمنون المحب أحد رجال القشيري بالعظائم وأرشوا امرأة من
البغايا فادعت عليه انه يأتيها هو وأصحابه واختفى بسبب ذلك سنة وأخرجوا سهل بن عبد الله التستري من
بلده الى البصرة ونسبوه الى قبائح وكفروه مع امامته وجلالته ولم يزل بالبصرة الى ان مات بها ورموا أبا سعيد
الخراز بالعظائم وأفتى العلماء بكفره بألفاظ وجدوها في كتبه وشهدوا على الجنيد بالكفر مرارا حين كان
يتكلم في علم التوحيد على رؤس الاشهاد فصار يقرره في قعر بيته الى ان مات وكان من أشد المنكرين عليه
وعلى رويم وعلى سمنون وعلى ابن عطاء ومشايخ العراق ابن دانيال كان يحط عليهم أشد الحط وكان اذا سمع
أحدا يذكرهم تغيظ وتغير لونه وأخرجوا محمد بن الفضل البلخي من بلخ لكون مذهبه كان مذهب أهل
الحديث من اجراء آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل والايمان بها على علم الله فيها ولما أرادوا

والبرهان ثم بعد ذلك لا يكون
وان جاءك من خلفك فاطرده
بالصدق وترك الشهوات وان
جاءك من يمينك الذي هو الجهة
الموصوفة بالقوة ليضعف
يقينك واعانك بالقاء الشبه
في أدلتك فكن موسوى
المقام وتذكر قصته مع
السحرة حتى آمنوا وان جاءك
من جهة الشمال فاطرده
بدلائل التوحيد وعلم النظر
فان الخالف للمعطلة أو
المشركين كان اليمين للضعف
والامام للتشكيك في الحواس
ومن هنا دخل اللبس على
السوفسطائية كما مر وسيأتي
بسطه قريبا * وقال في الباب
السابع عشر ليس في نظر الله
تعالى للوجود زمان لا ماض
ولا مستقبل بل الامور كلها
معلومة عنده في مراتبها بتعداد
صورها فانها في مراتبها لا توصف
بالتناهي ولا بالحصر هكذا
ادراك الحق للعالم ولجميع
الممكنات في حال عدمها
ووجودها فتنوعت الاحوال
في خيالها الا في علمها فاستفادت
من كشفها الذات علما لم يكن
عندها لا لها لم تكن عليها
فما أوجد الله الاعيان الا
لها لا له لانها على حالتها
بأماكنها وأزمانها في العلم
الالهي وأما الاعيان فيكشف
لها عن أحوالها شيأ فشيأ
على التوالي والتتابع الى
ما لا يتناهى قال فتحقق بهذه
المسئلة فان قليلا من عثر عليها
لخفائها فانها متعلقة بسر

اخراجه قال لا أخرج الا ان جعلتم في عنقي حبلا ومررتم بي في أسواق البلد وقلتم هذا مبتدع نريد أن نخرجه من بلدنا ففعلوا ذلك وأخرجوه فالتفت اليهم وقال يا أهل بلخ نزع الله من قلوبكم معرفته قال الاشياخ فلم يخرج بعد دعوته عليهم ثلاثة من بلخ صوفي أبدا مع انها كانت أكثر بلاد الله صوفية وأخرجوا الامام يوسف ابن الحسين الرازي وقام عليه زهاد الري وصوفيتها وأخرجوا أبا عثمان المغربي من مكة مع كثرة مجاهدته وتمام علمه وحاله وضربوه ضربا مبرحا وطافوا به على جمل فأقام ببغداد الى ان مات بها وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا مع تمام علمه وكثرة مجاهداته وأدخله أصحابه البيمارستان ليرجع الناس عنه مدة طويلة وأخرجوا الامام أبا بكر النابلسي مع فضله وكثرة علمه واستقامته في طريقه من المغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر فأمر بسلخه منكوسا فصار يقرأ القرآن وهم يسلخونه بتدبر وخشوع حتى قطع قلوب الناس وكادوا ان يفتتنوا به وكذلك سلخوا النسيمي بحلب وعملوا له حيلة حين كان يقطعهم بالحجج وذلك أنهم كتبوا سورة الاخلاص وأرشوا من يخيط النعال وقالوا اجعل هذه الورقة مخبوءة وقت خرزك في النعل في داخل أطباق النعل ثم أخذوا ذلك النعل وأهدوه للشيخ من طريق بعيدة فلبسه وهو لا يشعر ثم طلعوا الى نائب حلب وقالوا له بلغنا من طريق صحيحة أن النسيمي كتب قل هو الله أحد وجعلها في طباق نعله وان لم تصدقنا فأرسل وراءه وانظر ذلك ففعل فاستخرجوا الورقة فسلم الشيخ لله تعالى ولم يجب عن نفسه وعلم أنه لا بد أن يقتل على تلك الصورة وأخبرني بعض تلامذة تلامذته انه صار ينشد موشحات في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيت وكان ينظر الى الذي يسلخه ويتبسم ورموا الشيخ أبا مدين بالزندقة وأخرجوه من بجاية الى تلمسان فمات بها وكذلك أخرجوا الشيخ أبا الحسن الشاذلي من المغرب الى مصر وشهدوا عليه بالزندقة وسلمه الله من كيدهم ورموا الشيخ عز الدين بن عبد السلام بالكفر وعقدوا له مجلسا في كلمة قالها في عقيدته وحرشوا السلطان عليه ثم حصل له اللطف ذكره ابن أبي حجلة في رسالته ورموا الشيخ تاج الدين السبكي بالكفر وشهدوا عليه انه يقول باباحة الخمر واللواط وأنه يلبس في الليل الغيار والزنار وأتوا به مغلولا مقيدا من الشام الى مصر وخرج الشيخ جمال الدين الاسنوي فتلقاه من الطريق وحكم بحقن دمه وأنكروا على سيدي ابراهيم الجعبري وسيدي حسين الجاكي ومنعوهما أن يجلسا على كرسي الوعظ وغير ذلك مما ذكرناه في مقدمة كتاب الطبقات وانما ذكرنا لك يا أخي محن هذه الائمة من المتقدمين والمتأخرين تأنيسا لك لئلا تقبل على مطالعة كتب الصوفية لاسيما الشيخ محيي الدين لان هؤلاء الائمة تنزلهم عندنا كالملائكة الا ذلك فكما لا يقدح في كمالهم ما قيل فيهم كذلك لا يقدح ما قيل في كمال الشيخ محيي الدين والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الثالث) في بيان اقامة العذر لاهل الطريق في تكلمهم في العبارات المغلقة على غيرهم رضي الله عنهم * اعلم رحمك الله ان أصل دليل القوم في رمزهم الامور ما روي في بعض الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لابي بكر الصديق أتدري يوم يوم فقال أبو بكر نعم يا رسول الله لقد سألتني عن يوم المقادير * وروي أيضا انه قال له يوما يا أبا بكر أتدري ما أريد أن أقول فقال نعم هو ذاك هو ذاك حكاه الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في بعض كتبه وذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين من الفتوحات ما نصه اعلم ان أهل الله لم يضعوا الاشارات التي اصطلحوا عليها فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح في ذلك وانما وضعوها منعا للدخيل بينهم حتى لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه أن يسمع شيئا لم يصل اليه فينكره على أهل الله فيعاقب على حرمانه فلا يناله بعد ذلك أبدا قال ومن أعجب الاشياء في هذه الطريق بل لا يوجد الا فيها انه ما من طائفة تحمل علما من المنطقيين والنحاة وأهل الهندسة والحساب والمتكلمين والفلاسفة الا ولهم اصطلاح لا يعلمه الدخيل فيهم الا بتوقيف منهم لا بد من ذلك الا أهل هذه الطريق خاصة فان المريد الصادق اذا دخل طريقهم وما عنده خبر بما اصطلحوا عليه وجلس معهم وسمع منهم ما يتكلمون به من الاشارات فهم جميع ما تكلموا به حتى كأنه الواضع لذلك الاصطلاح ويشاركهم في الخوض في ذلك العلم ولا يستغرب هو ذلك

القدر * وقال في الباب الثامن عشر لا يحسن ثمرة التهجد ودوامه الفياضة على أصحابه كل ليلة الا من كانت فرائضه كاملة فان كانت فرائضه ناقصة كملت من نوافله فان استغرقت الفرائض النوافل لم يبق للمتهجد نافلة وليس هو بمتهجد فاعلم ذلك * وقال في الباب العشرين حظ أهل النار من النعيم عدم توقع العذاب وحظهم من العذاب في حال عدم توقعه فلا أمان لهم بطريق الاخبار من الله تعالى بقوله لا يفتر عنهم واطال في ذلك * وقال في الباب الثاني والعشرين في قوله وكل شئ أحصيناه في امام مبين اعلم ان قوله أحصيناه يدل على انه تعالى ما أودع فيه الا علوما متناهية مع كونها خارجة عن الحصر لنا قال وقد سألت بعض العلماء بالله تعالى هل يصح لاحد حصر أمهات هذه العلوم فقال نعم هي مائة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم لا يعلمها الا الله تعالى * وقال في الباب الرابع والعشرين أول من اصطلح على تسمية سؤال العبد ربه دعاء لا أمرا محمد بن علي الترمذي الحكيم رضي الله تعالى عنه وكان من الاوتاد وما سمعنا بهذا الاصطلاح عن أحد سواه وهو أدب عظيم وان

من نفسه بل بعد علم ذلك ضرورة بالا يقدر على دفعه فكأنه ما زال يعلمه ولا يدري كيف حصل له ذلك فهذا شأن المريد الصادق وأما الكاذب فلا يعرف ذلك الا بتوقيف ولا يسمح له قبل اخلاصه في الارادة وطلبه لها أحد من القوم ولم يزل علماء الظاهر في كل عصر يتوقفون في فهم كلام القوم وناهيك بالامام أحمد بن سريج حضر يوما مجلس الجنيد فقيل له ما فهمت من كلامه فقال لا أدري ما يقول ولكن أجد لكلامه صولة في القلب ظاهرة تدل على عمل في الباطن واخلاص في الضمير وليس كلامه كلام مبطل انتهى ثم ان القوم لا يتكلمون بالاشارة الا عند حضور من ليس منهم أو في تأليفهم لا غير ثم قال ولا يخفى ان أصل الانكار من الاعداء المبطلين انما نشأ من الحسد ولو ان أولئك المنكرين تركوا الحسد وسلكوا طريق أهل الله لم يظهر منهم انكار ولا حسد وازدادوا علما الى علمهم ولكن هكذا كان الامر فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وأطال في ذلك ثم قال وأشد الناس عداوة لاصحاب علوم الوهب الالهي في كل زمان أهل الجدال بلا أدب فهم لهم من أشد المنكرين ولما علم العارفون ذلك عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الافك والالحاد الى الاشارة فلكل آية أو حديث عندهم وجهان وجه يرونه في نفوسهم ووجه يرونه فيما خرج عنهم قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فيسمون ما يرونه في نفوسهم اشارة ليأنس المنكرون عليهم ولا يقولوا ان ذلك تفسير لتلك الآية أو الحديث وقاية لشرهم ورميهم لهم بالكفر جهلا من الراغبين معرفة مواقع خطاب الحق تعالى واقتدوا في ذلك بسنن من قبلهم وان الله تعالى كان قادرا أن ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم في كتابه كآيات المتشابهات والحروف أوائل السور ومع ذلك فما فعل بل أدرج في تلك الكلمات الالهية والحروف علوما اختصاصية لا يعلمها الا عباده الخلص ولو ان المنكرين كانوا ينصفون لاعتبروا في نفوسهم اذا رأوا في الآية بالعين الظاهرة التي يسلمونها فيما بينهم فيرون انهم يتفاضلون في ذلك ويعلو بعضهم على بعض في الكلام والفهم في معنى تلك الآية ويقر القاصر منهم بفضل غير القاصر عليه وكلهم في مجرى واحد ومع هذا التفاضل المشهود فيما بينهم ينكرون على أهل الله تعالى اذا جاؤا بشيء يغمض عن ادراكهم قال وكل ذلك لكونهم لا يعتقدون في أهل الله تعالى انهم يعلمون الشريعة وانما ينسبونهم الى الجهل والعامية لاسيما ان لم يقرؤا على أحد من علماء الظاهر وكثيرا ما يقولون من أين أتى هؤلاء العلم لاعتقادهم ان أحدا لا ينال علما الا على يد معلم وصدقوا في ذلك فان القوم لما عملوا بما علموا أعطاهم الله تعالى علما من لدنه بإعلام رباني أنزله في قلوبهم مطابقا لما جاءت به الشريعة لا يخرج عنها ذرة قال تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال علم الانسان ما لم يعلم وقال في عبده الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بواسطة معلم وأخطؤا في اعتقادهم ان الله تعالى لا يعلم من ليس بنبي ولا رسول قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء والحكمة هي العلم وجاء بمن وهي نكرة ولكن هؤلاء المنكرون لما تركوا الزهد في الدنيا وآثروها على الآخرة وعلى ما يقرب الى الله تعالى وتعودوا أخذ العلم من الكتب ومن أفواه الرجال حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى تعليمهم في سرائرهم اذ هو المعلم الحقيقي للوجود كله وعلمه هو العلم الصحيح الذي لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن في كماله فان الذين قالوا أولا ان علم الحق تعالى لا يتعلق بالجزئيات لم يريدوا نفي علمه تعالى بها وانما قصدوا بذلك ان الحق تعالى يعلم جميع الاشياء كليات وجزئيات علما واحدا فلا يحتاج في علمه بالجزئيات الى تفصيلها كما هو شأن علم خلقه تعالى الله عن ذلك فقصدوا التنزيه عمن توقف علمه على التفصيل فأخطؤا في التعبير فعلم أن من كان معلمه الله تعالى كان أحق بالاتباع ممن كان معلمه فكره ولكن أين الانصاف وأطال في ذلك ثم قال فصان الله نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات لكون المنكرين لا يردون الاشارات وأين تكذيب هؤلاء المنكرين لاهل الله في دعواهم العلم من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لو تكلمت لكم في تفسير سورة الفاتحة لحملت لكم منه سبعين وقرا فهل ذلك الا من العلم اللدني الذي آتاه الله تعالى له من طريق

كان هو في الحقيقة سرا لان الحدث له فليتأمل * وقال في الباب الخامس والعشرين كنت لا أقول بلباس الخرقة التي يقول بها الصوفية حتى لبستها من يد الخضر عليه السلام تجاه باب الكعبة (قلت) ذكر الحافظ بن حجر ان حديث لبس الخرقة متصل وان رواته ثقات كما أوضحت ذلك في مختصر الفتوحات والله أعلم * وقال في الباب السابع والعشرين انما أمر صلى الله عليه وسلم بلباس النعلين في الصلاة حين نزل قوله تعالى يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكان في ذلك تنبيه لهم على ان المصلي من شأنه أن يكون ماشيا في صلاته في مناجاته ربه في الآيات التي يقرؤها فان لكل آية منزلا ينزله القارئ والماشي لا يلبس النعلين قال وانما أمر موسى عليه السلام بخلع النعلين لان الله تعالى كلمه بلا واسطة بخلاف المصلي مناداته في حجاب عن دخول الحضرة التي دخل اليها موسى عليه السلام ولو صلح له دخولها لأمر كذلك بخلع النعلين فان حكم من دخل حضرة الملك وانتهى سيره خلع نعليه أدبا فبانت رتبة المصلي بالنعلين وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والثلاثين في قوله تعالى حكاية عن الخضر عليه السلام فأردنا أن يبدلهما

الالهام اذالفكر لا يصل الى ذلك * وقد كان الشيخ أبو يزيد البسطامي يقول لعلماء زمانه أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علومنا عن الحي الذي لا يموت * وكان الشيخ أبو مدين اذا سمع أحدا من أصحابه يقول في حكاية أخبرني بها فلان بن فلان يقول لا نطعمونا القديد يريد بذلك رفع همة أصحابه يعني لا تحدثوا الا بفتوح الجديد الذي فتح الله تعالى به على قلوبكم في كلام الله تعالى أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم فان الواهب للعلم الالهي حي لا يموت وليس له محل في كل عصر الا قلوب الرجال انتهى وسيأتي بسط ذلك أيضا في آخر المبحث السابع والاربعين * قال شيخ الاسلام سراج الدين المخزومي رضي الله عنه في رمز الاشياخ علومهم ثلاثة أمور محققة أحدها منع من يريد التسلق على طريق القوم بغير أدب ولا دخول من بابهم عن افشاء أسرار الربوبية من غير ذوق فيقع في افشائه أو يكفر أهل الله بفهمه السقيم الثاني أن في ذلك اشارة لطالب هذا الفن أن يكون متبحرا في العلوم مداوما على آداب طريق القوم حتى تنكشف له الحجب ويطلع على العلم والمعلوم مشاهدة وذوقا الثالث أن علم القوم من سالف الزمان لا يخوض فيه الا كل جواد في العلوم صنديد في علوم المتكلمين حتى كان الفخر الرازي يقول ما أذن لي في تدريس علم الكلام حتى حفظت منه اثنى عشر ألف ورقة هذا مع أن علم الكلام أهون من علم التوحيد الذي يخوض فيه القوم * وقد قال الامام الشافعي للربيع الجيزي اياك وعلم الكلام وعليك بالاشتغال بعلم الفقه والحديث فلأن يقال لك أخطأت خير من أن يقال لك كفرت انتهى وسئل الاستاذ على بن وفا رضي الله عنه من بعض العارفين على لسان بعض المعترضين لم دون هؤلاء العارفون معارفهم وأسرارهم التي تضر بالقاصرين من الفقهاء وغيرهم أما كان عندهم من الحكمة وحسن الظن والنظر والرحمة بالخلق ما يمنعهم عن تدوينها فان كان عندهم ذلك فمخالفتهم له نقص وان لم يكن عندهم حكمة ولا حسن ظن فكفاهم ذلك نقصا فأجاب بقوله يقال لهذا السائل أليس الذي اطلع شمس الظهيرة ونشر ناصع شعاعها مع اضراره بأبصار الخفافيش ونحوها من أصحاب الامزجة الضعيفة عليم حكيم فلا يسعه الا أن يقول نعم هو تعالى عليم حكيم فان قال صحيح ذلك ولكن عارض ذلك مصالح أخرى بوعلى هذه المفاسد فات وكذلك الجواب عن مسئلتك فكما أن الحق تعالى لم يترك اظهار أنوار شمس الظهيرة مراعاة لابصار من ضعف بصره فكذلك العارفون لا ينبغي لهم أن يراعوا أفهام هؤلاء المحجوبين عن طريقهم بل الزاهدين فيها بل المنكرين عليها وأطال في ذلك ثم قال وحسبك جوابا أن من دون المعارف والاسرار لم يدونها للعموم بل لو رأى من يطالع فيها ممن ليس هو بأهلها لنهاه عنها * وكان بعض العارفين يقول نحن قوم يحرم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا وكذلك لا يجوز لاحد أن ينقل كلامنا الا لمن يؤمن به فمن نقله الى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول اليه جهنم الانكار وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤس الاشهاد وقالوا من باح بالسر استحق القتل ومع ذلك فلم يسمع أهل الغفلة والحجاب بل تعدوا حدود القوم وأظهروا كلامهم لغير أهله فكانوا كمن نقل المصحف الى أرض العدو الذي لا يؤمن به مع ان الله تعالى نهاه عن ذلك فكانوا أعداء الله تعالى من قراءته بقلوب زائغة وألسنة معوجة فطائفة تستهزئ به وطائفة تتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فزادوا بتمكينهم منه في الضلال والطغيان والانكار على أهل الاسلام وأطال في ذلك * ثم قال وهل دون المجتهدون رضي الله تعالى عنهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما استنبطوه من الكتاب والسنة ليستعان به على هوى النفس وحب الرياسة وكسب الدنيا به والمزاحمة به على التقرب من الملوك والامراء الا والله ما كان ذلك قصدهم ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا فكما أن المجتهدين لم يمنعوا من تدوين العلم الذي يكتسب الناس به بعض الدنيا بل جعل الشارع لهم أجرنيتهم الصالحة وان لم يعمل بذلك الناس فكذلك العارفون لهم أجر نيتهم وقصدهم الصالح من نفع المريدين بما وضعوه من الحقائق الكاشفة لمشكلات علم التوحيد وأمراض القلوب ومن فوائد تدوينهم تلقيح قلوب

ربهما بنون الجمع انما قال أردنا لان تحت هذا اللفظ أمران أمر الى الخير وأمر الى غيره في نظر موسى عليه السلام وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو لله تعالى من حيث ضمير النون وما كان من نكر في ظاهر الامر في نظر موسى ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم أن نون الجمع لها هنا وجهان لما فيها من الجمع وجه الى الخيرية به أضاف الامر الى الله ووجه الى العيب به أضاف العيب الى نفسه قال ولو أن الخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى يعني الله ورسوله كان يعرف هذين الوجهين اللذين قررناهما كما كان الخضر يعرفهما لم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب أنت فجعل ومن يعص الله ورسوله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع نفسه مع ربه في ضمير واحد فقال في خطبة رويناها عنه ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق عن الهوى فافهم * وقال في قوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار انما لم يقل تعالى وبالنهار ليحقق لنا انه يريد انا في منام في حال يقظتنا المعتادة أي أنتم في منام ما دمتم في هذه الدار يقظة ومناما بالنسبة

الناظرين في رسائلهم من بعدهم فيظفروا من تلك المعاني بمعارفهم ويبعث نفحات الرحمة على قلوبهم
وعلى ألسنتهم فتشرق أرض قلوبهم بنور رشدهم وتحيا بآثار هدايتهم فنابت عنهم رسائلهم بعد موتهم
في نصح المريدين وكان تدوين معارفهم وأسرارهم من أحق الحقوق عليهم لكون غيرهم لا يقوم مقامهم
في تدوين دواء أمراض القلوب وآداب حضرات الحق تعالى في جميع الأمور المشروعة فإن لكل مقام
حضورا وأدبا يخصه * فإن قيل لو كان علم هؤلاء الصوفية مطلوبا لدون فيه الأئمة المجتهدون كتبا
ولا نرى لهم في ذلك كتابا واحدا * فالجواب إنما لم يضعوا في أمراض القلوب كتبا لأنها لم تكن ظاهرة
على أهل زمانهم ولو أنها كانت ظهرت في زمانهم لتأكد عليهم بيان طريق علاجها برسائل مستقلة كما فعل
من بعدهم من أئمة طريق أهل الله تعالى لأنهم أمنوا من الكبائر بخلاف الزمن الذي بعدهم ظهر فيه الرياء
والحسد والكبر والغل والحقد فلذلك دون الناس فيه الرسائل المستقلة وأيضا فإنما لم يدون المجتهدون في
طريق القوم كتبا لأنهم كانوا مشتغلين بما هو أهم من ذلك وهو جمع أدلة الشريعة وبيان ناسخها
ومنسوخها ومطلقها ومجملها وتمهيد قواعدها ليرجع الناس إلى ذلك إذا حصل لهم زيغ فلولا قواعد
الشريعة التي مهدها المجتهدون ما عرف أحد موازين الأعمال الظاهرة والباطنة فكان اشتغال الأئمة
المجتهدين بذلك أهم من اشتغالهم بتأليف بعض رسائل خاصة ببعض أقوام قلائل بالنسبة لبقية الأمة فافهم
فعلم أن لأئمة الشريعة المنة على سائر الناس من الصوفية وغيرهم فجزى الله الجميع خيرا فيما صنفوه فإنه كما
كان في الكلام في علم الظاهر بقاء روح الاجتهاد الظني الموجب للعمل وإشراقه في مظاهر المرشدين
فكذلك كان من باب أولى كلام العارفين فيه بقاء روح اليقين وإشراقها في مظاهر الهادين بالحق
* فإن قيل فلم لم يقتصر هؤلاء الصوفية على المشي على ظاهر الكتاب والسنة فقط أليس ذلك كان يكفيهم
كما كفى غيرهم * فالجواب هذا الاعتراض بعينه اعتراض على الأئمة المجتهدين ومقلديهم فإنهم لم يقفوا
على ظاهر النصوص ولا اقتصروا عليه بل استنبطوا من النصوص ما لا يحصى من الأحكام والوقائع كما هو
مشاهد فإن رددت يا أخي استنباط العارفين لزمك أن ترد استنباط المجتهدين ولا قائل بذلك فكما لا يجوز ذلك
الاعتراض على كلام الأئمة المجتهدين لكونهم لم يخرجوا عن شعاع نور الشريعة فكذلك لا يجوز ذلك
الاعتراض على العارفين المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في الآداب الظاهرة والباطنة فكما
أوجب المجتهدون وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا لم تصرح بها الشريعة في دولة الظاهر فكذلك
العارفون أوجبوا أمورا وحرموا وكرهوا واستحبوا أمورا في دولة الأعمال الباطنة فالاجتهاد واقع
في الدولتين ولا غنى بإحداهما عن الأخرى فحقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة يعني ناقصة
* فإن قيل فلم رمز القوم كلامهم في طريقهم بالاصطلاح الذي لا يعرفه غيرهم إلا بتوقيف منهم كما مر ولم
يظهروا معارفهم للناس إن كانت حقا كما يزعمون ويتكلمون بها على رؤوس الأشهاد كما يفعل علماء
الشريعة في دروسهم فإن في إخفاء العارفين معارفهم عن كل الناس رائحة ريبة وفتحا لباب رمي الناس
لهم بسوء العقيدة وخبث الطوية * فالجواب إنما رمزوا ذلك رفقا بالخلق ورحمة بهم وشفقة عليهم كما مر
في كلام الشيخ محيي الدين أوائل الفصل وقد كان الحسن البصري وكذلك الجنيد والشبلي وغيرهم
لا يقررون علم التوحيد إلا في قعور بيوتهم بعد غلق أبوابهم وجعل مفاتيحها تحت وركهم ويقولون
أتحبون أن ترمى الصحابة والتابعون الذين أخذنا عنهم هذا العلم بالزندقة بهتانا وظلما انتهى وما ذلك إلا
لدقة مداركهم حين صفت قلوبهم وخلصت من شوائب الكدورات الحاصلة بارتكاب الشهوات والآثام
ولا يجوز لأحد أن يعتقد في هذه السادة أنهم ما يخفون كلامهم إلا لكونهم فيه على ضلال حاشاهم من ذلك
فهذا سبب رمز من جاء بعدهم للعبارات التي دونت وكان من حقها أن لا تذكر إلا مشافهة ولا توضع في
الطروس لكن لما كان العلم يموت بموت أهله إن لم يدون دونوا علمهم ورمزوه مصلحة للناس وغيرة على أسرار

لما أمامكم فهذا سبب عدم
ذكر الباء في قوله والنهار
واكتفى بالليل (وقال) في
قوله تعالى إن في ذلك لعبرة
لأولي الأبصار هو من العبور
لا من الاعتبار فمعنى الآية
لا تقفوا على ظاهر الأمور بل
اعبروا من ظاهر تلك الصورة
إلى باطنها المراد منها كأن
الذي يراه الإنسان في حال
نومه ما هو مراد لنفسه وإنما
هو مراد لغيره فيعبر من تلك
الصورة المرئية في حال النوم
إلى معناها المراد بها في عالم
اليقظة إذا استيقظ من نومه
وكذلك حال الإنسان في الدنيا
ما هو مطلوب للدنيا فكل
ما يراه من حال وقول وعمل
إنما هو مطلوب للآخرة
فهنالك يعبر ويظهر له في الدنيا
حالة اليقظة وأطال في ذلك
* وقال في الباب الثالث
والثلاثين اعلم أن النية في
جميع أفعال المكلفين كالمطر
لما تنبته الأرض فإن النية
من حيث ذاتها واحدة
وتختلف بالمتعلق وهو المنوي
وتكون النتيجة بحسب
المتعلق به لا بحسبها فإن حقيقة
النية إنما هو القصد للفعل
أو تركه وكون الفعل حسنا
أو قبيحا أو خيرا أو شرا ما هو
من أثر النية فهو أمر عارض
عرض ميزه الشارع وعينه
للمكلف فليس للنية أثر البتة
من هذا الوجه خاصة كالماء
فإن منزلته أنه ينزل ويسيح
في الأرض وكون الأرض
الميتة تحيا به أو ينهدم بيت

الله ان تذاع بين المحجوبين وأنشدوا فى ذلك

ألا ان الرموز دليل صدق * على المعنى المغيب فى الفؤاد
وكل العارفين لها رموز * وألغاز تدق على الاعادى
ولولا اللغز كان القول كفرا * وأدى العالمين الى الفساد

أى كفرهم عند من لا يعرف اصطلاحهم وكان الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه يقول انما استعمل القوم من الرموز فانهم انما أرادوا بذلك غيرة على طريق أهل الله عز وجل ان تظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب فيضلوا فى أنفسهم ويضلوا غيرهم ولذلك منعوا المريد ان يطالع فى رسائل القوم لنفسه من غير قراءة على شيخ انتهى وكان سيدى على بن وفا رضى الله عنه اذا سئل لم رمز القوم كلامهم يقول انهم واهذا المثال تعلموا سبب رمزهم وذلك ان الدنيا غابة ونفوس المحجوبين عن حقائق الحق المبين من أهلها كالسباع والوحوش الكواسر والعارف بينهم كانسان دخل ليلا الى تلك الغابة وهو حسن القراءة والصوت فلما أحس بما فيها من السباع الكواسر اختفى فى بطن شجرة ولم يجهر بالقرآن يتغنى به هنالك حذرا منهم أليس يدل اختفاؤه عنهم وعدم رفع صوته بالقرآن على انه عليم حكيم أوهو بضد ذلك لا والله بل هو عليم حكيم اذ لو تراءى لهم أو أسمعهم صوته وقراءته لهم تبادروا اليه ولم يفهموا عنه وسارعوا الى تمزيقه حتى يعدموا أكل لحمه وكان هو الملقى بنفسه الى التهلكة وذلك حرام فافهموا هذا المثال وقولوا لمن يعترض على العارفين فى رمزهم لكلامهم قد أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فواتح سور كثيرة من القرآن مرموزة وقال تعالى ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك ولا تخافت بها فأمره ان لا يجهر بالقرآن بحيث يسمعه الجهلة المنكرون فيسبون بجهلهم من لا يجوز سبه ولا يخفيه عمن يؤمن به فكما لم يدل اخفاء النبى صلى الله عليه وسلم قراءته عن الجاهلين المنكرين على بطلان قراءته ولا قدح فى صحتها كذلك لا يدل اخفاء العارفين كلامهم عن الجاهلين بغير علم على بطلانه ومخالفته للشريعة فافهم لكن ان هيأ الله تعالى للعارف أسباب ظهور رشأنه وقدر على قهر المنكرين عليه بالحال أو بادحاض أقوالهم بالحجج الواضحة حتى صاروا يقرون له بالفضل طوعا وكرها فله حينئذ اظهار معارفه على رؤس الاشهاد كما أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءته بالقرآن على رؤس الكفار حين تهيأت أسباب الظهور وتمكن فى أمره وصار له أنصار يحفظونه من الاذى فعلم ان للعارفين فى ذلك الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختفى الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه أيام الفتنة ثلاثة أيام ثم خرج فقيل له انهم الى الآن فى طلبك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختف فى الغار أكثر من ثلاثة أيام فقصد بذلك أنه ليس للانسان مقابلة الوحوش والسباع الكواسر والظهور لهم الا ان علم قدرته على دفع أذيتهم له بتهيؤ أسباب القهر لهم بالقوة أو الحكمة والانصار * فان قيل فلم لم يترك هذا العارف اظهار معارفه وأسراره بالكلية ويدخل فيما فيه الجمهور حتى يتمكن ويقوى فيكون ذلك أسلم له * فالجواب أن العارفين ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يخالفون هديه فيما سلكوا كما مر عن الامام أحمد بن حنبل آنفا فكما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معه من الحق المبين وكتمه عن الجهلة المنكرين حتى أتاه الامر من الله تعالى باظهار ما معه من الحق فكذلك ورثته قال سيدى على بن وفا يقال لهذا المعترض أيضا على القوم فى رمزهم معارفهم أرأيت لو أنكر المجانين على رجل عاقل مخالفته لامرهم وجنونهم أينبغى له أن يوافقهم على جنونهم فيتجنن مثلهم ويترك عقله حتى يألفوه وهو يمكنه الفرار بعقله أو أرأيت الانسان الكائن بين الذئاب الضوارى اذا لم يرضوا ان يقيم بينهم الا أن يمشى على يديه ورجليه مكبا على وجهه أو حتى يعوى كعيهم أينبغى له أن يفعل ذلك ليقيم بينهم ويألفوه مع أنه يمكنه الفرار منهم والاقامة على طريقة لانسانية لا والله لا ينبغى لقادر على الخير أن ينسلخ منه ليرضى أهل الشر والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين فنعوذ بالله ان

العجوز الفقيرة بنزوله ليس ذلك له فيخرج الزهرة الطيبة الريح والمنتنة والثمرة الطيبة والخبيثة من حيث مزاج البقعة أوطيبها أوخبث البزرة أوطيبها قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فان نوى المكلف خيرا أثمر خيرا وان نوى شرا أثمر شرا انتهى وسيأتى فى الباب الثامن والستين ماله تعلق بالنية والله أعلم * وقال فى العارف يأكل فى هذه الدار الحلوى والعسل والكامل المحقق يأكل فيها الحنظل لا يلتذ فيها بنعمة لاشتغاله بما كلفه الله تعالى به من الشكر عليها وغير ذلك من تحمل هموم الناس * وقال فى قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة ونحو قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقوله وعلى الله قصد السبيل الحق تعالى يتنزه عن أن يدخل تحت حد الواجب الشرعى وانما المراد ان العلم الالهى اذا تعلق ازلا بما فيه سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه بمعنى انه لابد من وجود تلك الطريق الموصلة الى ذلك الامر الذى تعلق به العلم مع كونه تعالى مختارا فى ذلك * وقال فى سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحى عليهم أن الوارد الالهى الذى هو صفة القيومية اذا جاءهم اشتغل الروح الانسانى عن

نردعلى اعقابنا بعد اذ هدانا الله * وكان بعض العارفين رحمه الله يقول ألسنة جميع المحبين أعجمية على غيرهم وهي لاصحابهم عربية هذا كله في حق المتمكنين من الاولياء أما من غلب عليه حاله فمن أدب أهل الطريق التسليم له لانه يتكلم بلسان العشق لا بلسان العلم الصحيح * وقد بلغنا ان عصفورا راود عصفورة في قبة سليمان بن داود فأبت عليه فقال لها قد بلغ بي من حبك ما لو قلت لي اقلب هذه القبة على سليمان وجنده لقلبتها فحملت الريح كلامه الى سليمان فأرسل خلفه وقال ما حملك أن تقول مالم تقدر عليه فقال مهلا يا نبي الله اني عاشق والعشاق انما يتكلمون بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والتحقيق فأعجب ذلك سليمان انتهى وفي ذلك عذر عظيم للعشاق في طريق أهل الله عز وجل كسيدي عمر بن الفارض واضرابه رضي الله عنهم أجمعين وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام باب عذر عظيم لعلماء الشريعة وعلماء الحقيقة وان كان الذي وقع من موسى انما هو عن نسيان لشرط الخضر عليه فان في هذه القصة اقامة عذر لمن أنكر ولمن أنكر عليه لكن من شأن أهل الطريق أن لا يقيموا الحجج على من أنكر عليهم لعلمهم بحجابه عن طريقهم وانما يقولون له كما قال الخضر هذا فراق بيني وبينك ولو أن أهل الله أقاموا الحجة على المنكرين عليهم لقدروا على ذلك لما هم عليه من النور والمبين فلا تظن يا أخي أنهم عاجزون عن اقامة الحجة وتنسبهم الى العامية * وايضاح قصة موسى مع الخضر كما قاله سيدي علي بن وفا في كتابه الوصايا ان في القصة تعليم موسى عليه السلام أن يسلم للاولياء باطنا فيما يذكرونه من العلوم اللدنية ثم بعد ذلك التسليم ان اقتضى الشرع منك انكار شئ من كلامهم أو من أحوالهم فالك انكاره ظاهرا لكن على وجه الاستعلام والاستفهام لا غير خوفا ان يتشبه بهم في ذلك من ليس هو في مقامهم والا فلموسى عليه السلام كف عن الخضر بتلك المعاني التي أبداها الخضر فان مثلها لا يسقط به المطالبة في ظاهر الشرع فمن خرق سفينة قوم بغير اذنهم وقال خرقتها كي لا يغصبها ظالم لم تسقط عنه المطالبة بذلك ظاهرا ومن قتل صبيا وقال خشيت ان يرهق أبويه طغيانا وكفرا لم تسقط عنه المطالبة به في ظاهر الشرع أيضا قال وقول الولي وما فعلته عن أمري ليس مسوغا لمثل هذه الاعمال في الحكم الظاهر ولو تحققت ولايته لكونه غير رسول فعلم أن الانكار ما وقع من موسى أولا الا حفظا لنظام الشرع الظاهر خوفا ان يتبع الخضر على ذلك لا غير ثم انه كف عن الانكار آخرا حفظا لرعاية أمر الله عز وجل في خواص أوليائه وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وعلم موسى عند ذلك ان لله تعالى عبادا أقامهم لبيان العلوم اللدنية وانه ليس لاحدهما أن يعترض على الآخر ولا أن ينازعه فيما أقيم فيه وان كان المعترض أعلى درجة فافهم ولا يخفى ان جملة العلوم ثلاثة علم العقل وعلم الاحوال وعلم الاسرار * فعلم العقل هو كل علم ضروري بديهي أو حاصل عقب نظر في دليل بشرطه العثور على وجه ذلك الدليل وعلامة هذا العلم أنك كلما بسطت عبارته حسن وفهم معناه وعذب عند السامع الفهيم * وأما علم الاحوال فلا سبيل اليه الا بالذوق ولا يقدر عاقل على وجدانه ومعرفته البتة كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع ونحو ذلك وهذا العلم متوسط بين علم الاسرار وعلم العقل وأكثر من يؤمن به أهل التجارب وهو الى علم الاسرار أقرب منه الى علم العقل النظري فلا يلتذ به اذا جاء من غير معصوم الا أصحاب الاذواق السليمة وعلامة العلم المكتسب أن يدخل في ميزان العقول وعلامة العلم الوهبي ان لا يقبله ميزان العقول من حيث افكارها بل تمجه غالبا * وأما علم الاسرار فهو العلم الذي فوق طور العقل ولذلك يتسارع الى صاحبه الانكار لانه حاصل من طريق الالهام الذي يختص به النبي والولي وعلامته أنه اذا أخذته العبارة سمج وبعد عن الافهام دركه وربما رمت به العقول الضعيفة أو المتعصبة التي لم توف النظر والبحث حقه ومن هنا كان من يريد تفهيم العلم لغيره لا يقدر ان يوصل ذلك العلم الى الافهام الضعيفة الا بضرب الامثلة والخطابات الشعرية وأكثر علوم الكمل من هذا القبيل * وكان الشيخ محيي الدين بن العربي يقول من شأن العارفين أنهم ان كانوا في سلطان الحال أجابوا بالنصوص

تدبيره فلم يبق لجسمه من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع الى أصله وهو واصق بالارض وأطال في ذلك * وقال فيه انما كان الحيوان الذي يمشي على بطنه أضعف من غيره لقربه من أصله الذي عنه تكون وكل حيوان بعد عن أصله نقص من معرفته بأصله بقدر ما ارتفع عنه ألا ترى المريض لما رد الى عجزه وضعف كيف نراه ضعيفا مسكينا لان أصله حكم عليه لما قرب منه ثم اذا شفي واستوى قائما وبعد عن أصله تفرعن وتجبر وادعى القوة فالرجل من كان مع الله في حال صحته كحاله في مرضه ومسكنته وعجزه والله أعلم * وقال في الباب الرابع والثلاثين اعلم ان لله عبادا خرق لهم العادة في ادراكهم العلوم من غير طريق الحواس من سمع وبصر وغيرهما وذلك كالضرب والحركة أو السكون كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت علم الاولين والآخرين فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية أو المعنوية وهذا لا يبعد أن يقع مثله للاولياء بطريق الارث * وقال انما أنزل القرآن كله في ليلة القدر اشارة الى أن به تعرف مقادير الاشياء وأوزانها قال وكان نزوله في الثلث الآخر منها * وقال في الباب السادس

وان كانوا فى المقام أجابوك بظواهر الادلة فهم بحسب أوقاتهم فقد ردبان لك ان علوم الاسرار لا تنال بالفكر وانما تنال بالمشاهدة أو الالهام الصحيح وماشاكل هذه الطرق ومن هنا تعلم الفائدة فى قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن من أمتى محدثون فهو عمر ذكره الشيخ محيى الدين فى رسالته التى كتبها الى الشيخ فخر الدين الرازى وهى نحو ثلاثة كراريس ثم لو قدر ان الانكار لم يقع فى الوجود على أهل الله تعالى وكان الناس كلهم أصحاب عقول سليمة لم يفد قول أبى هريرة حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين فاما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم بمعنى مجرى الطعام وكذلك لم يفد قول ابن عباس لو أنى ذكرت لكم ما أعلم من تفسير قوله تعالى يتنزل الامر بينهن لرجمتمونى أو لقلتم انى كافر * ونقل الامام الغزالى فى الاحياء وغيره عن الامام زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنه أنه كان يقول

يارب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال المسلمين دمى * يرون أقبح ما يأتونه حسنا

قال الغزالى والمراد بهذا العلم الذى يستحلون به دمه هو العلم اللدنى الذى هو علم الاسرار لا من يتولى من الخلفاء ومن يعزل كما قاله بعضهم لان ذلك لا يستحل علماء الشرع بعد تقدم صاحبه ولا يقولون له أنت ممن يعبد الوثن انتهى فتأمل فى هذا الفصل فانه نافع لك والله يتولى هداك

(الفصل الرابع) فى بيان جملة من القواعد والضوابط التى يحتاج اليها من يريد التبحر فى علم الكلام

*اعلم رحمك الله ان علماء الاسلام ما صنفوا كتب العقائد ليثبتوا فى أنفسهم العلم بالله تعالى وانما وضعوا ذلك ردعا للخصوم الذين جحدوا الاله أو الصفات أو الرسالة أو رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالخصوص أو الاعادة فى هذه الاجسام بعد الموت ونحو ذلك مما لا يصدر الا من كافر فطالب علماء الاسلام اقامة الادلة على هؤلاء ليرجعوا الى اعتقاد وجوب الايمان بذلك لا غير وانما لم يبادروا الى قتلهم بالسيف رحمة بهم ورجاء رجوعهم الى طريق الحق فكان البرهان عندهم كالمعجزة التى يتسابقون بها الى دين الاسلام ومعلوم أن الراجع بالبرهان أصح ايمانا من الراجع بالسيف اذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق وصاحب البرهان ليس كذلك فلذلك وضعوا علم الجوهر والعرض وبسطوا الكلام فى ذلك ويكفى فى المصر الواحد واحد من هؤلاء وأطال الشيخ محيى الدين فى صدر الفتوحات من الكلام فى ذلك * ثم قال ولا يخفى ان الشخص اذا كان مؤمنا بالقرآن قاطعا بأنه كلام الله تعالى فالواجب عليه أن يأخذ عقيدته منه من غير تأويل ولا عدول الى أدلة العقول مجردة عن الشرع فان القرآن دليل قطعى سمعى عقلى فقد أثبت سبحانه وتعالى أنه منزه عن أن يشبه شيأ من المخلوقات أو يشبهه شئ منها بقوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وبقوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون ونحوهما من الآيات وأثبت رؤيته تعالى للمؤمنين فى الآخرة بقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وبمفهوم قوله تعالى فى الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فدل على ان المؤمنين يرونه ولا يحجبون عنه وأثبت نفى الاحاطة بقوله تعالى لا تدركه الابصار وبقوله تعالى انه بكل شئ محيط وأثبت كونه تعالى قادرا بقوله تعالى وهو على كل شئ قدير وأثبت كونه تعالى عالما بقوله تعالى أحاط بكل شئ علما وأثبت كونه مريد التغيير والشر بقوله تعالى فعال لما يريد وبقوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وأثبت كونه تعالى سميعا لخلقه بقوله تعالى قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وأثبت كونه تعالى بصيرا بأعمال عباده بقوله تعالى والله بما تعملون بصير وبقوله ألم يعلم بان الله يرى وأثبت كونه تعالى متكلما بقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وأثبت كونه حيا بقوله تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم وأثبت رسالة الرسل بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى وأثبت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بقوله محمد رسول الله وأثبت أنه صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثا بقوله تعالى وخاتم النبيين وأثبت ان كل ما سواه خلقه بقوله تعالى الله خالق

كل

والثلاثين فى قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اعلم ان المخاطب بهذا علماء الامة لقوله ورثة الانبياء وما قال ورثة نبى خاص فكل من عمل الآن بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فقد عمل بجميع شرائع الانبياء فله مثل ثواب من عمل بشرائع الكل لكن فيما قررته شريعتنا من شرائعهم لا فيما نسخته منها والله أعلم * وقال فى الباب الاربعين انما لم تقف السحرة على قولهم آمنا برب العالمين دون قولهم رب موسى وهرون لانهم لو وقفوا على العالمين لقال فرعون أنا رب العالمين اياى عنوا فزادوا رب موسى وهرون أى الذى يدعو اليه موسى وهرون فارتفع الاشكال قال وكان فى خوف موسى من عصاه حين ظهرت فى صورة حية اعلام للسحرة ان ذلك منه عليه السلام ليس بسحر لان أحدا لا يخاف من فعله هو لعلمه بانه لا حقيقة له من خارج قال وكان صورة تلقف العصى من موسى انها تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم حتى بدت للناس حبالا وعصيا كما هى فى نفس الامر كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه فيظهر بطلانها ولو كان تلقفها انعدام الحبال والعصى كما توهمه بعضهم لدخل على السحرة الشبهة فى عصا موسى والتبس عليهم الامر فكانوا لم يؤمنوا والله

كل شيء وأثبت الجن بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأثبت ان الجن يدخلون الجنة بقوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وأثبت حشر الاجساد بقوله تعالى اذا بعثر ما في القبور والى أمثال ذلك مما هو مذكور من الادلة الصحيحة في كتب العقائد كوجوب الايمان بالقضاء والقدر والميزان والحوض والصراط والحساب وتطاير الصحف وخلق الجنة والنار قال الله تبارك وتعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وأثبت المعجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى في كتابه العزيز قل فأتوا بسورة مثله فان القرآن كله معجزته صلى الله عليه وسلم * قال الشيخ محيي الدين فعلم أنه لا ينبغي لمؤمن أن ينسى حدوده التي كلفه بها في هذه الدار ويستغرق غالب عمره في الاشتغال برد خصوم لم يوجد لهم عين في بلاده وبدفع شبه يمكن أن لا تكون ثم بتقدير وجودها فسيف الشريعة أقطع وأردع وفي الحديث الصحيح أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحتى يؤمنوا بي وبما جئت به ولم يدفعنا صلى الله عليه وسلم الى مخاصمتهم اذا حضروا انما هو الجهاد بالسيف ان عاندوا في الحق قال وهذا هو جل اشتغال الناس اليوم فقطعوا أعمارهم في الاشتغال برد خصوم متوهمة أو خصوم موجودة لكن بلازم المذهب وذلك ليس بمذهب على الراجح ويتخيل لصاحب الكلام في مثل ذلك أنه يتكلم مع غيره والحال انه انما يتكلم مع نفسه فعلم ان السلف رضي الله تعالى عنهم ما وضعوا كتب الكلام الا ردعا للخصوم الذين كانوا في عصرهم كما مر فالله تعالى ينفعهم بقصدهم قال فالعاقل من اشتغل اليوم بالعلوم الشرعية فان فيها غنية عن علم الكلام لقيام الدين بها ولو ان الانسان مات وهو لم يعرف الكلام على الجوهر والعرض لم يسأله الله تعالى عن ذلك يوم القيامة ثم ان احتاج انسان الى رد خصم حدث في بلاده ينكر الشرائع مثلا وجب علينا تجريد النظر في رد مذهبه لكن بالامور العقلية دون الاستدلال عليه بالشرع كالبرهمي مثلا فانه لا يقبل دليل الشرع على ابطال ما انتحله من المذهب الغريب الذي يقدح في الشريعة فان الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه فلا يثبته فلذلك قلنا ليس له دواء الا رده بالنظر العقلي فنداويه بنحو ذلك وانما قلنا انظر بعقلك في هذه المسئلة وحقق النظر انتهى وقد بان لك مما ذكرناه ان من أراد حفظ عقيدته من الشبه والضلالات فليأخذها من القرآن العظيم كما مر فانه متواتر قطعي معصوم بخلاف من يأخذ عقيدته من طريق الفكر والنظر من غير أن يعضده شرع أو كشف وانظر يا أخي الى نبينا صلى الله عليه وسلم لما قال له اليهود انسب لنا ربك كيف تلا عليهم سورة قل هو الله أحد ولم يقم لهم من أدلة النظر دليلا واحدا فقوله تعالى الله أحد أثبت الوجود للاحد ونفى العدد وأثبت الوحدانية لله تعالى وحده لا شريك له الله الصمد نفى الجسمية لم يلد ولم يولد نفى الوالد والولد ولم يكن له كفوا أحد نفى الصاحبة والشريك أفيطالب صاحب الدليل العقلي البرهان على صحة هذه المعاني بالعقل بعد ثبوتها بالدليل القطعي ان ذلك من الجهل العظيم ويا ليت شعري من يطالب معرفة الله تعالى من حيث الدليل ويكفر من لا ينظر فيه كيف كانت حالته هو قبل النظر وفي حال النظر هل هو مؤمن أم لا وهل كان ثبت عنده ان الله تعالى موجود وان محمدا عبده ورسوله أم لا وهل كان يصلي ويصوم أم لا فان كان معتقدا لهذا كله فهذه هي حالة العوام فليتركهم على ما هم عليه ولا يكفر أحدا منهم وان كان لا يعتقد هذه الامور الا بعد النظر في علم الكلام والاشتغال به فنعوذ بالله تعالى من هذا المذهب حيث أداه سوء النظر الى الخروج من الايمان وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول ليس من شأن أهل الله تعالى أن يتصدوا للرد على أحد من أهل الفرق الاسلامية الا ان خالفوا النصوص أو خرقوا الاجماع فمن تصدى للرد على أحد منهم فلا يأمن أنه ينكر عليهم أمرا هو حق في نفس الامر فان أهل الاسلام ما داموا في دائرة الاسلام لا يعتقدون الا حقا أو ما فيه شبهة حق بخلاف من خرج عن الاسلام انتهى (وقال) في الباب الثلاثين من الفتوحات من شأن أهل الله تعالى انهم لا يجرحون عقائد أحد من المسلمين وانما شأنهم البحث عن منازع الاعتقادات ليعرفوا من أين انتحلها أهلها وما الذي تجلى لها حتى اعتقدت ما اعتقدت

تعالى يقول تلقف ما صنعوا وهم ما صنعوا الحبال والعصي بسحرهم وانما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات وهي التي تلقفته عصى موسى عليه السلام ولو كان الامر على ما توهمه بعضهم لما قال تعالى تلقف عصيهم وحبالهم قال فكانت الآية عند السحرة خوف موسى وأخذه صور الحيات من الحبال والعصي وحاصل ما توهمه بعضهم ان الذي جاء به موسى حينئذ من قبيل ما جاءت به السحرة الا انه أقوى منهم سحرا وأطال في ذلك ثم قال والسحر مأخوذ من السحر وهو ما بين الفجر الاول والفجر الثاني وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس للابصار فكذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون له عدم فان العين أدركت أمرا لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فانه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي انتهى وأشار الى ذلك أيضا في الباب السادس عشر من الاصل (ثالث) وهو كلام نفيس ما سمعنا بمثله قط * وقال في الباب الحادي والاربعين يقول الله عز وجل في بعض الهواتف الربانية يا عبدي الليل لي لا للقرآن يتلى ان لك في النهار سبحا طويلا فاجعل

وهل يؤثر ذلك فى سعادتهم أم لا هذا احتاجهم من البحث فى علم الكلام فاعلم ان عقائد العوام باجماع كل متشرع صحيحة سليمة من الشبه التى تطرق المتكلمين وهم على قواعد دين الاسلام وان لم يطالعوا كتب الكلام لان الله سبحانه وتعالى قد أبقاهم على صحة العقيدة بالفطرة الاسلامية التى فطر الله الموحدين عليها اما بتلقين الوالد المتشرع واما بالالهام الصحيح وهم من معرفة الحق تعالى وتنزيهه على حكم المعرفة والتنزيه لو ورد فى ظاهر الكتاب والسنة وأقوال الائمة وهم على صواب فى عقائدهم مالم يتطرق أحدهم الى التأويل من التأويل قد لا يكون مرادا للشارع وان تطرق أحدهم الى التأويل للآيات والاخبار فقد خرج عن حكم العامة فى ذلك والتحق بأهل النظر والتأويل وهو على حسب تأويله وعلمه يلقى الله سبحانه وتعالى فاما مصيب واما مخطئ بالنظر الى ما يناقض ظواهر أدلة الشريعة المطهرة فتأمل فى ذلك فانه نفيس * وكان شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن الهمام رحمه الله يقول تصوير التقليد فى مسائل الايمان عسر جدا فقل أن ترى واحدا معتقدا فى الايمان بالله تعالى من غير دليل حتى آحاد العوام فان كلامهم فى الاسواق محشو بالاستدلال بالحوادث على وجود الحق تعالى وصفاته وصورة التقليد هو ان يسمع الناس يقولون ان للخلق ربا خلقهم وخلق كل شئ يستحق العبادة عليهم وحده لا شريك له فيجزم السامع بذلك لجزمه بصحة ادراك هؤلاء تحسينا لظنه بهم وتكبيرا لشأنهم عن الخطأ فاذا حصل له عند ذلك جزم لا يجوز معه كون الواقع النقيض فقد قام بالواجب من الايمان ومقصود الاستدلال هو حصول ذلك الجزم فاذن قد حصل ما هو المقصود منه من قيامه بالواجب * وقال شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن أبى شريف ومقتضى هذا التعليل أن لا يكون عاصيا بعدم الاستدلال لان وجوبه انما كان لتحصيل ذلك فاذا حصل سقط هو غيران التقليد عرضة لوقوع التردد بعروض الشبهة بخلاف الاستدلال فان فيه حفظه عن ذلك انتهى ونقل الشيخ أبو طاهر القزوينى فى كتابه سراج العقول عن أحمد بن زاهر السرخسى أجل أصحاب الشيخ أبى الحسن الاشعرى رحمه الله قال لما حضرت الشيخ أبا الحسن الاشعرى الوفاة فى دارى ببغداد قال لى اجمع أصحابى فجمعتهم فقال لنا اشهدوا على انى لا أقول بتكفير أحد من عوام أهل القبلة لانى رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام يشملهم ويعمهم انتهى قال الشيخ أبو طاهر فانظر كيف سماهم مسلمين وكان الامام أبو القاسم القشيرى رحمه الله يقول من نقل عن الشيخ أبى الحسن الاشعرى أنه كان يقول لا يصح ايمان المقلد فقد كذب لان مثل هذا الامام العظيم يبعد منه أن يجرح غالب عقائد المسلمين بما يكفرون به ولا يصح لهم معه ايمان انتهى * وقال الشيخ تاج الدين بن السبكى التحقيق الدافع للتشنيع على الاشعرى فى هذه المسئلة ان المقلد ان كان آخذا القول الغير بغير حجة مع احتمال شك أو وهم فلا يكفى ايمان هذا المقلد لعدم الجزم به اذ لا ايمان مع أدنى تردد وان كان المقلد آخذا القول الغير بغير حجة لكن جزما يكفى ايمان المقلد عند الاشعرى وغيره قال الجلال المحلى وهذا هو المعتمد انتهى وقال الشيخ سعد الدين التفتازانى وغيره التحقيق فى مسئلة ذم الخوض فى علم الكلام أن النظر فى ذلك على طريق المتكلمين من تحرير الادلة وتدقيقها ودفع الشكوك والشبه عنها فرض كفاية فى حق المتأهلين له ويكفى قيام بعضهم به وأما غير المتأهلين ممن يخشى عليه من الخوض فيه الوقوع فى الشبه المضلة فليس له الخوض فيه قال الجلال المحلى وهذا محمل نهى الامام الشافعى وغيره من السلف عن الاشتغال بعلم الكلام انتهى وكان الشيخ محيى الدين بن العربى يقول محمل النهى عن الخوض فى علم الكلام انما هو فى حق من يتكلم فيه بالنظر والفكر اذ الفكر كثير الخطأ فى الالهيات أما من يتكلم فى التوحيد لوازمه من طريق الكشف فلا يدخل فى نهى السلف لان صاحب الكشف من شأنه أن يتكلم على الامور من حيث ما هى عليه فى نفسها فلا يخطئ انتهى (قلت) ومن هنا خصصت تشييد هذه العقائد بكلام أهل الكشف دون النظر الفكرى لا سيما ما كان من كلام الشيخ محيى الدين رضى الله عنه فقد قال فى الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات المكية جميع ما أتكلم به فى مجالسى

الليل كاهلى وما طلبتك اذا تلوت القرآن بالليل لتقف مع معانيه فان معانيه تفرقك عن المشاهدة فآية تذهب بك الى جنتى وما أعددت فيها لاوليائى فأين أنا اذا كنت فى جنتك مع الحور متكئا على فرش بطائنها من استبرق وآية تذهب بك الى جهنم فتنظر ما فيها من انواع العذاب فأين أنا اذا كنت مشغولا بما فيها وآية تذهب بك الى قصة آدم أو نوح أو هود أو صالح أو موسى أو عيسى عليهما الصلاة والسلام وهكذا وما أمرتك بالتدبر الا لتجتمع بقلبك على وأما استنباط الاحكام فلها وقت آخر وثم مقام رفيع وأرفع وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثالث والاربعين فى حديث استفت قلبك وان افتاك المفتون فى هذا الحديث ستر لمقام المتورعين فانهم اذا تحدثوا عنه عرفوا به كما اشتهرت اخت بشر الحافى لما سألت الامام أحمد عن الغزل على ضوء مشاعل الولاة اذا مرت فى الليل وقال لها الامام أحمد من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلى فيها ولو علمت معنى حديث استفت قلبك ما سألت عن ذلك حين رابها فكانت تدع ذلك الغزل من غير سؤال وتستر مقامها ولا يثنى عليها بذلك فانه صلى الله عليه وسلم انما أعطانا ذلك الميزان فى قلوبنا ليكون مقامنا مستورا عن الناس خالصا

وتآليفى

وانما ألقى الينا ما ألقاه من حضرة القرآن العظيم فانى أعطيت مفاتيح العلم فيه فلا أستمد قط فى علم من العلوم الا منه كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى فى مناجاته بكلامه أو بما تضمنه كلامه * وقال فى الكلام على الاذان من الفتوحات اعلم انى لم أقرر بحمد الله تعالى فى كتابى هذا ولا غيره قط أمرا غير مشروع وما خرجت عن الكتاب والسنة فى شئ من تصانيفى * وقال فى الباب السادس والستين وثلثمائة جميع ما أكتبه فى تصانيفى ليس هو عن فكر ولا روية وانما هو عن نفث فى روعى من ملك الالهام وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة ليس عندى بحمد الله تقليد لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلومنا كلها محفوظة من الخطا * وقال فى الباب العاشر من الفتوحات نحن بحمد الله لا نعتمد فى جميع ما نقوله الا على ما يلقيه الله تعالى فى قلوبنا لا على ما تحتمله الالفاظ * وقال فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة جميع ما كتبته وأكتبه انما هو عن املاء الهى والقاء ربانى أو نفث روحانى فى روعى كيانى كل ذلك لى بحكم الارث لا بحكم الاستقلال فان النفث فى الروع منحط عن رتبة وحى الكلام ووحى الاشارة والعبارة ففرق يا أخى بين وحى الكلام ووحى الالهام تكن من العلماء الاعلام * وقال فى الباب السابع والاربعين من الفتوحات اعلم ان علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وانما هى من الفيض الالهى * وقال فى الباب السادس والاربعين ومائتين منها جميع علومنا من علوم الذوق لا من العلم بلا ذوق فان علوم الذوق لا تكون الا عن تجل الهى والعلم قد يحصل لنا بنقل الخبر الصادق وبالنظر الصحيح * وقال فى الباب التاسع والثمانين منها والباب الثامن والاربعين وثلثمائة اعلم ان ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار منى ولا عن نظر فكرى وانما الحق تعالى يملى لنا على لسان ملك الالهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاما بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده كما فى قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخر عنها انتهى وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثامن من الفتوحات اعلم ان العارفين رضى الله تعالى عنهم لا يتقيدون فى تصانيفهم بالكلام فيما بوّبوا عليه فقط وذلك لان قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز لهم منها فهما برز لهم كلام بادروا لالقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشئ الى ما ليس من جنسه امتثالا لامر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك انتهى فهذه النقول تدل على أن كلام الكمل لا يقبل الخطأ من حيث هو والله أعلم * وقال الشيخ محيى الدين فى الباب الحادى والسبعين اعلم ان العلوم الضرورية مقدمة على العلوم النظرية اذ العلم النظرى لا يحصل الا أن يكون الدليل ضروريا أو متولدا من ضرورى على قرب أو بعد وان لم يكن كذلك فليس بدليل قطعى ولا برهان * وقال فى الباب الثامن والستين من الفتوحات اعلم ان العقائد الصحيحة هى كل ما كان عن كشف وشهود وأما من ربط عقيدته بأمر مربوط مقيد بوجه دون آخر فلا يبعد أنه ينكر الحق اذا جاءه من غير ذلك الوجه الذى تقيد به فاذن الكامل من بحث عن منازع الاعتقاد ونظر فى كل قول من أين انتحله قائله وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم ان الانسان اذا أخذ عقيدته من أبويه أو من مربيه تقليدا ثم انه بعد ذلك عقل الامور ورجع الى نفسه واستقل بالنظر فالعلماء فى ذلك خلاف فمنهم من قال يبقى على عقيدته تلك ومنهم من قال ينظر فى الدليل حتى يعرف الحق ولكل منهم وجه انتهى * وقال فى الباب السادس والسبعين وأربعمائة ثم علوم بالله تعالى تعلم ولا يجوز اعتقادها ولا النطق بها ولا تجرى على لسان عبد مخصوص الا عند غلبة حاله فيحمد حاله ويعذر كالسكران واذ صحا ذهبت الجناية * وقال فى الباب الحادى والاربعين وثلثمائة لا يجوز النظر فى كتب الملل الباطلة والنحل الزائغة لاحد من القاصرين وأما مثل صاحب الكشف فله النظر فيها ليعرف من أى وجه قالوها وهو آمن من موافقتهم فى ذلك الاعتقاد الباطل لما هو عليه من الكشف الصحيح انتهى * وقال فى الباب الخامس والسبعين ومائتين من الفتوحات يجب على كل عارف ستر ما اطلعه الحق تعالى به على قلبه من علوم الاسرار ولا يظهره للعامة فيقع عليه النكير ومن هنا قال أبو القاسم الجنيد سيد هذه الطائفة لا يبلغ

مقاما لا يعلمه الا الله اللهم الا أن يكون أحدنا مقتدى به فله أن يظهر ورعه ليتبع * وقال فى الباب الخامس والاربعين الكامل من الرجال من جمع بين الدعوة الى الله وبين ستر المقام فيدعو الى الله بقراءته كتب الحديث والرقائق وحكايات المشايخ حتى لا يعرفهم العامة الا بأنهم نقلة لا يتكلمون من أحوالهم (قلت) وكان على هذا القدم سيدى الشيخ ابراهيم الجعبرى وسيدى أحمد الزاهد وسيدى حسين الجاكى رضى الله تعالى عنهم * وقال فيه كما تعبد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بشريعة ابراهيم عليه السلام قبل نبوته عناية من الله تعالى له حتى فجأه الوحى وجاءته الرسالة فكذلك الولى الكامل يجب عليه ملازمة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله تعالى له فى قلبه عين الفهم عنه فيلهم معانى القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يرده الله تعالى بعد ذلك الى ارشاد الخلق كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرسل والله أعلم * وقال فى الباب السابع والاربعين ينبغى للمحقق أن لا يذكر الله تعالى الا بالاذكار الواردة فى القرآن حتى يكون فى ذكره تاليا فيجمع بين الذكر والتلاوة معا فى لفظ واحد فيحصل على أجر التالين والذاكرين فلو أتى بالذكر من غير قصد

أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق بانه زنديق وذلك لانه اذا نطق بعلوم الاسرار لا يسع الصديقين الا أن ينكر وا عليه غيرة على ظاهر الشريعة المطهرة * قال الشيخ محيي الدين ولقد وقع لنا وللعارفين أمور ونحن بواسطة اظهارنا المعارف والاسرار وشهدوا فينا بالزندقة وآذونا أشد الاذى ومرنا كرسول كذبه قومه وما آمن معه الا قليل واعدى عدولنا المقلدون لافكارهم وأما الفلاسفة فيقولون عنا هؤلاء قوم أهل هوس قد فسدت خزانة خيالهم فضعفت عقولهم وياليتهم اذلم يصدقونا جعلونا كأهل الكتاب لا يكذبونا فيما لم يخالف شرعنا مع انا لا يضرنا بحمد الله انكارهم علينا لجهلهم انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة انما كان الناس ينكرون على أهل الله تعالى علومهم لانها جاءت أصحابها من طرق غريبة غير مألوفة وهي طرق الكشف وأكثر علوم الناس انما جاءتهم من طريق الفكر فلذلك كانوا ينكرون كل ما جاءهم من غير هذا الطريق وما كل أحد يقدر على جلاء مرآة قلبه بالمجاهدة والرياضة حتى يصير يفهم كلام أهل الله ويدخل دائرتهم ولكن لله في ذلك حكم وأسرار انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة من أراد فهم المعاني الغامضة من كلام الله عز وجل وكلام رسله وأوليائه فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها عليه ويفرح لزوالها من يده وأما مع ميله الى الدنيا فلا سبيل له الى فهم الغوامض أبدا انتهى * وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة من الفتوحات من اراد الدخول الى فهم غوامض الشريعة وحل مشكلات علوم التوحيد فليترك كل ما يحكم به عقله ورأيه ويقدم بين يديه شرع ربه ويقول لعقله ان نازعه انما أنت عبد مثلي فكيف أترك ما نسبه الحق تعالى الى نفسه من آيات الصفات مثلا لعجزك أنت عن تعقله مع انك قاصر عن معرفة نفسك فكيف بمعرفة ربك ولوانك ألزمت نفسك الانصاف لالزمت حكم الايمان والتلقي وجعلت النظر والاستدلال في غير ما أخبر به ربك عز وجل وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والاربعين ومائتين من الفتوحات اياك ان ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل بادر الى العمل بكل ما حكم به وان فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين امضاء ظاهر الحكم به فلا تعول عليه فانه مكر الهي بصورة علم الهي من حيث لا تشعر وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان تقديم الكشف على النص ليس بشئ عندنا لكثرة اللبس على أهله والا فالكشف الصحيح لا يأتي قط الا موافقا لظاهر الشريعة فمن قدم كشفه على النص فقد خرج عن الانتظام في سلك أهل الله ولحق بالاخسرين أعمالا انتهى * وقال في الباب الخامس والثمانين ومائة من الفتوحات اعلم ان ميزان الشرع الموضوعة في الارض هي ما بأيدي العلماء من الشريعة فمهما خرج ولي عن ميزان الشرع المذكورة مع وجود عقل التكليف وجب الانكار عليه فان غلب عليه حاله سلمنا له حاله ولا ننكر عليه لعدم من يتبعه على ذلك من أهل العقول فان ظهر بأمر يوجب حدا في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيم عليه الحد ولابد ولا يعصمه من اقامة الحد عليه قوله انا كأهل بدر اذ المؤاخذة لم تسقط عن أهل بدر في الدنيا وانما سقطت عنهم في الدار الآخرة على ان العبد لو قيل له افعل ما شئت فقد غفرت لك فهو عاص في الشرع اذ المغفرة لا تكون الا عن ذنب ولذلك قال فقد غفرت لك ولم يقل اسقطت عنك الحدود فالحاكم الذي يقيم عليه هذا الحد والتعزير ماجور * قال ومن علامة صاحب الحال ان يعمى نفسه من متولي الحدود فتيبس يده مثلا فلا يستطيع ان يحركها نحوه انتهى * وقال في الباب الثالث والستين ومائتين اعلم ان عين الشريعة هي عين الحقيقة اذ الشريعة لها داثرتان عليا وسفلى فالعليا لاهل الكشف والسفلى لاهل الفكر فلما فتش أهل الفكر على ما قاله أهل الكشف فلم يجدوه في دائرة فكرهم قالوا هذا خارج عن الشريعة فأهل الفكر ينكرون على أهل الكشف وأهل الكشف لا ينكرون على أهل الفكر فمن كان ذا كشف وفكر فهو حكيم الزمان فكما ان علوم الفكر أحد طرفي الشريعة فكذلك علوم أهل الكشف فهما متلازمان ولكن لما كان الجامع بين العارفين عزيزا فرق أهل الظاهر بينهما والا فما

التلاوة كان له أجر الذكر دون التلاوة فنقص من الفضيلة بقدر ما نقص من القصد وأطال في ذلك * ثم قال في حديث للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه اعلم أنه لما كان الصوم سببا للقاء الرب كان أتم من الصلاة من هذا الوجه لكونه أنتج لقاء الله الذي هو مشاهدته والصلاة مناجاة لا مشاهدة فالحجاب يصحب الصلاة ولا يصحب الصوم ألا تراه قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين والصوم لا ينقسم فافهم * وقال فيه للملائكة الترقي في العلم لا في العمل فلا يترقون بالاعمال كما لا يترقى في العلم والعمل ولو ان الملائكة ما كانت ترقى في العلم ما قبلت الزيادة من آدم حين علمها الاسماء كلها فانه زادهم علما بالاسماء لم يكن عندهم فتأمل ذلك * وقال في الباب الثامن والاربعين في قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول أي أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مما قال فيه صلى الله عليه وسلم ان الله يأمركم ثم قال وأطيعوا الرسول ففصل أمر طاعة الله من طاعة رسوله ولو كان المراد بطاعة رسول الله مما بلغ الناس من أمر الله لم يكن ثم فائدة زائدة وانما المراد بطاعته صلى الله عليه وسلم أن نطيعه فيما أمر به ونهى عنه مما لم يقل هو من

لموسى كف عن الخضر آخر الامر فلولا ان موسى فهم ان الخضر على حق لانكر عليه آخرا كما أنكر عليه أولا انتهى * وقال فى الباب الاحد وعشرين وخمسمائة من الفتوحات اعلم ان قطاع الطريق فى سفر المعقولات هى الشبه التى تعارض الناظر بعقله وقطاع طريق السفر فى المشروعات هى التأويلات ولا يخلو المسافر من ان يكون فى احدى هذين الطريقين فان وصل المسافر الى محل ليس فيه تأويل ولا شبهة فقد انتهى سيره انتهى * وقال فى الباب الثانى والسبعين اعلم ان موازين الاولياء الكاملين لا تخطئ الشريعة أبدا فهم محفوظون من مخالفة الشريعة وان كانت العامة تنسبهم الى المخالفة فما هى مخالفة فى نفس الامر وانما هى مخالفة بالنظر الى موازين غيرهم ممن هو دونهم فى الدرجة ثم ان ذلك لا يقدح فى علم أهل الله تعالى وأطال فى ذلك ثم قال والموازين ثلاثة ميزان الاجماع وميزان الكشف وميزان الاجتهاد المطلق وما عدا هؤلاء الثلاثة فهى آراء لا يعول أهل الله تعالى عليها * وقال فى الباب السادس والستين ومائتين اياك ان تجد مسئلة استدل لها صاحبها بآية من القرآن فتقول هذه الآية لا يصح بها الاستدلال لهذه المسئلة ببادئ الرأى بل تربص فى ذلك فان مرتبة كلام الله تعالى ان يقبل جميع ما فسره به المفسرون من أئمة الهدى لوسعه ولا يوجد ذلك فى غيره وأطال فى ذلك * ثم قال لكن لا يخفى ان من شرط من يفسر القرآن ان لا يخرج عما يحتمله اللفظ والا فقد ورد ان من فسر القرآن برأيه فقد كفر انتهى * وقال فى مقدمة الفتوحات اياك ان تبادر الى انكار مسئلة قالها فيلسوف أو معتزلى مثلا وتقول هذا مذهب الفلاسفة أو المعتزلة فان هذا قول من لا تحصيل له اذ ليس كل ما قاله الفيلسوف مثلا يكون باطلا فعسى ان تكون تلك المسئلة مما عنده من الحق ولا سيما ان كان الشارع صلى الله عليه وسلم صرح بها أو أحد من علماء الامة من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين * وقد وضع الحكماء من الفلاسفة كتبا كثيرة مشحونة بالحكم والتبرى من الشهوات ومكايد النفوس وما انطوت عليه من خفايا الضمائر وكل ذلك علم صحيح موافق للشرائع فلا تبادر يا أخى الى الرد فى مثل ذلك وتمهل وأثبت قول ذلك الفيلسوف حتى تجد النظر فقد يكون ذلك حقا موافقا للشريعة لكون الشارع قال تلك المسئلة أو واحد من علماء شريعته وأما قولك ان ذلك العالم سمع تلك المسئلة من فيلسوف أو طالعها فى كتب الفلاسفة مع ذهولك عن كونها من الحق الذى وافق الشريعة فيه فهو جهل وكذب أما الكذب فقولك ان ذلك العالم سمع تلك المسئلة من الفلاسفة أو طالعها فى كتبهم وأنت لم تشاهد ذلك منه ولا أقيمت عندك بذلك بينة عادلة وأما الجهل فكونك لم تفرق فى تلك المسئلة بين الحق والباطل فقد خرجت باعتراضك هذا عن العلم والصدق وانخرطت فى سلك أهل الجهل والكذب ونقص العقل وفساد النظر والانحراف عن طريق أهل الحق بالجبة الجاهلية * فخذ يا أخى ما أتاك به الفيلسوف أو المعتزلى مثلا ثم تربص واعتمد على نفسك قليلا قليلا حتى يتضح لك معناه أحسن من أن تقول يوم القيامة يا ويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين * وقال فى الباب السادس والعشرين ومائتين من الفتوحات اعلم ان الفلاسفة ما ذمت لمجرد هذا الاسم وانما ذمت لما أخطؤا فيه من العلم المتعلق بالالهيات فان معنى الفيلسوف هو محب الحكمة وسوفا باللسان اليونانى هو الحكمة وكل عاقل بلا شك يحب الحكمة غير ان أهل الافكار خطؤهم فى الالهيات أكثر من اصابتهم سواء كان معتزليا أو فيلسوفيا وكان من أصناف أهل النظر انتهى * وقال الشيخ محيى الدين فى كتاب لواقح الانوار لقد دخلت الخلوة وعملت على الاطلاع على الحقيقة الادريسية فرأيت الخطأ انما دخل على الفلاسفة من التأويل وذلك لانهم أخذوا العلم عن ادريس عليه السلام فلما رفع الى السماء اختلفوا فى فهم شريعته كما اختلف علماء شريعتنا فأحل هذا ما حرمه هذا وبالعكس انتهى * وقال فى مقدمة الفتوحات مدار صحة العقائد على حصول الجزم بها حتى ان من أخذ ايمانه تقليدا جازما للشارع كان أعصم وأوثق ممن يأخذ ايمانه عن الادلة وذلك لما يتطرق اليها اذا كان حاذقا فطنا من الحيرة والدخيل فى أدلته وايراد الشبه عليها فلا يثبت له قدم ولا ساق يعتمد عليها

عند الله فيكون كالقرآن قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا لانا جعلناه أن يأمر وينهى زائدا على تبليغ أمرنا ونهينا الى عبادنا وأطال فى تفسير الآية * ثم قال ومعنى طاعة أولى الامر اى فيما اذا أمرونا بما هو مباح فاذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فأطعناهم أجرنا فى ذلك أجر من أطاع الله فيما أوجبه علينا وليس لاولى الامر ان يشرعوا شريعة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يقل فى أولى الامر أطيعوا مثل ما قال فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتأمل * وقال فيه انما أمر الله الخلق بالسجود وجعله مقام قربه بقوله واسجد واقترب وبحديث أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بأن الحق تعالى فى نسبة الفوقية اليه من قوله وهو القاهر فوق عباده وبقوله يخافون ربهم من فوقهم كنسبة التحتية اليه سواء فان الساجد يطلب السفل بوجهه كما أن القائم يطلب العلو اذا رفع وجهه فى حال الدعاء ويديه وقد جعل الله السجود حال قرب من الله اليه فلم يقيده سبحانه الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لانه خالق الفوق والتحت كما لم يقيده الاستواء على العرش عن النزول الى سماء الدنيا فهو معنا أينما كنا فى حال كونه فى السماء

فيخاف عليه الهلاك وأطال في ذلك قال وتأمل كلام العقلاء تجدهم اذا نظروا واستدلوا في نظرهم الاستدلال وعثروا على وجه الدليل أعطاهم ذلك الامر العلم بالمدلول ثم تراهم في زمان آخر يقوم لهم خصم من طائفة كمعتزلي أو أشعري بأمر آخر يناقض دليلهم الذي كانوا يقطعون به و يقدح فيه فيرون ان ذلك الاول كان خطأ وانهم ما استوفوا أركان دليلهم وانهم أخلوا بالميزان في ذلك وأين هذا ممن هو في علمه على بصيرة بتقليده الجازم للشارع فانه كضروريات العقول لا تردد فيه اذ البصيرة للعلماء بالله تعالى كالضروريات للعقول بخلاف كل ما انتج من العقل فانه مدخول يقبل الشبه والتردد ومن هنا كان دليل الاشعري يورث شبهة عند المعتزلي ودليل المعتزلي يورث شبهة عند الاشعري وما من مذهب من مذاهب المجتهدين والمتكلمين الا ويدخله الاشكال ثم انهم كلهم يتصفون باسم الاشاعرة أو باسم مذهب معين فترى أبا المعالي يذهب الى خلاف ما ذهب اليه القاضي وترى القاضي يذهب الى خلاف ما ذهب اليه الاستاذ والاستاذ يذهب الى خلاف ما ذهب اليه الشيخ أبو الحسن والكل يدعون انهم أشعريه كما يقع لاهل المذهب الواحد من مذاهب المجتهدين وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان أهل النظر لا يعذرون في الظن وجوب العلم وأن التقليد معصوم فيما أخبر به ملحق بالعلم وأقوى من علوم النظر كما يدل عليه قبول شهادتنا على الامم السالفة ان أنبياءها بلغوها دعوة الحق تعالى ونحن ما كنا في زمان تبليغهم وانما صدقنا الله عز وجل فيما أخبرنا به في كتابه عن نوح وعاد وثمود وفرعون وغيرهم ولا يقبل ذلك يوم القيامة الا ممن كان في الدنيا على يقين من أمره * وقال الشيخ في الباب الثمانين ومائتين اعلم انه لا يصح من انسان عبادة الا ان كان يعرف ربه على القطع وأما من أقام في نفسه معبودا يعبده على الظن لا على القطع فلا بد أن يخزيه ذلك الظن ولا يغني عنه من الله شيأ انتهى * وقال في صدر الفتوحات من شرط وجوب الاعتقاد في أمر من الامور وجود نص متواتر فيه أو كشف محقق ومن كان عنده الخبر الواحد الصحيح يكفي فليحكم به ولكن فيما يكون متعلقا بأحكام الدنيا فان تعدى حكمه بالآخرة فلا ينبغي أن يجعله في عقيدته على التعيين وليقل ان كان هذا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفس الامر كما وصل الي فأنا مؤمن به وبكل ما صح عن الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مما علمت ومما لم أعلم فلا يصح أن يكون في العقائد الا ما صح من طريق القطع اما بالتواتر واما بالدليل العقلي ما لم يعارضه نص متواتر لا يمكن الجمع بينهما وهناك يعتقد النص و يترك دليل العقل و يجب على المؤمن ان يدوم عليه لكن من حيث ما هو علم لا من حيث ما هو اعتقاد فقد يكون الامر الوارد على غير الصورة التي يعطيها مقام الايمان * وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله يقول علوم النظر اوهام اذا قرنت بعلوم الالهام * وكان الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه يقول اياك ان تقنع في باب معرفة الله تعالى بدون الكشف كما عليه طائفة النظار والمتكلمين فان المتكلمين يظنون عند نفوسهم انهم ظفروا بمطلوبهم بما نصبوه من العلامات وشاهدوه من الحقائق فتراهم يسكنون الى ما حصل عندهم من الاعتقاد المربوط و يكفرون من خالفهم وذلك قصور في المعرفة ولو اتسع نظرهم لاقروا جميع عقائد الموحدين بحق ذكره في الباب الثالث والسبعين ومائتين والله تعالى أعلم * انتهت المقدمة بفضل الله تعالى ولنشرع في ذكر مباحث علم الكلام مبسوطة بذكر سوابق عقائد الشيخ محيي الدين ولواحقها عكس ما يفعله المنكرون على الشيخ فيذكرون الكلمة الغريبة عن الشيخ منفردة فلا يكاد الشخص يقبلها فان لكل شئ دهليزا يدخل اليه منه * وصدرت مباحث الكتاب بنقول المتكلمين تمهيدا لفهم كلام أهل الكشف ثم أعقبتها بنقولهم فلا أزال أسأل وأجيب بالنقول في ذلك المبحث حتى يتضح للطالب الاشكالات التي في ذلك المبحث ان شاء الله تعالى اذا علمت ذلك فأقول و بالله تعالى التوفيق

(المبحث الاول في بيان ان الله تعالى واحد أحد منفرد في ملكه لا شريك له)

* اعلم أيدك الله تعالى ان كل من له عقل يعرف ان الله تعالى واحد لا شريك له اذ لو جاز كون الاله

في حال كونه مستويا على عرشه في حال كونه في السماء في حال كونه في الارض في حال كونه أقرب الى أحدنا من حبل الوريد انتهى والله أعلم * وقال في الباب التاسع والاربعين اعلم أن السبب الموجب لتكبر الثقلين دون غيرهما من سائر المخلوقات ان المتوجه على ايجادهم اسماء اللطف والحنان والرأفة والرحمة والتنزل الالهي فعندما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزا ولا كبرياء الا في نفوسهم فلذلك تكبروا وأما غيرهم من الخلق فكان المتوجه على ايجادهم من الاسماء الالهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر فلذلك خرجوا أذلاء تحت هذا القهر الالهي فلم يتمكن لهم أن يعرفوا للكبرياء طعما وأطال في ذلك * وقال فيه انما جاءت بسم الله الرحمن الرحيم أول كل سورة لان السور تحتوي على أمور مخوفة تطلب أسماء العظمة والاقتدار فلذلك قدم أسماء الرحمة تأنيسا وبشرى للمؤمنين ولهذا قالوا في سورة التوبة انها والانفال سورة واحدة ومن قال ان كل واحدة سورة مستقلة تحتاج الى بسملة قال ان بسملة سورة النمل مكانها حتى لا ينقص القرآن عن مائة وأربع عشرة بسملة ولذلك جاءت بسملة النمل محذوفة الالف كما جاءت في أوائل

اثنين لجاز ان يريد أحدهما شيأ و يريد الآخر ضده كحركة زيد وسكونه فيمتنع وقوع المرادين وعدم وقوعهما لامتناع ارتفاع الضدين المذكورين واجتماعهما كما سيأتي بسطه في آخر مباحث هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فتعين وقوع أحدهما فيكون مريده هو الاله الحق دون الآخر لعجزه فلا يكون الاله الا واحدا باجماع العقلاء قال جمهور المتكلمين والواحد هو الذي لا ينقسم ولا يشبه بفتح الموحدة المشددة أي لا يكون بينه و بين غيره شبه بوجه من الوجوه فلا يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء اذ لو كان له ابتداء أو انتهاء لكان حادثا والحادث يحتاج الى محدث وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * وسمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول الآحاد أربعة أقسام * الاول أحد لا يتحيز ولا ينقسم ولا يفتقر الى محل وهو البارى جل وعلا * الثاني أحد يتحيز و ينقسم و يفتقر الى محل وهو الجسم * الثالث أحد يتحيز ولا ينقسم و يفتقر الى محل وهو الجوهر * الرابع أحد لا يتحيز ولا ينقسم و يفتقر الى محل وهو العرض انتهى * وهذا هو مجموع الوجود القديم والحادث فتأمله فانه نفيس فهذه عبارة المتكلمين * وأما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله فقال في باب الاسرار من الفتوحات اعلم ان الله تعالى واحد باجماع ومقام الواحد تعالى ان يحل فيه شيء او يحل هو في شيء اذ الحقائق لا تتغير عن ذواتها فانها لو تغيرت لتغير الواحد في نفسه وتغير الحق تعالى في نفسه وتغير الحقائق محال انتهى وسيأتي بسط ذلك في مبحث نفي الحلول والاتحاد ان شاء الله تعالى * فان قيل فما وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثة مع كون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق وهما في الغار حين خاف من المشركين ما ظنك باثنين الله ثالثهما * فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في باب الاسرار ان وجه كفر من قال ان الله ثالث ثلاثة كونه جعل الحق تعالى واحدا من الثلاثة على الابهام والتساوي في مرتبة واحدة ولو انه قال ان الله تعالى ثالث اثنين لم يكفر كما في الحديث والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الله ثالثهما أي حافظهما في الغار من الكفار والله أعلم * وقال الشيخ أيضا في الباب الحادي والثلاثين ومائة من الفتوحات المكية واعلم يكفر من قال ان الله تعالى ثالث اثنين أو رابع ثلاثة لانه لم يجعله من جنس الممكنات بخلاف من قال ان الله ثالث ثلاثة أو رابع أربعة أو خامس خمسة ونحو ذلك فانه يكفر فتأمل فان الله تعالى واحد أبدا والكل كثرة و جماعة ولا يدخل معها في الجنس لانه اذا جعلناه رابع ثلاثة فهو واحد منفرد أو خامس أربعة فهو واحد منفرد وهكذا بالغا ما بلغ * قال وليس عندنا في العلم الالهي أغمض من هذه المسئلة لان الكثرة حاكمة في عين وجود الواحد بحكم المعية ولا وجود لها فيه اذ لا حلول ولا اتحاد انتهى * وقال في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة من الفتوحات أيضا في قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الآية اعلم ان الله تعالى مع الخلق أينما كانوا وان كان عددهم شفعا أو وترا لكن لا يكون الله تعالى واحدا من شفعيتهم ولا واحدا من وتريتهم اذ صفته التي ظهرت للمشاهد لا يمكن ان تقف في المرتبة العددية التي وقف فيها الخلق أبدا فمتى انتقلوا الى المرتبة التي كان فيها صفة الحق تعالى انتقلت صفة الحق تعالى الى المرتبة التي تليها قبل انتقالهم * قال وهذا تنزيه عظيم لا يصح للخلق فيه مشاركة مع الحق تعالى أبدا * فان قيل فما أجرأ الخلق على القول بتعدد الآلهة مع ان تعددها لا وجه له عقلا * فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وثلثمائة ان الذي أجرأهم وأدخل عليهم الكفر والشرك هو وجود التنكير الذي جاء من لفظ اله من قوله تعالى وما من اله الا اله واحد فهذا هو الذي أجرأ المشركين على اتخاذ الآلهة من دون الله قال وانظر الى الاسم العظيم الله لما لم يدخله تنكير كيف لم يصح للكفار ان يسموا ما اتخذوه باسمه تعالى الله لان الله تعالى واحد معروف غير مجهول عندهم كما أقر بذلك عبدة الاوثان في قولهم عن آلهتهم التي اتخذوها ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فلم يقولوا الا ليقربونا الى اله كبير هو أكبر منها فكان قبول لفظ اله التنكير هو السبب في ضلال من اتخذ آلهة من دون الله مع الله ومن هنا أنكر وا انه اله واحد ولو انهم كانوا أنكروا الله تعالى ما كانوا مشركين وان كانوا كافرين بذين

السور اعلم أن المقصود بها هو المقصود بها أوائل السور بدليل أنهم لم يبدؤا بها لو لا بذلك في باسم الله مجراها ومرساها واقرأ باسم ربك (قلت) وقد ذكر الشيخ أيضا في الباب الحادي والثمانين ومائتين ان الاوجه عندي ان سورة الانفال وبراءة سورة واحدة ولذلك تركت البسملة بينهما وان كان لتركها وجه وهو عدم المناسبة بين الرحمة والتبري ولكن ما هذا الوجه تلك القوة بل هو وجه ضعيف وذلك ان البسملة موجودة في كل سورة أولها ويل وأين الرحمة من الويل انتهى * وذكر أيضا في الباب السابع والعشرين وثلثمائة ان الخبر الوارد والشاهد يشهد له بصدقه متى بعد أن جاءني في ذلك على بينة من ربي ان اختصاص البسملة في أول كل سورة انما هو تتويج الرحمة الالهية في منشور تلك السورة وأن الرحمة تنال كل مذكور فيها من المسلمين فانها علامة الله على كل سورة انها منه كعلامة السلطان على مناشيره والحكم للتتويج فانه به يقع القبول و به يعلم انه من عند الله هذا الخبر الوارد لما نحن نشهد ونسمع ونعقل ولله الحمد لكن في حجاب عن شهود المحل الذي نزلت منه الشرائع ليفرق بين مقام الولاية ومقام الرسالة فافهم (وذكر) أيضا في الباب الثامن والثلاثين والثمانية

يشركون اذا أنكروا الله تعالى ولذلك قالوا أجعل الآلهة الها واحدا وما قالوا اجعل الآلهة الله فان الله تعالى ليس عند المشركين بالجعل * قال الشيخ محيي الدين وقد عصم الله تعالى الاسم الله ان يطلق على أحد وما عصم الاطلاق لفظ اله قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه ولله تعالى في ذلك سر يعلمه العلماء بالله تعالى لا يسطر في كتاب لان الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله * فان قيل فما ألطف الاوثان وما أكثفها * فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الخامس والسبعين ومائتين ان ألطف الاوثان الهوى وأكثفها الحجارة ولهذا قال المشركون لما دعوا الى توحيد الاله في الالوهية أجعل الآلهة الها واحدا فرد الله عليهم بقوله ان هذا الشئ عجاب فهو من قول الله تعالى عندنا لا من قول الكفار خلاف ما وقع لبعض المفسرين فان التعجب الواقع من جهة الحق تعالى انما وقع من فعل الكفار حين قالوا أجعل الآلهة الها واحدا لما دعوا الى توحيد الاله في الالوهية وانه اله واحد وهم يعتقدون كثرتهم أي فآخر مقالة الكفار هو قولهم الها واحدا وأما قوله ان هذا الشئ عجاب فليس من قولهم * قلت ويؤيد ما نسبه الشيخ لبعض المفسرين ان المتعجب لا يتعجب الا مما ورد عليه من الامور الغريبة التي لا تعقل له فيها والله تعالى منزه عن ذلك * قال الشيخ رحمه الله تعالى عقلا ان الاله لا يكون بجعل جاعل فانه اله لنفسه ولذلك وبخ الخليل عليه السلام قومه لما نحتوا آلهتهم بقوله أتعبدون ما تنحتون لما علم في ضرورة العقل ان الاله لا يتأثر وقد كان هذا الاله الذي اتخذوه خشبة يلعب بها الصبيان أو حجر يستجمر به ثم أخذه هذا المشرك وجعله الها يذل له ويتأله اليه في الشدائد ويفتقر اليه ويدعوه خوفا وطمعا فمن مثل هذا يقع التعجب مع وجود العقل عندهم فتعجب الحق تعالى من ذلك ورسوله ليعلم الجمع بين ان الامور كلها بيد الله عز وجل وان العقول لا تعقل بنفسها وانما تعقل بما يلقى اليها ربها وخالقها ولهذا تتفاوت درجاتها فمن عقل مجعول عليه قفل ومن عقل محروص في كن ومن عقل طبع على مرآته صدأ * فعلم أن العقول لو كانت تعقل بنفسها لما أنكرت توحيده وجحدها فلهذا جعلنا التعجب ليس من قول الكفار انتهى * فان قيل فهل كون الحق تعالى لم يولد من خصائصه أم يشاركه في ذلك خلقه * فالجواب كما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الخامس والاربعين وثلثمائة ان عدم الولادة ليس خاصا بالحق تعالى فان آدم عليه الصلاة والسلام أيضا لم يولد ولكن لما كانت الولادة معلومة عند القائلين خوطبوا بما هو معلوم عندهم ونزه الحق تعالى نفسه عن مجانسة خلقه انتهى * قلت فقوله تعالى ان هذا الشئ عجاب يحتمل أن يكون التعجب وهو المسمى عند علماء الرسوم بالتعجيب أي من شأن ذلك الامر ان يتعجب منه السامع وان لم يكن المتكلم متعجبا منه لاستحالة التعجب الحقيقي عليه فيصرف الى السامع من جهة الحق جل وعلا تنزلا للعقول ويحتمل أن يكون من جهة الكفار اما من جهة الحق فهو لكونهم قالوا بتعدد الآلهة وأما من جهة الكفار فمن كون الاله واحدا فكلام الشيخ على أحد الاحتمالين * فان قلت فهل وصف الشرك بانه ظلم عظيم راجع الى ظلم العبد نفسه أو الى ظلم غيره من الخلق أو الى ظلم صفات الالوهية * فالجواب ما قاله الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والسبعين من الفتوحات ان الشرك انما هو من مظالم العباد قال تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فيأتي يوم القيامة من أشركوه مع الله تعالى في الالوهية من كوكب وحيوان ونحو ذلك فيقول يارب خذ لي مظلمتي من هذا الذي جعلني الها ووصفني بما لا ينبغي لي فيأخذ الله تعالى له مظلمته من المشرك ويخلده في النار مع شريكه ان كان حجرا أو حيوانا غير انسان أما الانسان فلا يخلد في النار مع عبدته الا ان رضي بما نسب اليه من الالوهية أما نحو عيسى والعزير عليهما السلام أو علي بن أبي طالب فلا يدخلون النار مع عبدتهم لان هؤلاء ممن سبقت لهم من الله تعالى الحسنى انتهى * فان قيل فهل لقوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به مفهوم * فالجواب كما قاله في الفتوحات في الباب الثامن والتسعين ومائة أنه لا مفهوم له لان الاجتهاد في الاصول ممنوع عند المحققين فيأثم من أخطأ فيه * فان قيل فما وجه تنكير قوله تعالى الها في هذه الآية * فالجواب انه انما نكره لانه لم يكن موجودا ثم اذ لو كان موجود التعيين ولو تعين لم يصح تنكيره

مائة اعلم ان الله تعالى جعل البسملة أول كل سورة من القرآن حاكمة على كل وعيد فيها لاحد من المسلمين فآل كل وعيد الى الرحمة لاجل بسم الله الرحمن الرحيم فهي بشرى عظيمة لزوال كل صفة توجب الشقاء على أحد من عصاة الموحدين وأما سورة التوبة عند من لم يجعلها من سورة الانفال فجعل لها اسم التوبة وهي الرجعة الالهية على العباد بالرحمة والعطف فقام اسم التوبة مقام البسملة فان الرجعة على عباده تعالى لا تكون الا بالرحمة والله أعلم * وقال في الباب الخمسين سبب الحيرة في الله تعالى طلبنا معرفة ذاته تعالى باحد الطريقين اما بطريق الادلة العقلية واما بطريق تسمى المشاهدة فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة والدليل السمعي قد أومأ اليها وما صرح وقد منع الدليل العقلي من ادراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية النفسية التي هو في نفسه عليها فلم يدرك العقل بنظره الا صفات السلوب لا غير وتسمى ذلك معرفة وكلما زادت الحيرة زاد العلم بالله تعالى ولذلك كانت حيرة أهل الكشف أعظم وقال لولا منازعة الانكار من العلماء وأولي الامر على أهل الله عز وجل لاتوا بنظير ما جاءت به الانبياء من صفات الله تعالى من تعجب وفرح وضحك ونزول ومعية ولكن

فدل على ان من يدع مع الله الها آخر قد نفخ في غير ضرم واستسمن ذا ورم وليس له متعلق يتعين ولا حق يتضح ويتبين وكان مدلول ادعائه العدم المحض ولم يبق الا من له الوجود المحض اذ كل شئ يتخيل فيه انه شئ فهو هالك في عين شيئيته عن نسبة الالوهية اليه لا عن شيئيته في نفسه فان وجه الحق تعالى فيه باق اذ هو معلوم علم الله تعالى فالله تعالى هو ثم المعلوم المجهول انتهى * فان قلت لفظة التوحيد توهم أن العبد هو الذي وحد ربه وفي ذلك رائحة الافتقار وتعالى الله عن ذلك * فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب الثالث والسبعين ان الحق تعالى غني عن توحيد عباده له فانه الواحد لنفسه ووحدانيته ما هي بتوحيد موحد وذلك لئلا يكون الحق تعالى الذي هو المقدس أثرا لهذا العمل فتفطنوا أيها الاخوان لهذه النكتة فانها دقيقة جدا * قال الشيخ واغناه تعالى عن توحيد عباده قال شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم فأخبر تعالى انه الموحد نفسه بنفسه وعباده انما هم شهداء على شهادته لنفسه على سبيل التصديق والاعتراف والاذعان * فان قيل عطف الملائكة وأولو العلم على شهادته لنفسه بالواو قد يوهم الاشتراك في الوقت ولا اشتراك هنا لان شهادة الحق لنفسه لا افتتاح لها والملائكة وأولو العلم محدثون بلا شك * فالجواب أنه لا اشتراك الا في الشهادة قطعا وأما الوقت فلا يصح فيه اشتراك لكون شهادة الحق تعالى كانت قبل خلق الزمان ووقت شهادة عباده له انما هي حين أظهرهم فافهم * فان قيل فلم خص في الآية أولي العلم بالشهادة دون أولي الايمان * فالجواب أنه تعالى انما خص أولي العلم بالشهادة لان شهادتهم ليست عن علم من طريق الايمان وانما هي عن تجل الهي لقلوبهم أفادهم العلم الضروري بتلك الشهادة لان شهادته تعالى لنفسه بالتوحيد ما هي عن اخبار عن غيره حتى تكون ايمانا فان متعلق الايمان انما هو الخبر عن وقوع أمر فيسمعه السامع فيؤمن له به والاخبار الله تعالى عن نفسه ليس كذلك وقد استفدنا من اضافتهم الى العلم دون الايمان الاعلام من الله تعالى لنا بأن المراد بأولي العلم أهل التوحيد الذين حصل لهم التوحيد بالطريق المتقدم وقد يلحق بهم من حصل له التوحيد من طريق العلم النظري وليس المراد بهم من حصل له ذلك من طريق الخبر وكأنه تعالى يقول وشهد الملائكة بتوحيدي بالعلم الضروري الذي استفادوه من التجلي لقلوبهم وقام لهم مقام النظر الصحيح في الادلة فشهدت لي يعني الملائكة بالتوحيد كما شهدت لنفسي وشهد بذلك أيضا أولو العلم بالنظر العقلي الذي جعلته لهم انتهى * قلت ويؤيد ما قرره الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة لانه صلى الله عليه وسلم لم يقل يؤمن ولا يقول بل قال يعلم وأفرد العلم وذلك لان الايمان متوقف وجوده على وجود الخبر كما مر وذلك متوقف على مجيء الرسل والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ليس ثم الا اله واحد ثم يقول ذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل لا اله الا الله لقول الله له قل ذلك له وحينئذ يسمى مؤمنا فان الرسول أوجب عليه أن يقولها لو كان عالما بها في نفسه من غير واسطة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله أي آمنوا بمحمد ولو كنتم مؤمنين من جهة شريعة موسى وعيسى اذ الحكم انما هو لشريعة محمد الآن وكذلك الحكم في أهل الفترات يؤمرون كذلك بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا أدركوا زمن رسالته ولو كانوا موحدين قبل ذلك بالنور الذي قذفه الله في قلوبهم كقس بن ساعدة وسيف بن ذي يزن واضرابهما * فعم صلى الله عليه وسلم بقوله من مات وهو يعلم جميع أنواع التوحيد من طريق الخبر أو العلم الضروري وانما جعل صلى الله عليه وسلم صاحب هذا التوحيد العلمي سعيدا ويدخل الجنة وان لم يتصف بالايمان لان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها أبدا بأي طريق كان توحيده * فان قيل فلم لم يقل صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث السابق ويعلم ان محمدا رسول الله مع أنه لا بد من ذلك في طريق سعادة المؤمن * فالجواب كما قاله القصري في شرح شعب الايمان انه انما لم يأت بها في الحديث لتضمن الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة في حق من قالها امتثالا للشارع صلى الله عليه وسلم فان القائل لا اله الا الله لا يكون مؤمنا الا اذا قالها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له قل فاذا قالها لقوله له قل فهو عين اثبات رسالته

ثم ما فعل العلماء في انكارهم ونعم ما فعل أهل الله في عدم التلفظ بما أطلعهم الله عليه من معرفته وأطال في ذلك (وقال) في الباب الحادي والخمسين من رجال الله من أعطاه الله تعالى علامة يعرف بها الحرام والحلال في المآكل والملابس والمشارب وغير ذلك فاستراح من التعب والتفتيش وسوء الظن بعباد الله تعالى المكتسبين لذلك المال ثم ان هذا الامر لا يكون لهم الا بعد التضييق الشديد في التورع وهنالك جازاهم الله تعالى ونفس عنهم باعطائهم تلك العلامة في المطعوم مثلا فيستعملونه ويظن من لا علم له بذلك انهم أكلوا حراما وليس كذلك وقال في الباب الثاني والخمسين اعلم ان نسبة الانسان الى أمه أولى من نسبته الى أبيه وذلك لانه من جهة أبيه ابن فراش ومن جهة أمه ابنها حقيقة وقال في الباب الثالث والخمسين يجب على كل من لم يكن له شيخ أن يعمل هذه التسعة أمور حتى يجد له شيخا وهي الجوع والسهر والصمت والعزلة والصدق والصبر والتوكل والعزيمة واليقين وأطال في بيان كل واحد منها * وقال في الباب الرابع والخمسين في قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها انما قدم الفجور على التقوى في الذكر لينبه تعالى على أن الفجور هو الغالب على

فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة الشهادة بالرسالة لم يقل في الحديث ويعلم ان محمدا رسول الله على انه ربما قد جاءت في رواية أخرى انتهى ويحتمل أن يكون الحق تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالكف عمن قال لا اله الا الله فقد ورد عنه أن من مات علم انه دخل الجنة ثم ان الله تعالى أمره بأن يكلفهم بالايمان بالرسول آخر الامر لما خفف عنهم الحد الذي كان عندهم أوائل البعثة وأذعنوا له كما هو سنة الله تعالى في تكليفه لعباده بالاحكام شيأ فشيأ ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم انما سكت عن لفظة وأن محمدا رسول الله ليدخل أهل الفترات ومن لم يبلغهم الرسالة والله تعالى أعلم * فان قيل فأي التوحيد أعلى توحيد من ينظر في الادلة أو توحيد من لا ينظر من الحيوانات والجمادات * فالجواب كما قاله سيدي علي الخواص ان توحيد من لا ينظر في الادلة أعلى اذا كان توحيده كشفا فان كان تقليدا فتوحيد من ينظر في الادلة أعلى منه والله أعلم بل سمعته يقول من توقف في توحيده لله عز وجل على دليل فهو جاهل لان كل مخلوق يعلم أن الله واحد بالفطرة وغاية الانسان اذا نظر في الادلة ان ينتهي أمره الى الحيرة في الله تعالى من حيث كنهه وذلك هو حال البهائم لانهم مفطورون على الحيرة والانسان لما خلقه الله تعالى على صورة الكمال يريد الخروج عن الحيرة وما علم ان ذلك لا يصح له * فان قيل فهل يصح لعبد ان يترقى في تنزيه الحق تعالى عما وجده في نفسه من صفات الحدث ام لا يصح له الترقي عن ذلك * فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب العشرين وثلثمائة انه لا يصح لعبد أن يترقى في تنزيه الحق تعالى عما يعلمه من نفسه أبدا فكل عبد ينزه ربه عن كل ما هو عليه اذ كل ما هو عليه العبد محدث والحق لا ينزه الا عن قيام الحوادث به ولهذا كان التنزيه يختلف باختلاف المنزهين فالعرض يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى محل يكون به ظهوره والجوهر يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى أداة تمسكه والجسم يقول سبحان من لم يفتقر في وجوده الى موجد يوجده قال وفي هذا حصر التنزيه من حيث الامهات فانه ما ثم الا جسم أو جوهر او عرض والكامل يسبح الله تعالى بجميع تسبيح العالم كله لانطواء العالم فيه انتهى * فان قيل فهل عبادة الخلق للحق تعالى من طريق أحديته أو من طريق واحديته فان قلتم انها من طريق الاحدية فكيف صح ذلك مع امتناع التجلي فيها فان الاحد لا يقبل وجود غيره معه بخلاف الواحدية * فالجواب ما قاله في الفتوحات في الباب الثاني والسبعين ومائتين انه لا يصح لعبد أن يعبد الله تعالى من حيث أحديته ذوقا لان الاحدية تمحق وجود العابد فكأنه تعالى يقول لا تعبدوني الا من حيث ربوبيتي فان الربوبية هي التي تعرفونها لكونها أوجدتكم فما صح لاحد تعلق الا بها ولا تذلل الا لها فمن تعبد لحضرة الاحدية فقد تعبد نفسه لغير معروف وطمع في غير مطمع لان الاحدية من خصائص الذات التي تمحق الاغيار فعلم ان ما سوى الله لا أحدية له مطلقا وان المراد بقوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه أحدا المجاز لا الحقيقة لانه خلاف ما يفهمه أهل الله تعالى في تقديرهم المعاني وان كانت لفظة الاحدية جاءت ثابتة الاطلاق على ما سواه تعالى كما في هذه الآية ويؤيد ما قررناه قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد أي لا يشاركه أحد في صفة الاحدية * قال الشيخ محيي الدين وأما الواحد فقد نظرنا في القرآن فلم نجده أطلقه على غيره كما أطلق الاحدية وما أنا منه على يقين فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحدية ويكون اسما للذات علما لا صفة كالاحدية اذ الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت على ما سوى الله كما مر انتهى * فان قيل قد أجمعوا على ان كل صادق ناج ومعلوم ان المشرك صادق في انه مشرك فلم لا ينفعه صدقه * فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة من الفتوحات ان الصدق لا ينجي صاحبه الا ان وافق الحق فان النميمة والغيبة قد يكونان صدقا ومع ذلك فهما محرمتان ولذلك قال تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم يعني هل أمرهم الحق بذلك الصدق أم نهاهم عنه فكل حق صدق وليس كل صدق حقا * فعلم ان المشرك صادق في انه مشرك وما هو صادق في ان الشركة في الالوهية صحيحة وقد بحث هو بالادلة الشرعية والعقلية فلم يجد لما ادعاه عينا فانتفى الصدق انتهى * فان قيل فهل يصح ان

الانسان ونزه جميع العبد الى ربه في كونه هو المقدر عليه ذلك فيتوب تعالى عليه قال والالهام بالفجور من باب كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا فالنفس محل قابل لما تلهمه من الفجور والتقوى فتميز الفجور لتجتنبه والتقوى فتسلك طريقها فليست النفس امارة بالسوء من حيث ذاتها لان مرتبتها المباح الشرعي لا تتعداه وأما قول الله ان النفس لامارة بالسوء فليس هو حكم الله تعالى وانما حكى تعالى ما قالته امرأة العزيز في مجلس العزيز وهل أصابت في هذه الاجابة أم لم تصب هذا حكم آخر مسكوت عنه فبطل التمسك بظاهر هذه الآية والدليل اذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به والله أعلم * وقال في الباب التاسع والخمسين في حديث الدجال يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قد توهم بعضهم ان هذا التطويل انما هو من شدة الاهوال في ذلك الزمان وليس كذلك فان تمام الحديث قد رفع الاشكال بقول عائشة رضي الله تعالى عنها فكيف نفعل في الصلاة في ذلك اليوم قال اقدروا له فلولا أن الامر في حركات الافلاك باق على ما هو عليه لم يختل ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التي يعلم بها الاوقات في أيام الغيم اذ لا ظهور في

يتبرأ الحق تعالى من الشريك من حيث انه عدم لا وجود له في نفس الامر * فالجواب ما قاله الشيخ في الباب الحادي وثلثمائة انه لا يصح ان يتبرأ الحق تعالى من الشريك لانه عدم وانما تبرأ من المشرك من حيث انه اتخذ آلهة من دون الله بغير سلطان أتاه ثم المراد بتبريه تعالى من المشرك ذمه وبغضه والا فلو تبرأ منه حقيقة فمن كان يحفظ عليه وجوده فحكم البراءة منه حكم صفة تنزه الحق عنها الا ان متعلق البراءة عدم انتهى * وقال في الباب الخامس والاربعين وثلثمائة لا تصح الشركة بالله أبدا لان شرط صحتها عدم تمييز الانصباء والامور كلها معينة عند الله تعالى في هذا الشيء المسمى مشتركا * وقال في الباب الثاني والسبعين لا تصح الشركة في الوجود لانه كله فعل واحد فما للشركة مصدر تصدر عنه فتحقق يا أخي هذا التنبيه في الشركة فانه بعيد أن تسمعه من غيري وان كان يعرفه فانه يغلب عليها الجبن الذي فطر عليه فينفرع من حيث كون الحق تعالى أثبت الشركة وصفا في المخلوق وأنه يشرك بربه وما شعر هذا بقوله أنا أغنى الشركاء عن الشرك فلم يقل ان الشركة صحيحة ولا ان الشريك موجود فالعبد هو الذي أشرك وما في نفس الامر شركة لان الامر من واحد هذا هو الحق الذي ان قلته لا تغلب وما سوى ذلك فهو مثل يضرب مثل فرض المحال وجوده موجودا انتهى وأطال في ذلك (فان قيل) فهل كل كافر مشرك كما ان كل مشرك كافر أم لا (فالجواب) ما قاله في الباب الخامس والسبعين ومائتين أن كل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا فاما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الاله وأما شركه فلانه نسب الالوهية الى غير الله مع الله وجعل لها نسبتين فاشرك وأما وجه كونه لا يلزم أن يكون كل كافر مشركا فهو ان الكافر هو الذي يقول ان الاله واحد غير انه أخطأ في تعيين الاله كما قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ما قال لقد أشرك الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم فكفره من حيث انه جعل ناسوت عيسى الها كما انه يكفر أيضا بكفره بالرسول أو ببعض كتابه وكفره هذا على وجهين (الاول) أن يكون كفره بما جاء من عند الله مثل كفر المشرك في توحيد الله (الثاني) أن يكون عالما برسول الله وبما جاء من عند الله انه من عند الله ثم ستر ذلك عن العامة والمقلدة من أتباعه كما وقع لقيصر ملك الروم وأطال في ذلك (فان قيل) من أين جاء للناس اعتقاد الشريك مع الله تعالى مع انهم كلهم أجابوا بالاقرار بالربوبية لله وحده يوم ألست بربكم (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلثمائة انهم ما ادعوا الشريك مع الله تعالى حتى حجبوا عن ذلك المشهد فلما حجبوا حكمت عليهم الاوهام بوجود الشريك مع أنه عدم في نفس الامر فانه لو صح شريك للحق ما صح من العباد الاقرار بالربوبية لله تعالى عند أخذ الميثاق ولو صح وجود شريك له فيهم ما صح اقرارهم بالملك له وحده هنالك فان ذلك الموطن كان موطن حق من أجل الشهادة فنفس اطلاقهم الملك له بأنه تعالى ربهم هو عين نفي الشريك قال الشيخ وانما قلنا ذلك من طريق الاستنباط لانه لم يجر هنا التوحيد لفظا أصلا وانما المعنى يعطيه فعلم أن الشريك منفي من الاصل والسلام (فان قيل) فاذن المشرك جاهل بالله تعالى على الاطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائتين نعم اذ الشركة لا تصح بوجه من الوجوه ولا يكون الايجاد بالشركة قط قال الشيخ ولهذا لم تلحق المعتزلة بالمشركين لانهم انما وجدوا أفعال العباد للعباد فما جعلوهم شركاء لله تعالى وانما أضافوا الفعل اليهم عقلا وصدقهم الشرع على ذلك كما ان الاشعرية وجدوا أفعال الممكنات كلها لله تعالى من غير تقسيم عقلا وساعدهم الشرع على ذلك أيضا لكن ببعض محتملات وجوه ذلك الخطاب ولم يجعلهم من المشركين بل قالوا ان الله تعالى خالق كل شيء * قال ولكن لا يخفى أن ما ذهبت اليه الاشاعرة أقوى عند أهل الكشف مع ان كلا من الطائفتين أصحاب توحيد شرعي انتهى * وقال في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به أي لان الشريك عدم لا وجود له كما يتيقنه المؤمن بايمانه واذا كان عدما فلا يغفره الله اذ الغفر والستر لا يكون الا لمن له وجود والشريك عدم فما ثم من يستر فهي كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به أي

ذلك اليوم للشمس فانه في أول خروج الدجال تكثر الغيوم وتتوالى بحيث انه يستوى في رأى العين وجود الليل والنهار قال وهو من الاشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا وبين السماء والحركات كما هي فتظهر الحركات التي عملها أهل علم الهيئة ومجاري النجوم فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلاة بلا شك قال ولو كان ذلك اليوم الذي هو كسنة يوما واحدا لم يلزمنا أن نقدر للصلاة بل كنا ننتظر زوال الشمس فما لم تزل الشمس لا نصلي الظهر المشروع ولو أقامت بلا زوال مقدار عشرين سنة وأكثر لم يكلفنا الله غير ذلك قال وقد اختلف الناس في معقول لفظة الزمان ومدلولها فاكثر الحكماء على أنه مدة متوهمة تقطعها حركات الافلاك والمتكلمون على أنه مقارنة حادث بسئل عنه بحادث والعرب يريدون به الليل والنهار قال وهو مطلوبنا في هذا الباب والله أعلم * وقال في الباب الثامن والستين انما شرط بعضهم القصد الذي هو النية في التراب دون الماء لان الماء سر الحياة فهو يعطي الحياة بذاته سواء قصد أو لم يقصد بخلاف التراب لانه كثيف لا يجري على العضو ولا يسري في وجه القصد فافتقر للقصد الخاص بخلاف

لانه لا وجود للشريك ولو كان له وجود لكان للمغفرة عين تتعلق بها وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والاربعين وثلثمائة اعلم ان الشرع قد يتبع العرف فى بعض المواضع كما فى قوله تعالى ولم يكن له شريك فى الملك فنفى الشريك مع أنه لا وجود له فى الشرع ولكن لما ثبت اسم الشريك فى العرف العام تبعه الشرع فى ذلك ليفهم عنه الحكم فانه صلى الله عليه وسلم جاء بلسان قومه وهو ما تواطؤا عليه انتهى (فان قيل) فهل فى الجن الخالدين فى النار من يشرك كالانس (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة انه ليس فى الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وان كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس ولذلك قال تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فليتأمل (فان قيل) فاذا كان مذهب الاشعرية لا بد فيه من اضافة الفعل للعبد فكيف يصح التوحيد الخالص لله تعالى (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين وماتئين وانه يجب على الانسان أن ينزه به عن الشريك لا عن الشركة فى الفعل والملك لاجل صحة التكليف فان للعبد فى الفعل والملك شركة لكن من خلف حجاب الاسباب كالنجار تضاف اليه الصنعة وهو لم يعمل التابوت بيده فقط وانما عمله بآلات متعددة من حديد وخشب فهذه أسباب النجارة ولم يضف عمل التابوت الى شئ منها انتهى (فان قيل) فما الفرق بين من يقول بالاسباب وبين من قال عن الاوثان ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهلا كان يكفر من وقف مع الاسباب كما يكفر من عبد الاوثان (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثانى والسبعين فى الكلام على الحج اعلم ان عباد الاوثان قد اجتمعوا معنا فى كوننا ما عبدنا الذات لكونها ذاتا بل لكونها الها وانما افترقنا فى الاسم فانا وضعنا الاسم على حقيقة مسماه ونسبنا ما ينبغى لمن ينبغى فهو الله حقا الاله الا هو وأولئك وضعوا الاسم على غير مسماه فأخطؤا فسمينا نحن علماء سعداء وأولئك سموا جهلاء أشقياء فنحن عباد المسمى والاسم مندرج فيه وهم عباد الاسم لا المسمى كما قال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها فالمؤمن يسجد لله طوعا والمشرك يسجد لله كرها لانه عبد الوثن فتبرأ الوثن منه فوقعت عبادته لله تعالى كرها على رغم أنفه * وقال فى الباب السبعين من الفتوحات اعلم انه لم يقبل توحيد المشركين شرعا فى قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى لان الدليل يضاد المدلول والتوحيد المدلول والدليل مغاير له فلا توحيد انتهى (فان قيل) فهل ثم علة أخرى فى برهان التمانع غير الفساد فى قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين ان علة منع وجود الهين كون الحق تعالى لا مثل له فلو صح أن يكون فى الوجود الهان لصح أن يكون له تعالى مثل وذلك محال لان الله تعالى نفى أن يكون له مثل بخلاف الاسماء فانه يصح اجتماعها فى عين واحدة لعدم التشبيه بالكون قال وانظر الى التفاحة مثلا كيف خلقها الله تعالى تحمل لونا وطعما ورائحة فى جوهر واحد ويستحيل وجود لونين أو طعمين أو ريحين فى ذلك الحيز قال ومن هنا يفهم معنى كون الحق تعالى يسمى بالظاهر والباطن دون الظاهرين أو الباطنين انتهى * وقال فى الباب الاحد والثمانين ومائة انما كان المريد لا يفلح قط بين شيخين قياسا على عدم وجود العالم بين الهين وعلى عدم وجود المكلف بين رسولين وعلى عدم وجود امرأة بين رجلين انتهى * وقد قيل للشيخ محيى الدين رحمه الله ان الاله الذى جاء بوصفه ونعته الشارع لا يدرك كنهه لمباينته لخلقه فهل هو غير الاله الذى أدركه العقل وأحاط به علمه أم هو عينه ولكن قصر العقل عن الاحاطة به * فأجاب الشيخ فى الباب السابع والستين من الفتوحات بما نصه ان الاله الذى أدركه العقل ليس هو عين الاله المنزه المقدس لان الاله الذى جاء بوصفه ونعته الشارع لا يقبل اقتران محدث به وقد قرن بهذا الاله محمد رسول الله فى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فعلم ان التوحيد من حيث ما يعلمه الله ما هو التوحيد الذى أدركه النظر العقلى اذ الاله الذى دعا الشرع الى عبادته لا يعقل كنهه لمخالفته سائر الحقائق وأطال فى ذلك فليتأمل ثم قال ومن عرف

ما

الماء فانه تعالى قال اغسلوا ولم يقل تيمموا ماء طيبا مثل ما قال فى التراب صعيدا طيبا قال فان قالوا انما الاعمال بالنيات وهو القصد والوضوء عمل قلنا لهم ما تقولون ونحن نقول به ولكن النية هنا متعلقها العمل لا الماء والماء ما هو العمل والقصد هنالك للصعيد فيفتقر الوضوء لهذا الحديث للنية من حيث ما هو عمل بماء فالماء تابع للعمل والعمل هو المقصود بالنية وهنالك القصد للصعيد الطيب والعمل به تبع فيحتاج الى نية أخرى عند الشروع فى الفعل كما يفتقر العمل بالماء فى الوضوء والغسل وجميع الاعمال المشروعة الى الاخلاص المأمور به وهو النية وأطال فى ذلك وقد تقدم ماله تعلق بالنية أيضا فى الباب الثالث والثلاثين فراجعه فيه وقال فيه أجمع أهل العلم فى كل ملة ونحلة على أن الزهد فى الدنيا وترك جميع حطامها والخروج عما بيده منها أولى عند كل عاقل وأما المال الذى فيه شبهة تقدح به فليس له امساكه وهذا هو الورع ما هو الزهد وأطال فى ذلك * وقال فيه انما كان الاستغفار ثلاثة أعوام فما فوقها من الاوتار لان الجرة هى الجماعة والوتر هو الله فلا يزال الوتر الذى هو الحق مشهود الخلائق ولو فى حال الاستغفار وأطال فى ذلك

ما قررناه علم أن الإله الذي أدركه العقل لا يحتاج إلى تأويل شيء من صفاته التي أدركناها بعقولنا وتنزل الحق تعالى فيها للعقول إنما فيصح وصفه بالاستواء والنزول والمعية والتردد وغير ذلك من غير تأويل انتهى

* قلت فما احتاج إلى تأويل إلا من ظن أن الإله الذي كلفنا الله بمعرفته ليس هو صاحب الصفات المقدسة التي لا تعقل وذلك أن الحق تعالى له مرتبتان مرتبة هو عليها في على ذاته ومرتبة تنزل منها للعقول عباده فما عرف الخلق منه إلا الرتبة التنزل لا غير لأن الله تعالى لم يكلف الخلق أن يعرفوه تعالى كما يعرف نفسه أبدا ولو كلفهم بذلك لأدى إلى الإحاطة به كما يحيط هو بنفسه وذلك محال إذ ساوى علم العبد وعلم الرب حينئذ انتهى * وقد قال الشيخ أيضا في الباب الثاني والسبعين إن التنزيه سمع في الشرع ولم يوجد في العقل انتهى

*وقد أنشد سيدي محمد وفا رضي الله تعالى عنه في هذا المعنى

عقال عقلك بالأوهام معقول * فقلب القلب منك القال والقيل

نحت بالفكر معبودا وقلت به * وصنت عقدا بكف الحق محلول

قد عشت قبلك دهرا في مكابدة * ولي فؤاد بهذا الداء معلول

انتهى * فعلم أنه ما ترقى عن الأوهام إلا الأنبياء وكمل ورثتهم من الأولياء والعلماء فهؤلاء هم الذين خرجوا عن الأوهام في الله عز وجل ولذلك لم ينقل عنهم تأويل صفات الله لأنفسهم وإنما أولوها لأتباعهم لقصور عقولهم فكان من جملة رحمة الله تعالى بعامة عباده التنزل لعقولهم بضرب من التشبيه الخيالي ومخاطبتنا منه لنعقل عن أمره ونهيه فإذا تعقلنا ما خاطبنا به ذهبت المثل المتخيلات كأنها جفاء وبقي معناها العلم وهذا نظير ما نزل البنا من كلامه القديم المنزه عن الحروف والأصوات فإنا لا نتعقله إلا إن كان بصوت وحرف ولو أنه كشف عنا الغطاء لوجدناه بغير صوت ولا حرف كما أن الحق تعالى إذا تجلى يوم القيامة يراه بعض الناس في صورة ولو أنه حقق النظر لم يجد للحق صورة ونظير ذلك أيضا السراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا * وقد ذكر الشيخ في الباب الثاني والسبعين أن للحق أن يناقش الموحدين ويقول لهم فيماذا وحدتموني ولماذا وحدتموني وما الذي اقتضى لكم توحيدي فإن كنتم توحدوني في المظاهر فأنتم القائلون بالحلول والقائلون بالحلول غير موحدين لأنهم أثبتوا أمرين حالا ومحلا وإن كنتم وحدتموني في الذات دون الصفات والأفعال فما وحدتموني لأن العقول لا تبلغ إليها والخبر لم يجئكم بها من عندي وإن كنتم وحدتموني في الألوهية بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية مع اختلاف النسب فبم وحدتموني هل بعقولكم أو بي فكيفما كان ما وحدتموني لأن وحدانيتي ما هي بتوحيد موحد لا بعقولكم ولا بي فإن توحيدكم إياي بي هو توحيدي وتوحيدكم بعقولكم هباء منثور كيف تحكمون على حكم من خلقتم ونصبته وإن كان الذي اقتضى توحيدي هو وجودكم فأنتم تحت حكم ما اقتضاه منكم فقد خرجتم عني فأين التوحيد وإن قلتم إن الذي اقتضى توحيدكم هو أمري فأمري ما هو غيري فعلى يدي من وصل إليكم وإن قلتم إنه وما رأيتموه مني فمن ذا الذي رآه منكم وإن لم تروه مني فأين التوحيد وأنتم تشهدون الكثرة انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الجامع اعلم أن التوحيد المطلوب منا معقول غير موجود والجمع موجود ومعقول ولو أنه تعالى أراد منا التوحيد الخالص الذي ليس معه فيه سواه لما أوجد العالم لكن لما سبق علمه أنه إذا أوجد العالم كان بعض الناس يشرك به وقع ذلك على حكم ما سبق به العلم وما ثم شيء خارج عن حكمه وإرادته وأطال في ذلك * ثم قال وهذا هو وجه استناد وجود الشرك في العالم وقد كان تعالى ولا شيء معه يتصف بالوجود لا الشريك ولا المشرك فنشأ الشرك من وجود العالم معه تعالى فما فتح العالم عينه على نفسه إلا وهو موجود مع الحق تعالى فلذلك كان ليس له في التوحيد الخالص ذوق فلما قيل له وحد خالقك لم يفهم هذا الخطاب فكرر عليه القول فقال لا أدري ولا أعقل التوحيد إلا بين اثنين موحد بكسر الحاء وموحد بفتحها وأطال في ذلك * ثم قال في باب الوصايا من الفتوحات

ثم قال أواخر الباب الذي أقول به إن الاستجمار بحجر واحد لا يجزي لأن ذلك نقيض ما سمي به الاستجمار فإن الجمرة هي الجماعة وأقل الجماعة اثنان والثالث يوتره * وقال في الكلام على الرمي من كتاب الحج اعلم أنه لا معنى لمن يرى الاستجمار بالحجر الواحد إذا كان له ثلاثة حروف فإن العرب لا تقول في الحجر الواحد إنه جمرة اهـ فتأمله وحرره والله أعلم * وقال فيه مما يدلك على أن المراد بوجه الشيء حقيقة المسمى وعينه وذاته قوله تعالى ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة فإن الوجوه التي هي في مقدم الإنسان لا توصف بالظن وإنما الظن لحقيقة الإنسان وسيأتي في كلام الشيخ رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه أن المراد وجه الشيء الذي يكنى عنه بعجب الذنب فإنه لا يفنى كما صرحت به الأحاديث وليس المراد به وجهه تعالى كما توهم فإن ذلك لا يحتاج إلى التنبيه عليه والله تعالى أعلم * قلت وسيأتي في الباب الحادي والثمانين وثلثمائة إن شاء الله تعالى في قوله صلى الله عليه وسلم إن عيني تنامان ولا ينام قلبي أي لأنه صلى الله عليه وسلم لما انقلب إلى عالم الخيال ورأى صورته هناك وهو قد نام على طهارة ولم ير أن تلك الصورة أحدثت

اعلم انه لا يعرف التوحيد الذي يستحقه الحق الا الحق وأما نحن فاذا وحدناه فانما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فان توحيد الاستحقاق محال أن يصحبه هم أو حزن أو اختيار أو جبر أو سآمة أو بغض أحد من الخلق لان الوجود كله في قبضة قهره وتصريفه فافهم * وقال في الباب الثاني والسبعين ومائة بعد كلام طويل فاذن التوحيد الشرعي هو التعمل في حصول العلم في نفس الانسان بأن الله الذي أوجده واحد لا شريك له في ألوهيته وأما الوحدة فهي صفة الحق والاسم صفة الاحد والواحد وأما الوحدانية فهي قيام الوحدة بالواحد من حيث انها لا تعقل الا بقيامها بالواحد وان كانت نسبته في التنزيه فهذا هو معنى التوحيد فاذا حصل في نفس العالم أن الله تعالى واحد فهو موحد وأطال في ذلك * (خاتمة) * قال الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات اياكم ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله ولو أخطأوا وجاؤا بقراب الارض خطايا لا يشركون بالله شيأ فان الله يتلقى جميعهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وانما جاز لنا هجر أحد من الذاكرين لله لظاهر الشرع من غير أن نؤذيه أو نزدريه وأطال في ذلك ثم قال واذا عمل أحدكم عملا توعد الله عليه بالنار فليتبعه بالتوحيد فان التوحيد يأخذ بيد صاحبه يوم القيامة لا بد من ذلك والله تعالى أعلم فتأمل في هذا المبحث وأمعن النظر فيه فانك لا تجده في كتاب والله سبحانه وتعالى أعلم والحمد لله رب العالمين

(المبحث الثاني في حدوث العالم)

اعلم ان مسئلة حدوث العالم من معضلات المسائل لقوة شبهة الخلاف فيها بين أهل السنة والفلاسفة وقد انعقد الاجماع من سائر الملل على حدوثه كما سيأتي ايضاحه ان شاء الله تعالى ولنبدأ بنقول محققي المتكلمين في هذه المسئلة ثم بنقول محققي الصوفية رضي الله تعالى عنهم فأقول وبالله التوفيق قال الجلال المحلي محقق أهل الاصول انما كان العالم محدثا لانه يعرض له التغير والاستحالة وكل متغير محدث ولا بد للمحدث بفتح الدال من محدث بكسرها ولا بد أن يكون واحدا ضرورة * قال شيخ الاسلام الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ومعنى قول الجلال المحلي في علة الحدث أنه يعرض له التغير أي على الوجه الذي يشاهد فانا نشاهد تغيرا لحركة بطريان السكون وتغير الظلمة بطريان النور وبالعكس وليس مراده أن مستند كل تغير المشاهدة فان كثيرا من اجزاء العالم لا نشاهده كما في باطن الارضين وما في السموات فالحكم بالتغير فيه مستند الى دليل العقل قال وتمام التقرير لدليل الحدوث المذكور ان يقال العالم أعيان واعراض فالاعراض يدرك تغير بعضها بالمشاهدة في نفس الامر كانقلاب النطفة علقة ثم مضغة ثم لحما ودما وفي الآفاق كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة وسائر ما يشاهد من أحوال الافلاك والعناصر والحيوان والنبات والمعادن وبعضها بالدليل وهو طريان العدم فان العدم ينافي القدم وأما الاعيان فانها لا تخلو عن الحوادث وكل ما لا يخلو عن الحوادث فقدمه محال انتهى (وأما كلام أهل الطريق) فمن آكدهم في هذه المسئلة اطنابا سيدي الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه وها أنا أجلي عليك عرائس كلامه رضي الله تعالى عنه * فقال في أول خطبة الفتوحات الحمد لله الذي خلق الوجود من عدم وأعدمه انتهى أي لان عدم العدم وجود لانه موجود في العلم الالهي ومعلوم العلم قديم من هذه الحيثية وأما من حيث ظهوره للخلق فهو حادث باجماع فمن قال انه قديم مطلقا أخطأ أو حادث مطلقا أخطأ وسيأتي بسط ذلك في المبحث الثاني عشر ان شاء الله تعالى نقلا ونثرا عن الشيخ رحمه الله (فان قيل) فما شبهة من قال بقدم العالم من الفلاسفة (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الثالث والتسعين ومائتين ان شبهتهم وجود الارتباط المعنوي بين الرب والمربوب والخالق والمخلوق فان الرب يطلب المربوب والخالق يطلب المخلوق وبالعكس ولا يعقل كل واحد الا بوجود الآخر (فان قيل) فهل وجد العالم للدلالة على الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين ومائة أنه لم يوجد للدلالة على الحق تعالى لانه لو وجد للدلالة عليه لما صح العلم بالحق تعالى

ما يوجب الوضوء فانه لم يكن جسده المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوأه الذي نام عليه ولهذا يقول ان النوم سبب الحدث ما هو حدث قال ومن حصل له هذا المقام لم ينقض وضوءه بالنوم كالشيخ أبي الربيع المالقي شيخ أبي عبد الله القرشي بمصر لكن كان له هذا المقام يوم الاثنين خاصة اه والله أعلم وقال فيه انما أمر العبد بالاستنشاق بالماء في الانف لان الانف في عرف العرب محل العزة والكبرياء ولهذا تقول العرب في دعائها أرغم الله أنفه فقد فعل كذا وكذا على رغم أنفه والرغام هو التراب أي أنزلك الله من كبريائك وعزك الى مقام الذل والصغر فكنى عن ذلك بالتراب فان الارض قد سماها الله ذلولا على المبالغة وأذل الاذلاء من وطئه الذليل ثم ان الكبرياء لا يندفع من الباطن الا باستعمال أحكام العبيد ومن هنا شرع الاستنثار في الاستنشاق فقيل له اجعل الماء في انفك ثم انتثر والماء هنا هو علمك بعبوديتك فاذا استعملته في محل كبريائك خرج الكبرياء من محله وهو الاستنثار * وقال انما أمر العبد أن يستر عورته في الخلوة وان كان الحق تعالى لا يحجبه شيء لان حكمه تعالى في أفعال عبيده من حيث ما هم مكلفون هكذا تبع الشرع فيه العرف * وقال

الغنى عنه ولكان للدليل سلطنة وفخر على المدلول فكان الدليل لا ينتقل عن مرتبة الزهو لكونه أفاد الدال أمرا لم يمكن للمدلول أن يتوصل اليه الا به فكان يبطل غناه تعالى عن العالمين انتهى * وقال أيضا فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة انما سمى العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى فليتأمل مع ما قبله (فان قيل) فهل تصح المناظرة عند من يقول بقدم العالم بينه و بين الحق من سائر الوجوه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين أنه لا تصح المناظرة بين الحق والعالم من سائر الوجوه فان العالم مرتبط بالحق تعالى من حيث استمداده فى وجوده منه فهذا هو الباب الذى دخل منه من قال بقدم العالم على أنه لا يلزم من وجود هذا الارتباط الاتحاد فى نوع ولا شخص ولا جنس فان الله تعالى هو الخالق وله رتبة الفاعلية فى الوجود وأطال فى ذلك * ثم قال فعلم ان المناظرة بين الحق والخلق لا تشمل الوجود العلمى الازلى لارتباط الوجود بالحق تعالى ارتباط عبودية بسيادة حتى فى حال عدم العالم فان الاعيان الثابتة فى العلم الازلى لم تزل تنظر الى الحق تعالى بالافتقار أزلا ليخلع عليها اسم الوجود ولم يزل تعالى ينظر اليها لاستدعائها بعين الرحمة فلم يزل سبحانه وتعالى رب بالناظر حال عدمنا وفى حال وجودنا على حد سواء فالامكان لنا كالوجوب له وأطال فى ذلك ثم قال ومن لم يعتقد هذا الارتباط الذى ذكرناه زلت به قدم الغرور فى مهواة من التلف أى لان الوجود اذا خلا من هذا الارتباط صار قائما بنفسه وذلك محال أما الارتباط الجسمانى فلا يصح بين العبد والرب لانه تعالى ليس كمثله شئ فلا يصح به ارتباط من هذا الوجه أبدا لان الذات له الغنى عن العالمين بخلاف الارتباط المعنوى كما مر فانه من جهة مرتبة الالوهية وهذا واقع بلا شك لتوجه الالوهية على ايجاد جميع العالم بأحكامها ونسبتها واضافتها وهى التى استدعت الآثار فان قاهرا بلا مقهور وقادرا بلا مقدور وخالقا بلا مخلوق وراحما بلا مرحوم صلاحية ووجودا وقوة وفعلا محال ولو زال سر هذا الارتباط لبطلت أحكام الالوهية لعدم وجود من يتأثر فالعالم يطلب الالوهية وهى تطلبه والذات المقدس غنى عن هذا كله * قال الشيخ ومن هذا المبحث ظهر القائلون بقدم العالم فانهم ارتباط الذات بالعالم كارتباط الالوهية التى هى مرتبة للذات لا عين الذات وظهر أيضا من هذا المبحث القائلون بحدوث العالم مع الاجماع من الطائفتين بأن العالم ممكن وان كل جزء منه حادث وانه ليس له مرتبة واجب الوجود لنفسه وانما هو واجب الوجود بغيره اذ الخالق مثلا يطلب مخلوقا ولا بد انتهى (وقال) فى هذا الباب فى قول الامام الغزالى رحمه الله ليس فى الامكان أبدع مما كان هذا كلام فى غاية التحقيق لانه ما ثم لنا الا رتبتان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث فلا يقال هل يقدر الحق تعالى أن يخلق قديما مثله لانه سؤال مهمل لاستحالته انتهى (قلت) ويحتمل أن يكون مراده أنه ليس فى الامكان شئ يقبل الزيادة والنقص على خلاف ما سبق فى العلم أبدا * وقال أيضا فى باب الاسرار الحق تعالى مع العالم مرتبط ارتباط عبودية بسيادة فان مالكا بلا مملوك وقاهرا بلا مقهور لا يصح انتهى * وقال فى لواقح الانوار أيضا اعلم ان كل أمر يطلب الكون فهو من كونه سبحانه وتعالى الها وكل أمر لا يطلب الكون فهو من كونه تعالى ذاتا فهما أتاك من كلام أهل التوحيد فزنه بهذا الميزان يتحقق لك الامر فيه ان شاء الله تعالى انتهى * وقال فيه أيضا ان قيل ما قلتم فيمن كون الالوهية طالبة للذات هو مضاهاة للعلة والمعلول (فالجواب) ان ذلك ليس بمضاهاة للعلة والمعلول لان العلة والمعلول أمران وجوديان عندهم وأما الالوهية فهى عندنا نسبة عدمية لا وجودية فاياك والغلط انتهى * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات لو كانت العلة مساوية للمعلول فى الوجود لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شئ من محدثاته والعلة معقولة وما ثم علة الا وهى معلولة ولو كان الحق تعالى علة لارتبط والمرتبط لا يصح له تنزيه انتهى وقال فيه أيضا ما قال بالعلل الا القائل بأن العالم لم يزل وانى للعالم بالقدم وماله فى الوجود وجوبى قدم لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم واقع ومشهود * وقال فى الباب التاسع والستين العالم

الظاهرة لباطنة للاذنين تكون باستماع القول الاحسن فانه ثم حسن فأحسن فأعلاه حسنا ذكر الله فى القرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله بالقرآن مثل كل آية لا يكون مدلولها الا ذكر الله فانه ما كل آى القرآن يتضمن ذكر الله فانه فيه حكاية الاحكام المشروعة وقصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وان كان فى ذلك الاجر العظيم من حيث ما هو قرآن بالاصغاء الى القارئ اذا قرأه من نفسه أو غيره فعلم ان ذكر الله اذا سمع فى القرآن أتم من سماع قول الكافرين فى الله ما لا ينبغى * وقال فيه أصل مسح الرأس طلب الوصلة بالله ولا تكون الوصلة الا مع شهود الذل والانكسار ولهذا لم يشرع مسح الرأس فى التيمم لان وضع التراب على الرأس من علامة الفراق وهو المصيبة العظمى اذ كان الفاقد حبيبه بالموت يضع التراب على رأسه وسيأتى زيادة على ذلك وأطال فى ذلك * وقال فيه اعلم ان الاستدلال على الاكتفاء بالمسح على العمامة دون الرأس بحديث مسلم فى المسح على العمامة معلول أعله ابن عبد البر وغيره فان المسح فيه قد وقع على الناصية والعمامة معا فقد (٤) الماء الشعر وحصل حكم الاصل فى مذهب من يقول بمسح

كان موجوداً عن عدم ووجوده مستفاد من موجد أوجده وهو الله تعالى فمحال أن يكون العالم أزلي
الوجود لان حقيقة الموجد أن يوجد ما لم يكن موصوفا عند نفسه بالوجود وهو المعدوم لانه يوجد ما كان
موجوداً أزلاً فان ذلك محال فاذن العالم كله قائم بغيره لا بنفسه والسلام * وقال في موضع آخر من هذا
الباب اعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفي الاولية لله تعالى أي لا أول لوجوده بل هو سبحانه عين الاول
لا بأولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها كالاوليات المخلوقة وأطال في ذلك * ثم قال فالحق
تعالى يقال في حقه انه مقدر الاشياء أزلا ولا يقال في حقه موجدها أزلا فانه محال من وجهين (الاول)
هو ان كونه موجداً انما هو بأن يوجد ولا يوجد تعالى ما هو موجود وانما يوجد ما لم يكن موصوفا لنفسه
بالوجود وهو المعدوم ومحال أن يتصف المعدوم بانه موجود أزلا اذ هو انما صدر عن موجد أوجده فمن
المحال أن يكون العالم أزلي الوجود (الوجه الثاني) من المحال وهو أنه لا يقال في العالم انه موجود
أزلا وذلك لان معقول لفظة الازل نفي الاولية والحق تعالى هو الموصوف بذلك فيستحيل وجود العالم بالازل
لانه يرجع الى قولك العالم المستفيد من الله الوجود غير مستفيد من الله الوجود لان الاولية قد انتفت عنه
تعالى بكون العالم معه أزلا انتهى * وقال في كتابه المسمى بالقصد الحق لا يقال العالم صادر عن الحق تعالى
الا بحكم المجاز لا الحقيقة وذلك لان الشرع لم يرد بهذا اللفظ وجل الله تعالى أن يكون مصدر الاشياء لعدم
المناسبة بين الممكن والواجب وبين من يقبل الاولية وبين من لا يقبلها وبين من يفتقر وبين من لا يقبل
الافتقار وانما يقال انه تعالى أوجد الاشياء موافقة لسبق علمه بها بعد ان لم يكن لها وجود في أعيانها ثم
انها ارتبطت بالموجد لها ارتباط فقير بممكن بغني واجب فلا يعقل لها وجود الا به سبحانه وتعالى لان تقدمه
عليها وجودي ولو كان العدم أمرا يشار اليه لكان الممكن صادرا عن الله تعالى فيكون صادرا من موجود
الى وجود ويكون له عين قائمة في الازل وذلك محال انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين وثلثمائة مما
استند اليه القائلون بقدم العالم قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فلو انه تعالى
ما أضاف التكوين اليه تعالى وانما أضافه الى الذي تكون فان الحق أمره بالتكوين فامتثل ولو انه تعالى
أضاف التكوين الى نفسه أو الى القدرة لانتفت الشبهة ثم انهم اضطروا الى أن قالوا ان الحق تعالى تجلى ما
يقبل القول والكلام بترتيب الحروف * قال والحق الذي نقول به ان العالم كله حادث وان تعلق
به العلم القديم انتهى * فهذه نصوص الشيخ محيي الدين رضي الله عنه في قوله بحدوث العالم فكذب من
افترى على الشيخ أنه يقول بقدم العالم وقد كرر الشيخ الكلام على حدوث العالم في الفتوحات في نحو ثلثمائة
موضع وكيف يظن بالشيخ مع هذا العلم العظيم أن يقع في مثل هذا الجهل الذي يؤدي الى انكار الصانع جل
وعلا بل أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال بقدم العالم أو بقدمه أو شك في ذلك هذا مع أن مبنى كتب الشيخ
ومصنفاته كلها في الشريعة والحقيقة على معرفة الله تعالى وتوحيده وعلى اثبات أسمائه وصفاته وأنبيائه
ورسله وذكر الدارين والعالم الدنيوي والاخروي والنشأتين والبرزخين ومعلوم أن من يقول بقدم
العالم من الفلاسفة لا يثبت شيأ من ذلك بل ولا يؤمن بالبعث والنشور ولا غير ذلك مما هو منقول عن
الفلاسفة فقد تحقق كل عاقل ان الشيخ برئ من هذا كله * وقد قال في الباب الخامس والستين من
الفتوحات اعلم أن سبب غلط منكري النبوة من الحكماء قولهم ان الانسان اذا صفى جوهر نفسه من كدرات
الشهوات وأتى بمكارم الاخلاق العرفية انتقش في نفسه ما في العالم العلوي من الصور بالقوة فنطق بالغيوب
واستغنى عن الوسائط قال الشيخ والامر عندنا وعند أهل الله ليس كذلك وان جاز وقوع ما ذكروه في بعض
الاشخاص وذلك انه لم يبلغنا عن أحد من نبي ولا حكيم أنه أحاط علما بما تحتوي عليه ما في كل نفس الى
حين وفاته أبدا بل يعلم بعضا ويجهل بعضا بل لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف
ذلك الا أن يشاء الله فانظر يا أخي كيف غلط الشيخ رضي الله عنه من ينكر النبوة وكيف يظن بالشيخ أنه

البعض * وقال فيه منع
الرجلين بالكتاب وغسلهما
بالسنة المبينة للكتاب قال
والآية تحتمل العدول عن
الظاهر الاعلى مذهب من
يرى أو ينقل عن العرب
أن المسح لغة في الغسل
فيكون من الالفاظ المترادفة
قال ومذهبنا أن الفتح في لام
أرجلكم لا يخرجها عن
الممسوح فان هذه الواو قد
تكون واو المعية تنصب تقول
قام زيد وعمرا وأطال في
ذلك (قلت) قوله ومذهبنا
أي من حيث النحو لا من حيث
الاحكام والله أعلم * وقال
فيه ليس في مقدور البشر
مراقبة الله تعالى في السر
والعلن مع الانفاس فان ذلك
من خصائص الملا الاعلى وأما
رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان له هذه الرتبة لكونه
مشرعا في جميع أحواله فلا
يوجد الا في واجب أو مندوب
أو مباح فهو ذاكر الله بالمباح
فافهم واليه الاشارة بقول
عائشة رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر الله على كل أحيانه
وقال فيه اذا وقع في القلب
خاطر غريب يقدح في الشرع
وجب على الانسان أن يجرد
النظر في ذلك بالعقل دون
الاستدلال بالشرع كالبرهمي
الذي ينكر الشريعة فانه
لا يقبل الدليل الشرعي على
ابطال هذا القول الذي
انتحله فان الشرع هو محل
النزاع بيننا وبينه وهو

برد

برد على أحد شيأ أو يتدين هو به والله ان هذا البهتان عظيم (فان قيل) ان الحكماء تسمى الذات علة الوجود والاشعرية تسمى تعلق العلم بكون العالم أزلا علة فما الفرق بين العبارتين (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الثامن والاربعين من الفتوحات أنه لا فرق بين العبارتين عند المحققين فان الذى هرب منه الاشعرية وشنعوا على الحكماء لاجله وهو قولهم بالعلة يلزمهم في سبق العلم بكون المعلوم فان سبق العلم يطالب كون المعلوم بذاته ولا بد ولا يعقل بينهما كون مقدر ولا يلزم كما لا يلزم مساواة المعلول علته في جميع المراتب اذ العلة متقدمة على معلولها بالرتبة بلا شك سواء أكان ذلك سبق العلم أو ذات الحق ولا يعقل بين الواجب الوجود لنفسه وبين الممكن كون زماني ولا تقدير زماني لان كلامنا في وجود أول ممكن والزمان من جملة الممكنات فان كان أمرا وجوديا فالحكم فيه كسائر الحكم في الممكنات وان لم يكن أمرا وجوديا وكان نسبة فالنسبة حدثت بوجود الموجود المعلول لحدوثها عقلا الاحدوثا وجوديا واذا لم يعقل بين علم الحق وبين معلومه بون زماني فلم يبق الا الرتبة ولا يصح أبدا أن يكون الخلق في رتبة الحق تعالى كما لا يصح أن يكون المعلول في رتبة العلة من حيث ما هو معلول عنها وأطال في ذلك * ثم قال على أن من أدل دليل على توحيد الحق تعالى كونه تعالى علة للعالم عند الحكماء فانه توحيد ذاتي ينتفي معه الشريك بلا شك لكن اطلاق لفظ العلة في جانب الحق تعالى لم يرد بما عندنا شرع فلا نطلقها عليه سبحانه وتعالى انتهى * وقال في الباب الحادى والسبعين وثلثمائة اعلم أنه انما سمى العالم عالما من العلامة لانه الدليل على المرجح انتهى وقد مر ذلك أوائل المبحث وسيأتي آخر المبحث الحادى عشر ماله تعلق بهذا المبحث فراجعه والله سبحانه وتعالى أعلم *(خاتمة)* ان قيل هل اطلع أحد من الخواص على معرفة تاريخ مدة العالم على التحديد من طريق العقل أو الكشف أو الادلة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التسعين وثلثمائة انه لم يبلغنا أن أحدا عرف مدة خلق العالم على التحديد وذلك ان أكثر الكواكب قطعها في الفلك الاطلس الذى لا يكون فيه فلك الكواكب الثابتة والاعمار لا تدرك حركتها لظهور ثبوتها للابصار مع انها سابحة سبحا بطيئا والعمر يعجز عن ادراك حركتها لقصره فان كل كوكب منها يقطع الدرجة من الفلك الاقصى في مائة سنة الى أن ينتهى اليها فالجمع من السنين فهو يوم تلك الكواكب الثابتة فضرب ثلثمائة وستين درجة كل درجة مائة سنة قال وقد ذكرنا في التاريخ المتقدم ان اهرام مصر بنيت والنسر في الاسد وفي نسخة الحمل وهو اليوم عندنا في الجدى فاعمل حساب ذلك تقرب من معرفة تاريخ الاهرام فلم يدر بانيها ولم يدر أمرها على أن بانيها من الناس بالقطع قال الشيخ عبد الكريم الجيلى في شرح كلام الشيخ ومعلوم ان النسر الطائر لا ينتقل من برج الى غيره الا بعد ثلاثين ألف سنة قال وهو اليوم عندنا في الدلو فقد قطع عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك الا بعد ثلثمائة ألف سنة انتهى فلينظر بين كلام الشيخين ويحرر * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله ولقد رأيت وأنا بين النائم واليقظان أني طائف بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فانشدوني بيتين حفظت أحدهما ونسيت الآخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا * بهذا البيت طرا اجمعينا

وتكلمت مع واحد منهم فقال لي أما تعرفني فقلت له لا فقال أنا من أجدادك الاول قلت له كم لك منذ مت فقال لي بضع وأربعون ألف سنة فقلت له ليس لابينا آدم عليه الصلاة والسلام هذا القدر من السنين فقال لي عن أى آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أم عن غيره فتذكرت حديثا روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى خلق مائتي ألف آدم فقلت في نفسي قد يكون الجد الذى نسبني ذلك الشخص اليه من أولئك قال والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك عندنا انتهى * وقال أيضا في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت بادريس عليه السلام في واقعة من الوقائع فقلت له اني رأيت شخصا في الطواف فاخبرني أنه من أجدادى فسألته عن زمان موته فقال لي أربعون ألف سنة فسألته عن آدم لما تقرر عندنا في التاريخ من مدته فقال عن أى آدم تسأل عن آدم الاقرب

لا يثنيه فليس له دواء الا النظر العقلى فنداويه بقولنا النظر بعقلك في المسئلة * وقال فيه الذى أقول به وجوب الوضوء من أكل لحوم الابل لكن تعبدا وهو عبادة مستقلة مع كونه لم ينقض طهارة الآكل له فتصح صلاته بالوضوء المتقدم على الاكل وهو عالم أنه لم يتوضأ من لحوم الابل وقال وهذا القول ما علم أن أحدا قاله قبلى قال وان نوى في هذا الوضوء رفع المانع فهو أحوط قال ودليل من قال ان أكل لحوم الابل ينقض الطهارة ما ورد أنها شياطين والشياطين بعداء عن الله تعالى والصلاة حال قربة ومناجاة فنقضوا الطهارة به * وقال فيه الذى أقول به منع التطهير بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروى فيه ولو أن الحديث صح لم يكن نصا في الوضوء به فانه صلى الله عليه وسلم قال ثمرة طيبة وماء طهور أى قبل الامتزاج والتغير عن وصف الماء وذلك لان الله تعالى ما شرع لنا الطهارة عند فقد الماء الا بالتيمم بالتراب خاصة * وقال فيه الاوجه عندى أن الخف اذا تخرق يمسح عليه ما دام ينطبق عليه اسم الخف وان تفاحش خرقه قال ولا نص في هذه المسئلة صريحا في كتاب ولا في سنة واذا تخرق الخف على قولنا هذا فظهر من الرجل شئ مسح على ما ظهر منه ومن الخف ما دام يسمى خفا * وقال فيه

أم غيره فقال ادريس عليه السلام صدق هذا الشخص اني نبي الله ولا أعلم للعالم مدة يقف عندها والآجال في المخلوقات بانتهاء المدد لا انتهاء الخلق فان الخلق مع الانفاس يتجدد فلم يزل الحق تعالى خالقا ولا يزال دنيا وآخرة فقلت له يا نبي الله عرفني بشرط من اشراط الساعة فقال وجود أبيكم آدم الاقرب من علاماتها فقلت له كان قبل الدنيا دار غيرها فقال دار الوجود واحدة والدنيا ما كانت دنيا الا بكم انتهى * وقال في الباب السابع من الفتوحات اعلم ان عمر الدنيا لا يحصى بآلاف ألوف * وقال في الباب السابع أيضا قد أكمل الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات عند انتهاء أحد وسبعين ألف سنة من خلق العالم الطبيعي ثم قال لما انتهى خلق العالم الطبيعي وانقضى من مدته أربع وخمسون ألف سنة خلق الله هذه الدنيا فلما انقضى من مدته ثلاث وستون الف سنة خلق الله الآخرة التي هي الجنة والنار فكان بين خلق الدنيا وخلق الآخرة تسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة كما سميت الدنيا أولى لانها خلقت قبلها ولم يجعل الله تعالى للآخرة أمدا ينتهي اليه بقاؤها فلها البقاء الدائم قال وخلق الله تعالى آدم بعد ان مضى من عمر الدنيا سبعة عشر ألف سنة ومن عمر الآخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة فخمر الله تعالى طينة آدم اذ ذاك قال وخلق الله الطير والدواب البرية والبحرية والحشرات من عفونات الارض ليصفو الهواء من تلك العفونات التي لو خالطت الهواء الذي أودع الله فيه حياة هذا الانسان وعافيته لكان سقيما مريضا طول مدة عمره فصفى الله تعالى الجو لطفا منه تعالى بتكوين هذه العفونات حيوانات فلذلك قلت الاسقام والعلل انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث في وجوب معرفة الله تعالى على كل عبد بقدر وسعه)

قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * قال ابن عباس الا ليعرفوني فكما تعلقت الرؤية به تعالى فكان مرئيا كذلك تعلقت به المعرفة فكان معروفا لكن ربما يكون معرفة بعض الناس بالله تعالى جهلا بالنسبة لمن هو أعلى منه درجة فلا يصح العلم بالله تعالى من كل وجه ولا الجهل به من كل وجه ولا يخرج الانسان عن الجهل بالحق الا ان عرف الحق تعالى كما يعلم الحق نفسه من غير نقص وذلك محال * وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى مقام المعرفة وهو يجرح عقائد أحد من أهل الفرق الاسلامية من كل وجه فهو كاذب فان من شرط العارف بالله تعالى دخول الحضرة الالهية واذا دخلها رأى عقائد جميع المسلمين شارعة اليها ومتصلة بها كاتصال الاصابع بالكف فأقر عقائد جميع المسلمين بحق وكشف ومشاهدة ولو من بعض الوجوه وانما منع الاشياخ المريد من الاجتماع بغيرهم من الاشياخ ليختصر له الطريق فان حكم طريق كل شيخ كالاصبع المتصلة بالكف فاذا سلك الانسان مقدار عقدة ثم انتقل الى شيخ آخر فسلك على يديه مقدار عقدة ثم انتقل الى آخر فسلك على يديه مقدار عقدة فقد أوقف نفسه عن السير ولو انه جعل سلوك تلك العقد كلها على يد شيخ واحد لكان دخل حضرة الكف فان كل أصبع ثلاث عقد فنفد عمره وهو في أول عقدة من سائر الطرق فهذا سبب منع الاشياخ مريدهم أن يشرك معهم في السلوك غيرهم انتهى * ثم اعلم ان المعرفة عند أئمة الاصول هي العلم بالله تعالى وصفاته الذاتية والمعنوية فهذا هو المطلوب من معرفة الصانع جل وعلا اذ الذات مجهولة من حيث الاحاطة بها (فان قيل) فما الحق المطلق والصدق المحض (فالجواب) ان الحق المطلق هو الله والصدق المحض هو معرفته تعالى والاقرار بوحدانيته (فان قيل) فما الدليل على كون معرفة الحق تعالى واجبة (فالجواب) ان دليل ذلك كون المعرفة من الامور التي تصل العقول اليها فان الانسان اذا دهاه أمر وضاقت به المسالك فلا بد أن يستند الى الله بتأله اليه ويتضرع نحوه ويلجأ اليه في كشف بلواه ويسمو قلبه صعودا الى السماء ويشخص ناظره اليها من حيث كونه ابتلاه دعاء الخلائق أجمعين فيستغيث بخالقه وبارئه طبعا أو جبلة لا تكلفا وحيلة ومثل ذلك قد يوجد في الوحوش والبهائم أيضا فانهم الظاهرة الخوف والرجاء رافعة رؤسها الى السماء عند

يستحب لقارئ القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتتبعها فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ البصر حظه من النظر واليد حظها من المس قال وهكذا كان يتلو ثلاثة من أشياخنا منهم عبد الله بن المجاهد * وقال في المضمضة والاستنشاق في الغسل الذي أقول به ان الغسل لما كان يتضمن الوضوء كان حكمهما الوجوب من حيث انه متوضئ في اغتساله لا من حيث انه مغتسل فانه ما بلغنا انه صلى الله عليه وسلم تمضمض واستنشق في غسله الا في وضوئه فيه وما رأيت أحدا نبه على مثل هذا في اختلافهم في وجوبهما أو استحبابهما فالحكم فيهما عندي راجع الى حكم الوضوء والوضوء عندنا مؤكد في الاغتسال من الجنابة وأطال في ذلك * وقال فيه الكذب لغير علة شرعية حيض النفوس ولعلة شرعية دم استحاضة لا يمنع من الصلاة بخلاف الاول فانه خارج في حال الصحة ولذلك شدد فيه قال والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس وذلك ان الله ما أمسكه بقدرته في الرحم ثم أرسله الا ليراق طريق الولد رفقا بامه فكان خروج هذا الدم مبينا على خروج الذاكر لله عز وجل من جهة وصف خاص قال واعلم انما تعود أحد الكذب على

نفسد ان الكلاء والماء واحساسها بالهلاك والفناء وكذلك شاهدنا الاطفال عند البلوى يرفعون سجتهم نحو السماء هذا كله مركوز في جبلة الحيوانات فضلا عن الانسان العاقل وهي الفطرة المذكورة في القرآن والحديث ولكن أكثر الناس قد ذهلوا عن ذلك في حالة السراء وانما يردون اليه في الضراء قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه (وحكى) ان رجلا أنكر الصانع عند جعفر الصادق ففتح له باب الاستدلال فلم يصغ اليه فقال هل ركبت السفينة قط قال نعم انكسرت بنا مرة فطلعت على لوح الى الساحل فانفلت مني اللوح حين طلعت الى الساحل فقال له جعفر لما ذهب عنك اللوح كنت ترجو السلامة ممن حين ذهب اعتمادك على الاسباب فسكت الرجل فقال له جعفر الذي رجوت السلامة منه هو الله الذي خلقك فأسلم الرجل (فان قيل) قوله صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجائز فيه نهي عن الاستدلال العقلي أم لا (فالجواب) ليس في ذلك نهي عن الاستدلال العقلي وانما هو تنبيه على استصحاب تلك الحالة التي غفل عنها أصحاب السلامة من الاحداث والشبان * ونقل الشيخ أبو طاهر القزويني انه رأى في كتاب ديانات العرب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمران بن حصين كم لك من اله فقال عشرة قال فمن لغمك وكربك والامر العظيم اذا نزل بك ودهاك فقال الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فمالك يا ابن حصين من اله الا الله فأسلم * ومن هذا القبيل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين وأيضا فان عامة الناس في جميع أقطار الارض دعت أنفسهم الى الاعتراف بأن لهم خالقا من غير معلم ولا ثبات حجة عندهم ولا اصطلاح وقع بين كافتهم من الاتراك والاكراد وأهل البوادي وأقاصي الهند والصين وأهل الجزائر الذين لم يبلغهم داع الى الاسلام ولا الى الشرك فانهم استغنوا بشهادة أنفسهم على الاعم الاغلب بالخالق لكثرة ما وجدوا من استجابة دعائهم بدعوتهم ودرك المداعي ومفاجأة الفرج في حوادث عظام دهمتهم بعد القنوط عن السلامة وربما جربوه من الرؤيا الصادقة والفأل والزجر وبخلاصهم من أيدي الاعداء في مواضع لا ناصر لهم من الخلق فيها وبحدوث نوادر وعجائب شاهدوها في الآفاق وفي أنفسهم فكانت نفوسهم شهدت بالاله الحق جل جلاله وذلك قوله تعالى قالت لهم رسلهم أفي الله شك ورأى اعرابي مرة ثعلبا بال على صنم كان يعبده فقال

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب
برئت من الاصنام والشرك كله * وأيقنت أن الله لا شك غالب

وهذا كله قريب من الضروريات ولذلك قال بعضهم المعرفة ضرورة فالناس كلهم يشيرون الى الصانع جل وعلا وان اختلفت طرائقهم وعلاهم ولا يجهلون سوى كنه الذات ولذلك لم يأت الانبياء والرسل ليعلمونا بوجود الصانع وانما أتونا ليدعونا الى التوحيد قال تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله والخلق انما أشركوا بعد الاعتراف بالموجود لما اعتقدوه من الشركاء لله تعالى أولا في واجب من صفاته أولا ثبات مستحيل منها أولا نكارهم النبوات * ولما فتح السلطان محمود بن سبكتكين رحمه الله بلاد سومنات الهند أتى اليه براهب قد طعن في السن وكان يمهمهم ويزمزم بكلمات فسأل السلطان الترجمان عما يقوله فذكر انه يقول الله الله فقال للترجمان قل له وأنتم تعرفون الله تعالى فتكلم بالهندية شيأ فقال الترجمان يقول الخطوط المستقيمة من المحيط الى المركز متساوية ٣ وهذا مثاله على الهامش فعلم ان الانبياء لو جاؤنا ليعلمونا بوجود الصانع ما قال تعالى فاعلم أنه لا اله الا الله وانما كان يقول فاعلم ان لك الها وكذلك القول في قوله تعالى وليعلموا أنما هو اله واحد (فان قيل) فلاي شيء سلك أهل الاصول طريق الاستدلال على هذا (فالجواب) انما سلكوا ذلك قطعا للاطماع التي تشرئب الى ذلك كالاستدلال بامكان الممكنات على مرجح ونحو ذلك والا فهم يعلمون ان ما شهدت به الفطرة أقرب الى الخلق وأسرع تعقلا لان الممكن الخارج والحادث الدال على محدث موقوفان

الناس الا واسند رحمه ذلك حتى يكذب على الله ورسوله واعلم ان الكذب لغرض صحيح شرعي لا يقدح في العدالة بل هو منصوص فيها او أغلب الكمل من الرجال قال وأما امتناع حبيب العجمي من الكذب لما طلب الحجاج الحسن البصري ليقتله فكان خوفا من اطلاق اسم الكذب عليه فحبيب كان رجلا ساذجا ولكل مقام رجال وقال والذي أقول فيه أنه لا يجوز لاحد أن يصدق فيما يضر الناس الا أن يكون له حال يحمي من غلبه ذلك الظالم وعلى ذلك يحمل حال حبيب العجمي والله أعلم * وقال فيه ينبغي لكل عالم أن لا يلقي علمه الا في محل قابل لذلك العلم عطشان اليه فان لم يجد من هو بهذه المثابة فليتربص حتى يجد لعلمه حاملا على هذا الوجه ويحتاج الى صبر شديد * وقال فيه ينبغي أن يقيد قول من قال لا تجب النية في التيمم بمن نشأ في الاسلام اما الكافر اذا أسلم فانه لابد له من نية قطعا لانه لم يكن عنده شيء من القربة الى الله قبل اسلامه بل كان يرى ان ذلك كفر والدخول فيه يبعد عن الله عز وجل * وقال فيه الذي أقول به ان الطهارة بالتيمم ليست بدلا من الوضوء والغسل وانما هي طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع ولم يرد لنا شرع ان التيمم بدل فلا فرق بين التيمم وبين كل طهارة

على النظر الصحيح وتلك داعية ضرورية من الناظر قال تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه أمن يبدأ الخلق ثم يعيده أمن جعل الارض قرارا الى غيرها من الآيات التى كلها اسئلة هي امات تقرير كانه تعالى يقرر على عباده شيأ فطرهم على ذلك الشئ ومثله قوله تعالى ألست بربكم وقوله أفي الله شك ولهذا ورد مرفوعا ان الله تعالى خلق العباد على معرفته فاجتالهم الشيطان عنها فما بعثت الرسل الا للتذكير بتوحيد الفطرة وتطهيره عن تسويلات الشيطان بالاستدلالات النظرية والدلائل العقلية وبه توجهت التكاليف على العقلاء وكان امام الحرمين رحمه الله يقول اذا سئل عن معرفة الذات هذا أمر تاهت فيه العقول وانما يعلم بالدليل وجوده تعالى وما يجوز عليه وما يجب له وما يستحيل عليه بلا تحييث ولا تمييز وليس الا وجهه العزيز فان الركون الى معتقد محصل جهل والعدول عن الاستدلال بالصنع تعطيل وليس الى درك حقيقة الحق تعالى سبيل انتهى قال الامام أبو طاهر القزويني رحمه الله فقول الامام بلا تحييث اشارة الى نفي المكان ولا يقال انه تعالى حيث العرش ولا حيث الكرسي وقوله ولا تمييز أي لان التمييز انما يكون بين الجنسين أحدهما امتاز عن الآخر بوصف وذات الله تعالى لا جنس لها فلا تتمايز بشئ عن جنسها وانما يتمايز الاشياء عنه تعالى بالحدوث ومعنى قوله معتقد محصل أي محاط به ينتهي الفكر اليه بالاحاطة وفي الحديث مرفوعا كلكم في ذات الله حمقى والله تعالى أعلم * وذكر الانصاري في نكت الادلة ان القاضي أبا بكر الباقلاني أثبت لله تعالى أخص وصف لا سبيل لاحد من الخلق الى ادراكه ثم قال وقد أشار أبو اسحق الاسفرايني الى هذا المعنى وقال امام الحرمين للعقل مزية فلا يبعد ان يكرم الله بعض العقلاء بمزية يدرك بها حقائق الذات اذ قال تعالى وقل رب زدني علما انتهى ولعله يعني بالمزية كمال قوة زائدة في النظر قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله تعالى وأخشاكم منه وسيأتي في المباحث الآتية ما يعلم به يقينا عجز الخلق كلهم عن ادراك الذات وما كلف الله العبد الا بتلاوة التوحيد على لسانه بقوله لا اله الا الله وبه عرف الامام مالك وغيره التوحيد فاعلم ذلك فهذه مقالات المتكلمين * وأما مقالات الصوفية فهي واسعة جدا ولكن نذكر منها بعض نكت لان المعرفة المطلوبة عند القوم لا تكون الا بالسلوك على يد شيخ عارف بالله تعالى فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة ما نصه اعلم أنه لا يصح وصف أحد بالعلم والمعرفة الا ان كان يعرف الاشياء بذاته من غير امر آخر زائد على ذاته وليس ذلك الا الله وحده وكل ما سواه فعلمه بالاشياء انما هو تقليد لامر زائد على ذاته واذا ثبت ذلك فليقلد العبد ربه سبحانه وتعالى في العلم به وايضاح ذلك اما من أن العبد لا يعلم شيأ الا بأمر زائد على ذاته أن الانسان لا يعلم شيأ الا بقوة من قواه التى أعطاها الله تعالى له وهي الحواس والعقل فالانسان لابد أن يقلد حسه فيما يعطيه وقد يغلط وقد يوافق الامر على ما هو عليه في نفسه أو يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة أو نظر والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح ومنه فاسد فيكون علمه بالامور بالاتفاق فما ثم الا تقليد واذا كان الامر على ما قلناه فيجب على العاقل اذا طلب معرفة الله تعالى أن يقلده فيما أخبر به عن نفسه على ألسنة رسله ولا يقلد ما تعطيه قواه وليسع بكثرة الطاعات حتى يكون الحق تعالى سمعه وبصره وجميع قواه كما ورد وهنالك يعرف الامور كلها بالله ويعرف الله بالله فلا يدخل عليه بعد ذلك جهل ولا شبهة ولا شك ولا ريب فقد نبهتك يا أخي على أمر ما طرق سمعك أبدا فان العقلاء من أهل النظر يتخيلون انهم صاروا علماء بالله تعالى بما أعطاهم النظر والحس والعقل وهم في مقام التقليد لقوتهم وما من قوة الا ولها غلط قد علموه ومع هذا فقد غلطوا أنفسهم وفرقوا بين ما يغلط فيه الحس والفكر والعقل وبين ما لا يغلط فيه وما يدريهم لعل الذي جعلوه غلطا يكون صحيحا فلا يزيل هذا الداء العضال الا أخذ العلم بكل معلوم عن الله عز وجل لا عن غيره وهو تعالى عالم بذاته لا بأمر زائد فلابد أن يكون عالما بما يعلمه به سبحانه وتعالى لانك قلدت من يعلم ولا يجهل وليس مقلد في علمه سبحانه وتعالى وكل من قلد غير معصوم دون الله تعالى فهو مقلد ان يدخله الغلط وتكون اصابته بالاتفاق فاشتغل يا أخي بما أمرك الله تعالى

مشروعة قال وانما قلنا مشروعة لانه ليست بطهارة لغوية فانها بدل وانما هي عبادة مشروعة مخصوصة مبينة لحال مخصوص شرعها الذي شرع استعمال الماء لهذه العبادة المخصوصة وهو الله ورسوله فهي ناشئة عن استخراج الحكم في تلك المسئلة من نص ورد في الكتاب أو السنة يدخل الحكم في هذه المسئلة في مجمل ذلك الكلام وهو الفقه في الدين قال ولا يحتاج فيها الى قياس وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال فيه الذي أقول به انه لا يشترط الطلب للماء في صحة التيمم بل اذا فقده تيمم وقال جماعة لابد من الطلب ويبنى ذلك على ان المقلد هل يلزمه البحث عن دليل من قلده في الاصول أو الفروع فمن قال لا يشترط طلب الماء قال لا يلزم المقلد البحث ومن قال يشترط طلب الماء قال يلزم المقلد أن يسأل المسؤل عن دليل ما أفتاه به من كتاب أو سنة وأطال في ذلك وقال الذي أقول به ان حديث الضربة الواحدة في التيمم اثبت من حديث الضربتين قلت ذكر الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة ما نصه اعلم أن من شرف الانسان ان الله تعالى جعل له التطهر بالتراب وقد خلقه الله من تراب فأمره بالتطهر بذاته تشريفا له ولذلك أبقى النص على التطهر

به و بالغ فى فعل الطاعات حتى يكون الحق تعالى بجميع قواك فتكون على بصيرة من أمرك ولا تطلب معرفته الخاصة بدون ذلك فانك ان تصل الى معرفته ولو كنت على عبادة الثقلين وقد نصحتك فان الحق تعالى قد أخبر عن نفسه بامور تردها الادلة العقلية والافكار الصحيحة مع اقامة أدلتها على تصديق الخبر ولزوم الايمان بها فالكامل من قادر به ولم يقلد عقله فى تأويل الصفات فان العقل قد أجمع مع صاحبه على التقليد بصحة هذا القول انه من عند الله فما العبد منازع منه يقدح فيما عنده واصرف يا أخى علم حقيقة الصفات الى الله تعالى واعمل بالقربات الشرعية حتى يعطيك الله تعالى من علمه وحينئذ تكون عارفا به فهذه هى المعرفة المطلوبة والعلم الصحيح الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انتهى (فان قلت) فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة ان المعنى من عرف نفسه بما وصفه الحق به مما وصف به نفسه من كونه له ذات وصفات وما أعطاه من علمه ومن استخلافه فى الارض يولى و يعزل و يعفو وينتقم ونحو ذلك و يحتمل أن يكون معناه ان يعرف نفسه بالافتقار فى وجوده و يحتمل أن يكون المراد المعنيين معا لا بد من ذلك (فان قلت) فلم زاد تعالى فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ذكر الآفاق ولم يكتف بانفسهم عن ذكر الآفاق (فالجواب) انما زاد قوله فى الآفاق تحذيرا للعبد ان يتخيل انه بقى فى الآفاق بقية علم بالله لا تعطيه النفس فأحاله تعالى على الآفاق فلما لم يجد شيأ خارجا عما تعطيه النفس زال ذلك التخيل اذ النفس جامعة لحقائق العالم كله * فانظر يا أخى كثرة حرص النبى صلى الله عليه وسلم على أمته كيف اختصر لهم الطريق الى معرفة الله تعالى بقوله فى الحديث الثابت كشفا من عرف نفسه عرف ربه ولم يذكر لهم الآفاق صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما طريق السلامة من كثرة الجهل بالله لمن ليس على بصيرة من أمره (فالجواب) طريق السلامة عدم التأويل وتسليم علم ذلك الى الله تعالى (فان قلت) فهل يصح لاحد أن يعرف الله تعالى من كل طريق للخلائق اليه سبيل (فالجواب) نعم يصح له ذلك كما عليه الاكابر من أهل الله تعالى فيعرفون الله تعالى بكل طريق من طريق المعتقدات الاسلامية اذ ما من شئ الا والحق تعالى مشهود بسره القائم بوجوده وصاحب هذا المشهد هو الذى يخاطب الحق تعالى من سره القائم بها كل الخلائق * وقد نقل عن السيد سهل بن عبد الله انه كان يقول لى منذ ثلاثين سنة أكلم الله والناس يظنون أنى أكلمهم (فان قلت) فهل يرتفع الخطأ المطلق عن هذا الكامل (فالجواب) نعم لان علمه من علم الله فلا يخطئ لا فى الاصول ولا فى الفروع بخلاف ما علمه من طريق فكره ونظره فقد يخطئ فيه ذكره الشيخ محيي الدين رحمه الله (فان قلت) فهل التجلى الالهى للقلوب دائم بوجود المعارف ام يكون بقلب دون قلب وفى وقت دون وقت (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة أن التجلى الالهى لجميع القلوب الاسلامية دائم لا حجاب عليه ولكن لا يعرف انه هو فان الله تعالى لما خلق العالم اسمعه كلامه فى حال عدمه وهو قوله كن فكان مشهودا له سبحانه ولم يكن الحق تعالى مشهودا للعالم لانه كان على أعين جميع الممكنات حجاب العدم فلذلك لم تدرك الوجود وهى معدومة كما تبصر الظلمة من النور ولا بقاء للنور مع وجود الظلمة أصلا وكذلك العدم والوجود فلما أمر الحق الممكنات بالتكوين لامكانها واستعدادها قبولها سارعت لترى ما ثم لان فى قوتها الرؤية كما فى قوتها السمع من حيث الثبوت لا من حيث الوجود فلما وجد الممكن انصبغ بالنور فزال العدم ثم فتح عينه فرأى الوجود الخير المحض فلم يعلم ما هو ولا علم انه الذى أمره بالتكوين فأفاده التجلى علما بما رآه لا علما بانه هو الذى أعطاه الوجود فلما انصبغ فى النور التفت الى اليسار فرأى العدم فتحققه واذا هو ينبعث منه كالظل المنبعث فى الشخص اذا قابله النور فقال ما هذا قال له النور من الجانب الايمن هذا هو أنت فلو كنت أنت النور لما ظهر الظل عين فأنا النور وأنا مذهبه ونورك الذى أنت عليه

بالتراب دون غيره مما له اسم الارض فان كل شئ فارق الارض لا يتطهر به الا ان كان ترابا بخلاف التراب يتطهر به ولو فارق الارض فان الله أبقى اسم الارض عليه مع المفارقة بخلاف الزرنيخ والرخام والمعدن ونحو ذلك وأيضا فان الله ما قال انه خلق الانسان من حجر ولا زرنيخ وانما قال خلقه من تراب والله أعلم * وقال فى الباب التاسع والستين اعلم ان الصلاة مشتقة من المصلى وهو الذى يلى السابق فى الحلبة والسابق هنا التوحيد والمصلى الصلاة و يشهد لهذا الترتيب حديث بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ولما علم الصحابة ما يدخل الواو من الاحتمال وان الشارع راعى الترتيب أنكر وا على من روى والحج وصوم رمضان وقالوا له قل وصوم رمضان والحج اشارة الى ان الشارع أراد الترتيب فى القواعد والصلاة ثانية فى القواعد قال وانما جعل الزكاة تلى الصلاة لان الزكاة تطهر قال تعالى قد أفلح من زكاها أى طهرها بالطاعات يعنى النفس قال ولما كانت للصلاة المشروعة من شرطها الطهارة جعلت الزكاة الى جانبها لكونها طهارة للاموال التى يكون بها حل قوتهم وملبسهم وجعل

انما هو من حيث ما تواجهني من ذاتك وذلك لتعلم أنك لست أنا فأنا النور بلا ظل وأنت النور الممتزج لامكانك فان نسبت الى قبلتك وان نسبت الى العدم قبلك فأنت عين الوجود والعدم وأنت بين الخير والشر فان أعرضت عن ظلك فقد أعرضت عن امكانك واذا أعرضت عن امكانك جهلتني ولم تعرفني فانه لا دليل لك على انى الهك وربك وموجدك الا امكانك وهو شهودك ظلك فلا تنظر الى نظر نفسك عن ظلك فتدعى انك أنا فتقع فى الجهل ولا تنظر الى ظلك نظرا يغنيك عنى فانه يورثك العمى فتجهل ما خلقتك له فكن تارة وتارة وما خلقت لك عينين الا لتشهدنى بالواحدة وتشهد ظلك بالاخرى وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم أن من أجل علوم المعرفة بالله تعالى العلم بالكمال والنقص فى الوجود كما يشهد لذلك حضرات الاسماء الالهية من أسماء الحنان والامتنان وأسماء القهر والانتقام فلولا العاصى ما ظهر كمال فضل الحق على عباده من حلمه وصفحه وعفوه وغير ذلك فعلم ان من كمال الوجود وجود النقص النسبى فيه قال تعالى فى كمال كل ما سوى الله أعطى كل شئ خلقه فما نقصه شيأ أصلا حتى النقص أعطاه خلقه ووفاه اياه وقوله ثم هدى أى بين الامور التى خرجت عن الكمال بلسان الامر فتقررها على اسم النقص كما أقرها الحق تعالى فافهم (فان قلت) فهل ظهرت النقائص فى شئ غير الانسان أم هى خاصة بالانسان (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائتين ان النقص المعنوى لم يظهر فى شئ من العالم كله الا فى الانسان فقط وان كان فى الجن فهو معلوم غير ظاهر الا للخواص وذلك لان الانسان مجموع حقائق العالم وهو المختصر الوجيز والعالم هو المطول البسيط قال واعلم انه لما كان كمال الالوهية ظاهرا بالشرائع وأدلة العقول جاء الشرع بالتنزيه وغيره وجاء العقل بالتنزيه فقط فهو على النصف من معرفة الله عز وجل فلزم للعقل سلب أحكام كثيرة عن الله جاء بها الشرع اذ الشرع قد أخبر عن الله بثبوت ما سلب العقل عنه وجاء بالامرين معا وهذا هو الكمال الذى يليق به سبحانه وتعالى فخبرته لى العقول ولو أنه تعالى لم يحيرها لكان تحت حكم ما خلق فان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها التى موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها من نفى واثبات ووجوب وجواز واحالة لتعلم موجدها فخاطب الحواس والخيال بتجريده الذى دلت عليه أدلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شئ وخاطب العقول بتشبيهه الذى دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالت ما بأيدينا شئ منه فتعالى عن ادراك العقول والحواس والخيال وانفرد سبحانه بالحيرة فى الكمال فما يعلمه سبحانه وتعالى سواه ولا شاهده غيره فلم يحيطوا به علما ولا رأوه عينا فآثار تشهد وجناب يقصد ورتبة تحمد والاله منزه ومشبه بعد فهذا هو الكمال الالهى وبقى الانسان متوسط الحال بين كمال الحيرة والحد وهو كمال العالم فبالانسان كمل العالم وما كمل الانسان بالعالم فافهم وبالجملة فقد قال الامام المحاسبي مجموع المعرفة ترجع الى العلم بأربعة أشياء الله والنفس والدنيا والشيطان * وقال الشيخ محيي الدين والذى نقول به ان المعرفة ليس لها طريق الا المعرفة بالنفس انتهى والله تعالى أعلم وسيأتى فى هذا الكتاب من مسائل المعرفة ما تقر به عينك ان شاء الله تعالى فان غالب المباحث متعلقة بالله عز وجل فاعلم ذلك والله تعالى أعلم

(خاتمة) فى بيان العارف بالله تعالى وصفاته ذكر الشيخ محيي الدين فى الباب السابع والسبعين ومائة ان العارف عند طائفة الصوفية هو من أشعر قلبه الهيبة والسكينة وعدم العلاقة الصارفة عن شهود الحق تعالى واذا ذكر الله واستولى عليه الذكر يغيب عن الاكوان يهابه كل ناظر هو مع الله بلا وصل ولا فصل كثير الحياء فى قلبه التعظيم يقدم حق الحق تعالى على حظوظ نفسه بطنه جائع وبدنه عار لا يأسف قط على شئ لكونه لا يرى غير الله طيار مدا الدهر تبكى عينه ويضحك قلبه هو كالارض يطؤه البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شئ وكالمطر يسقى ما يحب وما لا يحب لا يقضى وطره قط من شئ وذلك لدوام افتقاره الى الله تعالى ذو قانته الفقر والذل بين يدى الله يفتح له فى فراشه كما يفتح له فى صلاته وان اختلفت الواردات

الصوم يلى الزكاة دون الحج لكون زكاة الفطر مشروعة عند قضاء الصوم فلما كان الصوم أقرب نسبة الى الزكاة جعل الى جانبها فلم يبق للحج مرتبة الا المرتبة الخامسة فكان فيها (قلت) وسيأتى فى الكلام على صلاة الجنازة تفسير قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فراجعه * وقال من شأن العارف أن يعبد ربه من حيث أوليته ربه فى خلقه المخلوقات لا من حيث أوليته هو عن أوليات كثيرة قبله وأعنى بذلك الاسباب فهذه هى الصلاة لاول الوقت فاذا عبده العارف فى تلك الاولية المنزهة عن أن يتقدمها أولية شئ انسحبت عبادة هذا العارف من هناك على كل عبادة مخلوق خلقه الله من أول المخلوقات الى حين وجوده ومن جمع بين هذا وبين الصلاة لاول وقتها المعروف فقد حاز الفضيلتين (وقال) فيه انما اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان المغرب وتر صلاة النهار قبل ان يزيدنا الله وتر صلاة الليل فانه قال ان الله قد زادكم صلاة الى صلاتكم وذكر صلاة الوتر فشبهها بالفرائض وأمرهما ولهذا جعلها أبو حنيفة واجبة دون الفرض وفوق السنة وأثم من تركها وتهم ما نظر وتفقه رضى الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم لم يلحقها بصلاة النافلة بل قال زادكم صلاة

بحسب المواطن وأطال في ذلك * ثم قال وأما صفة العارف عندنا وعند غيرنا من المحققين فهو أن يكون قائما بالحق في جمعيته نافذ الهمة مؤثرا في الوجود على الاطلاق من غير تقييد لكن على الميزان المعلوم عند أهل الله مجهول النعت والصفة عند جميع العالم من بشر وجن وملك وحيوان لا يعرف مقامه فيحد ولا يفارق العادة فيتميز هو خامل الذكر مستور المقام عام الشفقة على خلق الله عارف بارادة الحق تعالى قبل ظهور المراد فيريد بارادة الحق لا ينازع ولا يقاوم ولا يقع في الوجود ما لا يريده شديد في اين يعلم مكارم الاخلاق من سفسافها فينزلها منازلها مع أهلها تنزيل حكيم يتبرأ ممن تبرأ الله منه بحسن اليمع البراءة منه يشاهد لتسبيح المخلوقات كلها على تنوعات أذكارها لا يظهر الا لعارف مثله وأطال في ذلك ثم قال وقد اختلف أصحابنا في مقام المعرفة ومقام العلم فقالت طائفة مقام المعرفة رباني ومقام العلم الهي قال وبه أقول ووافقني على ذلك المحققون كسهل بن عبد الله التستري وأبي يزيد وابن العريف وأبي مدين وطائفة قالت مقام المعرفة الهي ومقام العلم كذلك وبه أقول أيضا فانهم ان أرادوا بالعلم ما أردناه بالمعرفة وأرادوا بالمعرفة ما أردناه بالعلم فالخلاف فيه لفظي وعهدتنا قوله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق فسماهم عارفين وعلماء ثم ذكر قولهم فقال يقولون ربنا آمنا ولم يقل يقولون الهنا آمنا ولا علمنا ولا شهدنا وقد علمت من جميع ما قررناه في هذا المبحث ان طريق المعرفة بالله عند القوم انما هو الكشف لا الظن المبني على الفكر وتأمل قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد كأنه تعالى يقول ما حذرناكم من النظر في ذات الله الا رحمة بكم وشفقة عليكم لما نعلم ما تعطيه القوة المفكرة للعقل من نفي ما أثبته على ألسنة رسلي من صفاتي فتردونه بأدلتكم العقلية فتحرمون الايمان بم فتشقون شقاء الابد ولذا اختلفت مقالات أهل النظر في الله وتكلم كل بما اقتضاه نظره فنفى واحد عين ما أثبته الآخر وما اجتمعوا على أمر واحد في الله من حيث النظر في ذاته وعصوا رسوله بما تكلموا به مما نهاهم الله عنه من شفقة ورحمة بهم فرغبوا عن رحمة الله وضل سعيهم فاثبت يا أخي على اعتقاد كل ما جاءتك به الشريعة تسلم فهمته أو لم تفهمه فانه تعالى أعلم بنفسه وأصدق في قوله والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع في وجوب اعتقاد ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها ليست معلومة في الدنيا لاحد)

وقال كثير من المتكلمين انها معلومة للناس في الدنيا لان الخلق مكلفون بالعلم بوحدانيته وذلك متوقف على العلم بحقيقته قال الجلال المحلي وغيره وأجيب بمنع التوقف على العلم به في الحقيقة وانما يتوقف على العلم به بوجه وهو انه تعالى يعلم بصفاته كما أجاب به موسى عليه الصلاة والسلام فرعون حين قال لموسى وما رب العالمين الى آخره ثم اختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة فقال بعضهم نعم لحصول الرؤية فيها * وقال بعضهم لا والرؤية لا تفيد الحقيقة ولم يرجح ابن السبكي ولا الجلال المحلي شيأ في هذه المسئلة والتي قبلها * وقال شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني الصحيح انه لا سبيل للعقول الى علمها * قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ثم لا يخفى أن قولهم ليست معلومة الآن يعني في الدنيا انما هو كلام في الوقوع وقولهم واختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة كلام في الجواز العقلي انتهى هذا ما رأيته في هذه المسئلة من كلام محققي المتكلمين * وأما كلام محققي الصوفية من أهل الكشف فيجلي عليك مقالاتهم فيها حتى يزول عنك اللبس ان شاء الله تعالى وتعرف أن القوم أبعد الناس عن القول بالجسمية لشدة معرفتهم بالله تعالى لاسيما الشيخ محيي الدين رحمه الله اذا علمت ذلك فأقول اعلم ان الخلق ما خبطوا وخبطوا عشواء في آيات الصفات وكثر اختلافهم فيها الا من ذهولهم حال الاختلاف عن شهودهم ان حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق والا فلو شهدوا ذلك لم يقفوا في شيء من آيات الصفات وأخبارها ولم يحتج أحد منهم الى تأويل ولم يخف قط من لحوق نقص في الجناب الالهي كالقول بالجهة والتجسيم مثلا * وايضاح ذلك أن تنظر يا أخي الى صفات الخلق

الى صلاتكم يعني الفرائض فشرع تعالى لنا وترين لينفرد تعالى بالوترية الواحدة قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين فافهم * وقال فيه رأيت قولا غريبا لا أدري من قاله ولا أين رأيته أن وقت صلاة العشاء ما لم تنم ولو سهرت الى وقت الفجر * وقال فيه ما عرفت مستند من كره قول المؤذن حي على خير العمل فانه روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بها يوم حفر الخندق وا لصلاة خير موضوع كما ورد فما أخطأ من جعلها في الاذان بل اقتدى ان صح هذا الخبر وأطال في ذلك وقال فيه مذهبنا أن للواعظ أخذ الاجرة على وعظه الناس وهو من أحل ما يأكله وان كان ترك ذلك أفضل وايضاح ذلك أن مقام الدعوة الى الله يقتضي الاجرة فانه ما من نبي دعا الى الله الا قال ان أجري الا على الله فأثبت الاجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوقين وأطال في ذلك وسيأتي أيضا في الباب السابع عشر وأربعمائة فراجعه * وقال فيه مذهبي أن الاذان قبل الفجر ليس بأذان حقيقة وانما هو ذكر الله عز وجل بصورة الاذان تحريضا للناس على الانتباه لذكر الله تعالى واذا طلع الفجر فهناك الاذان المشروع اعلاما بدخول وقت الصلاة قال ولهذا ابتدع السلف الصالح

كلها او تنزه الحق تعالى عنها من حيث الكيف فنقول مثلا من شأن الخلق الجهل من ذواتهم فليس الحق تعالى بجاهل بل هو عالم بكل شئ ومن شأن الخلق العجز فليس الحق تعالى بعاجز عن انفاذ نوع شئ مما أراده بل هو قادر ومن شأن الخلق الجهة فالحق تعالى لا جهة له ومن شأن الخلق الجسمية فالحق تعالى ليس بجسم وهكذا فلا يصح في جانب الحق تعالى لخوف تشبيه بخلقه أبدا الا في شخص ولا في نوع ولا في جنس كما سيأتي ايضاحه في نقول العارفين وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والعشرين وثلثمائة ما نصه اعلم انه لا يجوز لاحد طلب معرفة ماهية الحق تعالى بلفظة ما كما وقع فيه فرعون فاخطأ في السؤال ولهذا عدل موسى عن جواب سؤاله على المطابقة لان السؤال اذا كان خطأ لا يلزم الجواب عنه وكان المجلس مجلس عامة فلذلك تكلم موسى بما تكلم به ورأى فرعون أنه ما أجابه على حد سؤاله لتخيله أن سؤاله متوجه وما علم فرعون ان ذات الحق تعالى لا تدخل تحت مطالب ما وانما تدخل تحت مطلب هل وهو سؤال عن وجود المسؤل عنه هل هو متحقق أم لا ولما علم فرعون ما وقع منه من الجهل قال اشغالا للحاضرين لئلا يتفطنوا لذلك ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون تنفيرا لهم عن الاصغاء لمقالة موسى خوفا أن يتبعوه * وقال في الباب الاول من الفتوحات اعلم ان الحق منزه عن ان يحيط به خلق أو يعرفه أحد الا بحسب ما وقع به التجلي له لا غير ألا ترى انه يتجلى يوم القيامة لقوم في غير العلامة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فينكرون ربوبيته ومنها يتعوذون وبها يتعوذون ولكن لا يشعرون ويقولون لذلك التجلي نعوذ بالله منك وها نحن لربنا منتظرون فحينئذ يتجلى لهم في العلامة التي لربهم فيقرون له بالربوبية وعلى أنفسهم بالعبودية فهؤلاء ما عبدوه تعالى الا بالعلامة ومن قال منهم انه عبده تعالى عينا فقوله زور وكيف يدعي ذلك وعند ما تجلى له أنكره فما عبده تعالى عينا الا الانبياء وكمل ورثتهم قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعبده وتوكل عليه أي عينا فافهم (فان قلت) فما معنى قولهم العلم حجاب عن الله تعالى مع أن العلم هو الذي يكشف عن حقائق الامور (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني من الفتوحات انه ليس المراد به ذم العلم معاذ الله أن يريد القوم ذلك وانما مرادهم أن أحدا لا يعلم الحق تعالى الا بواسطة العلم فالواسطة هي التي علمت الحق تعالى لا أنت فما علم الحق تعالى حقيقة الا علمك لا أنت وعلمك دائما حاجب لك عن معرفة كنه الحق تعالى ولو رقيت في العلم به تعالى ما رقيت فلا بد من وقوف تجلي الحق لك حتى تدركه لان كل تجل يقع كلمحة بارق لا يثبت آنين أبدا ومن هنا امتنع للخلق تكييف الحق فافهم فنعلم انه ليس مشهود كل أحد من الحق الا علمه فاياك ان جريت على أسلوب الحقائق ان تقول انك علمت المعلوم فانك ما علمت الا بالعلم والعلم هو العالم بالمعلوم الذي هو الحق وبين العلم والمعلوم بحور لا يدرك أحد قعرها فان سر التعلق بينهما مع تباين الحقائق بحر مركبه عسير بل لا تركبه العبارة أصلا ولا الاشارة ولكن يدركه الكشف من خلف حجب كثيرة ولا يحس بها الا على عين بصيرته الا الانبياء وكمل ورثتهم من الاولياء لدقتها وغموضها واذا كانت عسرة المدارك فاحرى من خلقها (فان قلت) قد ثبت عندنا وتقرر ان العلم بامر ما لا يكون الا بمعرفة تقدمت قبل هذه المعرفة بامر آخر يكون به بين المعروفين مناسبة لا بد من ذلك وقد ثبت عندنا وتقرر انه لا مناسبة بين الحق تعالى وبين خلقه بوجه من الوجوه فكيف صحت معرفته تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ أيضا في الباب الثاني من الفتوحات ان المراد بمعرفته بالآثار وأما الذات فلا تعلم أبدا بعلم سابق وانما تعلم من طريق الكشف لبعض الخلص من علم الا يصح التعبير عنه أبدا (فان قلت) فهل يصح استدلال بعضهم بالشاهد على الغائب في مسئلة العلم الالهي من انه عين أو غير (فالجواب) لا يصح هذا الاستدلال لان الحق تعالى مباين لخلقه في سائر شؤنه فلا يصح قياسه على خلقه وأصل دخول الشبه على هذا المستدل انه لما رأى الانسان يسلب علمه وذاته كاملة لم تنقص قال علم الله غير ذاته ثم من العجب انه يقدسه بعد ذلك مع انه قد حمله على حال نفسه وقاسه عليها (فان قلت) فهل يصح لاحد معرفة ربه من حيث الدليل العقلي (فالجواب) لا يصح لاحد ذلك لان من المعلوم

ان

للمؤذنين الدعاء والتذكير بآيات القرآن والمواعظ وانشاد الشعر الحاث على قيام الليل وعلى الزهد في الدنيا ليعلموا الناس ان الاذان الاول ما كان الا لغرض الايقاظ للنائمين لا لدخول الوقت * وقال فيه معنى قول المؤذن قد قامت الصلاة انما قال قامت بلفظ الماضي مع ان الصلاة بشرى من الله لعباده لمن جاء الى المسجد بانتظار الصلاة أو كان في الطريق آتيا اليها أو كان في حال الوضوء بسببها أو كان في حال القصد الى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء فيموت في بعض هذه المواطن قبل وقوع الصلاة منه فبشره الله بان الصلاة قد قامت له في هذه المواطن كلها فله أجر من صلاها ان كانت ما وقعت منه فلذلك جاء بلفظ الماضي لتحقق الحصول فاذا حصلت بالفعل أيضا فله أجر الحصول كذلك وقد ورد ان أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة قلت وقد ذكر الشيخ أيضا في أواخر كتاب الحج في الكلام على نحر البدن فقال انما قال صلى الله عليه وسلم قد قامت بلفظ الماضي قبل قيام العبد لها تنبيها على قيام صلاة الله على العبد ليقوم العبد الى الصلاة فيقوم بقيامه نشأتها كما قال تعالى هو الذي يصلي عليكم قال فالقيام معتبر في سائر العبادات كالوقوف بعرفة

ان العقل لا يدرك كنهه تعالى من حيث ماهو ناظر و باحث ابدا لان برهانه الذي يستند اليه الحس أو الضرورة أو التجربة والحق تعالى غير مدرك بهذه الاصول باجماع المحققين ولو أن هذا الناظر والباحث نظر بعقله الى المعقولات الصناعية والتكوينية والانبعاثية ورأى جهل كل واحد منها بفاعله لعلم أن الحق تعالى لا يعلم قط بالدليل العقلي وانما غاية علم العقل أن يعلم انه تعالى موجود وان العالم كله مفتقر اليه افتقارا ذاتيا لا محيص له عنه البتة انتهى (فان قلت) فما الحكمة في تحيير العقول فيه سبحانه وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائتين ان الحق تعالى انما حير عقول عباده فيه لئلا يدخل تعالى تحت حكم ماخلق وذلك ان القوى الحسية والخيالية تطلبه بذواتها لترى موجدها والعقول تطلبه بذواتها وأدلتها لتعلم موجدها فاذلك خاطب تعالى الحواس والخيال بتحديده الذي دلت عليه أدلة العقول والحواس تسمع فحارت الحواس والخيال وقالوا ما بأيدينا منه شئ وخاطب أيضا العقول بتشبيهه الذي دلت عليه الحواس والخيال والعقول تسمع فحارت العقول وقالوا ما بأيدينا منه تعالى شئ كما تقدم وتعالى الله عن ادراك العقول والحواس والخيال فاذلك انفرد سبحانه وتعالى بالحيرة في وصف كماله فما علمه سواه ولا شاهده غيره ولا أحاط أحد به علما وقد تقدم هذا أيضا في مبحث التوحيد انتهى (فان قلت) فهل اطلاق بعض المتصوفة وجه المناسبة بين الحق والخلق صحيح في بعض الوجوه *(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث من الفتوحات لا يصح ذلك بوجه من الوجوه وان وقع في مثل ذلك أبو حامد الغزالي فهو بضرب من التكلف وبمرمى بعيد من الحقائق فأي نسبة بين المحدث والقديم وكيف يصح تشبيه من لا يقبل المثل بمن يقبل المثل هذا والله محال قال وما طلب الحق تعالى منا الا العلم بوجوده وألوهيته لا غير وأما الحقيقة فلا واذا كان المبدع الاول لا مناسبة بينه وبين ربه فكيف تصح مناسبة من بينه وبين ربه وسائط لا تحصى انتهى (فان قيل) فعلى ماقدرتموه لا يصح لاحد مراقبة ذات الحق تعالى أبدا وقد أمرنا الله تعالى بمراقبته فكيف الحال (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والعشرين ومائة من الفتوحات انا لم نؤمر بمراقبة عين الذات وانما المراقبة حقيقة للمثل التي تنزل الحق تعالى للعقول تقريبا لها لتقف على مركز ولما اقتضت مرتبة العلماء بالله تعالى أنه ليس كمثله شئ ارتفعت الامثال والاشكال من أوهامهم فلم يتقيد لهم أمر الاله المنزه عن الامثال ولم ينضبط بل جهل الامر وهنالك يعني عند ارتفاع الامثال يعلمون ان الحق تعالى لم يكن معلوما لهم في وقت ذلك الاعتقاد وأن علمهم به تعالى انما هو من حيث نسبة معقولة أعطتها الآثار الموجودة في الاعيان لا غير واذا كان الامر كذلك فلا كيف ولا أين ولا مثل ولا وضع ولا اضافة ولا عرض ولا جوهر ولا كم وهو المقدار وما ثم الا فاعل مجهول يرى أثره ولا يعرف خبره ولا تعلم عينه ولا يجهل كونه فلمن يراقب العبد وما ثم من يقع عليه عين ولا من يضبطه خيال ولا من يحده زمان ولا من تعدده صفات وأحكام ولا من يكيفه أحوال ولا من يميزه أوضاع ولا من تظهره اضافة فكيف تصح مراقبة من لا يقبل هذه الصفات ومن شرط العلم أن يرفع حكم الخيال والحادث لا يتعلق الا بالمناسب وهو ما عندك من معرفة الحق فما برحت من حبسك وما عبرت الا على صورة اعتقادك* قال ولهذا اختلفت المقالات في تأويل صفات الله تعالى فطائفة تقول هو كذا وطائفة تقول ما هو كذا وانما هو كذا وما منهم من أحد أحاط به علما قال كامل من عظمت فيه حيرته ودامت حسرته ولم ينل منه مقصوده وذلك لانه رام ما لا يمكن تحصيله وسلك سبيل من لا يعرف سبيله وأطال في ذلك ثم قال فاذن لم يعرف أحد الحق تعالى كما يعرف تعالى نفسه أبدا والسلام (فان قلت) فعلى ماقدرتموه جميع الامور المعلومة معلولة والكيفية في حق الله مجهولة (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار نعم لا يخلو علم الخلائق من العلل أبدا فان الحق تعالى هو المنفرد في علمه بعدم العلل فأصل الابد من الازل وقد دخلت المثلات بأهل التفكر والمحدثات اذ لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول في قضايا العقول والحق تعالى لا يدرك

ورمى الجمار وغير ذلك والله أعلم * وقال فيه لولا ان الاجماع سبقني لم أقل ان التوجه الى الكعبة شرط في صحة الصلاة لان قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله نزلت بعد قوله وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره فهي آية محكمة غير منسوخة ولكن انعقد الاجماع على هذا وجاء قوله فأينما تولوا فثم وجه الله محكما في الحائر الذي جهل القبلة فيصلي حيث يغلب على ظنه باجتهاده بلا خلاف انتهى فليتأمل ويحرر والله اعلم * وقال فيه مامعناه اعلم ان قبلتك في الصلاة انما هو ما استقبلت من الكعبة ولا يضرك استدبارها في غير جهة وجهك اذا صليت داخلها فان الشارع لم يتعرض للاستدبار انما تعرض للاستقبال فقط فانا انما نحن مع الحق على حكم مانطق فلا يقتضي الامر بالشئ النهي عن ضده في كل المواضع فاذا لم تعمل بما أمرك به فقد عصيت أمره ولو كان الامر بالشئ نهيا عن ضده لكان على الانسان خطيئتان أو خطايا كثيرة بقدر ماللك المأمور من الاضداد وهذا القائل به فلا يؤاخذ الانسان الا بترك ما أمره به الحق لا غير فهو وزر واحد وسيئة واحدة ولا يجزى الا مثلها انتهى وهو كلام نفيس في نفسه وان رجع جماعة من أهل الاصول خلافه فليتأمل ويحرر والله

بالدليل فليس الى معرفة كنه ذاته من سبيل وقد دعانا الى معرفته وما دعانا الا الى صفته فلا بد من صفة تتعلق بها المعرفة وما ثم في العقل الا صفة تنزيه وقد ضم الشرع معها صفة ظاهرة التشبيه فعلى ما هو المعول الآخر أو الاول انتهى * وقال في باب الاسرار أيضا لا تعلم الذات الا مقيدة وان أطلقت هكذا عرفت الاشياء وحققت فالاطلاق تقييد في حق السادات والعبيد * وقال فيه أيضا الذات مجهولة فما هي علة ولا معلولة ولا هي لدليل مدلولة فان من شأن وجه الدليل ان يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط كما لا تختلط انتهى (وقال) فيه أيضا اعلم ان التنزيه وان جلت مراقيه فهو يرجع لتحديد المنزه من حيث انه لا بد له من مقابل والتشبيه يرجع الى تثنية المشبه واذا كان التنزيه يرجع الى التشبيه فأين المعرفة بالله تعالى فاذا التنزيه انما سمع في الشرع ولم يوجد في العقل انتهى وقال فيه أيضا لا يصح الانس بالله تعالى لاحد لعدم المجانسة بينه وبين خلقه ومن ادعى الانس بالله تعالى من الخلق فانما أنس بنور أعماله الصالحة وايضاح ذلك ان الانس لا يكون الا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمماثل ضد والضد يبعد * وقال الشيخ في كتاب العبادلة تنتهي همم العارفين بالله تعالى وهم معه على أول قدم في المعرفة فلم تف لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم من واجب معرفة الله كما يليق بجلاله انتهى * وقال أيضا في شرحه لترجمان الاشواق كل من الخلق واقف خلف حجاب العزة الاحمى فعنده هذا الحجاب تنتهي علوم العالمين ومعرفة العارفين ولا يصح لاحد ان يتعدى هذا الحجاب ولو كان من أكابر الاحباب * وقال سيدي على ابن وفا رحمه الله جلت ذات الحق تعالى ان تدخل تحت احاطة علم أو ادراك انتهى (فان قلت) اذا كانت الذات مجهولة فما مرادهم بقولهم فلان من العلماء بالله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس من الفتوحات ان مرادهم بذلك العلم بوجوده وما هو تعالى عليه من صفات الكمال وليس مرادهم العلم بذاته لان ذلك عندهم ممنوع لا يعلم بدليل ولا ببرهان ولا يأخذه حد ومعرفتنا به سبحانه وتعالى انما هي علمنا بانه ليس كمثله شيء وأما الماهية فلا يمكن لنا علمها قطعا انتهى (فان قيل) فهم من قول بعضهم ان معرفة الحق لا تكمل الا بمعرفته تعالى من طريق التنزيه ومن طريق التشبيه أن التشبيه موجود حقيقة (فالجواب) ان الذي نعتقده أن التشبيه لا وجود له حقيقة وانما ذلك واقع من بعض الخلق لضعف شهودهم وكثافة حجابهم ولو انكشف حجابهم لعلموا علما يقينيا أن الحق تعالى لا يجتمع قط تشبيه بخلقه في جميع الصفات التي تنزل فيها للعقول عباده وتأمل يا أخي السراب يحسبه الظمآن ماء ما دام بعيدا فاذا قرب من محله لم يجده ماء وحكم بفساد حسابه الاول وقس على ذلك أيضا سماع كلام الله بصوت وحرف ورؤيته في التجلي الاخروي في صور مختلفة فان ذلك انما هو تنزل للعقول ولو كشف الحق تعالى حجابهم لسمعوا كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف ورأوه تعالى في غير صورة معقولة لكنهم لما حجبوا لم يكونوا يفهموا الكلام بغير صوت ولا حرف ولم يكونوا يعقلونه تعالى الا في صورة وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول جميع ما منه اليك لا يكيف وجميع ما منك اليه يكيف انتهى (فان قيل) فما وجه قول من منع ان الذات تعلم بالكون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر من الفتوحات ان وجهه أن الكون لا تعلق له الا بالمرتبة الطالبة له كالخالق يطلب المخلوق والرازق يطلب المرزوق وهكذا فعلم أن الذات غني عن العالم لا تعلق له باحد فلذلك كان لا يعرف بالكون انتهى (فان قلت) فاذن ليس للفكر حكم ولا مجال في ذات الحق تعالى لا عقلا ولا شرعا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين ومائة نعم بل قد منع الشرع من التفكر في ذات الله تعالى بقوله ويحذركم الله نفسه أي أن تتفكروا فيها وقد ورد مرفوعا كالكم حمقى في ذات الله أي فلا تصلوا الى التحقق بمعرفتها (فان قلت) ما سبب المنع من التفكر في ذات الله (فالجواب) ان سببه ارتفاع المناسبة بين ذاتنا وذات الحق ومن هنا أنف أهل الله أن يجعلوا التفكر من دأبهم لانه حال لا يعطي الحفظ فلا يدرى أيصيب صاحبه أم يخطئ * وقال في الباب الخامس

والاربعين

أعلم * وقال فيه انما أمرت المرأة بتغطية رأسها في الصلاة لان الرأس من الرياسة والنفس تحب الظهور في العالم برياستها والمرأة مظاهر النفس في الاعتبار فأمرت النفس أن تغطي وجه رياستها في الصلاة بين يدي ربها اظهارا لذلها وانكسارها على ان مذهبي ان عورة المرأة هي السوأتان فقط قال الله تعالى فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسوى بين آدم وحواء في الستر للسوأتين فليس المراد بالستر في الصلاة من حيث كونها كلها عورة وانما ذلك حكم شرعي ورد بالستر ثم لا يلزم أن يستر الشيء لكونه عورة اه فليتأمل ويحرر * وقال مذهبي ان عورة المرأة هي السوأتان فقط قال الله تعالى فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة فسوى بين آدم وحواء في ستر العورتين وهما السوأتان فالمرأة وان أمرت بالستر في الصلاة وغيرها فليس هو من كونها عورة وانما ذلك حكم شرعي ورد بالستر ولا يلزم من الامر بالستر لشيء أن يكون ذلك عورة انتهى فليتأمل ويحرر * وقال معنى قول المصلي الله أكبر بلسان الظاهر الله أكبر أن يقيد بحال من الاحوال بل هو تعالى في كل الاحوال أكبر قال وانما سميت احراما أي تكبيرة منع اشارة الى انه

والاربعين ومائة انما منع التفكر لانه لا يتعدى أحد أمرين اما الجولان فى المخلوقات واما الجولان فى الاله وأعلى درجات جولانه فى المخلوقات أن يتخذها دليلا وقد علم أن الدليل يضاد المدلول فلا يجتمع دليل ومدلول فى حد عند الناظر أبدا وأما جولانه فى الاله ليتخذه دليلا على المخلوقات ففيه من سوء الادب ما لا يخفى لانه طلب الحق لغيره أى ليدله على الكائنات فطلبه تعالى لعينه وذلك غاية الجهل فانه لا شئ أدل على الشئ من نفسه (فان قيل) فهل يتعدى علم أحد بالله تعالى فوق ما يعطيه نظره أوهل يصح اجتماع اثنين فى العلم بالله على حكم التساوى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والسبعين ومائتين ان علم كل انسان بالله تعالى انما هو على قدر نظره وما هو عليه فى نفسه ولا يصح اجتماع اثنين على علم واحد فى الله تعالى من جميع الجهات أبدا كما انه لا يصح اجتماعهما على مزاج واحد فلا بد فى الاثنين من وجود ما يقع به الامتياز لثبوت عين كل واحد ولو لم يكن الامر كذلك لم يصح أن يكونا اثنين انتهى * وقال فى الباب السادس والتسعين ومائة قد جاء النهى عن التفكر فى ذات الله فزل العقل فى ذلك وتعدى وظلم نفسه وما أمرنا الله تعالى قط ان نعلم كيف ذاته وانما أمرنا ان نعلم انه اله واحد لا اله الا هو لا غير فلم يقف عن ذلك التفكر غالب العقول بل سرح بنظره وفكره الى ما لا حاجة له به حتى انه وقع فى ذلك جماعة انتموا الى أهل الله كأبى حامد وغيره انتهى * وقال فى الباب الثامن ومائتين اجهل الطوائف من طلب أن يعلم الله كما يعلم الله نفسه (فان قلت) فأيما أولى مخاطبة العبد ربه بضمير الغائب أو بضمير الحاضر (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والسبعين ومائتين ان خطاب العبد ربه بضمير الغائب أشرف وأعلى فى التنزيه من مخاطبته بضمير المخاطب نحو اللهم انى أسألك لان الحقائق تعطى انك ما حضرت الامع ما عرفته أنت من الحق تعالى فما برحت عن نفسك واذا كان الاكابر يقولون سبحانك ما عرفناك حق معرفتك فكيف بغيرهم * وقال فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات اعلم أن خطاب الله تعالى بضمير المواجهة تحديد وخطابه بضمير الغائب تمييز ولا بد للعبد من واحد منهما ولكن الثانى أقوى فى التنزيه * وقال فى الباب التاسع والاربعين ومائة كما لا يجتمع الدليل والمدلول كذلك لا تجتمع أنت وربك فى حد ولا حقيقة فانه الخالق وأنت المخلوق * وقال الشيخ أيضا فى باب الاسرار اعلم أن كل من وقف مع الدليل حرم المدلول فاياك ان تقف مع الحق مع كونه دليلا على نفسه فانك ان وقفت معه على هذا الحد حرمته لان الدليل والمدلول لا يجتمعان قط فى حد * وقال فيه أيضا لا تقل وصلت فما ثم غاية ولا تقل لم أصل فان ذلك عماية ليس وراء الله مرمى وهناك يستوى البصير والاعمى * وقال فيه أيضا لو كانت العلة فى الازل لكان المعلول لم يزل فاياك من ظهور الشبه فى صور الادلة فانها مضلة فما عرفه تعالى سواه * وقال فيه أيضا اعلم أن البراهين لا تخطئ فانها قوية السلطان وانما الخطأ راجع الى المبرهن واذا كان المدلول لا يعرف الا بالدليل فليس الى العلم به تعالى سبيل فان من علمت به معلوما وجهلته فما علمته لانك ما علمت به * وقال فيه أيضا التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وذلك لا يصح ولا يوجد فى العين * وقال فى شرحه لترجمان الاشواق اعلم أن كل عقل له عقل مثله وليس للحق تعالى حق مثله فمن عرفه بعقله فما عرفه * وقال فى باب الوصايا من الفتوحات اياك ان تدعى معرفة ذات خالقك فانك فى المرتبة الثانية من الوجود وأما فى حال فنائك فما عرفه تعالى هناك الا هو فتجعل معنى التوحيد عن الذوق انتهى (فان قيل) ما سبب وقوع الحيرة فى الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخمسين من الفتوحات ان سبب ذلك طلب الخلق معرفة ذاته بأحد الطريقين اما بطريق الادلة العقلية واما بطريق المشاهدة فالدليل العقلى يمنع من المشاهدة والدليل السمعى قد اوما اليها وما صرح وقد منع الدليل العقلى من ادراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية التى هو عليها تعالى فى ذاته فلم يدرك العقل بنظره الا الصفات السلوب وقد سمى القوم ذلك معرفة (فان قلت) فاذن كلما ازدادت حيرة العبد ازداد علما بالله تعالى لكون العقل عجز عن ضبط ما يدركه (فالجواب) نعم ولذلك كانت حيرة أهل

تعالى لا يشاركه فى مثل هذه الكبرياء كون من الاكوان وأطال فى ذلك * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب وقد ثبت انه كان يقول ذلك بين تكبيرة الاحرام وقراءة الفاتحة انما لم يقل فيه كما باعدت بين السواد والبياض لان اللونية تجمع بينهما فاذلك ذكر المشرق والمغرب اللذين هما ضدان لا يجتمعان أبدا قال والسبب فى ذلك ان الحق اذا دعا العبد الى مناجاته فقد خصه بمحل القربة منه واذا أشهده خطاياه فى مواطن القرب وهى فى محل البعد من تلك المكانة كان العبد فى محل البعد على طلب الحق منه من القرب فلذلك أمر أن يدعو الله قبل الشروع فى المناجاة أن يحول بينه وبين مشاهدة خطاياه أن تعرض له فى قلبه فى هذا الموطن بتخيل أو تذكر فانظر ما أحكم هذا التعليم وما أخفاه وأدقه حيث تأدب مع الله أن يبعده من خطاياه ولم يطلب اسقاطها عنه لئلا يكون فى ذلك الموطن ساعيا فى حظ نفسه وأطال فى ذلك بكلام نفيس * وقال فيه انما كان لا يجب أن يوافق المأموم امامه فى النية لان النية أمر غيبى والائتمام لا يكون الا فيما يشاهد من الافعال ولذلك فصل الشارع ما أجمله فى الائتمام فذكر الافعال بقوله فاذا كبر فكبروا الخ

الكشف أعظم لادراكهم التجليات مع الآيات فلايستقر لهم في معرفته قدم يستقرون عليه وقد قال في باب الاسرار لا يعقل الحق تعالى قط الاالهاغير معقول ولا يمكن قط في العلم تجريده بالكلية عن العالم المربوب فاذا لم يعقل مجردا عن العالم لم تعقل ذاته ولم تشهد من حيث هي فأشبه العلم به العلم بالنفس والجامع عدم التجريد فكما لا يتخلص لك شهود العلاقة التي بين نفسك وبدنك فكذلك لا يتخلص لك معرفة العلاقة التي بين الله تعالى وبين العالم قال وكل من قال بتجريد النفس عن هيكل مانديره فما عنده علم بالنفس ما هي لانها ما لاتعقل نفسها قط الافي مركب انتهى * وعبارة الشيخ في شرح ترجمان الاشواق اعلم أن اللطيفة الانسانية لا توجد دنيا ولا أخرى الا وهي مدبرة لمركب ولا تترك قط حالة واحدة لمشاهدة بسيطها وهي عرية عن مركبها من غير علاقة أبدا قال وهذا بخلاف ما يراه بعض المتصوفة وغيرهم ممن لا علم له بما الأمر عليه فعلم انه الاتتصل أبد الآباد بالمنزه البسيط الاعلى لان تدبيرها المركبها وصف لازم فلاتتفرغ لغيره انتهى

* وقال في باب الاسرار قد تكون المعرفة بالشيء هي العجز عن المعرفة به فيعرف العارف ان هذا المطلوب لا يعرف وليس الغرض من المعرفة لشيء الا أن يتميز عن غيره فقد ميز وتميز من لا يعرف بكونه لا يعرف فحصل المقصود انتهى * وقال في كتاب لواقع الانوار من سالك الى الله بالفكر لم يبرح من الكون فما عنده غيره وقال في باب الاسرار حقيق على الخلق أن لا يعبد كل واحد منهم ماهية الحق لجهلهم بها وانما يعبدون ما ينعتونه من صفات الحق دليلي في ذلك الله أكبر حتى عند تحوله يوم القيامة في الصور * وقال فيه أيضا اذا لمع القلب شهود الحق تعالى فالحق حينئذ ضيف نازل يتعين القيام بواجب حقه لكن اكرامه على قدر مقام ذلك القلب لا على قدر النازل وعند العوام ان الكرامة تكون على قدر النازل لا المنزول عليه فلا يعجبك حديث أنزلوا الناس منازلهم لانا لو عاملنا الحق تعالى بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه قط مواصلة (فان قلت) فاذن عظمة الحق تعالى انما هي راجعة لما يقوم في قلب العبد من شدة التعظيم أو قلته وليست راجعة لذات الحق في نفسها لادراك العبد الزيادة والنقص في علمه بالله تعالى (فالجواب) هو كما تقول فقد قال الشيخ في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات اعلم ان العظمة الالهية ليست راجعة لذات الحق تعالى وانما هي راجعة الى مقام العبد ومشاهدته اذ لو كانت العظمة صفة للذات الالهية لكانت الذات مركبة من صفة ذاتية أو معنوية ومعلوم أن قيام صفات المعاني بذاته تعالى محال كما يستحيل أن تكون العظمة صفة نفسه وذلك من أجل ما ورد من انكار بعض الخلق بعض التجليات في الآخرة مع كونه هو هو واذا بطل الوجهان فلم يبق الا أن تكون العظمة صفة للعبد ولذلك اذا خرج ملك متنكرا في غير هيئته المعروفة ومشى في شوارع مدينته لا يقوم له تعظيم في قلب أحد ولو أن العظمة كانت صفة له لعظمه كل من يراه في حال تنكره انتهى * وقال في هذا الباب أيضا احذر أن تقول ان الحق تعالى متصف بصفات خلقه كما تعطيه أخبار الصفات فان ذلك سوء أدب فما في صفات خلقه من النقص من حيث الحدوث وانما الادب أن تضيف اليه تلك الصفات وتؤمن بها من غير تكييف ومن أولها أو ردها فقد أخطأ طريق الصواب فان في التأويل فوات كمال مقام الايمان لا فوات أصل الايمان اذ لولا اعتقاد المؤول صحة تلك الصفة في جانب الحق لما اشتغل بتأويلها انتهى * وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول اياك أن تؤول أخبار الصفات فان في ذلك دسيسة من الشيطان ليفوت المؤمن الايمان بعين ما أنزل الله قال تعالى آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون وهذا المؤول ما آمن حقيقة الا بما أوله بعقله ففاته الايمان بعين ما أنزل الله تعالى فليتأمل انتهى * فان قيل فما أعلى معارف الاولياء وهل يدرك أحد كيف الحق اذا تجلى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين ومائتين ان أعلى المعارف للاولياء أن يعرف أحدهم التجليات الالهية لقلوبهم من حيث ورودها فهو يعرف من تجلى ولماذا تجلى لا غير وأما كيف تجلى فهو من خصائص الحق جل وعلا لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل وذلك لان الذات مجهولة في الاصل فعلم كيفية تجليها غير حاصل ولا

وماذكرالنية فلاترتبط نية المأموم بنية الامام الافي الصلاة من حيث حركاتها الظاهرة فقط ولكل واحد مانوى * وقال الذي أقول به ان قوله وجهت وجهي الخ لا ينبغي أن يكون الا في صلاة التهجد لانه لم يبلغنا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في الفرائض والوقوف عند ما ورد أولى حتى يأتي ما يخالفه انتهى فليتأمل ويحرر فان بعض العلماء ذكر انه ورد في الفرائض أيضا * وقال من شأن الاديب العالم أن لا يناجي ربه الا بكلامه الجامع ولذلك قال لا صلاة الا بأم القرآن والام هي الجامعة فكان هذا الحديث مفسرا لقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر من القرآن واذا ورد أمر مجمل من الشارع ثم ذكر الشارع وجها خاصا مما يكون تفسيرا لذلك المجمل كان الاولى عند الادباء من العلماء الوقوف عنده (قلت) وقد ذكر الشيخ في الباب الثالث والاربعين وثلثمائة ما نصه اعلم انه لما كانت الصلاة محلا يجمع فيه بين الله والعبد بقراءة الفاتحة تعين القول بفرضيتها على المصلي في الصلاة فاصل الصلاة التي قسمها الله بينه وبين عبده فانه ما قال قسمت الفاتحة وانما قال قسمت الصلاة بالالف واللام اللتين للعهد والتعريف فلما فصل الصلاة المعهودة بالتقسيم المذكور في الحديث جعل محل القسمة قراءة الفاتحة

مدرك لاحد من خلق الله تعالى (فان قلت) فن هم أهل الانكار فى التجليات الاخروية (فالجواب) هم ثلاثة أقسام كل قسم ينكر مافوقه لانه ماثم الا أربعة أقسام اسلام وايمان واحسان وايقان فاذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاسلام أنكره الكفار جملة واذا تجلى لاهل مقام الايمان فربما أنكره بعض أهل الاسلام واذا تجلى الحق تعالى لاهل مقام الاحسان فربما أنكره بعض أهل مقام الايمان واذا تجلى لاهل مقام الايقان فربما أنكره بعض أهل مقام الاحسان * وقد قال الشيخ فى الباب الستين وأربعمائة ان كل من لم يذق شيأ فى هذه الدار أنكره فى الآخرة وصاحب مقام الايقان لا ينكره تعالى فى تجل من التجليات كالانبياء وكل ورثتهم لانهم جاوزوا مقام الاسلام والايمان والاحسان الى مقام الايقان * فان قيل هل فى منع التجلى الذاتى فى غير مظهر خلاف بين المحققين * فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب التاسع والسبعين ومائتين انه لا خلاف فى منع التجلى الذاتى فى غير مظهر عند ما وعند أهل الحقائق ثم أنشد

ولم يبد من شمس الوجود ونورها * على عالم الارواح شئ سوى القرص

وليس تنال الذات فى غير مظهر * ولو هلك الانسان من شدة الحرص

ولا ريب فى قولى الذى قد بثثته * وما هو بالقول المموه بالخرص

* فان قيل فاذا قلتم بمنع وقوع التجلى الذاتى فبماذا تتعلق رؤيتنا للحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين ومائتين أن الرؤية تتعلق بحجاب العظمة بيننا وبين الحق تعالى وعمل على ذلك ماورد من النصوص اذ لو رفع هذا الحجاب لعلمت ذات الحق تعالى وكل من زعم أنه علم ذات الحق من رؤيته له فلا بد أن ينكشف له جهله فى الدار الآخرة فيه لم يتبنا أن الامر على خلاف ما كان يعتقده فى دار الدنيا وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون انتهى (فان قيل) فهل التجلى فى صور المعتقدات والمعقولات واقع أوهو ممنوع كالتجلى الذاتى (فالجواب) أنه واقع وذلك لان صور المعتقدات والمعقولات انما هى جسور يعبر عليها بالعلم أى يعلم أن وراء هذه المظاهر أمرا لا يصح ان يعلم ولا يشهد وليس وراء ذلك المعلوم الذى لا يشهد ولا يعلم حقيقة ما يعلم أصلا انتهى كلام الشيخ فى الباب التاسع والتسعين ومائتين (فان قلت) فاذن من خاض فى الذات بفكره فهو عاص لله ورسوله (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وثلثمائة انه نعم هو عاص لله ورسوله وما أمر الله تعالى بالخوض فى معرفة ذاته لا النافى ولا المثبت وذلك لان العبد اذا عجز عن معرفة كنه نفسه فعن معرفة كنه الحق تعالى من باب أولى بل لو سئل الخائض عن تحقيق معرفة ذات واحد من العالم ما قدر ولو قيل له كيف تدبر نفسك بدنك وهل هى داخلة فيه أوخارجة عنه أولا داخلة ولا خارجة وهل الزائد الذى يحرك به هذا الجسم الحيوانى ويسمع ويبصر ويتخيل ويفكر لماذا يرجع هل لواحد أو كثيرين وهل يرجع الى جوهر أو عرض أو جسم ويطالبه بالادلة العقلية فضلا عن الشرعية ما وجد لذلك دليلا عقليا أبدا ولا عرف ان للارواح بقاء ووجودا بعد الموت أبدا انتهى (فان قيل) فاذن عبادة الناس كلهم لله تعالى انما هى على الحس والسماع الا من شاء الله لعدم رؤيتهم له فى هذه الدار (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وثلثمائة انه لا سبيل الى عبادة الحق تعالى على الغيب المحض جملة فلا بد من تعلق العبادة بما هو مشهود أو كالمشهود كما أشار اليه خبر اعبد الله كأنك تراه ويكفينا هذا التعلق من فضل الله وكرمه والا فلو آخذ الله أصحاب العقائد من طريق فكرهم لاهلكهم فان كل صاحب عقل قد قيد أوصاف ربه فى معرفته من طريق عقله ونظره وحصره به فى كذا دون كذا ولا ينبغى أن ينسب لله تعالى الا الاطلاق وقد عذر الله تعالى الخلق فى هذا التقييد وعفا عنهم اذ قد بذلوا وسعهم فى طريق معرفته ولولا ان الحق تعالى عند كل معتقد اسلامى لكان العبد يعبد عدما من حيث ان الحق تعالى اذا وجد محصورا عند عبد لزم أن يكون مفقودا عند العبد الآخر * فعلم ان من تعرض لمعرفة الذات بعقله فقد تعرض لامر يعجز عنه وبرهان ما قلناه اختلاف المقالات فيه تعالى من كل ناظر بعقله وعدم اختلاف المقالات

قال وهذا أقوى دليل يوجد فى فرض قراءة الحمد فى الصلاة اهـ وذكر الشيخ فى الباب الخامس والتسعين ومائتين مانصه اعلم ان القاف المعقودة حرف بين حرفين بين الكاف والقاف المعقودة ماهى كاف خالصة ولا قاف خالصة قال ولهذا ينكرها أهل اللسان فاما شيوخنا فى القراءة فانهم لا يعقدون القاف ويزعمون انهم هكذا أخذوها عن شيوخهم وشيوخهم عن شيوخهم فى الاداء الى أن وصلوا الى العرب الذين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النبى صلى الله عليه وسلم كل ذلك اداء وأما العرب الذين لقيناهم ممن بقى على لسانه ما تغير كبنى فهم فانى رأيتهم يعقدون القاف وهكذا جميع العرب فما أدرى من أين دخل على أصحابنا ببلاد المغرب ترك عقدها فى القرآن اه والله أعلم * قال وانما شرعت المناجاة للحق بكلامه حال القيام دون غيره من أحوال الصلاة للاشتراك فى القيومية قال ولهذا كان من أدب الملوك اذا كلمهم أحد من رعيتهم أن يقوم بين يديهم ويكلمهم ولا يكلمهم جالسا فتبع الشرع فى ذلك العرف وأطال فى ذلك * وقال انما أمرنا الحق أن نقول اياك نعبد واياك نستعين بنون الجمع اشارة الى أن الحق يريد منا أن نعبده بجميع أعضائنا الظاهرة

فيه من كل من جاء من عند الله من رسول و ولى ملهم قال ولو ان العاقل فهم معنى قوله تعالى ولم يولد لعلم ان جميع ما أنتجه العقل من فكره بترتيب مقدمته فى معرفة الله تعالى مولود وقد نفى الحق تعالى عن نفسه كونه ولد فأين ايمان هذا العاقل وقد ولد الحق بعقله فان كان مؤمنا كان ذلك طعنا فى ايمانه وان لم يكن مؤمنا فيكفيه انه ليس بمؤمن انتهى * وكذلك قال فى باب الاسرار انما نفى الحق تعالى كونه لم يولد ليشمل ما ولدته العقول فى حقه تعالى من المعارف فان ولادة العقول انما هى عن نكاح سفاح بخلاف ولادة النصوص الشرعية انتهى (فان قلت) فعلى ما قررتموه لا يسلم لاحد من أهل النظار الفكرى معرفته بل لا بد فى طريق معرفته من حصول أوهام وخيالات (فالجواب) نعم ذلك أمر لازم له وذلك انه لا يشهد الحق الا منعزلا عن العالم ببعد اقتضاه له تنزيهه فيجعل هذا نفسه فى جانب والحق تعالى فى جانب اذ لا حلول ولا اتحاد ولذلك ينادى ربه بالتائه المشعر بالبعد مع انه ما ثم بعد فى نفس الامر الا بعد مرتبة سيادة من مرتبة عبودية لا غير ذكره الشيخ فى الباب السبعين وثلثمائة * وقال فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة اعلم ان الحق تعالى لا يدرك بالنظر الفكرى أبدا وليس عندنا ذنب أكبر من ذنب الخائضين فى ذات الله بفكرهم فانهم قد أتوا بأقصى درجات الجهل ثم انهم لما أعطاهم الفكر خلاف ما جاءت به الرسل احتاجوا الى تأويل بعيد لينصروا جانب الفكر على اعلام الله تعالى عن نفسه من حيث لا يشعرون ولو أنهم لزموا الادب و وقفوا على حد ما ورد من أخبار الصفات و وكلوا علم كيفية ذلك الى الله تعالى ولم يتأولوا الا عطاهم الله تعالى الفهم فى ذلك باعلام آخر ينزله فى قلوبهم فتكون المسئلة منه وشرحها منه وكانوا يعرفون الله تعالى باعلامه لا بنظرهم انتهى (فان قلت) فهل تزول الحيرة من أحد فى جانب الله تعالى اذا بلغ مراتب الكمال (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والخمسين وثلثمائة ان الحيرة تزول من قلب العبد اذا تجلى الحق تعالى له فى غير مادة وحينئذ يسكن قلبه من الاضطراب وتزول عنه الحيرة و يعلم عند ذلك من الله ما لم يكن يعلم قبل ذلك التجلى لكن لا يقدر أحد على تعيين ما قد تجلى له من الحق الا كونه تجلى له فى غير مادة لا غير (فان قيل) فما سبب عجز العبد عن تعيين ما تجلى له من الحق (فالجواب) أن سبب ذلك كون الحق تعالى ما تجلى قط لعبد بعين ما تجلى به لعبد آخر أبدا فلذلك كان لا يقدر عبد على تعيين ما تجلى فيه ولا على التعبير عنه ثم ان العارف اذا رجع من هذا المقام الى عالم نفسه الذى هو عالم المواد صحبه تجلى الحق تعالى فما من حضرة يدخلها من جميع الحضرات الا و يرى الحق تعالى قد تحول بحكم تلك الحضرة لان العارف قد ضبط منه أولا ما ضبط فلا يجهله بعد ذلك أبدا لانه تعالى ما تجلى لقلب عبد فى شئ من المعارف واحتجب عنه بعد ذلك وأطال الشيخ محيى الدين فى ذلك ثم قال وفى هذه الحضرة يجمع العبد بين الضدين ولا يقدر على امكان ذلك من نفسه والله تعالى أعلم * وقد قدمنا فى هذا المبحث أن علم كيفية تجلى الحق من خصائص الحق لا يعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب * و يؤيده قول الشيخ فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة ان للحق تعالى بنفسه علما ما هو عين ما حكم به العقل عليه ولا هو عين ما شهده البصر وحكم به عليه ولا هو غير هذين الحاكمين انتهى * وقال الشيخ عبد الجبار النفرى فى المواقف أوقفنى الحق تعالى وقال لى وعزتى وجلالى ما أنا عين ما عرفوه ولا عين ما جهلوه * وقال أيضا أوقفنى الحق تعالى وقال لى اعلم ان تجلى الجهل بى فهو دائما امام حضرتى فلا يعلمونه الى الا بجهلهم بى لعدم احاطتهم بى * وقال أيضا أوقفنى الحق وقال لى اعلم أنى لا أظهر لعبد الا بعد أن يتفرغ من جميع علومه ومعارفه و يدخل حضرة الجبروت فاذا دخل فهناك يشهد المعرفة أصناما والعلوم أزلاما * وقال أيضا قال لى الحق لى معرفة لا جهل فيها الاتقع وجهل لا معرفة فيه لا يبدو وأنا أظهر من الظاهر وأخفى من الباطن وأقرب الى كل شئ من نفسه وجميع ما أظهرته لعبادى من التعرفات لا يحتمل تعرفى الذى لا يبدو وانى لا أنا التعرف ولا أنا العلم ولا أنا كالتعرف ولا أنا كالعلم وليس القرب الذى عرفه عبادى هو القرب الذى أعرفه أنا فلا قربى عرفوا ولا بعدى عرفوا ولا وصفى كما يليق بجلالى عرفوا فأنا قريب بعيد بلا مسافة وهم لا يعرفون

والباطنة ونستعين به بكليتنا كذلك ومتى لم يكن المصلى بهذه المثابة من جميع عالمه كله على عبادة ربه كان كاذبا فى قوله نعبد ونستعين فاذا رآه الحق ملتفتا الى شئ قال له كذبت قال وكذلك قول الحق اذا حمده عبده حمدنى عبدى لا يكون له ذلك الحمد الا ان حضر بكليته فان غاب فما حمد الحق الا لسانه فقط فلا يقول له الحق حمدنى عبدى وانما يقول حمدنى لسان عبدى وذلك لان الله لما فرض على العبد أن يناجيه بكليته فلا تقوم جارحة من جوارحه الا عن نفسها فقط (قلت) وسيأتى فى الباب التاسع والسبعين وثلثمائة ان شاء الله تعالى أن الشارع صلى الله عليه وسلم انما جاء ببعض الاذكار ثلاثا أى بان يقول ذلك ثلاث مرات ليحصل بذلك الثواب المحسوس والثواب المتخيل والثواب المعنوى فيثمر حسا وخيالا وعقلا كما ذكر حسا وخيالا وعقلا وأطال فى ذلك والله أعلم * وذكر الشيخ فى الباب الثامن والثمانين وثلثمائة ان من أدب العارف اذا قرأ فى صلاته مطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة وذلك لانه لا يدرى أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف بحسب ما يناجيه به من كلامه و بحسب ما يأتى اليه الحق فى خاطره والله اعلم * وقال فى حديث فن

قربي و بعدي الاضافة * وقال فيها أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لي ان أردت أن أتعرف لك فارم علمك بي من وراء ظهرك ولا تدخل حضرتي بعلم ولا جهل وقف من وراء الكون واسأله عني تجد الكون جاهلا بي واسأل الجهل عني تجده جاهلا بي فاني أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن وشهود عبدي لي مع غيري لا يصح فان أردت أن أتعرف لك فلا تجعل الكون من فوقك ولا من تحتك ولا عن يمينك ولا عن شمالك ولا في علمك ولا في وجدك ولا في ذكرك ولا في فكرك وانظر من قبل الكون فهنالك مقامك فأقم فيه ناظرا الى كيف أخلق الامور * وقال فيها أيضا أوقفني الحق تعالى وقال لي ان أردت أن أتعرف لك فاخرج عن شهود الموصول والمفصول وعن العلم الذي ضده الجهل وعن الجهل الذي ضده العلم وعن المعرفة التي ضدها الفكر وأطال في ذلك (فان قلت) فما تقول فيمن أخذ معرفة الحق تعالى من خلف حجاب الحروف والالفاظ الواردة في الكتاب والسنة فهل يسمى عارفا (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات ليس هو عارفا بل هو جاهل بالله تعالى وليس له نفحة من نفحات الجود الالهي * قال وايضاح ذلك أن من أخذ معرفة الحق تعالى من الحروف فهو يتردد من كون الى كون بداية ونهاية وقال الشيخ أيضا في شرحه لترجمان الاشواق من عرف الله بالله فقد عرفه ومن عرفه بالكون فقد عرف ما أعطاه ذلك الكون لا غير فما برح من جنسه * وقال الشيخ أيضا في لواقح الانوار اعلم أن من الناس من أوغل في تحرير الادلة وغرق في التفتيش وكلما قام بباطنه أمر نقضه فكانت غاية هذا انه وقف بعد التعب مع قوله تعالى ليس كمثله شيء فهذا قد قطع عمره في التفكر فيمن لا يصح اقتناصه بالفكر وشغل المحل بما نهاه الله تعالى عنه ومن الناس من كان هذا بدايته فاستراح من أول قدم وفرغ المحل فبقي قابلا لله واهب والمعارف * وقال الشيخ في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة اعلم أن غاية أمر من خاض في الذات من القدماء والمتصوفة أنهم عصوا الله عز وجل بذلك واحتجبوا بأمور وهي عليهم لا لهم ثم انهم بعد استيفاء النظر أقروا بالعجز ولو أنهم لزموا الادب مع الله تعالى لكان ذلك الاقرار وقع منهم في أول قدم لكنهم تعدوا حدود الله التي هي أعظم الحدود وجعلوا ذلك قربة اليه والحال انهم في ذلك من أبعد ما يكون عن حضرته تعالى (فان قيل) فما أعلى المحامد التي يثني بها العبد على الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وأربعمائة أعلى المحامد عند جميع المحققين عقلا وشرعا قولنا هو تعالى كما أثنى على نفسه ليس كمثله شيء اذ لا يصح لعبد أن يثني على ربه عز وجل الا بعقله العبد وما بقي الا أن يثني عليه العبد بما يعقله فقط ومعلوم أن الحق تعالى من وراء كل ثناء للعبد فيه ثبوت فكل شيء علمته أو عقلته كان على صفتك ولا بد ومن هنا قالوا حقيقة التسبيح هي التسبيح عن التسبيح كقولهم التوبة هي التوبة من التوبة وايضاح ذلك أن التسبيح تنزيه ولا نقص في جانب الحق تعالى ينعقله العبد حتى ينزهه خالقه عنه فافهم * وقال أيضا في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم أن من فهم معنى قوله تعالى ليس كمثله شيء لم يفكر قط في كنه ذات الحق أبدا وما رأيت أحدا ممن يدعي أنه من فحول العلماء من أصناف النظار الا وقد تكلم في ذات الله تعالى بفكره زاعمين أنهم ينزهونه حتى وقع في ذلك أبو حامد الغزالي رحمه الله لكنه رجع عن ذلك قبيل موته * قال الشيخ وكان من فضل الله تعالى على أن حفظني من التفكر في ذاته فلم أعرفه تعالى الا من قوله وخبره وشهوده فبقي الفكر مني معطلا في هذه الحضرة فشكرني فكري على ذلك وقال الحمد لله الذي عصمني بك عن التصرف والتعب فيما لا ينبغي لي أن أتصرف فيه وكان ذلك من مبايعة سابقة فاني كنت قد بايعت فكري أن لا يتعب في التفكر في ذات الله وان يصرف تعبه في الاعتبار فبايعني على ذلك فلله الحمد على صرفه عن الشغل الذي لم يخلق له واستعماله في الشغل الذي خلق له انتهى * وقال الشيخ أيضا في الباب الثالث والسبعين اعلم ان أكثر الشريعة قد جاء على فهم العامة في صفات الحق رحمة بهم ولم يجئ على فهم الخواص الا بعض تلويحات نحو قوله ليس كمثله شيء وقوله سبحان

وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه المراد موافقتهم في الطهارة والتقديس واللفظ وغير ذلك * وذكر في الباب الثالث والسبعين في الجواب الموفي مائة من أسئلة الحكيم الترمذي ما نصه اعلم ان معنى آمين أجب يا رب دعاءنا يقال أم فلان جانب فلان اذا قصده وقال تعالى ولا آمين البيت الحرام أي قاصدين قال وانما خففت الميم من آمين تنبيها على السرعة المطلوبة في الاجابة اذ الخفة تقتضي الاسراع في الاشياء قال وانما قال غفر له ولم يقل أجيب دعاؤه لانه لو أجيب لما غفر له لان المهدي الى الصراط المستقيم ماله ما يغفر (قلت) قد ذكرنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا والله أعلم * قال وأما قوله فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة ليس المراد بها الموافقة الزمانية ويحتمل أن يكون المراد بها ذلك فيجمعهم زمان واحد عند قولهم آمين ثم ان الملائكة لا يخلو قولهم آمين أن يقولوها متجسدين أو غير متجسدين وان قالوها متجسدين فربما يكون المراد الموافقة الزمانية خاصة لان التجسد يحكم عليه بالاتيان بلفظ آمين أي بترتيب هذه الحروف وأما ان قالوها غير متجسدين فلم يبق معنى الموافقة الا أن يقولها العبد بالحال الذي يكون عليه الملك وأطال في ذلك بكلام دقيق فراجعه

ربك رب العزة عما يصفون لان العزيز هو المنيع الذي لا يوصل اليه بفكر ولا عقل انتهى (فان قلت) فاذن لا سبيل للعبد الى التنزيه الخالي عن التشبيه أبدا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الثاني والسبعين نعم لا سبيل لمخلوق اليه الا بورود العلم فيه الى الله تعالى فقد صدق والله أبو سعيد الخراز حيث قال لا يعرف الله الا الله انتهى (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا يشبه خلقه في شيء مطلقا فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب الحادي والستين وثلثمائة ان المراد هنا بالصورة ان الله تعالى جعل كلا من آدم وبنيه يأمر وينهى ويعزل ويولي ويؤاخذ ويسامح ويرحم ونحو ذلك لكونه خليفة في الارض اذ الصورة تطلق ويراد بها الشأن والحكم والامر أي ان الله تعالى جعل آدم يفعل بأمره تعالى ما شاء الله فهذا هو معنى الصورة اه * وذكر الجلال السيوطي أن الحديث وارد على سبب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شخصا يلطم مملوكه على وجهه فقال لا تفعل هذا فان الله خلق آدم على صورته فينبغي لك اكرام صورته اه فهذا هو المراد بالصورة والله أعلم (فان قلت) فما معنى حديث الطبراني رأيت ربي في صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفي رجليه نعلان من ذهب الحديث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين ان هذه الرؤية كانت في عالم الخيال ومن شأن الخيال أن يجسد ما ليس من شأنه التجسد من المعاني فيريك الاسلام قبة والعلم لبنا والقيد ثباتا في الدين ونحو ذلك فلا شيء في الكون أوسع من الخيال فانه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء ويصور العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا قال ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر اعبد الله كأنك تراه وقال ان الله في قبلة أحدكم خطابا لمن هو في حضرة الخيال وانما خص وجود الحق بالقبلة فتحا لباب تخيله تعالى في القبلة ليراقبه العبد ويستحي منه ويستفهم من ربه الآية اذا ارتجت عليه فيعلمه الحق تعالى بها من باب الالهام ويلزم الادب في صلاته فلولا انه صلى الله عليه وسلم علم أن عند الانسان حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال اعبد الله كأنك تراه أي كأنك تراه ببصرك مع أن الدليل العقلي يمنع من كأن لانه تخيل بدليله التشبيه والبصر ما أدرك شيأ سوى الجدار وأطال في ذلك * ثم قال فما خاطبك الشارع بما قلنا الا لتتخيل انك مواجه للحق في قبلتك وان كان الحق تعالى لا يتحيز لانك لا تعقل الحق الا كذلك ما دمت محبوسا في دائرة عقلك فاذا أعطاك الحق تعالى القوة التي فوق طور العقل فحينئذ تشهد الحق تعالى من غير تحيز فقد علمت أن من شأن الخيال أن يصور من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصور انتهى * وقال في الباب الثالث والسبعين انما سمي العقل عقلا لانه مأخوذ من العقال فلا قدم له في معرفة الحق تعالى في مرتبة الاطلاق انتهى * وقال في الباب الثامن والستين اعلم ان أدنى حجاب يحجب العبد عن رؤية الحق تعالى هو الصورة التي تقع في ذهن العبد بتجلي الحق فيها فانه تعالى ما هو تلك الصورة المتحيزة تعالى الله عن ذلك مع أن العبد لا يصح قط أن يرقى عن التجلي الصوري الا ان خرج عن عالم المواد انتهى (فان قلت) فما حكمة منع المخلوقات من أن تعلم الحق من كل وجه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان حكمة ذلك أن تمنع من علم سر القدر اذ لو صح للمعلومات ان تعلم الحق من كل وجه لعلمت سر القدر ولو علمت سر القدر لعلمت أحكامه ولو علمت أحكامه لاشتغلت بالعلم بكل شيء وما احتاجت الى الحق تعالى في شيء وذلك محال انتهى (فان قيل) قد أخبر الله تعالى بأنه أقرب الينا من حبل الوريد واذا كان منا بهذا القرب العظيم فكيف جهلناه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ان شدة القرب حجاب كما ان شدة البعد حجاب وتأمل الهواء لما كان بلطافته ملاصقا للباصر كيف لم يدركه البصر وكذلك الماء اذا غاص فيه العبد وفتح عينيه فيه لا يراه لشدة قربه (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى منا بهذا القرب العظيم فأين السبعون ألف حجاب من النور والظلمة التي أخبرنا الشارع بأنها بيننا وبين الحق تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ انه هذه الحجب كناية عن شهود العبد بعده من حضرة الحق

انتهت والله أعلم * وقال فيه في الكلام على التشهد اعلم ان الالف واللام في لفظة السلام عليك أيها النبي للجنس لا للعهد فهو مثل التحيات لله في الشمول والعموم أي السلام عليك بكل سلام قال وانما كان السلام عليه هنا بلفظ النبي دون الرسول لان النبوة في حق ذات النبي أعم وأشرف فانه يدخل فيها ما اختص به في نفسه وما أمر بتبليغه لامته الذي هو منه رسول فسلم قال وانما أتى المصلي به صلى الله عليه وسلم من غير حرف النداء المؤذن بالبعد لانه في حال قربه منه باحضاره في ذهنه ولهذا جاء بحرف الخطاب في قوله عليك (قلت) وذكر الشيخ في الباب الثالث والسبعين أن السلام انما شرع من المؤمنين لان مقام الانبياء يعطي الاعتراض عليهم لامرهم الناس بما يخالف أهواءهم فكأن المؤمن يقول يا رسول الله أنت في أمان من اعتراضي عليك في نفسي وقال كذلك السلام على عباد الله الصالحين فانهم كذلك يأمرون الناس بما يخالف أهواءهم بحكم الارث للانبياء قال وأما تسليمنا على أنفسنا فان فينا ما يقتضي الاعتراض واللوم منا علينا فنلزم نفوسنا التسليم فيه لنا ولا نعترض كما يقول الانسان قالت لي نفسي كذا فقالت لا انتهى قال وانما أمر المصلي أن يقول السلام علينا

تعالى لما يعصى الله تعالى مثلا فهى راجعة الى شهود العبد للحق والحق تعالى لا يحجب وايضاح ذلك ان العبد المؤمن مشتمل على علم وجهل فالعلم يدرك حجب النور والجهل يدرك حجب الظلمة كل بما يناسبه فافهم (فان قلت) فهل يصح رفع حجاب العظمة الذى بين العبد وربه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والخمسين ومائتين لا يصح رفع حجاب العظمة عن الحق تعالى أبدا الذى هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى فلا تقع عين عبد قط الا على هذا الحجاب فاذن العبد رآه وما رآه * وقال فى الباب الحادى والخمسين ومائتين فسبحان من لا يعلم الا بأنه لا يعلم * وقال فى الباب السابع عشر وثلثمائة فسبحان الظاهر الذى لا يخفى وسبحان الخفى الذى لا يظهر وقد حجب تعالى الخلق به عن معرفته وأعماهم عن رؤيته بشدة ظهوره فهم منكرون ومقرون ومترددون حائرون (فان قلت) فعلى ما قررتموه فما معنى قوله تعالى قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين ان المراد به أدعو الى طريق الله تعالى الخاصة التى جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام على حذف مضاف ومن ادعى انه يدعو الى الله حقيقة من غير حذف مضاف قلنا له كيف عرفت من ليس كمثله شئ حتى تدعو الناس اليه فانه لو كان مثله شئ لوقع التماثل وهو تعالى لا يماثل فليس مثله تعالى شئ وليس مثله لا شئ ومن هو كذلك لا يعرف فبطل دعواك معرفته تعالى انتهى * وقد قال بعض العارفين لشخص من مشايخ العصر ممن اعتقدت القرب حتى دعوت الناس اليه فان قلت اعتقدت قربى من الله تعالى قلنا لك هذا تحديد للحق ومن حدد الحق فقد جهل والجاهل لا يكون داعيا وان قلت انما دعوت الناس الى طريق سعادتهم قلنا لك سعادة السعداء من الخلق لم تزل قائمة بهم وما برحت معهم فى حال دعائهم اليها وما دعت الا كابرقومها الا امتثالا لامر ربهم لا غير انتهى (فان قلت) فاذا كان الحق تعالى لا تعقل ذاته فالجهات كلها متساوية فى توجهنا له تعالى فلماذا شرع لنا استقبال الكعبة بالخصوص حال صلاتنا وغيرها (فالجواب) كما قاله الشيخ فى لواقح الانوار ان الحكمة فى تخصيص الاستقبال بجهة الكعبة كوننا لا نجتمع قلوبنا الا اذا توجهنا الى جهة واحدة لان أحدنا ذو جهة فلا يقبل أن يتعقل الا ذا جهة ومن هنا قالوا كل ما خطر ببالك فالله تعالى بخلاف ذلك وأوجبوا على العبد ان ينزه الحق تعالى عما ظهر له ويصرفه عن خاطره فافهم فكان تخصيص توجهنا الى الكعبة شفقة من الحق تعالى علينا ليجمع همنا عليه سبحانه وتعالى والا فسائر الجهات فى حقه تعالى سواء قال تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله * قال واعلم انه من أعجب الامور ان العبد يعلم ويتحقق ان الحق تعالى ليس فى جهة ثم مع ذلك يغلب وهمه على عقله فلا يشهد الحق تعالى الا متعاليا فى جهة الفوق وربما استدل بعضهم بقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وليس فى الآية دليل صريح على ذلك لان المراد يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوقهم يعنى من السماء أو المراد فوقية الرتبة والمكانة لا المكان (وروى) الحكيم الترمذى مرفوعا ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار والملأ الاعلى يطلبونه كما تطلبونه * قال ومن هنا قال المحققون ان علم العبد بأن الله تعالى يراه أكمل فى التنزيه من شهود كون العبد كأنه يراه لان العبد لا يشهده الا مقيدا غير مطلق وتعالى الله عن التقييد * قال الشيخ وليحذر المصلى حال استقباله الكعبة أن يرى نفسه مستقبلا فى جهة معينة بل يرى الجهات كلها متساوية وهى وجه الحق تعالى عند المحقق ومن توهم أن نفسه قد أحاطت بها الجهات كصورته الظاهرة وبقى الحق فى وهمه كالدائرة المحيطة به فهو لم يشم من معرفة الله تعالى رائحة ولو كان محققا لرأى نفسه لم تحط بها الجهات الست وذلك لانها ليست من عالم الحس فكما يرى نفسه فى غير جهة كذلك يشهد الحق فى غير جهة وأما ظاهر العبد فهو متوجه الى جهة الكعبة فقط فعلم ان رؤية الحق فى غير جهة بالباطن رؤية مطلقة غير مقيدة وأطال فى ذلك * واعلم يا أخى ان مسئلة القول بالجهة قد زل فيها خلق كثير حتى نقل القول بالجهة عن سيدى عبد القادر الجيلى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث السابع وفى مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ فى الباب التاسع عشر وثلثمائة اعلم ان الذات المقدس له الغنى على الاطلاق وكيف للمحدث أن يعرف القديم

وعلى عباد الله الصالحين بالالف واللام أيضا لتشمل جميع السلام بأجناسه على نفسه قال وانما جاء بنون الجمع ليؤذن بان كل جزء من هذا المسلم يسلم على بقية اجزائه وعلى المحقق رأى بيت قلبه خاليا من كل ما سوى الله فسلم على نفسه كما أمر أن يسلم اذا دخل بيتا ما فيه أحد نيابة عن الحق الذى يشهده فى قلبه كما قال ان الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده قال وانما قال وعلى عباد الله الصالحين بالواو دون ذكر لفظ السلام تنبيها على ان المراد بالصالحين المتعملين فى أمور مطلق الاسلام من المسلمين لا الصالحين فى العرف * قال وانما لم يعطف المصلى السلام الذى سلم به على نفسه بالواو على السلام الذى سلم به على نبيه لانه لو عطفه عليه سلم على نفسه من جهة النبوة وهو باب قد سده الله كما سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وتعين بهذا انه لا مناسبة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فى المرتبة التى لا تنبغى لنا فلا بد أنا بالسلام علينا فى طورنا من غير عطف انتهى (قلت) وفى هذا القول من الشيخ رحمه الله رد على من افترى عليه انه كان يقول لقد حجر ابن آمنة واسعا بقوله لا نبى بعدى * وقد ذكر فى شرحه لترجمان الاشواق أيضا ما نصه اعلم ان

* وقال الشيخ في الباب الرابع والعشرين والثلثمائة في قوله تعالى واستغفر لذنبك المراد بالذنب هنا ما يخطر ببال العبد من طلب معرفة ما هو الحق تعالى عليه من الحقيقة التي لا تعرف في الدارين والمراد بذنبه صلى الله عليه وسلم ذنب أمته فهو المخاطب والمراد به غيره هذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم * وقال في الباب الستين والثلثمائة ما حرم النظر بالفكر في ذات الله الا لكون ذلك لا يؤدي صاحبه الى معرفة الحقيقة كما يعرف ذلك كل ذي عقل سليم * وقال في الباب الرابع والستين وثلثمائة ما سمى الحق تعالى نفسه بالباطن الا لبطون العلم بالذات عن جميع الخلق دنيا وأخرى * وقال في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة واذا كانت ذات الحق تعالى غير معلومة فالحكم عليها بأمر دون آخر جهل عظيم * وقال في الباب التاسع والستين والثلثمائة اعلم ان ذات الحق تعالى لا يعلمها أحد من خلق الله تعالى فهو وراء كل معلوم انتهى كلام الشيخ محيي الدين في جميع أبواب الفتوحات المكية وغيرها فتأمل يا أخي فيه فانك لا تكاد تجده في كتاب مجموعا هذا الجمع أبدا ومنه يعلم كل عاقل خارج عن الهوى والتعصب ان الشيخ رضي الله عنه بلغ في مقام التنزيه لله تعالى ما لا يكاد يرى أحدا من الاولياء بلغه وانه رضي الله عنه بريء من القول بالجسمية خلاف ما أشاعه عنه من لا يخشى الله عز وجل وقد صرح في عقيدته الصغرى بما معناه اعلم ان الحق تعالى ليس بجوهر فيقدر له المكان ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء فهو منزه عن الجهات والاقطار انتهى * وقال في باب الاسرار انما ذهب جمهور المتكلمين الى انعدام العرض لنفسه ليكون الخالق خلاقا على الدوام وبالجملة فالحق تعالى مباين لخلقه في سائر المراتب وهو من وراء معلومات جميع الخلق والسلام فتدبر هذا المبحث والله يتولى هداك

(خاتمة) كان الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني رحمه الله يقول جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه أهل الحق في كلمتين * الاولى اعتقاد ان كل ما تصور في الاوهام فالله بخلافه * الثانية اعتقاد ان ذاته تعالى ليست مشبهة بذات ولا معطلة عن الصفات وقد أكد ذلك تعالى بقوله ولم يكن له كفوا أحد انتهى * واعلم يا أخي ان الحق تعالى هو المنزه نفسه بنفسه * وقد قال الشيخ في الباب الثاني والسبعين ومائتين ما نصه اعلم ان الحق تعالى انما نزه عن صفات خلقه بتنزيه التوحيد اياه لا بتنزيه من نزهه من المخلوقين لان تنزيه المخلوق مركب والمأمور بذلك مخلوق فلا يصدر عنه الا ما يشاكله لكن لما تعبدنا الشارع بالتنزيه اقربناه في موضعه وقلناه كما أمرنا به على جهة القربة اليه مع اعتقادنا انه ليس كمثله شيء فليس التنزيه الذي أمر به العبد هو عين التنزيه الذي نزه الحق تعالى به نفسه (فان قلت) فما الفرق بين التنزيه والتقديس (فالجواب) كما قاله الشيخ في لواقح الانوار ان الفرق بينهما هو أن التنزيه لا يكون الا مع استشعار توهم نقص في جانب الحق تعالى وأما التقديس فلا يكون الا في صفات الكمال والجمال مع عدم استشعار توهم وجود نقص هناك فعلم ان التقديس أكمل في حق العبد من التنزيه ولذلك قال الشيخ في باب الاسرار التسبيح تجريح فان من لا يلحقه نقص لا ينزه لكن لما وقع استشعار نقص ما من بعض العبيد حين حملوا الحق تعالى على صفاتهم في بعض المواضع شرع للعبد أن ينزهه عن هذا الشعور وان كان ذلك محالا عند المتأمل * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول تسبيح العلماء بالله تعالى انما هو حكاية عن قول الله تعالى عن نفسه فيقولونه على سبيل التلاوة لسلامتهم من الوقوع في التوهم المشعر بنقص ما رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد قدمنا نظير ذلك في مبحث التوحيد والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس في وجوب اعتقاد أنه تعالى أحدث العالم كله)
من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه

وانما علمه تعالى به سبق فلابد أن يخلق ما خلق فهو تعالى غني عن العالمين فاعل بالاختيار لا بالذات وموجود بذاته من غير افتتاح ولا انتهاء بل وجوده مستمر قائم بذاته سبحانه وتعالى هذا كلام المتكلمين وانبسط

المقام المحمدي ممنوع من دخوله لنا وغاية معرفتنا به النظر اليه كما ننظر الكواكب في السماء وكما ينظر أهل الجنة السفلى الى من هو في عليين قال وقد فتح للشيخ أبي يزيد البسطامي من مقام النبي قدر خرم ابرة تجليا لا دخولا فاحترق فكذب والله من افترى على الشيخ وخاب مسعاه والله أعلم * قال وانما لم يكن التشهد الاول وجلوسه واجبا لان هذا الجلوس عارض عرض لاجل القيام بعده الى الركعة الثالثة والعارض لا ينزل منزلة الفرض ولهذا يسجد من سها عنه بخلاف الجلوس الاخير قال فهو من التجليات البرزخيات فانه سبحانه دعا عبده أن يسلم عليه بما شرع فيه من التحيات فلما رأى ان ذلك المقام يدعو الى التحية جلس قال والحكمة في ذلك ان الصلاة تقتضي الشفعية لقوله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي وأطال في ذلك * قال رضي الله عنه واعلم انا لم نقف على رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم في تشهده الذي كان يقوله في الصلاة هل كان يقول مثلنا السلام عليك أيها النبي أو كان يقول السلام علي أو كان لا يقول شيأ من ذلك ويكتفي بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال فان كان يقول مثل ما أمرنا ان نقول من ذلك فله وجهان أحدهما أن يكون المسلم

الكلام على هذا المبحث بنقول الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه فنقول وبالله التوفيق * ذكر الشيخ في الباب التاسع والعشرين ومائتين من الفتوحات انه لا يجوز أن يقال ان الحق تعالى مفتقر في ظهور أسمائه وصفاته الى وجود العالم لانه له الغنى على الاطلاق * قلت وهذا رد صريح على من نسب الى الشيخ انه يقول ان الحق تعالى مفتقر في ظهور حضرات أسمائه الى خلقه ولولا خلقه ما ظهر ولا عرفه أحد وأجمع الائمة كلهم على انه تعالى لا يتصف بالقدرة على نفسه ولا بالارادة لوجوده لان من شأن الارادة أن لا تتعلق الا بمعدوم والله موجود ومن شأن القدرة أن لا تتعلق الا بممكن أو واجب بالغير والله تعالى واجب الوجود لنفسه انتهى (فان قلت) اذا كان الحق تعالى لا يجب عليه شئ فما معنى قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة ونحو قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين فان ذلك مؤذن بان الحق تعالى ليس له أن يخالف ما أوجب على نفسه من الرحمة والنصر لله ؤمنين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين وثلثمائة ان للحق تعالى ان يوجب على نفسه ما شاء ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده من المنع من ترك ذلك الواجب لانه تعالى فعال لما يريد فله تعالى أن يخالف ما كتبه ويخذل من شاء من المؤمنين ولا يلحقه ذم ولا لوم لان الواحد المختار لا يصح منه ان يلزم نفسه ولو ألزمها لا يلزمه الوفاء بخلاف العبد اذا أوجب على نفسه شيأ بالنذر يلزمه الوفاء به لدخوله تحت حد الواجب الشرعي ويأثم اذا لم يوف بنذره مع القدرة وذلك كالعقوبة له لكونه أوجب على نفسه ما لم يوجبه الله تعالى عليه وزاحم الحق في التشريع وأما قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين فالمراد به كما قاله الشيخ في الباب الثالث والثلاثين ان العلم الالهي اذا تعلق أزلا بما فيه سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه أي لابد من وجود تلك الطريق الموصلة الى ذلك الامر الذي تعلق به العلم وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان الحق تعالى لا يجب عليه شئ ولو أوجب هو على نفسه شيأ فله الرجوع عنه من حضرة الاطلاق فان للحق تعالى حضرتين حضرة تقييد نحو قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به فهذه لا يصح شرعا أن يخالف ما أخبر به منها وحضرة اطلاق نحو قوله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ومذهب المحققين من أولياء الله تعالى ان يطلقوا ما أطلقه الحق تعالى ويقيدوا ما قيده الحق أدبا فلا يطلقوا ولا يخصوا خاصا على عام ولا عاما على خاص انتهى ويؤيده ما ذكره الشيخ أيضا في الباب الثالث والتسعين ومائتين في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق وهو ان للحق تعالى جودين جود مطلق وجود مقيد قال وهذه الآية من الجود المطلق وأما الجود المقيد فهو نحو قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم مخصوصين بعمل خاص وهو قوله انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح الآية فهذا جود مقيد بالوجود لمن هذه صفته بحكم الوعد السابق منه تعالى وهو عوض عن هذا العمل الخاص فان التوبة والاصلاح من الجود المطلق وقد قابل جوده بجوده فما حكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره فالعبد بين هذين الجودين كأنه عرض زائل اه قال وقد بان لك أن وجه الاطلاق مشروع ووجه التقييد معقول كما أنه تعالى حجر اطلاق نسبة الولد اليه وأدخله تحت حكم لو وكما حجر تعالى تبديل القول الالهي بقوله ما يبدل القول لدي * قال الشيخ والعقل يدل على الاحالة في الولد دلالة عقلية وفي نحو قوله تعالى ولو شاء لهداكم أجمعين دلالة عقلية وقد دلت لفظة لو على أنه تعالى مخير في نفسه ان شاء أمر امضاه وان شاء لم يشأه فقد رأيت وروده في الاخبار الالهية كما ترى ومع ذلك فالعقل يحيله وأطال في ذلك ثم قال فقد بان لك مما قررناه ان الحق تعالى انما أوجب على نفسه بعض أمور تأنيسا لنا فيما نوجبه على أنفسنا من الصلاة والقربات الشرعية فان أوجبناه لربنا سبحانه وتعالى كالنذر أوجبه علينا لنميز نفسه فتعصى بتركه ولو انه تعالى ترك فعل ما أوجبه على نفسه لم يكن له هذا الحكم فما وجب علينا فعل ما أوجبناه على أنفسنا الا من حيث ما أوجبه الحق علينا لا من حيث اتجابنا ذلك على أنفسنا فانه لو لم يوجب تعالى علينا ما أوجبناه على أنفسنا لم نكن عصاة اذا تركناه

عليه هو الحق وهو مترجم عنه كما جاء في سمع الله لمن حمده والوجه الثاني انه كان يقام في صلاته في مقام الملائكة مثلا ثم يخاطب نفسه من حيث المقام الذي أقيم فيه أيضا من كونه نبيا فيقول السلام عليك أيها النبي قول الاجنبي فكأنه جرد من نفسه شخصا آخر قال وانما قال وأشهد أن محمدا رسول الله ولم يقل نبي الله لان الرسالة هنا أعم لتضمنها النبوة فكان يحتاج الى ذكر الرسالة بعد النبوة ليظهر اختصاصه على من ليس له مقام الرسالة من عباد الله النبيين قال وأما قوله في تشهد ابن عباس سلام عليك أيها النبي بالتنكير فوجهه انه راعى خصوص حال كل مصل فجاء بسلام منكر ليأخذ كل مصل منه على حسب حاله من مقام السلام على النبي صلى الله عليه وسلم ومن مقام السلام على نفسه وعلى الصالحين من عباد الله ولذلك اختص بترك تكرار لفظ الشهادة في الرسالة واكتفى بالواو لما فيها من قوة الاشتراك واسقط في هذه الرواية ذكر لفظ العبودية لتضمن الرسالة لها انتهى فتأمل يا أخي هذا المحل المتعلق بالتشهد فانك لا تكاد تجده في كتاب والله يتولى هداك * وقال انما أمرنا بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال لما يظهره للخلق في دعواه الالوهية وما يخيله من الامور الخارقة للعادة من احياء الموتى وغير ذلك

وأما الحق تعالى اذا وفى بما أوجبه على نفسه فهو فضل منه ومنة ومكارم أخلاق (فان قلت) هذا ظاهر فيما اذا كان الوفاء منه بما وعد من الخير فان كان بما توعد به العصاة من الشر فما حكمه (فالجواب) انه ما ثم شئ يصدر منه تعالى الا وهو خير ولكن الخير على قسمين خير محض وخير ممتزج فالخير المحض هو الذى لا تكرهه النفوس والخير الممتزج هو الذى فيه ضرب من الشر كشرب الدواء الكريه فصاحب هذا الخير كالمذنب المرحوم بعد عذابه اذا تأمله رحمة وتأديبا هذا حكم عصاة الموحدين وأما من حقت عليه كلمة العذاب من الاشقياء فذلك فى شر محض لا رحمة فيه بوجه من الوجوه نسأل الله تعالى اللطف * وذكر الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والتسعين ومائتين أيضا ما يؤيد اعتقاد أهل السنة والجماعة من ان الحق تعالى لا يجب عليه شئ وهو ان سهل بن عبد الله التسترى رضى الله تعالى عنه قال لقيت ابليس مرة فعرفته وعرف منى انى عرفته فوقع بينى وبينه مناظرة فقال لى وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث انه وقف ووقفت وحار وحرت فكان آخر ما قال لى يا سهل ان الله تعالى قال ورحمتى وسعت كل شئ فعم ولا يخفى عليك انى شئ ولفظة كل تقتضى الاحاطة والعموم الا ما خص وشئ أنكر النكرات فقد وسعتنى رحمته أنا وجميع العصاة فبأى دليل تقولون ان رحمة الله لا تنالنا قال سهل فوالله لقد أخرسنى وحيرنى بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآية وفهمه منها ما لم أكن أفهمه وعلمه من دلالتها ما لم أكن أعلمه فبقيت حائرا متفكرا وأخذت أردد الآية فى نفسى فلما جئت الى قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى آخر النسق فسررت بها وظننت أنى قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما قصم ظهره فقلت له تعال يا ملعون ان الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها عن ذلك العموم فقال فسأكتبها للذين يتقون الى آخر النسق فتبسم ابليس وقال يا سهل التقييد صفتك لا صفته تعالى ثم قال يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل بالله ما رأيت ولا ظننت انك ههنا ليتك سكت ليتك سكت قال سهل فرجعت الى نفسى وغصصت بريقى وأقام الماء فى حلقى وما وجدت له جوابا ولا سددت فى وجهه بابا وعلمت انه طمع فى مطمع وانصرف وانصرفت ووالله ما أدرى بعد هذا ما يكون فان الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الاشكال فبقى الامر عندى على المشيئة منه فى خلقه لا أحكم عليه فى ذلك الا بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الايمان به انتهى كلام سهل قال الشيخ محيى الدين وكنت قديما أقول ما رأيت أقصر حجة من ابليس ولا أجهل منه فلما وقفت له على هذه المسئلة التى حكاها عنه سهل رضى الله تعالى عنه تعجبت وعلمت ان ابليس قد علم علما لا جهل فيه فهو رتبة الافادة لسهل فى هذه المسئلة انتهى فقد بان لك ان الله تعالى خلق العالم كله من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه (وأما) وجه كونه تعالى غنيا عن العالمين فقد قال الشيخ رحمه الله فى الباب الثانى والسبعين ان الله تعالى لم يوجد العالم لافتقاره اليه وانما الاشياء فى حال عدمها الامكانى لما طلبت وجودها من هى مفتقرة اليه بالذات وهو الله تعالى لا تعرف غيره فلما طلبت بفقرها الذاتى من الله تعالى أن يوجدها قبل الحق تعالى سؤالها لا من حاجة قامت به اليها لانها كانت مشهودة له تعالى فى حال عدمها النسبى كما هى مشهودة فى حال وجودها سواء فهو يدركها سبحانه على ما هو عليه فى حقائقها حال وجودها وعدمها بادراك واحد فلهذا لم يكن ايجاده للاشياء عن فقر بخلاف العبد فان الحق تعالى ولو أعطاه حرف كن وأراد ايجاد شئ لا يوجده الا عن فقر اليه وحاجة فما طلب العبد الا ما ليس عنده ليكون عنده فقد افترق ايجاد العبد عن ايجاد الحق تعالى قال الشيخ وهذه مسئلة لو ذهبت عين جزء لتحصيلها لكان قليلا فى حقها فانها مزلة قدم زل فيها كثير من أهل الله تعالى والعقول فيها من ذمهم الله تعالى فى قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء انتهى (فان قلت) قد نقل بعضهم عن الشيخ انه كان ينشد

الكل مفتقر ما الكل مستغنى * هذا هو الحق قد قلنا ولا نكنى

مما ثبت به الروايات وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه قال وهذه مسئلة فى غاية الاشكال لانها تقدح فيما قرره أهل الكلام فى العلم بالنبوات فيبطل بهذا القدح كل دليل قرروه وأى فتنة أعظم من فتنة تقدح فى الدليل الذى أوجب السعادة للعباد قال الله بها لنا من أهل الكشف والوجود انتهى فليتأمل ويحرر * وقال انما كان المصلى يسلم تسليمتين لانتقاله من حال الى حال فيسلم بالاولى على من انتقل عنه وبالثانية على من قدم عليه قال وكل مصل لم يغب فى صلاته عن غير الله عز وجل فهو خارج من الاكوان فعلى من يسلم وهو مازج مع الكون فهلا استحى هذا المسلم من الله حيث يرى الناس بسلامه عليهم انه كان غائبا عند الله فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * وقال الحكمة فى رفع الايدى فى الصلاة الاعلام بكل شئ حصل فى اليدين قد سقط عند رفعهما وكأن الحق تعالى يقول معلما للعبد اذا وقفت بين يدى فقف فقيرا محتاجا لا تملك شيأ وكل شئ ملكته يداك فارم به وقف صفر اليدين واجعل ذلك خلف ظهرك وائتنى فى قبلتك قال ولهذا يستقبل بكفيه قبلته (قلت) ذكر الشيخ فى الباب التاسع والستين وثلثمائة ما نصه اعلم ان من آداب الوقوف بين يدى الله

(فالجواب) ان مثل ذلك مدسوس عليه فى كتاب الفصوص وغيره فان هذا نصه يكذب الناقل عنه خلاف ذلك * وقال أيضا فى الباب الحادى والستين وثلثمائة فى قوله تعالى ان الله لغنى عن العالمين اى غنى عن وجود العالم لكن لما أظهر الله الاسباب ورتب ظهور بعضها على ظهور بعض زل نظار بعضهم فقال ان الله تعالى غنى عن وجود العالم لا عن ثبوته ففهم بعض المقلدين من هذه العبارة رائحة الافتقار من حيث ترتيب الظهور ومع غفلته عن كون ذلك فعل مختار فى الاصل غنى عن العالمين فزلت بهم قدم الغرور فى مهواة من التلف فانه لا يلزم من كون العالم ثابتا فى العلم الالهى الافتقار الى وجوده فان من كان غنيا عنه وعن ايجاده لا يوصف بافتقار اليه واذا تعارض عند العاقل مزلات الاقدام فليكن مع وصف الحق تعالى بالكمالات فانه حينئذ ناصر جناب الحق * قال وايضاح ذلك أن تعلم يا أخى ان العلم لما تعلق بالعالم من حيث ثبوته فيه اكتفى بذلك ثم ان شاء الحق تعالى أوجده الى عالم الشهادة وان شاء لم يوجده فهو تعالى ولو أوجده لا يوصف بالافتقار اليه بل هو مستغن عن وجوده وقد وفى الالوهية حقها بكونه ممكنا ولولا ان الممكنات طلبت من الله بلسان الافتقار أن يذيقها طعم الوجود كما ذاقت طعم العدم ما أظهرها تعالى فانها لما أحست بلسان ثبوتها فى علم واجب الوجود أن يخرجها من العدم ويوجدها علمت انه يكون العلم اهاذوقا فأوجدها تعالى لها لا له اذ هو الغنى عن وجودها وعن أن يكون وجودها دليلا عليه وعلامة على ثبوته بل عدمها فى ترك الدلالة أظهر من وجودها فأى شئ رجح من عدم أو وجود حصل به المقصود من العلم بكمال الحق جل وعلا قال فلهذا قلنا ان غناه عن العالم هو عين غناه عن وجود العالم وهذه مسئلة غريبة لان فيها اتصاف الممكن بالعدم فى الازل وكون الازل لا يقبل الترجيح وكيف قبله عدم الممكن مع أزليته فى العلم وذلك انه من حيث ماهو ممكن فى نفسه استوى فى حقه القبول للعكس فما يفرض له حال عدم ولا يفرض له حال وجود فما كان له الحكم فيه فى حال فرضه فهو مرجح فان الترجيح ينسحب على الممكن أزلا فى حال عدمه وان كان منعوتا بعدم المرجح (وايضاح ذلك) أن الترجيح من المرجح الذى هو اسم فاعل لا يكون الامع القصد لذلك والقصد حركة معنوية يظهر حكمها فى كل قاصد بحسب ماتعطيه حقيقته فان كان محسوسا شغل حيزا وفرغ حيزا آخر وان كان معقولا أزال معنى وأثبت معنى ونقل من حال الى حال انتهى * وحاصل كلام الشيخ أنه لا يقال ان الحق تعالى غنى عما تضمنه علمه القديم من حيث ثبوت العالم فيه اذ العالم هو معلوم علمه تعالى وعلم بلا معلوم لا يصح فمن قال ان الله تعالى غنى عن ثبوت المعلومات فى علمه كانه قال ان الحق تعالى غنى عن علمه على حد سواء وذلك محال فافهم فرجع الامر الى انه تعالى غنى عن ابراز العالم من مكنون علمه الى عالم الشهادة لا غنى عن ثبوته فى علمه فليتأمل ويؤيد مافهمناه قول الشيخ فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى البارى اعلم أن الحق تعالى من وراء جميع المعتقدات لانه غنى عن العالمين لكن لابد من تخيل وجود العالم لنا فى الذهن ليثبت له تعالى الغنى عنه كما يقال فى صاحب المال انه غنى بالمال عن المال اذ المال هو الموجب له صفة الغنى عنه فلابد من وجود المال لتتصور صفة الغنى عنه * قال الشيخ وهذه مسئلة دقيقة لطيفة الكشف فان العالم سبب الثناء عليه تعالى من حيث وجود العالم كما انه تعالى لا ينزه عن صفاتنا الا بنا فما وقع الثناء عليه الامع تصور وجودنا فهو غنى عنا بنا فى الدائرة العقلية لا الكشفية فان كونه تعالى غنيا انما هو بغناه عنا فلابد من ثبوت هذا الغنى له نعقل ومن أراد أن يقرب عليه تصور هذا الامر فلينظر الى ماسمى الحق تعالى به نفسه من كل اسم يطلب العالم فان الخالق يطلب مخلوقا والرازق يطلب مرزوقا والرحمن يطلب مرحوما والرب يطلب مربوبا وهكذا فلم يتعقل قط الغنى عنا الابنا قال ومن هنا قال سهل بن عبد الله ان للربوبية سرا لو ظهر لبطل حكم الربوبية ومعنى ظهر زال كما يقال ظهر السلطان من البلد اذا خرج عنها انتهى * وقال الشيخ أيضا فى الباب الاربعين ومائة المراد بكون الحق تعالى غنيا عن العالمين أى غنى عن العالم من حيث دلالة العالم عليه اذ لو خلق تعالى العالم للدلالة عليه لكان للدليل فخر وسلطنة على المدلول

تعالى فى الصلاة الذل والمسكنة والتكنف شغل العبد الذليل فى حال مناجاة سيده وقد وردت السنة بذلك وهو عندى احسن من اسبال اليدين قال وايضاح ماقلناه ان الله تعالى قسم الصلاة بينه وبين عبده نصفين فجزء منها خالص لله من أولها الى قوله مالك يوم الدين فهو بمنزلة اليد اليمنى من العبد اشارة للقوة الالهية قال تعالى لاخذنا منه باليمين والجزء الآخر خاص للعبد من قوله اهدنا الى آخر السورة فهو بمنزلة اليد اليسرى التى هو الجانب الاضعف الاصغر قال ولما كان جزء منها بين الله وبين عبده وهو قوله اياك نعبد واياك نستعين جمع العبد يديه فى الصلاة لجامع المناجاة فكملت صفة العبد بجمعه بين يديه ولو أسبل يديه لم تكمل صفته فانظر الى هذه الحكمة ما اجلاها لذى عينين انتهى ثم لا يخفى انه اذا كان جعل اليدين على الصدر يشغل العبد عن مناجاة ربه فارسالهما أولى فالتحقيق ان جعل اليدين على الصدر للكمل الذين لا يشغلهم ذلك عن الله وان ارسالهما أولى لغير الكمل اذ مراعاة وضعهما على الصدر يشغل عن كمال التوجه فليتأمل والله اعلم * وقال معنى قول العبد فى حال اعتداله عن الركوع ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفع من كان له حظ فى الدنيا من جاه ورياسة ومال استناده

والماصح للحق تعالى الغنى عنه فكان الدليل لايبرح عن مرتبة الزمه ولكونه أفاد الدال أمرا لم يتمكن للمدلول ان يوصل اليه الابه فكان يبطل الغنى عن العالمين فسقط بذلك قول من قال ان الله تعالى خلق العالم للدلالة عليه فان الله تعالى مانصب الادلة لتدل عليه وانما نصبها لتدل على المرتبة ليعلم العبد انه تعالى اله واحد لا اله الا هو انتهى * ويؤيد ذلك أيضا قول الشيخ فى الباب الستين من الفتوحات فى قوله تعالى ان الله غنى عن العالمين أى غنى عن الدلالات عليه اذ العوالم كلها دلالات كانه تعالى يقول ماخلقت العالم كله الا ليدل على نفسه وليظهر له عجز نفسه وفقرها وحاجتها الى لانه ماثم فى الوجود دليل على لانه لو كان فى الوجود دليل على لربطنى به فكنت مقيدا به وأنا الغنى الذى لايقيد فى وجود الادلة ولا يدل على أدلة المحدثات قال وأكثر الناظرين فى هذه المسئلة يتوهمون أن الكون دليل على الله لكونهم ينظرون فى نفوسهم فيستدلون وما علموا أن كونهم ينظر ونتراجع الى حكم كونهم متصفين بالوجود فالوجود هو الناظر حقيقة وهو نور الحق تعالى لا نورهم فان ذات أحدهم لو لم تتصف بالوجود فبماذا كان ينظر ومن هنا صح قول من قال عرفت الله بالله وهو مذهب الجماعة اه * وقال الشيخ أيضا فى شرح ترجمان الاشواق جميع الادلة التى نصبها الحق تعالى أدلة قد محاها بقوله ليس كمثله شئ فأوقف العالم كله فى مقام الجهل والعجز والحيرة ليعرف العارفون انه ما طلب منهم من العلم وما لم يطلب منهم فيتأدبون ولا يجاوزون مقادرهم انتهى * وقال فى باب الاسرار من الفتوحات (مه) ان العالم علامة بدو ممن هو علامة على من فما ثم الا الله وفعله وما لا يسع جهله انتهى كلام الشيخ رحمه الله * وقد بان لك أنه رضى الله تعالى عنه برىء من القول بأن الحق تعالى يوصف بكونه مفتقرا الى العالم وانه تعالى هو الغنى على الاطلاق وان العالم لا ينفك طرفة عين عن الافتقار الى الله تعالى وانه تعالى ما أظهر العالم من مكنون علمه الا ليسبغ عليه نعمه حال وجوده الى عالم الشهادة لا غير وهو معنى قول بعضهم ان الله تعالى أوجدنا لنا لا لحاجة منه الينا فقوم بالتكليف اذ الحق لا يكلف نفسه انتهى والله أعلم *(خاتمة)* ان قيل هل يصح لاحد الغنى بالله عن الكون (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس والعشرين ومائة أنه لا يصح لاحد الغنى بالله حقيقة انما حقيقة الاستغناء ترجع الى الاسباب جلت ذات الحق تعالى أن تكون محلا لمثل ذلك وايضاح ذلك ان الله تعالى ما وضع الاسباب الا ليزيل بها فاقة المخلوقين فما ستغنى أحد الا بالكون ولا يصح الغنى عن الكون بحكم العموم وانما يصح الاستغناء عن مخلوق ما بغيره فقول بعضهم فلان مستغن بالله جهل وانما التحقيق ان العبد مستغن بما من الله لا بالله فاذا جاع أمر بالاكل فزال جوعه عند الاكل لا بالاكل فافهم والله تعالى أعلم

(المبحث السادس فى وجوب اعتقاد أنه تعالى لم يحدث له بابتداعه العالم فى ذاته حادث وانه لا حلول ولا اتحاد)

اذ القول بذلك يؤدى الى أنه فى أجواف السباع والحشرات والحشوش وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم أن هذه المسئلة مما أشاعها الحاسدون على الشيخ محيى الدين كما مر فى خطبة الكتاب وها أنا أجلى عليك عرائس كلامه فى أبواب الفتوحات لتعلم يقينا براءة الشيخ من مثل ذلك اذ هو جهل محض * فأقول وبالله التوفيق قال الشيخ فى عقيدته الصغرى تعالى الحق تعالى أن تحله الحوادث أو يحلها * وقال فى عقيدته الوسطى اعلم أن الله تعالى واحد باجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شئ أو يحل هو فى شئ أو يتحد بشئ * وقال فى الباب الثالث من الفتوحات اعلم أنه ليس فى أحد من الله شئ ولا يجوز ذلك عليه بوجه من الوجوه * وقال فى باب الاسرار لا يجوز لعارف أن يقول أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا القول حاشاه انما يقول أنا العبد الذليل فى المسير والمقيل * وقال فى الباب التاسع والستين ومائة القديم لا يكون قط محلا للحوادث ولا يكون حالا فى المحدث وانما الوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعض ربط اضافة وحكم لا ربط وجود عين بعين فان الرب لا يجتمع مع عبده فى مرتبة

الى ذلك دون الله فاذا انكشف الغطاء يوم القيامة لم ينفعه ماله ولا جاهه عند الله تعالى والله أعلم (وقال) انما جوز الامام أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه ترك الطمأنينة فى الاعتدال وبين السجدتين خوفا من ترك المسارعة الى الخيرات المأمور بالمسارعة اليها اتفاقا ان الطمأنينة ذلك مع انه رضى الله تعالى عنه قائل باستحباب الطمأنينة ووجه هذا القول ان الطمأنينة لا تنافى المسارعة الى الخيرات والله أعلم * وقال انما وقع الاتفاق على وجوب السجود على الجبهة واختلفوا فى وجوبه على الانف لان الانف ليس بعظم خالص بل هو الى العضلية أقرب منه الى العظمية فتميز عن الجبهة فكانت الجبهة هى المقصود الاعظم وفى الحديث أمرت ان أسجد على سبعة أعظم وبدأ بالجبهة فافهم * وقال انما أمر العبد ان يقول سبحان ربى الاعلى وسبحان ربى العظيم باضافة الرب الى ياء النسبة لان الرب يتفاضل العلم به من كل عبد وكل عبد يعتقد فى ربه خلاف ما يعتقده غيره مما يقوم فى الخيال فلذلك كان كل عبد لا يسبح الا ربه الذى اعتقده ربا وكم شخص لا يعتقد فى الرب ما يعتقده غيره بل ربما كفر غيره فى اعتقاده فى ربه فلو أمر العبد أن يسبح الرب مطلقا باعتقاد كل معتقد لسبح هذا الشخص

واحدة أبدا وغاية الامر أن يجتمع بين العبد والرب في الوجود وليس ذلك بجامع انما يكون الجامع بين العبد والرب بنسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر ولهذا نعني اطلاق الالفاظ ومعلوم ان نسبة المعنى الى كل واحد منهما على حد نسبته الى الآخر غير موجودة انتهى * وقالت الولية الكاملة سيدة العجم في شرح المشاهد اعلم أن العبودية مرتبطة بالربوبية ارتباط مقابلة كارتباط حرف لا اذ كل واحد من هذين الحرفين الذين قد صارا واحدا في النظر موقوف على الآخر عند وضع حقيقة هذا الحرف انتهى (فان قيل) فما معنى حديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها فان جماعة كثيرة فهموا منه وجود اتحاد الحق تعالى بالعبد وحلوله فيه (فالجواب) ان معنى كنت سمعه الى آخره ان ذلك الكون الشهودي مرتب على ذلك الشرط الذي هو حصول المحبة فمن حيث الترتب الشهودي جاء الحدوث المشار اليه بقوله كنت سمعه لا من حيث التقرير الوجودي قاله الاستاذ سيدي على بن وفا رحمه الله * وقال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والستين في الكلام على الاذان المراد بكنت سمعه وبصره الى آخره انكشاف الامر لمن تقرب اليه تعالى بالنوافل لا انه لم يكن الحق تعالى سمعه قبل التقرب ثم كان الآن تعالى الله عز وجل عن ذلك وعن العوارض الطارئة قال وهذه من أعز المسائل الالهية انتهى (فان قلت) فلم ذكر تعالى في هذا الحديث الصور الحسية من السمع والبصر ونحوهما دون القوى الروحانية كالخيال والحفظ والفكر والتصور والوهم والعقل وما وجه تخصيص الحسية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلثمائة انه تعالى ما ذكر الحواس الظاهرة الا لكونها مفتقرة الى الله لا الى غيره بخلاف القوى الروحانية فانها مفتقرة الى الحواس والحق تعالى لا ينزل منزلة من يفتقر الى غيره بخلاف من هو مفتقر اليه تعالى وحده لم يشرك به أحدا فقد بان لك ان الحواس الظاهرة أتم لكونها هي التي تعطي للقوى الروحانية ما يتصرف فيه وما به يكون حياتها العلمية والله أعلم * وقال الشيخ أيضا في الباب الخامس والستين وثلثمائة لولا نداء الحق تعالى اياه وندا ؤنا له ما تميز عنا ولا تميزنا عنه فكما فصل تعالى نفسه عنا في الحكم كذلك فصلنا نحن أنفسنا عنه فلا حلول ولا اتحاد انتهى * وقال في باب الاسرار من قال بالحلول فهو معلول فان القول بالحلول مرض لا يزول ومن فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله كنت سمعه الذي يسمع به فاثبتك باعادة الضمير اليك ليدلك عليك وما قال بالاتحاد الا أهل الالحاد كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول فانه أثبت حالا ومحلا فمن فصل نفسه عن الحق فنعم ما فعل ومن وصل فكأنه شهد على نفسه بأنه كان مفصولا حتى اتصل والشئ الواحد لا يصل نفسه وما ثم الا ذاته ومصنوعاته انتهى * وقال في باب الاسرار أيضا الحادث لا يخلو عن الحوادث لو حل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم فالقديم لا يحل ولا يكون محلا ومن ادعى الوصل فهو في عين الفصل انتهى * وقال في هذا الباب أيضا أنت أنت وهو هو فاياك ان تقول كما قال العاشق * أنا من أهوى ومن أهوى أنا * فهل قدر هذا أن يرد العين واحدة لا والله ما استطاع فانه جهل والجهل لا يتعقل حقا ولا بد لكل أحد من غطاء ينكشف عند لقاء الله * وقال فيه أيضا اياك أن تقول انا هو وتغالطا فانك لو كنت هو لا حطت به كما أحاط تعالى بنفسه ولم تجهله في مرتبة من مراتب التنكرات * وقال فيه أيضا اعلم أن العاشق اذا قال أنا من أهوى ومن أهوى أنا فان ذلك كلام بلسان العشق والمحبة لا بلسان العلم والتحقيق ولذلك يرجع أحدهم عن هذا القول اذا صحا من سكرته انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين من أعظم دليل على نفي الحلول والاتحاد الذي يتوهمه بعضهم أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شئ وان الشمس ما انتقلت اليه بذاتها وانما كان القمر محلا لها فكذلك العبد ليس فيه من خالقه شئ ولا حل فيه * وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة بعد كلام طويل وهذا يدلك على أن العالم ما هو عين الحق ولا حل فيه الحق اذ لو كان عين الحق أو حل فيه

من لا يعتقد ربا فلذلك قال سبحان ربي الذي أعتقده واعرفه انا دون غيري والله أعلم (وقال) طالب العلم لغير الله أفضل من الجاهل لانه اذا حصل العلم كما ذكر فقد يرزق التوفيق فيعلم كيف يعبد ربه قال ومن هنا جازت امامة ولد الزنا لانه كالعلم الصحيح عن قصد فاسد غير مرضي عند الله تعالى فهو نتيجة صادقة عن مقدمة فاسدة قال وكما جازت امامة ولد الزنا كذلك جاز الاقتداء بفتوى العالم الذي ابتغى بعلمه الرياء والسمعة فاصل طلبه غير مشروع وحصول عينه في وجود هذا الشخص فضيلة (وقال) لا تصح امامة الجاهل الذي لا يعلم ما يجب مما لا يجب والمقتدي به ضال قال وليس ذلك بمنزلة صلاة المفترض خلف المتنفل فان الامام اذا تنفل وخالف المأموم في نيته فما خالفه فيما هو فرض في الصلاة لان الامام الذي هو المتنفل ما فعل الا ما هو فرض عليه أن يفعله من أركان الصلاة من ركوع وسجود وغير ذلك فما اقتدى الذي نوى الفرض خلف المتنفل الا فيما هو فرض على المتنفل (قلت) وسيأتي في الباب السادس والسبعين وثلثمائة الكلام على تكملة الفرائض بالنوافل يوم القيامة أن الفرائض لا تكمل الا بما هو ركن في النافلة لا بما هو سنة والله أعلم * وقال انما شرعت الصفوف في

لما كان تعالى قد علوا لابد يعا انتهى * وقال فى الباب الرابع عشر والثمانية لو صح ان يرقى الانسان
عن انسانيته والملك عن ملكيته ويتحد بخالقه تعالى لصح انقلاب الحقائق وخرج الاله من كونه الها وصار
الحق خلقا والخلق حقا وما وثق أحد بعلم وصار المحال واجبا فلا سبيل الى قلب الحقائق أبدا * وقال فى الباب
الثامن والاربعين لا يصح أن يكون الخلق فى رتبة الحق تعالى أبدا كما لا يصح أن يكون المعلول فى رتبة العلة *
وقال فى لواقح الانوار من كمال العرفان شهود عبد ورب وكل عارف نفى شهود العبد فى وقت ما فليس هو
بعارف وانما هو فى ذلك الوقت صاحب حال وصاحب الحال سكران لا تحقيق عنده * وقال فى الباب السابع
والستين وثلثمائة اجتمعت بهرون عليه السلام فى بعض الوقائع فقلت له يا نبى الله كيف قلت فلا
تشمت بى الاعداء ومن الاعداء حتى تشهدهم والواحد منا يصل الى مقام لا يشهد فيه الا الله فقال لى السيد
هرون عليه الصلاة والسلام صحيح ما قلت فى مشهدكم ولكن اذا لم يشهد أحدكم الا الله فهل زال العالم فى نفس
الامر كما هو فى مشهدكم أم العالم باق لم يزل وحجبتم أنتم عن شهوده لعظيم ما تجلى لقلوبكم فقلت له العالم باق
فى نفس الامر لم يزل وانما حجبنا نحن عن شهوده فقال قد نقص علمكم بالله فى ذلك المشهد بقدر ما نقص من
شهود العالم فانه كله آيات الله فأذعنى عليه الصلاة والسلام علما لم يكن عندى انتهى * وقال فى باب الاسرار
لا يترك الاغيار الا الاغيار فلو ترك تعالى الخلق من كان يحفظهم ويلحظهم لو تركت الاغيار لتركت التكاليف
التى جاءت بها الاخبار ومن ترك التكاليف كان معاندا عاصيا أو جاحدا فمن كمال التخلق بأسماء الحق الاشتغال
بالله وبالخلق انتهى * وقال فى لواقح الانوار القدسية لا يقدر أحد ولو ارتفعت درجات مشاهدته أن يقول
ان العالم عين الحق أو اتحد به أبدا وانظر الى ذاتك يا أخى فتعلم قطعا انك واحد لكن تعلم ان عينك غير
حاجبك ويدك غير رجلك الى غير ذلك وأن هذه الاعضاء تفاصيل فى عين ذاتك لا يقال انها غيرك قال ومن
فهم ما أومأنا اليه فهو الذى يفهم قوله تعالى قل الروح من أمر ربى فلم يحدث بابتداعه العالم فى ذاته حادث
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا انتهى * وقال أيضا فى الباب الثانى والسبعين والثلثمائة بعد كلام طويل
وبالجملة فالقلوب به هائمة والعقول فيه حائرة يريد العارفون أن يفصلوه تعالى بالكلية عن العالم من شدة التنزيه
فلا يقدرون ويريدون أن يجعلوه عين العالم من شدة القرب فلا يتحقق لهم فهم على الدوام متحيرون
فتارة يقولون هو وتارة يقولون ما هو وتارة يقولون هو ما هو وبذلك ظهرت عظمته تعالى انتهى وقد أنشد الشيخ
محيي الدين فى هذا المعنى

ومن عجبى أنى أحن اليهم * وأسأل عنهم دائما وهم معى
وتبكيهم عينى وهم فى سوادها * وتشتاقهم روحى وهم بين أضلعى

وكان سيدى على بن وفا رحمه الله يقول انما كانت القلوب تحن الى التنزيه أكثر من التشبيه لان من شأن
الذات الاطلاق لذاتها وتساوى النسب لصفاتها انتهى * وكان يقول أيضا المراد بالاتحاد حيث جاء فى
كلام القوم فناء مراد العبد فى مراد الحق تعالى كما يقال بين فلان وفلان اتحاد اذا عمل كل منهما بمراد
صاحبه ثم ينشد

وعلمك أن كل الامر أمرى * هو المعنى المسمى باتحاد

انتهى ولعمرى اذا كان عباد الاوثان لم يتجرؤا على ان يجعلوا آلهتهم عين الله بل قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى فكيف يظن بأولياء الله تعالى انهم يدعون الاتحاد بالحق على حد ما تتعقله العقول الضعيفة هذا
كالمحال فى حقهم رضى الله تعالى عنهم اذ ما من ولى الا وهو يعلم أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق وانها
خارجة عن جميع معلومات الخلائق لان الله بكل شئ محيط * وسمعت شيخنا سيدى عليا الخواص رحمه الله
يقول لا يجوز أن يقال انه تعالى فى كل مكان كما تقوله المعتزلة والقدرية محتجين بنحو قوله تعالى وهو الله فى
السموات وفى الارض لايهامه أنه حل بذاته فى ذلك المكان انتهى وسيأتى بسط ذلك فى المبحث الثامن ان شاء

الصلاة ليتذكر الانسان بها
وقوفه بين يدى الله تعالى يوم
القيامة فى ذلك الموطن
المهول والشفعاء من الانبياء
والملائكة والمؤمنين بمنزلة
الائمة فى الصلاة يتقدمون
الصفوف فمن أكثر من هذا
التذكر خف هوله وفزعه
يوم القيامة بادمان ذلك
التذكر (قلت) وقد ذكر
الشيخ فى الباب السابع
والاربعين وثلثمائة ما نصه
انما لم يقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن يمين جبريل كما
هو شأن المنفرد لانه صلى الله
عليه وسلم لما صلى خلفه صباح
فرضية الصلاة رأى الملائكة
يصلون خلف جبريل فلذلك
وقف فى صفهم خلفه ولو انه
لم ير الملائكة خلفه لوقف عن
يمين جبريل وكذلك لو ان
الرجل الذى صلى خلف النبى
صلى الله عليه وسلم وأمره
بالوقوف عن يمينه كان يشاهد
من يصلى من الملائكة خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما أمره بالوقوف عن يمينه
فراعى صلى الله عليه وسلم حكم
ذلك المأموم وليس حكم من
يشاهد الامور ببصره حكم
من لم يشاهدها انتهى فتأمله
*وذكر الشيخ أيضا فى الباب
الاحد والثلاثين وأربعمائة
فى قوله صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن الرجل الرجل فى
سلطانه ولا يقعد على تكرمته
الا باذنه أى ولو كان الامام
الاعظم فى حق آحاد رعيته فانه
تحت حكم رب البيت حيثما

الله تعالى * وسمعت أخي الشيخ الصالح زين العابدين سبط المرصفي رحمه الله يقول المراد بكون الحق في السموات والارض نفوذ الاوامر والنواهي ووقوع الحوادث على وفق الارادة والله أعلم * فكذب والله وافترى من نسب القول بالحلول والاتحاد والتجسيم الى الشيخ محيي الدين وهذه نصوصه كلها تكذب هذا المفترى والله تعالى أعلم

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الخامس عشر وثلثمائة ما يؤيد ما قلناه في الرد عنه وذلك انه قال لا أعرف في عصري هذا أحدا تحقق بمقام العبودية مثلي وذلك أني بلغت في مقام العبودية الغاية بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للربوبية على أحد من العالم طعما قال وقد منحني الله تعالى هذا المقام هبة منه ولم أنله بعمل اتمناه واختصاص الهي وأرجو من الله أن يمسك على هذا المقام ولا يحول بيني وبينه حتى ألقاه فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون والله تعالى أعلم فتأمل يا أخي في هذا المبحث وتدبره فانك لا تجده في كتاب والله يتولى هداك

(المبحث السابع في وجوب اعتقاد ان الله تعالى لا يحويه مكان كما لا يحده زمان لعدم دخوله في حكم خلقه)

فان المكان يحويهم والزمان يحدهم وقد قدمنا أنه مباين لخلقه في سائر المراتب فانه كان ولا مكان ولا زمان وذاته تعالى لا تقبل الزيادة ولا النقصان وهو الذي أنشأ الزمان وخلق المتمكن والمكان فلا أينية له تعالى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم الاينية عند ضعفاء العقول (فالجواب) كما قاله سيدي محمد المغربي الشاذلي انه لا ايهام لأن الاينية في هذه الآية راجعة الى الخلق لانهم هم المخاطبون في الاين اللازم لهم لا له تعالى فهو تعالى مع كل صاحب اين بلا أين لعدم مماثلته لخلقه في وجه من الوجوه انتهى وسيأتي بسط ذلك في المبحث بعده ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات ليس الحق تعالى لنا بأين لان من لا أينية له لا يقبل المكان قال وذلك نظير قولهم المكان لا يقبل المكان فاذا كان لا أين لمن له أين فكيف يكون الاين لمن لا أين له يعقل انتهى * وقال أيضا في الباب الثامن والاربعين منها انما أمر الله تعالى عباده بالسجود وجعله مقام قربه في قوله واسجد واقترب وبقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد اعلاما لنا بانه تعالى في نسبة الفوقية اليه كنسبة التحتية اليه فالساجد يطلب السفل بوجهه كما ان القائم يطلب الفوق بوجهه ويرفع يديه الى السماء في حال الدعاء فلا يكاد القائم يطلب من الله تعالى شيأ قط من جهة السفل فما جعل الله تعالى السجود حال قربه أقرب وقربيا من الحق الا لينبه عباده على انه لا يقيده تعالى الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لتنزهه عن صفات خلقه انتهى وسيأتي بسط ذلك في المبحث بعده ان شاء الله تعالى

(خاتمة) رأيت في كتاب البهجة المنسوبة لسيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله تعالى عنه ما نصه اعلموا ان عبادتكم لا تدخل الارض وانما تصعد الى السماء قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فرينا سبحانه وتعالى في جهة العلو والله على العرش استوى وعلى الملك احتوى وعلمه محيط بالاشياء بدليل سبع آيات في القرآن العظيم في هذا المعنى لا يمكنني ذكرها لاجل جهل الجاهل ورعونته انتهى فلا أدري أذلك الكلام دس على الشيخ في كتابه أم وقع في ذلك في بدايته ورجع عنه لما دخل في الطريق فان من المعلوم عند كل عارف بالله تعالى انه تعالى لا يتحيز والشيخ قد شاعت ولايته في أقطار الارض فيبعد من مثله القول بالجهة قطعا * وقد ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله انه لا يلزم من قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب أن يكون تعالى في جهة الفوق دون غيرها بدليل قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض ظرفية تليق بجلاله وأجمع المحققون أن شهود الحق تعالى في حال السجود صعود وان كان السجود في أسفل سافلين وأما قوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم أي يخافون ربهم أن ينزل عليهم عذابا من فوقهم وسمهم هذ

أنفعه ثم دمادام في سلطانه والخليفة وان كان أكبر منه وأعظم لكن حكم المنزل حكم عليه فرده مرؤسا قال وكذلك حكم الخليفة اذا دخل بلاد أحد من نوابه أو خليفة آخر هو تحت حكم ذلك الخليفة أو النائب * قال وكذلك الحكم اذا دخلنا على الله في بيته الذي هو المسجد كان له الحكم فيناب سبب اضافة البيت اليه ولذلك أمرنا أن نحييه بركعتين وان لا نعمل فيه الا ما أذن لنا في عمله * وقال انما كان الامام لا يحمل عن المأموم شيأ من الاركان بخلاف السنن لان الاركان من فروض الاعيان فلا يجزى فيها نفس عن نفس شيأ بخلاف ما ليس بفرض قال وما عدا الفرض وان كان حقا من حيثما هو مشروع فهو على قسمين قسم جعل له بدل وهو سجود السهو وذلك في الابعاض وقسم هو حق من حيث ترغيب العبد فيه فان شاء عمل به وان شاء تركه وليس له بدل كرفع الايدي في كل خفض ورفع ونحو ذلك فمن سجد في ترك الابعاض كان له أجر من أنكى عدوه كما أشار اليه خبر كانتا ترغيما للشيطان والشيطان من الكافرين * وقال تعالى ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح وقد بسط الشيخ الكلام على تكميل الفرائض من

هو الاعتقاد الحق * قلت ويصح حمل قول السيد عبد القادر الجيلي السابق انه تعالى في جهة العلو على أن مراده بجهة العلو الجهة التي قصد العبد قضاء حاجته منها عند الحق وان كانت في السفليات هذا لا يبعد على مقام الشيخ انتهى والله تعالى أعلم

*(المبحث الثامن في وجوب اعتقاد أن الله معنا أينما كنا في حال كونه في السماء
في حال كونه مستويا على العرش في حال كونه في السموات وفي الارض
في حال كونه أقرب الينا من حبل الوريد)*

ولكل واحد من هذه المعيات الخمس حالة تخصها من مراتب الاختصاص ومراتب العلم كما بسط الكلام على ذلك الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فهل هو تعالى معنا في جميع هذه المواطن بالذات أم بالصفات كالعلم والابصار لرؤيته لنا والسماع لكلامنا (فالجواب) كما قاله الشيخ العارف بالله تعالى تقي الدين بن أبي منصور في رسالته انه لا يجوز أن يطلق على الذات المتعالية معية كما انه لا يجوز أن يطلق عليها استواء على العرش وذلك لانه لم يرد لنا تصريح بذلك في كتاب ولا سنة فلا نقول على الله ما لم نعلم انتهى وقال الشيخ محيي الدين في باب حضرات الاسماء من الفتوحات في الكلام على اسمه الرقيب اعلم انه ليس في حضرات الاسماء الالهية ما يعطي التنبيه على ان الحق تعالى معنا بذاته الا الاسم الرقيب لانه نبه على ان الذات لا تنفك عن الصفات لمن تأمل ويؤيد ذلك قول الاعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم لا نعدم خيرا من رب يضحك فانه أتبع الضحك لربه انتهى * قلت وهذه المسئلة من المعضلات لاختلاف السلف فيها قديما وحديثا ولكن من يقول ان المعية راجعة للصفات لا للذات أكمل في الادب ممن يقول انه تعالى معنا بذاته وصفاته وان كانت الصفة الالهية لا تفارق الموصوف وقد وقع في هذه المسئلة عقد مجلس في الجامع الازهر في سنة خمس وتسعمائة بين الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي وبين الشيخ ابراهيم المواهبي الشاذلي وصنف الشيخ ابراهيم فيها رسالة وأنا أذكر لك عيونها لتحيط بها علما فأقول وبالله التوفيق ومن خطه نقلت قال الشيخ بدر الدين العلائي الحنفي والشيخ زكريا والشيخ برهان الدين بن أبي شريف وجماعة الله تعالى معنا بأسمائه وصفاته لا بذاته فقال الشيخ ابراهيم بل هو معنا بذاته وصفاته فقالوا له ما الدليل على ذلك فقال قوله تعالى والله معكم وقوله تعالى وهو معكم ومعلوم ان الله علم على الذات فيجب اعتقاد المعية الذاتية ذوقا وعقلا لثبوتها نقلا وعقلا وقالوا له أوضح لنا ذلك فقال حقيقة المعية مصاحبة شيء لآخر سواء أكانا واجبين كذات الله تعالى مع صفاته أو جائزين كالانسان مع مثله أو واجبا وجائزا وهو مع معية الله تعالى لخلقه بذاته وصفاته المفهومة من قوله تعالى والله معكم ومن نحو ان الله مع المحسنين ان الله مع الصابرين وذلك لما قدمناه من ان مدلول الاسم الكريم الله انما هو الذات اللازمة لها الصفات المتعينة لتعلقها بجميع الممكنات وليست كمعية متحيزين لعدم مماثلته تعالى لخلقه الموصوفين بالجسمية المفتقرة للوازمها الضرورية كالحلول في الجهة الاينية الزمانية والمكانية فتعالت معيته تعالى عن الشبيه والنظير لكماله تعالى وارتفاعه عن صفات خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير قال ولهذا قررنا انتفاء القول بلزوم الحلول في حيز الكائنات على القول بمعية الذات مع انه لا يلزم من معية الصفات دون الذات انفكاك الصفات عن الذات ولا بعدها وتحيزها وسائر لوازمها وحينئذ فيلزم من معية الصفات لشيء معية الذات له وعكسه لتلازمهما مع تعاليهما عن المكان ولوازم الامكان لانه تعالى مباين لصفات خلقه تباينا مطلقا وقد قال العلامة الغزنوي في شرح عقيدة النسفي ان قول المعتزلة وجمهور النجارية ان الحق تعالى بكل مكان بعلمه وقدرته وتدبيره دون ذاته باطل لانه لا يلزم ان من علم مكانا أن يكون في ذلك المكان بالعلم فقط الا ان كانت صفته تنفك عن ذاته كما هو صفة علم الخلق لا علم الحق انتهى على أنه يلزم من القول بأن الله تعالى معنا بالعلم فقط دون الذات استقلال الصفات بأنفسها دون الذات وذلك غير معقول فقالوا له فهل وافقك أحد غير الغزنوي في ذلك فقال نعم ذكر شيخ الاسلام ابن اللبان رحمه الله

في

النوافل في الباب السادس والسبعين وثلثمائة فراجعه فيما سيأتي * وذكر الشيخ في الكلام على صلاة الجنازة ان من انتقص من صلاته شيأ فان الله لا يقبلها ناقصا ولكن يضم بعض الصلوات الى بعض فان كانت له مائة صلاة مثلا وفيها انتقص كملت بعضها من بعض ثم أدخلت حضرة الحق كاملة فتصير المائة صلاة مثلا ثمانين صلاة أو خمسين أو عشرين أو عشرة أو غير ذلك هكذا حكم صلاة الثقلين واما صلاة الملائكة والحيوان والجماد والنبات فكلها كاملة لا يدخلها نقص انتهى والله أعلم وسيأتي شرح حديث لا يقبل من صلاة المرء الا ما عقل منها في الباب السادس والسبعين وثلثمائة فراجعه وكذلك سيأتي في الباب الاخير من الكتاب ما نصه اعلم انه لا يسمى نفلا الا ماله أصل في الفرائض وأما ما لا أصل له في الفرائض فهو انشاء عبادة مستقلة يسميها بعضهم بدعة وسماها الشارع سنة حسنة ولمن سنها أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من أجورهم شيأ قال ولما لم يكن من قوة النفل ان يسد مسد الفرض جعل الشارع في نفس النفل فروضا ليجبر الفرائض بالفرائض كصلاة النافلة بحكم الاصل ثم انها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الاصل نافلة وهذه

فى قوله تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ان فى هذه الآية دليلا على أقربيته تعالى من عبده قربا حقيقيا كما يليق بذاته المتعالية عن المكان اذ لو كان المراد بقربه تعالى من عبده قربه بالعلم أو بالقدرة أو بالتدبير مثلا لقال ولكن لا تعلمون ونحوه فلما قال ولكن لا تبصرون دل على أن المراد به القرب الحقيقى المدرك بالبصر لو كشف الله عن بصرنا فان من المعلوم ان البصر لا تعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يتعلق بالحقائق المرئية قال وكذلك القول فى قوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد هو يدل أيضا على ما قلناه لان أقل من يدل على الاشتراك فى اسم القرب وان اختلف الكيف ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد لان قرب الصفات معنوى وقرب حبل الوريد حسى فنفى نسبة أقربيته تعالى الى الانسان من حبل الوريد الذى هو حقيقى دليل على ان قربه تعالى حقيقى أى بالذات اللازم لها الصفات قال الشيخ ابراهيم وبما قررناه لكم انتفى أن يكون المراد قربه تعالى منا بصفاته دون ذاته وان الحق الصريح هو قربه منا بالذات أيضا اذ الصفات لا تعقل مجردة عن الذات المتعالى كما مر فقال له العلائى فما قولكم فى قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم فانه يوهم أن الله تعالى فى مكان فقال الشيخ ابراهيم لا يلزم من ذلك فى حقه تعالى المكان لان أين فى الآية انما أطلقت لافادة معية الله تعالى للمخاطبين فى الاين اللازم لهم لا له تعالى كما قدمناه ومع صاحب كل أين بلا أين انتهى فدخل عليهم الشيخ العارف بالله تعالى سيدى محمد المغربى الشاذلى شيخ الجلال السيوطى فقال ما جمعكم هنا فذكروا له المسئلة فقال تريدون علم هذا الأمر ذوقا أو سماعا فقالوا سماعا فقال معية الله تعالى أزلية ليس لها ابتداء وكانت الاشياء كلها ثابتة فى علمه أزلا يقينا بلا بداية لانها متعلقة به تعالى فيستحيل عليه العدم لاستحالة وجود علمه الواجب وجوده بغير معلوم واستحالة طريان تعلقهم لما يلزم عليه من حدوث علمه تعالى بعد أن لم يكن وكما أن معيته تعالى أزلية كذلك هى أبدية ليس لها انتهاء فهو تعالى معها بعد حدوثها من العدم عينا على وفق ما فى العلم يقينا وهكذا يكون الحال أينما كانت فى عوالم بساطتها وتركيبها واضافتها وتجريدها من الازل الى ما لانهاية له فأدهش الحاضرين بما قاله فقال لهم اعتقدوا ما قررته لكم فى المعية واعتمدوه ودعوا ما ينافيه تكونوا متنزهين اولا كم حق التنزيه ومخلصين لعقولكم من شبهات التشبيه وان أراد أحدكم أن يعرف هذه المسئلة ذوقا فليسلم قياده لى أخرجه عن وظائفه وثيابه وماله وأولاده وأدخله الخلوة وامنعه النوم وأكل الشهوات وأنا أضمن له وصوله الى علم هذه المسئلة ذوقا وكشفا قال الشيخ ابراهيم فما تجرأ أحد أن يدخل معه فى ذلك العهد ثم قام الشيخ زكريا والشيخ برهان الدين والجماعة فقبلوا يده وانصرفوا انتهى فتأمل يا أخى فى هذا الموضع وتدبره فانك لا تجده فى كتاب الآن * وأما قول الشيخ محيي الدين رحمه الله فى هذه المسئلة فكان يقول فى حديث كان الله ولا شئ معه ان المراد بكان هنا كان الوجودية مثل وكان الله عليما حكيما وليس المراد بها كان من الفعل الماضى فلم يطلق صلى الله عليه وسلم على الحق تعالى معية شئ معه فهو تعالى مع الاشياء ولا يقال ان الاشياء معه لانها لم ترد قال وايضاح ذلك أن المعية تابعة للعلم فهو تعالى معنا لكونه يعلمنا وليس لنا أن نقول انا معه لانا لا نعلم ذاته بخلاف حضرات الاسماء والصفات التى هى المرتبة فلا بد من معية الخلق للحق تعالى معها لكونها تطلب العالم لتظهر آثارها فيه فانه تعالى سمى نفسه الكريم والرحيم والغفور ونحو ذلك فكريم على من ورحيم بمن وغفور لمن ومن المحال ان يكون الحق تعالى محلا لهذه الآثار ولا بد من حضرة تحكم فيها هذه الاسماء بالفعل أو بالقوة اذ الامكان لنا كالوجوب له تعالى انتهى وقدمر تقريره فى المبحث الذى مر (فان قلت) فلاى شئ لم يقل صلى الله عليه وسلم فى الحديث السابق وهو الآن على ما عليه كان كما أدرجه بعضهم (فالجواب) انما لم يدرج ذلك صلى الله عليه وسلم لان الآن نص فى وجود الزمان ولوجه لنا ظرفا لهوية البارى لدخل تحت ظرف الزمان وتعالى الله عن ذلك بخلاف لفظة كان فانه حرف وجودى من الكون الذى هو عين الوجود فكانه صلى الله عليه وسلم قال الله موجود ولا شئ معه

الاقوال والافعال فرائض ثم اعلم انه لا يصح نفل الا بعد كمال فرض وان فى النفل عينه فروضا ونوافل فيما فيه من الفروض تكمل الفرائض والله أعلم * وقال مذهب الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه عدم الفتح على الامام اذا أرتج عليه ومذهب ابن عمر الفتح ووجه مذهب على ان الامام فى مقام النيابة عن الحق تعالى فى تلاوة كلامه على العباد ولا ينبغى لمخلوق أن يكون له على الحق ولاية فافهم وقال فى حديث اذا قال العبد الله أكبر يعنى فى صلاته يقول الله تعالى أنا أكبر فاذا قال العبد لا اله الا أنت فيقول الله لا اله الا أنا الخ فاذا كان الحق تعالى لا يقول شيأ من ذلك الا حتى يقول العبد فالعبد أولى بالاتباع لامامه انتهى وهذا استنباط حسن (وقال) فى فصول الجمعة الذى أذهب اليه ان صلاة الجمعة قبل الزوال أولى لانه وقت لم يشرع فيه فرض * (قلت) وفى تعليله نظر فليتأمل والله أعلم * وقال الذى أذهب اليه ان المسجد اذا كان له ثلاث مؤذنون ان يؤذن واحد بعد واحد ولا يؤذن ثلاثة معا ولا اثنان معا لانه خلاف السنة قال واذا أذن الثلاثة واحد بعد واحد يقول الاول حى على الصلاة و يقول الثانى حى على الصلاة فى الجماعة يقول الثالث حى على الصلاة فى الجماعة فى هذا اليوم فيعلم

في وجوده الذاتي فإن وجود غيره معه تعالى انما هو بايجاده وبابقائه لا مستقلا فعلم أن من أدرج هذه الزيادة المذكورة في الحديث فلامعرفة له بعلم كان ولا سيما في هذا الموضع (فإن قلت) فما الحامل لبعضهم على ادراجها (فالجواب) الحامل له على ذلك تخيله انما من كان يكون فهو كائن ومكون فلما رأى في الكون هذا التصريف الذي يلحق الافعال الزمانية فتخيل أن حكمها حكم الزمان وليس كذلك فإن من أشبه شيأ في أمر ما لا يلزم أن يشبهه من جميع الوجوه فانظر يا أخي ما أعلمه صلى الله عليه وسلم وما أكثر أدبه في كونه لم يطلق على الحق تعالى ما لم يطلقه تعالى على نفسه ذكره الشيخ محيي الدين في لواقح الانوار * وقال في باب الاسرار من الفتوحات من زاد في حديث كان الله ولا شئ معه لفظة وهو الآن على ما عليه كان فقد كذب القرآن فإن الله تعالى قال كل يوم هو في شان وسنفرغ لكم أيها الثقلان وقد كان ولا أيام ولا شؤن في تلك الايام وقال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فكيف يصح قوله وهو الآن على ما عليه كان مع انه مؤمن بالقرآن هذا أعجب من عجيب انتهى وقال في هذا الباب أيضا لا يشترط في المجاورة الجنس لان ذلك علم في لبس فإن الله جار عبده بالمعية وإن انتفت المثلية ومن صح ايمانه بالمعية لم يحتج الى طلب الماهية (فإن قيل) فما الحكمة في سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارية التي شكوا في اسلامها وأرادوا عتقها بالاينية حين قال لها أين الله فأشارت الى السماء فقال مؤمنة ورب الكعبة مع انه صلى الله عليه وسلم يعلم قطعا استحالة الاينية على البارى جل وعلا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين وثلثمائة أنه صلى الله عليه وسلم ما سأل الجارية بالاينية الا تنزلا لعقلها والشريعة قد نزلت على حسب ما وقع عليه التواطؤ في ألسنة العالم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ثم ان التواطؤ قد يكون على صورة ما هي الحقائق عليه في نفسها وقد لا يكون والشارع صلى الله عليه وسلم تابع له في ذلك تنزلا لعقولهم ليفهموا عنه أحكامه وقد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق تعالى في أينية ومع ذلك فقد جاءت على لسان الشارع كما ترى من أجل التواطؤ الذي عليه أمته فقال للجارية أين الله ولو ان غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك لجهله الدليل العقلي فانه تعالى لا اينية له في نفسه وانما الانسان لقصوره وادراكه لا يشهد الحق تعالى الا في أين لا يستطيع أن يرقى فوق ذلك الا ان أمده الله بنور الكشف فلما قالها صلى الله عليه وسلم للجارية بانت حكمته وعلمه وعلمنا انه لم يكن في قوة تلك الجارية أن تعقل موجدها الا بحسب ما تصورته في نفسها ولو أنه صلى الله عليه وسلم كان خاطبها بغير ما تواطأت عليه وتصورته في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل لها القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سأل الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الجارية لما أشارت الى السماء انها مؤمنة أي مصدقة بوجود الله في السماء كما قال تعالى وهو الله في السموات وفي الارض (فإن قلت) فلاي شئ لم يقل صلى الله عليه وسلم فيها انها عالمة بدل قوله مؤمنة (فالجواب) انما قال ذلك لقصور عقلها عن مقام العلماء بالله تعالى ولو انها كانت عالمة به تعالى ما خاطبها بالاينية انتهى فعلم أن من الادب أن نقول ان الله تعالى معنا ولا نقول نحن مع الله لان الشرع ما ورد به كما مر والعقل لا يعطيه لعدم تعقل الكيف ولولا ما نسبه تعالى الى نفسه من المعية السارية مع جميع الخلق لم يقدر العقل أن يطلق عليه تعالى معنى المعية وتسمى هذه المعية الوجودية الجامعة لحضرات جميع الاسماء والصفات وعلم أيضا أن الحق تعالى ظاهر المعية من الوجه الذي يليق بجلاله كما أنه ظاهر الصحبة من الوجه الذي يليق بجلاله كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والسفر مأخوذ من الاسفار الذي هو الظهور (فإن قلت) فما تقولون في نحو قوله تعالى عند مليك مقتدر وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي فإن ذلك يوهم أن عندية الحق تعالى ظرف مكان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والاربعين وثلثمائة أن عندية الحق تعالى حيث أطلقت في الكتاب والسنة

وكل مؤذن بحال لم يعلمها الا آخر انتهى فليتأمل ويحرر (وقال) الذي أقول به جواز اقامة جمعتين في مصر واحد لانه لم يأت في المنع من ذلك نص في كتاب ولا سنة قال وكذلك أقول ان خطبة الجمعة ليست بفرض انما هي سنة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نص على وجوبها ولا ينبغي لنا أن نشرع وجوبها ولم تزل الائمة يصلونها بخطبة كما في صلاة العيدين مع اجماعنا ان خطبتهما سنة قال ووجه من قال بالوجوب أنه تأول قوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله يعني سماع المواعظ في الخطبة وهو وجه ظاهر أيضا وأطال في ذلك ثم قال وما لم يرد لنا نص في ايجاب الخطبة ولا تعيين ما يقال فيها صح عندنا أن لا نجزم بوجوب بل الواجب أن نفعل مثل ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل على طريق التأسي لا على طريق الوجوب قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فنحن مأمورون باتباعه فيما سن وفرض فنجازى من الله فيما فرض جزاء فرضين فرض الاتباع وفرض الفعل الذي وقع فيه الاتباع ونجازى فيما سن ولم يفرضه جزاء فرض وسنة فرض الاتباع وسنة الفعل الذي لم يوجبه فان

فهي ظرف ثالث لا ظرف زمان ولا ظرف مكان مخصص بل هو ظرف مكان على الاطلاق قال وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ما هي ثم أنشد رضي الله تعالى عنه

فعندية الرب معقولة * وعندية الهو لا تعقل
وعندية الله مجهولة * وعندية الخلق لا تجهل
وليس هما عند ظرفية * وليس لها غيرها أجمل

قال والضمير في قوله لها يعود على الظرفية وفي قوله هما يعود على عندية الحق والخلق انتهى وسيأتي ايضاح هذا المبحث في مبحث الاستواء على العرش ان شاء الله تعالى

(خاتمة) ذكر الشيخ في الباب الثاني والسبعين ما نصه قد وقع في الكتاب والسنة نسبة المكان والزمان الى الله تعالى مع انهما ظرفان محالان في حق البارئ جل وعلا فقال تعالى يأتيهم الله في ظلل من الغمام * وقال صلى الله عليه وسلم للعاربة أين الله فهذا ظرف المكان فذكره الله تعالى ورسوله ذلك ولم يجرح تعالى ذلك الاعتقاد ولا صوبه ولا أنكره وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا سنفرغ لكم أيها الثقلان وقال لله الامر من قبل ومن بعد فهذا ظرف الزمان * وقال صلى الله عليه وسلم فيه أيضا لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر تنزيها لهذه الكلمة التي هي من الالفاظ المشتركة كالعين والمشتري والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع في وجوب اعتقاد ان الله تعالى ليس له مثل معقول ولا دلت عليه العقول)

قال تعالى ليس كمثله شيء واذا كان ليس كمثله شيء فمن المحال ان يضبطه اصطلاح لان ما يشهده منه زيد ما هو عين ما يشهده منه عمرو وجملة واحدة ذكره الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة من الفتوحات قال وبهذا القدر عرفه العارفون فلا يتجلى تعالى قط في مشهد واحد لشخصين ولا يتكرر له تجل واحد لشخص مرتين وليس فوق هذا في المعرفة مقام * قال وأما القدماء ومن تبعهم من الحكماء وغيرهم فقد اتفقوا على عقد واحد في الله تعالى وجعلوا ذلك ضابطا للحق وكل من خالفهم جرحوا في عقيدته وتعالى الله عن ذلك التقييد لانه تعالى فعال لما يريد * قال ولهذا الذي قررناه كان لا يقدر عارف قط ان يوصل الى عارف آخر صورة ما يشهده بقلبه من ربه عز وجل لان كل واحد يشهد من لا مثل له ولا يكون التوصل الا بالامثال فالكامل من وصل الى الحضرة التي يتفرع منها سائر الاعتقادات الاسلامية وأفرع عقائد الاسلام بحق وكان سيدي علي وفا رحمه الله يقول من أحاط بك ولم تحط به فلست مثله ولا على صورته فافهم (فان قلت) فما سبب عدم تكييف كل واحد ما شهده بقلبه من الحق (فالجواب) ان سبب ذلك عدم ثبوت التجلي الواحد أكثر من آن واحد فلا يثبت للعبد التجلي الالهي آنين حتى يكيفه ويمثله وقد قال الشيخ في الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ما أثنى الله تعالى على نفسه بأعظم من نفي المثل ولا مثل له تعالى (فان قيل) فهل الكاف في قوله تعالى ليس كمثله شيء كاف الصفة أو زائدة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والستين وثلثمائة ان الكلام على ذلك من الفضول لان العلم الحق لا يدرك فيها بالقياس ولا بالنظر بل هو راجع الى قصد المتكلم ولا يعلم أحد ما في نفس الحق تعالى الا بافصاحه عن مراده وهو تعالى لم يفصح لنا عنها هل هي أصلية أو زائدة انتهى (فان قيل) ان أفراد العالم يشاركه الحق تعالى في كونه لا مثل له فانا قد اعتبرنا جميع الذوات فرأيناها لا بد أن يزيد أحدها على الآخر أو ينقص فلا مثل لها على هذا وقال تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم فلا تكاد تجد صورة تشبه أخرى من كل وجه ولو اصطف لك ألف ألف صورة حتى لو زاد شعر واحد على آخر بشعرة خرج عن المثلية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين من الفتوحات ان الامثال في العالم معقولة وان كانت غير موجودة ويكفينا في التمييز عن الحق تعالى كونها معقولة وان كان التوسع الالهي يقتضي ان لا مثلية في جميع الاعيان الموجودة من كل وجه كل ذلك غيرة الهية ان لا يقع ادراك الحق تعالى الاعلى من لا مثل

احتوى ذلك الفعل على فرائض جوز بناجزاء لفرائض بما فيه من الفرائض ومثال ذلك نافلة الصلاة ونافلة الحج فانها عبادة تحتوي على أركان وسنن وأما صدقة التطوع فما فيها شيء من الفرائض * وقال انما شرع قراءة سورة الجمعة في صلاة الجمعة لما فيها من المناسبة والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأما قراءة سبح اسم ربك الاعلى فلما فيها من تنزيه الحق عما يظهر في هذه العبادة من الافعال وقد سمى نفسه تعالى أنه يصلي فتسبيحه عن هذا التخيل الذي تخيل النفس من قوله يصلي فناسب سبح اسم ربك الاعلى وهذا المعنى نظير الوتر فانها شرعت في صلاة الوتر لتنزهه عما يتخيل من صورة الوترية المفهومة من المخلوقات وأما قراءة اذا جاءك المنافقون وسورة الغاشية فلمناسبتها لما تضمنته الخطبة من الوعد والوعيد فتكون القراءة في الصلاة تناسب ما ذكره الامام في خطبته وقد قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * وقال شرط من يناجي ربه أن يشاهده بقلبه ومتى تحدث في صلاته مع غير الله فما هو المصلي الذي يناجي ربه ويشاهده بل لا يتصور أن مخلوق قط أن يحدث من هذه حالته * وقال يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع وقد غلط من فاضل بينه وبين يوم عرفة وعاشوراء

له موجود فاذن المثلية أمر معقول لا محقق فان المثلية لو كانت صحيحة موجودة ما امتاز شئ في العالم عن شئ مما يقال هو مثل له فكان الذي امتاز به الشئ عن ذلك الشئ الآخر هو عين ذلك الشئ اذ ليس هنالك ما يميزه عن غيره حقيقة قال وهذه المسئلة من أغمض المسائل لانه ما ثم على ما قررنا مثل يوجد أصلا ولا يقدر على انكار الامثال لكن بالحدود لا غير اه * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة من عرف الاتساع الالهي علم انه لا يتكرر شئ في الوجود وانما وجود الامثال في الصور يخيل لك انها أعيان ما مضى وانما هي أمثالها لا أعيانها ومثل الشئ ما هو عينه (مثله) في الاشكال التربيع في كل مربع والاستدارة في كل مستدير فالشكل يريك كل متشكل لا يتغير والذي وقع عليه الحس ليس هو المتشكل وانما هو الشكل فالشكل هو المعقول * وقال في الباب الثاني والسبعين وثلثمائة من المحال ان يظهر أمر في صورة أمر آخر من غير مناسبة فهو مثله في النسبة لا مثله في العين و يسمى هذا في صناعة النحو فعل المقاربة تقول كاد النعام ان يطير وكاد العروس أن يكون أميرا * وقال في باب الاسرار ما حجب الرجال الا وجود الامثال ولهذا نفى الحق تعالى المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ما تصورته أو مثلته أو تخيلته فهو هالك فالله تعالى بخلاف ذلك هذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة انتهى والله تعالى أعلم بالصواب

(المبحث العاشر في وجوب اعتقاد انه تعالى هو الاول والآخر والظاهر والباطن)

فلا افتتاح له ولا انتهاء ولا ظهور لاحد بالقهر والسلطان في الدارين غيره ولما كان لا يصح لاحد من الخلق ان يعرفه كما يعرف تعالى نفسه لم يزل تعالى باطنا من هذا الوجه (فان قلت) فهل حضرات هذه الاسماء الاربعة متقيدة لا تتصرف الا في أهل حضرتها أم كل اسم يفعل فعل اخوانه (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في شرحه لترجمان الاشواق ان الحق تعالى أول من عين ما هو آخر وظاهر وباطن وآخر من عين ما هو أول وباطن وظاهر وباطن من عين ما هو ظاهر وأول وآخر ففي كل صفة ما في أخواتها وذلك لمباينة صفاته تعالى لصفات خلقه اذ لا تتعدى كل صفة من صفاتهم ما حدده الحق تعالى لها فصفة الشم مثلا لا تعطي سوى شم العطر والنتن وصفة السمع لا تتعدى المسموعات فلا يرى بها ولا يتكلم وقس على ذلك فعلم ان سبب توقف العقول الضعيفة في كون الصفات الالهية تفعل كل صفة منها فعل اخواتها كون من توقف رأى أن القوى التي خلق الانسان عليها لا تتعدى حقائقها فقاس الحق تعالى على نفسه وظن ان صفة الحق تعالى كذلك انتهى * وقال في موضع آخر من شرحه لترجمان الاشواق قد تسمى الحق تعالى أزلا بالظاهر والباطن ولا يجوز حمله على محمل النسب والاضافات وانما ينبغي ان يحمل على انه أمر ذاتي يوصف به على الوجه الذي يليق به ويعلمه سبحانه وتعالى من نفسه * وقالت السيدة الكاملة سيدة العجم في شرح المشاهد اعلم ان الازل والابد في حقه تعالى سواء حتى ان بعضهم استغنى بلفظ الاسم الاول عن الاسم الباقي اذ من شأن الاول البقاء السرمدي فاياك يا أخي ان تتوهم من نحو قولهم ان الله تكلم بكذا في الازل أو قدر كذا في الازل ان ذلك عبارة عن امتداد متوهم في زمان معقول كزمان الخلق فان ذلك من حكم الوهم لا من حكم النظر الصحيح فان الخالق قبل خلق الزمان المعقول انما لا يتعقل اذا العقل الانساني انما وجد بوجود آدم عليه الصلاة والسلام فعلم ان مدلول لفظة الازل عبارة عن نفي الاولية لله تعالى فهو أول لا بأولية تحكم عليه فيكون تحت حيطتها ومعلولا عنها وأطالت في ذلك رضي الله تعالى عنها * وقال الشيخ محيي الدين في باب الاسرار انما أخبرنا تعالى بأنه الاول والآخر والظاهر والباطن ليرشدنا الى ترك التعب في طريق معرفته الذاتية كأنه تعالى يقول الذي تطلبونه من الباطن مثلا هو عين ما تطلبونه من الظاهر ومع ذلك فلم تصغ النفوس الى هذا الارشاد بل بحثت في الادلة وصارت كل شئ ظهر لها من صفات الحق تعالى تطلب خلافه ولو انها كانت وقفت مع ما ظهر لها من وجوه المعارف لعرفت الامر على ما هو عليه فكان طلبها لما غاب عنها هو عين حجابها ولو تدبرت الذي ظهر لها حق قدره لشغلها عما تخيلت انه بطن عنها والله ما بطن عنها شئ هو من مقامها

لان ذلك يرجع الى مجموع أيام السنة لا الى أيام الاسبوع ولهذا قد يكون يوم الجمعة يوم عرفة ويوم عاشوراء يوم الجمعة ويوم الجمعة لا يتبدل لا يكون أبدا يوم السبت ولا غيره من الايام وذلك لان فضل يوم الجمعة ذاتي لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء وغيره لامور عرضت اذا وجدت في أي يوم كان من أيام الاسبوع كان الفضل لذلك اليوم لهذه الاحوال العوارض ولهذا قال بعضهم الغسل لاجل اليوم لا لاجل الصلاة (وقال) انما قرن البيضة مع الحيوان في حديث التبكير الى الجمعة لان منها وفيها تتكون الدجاجة وما في معناه من الحيوان الذي يبيض قال وانما ذكر من الحيوان ما يؤكل بلا خلاف من البدنة والبقرة والكبش والدجاجة لان بذلك تعظم قوة الحياة في الشخص المتغذي فكأن المتقرب بذلك الحيوان تقرب بحياته والتقرب الى الله تعالى بالنفس أسنى القربات فهذا نكتة كونه لم يذكر في التقرب الا الحيوان الذي يؤكل دون غيره * وقال الذي أقول به ان الساعات التي وردت في فضل الرواح محسوبة من وقت النداء الاول الى أن يبتدئ الامام بالخطبة ومن بكر قبل ذلك فله من الاجر بحسب بكوره مما زيد على البدنة مما لم يوقته الشارع * قال والسعي الى الجمعة سعيان سعي مندوب اليه وذلك من

وانما حجب كل أحد عماه وفوق مقامه لاغير انتهى * وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه قد محق الحق تعالى جميع الاغيار بقوله هو الاول والآخر والظاهر والباطن فقيل له فأين الخلق فقال موجودون ولكن حكمهم مع الحق تعالى كالاهابيب التي في كوة الشمس تراها صاعدة هابطة فاذا قبضت عليها لاتراها فهي موجودة في الشهود مفقودة في الوجود انتهى (فان قلت) فهل كان ظهوره تعالى بعد استتار (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور ان ظهوره تعالى لم يكن بعد استتار بل هو الظاهر في حال كونه باطنا واختلاف حكم التجليات انما هو راجع الى ادراك المدركين والمشاهدين بحسب ما يكشف عن بصائرهم فانه تعالى لايظهر بعد احتجاب ولا يتنزل بعد ارتفاع لان ذلك من صفة الاجسام وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال الشيخ في أوائل باب الصلاة من الفتوحات اعلم ان العبد لا يكمل شهوده وعبادته لله تعالى الا ان شاهده وعبده من حيث أوليته المنزهة عن ان يتقدمها أولية لامن حيث أولية العبد عن أوليات كثيرة قبله فاذا وقف العبد وعبد ربه من حيث أوليته تعالى انسحبت عبادته من هنالك على كل عبادة عبدها أحد من المخلوقين الى حين وجود هذا العابد انتهى وهذا أمر نفيس ما سمعناه من أحد * وقال الشيخ أيضا في الباب السادس والخمسين ومائتين اعلم ان تجليات الحق تعالى بالاسماء لها ثلاث مراتب الاولى ان يتجلى للعالم بالاسم الظاهر فلا يبطن على العالم شئ من أمر الحق تعالى وهذا خاص بموقف القيامة الثانية ان يتجلى للعالم في اسمه الباطن فتشهده القلوب دون الابصار ولهذا يجد الانسان في فطرته الاستناد اليه والاقرار به من غير نظر في دليل ويرجع في أموره كلها اليه الثالثة أن يتجلى في اسمه الظاهر والباطن معا وهذا خاص بالانبياء وكمل ورثتهم انتهى فاعلم ذلك وتدبره والله يتولى هداك

(المبحث الحادي عشر في وجوب اعتقاد أنه تعالى علم الاشياء قبل وجودها في عالم الشهادة ثم أوجدها على حد ما علمها)

فلم يزل عالما بالاشياء لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء (فان قلت) فاذا كان العالم كله موجودا في علم الحق فماذا استفاد العالم حين ظهر لعالم الشهادة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر من الفتوحات ان العالم استفاد ببروزه الى عالم الشهادة علما بنفسه لم يكن عنده لانه استفاد حالة لم يكن عليها (وايضاح ذلك) ان الامور كلها لما كانت لم تزل معلومة للحق تعالى في مراتبها بتعداد صورها فلابد من فارق يفرق بين علمها بنفسها وعلم الحق تعالى بها وهو ان الحق تعالى يدرك جميع الممكنات في حال عدمها ووجودها وتنوعات الاحوال عليها والممكنات لاتدرك نفسها ولا وجودها ولا تنوعات الاحوال عليها فلما كشف لها عن شهود نفسها وهي في العدم أدركت تنوعات الاحوال عليها في خيالها فلما أوجد الله الاعيان الا ليكشف لها عن أعيانها وأحوالها شيأ بعد شئ على التتالي والتتابع فهذا معنى قولنا لم يتجدد له علم عند تجدد الاشياء لانها كانت معلومة للحق تعالى أي هي معلوم علمه وهذه المسئلة من أعز المسائل المتعلقة بسر القدر وقليل من أصحابنا من عثر عليها (فان قلت) فهل ثم مثال يقرب للعقل تصور كون العالم مرئيا للحق تعالى في حال عدمه الاضافي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثاني والخمسين وثلثمائة ان أقرب مثال لكون العالم مرئيا للحق تعالى في حال عدمه الدويبة المسماة بالحرباء فانها تتقلب في لون ما تكون عليه من الاجسام على التدريج شيأ بعد شئ ما هي مثل المرآة تقلب الصورة بسرعة ولا هي جسم صقيل فقد أدركت يا أخي في الحس تقلب الحرباء في الالوان مع علمك بأن تلك الالوان لا وجود لها في ذلك الجسم الذي أنت ناظر اليه ولا في أعيانها في علمك فمن تحقق بهذا علم يقينا ادراك الحق تعالى للعالم في حال عدمه وانه يراه في وجوده لنفوذ الاقتدار الالهي انتهى ومما يقرب لك أيضا تعقل شهود الحق تعالى للاعيان في حال عدمها قول الشيخ في باب الاسرار العجب كل العجب من رؤية الحق في القدم أعيانا حالها العدم ثم انه اذا أبرزهم الى وجودهم تميز وا في الاعيان بحدودهم ولكن انظر وحقق ما أنبهك عليه وأشير وهو ان الله تعالى أوجد في عالم الدنيا الكشف والرؤية باليقين ذلك

اول النهار الى وقت النداء وسعي واجب وهو من وقت النداء الى أن يدرك الامام راكعا من الركعة الثانية * وقال في فصول صلاة السفر الذي اقول به ان القصر جائز في كل سفر قريبا كان أو بعيدا مباحا كان أو معصية وأطال في استدلاله على ذلك * وقال قد أجمع العلماء كلهم على جواز الجمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر بعرفة وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب الى وقت العشاء بمزدلفة واختلفوا فيما عدا هذين المكانين والذي أذهب اليه انه لايجوز الجمع في غير عرفة ومزدلفة لان أوقات الصلاة قد ثبتت بلاخلاف ولايجوز اخراج صلاة عن وقتها الا بنص غير محتمل اذ لا ينبغي أن يخرج عن أصل ثابت بامر محتمل هذا لا يقول به من شم رائحة العلم وكل حديث ورد في ذلك فمحتمل أن يتكلم فيه مع احتماله أو هو صحيح لكنه ليس بنص قال وأما الجمع بين الصلاتين في الحضر لغير عذر فهو موافق لقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج ولحديث دين الله يسر ولقول ابن عباس في جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الصلاتين في الحضر من غير عذر أنه أراد أن لا يحرج أمته قال وبذلك قال جماعة من أهل الظاهر وهو مذهب مرجوح

الامر على ضعفاء العقول فترى الامور رأى لا وجود لها فى عينها قبل كونها وترى الساعة فى محلاها والحق تعالى يحكم فيها بين عباده حين حلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت ثم توجد بعد ذلك فى مرآها كما رآها فان تفطنت يا أخى فقد رميت لك على الطريق وذلك منهج التحقيق انتهى * وقال فى الباب الثالث والخمسين وثلثمائة لم تزل الممكنات كلها مشهودة للحق تعالى وان لم تكن موجودة فما هى له مفقودة فهى فى حال عدمها مرئية للحق مسموعة له ولا يتوقف مؤمن فى تصور ذلك فان الله على كل شئ قدير انتهى (فان قلت) ما المراد بذلك الشئ الذى وصف الحق تعالى نفسه أنه قدير عليه هل هو ما تعلق بالعدم المحض أم العدم الاضافى (فالجواب) المراد به ما تضمنه علمه القديم من الاعيان الثابتة فى العلم الذى هو العدم الاضافى وليس المراد به العدم المحض لان العدم المحض ليس فيه ثبوت أعيان ويؤيده هذا قول الشيخ فى لواقح الانوار فى قوله ان الله على كل شئ قدير أى قدير على شئ تضمنه علمه القديم فان ما لم يتضمنه علمه فليس هو بشئ وكذلك يؤيد ذلك قول الشيخ فى باب التسعين من الفتوحات لا تتعلق قدرة الحق تعالى الا بشئ موجود فى علمه تعالى لقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير فنفى تعلق قدرته تعالى على ما ليس بشئ مما لم يتضمنه علمه القديم * قال وايضاح ذلك ان لا شئ لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها لما كانت حقيقته لا شئ ولا يخرج معلوم قط عن حقيقته فلا شئ محكوم عليه بأنه لا شئ أبدا وما هو شئ محكوم عليه بأنه شئ أبدا انتهى (فان قلت) قد قال الشيخ أبو الحسن الاشعرى ان وجود كل شئ فى الخارج عينه وليس بشئ زائد عليه سواء كان واجبا وهو الله وصفاته الذاتية أو ممكنا وهو الخلق وهذا مخالف لقول كثير من المتكلمين ان وجود الشئ أمر زائد عليه فما الحق من القولين (فالجواب) كما قاله ابن السبكى والجلال المحلى الحق ما قاله الاشعرى وعليه فالمعدوم ليس فى الخارج بشئ ولا ذات ولا ثابت أى لا حقيقة له فى الخارج وانما يتحقق بوجوده فيه وقد قال الجلال المحلى ثم هذا الحكم كذلك عند أكثر أهل القول الآخر أيضا * قال وذهب كثير من المعتزلة الى أن المعدوم الممكن فى الخارج شئ أى له حقيقة مقررة انتهى ما قاله الجلال المحلى فى شرحه لجمع الجوامع (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قولى الاشعرية ان العالم وجد عن عدم متقدم وبين قول المعتزلة انه وجد عن وجود (فالجواب) ان الوجه الجامع بين قولى الاشعرية والمعتزلة ان العالم حادث فى الظهور قديم فى العلم الالهى فمن قال انه حادث من الوجهين اخطأ أو قديم من الوجهين أخطأ والله أعلم (فان قلت) فما المراد بالحق الذى خلق الله تعالى به السموات والارض وما بينهما وهل لهذا الحق عين موجودة أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والستين وثلثمائة ان المراد أنه تعالى خلق العالم كله للحق تعالى وهو ان العالم يعبده على حسب حاله ليجازيه على ذلك فى الدنيا والآخرة وليسبغ عليه نعمه قال الشيخ وقد غلط فى هذا الحق المخلوق به السموات والارض وما بينهما جماعة من أهل الله وجعلوا عينا موجودة والحق ان الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى فى تمام الآية تعالى الله عما يشركون من أجل الباء فمعنى بالحق أى للحق فالباء هنا بمعنى اللام فى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (وايضاح ذلك) ان الحق تعالى لا يخلق شيأ بشئ وانما يخلق شيأ عند شئ وكل باء تقتضى الاستعانة والسببية فهى لام فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجده فى تفسير والله تعالى يتولى هداك

(المبحث الثانى عشر فى وجوب اعتقاد ان الله تعالى أبدع العالم على غير مثال سبق عكس ما عليه عباده)

فان أحدا منهم لا يقدر بارادة الله على اختراع شئ الا ان أنشأه فى نفسه أولا عن تدبر ثم بعد ذلك تبرزه القوة العملية الى الوجود الحسى على شكل ما يعلمه مثل وهذا محال فى حق الحق تعالى فلم يزل الحق تعالى عالما بخلقه أزلا كما مر فى المبحث قبله قال الشيخ محيى الدين ولا يجوز أن يقال ان الخلق كانوا على صورة لا يوصف الحق

تعالى

وخالفهم الجمهور (قلت) رأيت فى كتاب رحمة الامة فى اختلاف الائمة عن محمد بن سيرين وعن ابن المنذر انه يجوز لمن وراءه حاجة أن يقدم الصلاة عن وقتها ما لم يتخذ ذلك عادة وقد وقع لى أنى حكيت هذا المذهب لبعض الاخوان فنقل شخص من الحسدة انى أفتيته به فاشاع عنى ذلك فى مكة ومصر هذا مع سماعه منى حكاية قول ابن عباس آخر الامر من جمع بين صلاتين فى الحضر من غير عذر فقد أتى بابا من الكبائر فالله يغفر له ما افتراه عنه وكرمه والله اعلم * وقال الذى أقول به جواز الجمع فى الحضر للمريض ثم قال والكسل مرض النفس ومع ذلك فلا يجوز الجمع به وأما من كان مرضه استيلاء الاحوال عليه بحيث يخاف أن يغلب عليه الحال كما يخاف المريض أن يغمى عليه فيجوز له الجمع لان الحال مرض والمقام صحة انتهى فليتأمل ويحرر على ظاهر الشريعة * وقال فى صلاة الخوف الذى أذهب اليه أن الامام مخير فى الصور التى ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم فبأى صلاة صلى اجزأته وصحت صلاة الجماعة الا الرواية التى فيها الانتظار بالسلام فانه عندى فيها نظر لكون الامام يصير فيها تابعا وقد نصبه الله متبوعا قال وسبب توقفى من غير جزم من طريق المعنى ان النبى صلى الله عليه

تعالى بانه عالم بها قبل اختراعهم لان ذلك يؤدى الى أنه تعالى اخترع شيأ لم يعلمه وقد ثبت بالادلة القاطعة أنه عالم بكل شئ أزلا وأبدا فثبت لنا ان اختراع الحق تعالى لجميع العالم بالفعل على غير مثال سبق وخرجنا للوجود على حد ما كنا فى علمه تعالى ولو قدرنا أنا لم نكن كذلك فى علمه لخرجنا للوجود على حد مالم يعلمه الله تعالى وذلك محال لان مالا يعلمه لا يريده ومالا يعلمه ولا يريده لا يوجده فنكون اذن نحن موجودين بأنفسنا أو بحكم الاتفاق واذا كان وجودنا بأنفسنا أو بحكم الاتفاق فلا يصح وجودنا عن عدم وقد ثبت بالبرهان القاطع وجودنا عن عدم أى اضافى لا عدم محض كما مر بيانه فى المبحث قبله (فان قلت) فعلى هذا التقرير ان قلنا اننا موجودون من عدم صدقنا أو من وجود يعنى فى العلم صدقنا (فالجواب) نعم والامر كذلك كما أشار اليه الشيخ فى شعره فى الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات بقوله

فلو رأيت الذى رأينا * لما نفيت الذى رأيتا

فظاهر الامر كان قولى * و باطن الامر أنت كنتا

قد أثبت الشئ قول ربى * لو لم يكن ذاك ما وجدتا

فالعدم المحض ليس فيه * ثبوت عين فقل صدقتا

لو لم تكن ثم يا حبيبى * اذ قال كن لم تكن سمعتا

فأى شئ قبلت منه * الكون أو كون أنت انتا

وقد أشار الشيخ أيضا الى نحو هذا المعنى بقوله فى شعره أيضا فى الباب الثامن والثلثمائة

عجبى من قائل كن لعدم * والذى قيل له لم يك ثم

ثم ان كان فلم قيل له * ليكن والقول مالا ينقسم

فلقد أبطل كن قدرة من * دل بالعقل عليها وحكم

كيف للعقل دليل والذى * قد بناه العقل بالكشف هدم

فنجاة النفس فى الشرع فلا * تك انسانا رأى ثم حرم

واعتصم بالشرع فى الكشف فقد * فاز بالخير عبيد قد عصم

أهمل الفكر لا تحفل به * واتركه مثل لحم و وضم

كل علم شهد الشرع له * هو علم فبه فلتعتصم

واذا خالفك العقل فقل * طورك الزم مالكم فيه قدم

مثل ماقد جهل اللوح الذى * خط فيه الحق من علم القلم

الى آخر ما قال والنكتة فى التعجب كون الحق تعالى أضاف التكوين الى الشئ دون قدرته الالهية بقوله للشئ كن وجعله موجودا حين قوله له كن (وايضاح ذلك) لا يذكر الا مشافهة لا هله والله تعالى أعلم (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين فانه يوهم ان ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقا فما الفرق بين خلق الخلق بارادة الله وخلق الخلق بلا واسطة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين وأربعمائة ان الفرق بين الخلقين ان الله تعالى اذا أراد أن يخلق خلقا خلقه عن شهود فى علمه فيكسوه ذلك الخلق حلة الوجود بعد أن كان معدوما فى شهود الخلق وأما العبد فاذا خلق باذن الله شيأ كعيسى عليه السلام فلا يخلقه الا عن تقدم تصور وتدبر من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها فما خلقها العبد الا عن مثال سبق بخلاف خلق الله تعالى بلا واسطة فحصل بذلك الفرق بين الخلق المضاف الى الله بلا واسطة والمضاف الى الحق بواسطة وسيأتى بسط هذه المسئلة فى مبحث خلق الافعال ان شاء الله تعالى فراجعه فى المبحث الرابع والعشرين وتقدم فى المبحث الثانى فى حدوث العالم بعد كلام طويل قول الحق جل وعلا وما خلقت لك عينين الا لتشهد نى بالواحدة وظلمتك يعنى امكانك بالاخرى والله تعالى أعلم

وسلم أمر الامام أن يصلى بصلاة المريض وذوى الحاجة قال وقد جاءت الرواية أن الناس كانوا يأتمون بأبى بكر وأبو بكر يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل أنه كان يخفف من أجل مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فالامام فى مثل هذه الحالة يكون مؤتما بوجه اماما بوجه فلهذا لم يترجح عندى نظر فى رواية الانتظار انتهى فليتأمل ويحرر * وقال اذا كثرت وسوسة العبد فى الصلاة من الشيطان فحكم صلاته حكم صلاة شدة الخوف فيصلى على المحاربة ولو قطع الصلاة كلها فى المحاربة ويؤدى الاركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذى له من الحضور انه فى الصلاة فى باطنه كما يؤدى المجاهد الصلاة حال المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذى له من الصلاة فى ظاهره بالايماء بعينيه والتكبير بلسانه فى جهاد عدوه الظاهر قال وان وسوس له الشيطان مع ذلك فلا يضره وسوسته كما انه اذا شرع فى الجهاد على الاخلاص ثم عرض له فى اثنائه أن يقاتل رياء وسمعة فلا يبالى بذلك لان الاصل صحيح فى أول نشأة القتال فلا ينبغى أن يبطل عمله ويقع فى مخالفة قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم ويوافق غرض الشيطان * وقال فى صلاة المريض الذى أذهب اليه فى دفع المار أن يدفعه عن موضع جبهته فقط حال

(المبحث الثالث عشر في وجوب اعتقاد انه تعالى لم يزل موصوفا بمعاني أسمائه وصفاته و بيان ما يقتضي التنزيه والعلم وما لا يقتضيها)

اعلم ان هذا المبحث من أجل المباحث فانبسط الكلام فيه بكلام محققي المتكلمين ثم بكلام محققي الصوفية فأقول و بالله التوفيق قال محقق الزمان الشيخ جلال الدين المحلي معاني الاسماء والصفات هو كل ما دل على الذات المقدس باعتبار صفة كالعالم والخالق والرازق ونحوها كانه تعالى لم يزل موصوفا بصفات ذاته وهي ما دل عليها فعله من قدرة وعلم وارادة وحياة أو دل عليها التنزيه له عن النقص من سمع و بصر وكلام وبقاء قال وأما صفات الافعال كالخلق والرزق والاحياء والاماتة فليست أزلية خلافا للحنفية بل هي حادثة من حيث انها متعددة اذ هي اضافات تعرض للقدرة فتتعلق بها في أوقات وجودها وأطال في ذلك ثم قال فان أريد بالخالق من صدر عنه الخلق فليس صدوره أزليا قاله الغزالي انتهى كلام الجلال المحلي قال ابن أبي شريف رحمه الله في حاشيته على شرح جمع الجوامع ليس في كلام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه ولا متقدمي أصحابه أن صفات الافعال صفات قديمة زائدة على الصفات المتقدمة وانما أخذ ذلك متأخرو أصحابه من معنى قوله في كتاب الفقه الاكبر كان الله تعالى خالقا قبل أن يخلق و رازقا قبل أن يرزق وذكروا وجها من الاستدلال وأما الاشاعرة فيقولون ليست صفة التكوين سوى صفة القدرة باعتبار تعلقها بايصال الرزق مثلا وفي كلام أبي حنيفة أيضا ما نصه وكما كان تعالى بصفاته أزليا كذلك لا يزال أبديا ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا باحداثه البرية استفاد اسم الباري فله تعالى معنى الربوبية ولا مربوب وله معنى الخالق ولا مخلوق وكما أنه محيي الموتى واستحق هذا الاسم قبل احيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل انشائهم وذلك بأنه على كل شئ قدير انتهى كلام الامام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه قال البرماوي فقول أبي حنيفة ذلك بأن الله على كل شئ قدير تعليل و بيان لاستحقاق اسم الخالق قبل المخلوق فأفاد أن معنى الخالق موجود قبل الخلق وان المراد استحقاق اسمه بسبب قيام قدرته عليه فاسم الخالق ولا مخلوق في الازل صحيح لمن له قدرة الخلق في الازل هذا ما يقوله الاشاعرة قال الكمال في حاشيته وانما بينت لك هذه العبارة مع طولها لانها موضحة لكلام الجلال المحلي ومؤيدة له تأييدا ظاهرا انتهى وسيأتي الكلام على صفات الحق هل هي عينه أو غيره في الخاتمة آخر المبحث ان شاء الله تعالى (فان قيل) فهل الاسم عين المسمى أو غيره (فالجواب) ان الاصح كما قاله ابن السبكي ان الاسم عينه وبه قال الشيخ أبو الحسن الاشعري رحمه الله وقال غيره هو غيره كما هو المتبادر اذ لفظ النار مثلا غيرها بلا شك قال الجلال المحلي والمراد بما قاله الاشعري بالنظر للاسم الله اذ مدلوله الذات من حيث هي بخلاف غيره كالعالم مثلا فان مدلوله الذات باعتبار الصفة كما قال الاشعري لا يفهم من الاسم الله سواء بخلاف غيره من الصفات فانه يفهم منه زيادة على الذات من علم أو غيره انتهى قال ابن أبي شريف في حاشيته على انه لم يظهر لي في هذه المسئلة ما يصلح محلا لنزاع العلماء كما وضح ذلك البيضاوي في أول تفسيره فقال اعلم ان الاسم يطلق لمعان ثلاثة الاول اللفظ المفرد الموضوع لمعنى الثاني ذات الشئ والذات والنفس والعين والاسم بمعنى قاله ابن عطية الثالث الصفة كالخالق والعليم وغيرهما من أسماء الله وهذه الثلاثة أمور لا يظهر كون شئ منها محلا للنزاع لانه ان أريد بالاسم المعنى الاول الذي هو اللفظ المفرد الموضوع لمعنى فلا شك في كونه غير المسمى اذ لا يشك عاقل أن لفظ النار غيرها كما مر وان أريد به المعنى الثاني الذي هو ذات الشئ وحقيقته فهو المسمى ولا يحتاج حينئذ الى الاستدلال وان لم يشتهر استعمال الاسم بمعنى الذات وان أريد بالاسم المعنى الثالث وهو الصفة كما هو رأي الاشعري انقسم عنده انقسام الصفة اذ هي عنده على ثلاثة أقسام ما يرجع الى الذات كالاسم الله وهو نفس المسمى وما يرجع الى الافعال كالخالق والرازق وهو غير المسمى وما يرجع الى صفات الذات كالعليم والقدير والسميع والبصير فلا يقال انها عين المسمى ولا غيره فان المسمى ذاته وهو والاسم علمه الذي ليس هو عين ذاته وهو الظاهر ولا غيره على

تفسير

وجوده في الارض فاذا حال بينه و بين موضع سجوده فذلك المأمور بان يدفعه ويقاتله وما زاد على ذلك فلا يلزم المصلي دفعه ولا قتاله والاثم يتعلق بالمار في القدر الذي يسمى بين يديه عند العرب اذ لم نجد عن الشارع في ذلك شيأ قال والصلاة صحيحة على كل حال *وقال اختلفوا في النفخ في الصلاة هل هو كلام أم لا ومبناه على أن نفخ عيسى في الطائر باذن الله هل يقطع حضوره مع ربه الاصح لا يقطع قال فمن اعتبر النفخ بدلا من كن جعله كلاما ومن اعتبره لا بمعنى كن بل جعله سببا لم يجعله كلاما ويجعل قوله باذني معمولا لقوله فيكون طيرا لا لقوله فتنفخ فيه اه فليتأمل ويحرر *وقال الذي أقول به ان المصلي يرد السلام على من سلم عليه فانه ذكر لله وهو من الاذكار المشروعة في التشهد في الصلاة فله أصل يرجع اليه والدعاء في الصلاة جائز وفيه ذكر الناس مثل قوله اللهم اغفر لي ولوالدي وفي القرآن واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها فجاء بالفاء فلا ينبغي التأخير ولم يخص صلاة ولا غيرها وكل ذكر الله مشروع بدعاء أو غيره انتهى فليتأمل ويحرر *وقال الذي أقول به ان صلاة الناسي والنائم اذا تذكرها وصلاها أداء لا قضاء لان النائم والناسي غير مخاطب بتلك الصلاة في حال نسيانه

تفسير الفخر بن عجو زانه كالك أحدهما عن الآخر قال ونبه الجلال المحلي على ان الاسم المسمى عند الاشعرية لكن في لفظ الجلالة خاصة من القسم الاول لان مدلوله الذات من حيث هي كما قال الاشعري لا يفهم من اسم الله سواه انتهى كلام الجلال المحلي وكلام ابن أبي شريف * وأما كلام محققي الصوفية في ذلك فقال الشيخ في الباب الثاني والاربعين وثلثمائة من الفتوحات مما يؤيد قول من قال ان الاسم عين المسمى قوله تعالى ذلكم الله ربي فجعل اسمه تعالى عين ذاته كما قال قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا ولم يقل قل ادعوا بالله ولا بالرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله في موضع آخر غيره قال فلو لم يكن الاسم عين المسمى في قوله ذلكم الله لم يصح قوله ربي انتهى (قلت) ومما يؤيد ذلك أيضا حديث مسلم مرفوعا انا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت بي شفتاه فانه تعالى جعل اسمه عين ذاته اذ الذات لا تحرك بها الشفتان وانما تحرك بالاسم الذي هو اللفظ فليتأمل والله أعلم (فان قلت) فما التحقيق في أقسام الاسماء الالهية كم هي ترجع الى قسم (فالجواب) هي ترجع الى ثلاثة أقسام أسماء تدل على الذات وأسماء تدل على التنزيه وأسماء تدل على صفات الافعال وما ثم مرتبة رابعة حتى ما استأثر الله تعالى بعلمه فانه يرجع الى هذه المراتب ثم ان هذه الثلاثة ترجع الى قسمين قسم يقتضي التنزيه كالكبير والعلي والغني والاحد وما يصح أن ينفرد به الحق تعالى مما تطلبه الذات لذاتها وقسم يقتضي طلبه العالم كالمتكبر والمتعالي والرحيم والغفور ونحو ذلك مما تطلبه الذات من كونه تعالى الها ذكره الشيخ في الباب الثامن والستين من الفتوحات والباب الثاني والسبعين وثلثمائة منها * وقال في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة اعلم اننا ما وجدنا قط اسما لله تعالى يدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبدا لانه ما وصل الى علمنا اسم الا وهو على أحد أمرين اما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولا بد واما تنزيه وهو الذي يستروح منه اجلاله تعالى عن صفات نقص كوني تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما أعطانا الله تعالى (فان قلت) فما ثم على هذا اسم علم لله تعالى ما فيه سوى العلمية أبدا الا ان كان ذلك في علمه تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين نعم ما ثم على هذا اسم علم لله أبدا فيما وصل الينا وذلك لان الله تعالى ما أظهر أسماءه لنا الا لنثني بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علم لان الاسماء الاعلام لا يقع بها ثناء على المسمى وانما هي أسماء اعلام للمعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثني بها على من ظهر عندنا حكمها فيه اعتبارا وهو المسمى بمعانيها والمعاني هي المسماة بهذه المعاني اللفظية كالقادر والعالم ونحوهما قال ويؤيد ذلك قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وليست الا المعاني لا هذه الالفاظ اذ الالفاظ لا تتصف بالحسن أو القبح الا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فانها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحا (فان قلت) فاذن فما سميت أسماء الله حسنى الا لكون لها مقابل غير حسن وانما هي حسنى من حيث ظهور حسنها في العرف (فالجواب) نعم وهو كذلك فما ظهر لنا حسنه في العرف فهو حسن مطلقا وما لم يظهر له حسن في العرف فحسنه مبطون فيه مجهول على العامة وأما الخاصة فحسن جميع الاسماء ظاهر لهم لا يخفى عليهم لمعرفتهم بالحق تعالى في سائر مراتب التنكرات في العالم هذا ما ذكره الشيخ في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة وكان قبل ذلك يقول لم نعلم من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة الا اسم الله لانه اسم علم لا يفهم منه الا الذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وبسط الكلام على ذلك في الباب السابع والسبعين ومائة من الفتوحات بسطا طويلا لخصت منه ما ذكرته لك وكذلك طالعت جميع كتاب لواقح الانوار في هذا المبحث ولخصته هنا فاعتمده * وقد قال الشيخ محيي الدين في هذا الباب الذي هو السابع والسبعون ومائة وما قلناه من العلمية هو في مذهب من لا يرى انه مشتق ثم انه على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود له كما اذا سمينا شخصا بزيد على طريق العلمية وان كان هو فعل من الزيادة لكننا لم نسمه لكونه يزيد وينمو في جسمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به

ونومه وليس ذلك وقتا في حقهما حتى يكون قضاء في غير وقتها وأطال في تفاصيل ذلك فراجعه * قلت ذكر الشيخ في الباب الثاني والثلاثين وخمسمائة أن كل صلاة لا يحصل فيها حضور رب فهي ميتة لا روح فيها واذا لم يكن فيها روح فلا تأخذ بيد صاحبها يوم القيامة قال وهذه هي صلاة المنافق ثم المصور الذي يقال له يوم القيامة أحي ما خلقت فلا يقدر وايضاح ذلك ان الحق تعالى ما شرع العبادات لمجرد اقامة نشأة صورتها الظاهرة فقط وانما شرعها لما تدل عليه وتعطيه من المعرفة بالحق تعالى والله تعالى أعلم * وقال الذي أقول به ان تارك الصلاة عامدا لا قضاء عليه لانه ممن أضله الله على علم وبذلك قالت طائفة مع الاجماع على انه آثم فينبغي له أن يسلم اسلاما جديدا اهـ فليتأمل ويحرر * وقال لا أصل لمشروعية ترتيب الصلوات المنسيات يرجع اليه فان أوقات الصلوات المنسيات مختلفة ولا يكون الترتيب في القضاء الا في الوقت الواحد الذي يكون بعينه وقتا للصلاتين معا وهذا لا يتصور الا في مذهب من يقول بالجمع بين الصلاتين فيكون لذلك أصل يرجع اليه في نظره اهـ فليتأمل ويحرر * وقال في سجود السهو الذي أذهب اليه في موضع السجود للسهو ان المواضع التي يعد

اذا نادیناه فمن الاسماء ما یکون بالوضع علی هذا الحد فاذا قیلت هذه الاسماء علی هذا المعنی فهی اعلام واذا قیلت علی أسماء المدح فهی أسماء صفات قال وبهذا وردت جمیع أسماء الله الحسنى ونعت بها تعالى ذاته من طریق المعنى قال وأما الاسم الله فنعت به نفسه من طریق الوضع اللفظی فالظاهر أن الاسم الله للذات کالعلم ما أریدبه الاشتقاق وان قال بعضهم باشتقاقه (فان قلت) فهل أسماء الضمائر تدل علی الذات کالاسماء الصریحة أم لا (فالجواب) کما قاله الشیخ محیی الدین انها تدل علی الذات بلاشك فانها لیست بمشتقة ولکنها مع ذلك لیست أعلاما وان کانت أقوی فی الدلالة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر الی النعوت وأسماء الضمائر لا تفتقر وذلك مثل لفظة هو وذا وأنا وأنت ونحن والیاء من انی والکاف من انك فأما هو فهو اسم الضمیر الغائب وهو أعرف عند أهل الله من الاسم الله فی أصل الوضع لانه یدل علی هویة الحق التی لا یعلمها الا هو وأما ذا فهو من أسماء الاشارة مثل قوله ذلکم الله ربکم وکذلك لفظة یاء المتکلم مثل قوله تعالى فاعبدنی وأقم الصلاة لذکری وکذلك لفظة أنت وتاء المخاطب مثل قوله کنت أنت الرقیب علیهم وکذلك القول فی لفظة نحن وانا مشددة ولفظة نا من نحو قوله انا نحن نزلنا الذکر وکذلك حرف کاف الخطاب نحو قوله انك أنت العزیز الحکیم فهذه کلها أسماء ضمائر واشارات وکنایات تعم کل مضمر ومخاطب ومشار الیه ومکنی عنه وأمثال ذلك انتهی * وقال فی الباب الثامن والخمسین وخمسمائة الذی هو آخر الفتوحات اعلم ان الاسم الله انما سماه بالوضع ذات الحق تعالى عینه الذی بیده ملکوت کل شئ وأطال فی ذلك ثم قال فعلم ان کل اسم الهی یتضمن أسماء التنزیه من حیث دلالته علی ذات الحق ولکن لما کان ما عدا الاسم الله من الاسماء مع دلالته علی ذات الحق تعالى یدل علی معنی آخر من نفی أو اثبات من حیث الاشتقاق لم تقو أحدیة الدلالة علی الذات قوة هذا الاسم کالاسم الرحمن وغیره من الاسماء الحسنى قال وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن یتسمی به أحد غیر ذات الحق ولهذا قال تعالى فی معرض الحجة علی من نسب الالوهیة لغیر الله تعالى قل سموهم فلو سموهم ما سموهم الا بغیر الاسم الله لانهم قالوا ما نعبدهم الا لیقربونا الی الله زلفی فقد علمت ان الاسم الله یدل علی الذات بحکم المطابقة کالاسماء الاعلام علی مسمیاتها انتهی (قلت) وقد بان لك تناقض کلام الشیخ فی قوله ان الاسم الله علم أو غیر علم فانه ذکر أولا فی الباب السابع والسبعین وثلثمائة انه اسم علم ثم ذکر فی الباب الذی هو التاسع والسبعون وثلثمائة انه غیر علم ثم ذکر فی الباب الثامن والخمسین وخمسمائة انه علم فلیحرر والله تعالى أعلم (فان قلت) فعلی ما قررتموه من أن المراد من الاسماء الالهیة انما هو معانیها لا ألفاظها تکون جمیع الاسماء التی بأیدینا أسماء للاسماء الالهیة التی سمی الحق تعالى بها نفسه من کونه متکلما (فالجواب) نعم وهو کذلك فتضع الشرح الذی کنا نوضح به مدلول تلك الاسماء علی هذه الاسماء التی بأیدینا فانه تعالى تسمی بها من حیث ظهورها للعالم فلها من الحرمة ما للاسماء القائمة بالذات کما قلنا فی الحروف المرقومة فی المصحف انها کلام الله تعالى وان کان لها تحقیق آخر یعرفه العلماء بالله (فان قلت) فهل یعم تعظیم الاسماء جمیع الالفاظ الدائرة علی ألسنة الخلق علی اختلاف طبقاتهم وألسنتهم (فالجواب) نعم هی معظمة فی کل لغة لرجوعها الی ذات واحدة فان اسم الله لا تعرف العرب غیره وهو بلسان فارس خدای وبلسان الحبشة واق وبلسان الفرنج کریطور وابحث علی ذلك فی سائر الالسن تجد ذلك الاسم الالهی معظما فی کل لسان من حیث ما یدل علیه ولهذا نهانا الشارع صلی الله علیه وسلم أن نسافر بالمصحف الی ارض العدو وهو بلا شك خط أیدینا وأوراق مرقومة بأیدی المحدثات بمداد مرکب من عفص وزاج مثلا فلولا هذه الدلالة التی فی الاسماء والحروف لما وقع لها تعظیم وأطال الشیخ فی ذلك فی الباب السابع والتسعین ومائتین فراجعه (فان قلت) فاذن یحرم علینا التسمی بنظیر أسماء الله تعالى کنافع ونور ووکیل ونحو ذلك (فالجواب) کما قاله الشیخ فی الباب الثالث والاربعین نعم یحرم ذلك ویجب علینا شرعا وعقلا اجتناب ذلك وان أطلقنا أسماء منها علی أحد فانما نذکره مع کوننا ذاهلین عن تعلقه بالله تعالى کما اذا قلنا فلان مؤمن فان مرادنا به

فیها رسول الله صلی الله علیه وسلم قبل السلام یسجد فیها قبل السلام والمواضع التی سجد فیها بعد السلام یسجد فیها بعد السلام قال وأما غیر ذلك مما سها فیه المصلی فهو مخیر ان شاء سجد لذلك قبل السلام وان شاء بعد السلام قال والمواضع التی سها فیها رسول الله صلی الله علیه وسلم تشریعا لامته خمس شك فسجد قام من اثنتین ولم یجلس فسجد سلم من اثنتین ولم یجلس فسجد سلم من اثنتین فسجد سلم من ثلاث فسجد صلی خمسا ساهیا فسجد قال واختلف الناس فی سجوده هل سجد للزیادة والنقصان أو للسهو فمن قائل للسهو ومن قائل للزیادة والنقصان والذی أقول به انه سجد لهما سجدة للسهو والثانیة للزیادة والنقصان (وقال) انما شرع للمصلی أن یقول فی سجوده سبحان ربی الاعلی ثلاثا لتکون واحدة لحسه وواحدة لخیاله وواحدة لعقله فهو ینزه الحق فی محل القرب أن یکون مدرکا بحس أو خیال أو عقل فیرغم بذلك الشیطان * وقال انما شرع جبر السهو بالسجود دون غیره من أفعال الصلاة وأقوالها لان السهو أغلبه من الشیطان فلا یصح الجبر الا بصفة لا یتمکن للشیطان أن یدنو من العبد حال تلبسه بها وهو السجود اذ الساجد فی حال سجوده محفوظ من الشیطان لقربه من شهود

كونه مصدقا بما وعد الله به وأوعد وليس مرادنا المعنى المتعلق باسم الله تعالى المؤمن وأما تسمية الحق تعالى عبده محمدا صلى الله عليه وسلم رؤفا رحيما فانما نذكر ذلك على سبيل التلاوة والحكاية لكلام الله تعالى فنسميه صلى الله عليه وسلم بما سماه الله تعالى به ولا حرج لان صاحب الاسم هو الذي خلع عليه ذلك الاسم مع اعتقادنا انه صلى الله عليه وسلم في نفسه معترف به عبد ذليل خاشع أواه منيب انتهى (فان قلت) فهل في أسماء الله تعالى أفضل ومفضول وان عمها كلها العظمة والجلال أم كلها متساوية (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة أن أسماء الله تعالى متساوية في نفس الامر لرجوعها كلها الى ذات واحدة وان وقع تفاضل فانما ذلك لامر خارج فان الاسماء نسب واضافات وفيها أئمة وفيها سدنة وفيها ما تحتاج اليه الممكنات احتياجا كليا ومنها ما لا تحتاج اليه الممكنات ذلك الاحتياج الكلى بالنظر للاحوال المشاهدة فالذي يحتاج اليه الممكن احتياجا ضروريا الاسم الحي العالم المريد القادر والاخير في النظر العقلي هو القادر فهذه أربعة يطلبها الممكن بذاته وما بقي من الاسماء فكالسدنة لهذه الاسماء ثم يلي هذه الاسماء الاربعة في ظهور الرتبة الاسم المدبر والمفصل ثم الجواد ثم المقسط فمن هذه الاسماء كان عالم الغيب والشهادة والدنيا والآخرة والبلاء والعافية والجنة والنار انتهى * وكان سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه يذهب الى التفاضل في الاسماء ويقول في قوله تعالى وكلمة الله هي العليا هو الاسم الله فانه أعلى مرتبة من سائر الاسماء ولذلك تقدم في التسمية وفي نحو قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم على ما ذكر مما يعطف عليه من الاسماء وأجمع المحققون على انه الاسم الجامع لحقائق الاسماء كلها قال ونظير ذلك أيضا ولذكر الله أكبر أي ولذكر الاسم الله أكبر من ذكر سائر الاسماء انتهى * قال الشيخ محيي الدين نحو ذلك أيضا بالنظر للاستعاذة من الشيطان فقال انما خص الامر بالاستعاذة بالاسم الله دون غيره من الاسماء لان الطرق التي يأتينا منها الشيطان غير معينة فأمرنا بالاستعاذة بالاسم الجامع فكل طريق جاءنا منها يجد الاسم الله مانعا له من الوصول الينا بخلاف الاسماء الفروع انتهى * وقال أيضا في الباب الثاني والثمانين في قوله تعالى ففروا الى الله انما جاء بالاسم الجامع الذي هو الله لان في عرف الطبع الاستناد الى الكثرة قال صلى الله عليه وسلم يد الله مع الجماعة فالنفس يحصل لها الامان باستنادها الى الكثرة والله تعالى مجموع أسماء الخير ومن حقق معرفة الاسماء الالهية وجد أسماء الاخذ والانتقام قليلة وأسماء الرحمة كثيرة في سياق الاسم الله انتهى فتأمل هذا المبحث وحرره والله يتولى هداك

(خاتمة) فان قلت هل يصح لاحد الانس بالله تعالى كما يصح الانس بغيره من الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين وما ئتين ان الانس بالذات لا يصح لاحد عند جميع المحققين لانتفاء المجانسة بل نقول انه لا يصح الانس باسم من أسماء الله تعالى أبدا انما حقيقة الانس ترجع الى ما يصل الى العبد من تقريبات الحق تعالى ونور الاعمال لا غير ومن قال انه أنس بعين ذات الحق تعالى فقد غلط انتهى والله أعلم (فان قلت) فهل الرحمن الرحيم اسمان كما هو مشهور أم هما اسم واحد مركب كبعلبك ورامهرمز (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الاسرار ان الذي أعطاه الكشف انهما اسم واحد كما ذكر في السؤال انتهى * وقال في الباب الثاني والتسعين ومائة وقد بلغنا ان الكفار كانوا يعرفونه مركبا فلما أفرد أنكروه ولم يعرفوه انتهى (فان قيل) فهل كل اسم الهي يجمع جميع حقائق الاسماء الالهية أم كل اسم لا يتعدى حقيقته (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع من الفتوحات ان كل اسم الهي يجمع جميع حقائق الاسماء ويحتوي عليها مع وجود التمييز بين حقائق الاسماء في الشهود قال وهذا مقام أطلعني الله تعالى عليه ولم أر له ذائقا من أهل عصري انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد من الخلق التخلق بالقيومية ... هو السهر الدائم ليلا ونهارا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين أنه يصح التخلق به كبقية الاسماء الالهية التي يصح التخلق بها لاحد من الخلق بلا فرق وليس ذلك من خصائص الحق كما قال به شيخنا

... به فلو ان الشيطان كان يقترب من العبد في سجوده للسهو لسهى في سجود سهوه وكان يتسلسل الامر قال ولهذا لم يرد لنا شرع فيمن سها في سجود سهوه ثم انه لو وقع فلا يتعين أن يكون من الشيطان واذا لم يكن من الشيطان فلا يكون ترغيما له بخلاف ما اذا كان السهو من فعل الشيطان أو الغيبة فان السجود يكون ترغيما على ترغيم الترغيم الاول من كونه سجد والترغيم الثاني من حيث كون وسواسه لم يؤثر فيه نقصا حيث جبر بالسجود فعلم أن السهو لا يلزم أن يكون ولا بد من الشيطان وانما سببه مغيب المصلي عن عبادته فنفس غيبته عنها يكون عنها السهو فان من أسباب السهو من غير الشيطان غلبة مشاهدة عجائب أحكام الله عز وجل حين تلاوة كلامه من غلبة توحيد او خوف مزعج أو غير ذلك * وقال الذي أقول به ان الامام لا يحمل سهو المأموم وبه قال مكحول خلافا للجمهور وذلك لانا ما رأينا الشرع فرق بين الامام والمأموم في الامر بسجود السهو وانما ذكر المصلي خاصة ولم يخص حالا دون حال وقال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تجزي نفس عن نفس شيأ وكل نفس بما كسبت رهينة قال فمن بحث عن هذا المعنى علم أن الامام لا يحمل سهو المأموم

أبو عبد الله بن جنيد قال والحق ما قلناه من وقوع التخلق به انتهى (فان قلت) فهل يصح لاحد التخلق باسم الهوية أو الاحدية أو الغنى عن العالمين (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين لا يصح التخلق بذلك لاحد لان هذه الامور من خصائص الحق تعالى فلا يصح أن يتخلق بها المخلوق لا عيانا ولا تقارا عقليا وقد قال أيضا في باب الاسرار اعلم أن التخلق بالاسماء على الاطلاق من أصعب الاخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق فاياك يا أخي ان يظهر مثل هذا عنك قبل وصولك الى مشهد من قال أعوذ بك منك فمن استعاذ والى من لاذ انتهى فتأمل في هذه الجواهر فانك لا تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك وهو حسبي ونعم الوكيل واليه المصير

(المبحث الرابع عشر في أن صفاته تعالى عين أو غير او لا عين ولا غير)

اعلم يا أخي أن نفي الصفات الذاتية ينسب الى المعتزلة وهم لم يصرحوا بذلك كما قاله شيخ الاسلام ابن أبي شريف في حاشيته وانما أخذ الناس ذلك من نفيهم صفات الذات كالقدرة والعلم مثلا من حيث كونها زائدة والا فالمعتزلة متفقون على انه تعالى حي عالم قادر مريد سميع بصير متكلم لكن بذاته لا بصفة زائدة قالوا فمعنى أنه متكلم أنه خالق الكلام في الشجرة مثلا قال وهذا بناء منهم على انكار الكلام النفسي وزعمهم أن لا كلام الا اللفظي وقيام اللفظي بذاته تعالى ممتنع فما نقل عنهم من نفي الصفات على هذا التقرير لازم لمذهبهم ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح وأطال في ذلك ثم قال ومذهب أهل السنة أن صفات الحق السبعة زائدة على الذات قائمة بها لازمة لها لزوما لا يقبل الانفكاك وقالوا الحق تعالى حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة وهكذا قال وأما صفة البقاء فقد اختلفوا فيها فالاشعري وأكثر أتباعه على أنها صفة زائدة على الذات وقال القاضي والامامان وغيرهم كقول المعتزلة انه تعالى باق لذاته لا ببقاء قال والادلة من الجانبين مسطورة في كتب أصول الدين قال وانما نفى المعتزلة الصفات على ما تقرر هربا من تعدد القدماء وأهل السنة قالوا القديم لذاته واحد وهو الذات المقدس وهذه صفات وجبت للذات لا بالذات والتعدد لا يكون في القديم لذاته انتهى ذكره في مبحث الاشتقاق من شرح جمع الجوامع في حاشيته انتهى كلام المتكلمين *وأما ما قاله الصوفية رضي الله تعالى عنهم فقد قال سيدي علي بن وفا رحمه الله اعلم ان الذات شئ واحد لا كثرة فيه ولا تعدد بالحقيقة وانما خاف المعتزلة من تعدد القدماء من جهة اعتبار تعينها بالصفات وذلك انما هو تعدد اعتباري والاعتباري لا يقدح في الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لاصلها أو كالاصابع بالنظر للكف انتهى (فان قيل) فما الفرق بين الصفات والاوصاف (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في الكلام على التشهد في الصلاة من الفتوحات أن الصفات يعقل منها أمر زائد وعين زائدة على عين الموصوف وأما الاوصاف فقد تكون عين الموصوف بنسبة خاصة ما لها عين موجودة انتهى *وذكر أيضا في الباب السادس عشر وأربعمائة عن شيخه أبي عبد الله الكناني امام المتكلمين بالمغرب أنه كان يقول كل من تكلف دليلا على كون الصفات الالهية عينا أو غيرا فدليله مدخول لكن من قال انها عين فهو أكثر أدبا وتعظيما وسيأتي آخر المبحث الآتي عقبه أن من الادب أن نسمي الصفات أسماء لانه هو الوارد فراجعه وقد بسط الشيخ محيي الدين الكلام على مبحث الصفات هل هي عين أو غير وأحسن ما رأيته عنه في جميع الفتوحات ما ذكره في هذه الابواب الخمسة الآتي ذكرها وهي الباب السابع عشر والباب السادس والخمسين والباب الثالث والسبعين وثلثمائة والباب السبعين وأربعمائة والباب الثامن والخمسين وخمسمائة فاما ما قاله في الباب السابع عشر فقال اعلم أن جميع الاسماء والصفات الالهية كلها نسب واضافات ترجع الى عين واحدة لانه لا يصح هنالك كثرة بوجود أعيان أخر كما زعمه بعض النظار ولو كانت الصفات أعيانا زائدة وما هو اله الا بها لكانت الالوهية معلومة بها انها لا تخلو أن تكون هي عين الاله فالشئ لا يكون علة لنفسه أولا تكون عينه فالله تعالى لا يكون معلولا لعلة ليست عينه فان العلة متقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم من ذلك افتقار الاله من كونه معلولا لهذه الاعيان الزائدة التي هي علة له وهو محال ثم ان الشئ المعلول لا يكون له علتان وهذه عال كثيرة لا يكون الها الا بذاته

وان مكمولا كل عينه في هذه المسئلة بكحل الاصابة فانجلت عين بصيرته (وقال) الذي أقول به أن الانسان اذا رفع عنه التكليف لغلبة حال أو جنون أو صبا لم يزل عنه خطاب الشرع وخالفني في ذلك الجمهور وقال وايضاح ما قلته أنه ما ثم حال ولا صفة في مكلف تخرج عن حكم الشرع فان الشارع قد أباح للمجنون والصبي ونحوهما التصرف فيما يخطر له ولا حرج عليه فكيف يقال زال عنه حكم الشرع وهو قد حكم له بالاباحة كما حكم على المكلف بالاجماع بالاباحة فيما أبيح له والحكم للشرع لا للعقل فما خرج أحد عن حكم الشرع ومعلوم أن أحوال الشرع مبنية على الاحوال لا على الاعيان كما أفتى الامام مالك بتحريم أكل خنزير البحر تبعا للاسم وأطال في ذلك *وقال في حديث هل علي غيرها قال لا الا أن تطوع أي فهو عليك فيجب عليك الوفاء باتمامه كما يجب في فروض الاعيان ودخل في هذا الباب النذر قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم *وقال فينبغي اذا قرأ سورة بعد الفاتحة أن لا يتروى فيما يقرأ بل كل شئ جرى على لسانه قرأ به من سورة أو بعض سورة فان الخاطر الاول له مرتبة على الثاني (قلت) وذكر الشيخ في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة أيضا

أن تكون الاسماء والصفات أعيانا زائدة على ذاته تعالى الله عن ذلك انتهى * وأما ما قاله في الباب السادس والخمسين فهو قوله اعلم يا أخي أن الاستقراء السقيم لا يصح في العقائد لان مبناها على الادلة الواضحة وقد تتبع بعض المتكلمين أدلة المحدثات فلم يجد فيها من هو عالم لنفسه فاعطاه دليله أن لا يكون عالم قط الا بصفة زائدة على ذاته تسمى علما وحكمها فيمن قامت به أن يكون عالما قال وقد علمنا أن الحق تعالى عالم فلا بد أن يكون له علم ويكون ذلك العلم صفة زائدة على ذاته قائمة به قال الشيخ محيي الدين وهذا استقراء سقيم بل هو الله العالم القادر الخبير كل ذلك بذاته لا بأمر زائد عليها اذ لو كان ذلك بأمر زائد على ذاته وهي صفات كمال لا يكون كمال الذات الا بها لكان كماله تعالى بشئ زائد على ذاته واتصفت ذاته بالنقص والفقر اذا لم يقم بها هذا الزائد تعالى الله عن ذلك فهذا هو الذي دعا بعض المتكلمين أن يقول في صفات الحق تعالى انها غيره فاخطأ طريق الصواب وسبب خطئه انه رأى العلم من صفات المعاني يقدر رفعه مع كمال ذات العالم من الخلق فلما أعطاه الدليل ذلك طرده شاهدا وغائبا يعني في حق الخلق والحق معا انتهى على أن الشيخ ذكر في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى العليم أن من الخلق من يكون علمه من ذاته لا بأمر زائد وذلك في كل علم يدركه الانسان بين وجوده خاصة ولا يفتقر في تحصيله الى أمر آخر فاذا ورد عليه ما لا يقبله الا بكونه موجودا على مزاج خاص فهو علمه الذاتي انتهى فليتأمل كأنه يقول فاذا كان بعض العبيد يقع له عدم استفادة العلم من غيره فالحق أولى لكن الفرق بين علم هذا العبد وعلم الحق تعالى ان علم العبد هبة من الله تعالى له حين نفخ فيه الروح فليس علمه من قسم من كان علمه بذاته حقيقة وهو الله فاعلم ذلك وإياك والغلط * وأما ما ذكره في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة فهو قوله اعلم أنه لا يجوز الحكم على الله بشئ لانه خير الحاكمين ومن هنا يعلم أنه لو كانت صفات الحق تعالى زائدة على ذاته كما يقول به بعضهم لحكم على الذات بما هو زائد عليها ولا هو عينها وقد زل في هذه المسئلة كثير من المتكلمين وأصلهم فيها قياس الغائب على الشاهد وهو غاية الغلط فان الحكم على المحكوم عليه بأمر ما من غير ان تعلم ذات المحكوم عليه وحقيقته جهل عظيم من الحاكم عليه بذلك فرحم الله أبا حنيفة حيث لم يقض على غائب انتهى * وأما ما قاله في الباب السبعين وأربعمائة فهو قوله اعلم أن بالعلم يعلم العلم فالعلم معلوم العلم فهو المعلوم للعلم والعلم صفة العالم فاعرف الحق تعالى منك الا علمك لا أنت غير ذلك لا يصح لك ومن هنا قالوا العلم حجاب أى عن شهود حقيقة الحق تعالى قال الشيخ محيي الدين وهذا الذي ذكرناه هو الذي يتمشى على قول بعض المتكلمين في الصفات انها ما هي غيره فقط ويقف وأما قولهم بعد هذا القول ولا هي هو فانما ذلك لما رأوا من أنه معقول زائد على هو فنفى هذا القائل أن تكون الصفات هو وما قدر على أن يثبت هو من غير علم بصفة به فقال وما هو غيره فحار فنطق بما أعطاه فهمه وقال صفات الحق لا هي هو ولا هي غيره قال الشيخ محيي الدين وهو كلام خلي من الفائدة وقول لا روح فيه يدل على عدم كشف قائله قال ولكنا اذا قلنا نحن مثل هذا القول لم نقله على حد ما يقوله المتكلم فانه يعقل الزائد ولا بد ونحن لا نقول بالزائد ولا نخالف كشفنا بأن الصفات الالهية عين فان من يقول انها غير واقع في قياس الحق تعالى على الخلق في زيادة الصفة على الذات فما زاد هذا على الذين قالوا ان الله فقير الا بحسن العبارة فقط فانه جعل كمال الذات لا يكون الا بغيرها فنعوذ بالله أن نكون من الجاهلين انتهى فتلخص من جميع كلام الشيخ أنه قائل بان الصفات عين لا غير كشفا ويقينا وبه قال جماعة من المتكلمين وما عليه أهل السنة والجماعة أولى والله سبحانه يتولى هداك

(المبحث الخامس عشر في وجوب اعتقاد أن أسماء الله تعالى توقيفية)

فلا يجوز لنا أن نطلق على الله تعالى اسما الا ان ورد في الشرع وقالت المعتزلة يجوز لنا أن نطلق عليه الاسماء اللائق معناها به تعالى وان لم يرد بها الشرع ومال الى ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته وليس الكلام في أسمائه الاعلام الموضوعة في اللغات وانما الخلاف في

ما نصه ان من أدب العارف اذا قرأ في صلاته المطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة لانه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فهو بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقي تعالى اليه في خاطره وأطال في ذلك والله أعلم * وقال الذي أذهب اليه في القراءة في ركعتي سنة الفجر أن يسمع نفسه بحيث لا يسمع من يليه وذلك لان وقتها وقت برزخي فاشبهت النائم في كونه يرى في نفسه أمورا والذي الى جانبه لا يعرف ما هو فيه فمعاملة ذلك الوقت بمثل هذه القراءة أولى وليفرق أيضا بينها وبين صلاة الصبح ومن الحكمة تمييز المراتب وارتفاع اللبس في الاشياء * وقال في قيام رمضان الذي اختاره أن يصلي ثلاث عشرة ركعة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يزد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة وكان يطولهن ويحسنهن فيجمع فاعل ذلك بين قيام رمضان وبين الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم ان الذين يزيدون على ما قلناه يؤدونه أشأم أداء لا يتمون ركوعه ولا سجوده وفي مثل صلاة هؤلاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته ارجع فصل فانك لم تصل فمن عزم على قيام رمضان المسنون المرغب فيه فليقم كما شرع الشارع الصلاة من اتمام ركوعها وسجودها

الاسماء المأخوذة من الصفات والافعال كما نبه عليه السيد في شرح المواقف وقال المولى سعد الدين في المقاصد محل النزاع ما اتصف البارى جل وعلا بمعناه ولم يرد لنا اذن به وكان مشعرا بالجلال والتعظيم من غير وهم اخلال انتهى قال الشيخ كمال الدين والقيد الاخير للاحتراز عن اطلاق ما يوهم اطلاقه أمرا لا يليق بكبرياء الله تعالى كافظ عارف مثلا لان المعرفة قد يكون المراد بها علما يسبقه غفلة وكافظ فقيه فان الفقه فهم غرض المتكلم من كلامه ولولا كلامه ما فهم منه شئ وذلك يشعر بسابقة جهل وكلفظ عاقل فان العقل علم مانع من الاقدام على ما لا ينبغي مأخوذ من العقال ونحو ذلك انتهى هذا ما رأيته من كلام المتكلمين وأما كلام المحققين من الصوفية فقال الشيخ محيي الدين رضى الله تعالى عنه اعلم انه لا يجوز اجماعا أن نشتق له اسما من نحو الله يستهزئ بهم ولا من نحو قوله ومكروا ومكر الله ولا من نحو قوله وهو خادعهم ولا من نحو قوله نسوا الله فنسيهم وان كان تعالى هو الذى أضاف ذلك الى نفسه في القرآن فنتلوه على سبيل الحكاية فقط أدبا معه سبحانه وتعالى ونخجل منه من حيث تنزله تعالى لعقولنا ومخاطبتنا بالالفاظ اللائقة بنا لا به ثم أنشد

ان الملوك وان جلت مناصبها * لهامع السوقة الاسرار والسمر

فعلم أن تنزل الحق تعالى لعباده من جملة عظمته وجلاله يزداد بذلك تعظيما في قلب العارف به قال تعالى ولله الاسماء الحسنى يعني الواردة في الكتاب والسنة وما ثم الاحسنى لانه لا يصح أن يكون لها مقابل انتهى وقدمر ذلك في المبحث قبله * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة ليس لاهل الادب مع الله تعالى أن يشتقوا له اسما ولو حسنا في العرف سواء كان طريقهم الى ذلك الكشف أو النظر الصحيح * وقال أيضا في كتاب القصد لا يجوز لنا أن نسمى الله تعالى الا بما سمى به نفسه على ألسنة رسله فما أطلقه على نفسه أطلقناه وما لا فلا فانما نحن به وله وقال في باب الاسرار وغيره لا يجوز أن يقال في الحق تعالى انه مصدر الاشياء وان كان له وجه بعيد الى الصحة لانه قد يفهم العاقل منه أن العالم منفصل من ذات الحق بل صرح بعضهم بذلك وهو كفر وقد ضرب بعض الخلفاء عنق من قال في شعره

قطعت الورى من نفس ذاتك قطعة * ولا أنت مقطوع ولا أنت قاطع

وقال الشيخ في كتاب القصد لا ينبغي أن يقال في الحق تعالى قديم وان كان هو بمعنى اسمه تعالى الاول ومثله الازلى والابدى قال وكذلك لا ينبغي أن يقال الحق تعالى ذو حياة وانما يقال انه تعالى حى كما ورد وذلك لقول الله تعالى خلق الموت والحياة وما خلقه تعالى لا يوصف به وكذلك لا يقال انه تعالى اخترع العالم الابوجه ما وذلك لان العالم كله كان ثابتا في علمه تعالى قبل بروزه الى عالم الشهادة وما كان ثابتا كذلك لا يقال انه اخترعه وانما يقال ابرزه على وفق ما سبق به العلم قال وكذلك لا يقال يجوز للحق تعالى أن يفعل كذا ويجوز أن لا يفعله لان اطلاق الجواز على الله لم يرد لنا في كتاب ولا سنة ولا دل عليه عقل مع أن الجواز يفتقر الى المرجح بوقوع أحد الجائزين وما ثم فاعل الا الله وقد افتقر أهل هذه المذاهب الى اثبات ارادة حتى يكون الحق تعالى يرجح بها غير ارادته القديمة ولا يخفى ما في هذه المذاهب من الغلط لانه يصير الحق تعالى محكوما عليه بما هو زائد على ذاته وهو عين ذات أخرى انتهى وقال الشيخ محيي الدين في الباب العشرين وأربعمائة والذى نقول به ان اطلاق الجواز على الحق تعالى جائز للعارف الذى علمه الله تعالى ضرب الامثال لله تعالى وذلك لان العين المخلوقة من حيث كونها ممكنة تقبل الوجود وتقبل العدم فجائز انه يخلقها وجائز أن لا يخلقها فلا موجود ثم اذا وجدت فبالمرجح وهو الله واذا لم توجد فبالمرجح وهو الله أيضا ولا حاجة الى تكلف ارادة زائدة وبذلك يستقيم كلام أهل هذه المذاهب وان كان الادب مع الله أكمل وأتم بل أوجب انتهى (قلت) والذى ذهب اليه القلانسى وعبد الله بن سعيد أنه لا يجوز اطلاق الجواز على الله عز وجل كأن يقال يجوز أن يكون الله يفعل كذا واتفق أصحاب القلانسى وعبد الله بن سعيد على قولهم انه تعالى يجوز أن يرى نفسه وبه قال جماعة من منكرى الرؤية والله أعلم (فان قلت) فهل الاولى في الادب أن تسمى

والعلمأنينة في محالها الاربع والوقار والتدبر والتسبيح والافتركه أولى وأطال في ذلك * وقال الذى يتأكد المواظبة عليه من السنن المطلوب بها في السنة ركعتا الفجر وأربع ركعات من أول النهار وأربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعد الظهر وأربع ركعات قبل العصر وركعتان قبل المغرب وست ركعات بعد المغرب وثلاث عشرة ركعة بالليل يوتر بالاخيرة منهن وأربع ركعات بعد صلاة الجمعة فما زاد على ذلك فهو حسن ولكن اتباع السنة في كل الامور أحسن (قلت) ذكر الشيخ في الباب الحادى والعشرين وأربعمائة ليس للملائكة نافلة انما هم دائما في فرائض بعدد أنفاسهم ولا نفل عندهم بخلاف البشر * وقال في صلاة التحية الذى أقول به ان التحية لا تستحب للداخل للمسجد الا ان أراد القعود في المسجد فان وقف أو عبر ولم يرد القعود فان شاء ركع وان شاء لم يركع وان قعد ولم يركع كره ومن كان حاله دوام الحضور مع الله ينوى بالركعتين الشكر لله حيث جعله من المتقين الذين يدخلون بيته لحديث المسجد بيت كل تقى فافهم وحرره وان كان فيه شئ * وقال في صلاة العيدين انما سمى العيدان بذلك لانه شرع فيهما اللهو واللعب المباح وحرم فيهما الصيام على المكلف فعادله

الصفات أسماء كما ورد (فالجواب) نعم الاولى ذلك قال تعالى ولله الاسماء الحسنى ما قال الصفات الحسنى * وقال الشيخ في باب الاسرار من الادب أن تسمى الصفات أسماء لان الله تعالى قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وما قال فصفوه بها فمن عرفه حق المعرفة الممكنة للعالم سماه تعالى ولم يصفه قال ولم يرد لنا خبر في الصفات لما فيها من الآفات الاترى من جعله موصوفا كيف يقول ان لم يكن كذلك كان موقوفا وما علم من وصفه تعالى ان الذات اذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص العرف وفى كلامهم من لم يكن كماله لذاته افتقر بالدليل فى حصول الكمال الى صفاته وصفاته تعالى ليست عينه فقد جهل هذا القائل بالصفات كونه والمشاركة فى الصفات دليل على تباين الذوات وقد قال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون فنزه نفسه فى هذه الآية عن الصفة لا عن الاسم فهو المعروف بالاسم لا بالصفة انتهى وكذلك لا يقال أدبا ان الله تعالى شئ الا فى المحل الذى ورد فيه ذلك ولا ينبغى القياس وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات سمعت فى بعض الهواتف الربانية مانصه لست بشئ لانى لو كنت شيأ لجعلتنى الشيئية فيقع التماثل وأنا لا أماثل انتهى وكذلك لا يقال الحق تعالى بخيل وان كان هو بمعنى الاسم المانع وقس على ذلك المنع كل مالم يطلقه تعالى على نفسه والله تعالى يتولى هداك

(المبحث السادس عشر فى حضرات الاسماء الثمانية بالخصوص وهى الحى العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم الباقى)

وهذا المبحث من أجل مباحث الكتاب فلنوضح كل اسم بجملة من متعلقاته تبركا بمعانى أسماء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق اعلم يا أخى ان الاسم الحى له التقدم على سائر الاسماء فلا يمكن أن يتقدمه اسم فى الظهور فهو المنعوت على الحقيقة بالاسم الاول ولذلك قال تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم فجعل اسمه تعالى الحى يلى الاسم الجامع للنعوت والاسماء ويستحيل وجود حقائق شئ من الاسماء من غير الحى وحقيقة الحى هو الذى يكون حياته لذاته وليس ذلك لاحد من الخلق انما ذلك خاص بالله تعالى وقد رأيت للشيخ كلاما فى كتابه المسمى بعنقاء مغرب يتعلق بحضرات الاسماء ولسان حالها فلا بأس بذكره لك يا أخى فربما كان لم يطرق سمعك قط وهو قوله اعلم ان القدرة الالهية لم تتعلق بايجاد شئ الا بعد وجود ارادة كما انه تعالى لم يرد شيأ حتى علمه اذ يستحيل فى العقل أن يريد تعالى مالم يعلم أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل مالا يريده تعالى كما يستحيل أن توجد هذه الحقائق من غير حى كما يستحيل أن تقوم هذه الصفات بغير ذات موصوفة بها قال ويلى الاسم الحى فى الظهور الاسم البارى وكأن لسان حال الاسماء الالهية حين اجتمعت بحضرة المسمى حين لا زمان قالت لبعضها بعضا ليت شعرنا ظهور أحكامنا لتتميز حضرات أعياننا باسمائنا وآثارنا فقال بعضهم لبعض انظروا فى ذواتكم فنظر كل اسم فى ذاته فلم ير الاسم الخالق مخلوقا ولا المدبر مدبرا ولا المفصل مفصلا ولا المصور مصورا ولا الرازق مرزوقا ولا القادر مقدورا ولا المريد مرادا ولا العالم معلوما * فقالوا كيف العمل حتى تظهر هذه الاعيان التى بها يظهر سلطاننا وأحكامنا فلجأت الاسماء الالهية التى يطلبها حقائق العالم الى الاسم البارى جل وعلا فقالوا له عسى توجد هذه الاعيان فتظهر أحكامنا ويثبت سلطاننا اذ الحضرة التى نحن فيها لا تقبل تأثيرنا فقال البارى ذلك راجع الى الاسم القادر فانى تحت حيطته قال وكان أصل هذا كله ان الممكنات فى حال عدمها سألت الاسماء الالهية سؤال ذلة وافتقار وقالت للاسماء ان العدم قد أعمانا عن ادراك بعضنا بعضا وعن معرفة ما يجب لكم من الحق علينا فلو انكم أظهرتم أعياننا وكسوتمونا حلة الوجود لانعمتم علينا بذلك وقمنا بما ينبغى لكم من الاجلال والتعظيم وأنتم أيضا كان يظهر علينا سلطنتكم بالفعل فانكم اليوم علينا سلاطين بالقوة والصلاحية دون الفعل فما طلبناه منكم هو لنا ولكم فقالت الاسماء ان هذا الامر تحت حيطة المريد فلا توجد عين منكم الا باختصاصه ولا يمكننا الممكن من نفسه الا ان يأتيه الامر من ربه عز وجل فاذا أمره بالتكوين وقال كن

الاجر فى فعل ذلك كما جعل له ذلك فى فعل السنن المشروعة فى الصلاة وغيرها قال وقال بعضهم انما سمى العيدان بذلك لعودهما فى كل سنة ولو صح ذلك لكانت الصلوات الخمس يسمى يومها عيدا لعودها فيه كل يوم فان قال قائل ذلك بالزينة فى العيدين قلنا والزينة مشروعة فى كل صلاة وأيضا فلما عاد الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا سمى عيدا * وقال انما لم يشرع فى العيدين الاذان والاقامة لتوفر دواعى الناس على الخروج فى هذين اليومين الى مصلى العيد مع ما شرع من الذكر المستحب للخارجين والاذان والاقامة انما شرعا للاعلام ليتنبه الغافلون والتهيئ هنا حاصل * وقال فى صلاة الجنازة انما شرعت الصلاة على الميت شفاعة فيه ولهذا شرع تلقين المحتضر ليكون الشافع على علم بتوحيد من يشفع فيه (قلت) وسيأتى ان شاء الله تعالى فى الباب السادس والسبعين ومائة الكلام على أحوال المحتضرين وان منهم من ينطق باسم موسى أو عيسى فيظن انه تهود أو تنصر والحال انه ما نطق باسم ذلك النبى الا فرحا بقدومه عليه لكونه وارثا له فراجعه والله أعلم * وقال انما لم نؤمر بغسل الشهيد فى معركة الكفار لانه حى يرزق بنص القرآن ونحن انما أمرنا بغسل الميت والشهيد حى

مكنا من نفسه وتعلقنا بايجاده فكوناه من حينه * فلجؤا الى الاسم المريد عسى أن يرجح أو يخصص جانب الوجود على جانب العدم فحينئذ اجتمع أنا والآمر والمتكلم ونوجدكم فلجؤا الى الاسم المريد فقالوا له انا سألنا الاسم القادر في ايجاد أعياننا فأوقف أمر ذلك عليك فما ترسم فقال المريد صدق القادر ولكن ما عندي خبر بما عند الاسم العالم من الحكم فيكم هل سبق علمه بايجادكم فأخصص أولم يسبق فاني تحت حيطته فسيروا اليه واذكروا قصتكم فساروا الى الاسم العالم وذكروا ما قاله الاسم المريد فقال العالم صدق المريد وقد سبق علمي بايجادكم ولكن الادب أولى فان لنا حضرة مهيمنة علينا وهي حضرة الاسم الله فلابد من حضورنا عنده فانه حضرة الجمع فاجتمعت الاسماء كلها في حضرة الاسم الله فقال ما بالكم وهو أعلم فذكروا له الخبر فقال أنا اسم جامع لحقائقكم وأنا دليل على مسمى ذات مقدس له نعوت الكمال والتنزيه فقفوا حتى أدخل حضرة مدلولي فدخل على مدلوله وذكر له ما قالته الممكنات وما تحاورت فيه الاسماء فقال اخرج وقل لكل واحد من الاسماء يتعلق بما تقتضيه حقيقته في الممكنات فاني أنا الواحد لنفسي من حيث ذاتي والممكنات انما تطلب مرتبتي لا حقيقتي لاني أنا الغني والمرتبة هي التي تطلب الممكنات لتظهر آثارها فيهم وجميع الاسماء الالهية للمرتبة لا الى الا الاحد خاصة فانه اسم خصصني فخرج الاسم الله ومعه الاسم المتكلم يترجم عنه للممكنات والاسماء فذكر لهم ما ذكره المسمى فتعلق العالم والقادر والمريد والقائل فظهر الممكن الاول من الممكنات بتخصيص المريد وحكم العالم فلما ظهرت الاعيان والآثار في الاكوان وتسلط بعضها على بعض وقهر بعضها بعضا بحسب ما استندت اليه من الاسماء فادى ذلك الى منازعة وخصام فقالوا انا نخاف أن يفسد علينا نظام حضراتنا ونلحق بالعدم الذي هو عدم ظهورنا كما كنا قبل * تنبهت الممكنات الاسماء بما ألقى اليها الاسم العليم والمدبر وقالوا لو كان حكمكم أيها الاسماء على ميزان معلوم وحد مرسوم وبامام ترجعون اليه ليحفظ علينا وجودنا ونحفظ عليكم تأثيراتكم فينا لكان أصلح لنا ولكم فالجؤا الى الله حتى يقدم لكم من يحد لكم حدا تقفون عنده والا هلكتم وتعطلتم فقالوا هذا عين المصلحة وعين الرأي ففعلوا ذلك فقالوا ان الاسم المدبر هو الذي ينهي أمركم فانتهوا الى المدبر الامر فقال أنا لها فدخل وخرج بأمر الحق الى الاسم الرب وقال له افعل ما تقتضيه المصلحة فاتخذ وزيرين يعينانه على ما أمر به وهما المدبر والمفصل قال تعالى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون الذي هو الامام يعني الرب فانظر ما أحكم كلام الله حيث جاء بلفظ مطابق للحال الذي ينبغي أن يكون الامر عليه في نفسه فحد الاسم الرب لهم الحدود ووضع لهم المراسم لاصلاح المملكة ولنبلوهم أيهم أحسن عملا فسبحان الله رب العالمين انتهى كلامه في عنقاء مغرب وهو كلام ما طرق سمعنا قط مثله في ذلك المعنى (فان قلت) هل من الاسماء ما يكون مهيمنا على بعضها (فالجواب) نعم كما تقدم في كلام عنقاء مغرب فنقول مثلا لا يكون مريدا الا عالما ولا عالم الا حيا فصار كونه حيا مهيمنا على كونه عالما ومريدا وهكذا كل اسم يتوقف وجود أثره على وجود اسم آخر انتهى (فان قلت) فهل الاسماء الالهية تتراص بين يدي مسماها كما تتراص الملائكة بين يدي ربها (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة (فان قيل) فما أول صفوف الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين أولها الحي والى جانبه العليم ليس بينهما فراغ لاسم آخر والى جانبه العالم المريد والى جانبه القائل والى جانبه القادر والى جانبه الحكيم والى جانبه المقيت والى جانبه المقسط والى جانبه المدبر والى جانبه المفصل والى جانبه الرازق والى جانبه المحيي فهكذا صفوف الاسماء كما رأينا ذلك من طريق كشفنا (فان قيل) فهل يكون التخلق بالاسماء الالهية على حكم ترتيب صفوفها أم لا (فالجواب) نعم لا يصح التخلق باسم منها الا على ترتيب تراصها ومتى تخللها فراغ في الكون دخلت الشياطين كما تدخل بين خلل صفوف الصلاة كما ورد فربما يلتبس على الولي التخلق بما لا يوافق الاوامر الشرعية مما هو من خصائص الحق تعالى كالكبرياء والعظمة في غير محله المشروع (فان قيل) فهل بين حضرات الاسماء

الالهية

تعالى في الشهداء عند ربهم يرزقون تنبيها على ان الشهيد حاضر عند الله والميت انما يغسل ويطهر ليحضر عند ربه طاهرا او يلقاه في البرزخ على طهارة والشهيد حاضر عند ربه بمجرد الشهادة فلا يحتاج الى غسل فافهم وسيأتي في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة مزيد على ذلك * وقال لا يكون الرجل كاملا في العلم حتى يجمع بين علم الظاهر والباطن قال تعالى في معرض الذم لقوم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (وقال) رضي الله عنه انما شرعت الفاتحة في صلاة الجنازة لان الميت في حال جمعه بلقاء ربه فناسب قراءة الفاتحة لانها قرآن أي جمع وأيضا فلما فيها من الثناء على الله وذكر الثناء بين يدي الشفاعة أمكن لقبول الشفاعة ولذلك ورد انه صلى الله عليه وسلم لما يريد الشفاعة يوم القيامة يتقدم بين يدي الله ويثني على الله تعالى بمحامد يعلمه الله تعالى اياها لا يعلمها الآن ثم يشفع والله أعلم * وقال ما شرع الحق سبحانه وتعالى لنا الصلاة على الميت الا وهو يريد أن يقبل شفاعتنا فيه فان أذن من الله لنا في الشفاعة فيه وهو تعالى لا يأذن لنا في السؤال وفي علمه انه لا يقبل سؤالنا قال تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له

الالهية بون معقول أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الفتوحات ليس بين حضرات الاسماء الالهية بون معقول حقيقة لارتباط الاسماء كلها باسماء اولكون كل اسم فيه قوة جميع الاسماء فاسير خطاب الحق تعالى لنا بالياء المشعر بالبعد مع انه تعالى أقرب الينا من حبل الوريد ولكن لما كان لكل اسم حضرة تخصه ووقت يتحكم فى أعيان العالم ويظهر سلطانه فيه ظهر للعبد القرب من تلك الحضرات تارة والبعد منها تارة أخرى فكان كل اسم يقول بلسان حاله للعبد هلم الى حضرتى فاذا كان العبد تحت سلطان حكم الهى يعطى حكمه للعبد موافقة ما أمر به العبد أونهى عنه فان الاسم الالهى الذى يعطى حكمه للعبد موافقة ما أمر به أونهى عنه بعيد عن هذا المخالف فى حضرة الشهود فيناديه ليرجع الى حضرته ويصغى لندائه فيكون تحت حكمه فهو لعدم الموافقة فيما أمر به ذلك الاسم بعيد ولا يخرج عبد قط عن هذا الميزان الا ان عصم أوحفظ (فان قلت) فاذن العبد أسير تحت سلطان الاسماء على الدوام (فالجواب) نعم هو أسير تحت سلطانها فلا ينقضى حكم اسم الا ويتولاه حكم اسم آخر فلا تزال الاسماء تتجاذبه ليلا ونهارا ومحال أن يترك المكلف لحظة واحدة لنفسه فاسم الرحمن يطالب مرحوما على الدوام واسم المنتقم يطالب منتقما منه على الدوام وهكذا فلا يخلو عبد من أن يكون فى عمل لاحد الدارين بحكم القبضتين وما خرج عن هذا الحكم الا المعصوم أو المحفوظ كما مر والله تعالى أعلم اه ما فتح الله تعالى به من الكلام على اسمه تعالى الحى وتوابعه (وأما الاسم العالم) فقال الجلال المحلى محقق الزمان العالم هو الذى علمه شامل لكل ما من شأنه ان يعلم والا فتعلقات علمه تعالى غير متناهية قال تعالى أحاط بكل شئ علما وقال وأحصى كل شئ عددا وقال يعلم السر وأخفى وقال يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور وقال ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير فهو تعالى عالم بكل ممكن وممتنع لنا من كليات وجزئيات أما الكليات فعلى الاطلاق وأما الجزئيات فباجماع من أهل النظر واتفاق (فان قلت) كيف أجريت خلافا فى كونه تعالى عالما بالجزئيات مع صحة ايمانك (فالجواب) انى أجريت تبعا لغيرى فى الاشارة للخلاف فى تعلق العلم بالجزئيات والا فانا اعتقد جزما ان الله تعالى عالم بكل شئ ولا يعزب عن علمه شئ وقد سألت عن ذلك اليهود والنصارى والمجوس والسامرة بأرض مصر فكلهم قالوا لا يعزب عن علم ربنا شئ فما أدرى أين هؤلاء الذين قالوا ان الله تعالى لا يعلم الجزئيات حتى حكى عنهم الائمة ذلك ولعل من حكى ذلك عنهم أخذه من لازم مذهبهم ولازم المذهب ليس هو بمذهب على الراجح ويؤيد ما قلناه من أن الظاهر ان الائمة أخذوا ذلك من لازم مذهب قول الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع والخمسين من الفتوحات اعلم انه لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن فى كمال علم الله عز وجل حتى ان الذين نقل عنهم انهم قالوا لا يتعلق علمه تعالى بالجزئيات بل علمه بها مندرج فى علمه بالكليات لا يحتاج ذلك الى تفصيل فى طريق علمه بها كما هو شأن خلقه فلم يرد القائلون بمنع تعلق علمه تعالى بالجزئيات نفى العلم عنه تعالى بها مطلقا وانما قصدوا بذلك ان الحق تعالى لا يتجدد له علم نفسى بها عند التفصيل فقصدوا التنزيه فاخطؤا فى التعبير من حيث ان عباراتهم أوهمت ما أضيف اليهم من المذهب والا فهم مثبتون العلم لله تعالى انتهى (قلت) ولعل من حكم بتكفير من قال ان الحق غير عالم بالجزئيات ظن انهم كانوا مسلمين فكفرهم بهذا القول والحق انهم كانوا كافرين قبل ذلك بامور أخر كما حكاه الشيخ عنهم وقد قال فى باب الاسرار من الفتوحات ليس من وصف الكمال ان يكون فى علم الحق تعالى اجمال مع ان الاجمال فى المعانى محال وانما محل الاجمال الالفاظ والاقوال انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ونحوهما من الآيات فان ظاهر ذلك يقتضى ان الحق تعالى يستفيد علما بوجود المحدثات (فالجواب) ان هذه مسئلة اضطرب فى فهمها فحول العلماء ولا يزيل اشكالها الا الكشف الصحيح وقد قال الشيخ فى الباب الرابع عشر وخمسمائة من الفتوحات اعلم انه ليس وراء الله مرمى وما وراءك أيضا مرمى لانك معلوم علمه تعالى وبك كمل الوجود فهو حسبك كما انك حسبه ولهذا كنت آخر موجود وأول مقصود ولولا عدلك ما كنت مقصودا فصح حدوثك

وقد أذن لنا أن نشفع فى هذا الميت بالصلاة عليه فكل مؤمن يتحقق الاجابة بلا شك قال وأما السلام بعد التكبيرة الرابعة فهو سلام انصراف عن الميت أى لقيت من ربك السلامة فعلم أنه متى ذكر هذا المسلم الميت بسوء فقد كذب يقينه فى قوله السلام عليكم فانه لم يسلم منه لذكره بسوء بعد موته فافهم وحرره ان كان فيه شئ والله يتولى هداك (وقال) فى قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى فى هذه الآية تشريف عظيم للملائكة لجمعهم مع الله فى ضمير واحد فى قوله يصلون وانما نصب الملائكة بالعطف ليتحقق ان الضمير جامع للمذكور قبله ابتأمل * وقال ينبغى للمصلى على الميت اذا شفع فيه بالدعاء عند الله أن لا يخص ذنبا بعينه بل يعم كل ذنب ويعترف عن الميت بجميع السيئات لتعم الميت الرحمة وان لم يعمم المصلى فالميت تحت المشيئة فان شاء الحق عمه بالتجاوز والمغفرة وان شاء عامل الميت بحسب ما وقعت فيه الشفاعة من الشافع قال ولهذا ينبغى للمصلى على الميت أن يسأل الله تعالى له التخليص من العذاب لا فى دخول الجنة فقط لانه ما ثم دار ثالثة انما هى جنة أو نار واذا سأل فى دخول الجنة قبل سؤاله ولكن ربما يرى فى الطريق ما يهوله فلهذا كان اشتغال المصلى فى شفاعته

ولولا ما كان علمك به معدوما ما صح ان تزيد العلم به وهذا من أعجب ما في الوجود واشكاله على العقول كيف يكون من أعطاك العلم بنفسه لا يعلم نفسه الا بك فان الممكنات أعطت الحق تعالى العلم بنفسها ولا يعلم شئ منها نفسه الا بالحق تعالى فلهذا قلنا ان الوجود حسبك كما انك حسبه لانه الغاية التي اليها ينتهي وما ثم بعده الا أنت ومثلك عاملك وما بقي بعدك الا المحال وهو العدم المحض انتهى وهذا الموضع مما في الفتوحات أشكل منه وقد نقلته بحروفه ليوضحه علماء الاسلام والله تعالى أعلم * وقال في الباب الثاني والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى الخبير اعلم يا أخي ان الخبير هو الذي حصل العلم بعد الابتلاء وهذا ما يقتضيه ظاهر اللفظ من قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وجل الله تعالى عن هذا الاقتضاء بل هو تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه ولكنه تعالى نزل نفسه منزلة من يستفيد علما كما نزل لعقولنا في آية الاستواء وفي النزول الى السماء الدنيا ونحو ذلك مع ان ذلك ينافي صفات التنزيه انتهى وقال الشيخ أيضا في باب الاسرار في قوله ولنبلونكم حتى نعلم اعلم ان من علم الشئ قبل كونه فما علمه من حيث كونه وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم هذه مسئلة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول * وقال في معنى هذه الآية في موضع آخر من هذا الباب * اعلم ان للعالم ان يتجاهل وعن الجاهل يتغافل مع انه ليس بغافل لينظر هل يؤمن عبده بما أضافه الى نفسه أم يتوقف * وقال في موضع آخر من استفهمك فقد أقر لك بأنك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من في قلبه ريب فيه ممتاز من يعلم به عند نفسه ممن لا يعلمه نظيره يا أيها الذين آمنوا آمنوا فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن وقال في موضع آخر من باب الاسرار من أعجب ما في البلاء من الفتن قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم واذا سئلت فقل لا أعلم فاعلم أن الفتنة اختبار في البصائر والابصار * وقال في موضع آخر منه لما أخبر الله تعالى ان العلم انتقل اليه من الكون بقوله حتى نعلم سكت العارف على ذلك وما تكلم وتأول علماء النظار هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وسر به العالم بالله تعالى ولكنه تكتم فقال مثل قول الظاهري الله أعلم فالولي الكامل علم والمحدث سلم فالحمد لله يا أخي الذي علمك ما لم تكن تعلم وأطال في ذلك ثم قال فقد علمت ان العلم المستفاد للعليم يعم في وجوب الايمان به الحادث والقديم وان عاندت في ذلك فتأمل في قوله حتى نعلم وبما حكم الحق تعالى به على نفسه فاحكم بذلك ايمانا ولا تنفرد فقط بعقلك دون نقلك فان التقييد في التقليد وعلم الحق لنا قد يكون معلوما وأما علمه تعالى بنفسه فلا يعلمه أحد لعلو قدسه وهو قول عيسى عليه الصلاة السلام ولا أعلم ما في نفسك فاني لست من جنسك اه كلام الشيخ في باب الاسرار فتأمله * وقال في الباب الرابع وأربعمائة اعلم أن من أشكل العلوم اضافة العلم الى المعلومات والقدرة الى المقدورات والارادة الى المرادات وذلك لانه يوهم حدوث التعلق أعني تعلق كل صفة بمتعلقها من حيث العالم والقادر والمريد فان المعلومات والمقدورات والمرادات لا افتتاح لها في العلم اذ هي معلومة له تعالى فهو محيط علما بأنها لا تتناهى قال ولما كان الامر على ما أشرنا اليه وعثر على ذلك من عثر من المتكلمين كابن الخطيب قال بالاسترسال المعبر عنه عند قوم بحدوث التعلق وقال تعالى في هذا المقام حتى نعلم وأنكر بعض القدماء تعلق العلم الالهي بالتفصيل لعدم التناهي في ذلك ولكون ذلك غير داخل في الوجود المحصور واضطربت عقول العلماء في هذه الآية لاضطراب افكارها قال الشيخ وأما نحن فقد رفع الكشف عنا الاشكال في هذه المسئلة فألقى تعالى في قلوبنا أن العلم نسبة بين العالم والمعلومات وما ثم واجب الوجود غير ذات الحق تعالى وهي عين وجوده وليس لوجوده افتتاح ولا انتهاء فيكون له طرف لان نفي البدء والنهاية من جملة درجاته الرفيعة التي ارتفع بها عن خلقه قال تعالى رفيع الدرجات ومعلوم أن المعلومات هي متعلق وجوده تعالى فتعلق ما لا يتناهى وجودا بما لا يتناهى معلوما ومقدورا ومرادا فتفطن يا أخي لذلك فانه أمر ما أظنه طرق سمعك قط فان الحق تعالى لا يتصف بالدخول

بأن ينجي الله ذلك الميت من كل ما يحول بينه وبين استصحاب العافية له أولى للميت وانفع وفي الحديث وعافه واعف عنه قال وعلم مما قدمناه أن الشفاعة مقبولة في كل مسلم وان كل من ظن بمسلم عدم قبول الشفاعة فيه فما عنده من ذلك خبر لا والله بل ذلك الميت سعيد ولو كانت ذنوبه عدد الحصى والرمل أما المختصة بالله تعالى فمغفورة وأما مظالم العباد فان الله يصلح بين عباده يوم القيامة فعلى كل حال لا بد من الخير ولو بعد حين قبل دخول الجنة فاعلم ذلك * وقال رفع الايدي في التكبيرات مؤذن بالافتقار في كل حال كأن الشافع يقول ما بأيدينا شئ من أحوالنا والامر كله لك يا ربنا قال وانما استقر الامر في الجنازة على أربع تكبيرات اعتبارا بأن اكثر عدد ركعات الفرائض أربع ومعلوم أنه لا ركوع في صلاة الجنازة بل هي كلها قيام وكل قيام للقراءة فيها له تكبيرة وأطال في ذلك * وقال الذي أقول به انه لا ترجيح في مكان وقوف الامام على الجنازة من رأسه أو وسطه أو رجليه ذكرا كان أو أنثى وذلك لان مقصود المصلي انما هو سؤال الله تعالى والحديث معه في الشفاعة في حق هذا الميت واحضار الميت بين يديه فلا يبالي أين يقوم منه الا أن يرد عن الشارع فيه شئ فيتبع قال وأيضا فان التردد

في الوجود المحصور فيتناهى اذ كل ما دخل في الوجود متناه والبارى تعالى هو الوجود الحقيقى فما هو داخل
في هذا الوجود لان وجوده عين ماهيته بخلاف ما سواه فان منه ما دخل في الوجود فتناهى بدخوله فيه ومنه
ما لم يدخل في الوجود فلا يتصف بالتناهى وعلى هذا تأخذ المقدورات والمرادات والله تعالى أعلم (فان قلت)
فهل اطلع أحد من الاولياء على سبب بدء العالم الذى هو تأثير الاسماء في الممكنات كما مر من أن الخالق
يطالب بمخلوق والرازق يطالب بمرزوق وهكذا (فالجواب) ان هذا من علم سر القدر وعلم القدر اناه وخاص بأفراد
من كمل الورثة المحمديين * قال الشيخ محيى الدين في الباب الرابع من الفتوحات اعلم أن أكثر العلماء بالله
تعالى ليس عندهم علم بسبب بدء العالم الا تعلق العلم القديم أزلا بايجاده فكوّنه تعالى ما علم أنه سيكون وهنا
انتهى علمهم وأما نحن فأطلعنا الله تعالى على ما فوق ذلك من طريق الوهب وهو أن الاسماء الالهية
المؤثرة في هذا العالم وهى المفاتح الاول التى لا يعلمها الا هو قال الشيخ ولا أدرى أعطى الله ذلك لاحد من أهل
عصرنا أم خصنا به من بينهم انتهى (فان قلت) فما معنى سبق الكتاب في حديث ان أحدكم ليعمل
بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فانه تعالى ما كتب الا ما علم ولا علم الا
ما شهد من صور المعلومات على ما هى عليه في أنفسها ما يتغير منها وما لا يتغير فهو تعالى يشهدها كلها في
حال عدمها على تنوعات تغيراتها الى ما لا يتناهى فلم يوجدها الا على ما هى عليه في علمه تعالى واذا تعلق علمه
تعالى بالاشياء كلها معدومها وموجودها وواجبها وممكنها ومحالها فما ثم على ما قلناه كتاب يسبق (فالجواب)
كما قاله الشيخ في الباب الحادى عشر وأربعمائة أن معنى سبق الكتاب انما يكون باضافة الكتاب الى
ما يظهر به ذلك الشئ الذى تعلق به العلم الى حضرة الوجود على الهيئة التى كان الحق تعالى يشهده عليها حال
عدمه فهذا سبق بالكتاب على الحقيقة فان الكتاب سبق وجود ذلك الشئ قال الشيخ ولا يطلع على هذا ذوقا
الا من أطلعه الله تعالى من طريق كشفه على التكوينين قبل ظهور تكوينهما كما تقدم في رؤيا الانسان أن
الساعة قد قامت والحق تعالى يحكم فيها فصاحب هذا الكشف هو الذى يشهد الامور قبل تكوينها في
حال عدمها فمن كان له هذا العلم سبق هو الكتاب فهو لا يخاف سبق الكتاب عليه وانما يخاف من حيث
كون نفسه سبقت الكتاب اذ الكتاب ما سبق عليه الا بحسب ما كان هو عليه من الصورة التى ظهر في وجوده
عليها فليسلم العبد نفسه ولا يعترض على الكتاب قال ومن هنا ان علمت وصف الحق تعالى نفسه بأن له الحجة
البالغة لو نوزع فان من المحال أن يتعلق العلم الالهى الا بما هو المعلوم عليه في نفسه فلو أن أحدا احتج على الله
تعالى وقال قد سبق علمك بأن أكون على كذا فلم تؤاخذنى لقال الحق تعالى وهل علمتك الا على ما أنت عليه فلو
كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه ولذلك قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فارجع الى نفسك
وأنصف في كلامك فاذا رجع العبد الى نفسه وفهم ما قررناه علم أنه محجوج وان الحجة لله تعالى عليه بل
يصير هو يقيم لله على نفسه الحجة أدبا معه تعالى ومن هذا يعلم معنى قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون ونحوها من الآيات بمعنى فان علمنا ما تعلق بهم حين علمناهم في القدم الا بما ظهروا به
في الوجود من الاحوال لا تبديل لخلق الله وسيأتى بسط ذلك في المبحث الخامس والعشرين في بيان أن لله
الحجة البالغة (فان قلت) فعلى ما قررتموه فبماذا يتميز الحق تعالى في الرتبة على المخلوق (فالجواب)
أن الحق تعالى يتميز بالرتبة على المخلوق فانه تعالى خالق والعالم مخلوق قال الشيخ محيى الدين بعد ذكره هذا
الجواب وهذا يدلك على أن العلم تابع للمعلوم ما هو المعلوم تابع للعلم قال وهى مسئلة دقيقة ما في علمى ان
أحدا نبه عليها من أهل الله تعالى الا ان كان وما وصل الينا وما من أحد اذا تحققها يمكنه انكارها وفرق بين
كون الشئ موجودا فيتقدم العلم وجوده وبين كونه على هذه الصورة في حال عدمه الازلى له فهو مساو
للعلم الالهى ولا يعقل بينهما بون الا بالرتبة انتهى قال الشيخ ولو لم يكن في كتاب الفتوحات الا هذه المسئلة
لكانت كفاية في شرف الكتاب ويؤيد ما قررناه هنا في هذا الموضع ما ذكره في الباب الثامن وخمسين

في الوقوف بقسم الخاطر عن
المقصود ويفرقه عنه لاسيما
ان كانت الجنازة أنثى فانه
يتوهم أنه اذا وقف وسطها
يسترها بذلك الوقوف عن
خلفه ولا يختار له ذلك حتى
يستحضر في نفسه عورتها فلم
يسترها عن نفسه وذلك يقدح
في حضور المصلى مع الحق فانه
انما يستقبل الحق من المصلى
قلبه والقلب قد تفرق بيقين
باستحضار ما لا ينبغى استحضاره
من عورة المرأة وأطال في ذلك
* وقال الذى أقول جواز
الصلاة على القبر من غير مدة
معينة لان شرط الصلاة انما
هو مواراته عن الابصار
بكفن أو بتراب وأطال في
ذلك ثم قال فان كان المراد
بتلك الصلاة الروح المدبر
لهذا الجسم فالروح قد عرج
به الى بارئه وقد فارق الجسد
فلا مانع من الصلاة عليه وان
كان المراد بتلك الصلاة الجسد
دون الروح فسواء كان فوق
الارض أو تحت الارض فان
الشارع ما فرق فكل واحد
قد رجع الى أصله فالتحق
الروح منه بالارواح والتحق
العنصرى بالعنصر فليتأمل
ويحرر * وقال في حديث
صلوا على من قال لا اله الا الله
فربط الشارع صحة الصلاة
على الميت بالقول لكلمة
التوحيد فمن لا يتصور منه
القول أو لم يسمع منه قولها
كالصبى الرضيع صلينا عليه
فان الرضيع يلحق بأبيه في
الحكم ومن لم يسمع منه يلحق

وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى العليم وهو قوله اعلم أن مسمى العلم ليس سوى تعلق خاص بالعالم وهو نسبة تحدث لهذه الذات من المعلوم اذ العلم متأخر عن المعلوم لكونه تابعاله هذا تحقيقه فحضرة العلم على التحقيق هي المعلومات وهي نسبة لا يصح رفعها في مشهد أحد من الاكابر ولو ارتفعت رتبته فهي متصلة بين العالم والمعلوم وليس للعلم عند المحقق أثر في معلوم أصلا لتأخره عنه عقلا فانك تعلم المحال محالا ولا أثر لك فيه من حيث علمك به ولعلمك فيه أثر والمحال بنفسه أعطاك العلم به أنه محال فمن هنا يعلم أن العلم لا أثر له في المعلوم بخلاف ما يتوهمه أصحاب النظر فقد ظهر لك ان ايجاد أعيان الممكنات صدر عن القول الالهي كشفا وشرعا وصدر عن القدرة الالهية عقلا وشرعا لا عن العلم فيظهر الممكن في عينه فيتعلق به علم الذات العالمة به ظهورا كما تعلقت به معدوما اه (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وهو بكل شئ عليم هل عليم بمعنى عالم أو بمعنى معلوم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والستين وثلثمائة ان بنية فعيل ترد بمعنى الفاعل و بمعنى المفعول كقتيل وجريح وأما قوله تعالى هنا عليم فهو بمعنى عالم أو بمعنى معلوم معا فان الباء في قوله بكل شئ بمعنى في فهو تعالى في كل شئ معلوم و بكل شئ محيطا أي له في كل شئ احاطة بما هو ذلك المعلوم عليه وليس ذلك الا لله وان أعلمه الله قال والاصل في ذلك كله ان الظرفية هل هي أصلية في الكون ثم حملناها على الحق تعالى حملا شرعيا أو هي في حق الحق بحسب ما ينبغي لجلاله وظهرت في العالم بالفعل كما في قوله في الحديث للجارية أين الله اه فتأمل في هذا المحل وحرره والله يتولى هداك

(خاتمة) ذكر سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى أحاط بكل شئ علما ما نصه كل ما كان من صفاتك فهو في الاصل علمه تعالى فوهمك علمه وحسبانك علمه وتخيلك علمه وفكرك علمه وتعقلك علمه وقولك علمه واختيارك علمه وعلى هذا فقس فانه تعالى ان لم يكن كل ما هو شئ معلومه لم تتم له تعالى هذه الاحاطة العلمية والله تعالى أعلم (وأما الكلام على الاسم القادر) فقال المتكلمون القادر هو من كانت قدرته شاملة لكل ما من شأنه أن يقدر عليه من الممكن خاصة بخلاف الممتنع والاغياء بروابقولهم لكل ما من شأنه أن يقدر عليه لينبهوا على أن متعلقات قدرته لا تتناهى وان كان كل ما تعلقت به بالفعل متناهيا فتعلقاتها بالقوة غير متناهية و بالفعل متناهية (فان قلت) فهل يقال ان الحق تعالى يتصف بالقدرة على نفسه أو الارادة لوجوده (فالجواب) ذلك ممتنع والسؤال مهمل لانه واجب الوجود لذاته والارادة متعلقها العدم لتوجده وتعالى الله عن ذلك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير فانه تعالى أثبت الشئ الذي هو قدير عليه فما بقي لقدرته متعلق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الموفي تسعين من الفتوحات المراد بالشئ الذي هو قدير عليه ما تعلق به علمه القديم فتتعلق به القدرة فتوجده في عالم الحس فهو قدير على كل شئ تعلقت به ارادته مما تضمنه علمه القديم وايضاح ذلك ان كل من علم استحالات الاعيان في الاعيان وتقلب الخلق في الاطوار علم ان الله على كل شئ قدير لا على ما ليس بشئ في علمه فان لا شئ لا يقبل الشيئية اذ لو قبلها ما كانت حقيقته لا شئ ولا يخرج معلوم عن حقيقته أبدا فلا شئ محكوم عليه بأنه لا شئ بعده أبدا وما هو شئ محكوم عليه بانه شئ أبدا انتهى (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على صورة تعلق القدرة بالمقدور حالة الايجاد أو هو من سر القدر الذي لا يطلع عليه الا الله (فالجواب) كما قاله الشيخ في شرحه لترجمان الاشواق ان ذلك من سر القدر وسر القدر لا يطلع عليه الا الافراد قال وقد أطلعنا الله تعالى عليه ولكن لا يسعنا الافصاح عنه لغاية منازعة المحجوبين فيه قال تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء فادخله تحت المشيئة وذلك انا بحكم الوراثة المحمدية فان الله تعالى قد طوى علم سر القدر عن سائر الخلق ما عدا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ورثه فيه كأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم سأله يوما أتدري يوم لا يوم فقال أبو بكر رضي الله عنه نعم ذلك يوم المقادير أو كما قال كما تكلمنا عليه في عدة أماكن من مؤلفاتنا انتهى (فان قلت) فهل يقال ان قدرة الحق تعالى تتعلق

باعداد

بالدار والدار دار الاسلام وأطال في ذلك * وقال الذي أقول به وجوب الصلاة على من قتل نفسه خلافا لبعضهم في استناده الى خبران الذي قتل نفسه خالد مخلد في النار يعني خلودا تأبيدا ونحن نقول لم يرد لنا نص في النهي عن الصلاة على من قتل نفسه فيحمل الخبر على من قتل نفسه ولم يصل عليه ولاسيما والاخبار الصحاح والاصول تقضي بخروج قاتل نفسه والخبر الوارد في خلوده في النار خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار فانه لم يقل في الحديث من المؤمنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق الاحتمال رجعنا الى الاصول فرأينا أن الايمان قوي السلطان لا يتمكن معه الخلود في النار على التأبيد الى غير نهاية والادلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة ويضم بعضها الى بعض ليقوي بعضها بعضا وأما حديث بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة أي قبل رؤيتي لاسيما من قتل نفسه شوقا الى ربه فان القاتل نفسه لولا طلب الراحة عند ربه ما قتل نفسه ولا بادر الى ذلك والله يقول أنا عند ظن عبدي بي قال وهذا هو الاليق أن يحمل عليه لفظ هذا الخبر الالهي اذ لا نص صريح يخالف هذا التأويل وان ظهر فيه بعد قليل عند النظر في تناره من الاصول المقررة التي تناقض

بإيجاد المحال كتجسد المعانى وإيجاد شخص فى مكانين أو أمكنة فى آن واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثمانين ومائتين أن قدرة الله تعالى صالحة لإيجاد المحالات العقلية وأطال فى ذلك * وقال فى كتابه اللوامع فى قول الإمام حجة الإسلام ليس فى الإمكان أبدع مما كان قد شنع الناس على الإمام بسبب هذه المقالة ومعناها فى غاية الوضوح وذلك أنه ما ثم لنا الأمر تبيان قدم وحدوث فالحق تعالى له رتبة القدم والمخلوق له رتبة الحدوث فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث ولا يصح أن يخلق الحق تعالى قديما أبدا اهـ * وقال فى الباب الثامن من الفتوحات فى شأن المدائن التى خلقها الله تعالى من بقية خميرة طينة آدم عليه الصلاة والسلام قد دخلت هذه الأرض وشاهدت فيها المحالات العقلية وكل ما أحاله العقل بدليله وجدته ممكنا فى هذه الأرض قد وقع فعلمت بذلك قصور العقل وأن الله تعالى قادر على الجمع بين الضدين ووجود جسم فى مكانين وقيام العرض بنفسه وانتقاله وقيام المعنى بالمعنى قال وكل آية أو حديث ورد عندنا وصرفه العقل عن ظاهره وجدناه على ظاهره فى هذه الأرض وأطال فى ذلك فليتأمل والله تعالى أعلم

(وأما الكلام على الاسم المريد تعالى) فاعلم أن المريد هو الذى تتوجه إرادته على المعدوم فتوجده فما علم تعالى أنه يوجده أراده فأوجده وما علم أنه لا يوجده فلا يريد وجوده فالإرادة تابعة للعلم فعلم أن القدر خيره وشره كائن بإرادته وهو إيجاد الأشياء على قدر مخصوص وتقدير معين فى ذوات الأشياء وأحوالها وغير ذلك هذه عبارة مصنفى العقائد من الأشاعرة * وعبارة الشيخ محيى الدين فى الباب الثلاثين وثلثمائة اعلم أن القضاء سابق على القدر حتى فى اللفظ فيقولون القضاء والقدر والقضاء هو إرادته تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هى عليه فيما لا يزال وأما القدر فهو تعيين الوقت الواقع فيه المقدرات على العباد من الحق تعالى فالقضاء حاكم القدر فهو يحكم فى القدر ولا عكس والمقدر هو الموقت والقدر هو التوقيت انتهى * وقال فى الباب الثالث عشر وأربعمائة فإن قيل فهل يجب الرضا بالمقضى كالقضاء فالجواب الذى عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضى (وإيضاح ذلك) أن الله تعالى لما أمرنا بالرضا بالقضاء مطلقا علمنا أنه يريد الإجمال فإنه إذا فصله انقسم إلى ما يجوز لنا الرضا به وإلى ما لا يجوز وأما القدر فهو توقيت الحكم فكل شئ بقضاء وقدر أى بحكم موقت فمن حيث التوقيت المطلق يجب الإيمان بالقدر خيره وشره ومن حيث التعيين يجب الإيمان به لا الرضا ببعضه وصورة الإيمان بالشر أن يؤمن العبد بأنه شر كما يؤمن بالخير أنه خير لكن لا يضاف إلى الله تعالى أدبا كما أشار إليه خبر والشر ليس إليك انتهى فعلم أنه تعالى فعال لما يريد فهو المريد للكائنات فى عالم الأرض والسموات كما مر بسطه فالكفر والإيمان والطاعة والعصيان من مشيئته وحكمه وإرادته فلا مريد فى الوجود على الحقيقة سواه إذ هو القائل وما تشاؤن إلا أن يشاء الله (فإن قلت) فهل يطلق على الإرادة مشيئة وعكسه أو بينهما خصوص وعموم (فالجواب) الذى عليه الجمهور أنه يطلق على الإرادة مشيئة وعكسه وقال بعضهم الإرادة أخص من المشيئة والمشيئة أعم لأن المشيئة تتعلق بالإيجاد والإعدام والإرادة لا تتعلق إلا بإيجاد الممكنات فمتعلقها العدم الإضافى فتتوجه عليه فتوجده فالمشيئة لها الإطلاق لأنها توجد وتعدم قال تعالى إنما أمره أى مشيئته إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وقال تعالى إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد فهى أعم من الإرادة من هذا الوجه انتهى والحق الأول لأن من خصائص صفات الحق تعالى أن كل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق لا تتعدى صفة منها ما قيدها الحق تعالى به هذا ما عليه أهل الكشف وخالف فى ذلك بعض المتكلمين فقالوا صفات الحق تعالى لا تتعدى مراتبها فلا يسمع تعالى بما به يبصر وقس على ذلك (فإن قيل) فهل فرق بين الرضا والمحبة أو هما بمعنى (فالجواب) أنهما بمعنى وموضوعهما من الله تعالى أنهما لا يكونان إلا فى فعل محمود شرعا فهما غير المشيئة والإرادة لأنه قد يكون المشاء والمراد بهما محمودا كالطاعة والإيمان وقد يكون مذموما كالكفر والعصيان فلا يرضى لعباده الكفر مع وقوعه من بعضهم بمشيئة الله ولو شاء ربك ما فعلوه وقالت المعتزلة الرضا والمحبة نفس المشيئة

هذا التأويل فإن فى الصحيح أخرجوا من النار من كان فى قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فلم يبق الأما ذكرناه اهـ فليتأمل ويحرر * وقال وجه من منع الصلاة على شهيد المعركة كونه جاء بنص القرآن كحياة زيد وعمرو ومن كان بهذه المثابة فلا يصلى عليه ووجه من قال يصلى عليه مع اعتقاده إيمانا أنه حى كونه انقطع عمله فهو وإن كان حيا قد انقطع عن العمل فيدعى له فيزاد فى درجاته ويصير ذلك كأنه من عمله * وقال الذى أقول به فى الأطفال المسبيين من أهل الحرب إذا ماتوا ولم يحصل منهم تمييز ولا عقل أنه يصلى عليهم فإنهم على فطرة الإسلام كما فى حديث كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه قال وما قلنا أولى ممن قال لا يصلى عليهم لأن الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزل من السماء غدوة وعشية وهو أضعف من الرش والوبل والسكب فلما كان بهذا الضعف كان مرحوما والصلاة رحمة فالطفل يصلى عليه إذا مات بكل وجه اهـ فليتأمل ويحرر * وقال الوالى أولى من الولى فى الصلاة على الجنازة لأن النبى صلى الله عليه وسلم صلى على الجنائز ولم ينقل عنه قط أنه اعتبر الولى ولا سأل عنه وقدم الحسين بن على سعيد بن العاص وهو والى المدينة فى الصلاة على

والارادة لان صفات الحق تعالى كلها كاملة فكل صفة تفعل فعل أخواتها بخلاف صفات الخلق انتهى وهذا الذى قاله المعتزلة صحيح ان حملنا مرادهم على الكلام من حيث الكمال الالهى وأما ان حملناه على الكلام من حيث الاوامر والنواهى فليس بصحيح لان به تصير المأمورات فى رتبة المنهيات وذلك خروج عن الشريعة (فان قلت) فما الفرق بين الارادة والشهوة المتعلقتين بالخلق (فالجواب) الفرق بينهما ان الارادة صفة الهية فى الاصل ومتعلقها كل مراد للنفس أو العقل ولو غير محبوب للشارع وأما الشهوة فهى صفة طبيعية خاصة بما فيه لذة للنفس قاله الشيخ فى الباب التاسع ومائة (فان قلت) فهل الارادة صفة للذات على مذهب الجمهور وغيرهم أم هى على مذهب بعضهم (فالجواب) قد خالف فى ذلك بعضهم فقال ليست الارادة صفة للذات على مذهب نفاة الزائد ولا صفة على مذهب من يقول انها زائدة وبه قال الشيخ محيى الدين فى الفتوحات فى الباب الثامن وخمسين وخمسمائة فقال الصحيح عندى ان الارادة تعلق خاص للذات أثبته الممكن لامكانه فى القبول لاحد الامرين على البدل فانه لولا معقولية هذين الامرين ومعقولية القبول من الممكن ما ثبت للارادة ولا للاختيار حكم ولا ظهر لذلك اسم انتهى (فان قلت) فاذا كان الشر والمعاصى من الله فكيف تبرأ سبحانه وتعالى منها بقوله ان الله لا يأمر بالفحشاء (فالجواب) ان الادب أن يقال فى الشر قضاه وقدره ولا يقال أمر به وان كانت الارادة أقوى فى النفوذ من حيث انه لا يمكن لاحد عصيانها بخلاف الامر فانه يعصى بارادة الله تعالى وأيضا فان الامر موضوع تسميته أمرا للطرف الراجح فى الخير ففيه الحث على الفعل ولا هكذا الارادة ولو قيل ان الله تعالى يأمر بالفحشاء لصارت من قسم المأمورات ولم يبق للمناهى فى الوجود أثر فلذلك تبرأ الحق تعالى من الفحشاء وأضاف الامر بها الى النفس والشيطان * وقال الشيخ محيى الدين فى عقائده الوسطى اعلم أنه يصح أن يقال كما أنه تعالى لم يأمر بالفحشاء كذلك لا يقال انه يريدها فيقال قضاها وقدرها ولا يقال أرادها ثم قال بيان كونه تعالى لا يريدها أن كونها فاحشة ماهو عينها وانما هو حكم الله فيها وحكم الله فى الاشياء غير مخلوق كالقرآن العظيم سواء وما لم يجر عليه الخلق لا يكون مرادا للحق اذ الارادة لا تتوجه الا على معدوم لتوجده قال فان ألزمنا ذلك فى جانب الطاعات التزمناه وقلنا الارادة للطاعة تبعت سمعا لا عقلا فأثبتوها فى الفحشاء ونحن قبلناها فى الطاعات ايمانا كما قبلنا وزن الاعمال مع كونها اعراضا فلا يقدح ايماننا فيما ذهبنا اليه مما اقتضاه الدليل انتهى وهو كلام دقيق فليتأمل و يحرر فعلم مما قررناه أن الهداية والضلال والتوفيق والخذلان بيد الله لا بيد العبد وكذلك اللطف والطبع والختم والاكنة على القلوب بيد الله لا بيد العبد وكذلك الران والوقر والصمم والقفل الواردة فى القرآن كلها بيد الله تعالى لا بيد العبد ولنفسر لك معانى هذه الامور فنقول وبالله التوفيق * أما الهداية والاضلال فالمراد بهما خلق الايمان والكفر فى العبد وهذا مذهب أهل السنة وقالت المعتزلة ان الهداية والاضلال بيد العبد بناء على قولهم ان العبد يخلق أفعال نفسه وذلك مما أخطأ فيه المعتزلة كل الخطأ فان الحس يكذبهم فضلا عن الادلة الشرعية ولو أن العبد يخلق أفعال نفسه كما زعم والم يفته مطلوب من أغراضه ولم يفعل ما يسوءه قط * وأما التوفيق فقال جمهور المتكلمين ان المراد به خلق قدرة الطاعة فى العبد مع الداعية وقال امام الحرمين هو خلق الطاعة فقط أى لا مع الداعية لعدم تأثيرها * وأما الخذلان فهو خلق قدرة المعصية فى العبد مع الداعية اليها * وقال امام الحرمين هو خلق قدرة المعصية على وزان الطاعة كما مر وكان الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله يقول اذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك للمباح وخفت أن ينتقل ذلك الى المكروه فتضرع الى الله ان يخلق فيك الكراهية لذلك المباح والا هلكت * وأما اللطف بالعبد فهو ما يقع عنده صلاح العبد آخره بان تقع منه الطاعة دون المعصية على وجه العصمة منها ان كان نبيا أو على وجه الحفظ ان كان وليا * وأما الختم والطبع فالمراد بهما واحد كما قاله الاصوليون وهو خلق الضلال فى العبد الذى هو الاضلال وأما الكن فالمراد به كما قاله الشيخ فى الباب الثامن عشر وأربعمائة أن يكون العبد فى بيت الطبيعة

الحسن بن على قال والخالفة فى هذه المسئلة بصلاة الجماعة وصلاة الجمعة أولى من الخالفة بالولى فى مواراته ودفنه وذلك أن الوالى له اطلاق الحكم فى العموم والخصوص فهو أقوى ممن له الحكم فى بعض الامور فهو أولى بالشفاعة عند الله فى الميت فانه نائب الشارع ونظر الشارع الى من استخلفه أعظم من نظره الى غيره وكلامه أقبل عنده لكونه فوض اليه الحكم فيما ولاه * وقال فى قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته انما فصل تعالى بين صلاته علينا وبين صلاة الملائكة دون صلاته تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله ان الله وملائكته يصلون على النبى بيانا لتخصيصه صلى الله عليه وسلم على غيره من الخلق مع انه صلى الله عليه وسلم دخل معنا أيضا فى صلاة الحق فى قوله عليكم فحصل له صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه جمعا وافرادا * وقال من غيرة الله تعالى انه ما من مخلوق الا ولمخلوق آخر عليه يد بوجه ما فان أراد مخلوق الفخر على مخلوق بما أسداه اليه من الخير نكس رأسه ما كان من مخلوق آخر اليه لتكون المنة لله وحده ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للانصار لما ذكرلهم أن الله تعالى هداهم به صلى الله عليه وسلم لو شئتم لقلتم وجدناك طريدا فآويناك

مشغولا بامه التي هي النفس ما عندهخبر من أبيه الذي هو الروح فلا يزال هذا في ظلمة الكون وهو حجاب الطبيعة المشار اليه بقول الكفار ومن بيننا وبينك حجاب ومعلوم أن من كان في حجاب كون وظلمة فلا يسمع كلام الداعي الى الله ولا يفهمه على وجه الانتفاع به * وأما الوقر المشار اليه بقوله تعالى وفي آذاننا وقر فالمراد به ثقل الاسباب الدنيوية التي تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه في الآخرة * وأما الران المشار اليه بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم فالمراد به صدأ وطبع يطلع على وجه مرآة القلب وقد يحدث من النظر الى ما لا يحل النظر اليه من شهوات الدنيا وجلاء ذلك الصدا والطبع انما يكون بكثرة الذكر وتلاوة القرآن * وأما الصمم فالمراد به حصول قساوة في القلب تمنعه من الاصغاء الى كلام داعي الشرع * وأما القفل فهو لاهل الاعتذار يوم القيامة من الكفار وان لم ينفعهم الاعتذار فيقولون يا ربنا انا لم نقفل على قلوبنا هذا القفل وانما وجدناها مقفلا عليها ولم نعلم من قفلها وقد طلبنا الخروج فخفنا يا رب من تلك ختمك وطبعك عليها فبقينا ننتظر الذي اقفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها فلم يكن بأيدينا من ذلك شئ قال الشيخ محيي الدين وكان عمر بن الخطاب من أهل الاقفال فتولى الله تعالى فتح قفله فشيد الله به الاسلام رضي الله تعالى عنه فتأمل هذه التفاسير فانك لا تكاد تجدها مجموعة في كتاب والله يتولى هداك (فان قلت) فاذا كان بيده تعالى ملكوت كل شئ وان كل واقع في الوجود بارادته ومشيئته فاثابته على الطاعة فضلا منه وعقابه للعباد على المعصية عدلا منه شرا كان أو غيره (فالجواب) نعم والامر كذلك الا أن يغفر تعالى غير الشرك قال تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال الشيخ جلال الدين المحلي وهذا الاخير مخصص لعمومات العقاب أي ولا ينافي ذلك العفو الذي تضمنه صدق اخبار الله تعالى بتعذيب العصاة لان التخصيص بيان لان ذلك الخاص لم يرد بالحكم لا انه بيان للرفع بعد الاثبات (فان قلت) فهل له تعالى مخالفة ما وعد وأوعد في هاتين الآيتين (فالجواب) نعم له ذلك وبه قالت الشافعية وقالت الحنفية لا يصح فيهما وعلى كلام الشافعية فله تعالى اثابة العاصي وتعذيب المطيع وايلام الدواب والاطفال لانهم ملكه يتصرف فيهم كيف شاء قالوا لكن لا يقع منه تعالى ذلك لاخباره تعالى باثابة المطيع وتعذيب العاصي في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قالوا ولم يرد لنا في كتاب ولا سنة صحيحة ايلام الدواب والاطفال في غير قصاص الآخرة والاصل عدمه فان كلام الائمة انما هو في الايلام في الآخرة لا في الدنيا اذ وقوع الايلام في الدنيا مشاهد لا نزاع فيه * أما ايلام الدواب والاطفال في القصاص فقد قال صلى الله عليه وسلم لتؤدون الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم يقتص للخلق من بعضهم بعضا حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة وقال أيضا يختصمن كل شئ يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا رواهما الامام أحمد قال الجلال المحلي رحمه الله وقضية هذه الاحاديث انه لا يتوقف وقوع القصاص يوم القيامة على التكليف والتمييز فيقتص من الطفل لطفل وغيره فعلم استحالة وصفه تعالى بالظلم ولو وقع منه تعالى تعذيب أو ايلام لاحد من خلقه مكلف أو غيره لانه مالك الامور كلها على الاطلاق (فان قلت) فهل اذا وقع الايلام في الدنيا للدواب والاطفال يكفي ذلك عن ايلامهم في الآخرة لحديث لا يجمع الله تعالى على عبد عقوبتين فان عاقبه في الدنيا لم يعاقبه في الآخرة ويكون محل خلاف الائمة في ايلام الدواب والاطفال في الآخرة على ما اذا لم يعاقبوا في الدنيا (فالجواب) نعم يكفي ذلك خلافا للحنفية ويحصل به اطلاق المشيئة للحق تعالى في عباده ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائتين اعلم ان الله تعالى قال في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقدر تعالى الذنب وأوقع المغفرة وما علق المغفرة بالدنيا لوقوع الامراض والآلام الحسية والنفسية فيها وذلك عين انفاذ الوعيد في حق الامة لانه لا بد لكل مخلوق من وقوعه فيما يؤلمه فصح قول المعتزلة في مسئلة ايلام البرئ والطفل فانت

ومنعيفا فنصرناك الحديث فذكر ما كان منهم في حقه صلى الله عليه وسلم وكان الله قادرا على نصره من غير سبب ولكن فعل ما تقتضيه الحكمة من ربط الاسباب بعضها ببعض قال وهذا من اسرار المعرفة فاجعل بالك له (وقال) في قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه الآية معنى رفعها تمييزها عن البيوت المنسوبة الى الخلق ويذكر فيها اسمه أي بالاذان والاقامة والتلاوة والذكر والموعظة يسبح أي يصلي له فيها بالغدو والآصال رجال انما لم يذكر النساء لان الرجل يتضمن المرأة فان حواء جزء من آدم فاكتفى بذكر الرجال عن النساء تشريفا للرجال لا تلهيهم أي لا تشغلهم تجارة أي بيع وشراء ولا بيع أي وحده وأطال في تفاصيل ذلك * وقال في قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر انما كانت كذلك لان المصلي بمجرد الاحرام بها يحرم عليه التصرف في غير الصلاة ما دام في الصلاة فنهاه ذلك الاحرام عن الفحشاء والمنكر فانتهى فصح له أجر من عمل بامر الله وطاعته وأجر من انتهى عن محارم الله في نفس الصلاة وان لم ينو ذلك فانظر ما أشرف الصلاة كيف أعطت هذه المسئلة العجيبة وقليل من أصحابنا من تفطن لها * وقال من تعدى الى غيره

الاشعرى يجوز وقوع ذلك من الله تعالى ولكن يقول كل ما جائز واقع قال الشيخ وكل ما احتج به الاشعرية على المعتزلة فليس هو بذلك الطائل فان القائلين بانفاذ الوعيد مصيبون ان أطلقوا ومحل انفاذه ولم يقيدوه الا حيث عينه الله تعالى فى الدنيا أو فى الآخرة فاذا أنفذه فى الدنيا بمرض او ألم نفسى أو حسى كان ذلك كفاية فى صدق انفاذ العقوبة وكان ذلك ستراله عن عقوبة الآخرة انتهى وقال أيضا فى الباب الرابع والستين ومائتين اعلم انه لابد لجميع بنى آدم من العقوبة والبلايا والآلام شيأ بعد شئ فى أبدانهم وسرائرهم حتى يدخلوا الجنة أو النار فأول الالم فى الدنيا استهلال المولود حين ولادته فانه يخرج صارخا لما يجده من الالم عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكى فان مات بعد ذلك فقد أخذ بحظه من البلاء وان عاش فلابد له فى الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فاذا انتقل الى البرزخ فلابد له من الالم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلابد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الالم وصحبه النعيم أبد الآبدين وان دخل النار فهو فى ألم لا انتهاء له ان كان من أهل النار الذين هم أهلها والا صحبه الالم حتى يخرج بالشفاعة اه * وقال فى باب الاسرار فى قوله تعالى ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس الآية اعلم ان الحق تعالى قد أخبر فى هذه الآية أن كل ما حصل للعبد من الامور المؤلمة فهو جزاء ما هو ابتداء فالبليات البرية وهى بربة وهذه مسئلة صعبة المرتقى قد اختلف فيها طائفتان كبيرتان منعت احداهما ما اجازت الاخرى ونصرت كل طائفة منهما ما قام فى غرضها ودعى مرضها قال وأما الطائفة العليا من أهل الكشف فعلموا الامر يقينا وانه لم يكن فى الدنيا امر مؤلم قط الا وهو جزاء ما هو ابتداء كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم حتى ان الطبيب يقول للمريض اذا تألم والله ما قصدت الا نفعك بما أمرتك باستعماله من الادوية الكريهة المؤلمة وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب اذا مرض ولم يدر من أى باب دخل عليه المرض هذا الالم الذى أصابك انما هو جزاء لما آلمت به المرضى فخذ جزاء ما فعلته وان كان ذلك الالم ما قصدته اه وسيأتى فى مبحث أن أحدا لا يخرج عن التكليف أن أول درجات تكليف الروح التمييز فراجعه والله تعالى أعلم * وأما الكلام على اسمه تعالى السميع البصير فنقول وبالله التوفيق (ان قلت) ما الحكمة فى تقديم الاسم السميع على الاسم البصير وعلى الاسم العليم فى الذكر دون العكس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين ومائة أن الحكمة فى تقديم الاسم السميع على غيره فى الذكر كون أول شئ علمناه من الحق تعالى القول وهو قوله انا كن فكان منه تعالى القول ومنا السماع فتكون الوجود اه وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب السابع والتسعين وسيأتى معناه فى المبحث عقبه ان شاء الله تعالى * واعلم ان هذين الاسمين لا يعقل كيفهما كسائر الصفات فهو تعالى يسمع ويرى ما تحرك أو سكن أو بطن فى الورى فى العالم الاسفل والاعلى فيسمع كلام النفس فى النفس وصوت المماسة الخفيفة عند اللمس ويرى تعالى السواد فى الظلماء والماء فى الماء لا يحجبه الامتزاج ولا الظلمات ولا النور ولا الجدرات كما لا يحجب سمعه البعد فهو القريب ولا يضره البعد فهو القريب بذات صفاته تعالى أن تجتمع مع صفات خلقه فى حد أو حقيقة * وقال فى لواقح الانوار من خصائص الحق تعالى انه لا يشغله ما يبصره عما يسمعه ولا ما يسمعه عما يبصره بل يحيط علما بالمسموعات والمبصرات من غير سبقية ادراك باحدى الصفتين على الاخرى فلا يشغله شأن عن شأن انتهى * وقال فى باب الاسرار من أعجب ما يعتقده أهل التوحيد وصفه تعالى بالقريب البعيد فقريب ممن وبعيد عمن هو أقرب الى جميع العبيد من حبل الوريد فالقرب والبعد انما هو راجع الى شهود العبد فان أطاع ربه رأى ربه قريبا وان عصى أمر ربه وجد ربه بعيدا والله تعالى أعلم (وأما الكلام على كونه تعالى متكلما) فاعلم يا أخى ان هذا محل وقع للعلماء اضطراب فى تعقله ونحن نشير الى طرف صالح من كلام المتكلمين والصوفية فنقول وبالله التوفيق اجمع المتكلمون ان هذه الصفة أى صفة الكلام لا يتعقل

كيفها

وهو محتاج اليها وعاص وصدقته لهواه لا لله لان الشارع قال له ابدأ بنفسك واذا خرج الانسان بصدقته فأول ما يلقاه نفسه قبل كل نفس وهو انما خرج بها للمحتاجين وقد شرع الحق لنا أيضا أن نبدأ فى الهدية بالاقرب فالاقرب من الجيران فان رجحنا الابعد فقد اتبعنا الهوى وما وقفنا عند حدود ربنا * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم فى حق قوم ينصب لهم يوم القيامة منابر فى الموقف ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء المراد بالشهداء هنا الرسل انهم شهداء على أممهم وانما كانوا يغبطون هؤلاء القوم لما هم فيه من الراحة وعدم الحزن والخوف فى ذلك الموطن لانهم لم يكن لهم أمم ولا اتباع كالانبياء والرسل والائمة المجتهدين فهم آمنون على أنفسهم والانبياء والائمة خائفون على أممهم واتباعهم فلذلك ارتفع الخوف والحزن عن هؤلاء القوم فى ذلك اليوم فى حق غيرهم والانبياء تخاف على أممها دون أنفسها قال وهذه مسئلة عظيمة الخطب جليلة القدر لم نر أحدا ممن تقدمنا تعرض لها ولا قال فيها مثل ما قلناه الى الآن كان وما وصل الينا * وقال فى الباب السبعين فى اسرار الزكاة فى قوله تعالى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هنا هو صدقة التطوع فورد

كيفها كيفية الصفات لان كلامه تعالى لا هو عن صمت متقدم ولا عن سكوت متوهم اذ هو قديم أزلي كسائر صفاته من علمه وارادته وقدرته كلم تعالى به موسى عليه الصلاة والسلام سماه التوراة والانجيل والزبور من غير تشبيه ولا تكييف انما هو أمر يذوقه النبي أو الملك في نفسه لا يستطيع أن يكيفه بعبارة كما لو سئل الذائق للعسل كيف وجدت طعمه أو ما الفرق بين حلاوة العسل النحل والعسل الاسود مثلا ما قدر على ايصال الفرق بينهما الى السامع بعبارة ولو قيل لموسى عليه الصلاة والسلام كيف سمعت كلام ربك ما قدر على تكييف ما سمع (فان قلت) كيف تنوعت ألفاظ الكلام الى عربي وسرياني وعبري مع انه واحد في نفسه غير متجزئ (فالجواب) صحيح ان الكلام واحد ولكن المخلوقون هم الذين يعبرون عنه بلغاتهم المختلفة فهو كذات الله تعالى يعبر عنها العربي بالله تعالى والفارسي بخداي تعالى فان عبر عن كلامه تعالى بالعربية كان قرآنا أو بالسريانية كان انجيلا أو بالعبرانية كان توراة (فان قيل) فما أول كلام شق اسماع الممكنات من الحق تعالى (فالجواب) هو ما أشرنا اليه في المبحث السابق ان أول كلام شق اسماع الممكنات هو كلمة كن فما ظهر العالم كله الا عن صفة الكلام وحقيقة هذا الكلام الالهي هو توجه ارادة الرحمن على عين من الاعيان فينفخ الرحمن الروح في شخصية ذلك المقصود فيعبر عن ذلك الكون بالكلام وعن المكون فيه بالنفس كما ينتهي نفس المتنفس المريد ايجاد عين حرف فيخرج النفس المسمى صوتا ولا يعقل كيف ذلك في جناب الحق والله أعلم * وعبارة جمع الجوامع وشرحه القرآن كلام الله تعالى القائم بذاته غير مخلوق وانه مكتوب في مصاحفنا على الحقيقة لا المجاز ومحفوظ في صدورنا بألفاظه المخيلة للمعنى على الحقيقة لا المجاز ومقروء بألسنتنا بحروفه الملفوظة المسموعة على الحقيقة لا المجاز قال الجلال المحلي ونبهوا بقولهم لا المجاز في الثلاث مسائل على الاشارة الى انه ليس المراد بالحقيقة كنه الشيء كما هو مراد المتكلمين فان القرآن بهذه الصفة الحقيقية ليس هو في المصاحف ولا في الصدور ولا في الالسنة وانما المراد بها مقابل المجاز أي يصح أن يطلق على القرآن حقيقة انه مكتوب محفوظ مقروء أي ان اسناد كل من هذه الثلاثة الى القرآن اسناد حقيقي كل منها باعتبار وجود من الوجودات الاربعة كما لا يخفى لا انه اسناد مجازي (قلت) قال الشيخ وايضاح ذلك انه يصح ان يقال القرآن مكتوب محفوظ مقروء وانه غير مخلوق أي موجود أزلا وأبدا اتصافه باعتبار الوجودات الاربعة التي هي لكل موجود وهي الوجود الخارجي والوجود الذهني والوجود في العبارة والوجود في الكتابة وهي تدل على العبارة وهي على ما في الذهن وهو على ما في الخارج فالقرآن باعتبار الوجود الذهني محفوظ في الصدور وباعتبار الوجود اللساني مقروء بالالسنة وباعتبار الوجود الكتابي مكتوب في المصاحف وباعتبار الوجود الخارجي وهو المعنى القائم بالذات المقدس ليس بالصدر ولا بالالسنة ولا في المصاحف وأما الالفاظ المركبة من الحروف فانها أصوات هي اعراض والله أعلم * وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في الكلام على الكتاب العزيز اعلم ان القرآن يطلق لمعنيين أحدهما الكلام النفسي القائم بالذات المقدس الثاني اللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهل اطلاقه عليهما بالاشتراك أو هو في الثاني مجاز مشهور الظاهر الاشتراك قال ثم ان القرآن بالمعنى الاول محل نظر لعلماء أصول الدين وبالمعنى الثاني محل نظر لعلماء العربية والفقه وأصوله قال ووجه الاضافة في تسمية كلام الله بالمعنى الاول انه صفة لله تعالى وبالمعنى الثاني انه تعالى أنشأه برقومه في اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ أو بحروفه في لسان الملك لقوله انه لقول رسول كريم أو لسان النبي لقوله نزل به الروح الامين على قلبك ومعلوم ان المنزل على القلب هو المعنى لا اللفظ لا لمجرد كونه دالا على كلامه القديم ثم انه هل يعتبر في التسمية بالقرآن بالمعنى الثاني خصوص المحل كما قيل انه اسم لهذا المؤلف القائم بأول لسان اخترعه الله تعالى فيه أولا يعتبر في التسمية الا خصوص التأليف الذي لا يختلف باختلاف المتلفظين الصحيح الثاني لانا نقطع ان ما يقرؤه كل واحد منا هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الاول يكون مثل القرآن لا نفسه قال وتقدم

الامر بالغرض لله كما ورد باعطاء الزكاة وأطال في الاستدلال على ذلك * ثم قال والزكاة المفروضة والصدقة افنان بمعنى واحد قال تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال انما الصدقات للفقراء والمساكين فسماها صدقة لكن الواجب منها يسمى زكاة وصدقة وغير الواجب منها يسمى صدقة التطوع ولا يسمى زكاة شرعا أي لم يطلق عليه الشرع هذا اللفظ مع وجود المعنى فيها من النمو والبركة والتطهير قال وانما سماها الله صدقة تنبيها على انها أمر شديد على النفس تقول العرب رمح صدق أي صلب شديد قوي اذ النفس تجد لاخراج هذا المال شدة وحرجا كما قال ثعلبة بن حاطب وأطال في ذلك * ثم قال ولو ان ثعلبة قال حين قال لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ان شاء الله تعالى لفعل ولم يبخل قال وانما لم يأخذها منه النبي صلى الله عليه وسلم لاخبار الله تعالى ان ثعلبة يلقاه منافقا والصدقة تزكي وتطهر من أخرجها والمنافق لا يطهر ولا يزكى فلهذا لم يتمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها منه وكذلك لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فلما ولي عثمان رضي الله عنه أخذها منه متأولا وقال انها حق الاصناف الذين أوجب الله

السلف من اطلاق القول بحلول القرآن بالمعنى الثانى فى اللسان أو فى المصحف ومن القول بكونه مخلوقا أدبا واحترازا عن ذهاب الوهم الى القرآن بالمعنى الاول الذى هو الكلام النفسى القائم بذاته تعالى انتهى

* وعبارة الشيخ أبى طاهر القزوينى فى كتابه سراج العقول وقد أجمع السلف كلهم على ان القرآن كلام الله غير مخلوق من غير بحث منهم بانه القراءة أو المقروء أو الكتابة أو المكتوب كما أجمعوا على انهم اذا زاروا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المزور والمصلى والمسلم عليه هو النبى صلى الله عليه وسلم من غير بحث انه شخصه أمر وحه وأطال فى ذلك فى الباب الخامس من كتابه (فان قلت) فهل نزلت الاحاديث القدسية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظا أو معنى (فالجواب) انها نزلت معنى لا لفظا فعبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبارته هو وذلك لانها لم تنزل للاعجاز بألفاظها كالقرآن وهى كلام الله تعالى بلا شك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا فانه يوهم انه مخلوق (فالجواب) ليس الجعل بمعنى الخلق فى سائر الاحوال بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا (فان قلت) فهل يجوز لاحد أن يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغنا شيأ من القرآن على المعنى (فالجواب) لا يجوز لاحد اعتقاد ذلك لانه لو قدر انه تصرف فى اللفظ المنزل وراه بالمعنى لكان حينئذ مبينا لنا صورة فهمه لا صورة ما نزل والله تعالى يقول لتبين للناس ما نزل اليهم فمن المحال أن يغير صلى الله عليه وسلم أعيان تلك الكلمات وحروفها بل لو فرض انه صلى الله عليه وسلم علم جميع معانى كلام الله عز وجل بحيث لا يشذ عنه شئ من معانيه وعدل عما أنزل فأى فائدة للعدول وحاشاه من ذلك اذ لو تصرف فى صورة ما نزل من الحروف اللفظية لكان يصدق عليه انه بلغ الناس ما نزل اليهم وما لم ينزل اليهم ولا قائل بذلك فافهم وقد أطال الشيخ الكلام على حديث القوم الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم فى الباب الخامس والعشرين وثلثمائة من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما مثال الوحى اذا ظهر لنا بالالفاظ (فالجواب) ان مثال ظهور الوحى بالالفاظ مثال ظهور جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية فان جبريل لم يكن حين ظهر فيها بشرا محضا ولا ملكا محضا ولا كان بشرا ولا ملكا معا فى حالة واحدة فكما تبدلت صورته فى أعين الناظرين ولم تتبدل حقيقته التى هو عليها فكذلك الكلام الازلى والامر الاحدى يتمثل بلسان العربى تارة وبلسان العبرى تارة وبلسان السريانى أخرى وهو فى ذاته أمر واحد أزلى فالكافر والمشرك يسمع كلام الله وموسى عليه الصلاة والسلام يسمع كلام الله ولكن بين سماعيهما بعد المشرقين اذ لو كان سماعهما واحدا لبطل الاصطفاء * قال الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله بعد كلام طويل وبالجملة فالائمة الكبار من شيوخ السلف مثل الامام أحمد وسفيان وسائر أصحاب الحديث كانوا أكثر علما وأغزرهما وأكمل عقلا ومع ذلك فزجروا أصحابهم عن الخوض فى مثل ذلك لدقته وغموضه كما ذموا علم الكلام لعلمهم بأن استخلاص العقائد الصحيحة من بين فرث التشبيه ودم التعطيل عسر جدا الا على من رزقه الله الفهم عنه اذ غالب الناس لا يتفطنون للفرق بين المقروء والقرآن فخاف السلف على أصحابهم أن تتزلزل عقائدهم فأمروهم بمعرفة الامر الظاهر والايمان به قطعا من غير بحث على المعنى الحقيقى اذ قد صح ايمان المؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله وقالوا لاصحابهم اقرؤها كما جاءت من غير كيف وقولوا آمنا به وصدقنا ولعمرى ان فى ذلك مصلحة عظيمة للعوام وأما الائمة فمحال أن يخفى عليهم التحقيق فى هذه المسئلة رضى الله تعالى عنهم * قال الحافظ الذهبى رحمه الله وانما وقعت المحنة للعلماء فى زمن المأمون دون غيره من الخلفاء لان المأمون كان فقيها ماهرا فلما طالع كتب الفلاسفة جره ذلك الى القول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من أحسن الخلفاء عقيدة ورأيا ودينا وأدبا وعلما وسوددا ثم تولى بعده أخوه المعتصم فامتحن العلماء كذلك فى مسئلة خلق القرآن وجدد مذهب أخيه المأمون ثم تولى بعده الواثق بن المعتصم فامتحن العلماء كذلك باغراء أحمد بن أبى دواد مدة ثم تاب الواثق وأظهر السنة اه والله تعالى أعلم * وأما قول الشيخ محيى الدين

تعالى ايهم هذا القدر فى عين هذا السائل قال الشيخ وهذا الفعل من جملة ما انتقد على عثمان رضى الله عنه ولا ينبغى الانتقاد عليه لانه مجتهد فعل ما اداه اليه اجتهاده وقد قرر الشرع حكم المجتهد ولم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من أمرائه أن يأخذ من هذا الشخص صدقته ولا يلزم غير النبى صلى الله عليه وسلم أن يطهر ويزكى مؤدى الزكاة فهو يأخذها للامر العام باعطائها وان كان ذلك لا يطهر المتصدق والله أعلم * وقال فى قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم انما خص الكى بهذه الثلاثة أعضاء والله أعلم لان السائل اذا رآه صاحب المال مقبلا اليه انقبضت أسارير جبهته لعلمه انه جاء يسأله من ماله فتكوى جبهته ثم ان المسؤل يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كانه ما عنده منه خبر فيكوى بها جنبه فاذا عرف من السائل انه يطلب منه ولا بد أعطاه ظهره وانصرف فهذا حكم مانعى زكاة الذهب والفضة وأطال فى ذلك * ثم قال ونرجو من فضل الله تعالى أن يضاعف الاجر لمن أخرج صدقته بمشقة على نفسه فيكون له أجر المشقة وأجر الاخراج كما ورد فى الذى يتتعتع عليه القرآن انه يضاعف له الاجر للمشقة التى

الدين رضي الله تعالى عنه في هذه المسئلة فقال في الباب الرابع والثلاثين من الفتوحات (ان قلت) ما الحكمة في تخصيص نزول القرآن في ليلة القدر (فالجواب) انما خص نزوله بليلة القدر لان بالقرآن تعرف مقادير الاشياء وموازينها ولو كان نزوله في الثلث الآخر منها اه (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة ان المراد انه محدث الاتيان لا محدث العين فحدث علمه عندهم حين سمعوه وهذا كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم انه كان موجودا قبل أن يأتي وكذلك القرآن جاء في مواد حادثة تعلق السمع بها فلم يتعلق الفهم بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه والقدم من وجه (فان قلت) فاذن الكلام لله والترجمة للمتكلم (فالجواب) نعم وهو كذلك بدليل قوله تعالى في مقسمانه يعني القرآن انه لقول رسول كريم فأضاف الكلام الى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى الى نفسه بقوله فأجره حتى يسمع كلام الله فاذا تلي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين كما مر فان الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط اه وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما دام القرآن في القلب فلا حرف ولا صوت فاذا نطق به القارئ نطق به صوت وحرف وكذلك اذا كتبه لا يكتبه الا بصوت وحرف * وسمعته يقول أيضا المفهوم من كون القرآن أنزل حروفا منظومة من اثنين الى خمسة حروف فأكثر متصلة أو منفردة أمران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابا ورقما وخطا فان نظرت الى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وان نظرت اليه من حيث كونه ينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منظومة أهل هي لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه الحق الثاني اه وسمعته أيضا يقول في قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فكان الظمآن يحسب السراب ماء وليس هو بماء كذلك حكم من يسمع كلام الله يحسب كلامه تعالى بصوت وحرف وليس هو في نفس الامر بصوت ولا حرف وان كان من المحال أن يظهر أمر في صورة أمر آخر الا بمناسبة تكون بينهما فافهم مثله في النسبة لا مثله في العين فكان الظمآن اذا جاء السراب لم يجده ماء كما كان يراه كذلك من سمع كلام الله بصوت وحرف اذا كشف عنه الغطاء لم يجده بصوت ولا حرف كما سمعه (فقلت) له فهل للحق تعالى أن يتكلم بصوت وحرف لاطلاقه تعالى من حيث انه فعال لما يريد فقال لا يصح ذلك للحق لانه يلزم منه مساواته لخلقه وعدم مباينته لهم فهو تعالى فعال لما يريد مما لم يشبه خلقه فيه وأما تجليه تعالى في الصور في الآخرة فليس هو بصور حقيقة كما قلنا في الصوت والحرف اه * وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والسبعين وثلثمائة (فان قلت) فهل يصح سماع خطاب الحق تعالى من غير مظهر صوري (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين وثلثمائة انه لا يصح لعبد أن يسمع كلام ربه قط الا من وراء مظهر تقييدي يتجلى الحق تعالى له فيه يكون ذلك المظهر حجابا عنه تعالى ودليلا عليه فلا يشهد عبد قط في حال التنزلات الخطابية الا مظاهر صورية عنها يأخذ ما يترجم له من الحقائق والاسرار وهي السنة المفهومة ألا ترى أنه تعالى ما كلم موسى عليه الصلاة والسلام الا في تجليه له في صورة حاجته التي هي النار اه * قلت وهو كلام يحتاج الى تحرير فليتأمل والله أعلم (فان قلت) فهل يقال ان القرآن القديم حال في القلب بلا صوت وحرف أم بصوت وحرف (فالجواب) ان القرآن ما دام في القلب فهو احدى العينين لا صوت فيه ولا حرف كما مر فهو في قلوب العلماء به على غير الصورة التي يظهر بها في ألسنتهم لان الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره ثم ان الخيال يأخذه من القلب فيجسده ويقسمه ثم يأخذه منه اللسان فيصيره بشأنه كأنه ذا حرف وصوت ويقيده به سمع الآذان وقد قال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتا وحروفا فسمعها الاعرابي بسمع اذنه في حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كائنا من كان أي من حيث الحروف والاصوات ويصح

تناله في تحصيله ودرسه فله أجر المشقة وأجر التلاوة وقال ولا يخفى ان الذي يخرجها بغير مشقة أكثر مضاعفة مما لا يقاس ولا يعد * وقال في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه والله لو منعوني عقالا الحديث اعلم ان العقل مأخوذ من عقال الدابة وان كان على الحقيقة عقال الدابة مأخوذا من العقل لان العقل متقدم على عقال الدابة فانه لولا ما عقل ان هذا الحبل اذا شدت به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالا * وقال الذي أقول به ان الزكاة لا تجب على الكافر ومع ذلك ان جاءنا المنافق بها أخذناها منه وجعلناها في بيت مال المسلمين ومن ردها عليه فقد عصى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الذي أقول به انه لا تجب على المالك اخراج الزكاة عن ماله الذي هو في ذمة الغير وهو الدين حتى يقبض ويمر عليه حول وهو في يد القابض * وقال زكاة العلم تعليمه فمن جاءه طالب صادق متعطش فسأله عن مسئلة هو بها جاهل وجب عليه تعليمه كوجوب الزكاة بكمال الحول والنصاب فان لم يعلمه ما سأله فيه من العلم فلا بد أن الله تعالى يسلب العالم تلك المسئلة ولو بعد حين حتى يبقى جاهلا بها انبطالها في نفسه فلا يعود ها عقوبة له * وقال المستحب أن يقدم في العطاء من الاصناف الثمانية من قدمه الله في الذكر قياسا

اسناد الكلام الى العبد مجازا كما يأتي بسطه قريبا في باب الاسرار والقلب بيت الرب اهـ ذكره في الباب التاسع والعشرين وثلثمائة * وقال في باب الاسرار لوحل بالحادث القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلا ولا يعرف المسك الامن عرفه ولا يضم المعنى سوى حرفه ذكر القرآن أمان وبه عجب الايمان أنه كلام الرحمن مع قطع حروفه في اللسان ونظام حروفه فيما رقم بالبراع والبنان فقد ثبت الالواح والاقلام وما حدث الكلام وحكمت على العقول الاوهام بما عجزت عن ادراكه الافهام ولو قدر أنه ينال بالالهام لكان العالم به هو العلام اهـ وقال فيه أيضا الذكر القديم ذكر الحق وان حكى ما نطق به الخلق كما أن الذكر الحادث ما نطق به لسان الحق وان كان كلام الحق اذا كان الحق تعالى يتكلم على لسان العبد فالذكر قديم ومزاجه بالعبد من تسنيم لا يعرف الحق في هذه المسئلة الامن كان الحق تعالى قواه ولا يكون قواه الا ان تولاه * وقال فيه أيضا الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة لان له الاحاطة وحدوثه هو وروده علينا كما يقال حدث عندنا اليوم ضيف اهـ * وقال فيه أيضا لا يضاف الحدوث الى كلام الله الا اذا كتبه الحادث أو تلاه ولا يضاف القدم الى كلام الحادث الا ان سمعه من الله * وقال فيه أيضا أصدق القول ما جاء في الكتب المنزلة والصحف المطهرة مع تنزيهه الذي لا يبلغه تنزيه نزل الى التشبيه الذي لا يماثله تشبيه فنزلت آيات بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الملك هل هو أمر ثالث ليس هو مثلهما أو مشترك وعلى كل حال فالمسئلة فيها اشكال لان العبارات لنا والكلام لله ليس هو لنا فما هو المنزل والمعاني لا تتنزل ان كانت العبارات فما هو القول الالهي وان كان القول فما هو اللفظ الكتابي وهو اللفظ بلا ريب فأين الشهادة والغيب ان كان دليلا فكيف هو أقوم قيلا وما ثم قيل الامن هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم فتحقق بذلك ولا تنطق اهـ * وقال فيه أيضا لا تقل أنا اياه لقوله فأجره حتى يسمع كلام الله أنت الترجمان والمتكلم الرحمن الحروف ظروف والصفة عين الموصوف اهـ * وهذا لا يتمشى على مذهب من يقول ليست الصفات عينا ولا غيرا فليحرر * وقال فيه أيضا القرآن كله قال الله وما جاء فيه قط تكلم الله (فان قلت) ما الحكمة في ذلك (فالجواب) أنه لو جاء في القرآن تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد ألا ترى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كيف أثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فان الكلام مأخوذ من الكلم الذي هو الجرح والتأثير فاذا أثر القول فما هو لذاته ففرق يا أخي بين القول والكلام كالفرق بين الوحي والالهام وبين ما يأتيك في اليقظة والمنام تكن من أهل ذي الجلال والاكرام اهـ فيه أيضا أما العجب الامنا كيف نتلو كلامه وهو قائم بذاته والله انها ستور مسدلة وأبواب مقفلة وأمور مبهمة وعبارات موهمة هي شبهات من أكثر الجهات اهـ (فان قلت) فهل تتشكل الحروف اللفظية في الهواء أم تذهب هباء منثورا بعد خروجها (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والعشرين انها تتشكل في الهواء اذا خرجت ولذلك تتصل بالمسموع على صورة ما نطق بها المتكلم فاذا تشكلت في الهواء تعلقت بها أرواحها ولا يزال الهواء يمسك عليها اشكالها وان انقضى عملها فان عملها وتأثيرها انما يكون في أول ما تتشكل في الهواء ثم بعد ذلك تلتحق بسائر الامم فيكون شغلها تسبيح ربها (فان قيل) فاذا كانت كلمة كفر فهل تكون مثل كلمات الخير في كون شغلها تسبيح ربها (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابق انها يكون شغلها تسبيح ربها ولو كانت كلمة كفر فان وبال ذلك انما يعود على المتكلم بها الاعلى الاثم الذي انشأ أن مسبحة لله لا يعلم بما على قائلها من الاثم وقد جعل الشارع العقوبة على المتلفظ بها بسببها كما يؤيده حديث ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالا يهوي بها في نار جهنم سبعين خريفا وتأمل كلام الله تعالى تراه يتعبد به ويعظم ويقرأ على جهة القربة الى الله تعالى وفيه جميع ما قالت اليهود والنصارى في حق الله تعالى من الكفر والسب وهي كلمات كفر عاد وبالها على قائلها وبقيت الكلمة على بابها تتولى عذاب قائلها يوم القيامة أو نعيمه (فان قلت) فاذن

على البداءة في العطاء في الصغاء وكذلك كل شيء قدمه الله في الذكر نحوه والذي يسيركم في البر والبحر ومن التزم ذلك رأى خيرا في جميع أحواله * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم المعتدي في الصدقة كمانعها أي لان تكليف النفس ما لا يسع ينفرها عن فعله مرة أخرى فكان مانعا لها من الخير في عين ما أراده من الخير * وقال في قول أحد الملكين اللهم أعط منفقا خلفا وقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا اعلم ان الملائكة لسان خير صرف فمعنى قول الملائكة اللهم أعط ممسكا تلفا أي مثل ما أعطيت فلانا المنفق حتى اتلف ماله الذي كان عنده فتضاعفه عليه كما أخلفته على المنفق كأنه يقول اللهم ارزق الممسك الانفاق حتى ينفق وان كنت يا رب لم تقسم له أن ينفقه باختياره فأتلف ماله حتى تأجره فيه أجر المصاب فيصيب خيرا فهو دعاء له بالخير لا كما ظنه من لا معرفة له بمراتب الملائكة فان الملك لا يدعو قط على أحد بشر ولا سيما في حق المؤمن قال ولا شك ان دعاء المؤمن مجاب لوجهين الاول لطهارته والثاني انه دعاء في حق الغير بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك وأطال في ذلك * وقال في حديث الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء اعلم ان

هذه الحروف الهوائية اللفظية لا يدركها موت بعد وجودها (فالجواب) نعم لا يلحقها موت بخلاف الحروف الرقمية لانها تقبل التغير والزوال اذ هي في محل يقبل ذلك وأما الاشكال اللفظية فلها البقاء لكونها في محل لا تقبل التغير (فان قلت) فما الحكمة في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله دون قوله فاذا قرأت الفرقان مع انه من أسماء القرآن (فالجواب) انما لم يقل الفرقان لان الفرقان يطرد ابليس فلا يحضر القارئ فلا يحتاج الى الاستعاذة بالله منه بخلاف القرآن فانه جمع فيدعو ابليس الى الحضور فيحتاج القارئ الى الاستعاذة بالله منه (فان قلت) فلم لم يؤمر المستعيذ بالاستعاذة من ابليس بأحد من أولى العزم من الرسل والملائكة لكون كيده ضعيفا وأولو العزم أقوى منه بيقين (فالجواب) انما كان كيد الشيطان ضعيفا بالنظر للقدرة الالهية أما بالنظر الى الخلق فهو قوى جدا لانه في حضرة الارادة التي قهرت العالم كله ولذلك كان الاستعاذة منه بالاسم الجامع الذي هو الله دون غيره فأى طريق أتاهم منها وجد الاسم مانعا له عن الحضور بخلاف الاسماء الفروع (فان قلت) فهل يثاب القارئ على قراءة ما حكاه الحق تعالى عن عباده مثل ثواب ما لم يحكه مما اختص به تعالى (فالجواب) نعم يثاب على ذلك ثواب كلام الله الذي لم يحكه عن أحد من خلقه لكونه قديما ولو حكاه عن الخلق كان العارف يأخذ كلام الحق الذي قاله ابتداء بغير الوجه الذي قاله تعالى استدعاء وكانه يأخذ ما حكاه الحق تعالى عن عبيده بالمعنى بغير الوجه الذي يحكيه عنهم باللفظ * وقد قال الشيخ في الباب الثاني والتسعين ومائة اذا تلوت القرآن فاعلم ممن تترجم فان الله عز وجل تارة يحكى قول عبد بعينه وتارة يحكيه على المعنى * مثال الاول قوله تعالى حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر لا تحزن ان الله معنا * ومثال الثاني قوله تعالى حكاية عن قول فرعون ياهامان ابن لى صرحا فانه انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنها باللسان العربي والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فهكذا فلتعلم الامور الالهية اذا وردت يفرق القارئ بين كلام الله اصالة وبين كلامه حكاية وبميزه عن بعضه بعضا فآخر قول الله عز وجل واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا ثم انه تعالى حكى قولهم عن جماعتهم أقررنا وكذلك قوله عن المنافقين واذا لقوا الذين آمنوا قالوا والى هنا انتهى قوله تعالى ثم انه حكى عنهم قولهم وهو انا معكم انما نحن مستهزؤن وقس على ذلك ما يشا كله في القرآن تجده كثيرا وهذا علم لم أجد لاحد قدما فيه من أهل عصرى فالحمد لله الذى أهلنا لذلك فانه ليس انا مادة نستخرج منها علومنا الا القرآن العظيم وما كل أحد أوتى مفاتيح الفهم فيه انما ذلك لافراد من الناس (فان قلت) اذا كان القرآن كله عربيا فلم لا تفهم العرب منه معانى الحروف التى هى أوائل السور المرموزة (كالم) و (المص) ونحو ذلك فانه بلسانهم (فالجواب) انما لم يكن جميع العرب تفهم هذه الحروف ليبقى لهم الايمان بها ولم يفهموا اهـ فلذلك جعل الله تعالى فهمها خاصا بأهل الكشف ولا يقال ان أهل الكشف لا يعرفونها أيضا لانا نقول انه لا بد من أن يعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شاء الله تعالى والا لو لم يصح لاهل الكشف علمها لكانت حشوا ولا يجوز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة كما عليه الجمهور من علماء الاصول خلافا للحشوية باسكان الشين المعجمة مأخوذ من قولهم ان في القرآن حشوا ورأيت في الباب الثامن والتسعين ومائة من الفتوحات ما نصه اعلم ان جميع الحروف المقطعة أوائل السور كلها أسماء ملائكة قال وقد اجتمعت بهم في بعض الوقائع وما منهم ملك الا وأفادني علما لم يكن عندي فهم من جملة أشياخى من الملائكة فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه لانه تمر قائق ممتدة من ذواتهم الى أسمائهم فاذا قال القارئ (الم) مثلا قال هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون له صدقت ان كان خبرا ويقولون هذا مؤمن نطق بحق وأخبر بحق فيستغفرون له وهكذا القول في (المص) ونحوها قال وهم أربعة عشر ملكا آخرهم (ن) قال وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد وهو (ص) و (ق)

غضب الله يحمل على الوجه الذي يليق به فان الغضب الذي خاطبنا به معلوم عندنا بلا شك ولكنا جهلنا النسبة خاصة لجهلنا بالمنسوب اليه لا بالمنسوب الذي هو الغضب قال ولا يقال يحمل على معنى لا نفهمه لانه يؤدى الى أن الحق تعالى خاطبنا بما لا نفهم فلا يكون له أثر فينا ولا موعظة والمقصود الافهام بما نعلم لنتعظ به * قال وأما ميتة السوء فهو أن يموت الانسان على حالة تؤديه الى الشقاء اذ الحق تعالى لا يغضب الا على شقى * وقال في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يدخل في ذلك انفاق العبد قواه في سبيل الله فان نفسه أحب الامور اليه فمن أنفقها في سبيل الله فله الجنة * وقال طلب العبد الاجر من الله لا يخرجه عن عبوديته فانه العبد في صورة أجير ما هو أجير اذ الاجير حقيقة من استؤجر وهو أجنبي والسيد لا يستأجر عبده وانما العمل يقتضى الاجرة ولكن أخذها لا يتصور من العمل وانما يأخذها العامل الذي هو العبد وهو قابض الاجرة من سيده فاشبه الاجير في قبضه الاجرة وفارقه بالاستئجار فليتأمل * وقال في قوله تعالى وأما السائل فلا تنهر يدخل فيه السائل في العلم اذا كان أهلا لما سأله فيتصدق العالم عليه بالعلم ويحتسب ثلاث الصدقة عند الله لا يرى له

و (ن) ومنازل ظاهر فيها اثنان مثل (طس) و (يس) و (حم) وصور رها مع التكرار تسعة وسبعون ما كان بيد كل ملك شعبة من الايمان فان الايمان بضع وسبعون درجة والبضع من واحد الى تسع فقد استوفى هنا غاية البضع وأطال فى ذلك ثم قال فمن نظر فى هذه الحروف وهذا الباب الذى فتحته له رأى عجائب وسخرت له هذه الارواح الملكية التى هى هذه الحروف أجسامها واستمد مما بيدها من شعب الايمان وتحفظ عليه ايمانه الى الممات انتهى

(خاتمة) ذكر الشيخ فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة أن جميع المحكم من القرآن عربى وجميع المتشابه أعجمى ومعلوم أن العجمية عند أهلها عربية والعربية عند أهلها عربية وما ثم عجمة الا فى الاصطلاح والالفاظ والصور الظاهرة وأما فى المعانى فكلها عربية لا عجمة فيها فمن ادعى معرفة علم المعانى وقال بالشبه فيها فلا علم له بما ادعاه فان المعانى كالنصوص عند أهل الالفاظ لكونها بسائط لا تركيب فيها فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة فى الوجود فاعلم ذلك وحرره والله يتولى هداك (وأما الكلام على الاسم الباقى تعالى) فاعلم أن الباقى هو من كان بقاؤه مستمرا لا أول له ولا آخر وبعضهم استغنى بذكر اسمه الحى عن ذكر هذا الاسم فان الصفات الالهية انما هى سبعة فى الحقيقة عدد نجوم الثريا وانما استغنى بالحى تعالى لان الحى من كانت حياته أبدية لا افتتاح لها ولا انتهاء وقد تقدم فى بحث كون الصفات الالهية عينا أو غيرا ان الاصوليين اختلفوا فى صفة البقاء وان الاشعرى وأكثر اتباعه على انها صفة زائدة على الذات وان المعتزلة والقاضى والامامين قالوا انه تعالى باق لذاته لا ببقاء وأدلة الفريقين مسطورة فى كتب أصول الدين والله تعالى أعلم

(المبحث السابع عشر فى معنى الاستواء على العرش)

اعلم ان هذا المبحث من عضال المباحث فلنبسط يا أخى الكلام فيه بنقول المتكلمين والعارفين حتى يتجلى لك وجه الحق فيه ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق قال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى رسالته يجب اعتقاد ان الله تعالى ما استوى على عرشه الا بصفته الرحمانية كما يليق بجلاله كما قال تعالى الرحمن على العرش استوى ولا يجوز أن يطلق على الذات العلى انه استوى على العرش وان كانت الصفة لا تفارق الموصوف فى جانب الحق تعالى لان ذلك لم يرد لنا التصريح به فى كتاب ولا سنة فلا يجوز لنا أن نقول على الله ما لا نعلم فكما انه تعالى استوى على العرش بصفته الرحمانية كذلك العرش وما حواه به استوى واعلم أن غاية العقل فى تنزيه البارى عن كيفية الاستواء أن يحمل ذلك استواء تدبير كما استوى الملك من البشر على مملكته كما قالوا فى استشهادهم بقولهم * قد استوى بشر على العراق * وأين استواء البشر الذى هو مخلوق من استواء البارى جل وعلا فتأمل وسيأتى بسط ذلك فى الخاتمة آخر المبحث الآتى بعده ان شاء الله تعالى وقد أنشد الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث عشر من الفتوحات

العرش والله بالرحمن محمول * وحاملوه وهذا القول معقول
وأى حول لمخلوق ومقدرة * لولاه جاء به عقل وتنزيل

وأطال فى ذلك (فان قلت) فما وجه الحكمة فى كون الاستواء لم يكن يجىء فى الكتاب والسنة الا للاسم الرحمن (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين ومائتين ان وجه الحكمة فى ذلك اعلام الحق تعالى لنا انه لم يردنا بالايجاد الا رحمة او جود بن كل أحد بما يناسبه من رحمة الامداد أو رحمة الامهال أو عدم المعاجلة بالعقوبة لمن استحقها ونحو ذلك فعلم أن الاسم الرحمن من أعظم الاسماء حكما فى المملكة ويليه الاسم الرب ولذلك لم يرد لنا أن الحق تعالى ينزل الى سماء الدنيا الا بالاسم الرب الحنوى على حضرات جميع المربوبين انتهى (فان قلت) فما الحكمة فى اعلامه تعالى بأنه استوى على العرش بناء على أن المراد بالعرش مكان مخصوص فى جهة العلو لا جميع الاكوان (فالجواب) كما ذكره الشيخ فى الباب السبعين وثلثمائة أن الحكمة فى ذلك تقريب الطريق على عباده وذلك انه تعالى لما كان هو الملك العظيم ولا بد للملك من مكان يقصده فيه

بم افضل اعلى من علمه ولا يطلب منه حمد مقولا أدبا فى نظيرها فان فعل ذلك لم يحتسب ذلك عند الله قال الشيخ ولقد لقينا أشياخنا كلهم على ذلك وهى طريقنا ان شاء الله تعالى

*وقال فى مسئلة الغنى الشاكر والفقير الصابر وهى مسئلة طويلة وغاية ما قال الناس فيها ان الغنى أفضل لتصدقه والذى عندى فى ذلك انه انما كان أفضل لاجل سبقه الى مقام الفقر ومسارعته اليه بالصدقة فله زيادة أجر ومثل ذلك مثل رجلين عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة فغالب الناس يقول صاحب التسعة أفضل فافهم روح المسئلة فانا فرضنا مال الرجلين على التساوى وانما وجه التفضيل ان الذى تصدق بالاكثر كان دخوله الى مقام الفقر أكثر من صاحبه ففضل بسبقه الى جانب الفقر لا غير قال وهذا لا ينكره من له ذوق فى المقامات والاحوال والكشوفات وبهذا فضلوا على غيرهم ولو انه تصدق بالكل وبقى على أصله لا شئ له كان أعلى فنقصه من الدرجة على قدر ما أمسكه والسلام

*وقال فى قوله تعالى واقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن ان لا يطلب مضاعفة الاجر وانما يقرض لاجل أمر الله تعالى له بالاحسان

عباده

عباده لحوائجهم وان كانت ذاته تعالى لاتقبل المكان فلما اقتضت المرتبة له أن يخلق عرشا وان يذكر لعباده انه استوى عليه ليقصدوه بالدعاء وطلب الحوائج فكان ذلك من جملة رحمته لعباده والتنزل لعقولهم ولولا ذلك لبقي صاحب العقل حائرا لايدرى أين يتوجه اليه فان الله تعالى خلق العبد ذا جهة من أصله فلا يقبل الا ما كان في جهة مادام عقله حاكما عليه فاذا من الله تعالى عليه بالكمال واندراج نور عقله في نور ايمانه تكافأت عنده الجهات في جناب الحق تعالى وعلم وتحقق أن الحق تعالى لايقبل الجهة ولا التحيز وان العلويات كالسفليات في القرب منه تعالى قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقال صلى الله عليه وسلم أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فعلم أن الشرع ماتبع العرف الا في حق ضعفاء العقول رحمة بهم (فان قلت) فاذن كل ما كان دنوا من حضرة الحق تعالى فهو عروج وان كان في السفليات (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثمانين وثلثمائة نعم لان الحق تعالى من حيث هو لايتقيد بالجهات (فان قلت) فالحكمة في اخباره تعالى لنا بأنه تعالى ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا مع انه تعالى لاتقبل ذاته النزول ولا الصعود (فالجواب) الحكمة في ذلك فتح باب تعليم التواضع لنا بالنزول الى مرتبة من هو تحت حكمنا وتصريفنا واعلاما لنا بأنه كما لايلزم من الاستواء اثبات المكان كذلك لايلزم من اثبات الفوقية اثبات الجهة وأيضا فان في اعلامه تعالى لنا بأنه ينزل الى سماء الدنيا فيقول هل من سائل هل من مريض هل من مستغفر ونحو ذلك الاذن لعباده في مسامرته بالسؤال وطلب النوال ومناجاته بالاذكار والاستغفار كما انه تعالى يسامرهم كذلك بقوله هل من سائل الى آخر النسق فيقول لهم ويقولون له ويسمعهم ويسمعونه من طريق الالهام كانهم في مجالس الخطاب ولله المثل الاعلى هذا معنى النزول عند أهل العقول انتهى واعلم يا أخي أن صفة الاستواء على العرش والنزول الى سماء الدنيا والفوقية للحق ونحو ذلك كله قديم والعرش وماحواه مخلوق محدث بالاجماع وقد كان تعالى موصوفا بالاستواء والنزول قبل خلق جميع المخلوقات كما انه لم يزل موصوفا بأنه خالق ورازق ولامخلوق ولامرزوق فكان قبل العرش يستوى على ماذا وقبل خلق السماء ينزل الى ماذا فانظر يا أخي بعقلك فما تتعقله في معنى الاستواء والنزول قبل خلق العرش والسماء فاعتقده بعد خلقهما وأنا أضرب لك مثلا في الخلق تعجز عن تعقله فضلا عن الخالق وذلك أن كل عرش تصورت وراءه خلاأوملا من جهاته الست فليس هو عرش الرحمن الذي وقع الاستواء عليه فلا يزال عقلك كلما تقف على شئ يقول لك فما وراءه فاذا قلت له خلاء يقول لك فما وراء الخلاء وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين فلا يتعقل العقل كيفية احاطة الحق تعالى للوجود أبدا فقد عجز العقل والله في تعقل مخلوق فكيف بالخالق وكل من ادعى العلم بالله تعالى على وجه الاحاطة به كذبناه وقلنا له ان كنت صادقا فتعقل لنا شيأ لم يخلقه الله تعالى فان الله تعالى خالق غير مخلوق باجماع جميع الملل وقول الشبلي ان الحق تعالى اذا حيطهم به أحاطوا به فرض محال لانه لم يبلغنا وقوعه لاحد وكيف تصح الاحاطة لمخلوق على الوجه المعقول في حق الخلق اللهم الا أن يريد الشبلي بالاحاطة الاحاطة بأنه لاتأخذه الاحاطة فلا بدع حينئذ كما بسطنا الكلام عليه في كتاب الاجوبة عما يتوهم في جناب الحق (فان قلت) فاذن الحق تعالى لايحيط هو بذاته لعدم تناهيها على حد ماتتعقله الخلق من الاحاطة والتناهى (فالجواب) نعم وهو كذلك كما أوضحه الشيخ في الباب التاسع والثمانين وثلثمائة فقال اعلم أن من القول المستهجن قول بعض النظار ان الحق تعالى لايحيط بنفسه لان وجوده تعالى لايتناهى ووجوده عين ماهيته ليس غيرها ومالايتناهى لايكون محاطا به الا أنه تعالى لايتناهى فقد أحاط تعالى علما بأنه لاتناهى له فضلا عن العالم قال الشيخ وهذا القول وان كان مستهجنا من حيث اللفظ فله وجه الى الصحة وذلك انه تعالى يعلم من ذاته انه لايقبل الاحاطة ولا التحيز لانتفاء البدء والنهاية ولمباينته لخلقه في سائر الاحكام قال وهذه المسئلة مزلة قدم فان غالب الناس اذا سمع أحدا يقول ان الحق لايحيط بذاته يبادر الى الانكار عليه ويقول بل هو محيط بها على وجه الاحاطة التي تتعقلها الخلق

* وقال في حديث الذى تصدق بصدقة فاخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه في هذا الحديث ان جوارح الانسان تعلم بالاشياء ولهذا وصفها الله تعالى بانها تشهد يوم القيامة بقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم فافهم ثم اعلم ان الخفاءها يكون على وجوه منها ان لايعلم بك من تصدقت عليه بان أعطيتها الشخص فاعطاها لذلك الفقير من غير أن يعلمه ومنها ان تعطى صدقتك لعامل السلطان فيعطيها للاصناف الثمانية فلا يعلم الفقير من رب ذلك المال الذى أخذه على التعيين فلم يكن لهذا المتصدق على الفقير منة ولا عزة نفس قال وليس في الاخفاء أخفى من هذا

* وقال في حديث مسلم أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولاتمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث اعلم أنه ينبغي لمن وصل الى هذا الحد وأراد أن يعطى أحدا شيأ فليحضر في نفسه أنه مؤد أمانة لصاحبها فيحشر مع الامناء المؤدين أماناتهم لامع المتصدقين لفوات محل الافضل والله أعلم

* وقال في حديث من شغله ذكرى عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين المراد بالافضل الذى أعطيه هذا هو العلم بالله فانه أفضل ما أعطى السائلون بيقين

وتعالى الله عن ذلك انتهى وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ عبد الكريم الجيلي في الباب الخامس والعشرين من كتابه المسمى بالانسان الكامل ولفظه اعلم أن ماهية الحق تعالى غير قابلة للادراك والغاية فليس لكماله تعالى غاية ولا نهاية فهو سبحانه يدرك ماهيته و يدرك أنه لا تدرك في حقه ولا حق غيره أعني يدركها بعد أن يدركها أنها لا تقبل البدء ولا النهاية فان نفى البدء والنهاية درجة من درجاته التي تميز تعالى عن العالم بها قال تعالى رفيع الدرجات ذو العرش كأنه تعالى يقول ليس لها نهاية في نفسي حتى يتعلق بها علمي قال وقولنا ان الحق تعالى يدرك ماهية ذاته وصفه له بالعلم والقدرة ونفى الجهل وقولنا و يدرك أنها لا تدرك نفى للتشبيه واثبات للتنزيه قال ومن هنا ينقدح لك الجواب عن قول الامام الغزالي رحمه الله ليس في الامكان أبدع مما كان أي لان كل ما كان من هيئات الممكنات وأحوالها قد تعلق به العلم القديم والعلم القديم لا يقبل زيادة أبدا فكذلك معلومه فصح أنه ليس في علم الحق أبدع من هذا العالم من حيث كونه في رتبة الحدوث لا يرقى قط لرتبة الخالق فلو خلق تعالى ما خلق أبد الآبدين لا يخرج عن رتبة الحدوث هذا مراد الغزالي رحمه الله انتهى (فان قلت) فاذا كانت ذات الحق تعالى تجل عن الاستواء والنزول الى الكرسي والى سماء الدنيا لكونه تعالى قديما وهذه الامور محدثة لها أول وآخر فما معنى قوله تعالى وكان عرشه على الماء مع أن في معنى الحديث كل شيء خلق من الماء فشمل العرش وما حواه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وثلثمائة أن على ههنا بمعنى في أي كان العرش في الماء بالقوة فان الماء أصل الموجودات كلها فهو لها كالهيولى لجميع ملك الله تعالى اذ هو عرش الحياة فعلم أن العرش هنا كناية عن جميع ملك الله تعالى وكان حرف وجودي أي الملك كله موجود في الماء (فان قلت) فما معنى حديث كان ربنا في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء فانه أثبت له صفة الفوق والتحت مع أن ما في الحديث نافية لا موصولة فليس فوق العماء الذي كان الحق تعالى فيه هواء ولا تحته هواء وذلك ليخالف مرتبة المحدثات فان العماء عند العرب هو السحاب الرقيق وكيف أجابه صلى الله عليه وسلم عما ذكر مع أن السائل انما قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق فما هذا العماء ان كان مخلوقا فالسؤال باق من السائل (فالجواب) أن جواب ذلك لا يذكر الا مشافهة لاهله لان الكتاب يقع في يد أهله وغير أهله والله أعلم (فان قلت) فاذا قلتم ان العرش لا وراءه لانه اسم لمجموع الكائنات فأين الخلاء الذي يكون فيه الحافون من حول العرش يوم القيامة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة أنه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش ولا بين الاستواء على العرش في عدم التعقل ويكفينا الايمان في مثل ذلك (فان قلت) فما وجه تسمية العرش بثلاثة أسماء عظيم وكريم ومجيد فهل هي مترادفة أم لا (فالجواب) أنها غير مترادفة فهو من حيث الاحاطة عظيم لكونه أعظم الاجسام ومن حيث انه أعطى ما فوقه لمن هو في حيطته وقبضته كريم ومن حيث نزاهته من أن يحيط به غيره من الاجسام فهو مجيد لشرفه على سائر الاجسام والله أعلم فهذا ما وجدته من الفتوحات المكية * وقد رأيت في كتاب سراج العقول للشيخ أبي طاهر القزويني رحمه الله كلاما نفيسا في مسئلة الاستواء على العرش وها أنا ملخص لك عيونه فأقول وبالله التوفيق قال في الباب الثالث من كتابه المذكور في قوله الرحمن على العرش استوى اعلم أن الله تعالى قد خلقنا من الارض في الارض وخلق فوقنا الهواء وخلق من فوق الهواء السموات والارض طبقا فوق طبق وخلق فوق السموات الكرسي وخلق فوق الكرسي العرش العظيم الذي هو أعظم المخلوقات ولم يبلغنا في كتاب ولا سنة أن الله تعالى خلق فوق العرش شيأ وأما ما جاء من ذكر السرادقات والشرفات والانوار فهو من جملة العرش وتوابعه فقوله جل جلاله الرحمن على العرش استوى أي استتم خلقه على العرش فلم يخلق خارج العرش شيأ وجميع ما خلق ويخلق دنيا وأخرى لا يخرج عن دائرة العرش لانه حاو لجميع الكائنات ومع ذلك فلا يزن في مقدوراته ذرة فأنى يكون مستقره قال وأولى ما يفسر القرآن بالقرآن قال تعالى ولما بلغ أشده واستوى أي استتم شبابه وقال تعالى كزرع أخرج شطأه

وأما غيره فهو على الثان * وقال انما ذكر الحق تعالى انه يأخذ الصدقات لينبه المتصدق فيعطي للفقير الاشياء النفيسة وذلك ان المنادي ينادي يوم القيامة أين ما أعطى لله فيؤتى بالكسر اليابسة والفلوس والخليع من الثياب ثم ينادي أين ما أعطى لغير وجه الله فيؤتى بالاموال الجسام والاطعمة النفيسة فيذوب الناس من الخجل * وقال كلما كبر جسم الطفل صغر عمره وكلما صغر جسمه كبر عمره فزيادته نقصه ونقصه زيادته فلا ينفك من اضافة الكبر والصغر اليه فانظر ما أعجب هذا التدبير الالهي * وقال في الباب الحادي والسبعين في أسرار الصوم انما قال تعالى الصوم لي غيرة الهية أن يتلبس العبد بصفته تعالى فان الصوم صفة صمدانية ولذلك ورد في الصوم أنه لا مثل له أي من العبادات وذلك لانه وصف سلبي اذ هو ترك المفطرات فلا عين له تتصف بالوجود الذي هو يعقل فهو على الحقيقة لا عبادة ولا عمل وان أطلق ذلك عليه فهو مجاز وان وصف العبد به فهو وصف مقيد لا طلاق ذلك عليه كالحق لان الحق منزه عن الغذاء مطلقا والعبد انما هو منزه عنه في وقت مخصوص وأطال في ذلك * وقال في حديث لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك لم يبلغنا ان الله تعالى أعطى أحدا من

فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه أى استتم ذلك الزرع وقوى واذا احتملت الآية أو الحديث وجها صحيحا سالما من الاشكال وجب المصير اليه ولكن النفوس تميل الى الخوض فى الشبهات وقد اختلف آراء السلف والخلف فى معنى آية الاستواء وذكروا فى تفسيرها كل رطب ويابس وضلت المشبهة بذلك حتى أداهم الى التصريح بالتجسيم واقتضى الامر بين الائمة الى التكفير والتضليل والضرب والشتم والقتل والنهب والالقاب الفاضحة ولله تعالى فى ذلك سر مع أن الآية عما فهموه بمعزل كما ذكرنا قال وايضاح ذلك أن الله تعالى ماذكر الاستواء على العرش فى جميع القرآن الا بعد ذكر خلق السموات والارض وذلك فى ستة مواضع (الاول) فى سورة الاعراف ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش (الثانى) فى سورة يونس ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر (الثالث) فى سورة طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى (الرابع) فى سورة الفرقان الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن (الخامس) فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولا شفيع (السادس) فى سورة الحديد هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض (والمعنى) فى هذه الآيات كلها ثم استوى الخلق على العرش أى استتم خلقه بالعرش فالخلق بعد العرش شيأ كما يقال استقر الملك على الامر الفلانى واستقر الامر على رأى القاضى أى ثبت وهو ماروى عن ابن عباس أنه قال استوى استقر اه وهو بمعنى استتم واستكمل قال وأصل الاستواء فى العربية المساواة قال تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقد جعل الله تعالى لكل شئ نهاية وكمالا فاذا بلغ حد الكمال قيل استوى ومنه استواء الشمس واستواء الميزان واذا تمكن الجالس على موضعه واستقر يقال استوى قال تعالى فاذا استويت أنت ومن معك على الفلك وقال لتستووا على ظهوره وقال فى ذكر السفينة واستوت على الجودى ولما أكمل الله تعالى خلق السموات والارض وأتمه قال فسواهن سبع سموات وقال فى تمام خلق آدم وتصويره فاذا سويته وقال ونفس وما سواها فعلى هذا الاصل يكون تفسير الاستواء فى الآيات السابقة بالمساواة أحق وأصدق وذلك كما يقال استوى أمر فلان أى استتم واستكمل قال ولما كان الفعل الماضى والمستقبل يدلان على المصدر جاز أن يخرج للمصدر المقدر فعل ظاهرا كان أو كناية فالظاهر نحو قولك ساومت زيدا متاعه فاستوى على العشرة أى استوى السوم والقيمة على العشرة والكناية نحو قوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه أى فى الجعل ومنه قول الشاعر * اذا نهى السفيه جرى اليه * أى الى السفه فلما دل لفظ السفيه على السفه أعاد الكناية اليه فكذلك حكم هذه الآيات قال ومثاله فى الكلام بنى زيد بيته فاستوى على السقف أى استوى بناؤه على السقف يعنى استقر البناء على سقفه واستتم به وكذلك معنى خلق السموات والارض فى الآيات كما يتراءى فاستقر الخلق على العرش واستتم به وما خلق فوقه شيأ (فان قيل) فما قولك فى قوله تعالى فى سورة طه الرحمن على العرش استوى وفى سورة الفرقان ثم استوى على العرش الرحمن فالجواب أن الشبهة انما وقعت فيهما من جهة النظام والا فالقصة فى جميع الآيات واحدة وللنظام طرق عجيبة فى القرآن فاما قوله فى طه تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى فان الرحمن تفسير وايضاح لقوله ممن أى هذا الخالق هو الرحمن ثم قال على العرش استوى أى استوى خلقه وفاعل استوى هو المصدر الذى يدل عليه لفظ خلق ويسمى ذلك بالضمير المستتر فوقع استوى فى آخر الآية لان مقاطع آيات هذه السورة على الالف المقصورة وأما قوله فى سورة الفرقان الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن ففيه تقديم وتأخير فى الآية تقديره الذى خلق السموات والارض والرحمن ثم استوى على العرش فالرحمن مبتدأ خبره مقدم عليه وذلك الخبر هو قوله الذى خلق كما تقول الذى جاءك زيد وقوله ثم

الخلق ادراك شم رائحة الخلوف كالمسك ولا سمعنا بذلك عن أحد ولا ذقناه فى نفوسنا بل المنقول عن الكمل من الناس والملائكة التأذى بالروائح الخبيثة قال ربما انفرد بادراكها أطيب من ريح المسك الا الحق تعالى على ان أفعل التفضيل فى جانب الحق محال لتساوى الروائح كلها عنده اذ اختلاف الروائح تابع للمزاج والحق منزه عن ذلك قال ولا أدرى هل الحيوان يدرك رائحة الخلوف متغيرة أم لا لانى ما أقامنى الحق تعالى فى صورة حيوان غير انسان كما أقامنى فى أوقات فى صور الملائكة فتأمله وحرره والله عليم حكيم وقال فى حديث يدع طعامه وشرابه من أجلى انما قدم الطعام على الشراب فى الذكر لان الطعام هو الاصل فى الغذاء وأما الشراب فيمكن تركه لان العطش من الشهوات الكاذبة فمن عود نفسه الامساك عن الماء وان عطشت أقام والله الشهور والسنين لا يشتهيه من غير تأثير فى المزاج ولا فى البدن وتقنع الطبيعة بما تستمد من الرطوبات التى فى الطعام وأطال فى ذلك الكلام على آداب الخلوة * وقال فى حديث اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين وجه مناسبة الصوم لفتح أبواب الجنان كون الصائم دخل فى

استوى على العرش اعتراض فى الكلام (والمعنى) كما قلنا استوى خلقه على العرش بمعنى استتم قال الشيخ أبو طاهر بعد كلام طويل هذا وكم ناظر فى كلامى يبادر الى ملامى ويقول انك ابتدعت للآية تفسيرا مخالفا لما قاله جمهور السلف والخلف وفى مخالفتهم خرق للاجماع وانى والله أعذره فى ذلك فان الفطام عن المعهود شديد والنزول عما تلقاه الفتى من آبائه وشيوخه صعب جدا حقا كان أو باطلا والذى أقوله ان الذى ذكرناه محتمل صحيح واضح وان سماه بعضهم بدعة فكم من بدعة مستحسنة وأطال فى ذلك ثم قال وبالجملة فالعرش أعظم العوالم كلها والحق تعالى فوقه بالرتبة وذلك أننا اذا تأملنا ما فوقنا رأينا الهواء واذا تأملنا فوق الهواء رأينا سماء فوق سماء بعلو بنائم اذا ارتقينا أوهامنا من السموات السبع رأينا الكرسى واذا ارتقينا من الكرسى رأينا العرش الذى هو منتهى المخلوقات التى هى بجملتها تدل على الخالق جل جلاله ثم اذا اندرجنا بالفكر من العرش الذى هو نهاية المخلوقات لم نزل نفكر مرقاة البتة فيقف الفكر هنالك لان مطار الفكر ينتهى بانتهاء الاجسام فترى اذ ذاك بقلوبنا وعقولنا الرحمن فوق العرش من حيث الرتبة اذ رتبة الخالق فوق رتبة المخلوقات فهو تعالى فوق العرش فوقية تباين فوقية العرش على الكرسى لان فوقية العرش على الكرسى لا تكون الا بالجهة والمكان بخلاف فوقية الرب على العرش فانها بالرتبة والمكانة دون المكان اه والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن عشر فى بيان أن عدم التأويل لآيات الصفات أولى كما جرى عليه السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم الا ان خيف من عدم التأويل محذور كما سيأتى بسطه ان شاء الله تعالى)

ولنبدأ بكلام الاصوليين ثم نعقبه بكلام الشيخ محيي الدين فنقول وبالله التوفيق قال جمهور المتكلمين وما صح فى الكتاب والسنة من آيات الصفات وأخبارها نعتقد ظاهر المعنى منه وننزه عند سماع المشكل منه كما فى قوله تعالى الرحمن على العرش استوى ويبقى وجه ربك ولتصنع على عينى ويد الله فوق أيديهم ونحو ذلك ثم اختلفوا اهل نؤول المشكل أم نفوض علم معناه المراد الى الله تعالى مع تنزيهنا له عن ظاهر اللفظ حال تفويضنا فمذهب السلف التسليم ومذهب الخلف التأويل ثم انهم اتفقوا سلفا وخلفا على أن جهلنا بتفصيل ذلك لا يقدح فى اعتقادنا المراد منه مجملا قالوا والتفويض أسلم والتأويل الى الخطا أقرب مع ما فى التأويل من فوات كمال الايمان بآيات الصفات لان الله تعالى ما أمرنا أن نؤمن الا بعين اللفظ الذى أنزله لا بما أولناه بعقولنا فقد لا يكون ذلك التأويل الذى أولناه مرضاه الله تعالى مع أن من يريد تأويل آيات الصفات يحتاج الى علوم كثيرة قل ان تجتمع فى شخص من أهل هذا الزمان وهى التبحر فى معرفة لغة العرب من جميع القبائل والغوص فى معرفة مجازاتهم واستعاراتهم ومعرفة أماكن التأويل وتمييزه عن الخطا وغير ذلك من التبحر فى علوم تفسير القرآن وشروح الاحاديث ومذاهب السلف والخلف فى سائر الاحكام قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف فى حاشيته وانما شرطوا التنزيه حال التفويض لينبهوا على اتفاق السلف والخلف على التنزيه عن ظاهر اللفظ على حد ما تتعقله الناس لكون حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق فلا يجوز حمل صفات الحق تعالى على ما يتعقل من صفات الخلق قال وقولهم وما صح فى الكتاب والسنة من الصفات الى آخره فيه تنبيه على ان الصفات الواردة فى الكتاب والسنة غير منحصرة فى الصفات الثمانية المشهورة فقد ورد فى الكتاب والسنة صفات سوى ذلك وفيه أيضا بيان للقاعدة الشاملة لحكم الجميع وهى اعتقاد ظاهر المعنى والتفويض فى المشكل المعنى (وأما كلام الشيخ محيي الدين فى ذلك) فكله مائل الى التسليم وعدم التأويل الا ان خفنا على انسان وقوعه فى محذور واذا لم نؤول ذلك له فيتعين حينئذ التأويل كما فتح لنا الحق تعالى باب التأويل للضعفاء بقوله فى حديث مسلم وغيره مرضت فلم تعدنى فان العبد لما توقف فى ذلك وقال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال له الحق تعالى أما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما انك لو عدته لوجدتنى عنده الى آخر

تحل مستور وليس له عين وجودية كما مر أول الباب فظاهر للبصر ولا وجود بعمل للجوارح على ما مر والجنة مأخوذة من الستر والخفاء وأما وجه مناسبة غلق أبواب النار للصائم فان النار اذا غلقت أبوابها تضاعف حرها وأكل بعضها بعضا وكذلك الصائم اذا صام غلق أبواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة زائدة لعدم استعمال المرطبات ووجد ألم ذلك فى باطنه فقويت نار شهوته بغلق باب تناول الاطعمة والاشربة وصفدت الشياطين التى هى صفات البعد عن الله لقربه حينئذ من الصفة الصمدانية وأطال فى ذلك *وقال الذى أقول به وهو مذهب ابن الشخير أيضا اذا غم علينا شهر رمضان أن لا نعمل باكبر المقدارين وانما نسأل أهل التسيير عن منزلة القمر فان كان على درج الرؤية وغم علينا عملنا عليه وان كان على غير درج الرؤية كملنا العدة ثلاثين *وقال وجه من قال بكراهة الصوم مع الجنابة ان الصوم يوجب القرب من صفات الله والجنابة بعد عن حضرته فكما لا يجتمع القرب والبعد كذلك لا يجتمع الصوم والجنابة ووجه من قال بعدم الكراهة انه راعى حكم الطبيعة *وقال الصوم نسبة الهية فاثبت كل أمر فى موضعه *وقال فى الكلام على كفارة الجماع قال بعضهم

النسق * وذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والسبعين ومائة جواز التأويل للعاجز وقال في الباب الثامن والستين عقب الكلام على الاذان من الفتوحات يجب على كل عاقل ستر السر الالهي الذي اذا كشف أدى عنه من ليس بعالم ولا عاقل الى عدم احترام الجناب الالهي الاعز الاحمى فيجب التأويل لمثل هذا اه وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول أسلم العقائد الايمان بما أنزل الله على مراد الله اذ الحق تعالى ما كلفنا أن نعلم حقيقة نسبة الصفات اليه لعلمه بعجزنا عن ذلك فان حقيقته تعالى مباينة لجميع صفات خلقه وحقائقهم ذكره في الباب الخامس وأربعمائة * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول قطاع طريق السفر بالكفر في المعقولات الشبه القادحة في الايمان وقطاع طريق السفر في المشروعات التأويل اه * وسمعته رحمه الله يقول أيضا ما ثم في الكون كلام الا وهو يقبل التأويل قال تعالى ولنعلمه من تأويل الاحاديث ثم ان من التأويل ما يكون موافقا المراد المتكلم ومنه ما يكون مخالفا المراد المتكلم فعلم أنه ما ثم كلام الا وهو قابل للتعبير عنه ثم لا يلزمنا افهام كل من لا يفهم اه ويؤيد ذلك قول الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والثمانين وثلثمائة لا يخرج أحد من أهل الفكر من التوقف في معنى آيات الصفات ما دام في قيد العقل فاذا اطلع الله تعالى عليه من علمه أعلمه تعالى من طريق الالهام بمراده من تلك الآية أو الحديث قال ثم ان من رحمة الله تعالى انه غفر للمؤولين من أهل ذلك اللسان اذا أخطؤا في تأويلهم فيما يلفظ به رسولهم من تشريع الله أو تشريع رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن الله اه وقال الشيخ في لواقح الانوار اعلم ان الغلط ما دخل على الفلاسفة الا من تأويلهم وذلك انهم أخذوا العلم من شريعة ادريس عليه الصلاة والسلام فأولوا ما بلغهم من كلامه لما رفع فاختلفوا كما اختلفنا نحن في كلام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فأحل هذا العالم ما حرم العالم الآخر قال الشيخ وما علمت الخطأ الا من ادريس عليه الصلاة والسلام حين اجتمعت به في واقعة من الوقائع فأخذت علمه عنه على وجه الحق اه وقال أيضا في باب الاسرار اياك والتأويل فانك لا تظفر بطائل ومتعلق الايمان انما هو بما أنزل الله من الالفاظ لا بما أوله عقلك آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى آخره * وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم المراد باقامة التوراة عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعد ما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والعمل فيه بفكره فقد أقامه فان الفكر غير معصوم من الغلط اه * وقال في الباب الخامس عشر وثلثمائة اعلم ان من الادب عدم تأويل آيات الصفات ووجوب الايمان بها مع عدم التكييف كما جاءت فانا لا ندري اذا أولنا على ذلك التأويل مراد الله بما قاله فنعتمد عليه أم ليس هو بمراده فيرده علينا فلهذا التزمنا التسليم في كل ما لم يكن عندنا فيه علم من الله تعالى فاذا قيل لنا كيف يعجب ربنا أو كيف يفرح مثلا قلنا انا مؤمنون بما جاء من عند الله على مراد الله وانا مؤمنون بما جاء من عند رسول الله على مراد رسول الله ونكل علم الكيف في ذلك كله الى الله والى رسوله قال وقد تكون الرسل أيضا بالنسبة الى ما يأتيهم من الله تعالى من ذلك الامر مثلنا فيرد عليهم هذه الاخبارات من الله تعالى فيسلمون علمها الى الله تعالى كما سلمناه ولا تعرف تأويله هذا الا بعد وقد تعرف تأويله بتأويل الله تعالى بأي وجه كان هذا أيضا الا بعد قال وهذه كانت طريقة السلف جعلنا الله تعالى لهم خلفا آمين اه على ان الشيخ رحمه الله تعالى قد خرج على عقيدة من يقول نؤمن بهذا اللفظ من غير ان نعقل له معنى في الباب الخامس وأربعمائة فقال من آمن باللفظ من غير أن يعقل له معنى وقال نجعل نفوسنا في الايمان به حكم من لم يسمع به ونبقى على ما أعطانا دليل العقل من احالة مفهوم هذا الظاهر من هذا القول فهؤلاء متحكمون على الشارع بحسن عبارة في جعلهم نفوسهم حكم من لم يسمع الخطاب قال ومن هؤلاء طائفة تقول أيضا نؤمن بهذا اللفظ على علم الله فيه وعلم رسوله فلسان حال هؤلاء يقول ان الله تعالى قد خاطبنا بما لا نفهم فجعلوا ذلك كالعبث والله تعالى يقول وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم وقد جاء بهذا

الذي يترجح في خصال الكفارة ما كان أشق على النفس لان المقصود بالحدود والعقوبات انما هو الزجر قال الشيخ والذي أقول به انه يفعل الاهون من الكفارة لان الدين يسر ولكن ان فعل الاشق من قبل نفسه كان حسنا لان كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ولا رسوله وانما اقتضاه النظر الفكري وقد يصيب في ذلك وقد يخطئ وبعض الكبائر لم يشرع فيها حد مطلقا فلو كانت الحدود زواجر لكانت العقوبة تزيد بحسب كثرة الضرر في العالم * وقال الذي أقول به انه لا كفارة على المرأة اذا طاوعت زوجها في الجماع في الصوم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتعرض للمرأة في حديث الاعرابي ولا سأل عن ذلك ولا ينبغي للمؤمن ان يشرع شيئا فيما سكت عنه الشارع (وقال) الذي أقول به ان العارف اذا كشف له أنه يمرض غدا فلا يجوز له المبادرة الى الفطر في ذلك اليوم حتى يتلبس بالسبب لان الله تعالى ما شرع له الفطر الا حال المرض قال ونظير ذلك من كشف له عما يقع فيه من المعاصي ولا بد فلا ينبغي له المبادرة ولو علم أن الله تعالى لا يؤاخذه لان الله قد راعى حكم الشرع في الظاهر على ان هذا الامر ليس عندنا بواقع أصلا وان كان جائزا عقلا وأطال في ذلك

فقد أبان صلى الله عليه وسلم لنا كما أمر الله تعالى (قال) وأخبث الخائضين في الصفات بغير علم من طعن في
الرسل وجعلهم في ذلك تحت حكم الخيال والاوهام (ويليهم) من قال ان الرسل أعلم الناس بالله لكنهم
تنزلوا في الخطاب على قدر أفهام الناس لا على ما هو الامر عليه في نفسه فانه محال فلسان حال هؤلاء كالمكذب
للرسل فيما نسبوه الى ربهم بحسن عبارة كما يقوله الانسان اذا أراد أن يتأدب مع شخص يحدث بحديث
لا يعتقد السامع صدقه فلا يقول له كذبت وانما يقول له يصدق سيدي فيما قال ولكن ليس الامر كما ذكرتم
وانما صورة الامر كذا وكذا فهو يكذبه ويجهله بحسن عبارة (ويليهم) في ذلك من قال لا نقول بالتنزل
في العبارة الى افهام الناس وانما المراد بهذا اللفظ كذا وكذا دون ما يفهمه العامة قال وهذا أمر موجود في
اللسان الذي جاء به الرسول فهذا أشبه حالا ممن تقدم الا انهم متحكمون في ذلك على الله تعالى بما لم يحكم به
على نفسه انتهى ما ذكره في الباب الخامس وأربعمائة * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة عليك يا أخي
بالتسليم لكل ما جاءك من آيات الصفات وأخبارها فان أكثر المؤولين هالكون وأخف الطرائق حالا من
قال لا نشك في صدق رسولنا ولكنا أتانا في نعت الله الذي أرسله الينا بأمور ان وقفنا عند ظاهرها وحملناها
على ربنا كما نحملها على نفوسنا أدى ذلك الى حدوثه وزال كونه الها علينا وقد ثبت كونه تعالى الها عندنا فننظر
هل لذلك مصرف في اللسان فان الرسول انما أرسل بلسان قومه وما تواطؤا عليه فنظروا فأداهم ذلك الى تنزيه
الحق تعالى عما وصف به نفسه فاذا قيل لهم ما دعاكم الى ذلك قالوا دعانا الى ذلك أمران الاول القدح في الادلة
فانا بالادلة أثبتنا صدق دعواه فلا نقول ما يقدح في الادلة العقلية فان في ذلك قدحا في الادلة على صدقه (الامر
الثاني) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ان الله الذي أرسله ليس كمثله شيء فوافق ذلك الادلة العقلية
فتقوى صدقه عندنا بمثل هذا فان قبلنا مثل ما قاله في الله على ظاهره ضللنا عن طريق الحق فلذلك أخذنا
في التأويل انتهى ما قاله الطرفين اه وهو كلام نفيس * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة اعلم ان الخير
كله في الايمان بما أنزل الله والشر كله في التأويل فمن أول فقد جرح ايمانه وان وافق العلم وما كان ينبغي
له ذلك وفي الحديث كذبني عبدي ولم يكن ينبغي له ذلك فلابد أن يسأل كل مؤول عما أوله يوم القيامة ويقول
له كيف أضيف الى نفسي شيأ فتنزهني عنه وترجح عقلك على ايمانك وترجح نظرك على علم ربك فاحذر يا أخي
ان تنزه ربك عن أمر أضافه الى نفسه على ألسنة رسله كائنا ما كان ولا تنزهه بعقلك بمجرد الجملة واحدة فقد
نصحتك فان الادلة العقلية كثيرة التنافر للادلة الشرعية في الالهيات وأطال في ذلك بذكر نفائس سابقة ولاحقة
فراجعه ترى العجب وقد رميت بك على الطريق والله تعالى أعلم * وقال في الباب الرابع ومائتين اعلم ان من
يقول بالتنزل للعقول في أخبار الصفات محجوب عن معرفة الحقائق فان العبودية لو زاحمت الربوبية لبطلت
الحقائق فان العبد ما تحلى الا بما هو له ولا ظهر الحق الا بما هو له لا من صفات التنزيه ولا من صفات التشبيه كل
ذلك له تعالى ولو لم يكن الامر كذلك لكان ما وصف تعالى به نفسه كذبا وتعالى الله عن ذلك بل هو تعالى ما وصف
به نفسه من العزة والكبرياء والجبروت والعظمة ونفي المماثلة وهو أيضا كما وصف نفسه من النسيان والمكر
والخدع والكيد وغير ذلك فالكل صفة كمال في حقه تعالى فهو موصوف بها كما يليق بجلاله تعالى فما قال
بالتنزل الا من لا معرفة له بالحقائق قال وكذلك كنا لولا أن من الله تعالى علينا بالبيان فتعين علينا ان نبين للخلق
ما بينه الحق تعالى لنا ولا يحل لنا كتمه الا بعذر شرعي اه * وقال في الباب الثامن والخمسين من الفتوحات
اعلم ان من أعجب الامور عندنا كون الانسان يقلد فكره ونظره وهما محدثان مثله وقوة من القوى التي
جعلها الحق تعالى خديمة للعقل وهو يعلم مع ذلك كونها لا تتعدى مرتبتها في العجز عن أن يكون لها حكم قوة
أخرى كالقوة الحافظة والمصورة والمخيلة ثم انه مع معرفته بهذا القصور كله يقلد قواها العاجزة في معرفة ربه
ولا يقلد ربه فيما يخبر به عن نفسه في كتابه وسنة نبيه فهذا من أعجب ما طرأ في العالم من الغلط وكل صاحب
فكر وتأويل فهو تحت هذا الغلط بلا شك فانظر يا أخي ما أفقر العقل وما أعجزه حيث لا يعرف شيأ مما

*وقال انما كان صلى الله عليه وسلم يقدم الرطب على التمر اذا أفطر في رمضان لان الرطب أحدث عهدا بربه كما قال ذلك حين اغتسل في المطر * وقال السحر ما بين الفجر الصادق والكاذب لانه له وجه الى النهار ووجه الى الليل ولذلك كان السحور مشتقا من السحر فلا يسمى سحورا الا ما كان في هذا الوقت (وقال) الذي أقول به ان المفطر من صوم التطوع ان كان لهوى نفسه فعليه القضاء وان كان لشغله بمقام أوصال فلا قضاء عليه * وقال في حديث مسلم صوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله أي فلا يؤاخذ من صامه بشيء مما جناه في السنة كلها وانما قال احتسب على الله مع أنه على علم من الله أنه يكفر ذلك أدبا مع الله لان العارف اذا قال أحتسب على الله لا يريد بها حسن الظن بالله فقط وانما يقولها عن تحقيق كما قال صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون فاستثنى في أمر مقطوع به فالاستثناء في نحو ذلك أدب الهي والله أعلم *وقال في حديث وأتبعه بست من شوال اعلم ان هذه الايام بدل من الستة أيام التي نهي عن صيامها وهي يوما العيد وثلاثة أيام التشريق ويوم الشك قال وأما حديث اذا انتصف شعبان فلا تصوموا فلان في ليلة النصف من شعبان

ذكرناه الا بواسطة القوى المذكورة وفيها من العلل والقصور ما فيها ثم انه اذا حصل شيأ من هذه الامور بهذه الطرق يتوقف فى قبول ما أخبر الله به عن نفسه و يقول ان الفكر يرده فيقلد فكره و يزكيه و يجرح شرع ربه وأطال فى ذلك ثم قال و بالجملة فليس عند العقل شئ من حيث نفسه واذا كان كذلك فقبوله ما صح عن ربه وأخبر به عن نفسه أولى من قبوله من فكره بعد أن علم ان فكره مقلد لخياله وخياله مقلد لحواسه اه *
وقال فى الباب الثالث من الفتوحات اعلم أن جميع ما وصف الحق تعالى به نفسه من خلق واحياء واماتة ومنع واعطاء ومكر واستهزاء وكيد وفرح وتعجب وغضب ورضا وضحك وتبشبش وقدم ويد ويدين وأيد وعين وأعين وغير ذلك كله نعت صحيح لربنا فاننا ما وصفناه به من عند أنفسنا وانما هو تعالى هو الذى وصف بذلك نفسه على ألسنة رسله قبل وجودنا وهو تعالى الصادق وهم الصادقون بالادلة العقلية ولكن ذلك على حد ما يعلمه سبحانه وتعالى وعلى حد ما تقبله ذاته وما يليق بجلاله لا يجوز لنا رد شئ من ذلك ولا تكييفه ولا نقول بنسبته الى الله الاعلى غير الوجه الذى ينسبه الينا ونعوذ بالله أن نضيف ذلك الى الله على حد علمنا نحن به فانا جاهلون بذاته فى هذه الدار وفى الآخرة لا ندرى كيف الحال وكل من رد شيأ مما أثبته الحق تعالى لنفسه على ألسنة رسله فقد كفر بما جاء من عند الله وكل من آمن ببعض وكفر ببعض فهو كذلك ومن آمن بذلك ولكن نسبه له تعالى فى نسبته ذلك اليه مثل نسبته الينا أو توهم ذلك أو خطر على باله أو تصوره أو جعل ذلك ممكنا فقد جهل وما كفر قال وهذا هو العقد الصحيح انتهى * وقال فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان جميع المشاهدين للحق تعالى لا يخرجون عن هاتين النسبتين وهما نسبة التنزيه لله تعالى ونسبة التنزل للخيال بضرب من التشبيه فأما نسبة التنزيه فهى تجليه تعالى فى نحو ليس كمثله شئ وأما نسبة التنزل للخيال فهى تجليه فى قوله تعالى وهو السميع البصير وفى نحو قوله فى الحديث اعبد الله كأنك تراه وقوله فأينما تولوا فثم وجه الله وان الله فى قبلة أحدكم وفى وثم ظرف ووجه الله ذاته وحقيقته قال وجميع الاحاديث والآيات الواردة بالالفاظ التى تنطلق على المخلوقات باستصحاب معانيها اياها ولا استصحاب معانيها اياها المفهومة من الاصطلاح ما وقعت الفائدة بذلك عند المخاطبين بها ما يخالف ذلك اللسان الذى نزل به هذا التعريف الالهى قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم يعنى يبين لهم بلغتهم ما هو الامر عليه ولم يشرح لنا الرسول المبعوث بهذه الالفاظ هذه الالفاظ بشرح يخالف ما وقع عليه الاصطلاح فنسب تلك المعانى المفهومة من تلك الالفاظ الى الحق جل وعلا كما نسبها الى نفسه ولا نحكم فى شرحها بمعان لا يفهمها أهل ذلك اللسان الذين نزلت هذه الالفاظ بلغتهم فنكون من الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ومن الذين يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بخلافهم فيجب علينا أن نقر بالجهل بمعرفة كيفية النسبة قال وهذا هو اعتقاد السلف قاطبة لا نعلم لهم مخالفا وأطال فى ذلك ثم قال وقد ورد فى القرآن قوله تعالى فى آدم لما خلقت بيدى ومعلوم انه لا يسوغ هنا حمل اليدين على القدرة لوجود التثنية ولا على أن تكون الواحدة يد النعمة والاخرى يد القدرة لان ذلك سائغ فى كل موجود والآية انما جاءت تشريفا لآدم على ابليس ولا شرف لآدم بهذا التأويل فلابد أن يكون لليدى معنى خلاف ما ذكرناه مما يعطى التشريف ولا نعلم أن اليدين الا هاتين النسبتين اللتين هما نسبة التنزيه ونسبة التنزل للخيال كما فى قوله فى الحديث فلما خلق تعالى الكرسى تدلت اليه القدمان ولا يعلم القدمان الا الامر والنهى اللذين هما مظهر اهل الجنة والنار فافهم فلهاتين النسبتين اللتين ذكرناهما خرج بنو آدم لما توجهت عليهم هاتان النسبتان على ثلاثة أقسام كامل وهو الجامع بين النسبتين وواقف مع دليل فكره أو نظره خاصة ومشبه بما أعطاه اللفظ الوارد ولا رابع لهؤلاء من المؤمنين فمن قال بالتنزيه فقط ورد التنزل للعقول فقد انحرف عن طريق الكمال وكذلك من قال بالتشبيه وحده دون التنزيه فنسأل الله ان يحفظنا من انحراف المتكلمين ومن انحراف المجسمين آمين اه * وقال فى الباب السابع والسبعين وثلثمائة اعلم انه يجب الايمان بآيات الصفات وأخبارها على كل مكلف قال وقد أخبر الله تعالى عن نفسه

يكتب الله لملك الموت فيها من يقبض روحه فى تلك السنة فيخط على اسم الشقى خطا أسود وعلى اسم السعيد خطا أبيض فيعرف ملك الموت بذلك السعيد من الشقى فكان الموت بعد هذه الليلة للمؤمن مشهودا حتى كأنه يحتضر سكران فنهاه الشارع عن الصوم رفقا به ورحمة انتهى فليتأمل ويحرر * وقال دليل من أباح الصوم أيام التشريق قوله صلى الله عليه وسلم لا يصح صوم يومين يوم عيد الفطر ويوم الاضحى قال لان الخطاب يقتضى ان ما عدا هذين اليومين يصح الصيام فيهما والا كان تخصيصهما عبثا * وقال من كان فى مقام السلوك ودعى الى طعام أو شراب وهو صائم فلا ينبغى له الفطر لئلا يعود نفسه نقض العهد مع الله بخلاف العارف الكامل له الفطر بلا كراهة لاحكامه رياضة نفسه * وقال كان داود يصوم يوما ويفطر يوما وكانت مريم تصوم يومين وتفطر يوما لانها رأت ان للرجال عليها درجة فقالت عسى يكون هذا اليوم الثانى من الصوم فى مقابلة تلك الدرجة وكذلك كان فان النبى صلى الله عليه وسلم شهد لها بالكمال كما شهد للرجال وذلك انها لما رأت أن شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد قالت صوم اليومين بمنزلة اليوم الواحد من الرجل فنالت مقام داود فى ذلك

على ألسنة رسله أن له يدا و يدين وأصبعا وأصبعين وأصابع وعينا وعينين وأعينا ومعية وضحكا وفرحا
وتعجبا وإتيانا ومجيئا واستواء على العرش ونزولا منه الى الكرسي والى سماء الدنيا وأخبر أنه له بصرا وعلما
وكلاما وصوتا وأمثال ذلك من نحو الهرولة والحد والمقدار والرضا والغضب والفراغ والقدم قال وهذا
كله معقول المعنى مجهول النسبة الى الله تعالى يجب الايمان به لانه حكم حكم به الحق على نفسه فهو أولى مما
حكم به مخلوق وهو العقل وما جنح صاحب العقل الى التأويل الا لينصر جانب العقل والفكر على جانب
الايمان فانه ما أول حتى توقف عقله في القبول فكأنه في حال تصديقه لله غير مصدق له انتهى * وقال الشيخ
في كتابه لواقح الانوار اعلم انه ليس عند أهل الكشف في كلام العرب مجاز أصلا انما هو حقيقة وذلك انهم
وضعوا ألفاظهم حقيقة لما وضعوها له فوضعوا يد القدرة للقدرة ويد الجارحة للجارحة ويد المعروف
للمعروف وهكذا ومن ادعى انهم تجوزوا في ذلك فعليه الدليل ولا سبيل له اليه ولما قالوا فلان أسد وضعوا
هذا حقيقة في اسمائهم أن كل شجاع يسمى أسدا فوضعوا هذا الاطلاق حقيقة لا مجازا ومن هنا يعلم العاقل أن
كل ما جاء في الكتاب والسنة من ذكر اليد والعين والجنب ونحو ذلك لا يقضي بالتشبيه في شئ اذ التشبيه
انما يكون بلفظ المثل أو كاف الصفة وما عدا هذين الامرين انما هو ألفاظ اشتراك فننسبها حينئذ في جاءت
الى كل ذات بما تعطيه حقيقة تلك الذات اه * وقال في الباب الثاني من الفتوحات اعلم ان كل ما جاء
في الكتاب والسنة مما يوهم ظاهره التشبيه ليس هو على بابه وانما ذلك تنزل لعقول العرب الذين جاء القرآن
على لغتهم وذلك مثل قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فان ملوك العرب كان عندها المكرم
المقرب يجلس منهم على هذا الحد فعقلت بذلك قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل ولا تبالي بما
فهمت من ذلك سوى القرب * وقال في الباب الثالث منها أيضا اعلم انه ما ضل من ضل من المشبهة الا
بالتأويل على حسب ما يسبق الى الافهام من غير نظر فيما يجب لله عز وجل من التنزيه فقادهم ذلك الى
الجهل الصريح ولو انهم طلبوا السلامة وتركوا الآيات والاخبار على ما جاءت من غير عدول منهم فيها الى شئ
البتة ووكلوا علم ذلك الى الله ورسوله لافلحوا وكان يكفيهم ليس كمثله شئ فاذا جاءهم حديث ظاهر التشبيه قالوا
ان الله تعالى قد نفى عن نفسه التشبيه بليس كمثله شئ فما بقي الا أن لذلك الخبر وجها من وجوه التنزيه وجيء
بذلك لفهم العربي الذي نزل القرآن بلسانه على انك لا تجد لفظة في كتاب ولا سنة تكون نصا في التشبيه
أبدا وانما تجدها عند العرب تحتمل وجوها منها ما يؤدي ظاهره الى توهم التشبيه ومنها ما يؤدي الى التنزيه
فحمل المتأول ذلك اللفظ على الوجه الذي يؤدي الى التشبيه ثم انه يأخذ بعد ذلك في تأويله جورا على ذلك
اللفظ اذ لم يوفه حقه بما يعطيه وضعه في اللسان مع ما في ذلك أيضا من التعدي على صفات الله تعالى حيث حمل
عليه ما لا يليق بجلاله قال ونحن نورد لك بعض أحاديث وردت يعطي ظاهرها التشبيه وليست بنص فيه لتقيس
عليها ما لم أذكره لك * فمن ذلك حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن نظر العقل بما يقتضيه
الوضع من الحقيقة والمجاز فوجد الاصبع لفظا مشتركا يطلق على الجارحة وعلى النعمة تقول العرب ما أحسن
أصبع فلان على ماله فاذا كان الاصبع يطلق على الجارحة وعلى النعمة والاثر الحسن فبأي وجه نحمل
الاصبع على الجارحة كأنه نص في ذلك ونترك وجها للتنزيه فاما أن العبد يؤول ذلك على ما يليق بالتنزيه
واما أن يسكت ويكل علم ذلك الى الله والى من عرفه الحق ذلك من نبي أو ولي ملهم لكن بشرط نفي الجارحة
ولا بد اللهم الا أن يقوم لنا بدعي فلا يحل لنا السكوت بل يجب علينا أن نبين ما يحتمله ذلك اللفظ من التنزيه
حتى ندحض حجته كما يقع لنا مع القائلين بالتجسيم فعلم ان معنى الحديث على مذهب أهل الحق من هذا التقرير
قلب المؤمن بين نعمتين من نعم الرحمن وهما نعمة الاعداد ونعمة الامداد والله أعلم * ومن ذلك القبضة واليمين
في قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه نظر العقل بما يقتضيه الوضع فعرف
من وضع اللسان العربي أن معنى الآية أن الوجود كله في قبضته يعني تحت تصريفه كما يقال فلان في قبضة يدي

وساوقه في الفضيلة وأطال
في الكلام على صوم ولدها
عيسى عليه السلام الدهر كله
* وقال في حديث من فطر
صائما فله مثل أجره أي أجر
فطره لا أجر صومه لان الصائم
له أجر في فطره كما كان له في
صومه اذا افطر عند الغروب
من تمام الصوم ومن أعان
شخصا على عمل كان مشاركا له
فيما يؤدي اليه ذلك العمل
من الخير مشاركة لا توجب
نقصا كما كان كل نبي يعطى أجر
الامة التي بعث اليها سواء
آمنوا به أو كفروا وأطال في
ذلك * وقال في حديث كان
صلى الله عليه وسلم اذا دخل
العشر الآخر من رمضان
أحيا الليل وأيقظ أهله المراد
احياؤه بالصلاة فيه هذا هو
المعروف من قيام الليل في
العرف الشرعي * وقال الذي
أقول به ان ليلة القدر تدور
في السنة كلها فاني رأيتها
في شعبان وفي شهر ربيع وفي
شهر رمضان ولكن أكثر
ما رأيتها في رمضان وفي العشر
الآخر منه ورأيتها مرة في
العشر الاوسط منه في غير
ليلة وتر وفي الوتر منها فانا على
يقين من أنها تدور في السنة
في وتر وشفع من الشهر الذي
ترى فيه قال ولم ينقل الينا أن
احدا رأى ليلة القدر في العشر
الاول من رمضان أبدا وذلك
لانها ليلة تجلي الهي ولم يرد
لنا حديث في ان الحق تعالى
يتجلى لنا في الثلث الاول من
الليل أبدا (قلت) ورد أن الله

يريد

يريد أنه تحت حكمي وليس في يد جارحة منه شيء البتة وإنما أمره وحكمه ماض فيه لا غير مثل حكمه على ما ملكته يده حسا وقبضت عليه فلما استحالت الجارحة على الله تعالى عدل العقل إلى روح القبضة ومعناها وفائدتها وهو أن عالم الدنيا والآخرة في قبضة تصريف الحق تعالى وأما قوله بيمينه فإنما ذكر هالان اليمين محل التصريف المطلق القوي إذا اليسار لا تقوى في العادة قوة اليمين فكنى باليمين عن التمكن من الطي فهو إشارة إلى تمكن القدرة من الفعل فوصل المعنى إلى أفهام العرب بألفاظ يعرفونها وتسارع قلوبهم إلى التلقي لها بالقبول والله أعلم * ومن ذلك التعجب والضحك والفرح والغضب نظر العقل فرأى التعجب لا يقع الا من موجود ورد على المتعجب لم يكن له به علم قبل ذلك وهنالك يحصل له التعجب منه وكذلك القول في الضحك والفرح ومعلوم أن ذلك محال على الله لانه هو الخالق لذلك الامر الذي أخبر أنه يتعجب منه أو يضحك لاجله أو يفرح له فرجع المعنى إلى ان مثل ذلك اعتاه وتنزل للعقول ليظهر لاصحابها شرف صاحب تلك الصفة التي وقع التعجب منها كما في حديث يعجب ربنا من شاب ليس له صبوة أي لا يقع في الزنا مثلا مع ثوران شهوته قال ويصح حمل الفرح والرضا والضحك على القبول لذلك الامر فإن حمل ذلك في جانب الحق كما هو في حق الخلق محال وأما الغضب فهو كناية عن وقوع ذلك العبد الذي غضب الحق عليه في النهي وذلك ليعرف العبد أن الانتقام يعقب الغضب اذهو أثره فيخاف العبد ويستغفر ربه ويتوب من ذلك الامر الذي وقع فيه وقال بعضهم المراد بالغضب الالهي هو اقامة الحدود والتعزيرات على العباد في هذه الدار ولا يصح حمله على ما يتبادر إلى الاذهان فإن ذلك محال على الحق فإنه خالق لأفعال عباده فكيف يقع منهم فعل على غير مراده حتى يغضب عليهم وأما الغضب الاخروي فيكون على أهل النار خاصة أما الغضب على غيرهم فينقضي بيوم القيامة ويدخل الله تعالى جميع الموحدين الجنة فافهم * ومن ذلك النسيان ومعلوم أنه لا يجوز حمل ذلك في حق الحق تعالى على حكم حمله في حق الخلق فإن ذلك محال لكن لما كان عذاب الكفار لا ينقضي كانوا كالمنسيين عند الملك لكون رحمته لا تنالهم ويقرب من ذلك معنى المكر والاستهزاء والسخرية الوارد في جهة الحق المراد به أثره وانه يعاملهم معاملة الماكر والمستهزئ والساخر والله أعلم (ومن ذلك) لفظ النفس بفتح الفاء في نحو حديث اني أجد نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن ومعلوم أن الحق تعالى منزه عن النفس الذي هو الهواء الخارج من الجسم المتنفس وقال بعضهم المراد بالنفس التنفيس فإن الله تعالى نفس عنه صلى الله عليه وسلم بالانصار حين أتوه من قبل اليمن وأزال كربه بهم قال ويدل عليه اضافة النفس للاسم الرحمن دون غيره من الاسماء التي لا تعطي الرحمة انتهى

(خاتمة) سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من اعتقد بقلبه أن حقيقته تعالى مخالفة لسائر الحقائق لم يتوقف قط في اضافة صفة أضافها الحق تعالى إلى نفسه فكان ينسب الاستواء مثلا إلى الله كما يليق بجلاله من غير تكييف ولا تشبيه اذ التشبيه لا يصح في جانب الحق تعالى أبدا وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين ومائتين من الفتوحات اعلم أنه لا يصح لك تنزيه الحق تعالى عن شيء الا بعد شهودك بعقلك ان ذلك الشيء نقص وان ذلك يلحق الحق تعالى ولولم تشهد ذلك ما نزهته عنه والا فكيف تنزهه عن أمر ليس هو مشهودا لك عقلا فإذن التنزيه وجد في الشرع سماعا ولم يوجد في العقل فإن غاية تنزيه العقل للحق تعالى عن الاستواء ان يقول المراد بهذا الاستواء هو كالاستواء السلطاني على المكان الاحاطي الاعظم أو على الملك فأخرج هذا عن التشبيه فإن غايته انه انتقل من التشبيه بمحدث ما إلى التشبيه بمحدث آخر فوقه في المرتبة فما بلغ العقل في التنزيه مبلغ الشرع فيه من نحو قوله ليس كمثله شيء ألا تراهم استشهدوا في التنزيه العقلي للاستواء بقولهم قد استوى بشر على العراق * وأين استواء بشر على العراق الذي هو عبد من استواء الخالق جل وعلا على ان الشيخ قال في مكان آخر من حمل الاستواء على الاستيلاء كما يتولى الملك على ملكه فأي شيء أنكره على من قال بالاستقرار الذي هو من صفات الاجسام وكلا الامرين حادث بل لو جاز اطلاق أحد الامرين لكان

تعالى بتجلى ليلة الجمعة من غروب الشمس إلى صلاة الفجر فربما كشف الله عن قلب بعض الناس فيرى ذلك التجلي فيعتقد انها ليلة القدر وانما أشبهت من يقول اذا وافق الوتر من رمضان ليلة الجمعة كانت قدرا والله أعلم * وقال الذي أقول به جواز الاعتكاف في غير المسجد الا انه خلاف الافضل واذا اعتكف في غير المسجد جاز له مباشرة النساء بخلاف المسجد لا يجوز له ذلك لان الشهود للحق الذي هو شرط في الاعتكاف يبطل بالرجوع إلى حظوظ النفس فلا يجتمع شهود الحق والنفس ومن هنا حرم الاكل في الصلاة فافهم * وقال في الباب الثاني والسبعين في أسرار الحج أركان البيت على عدد الخواطر الاربعة الهي وملكي ونفسي وشيطاني فالالهي ركن الحجر والملكي الركن اليماني والنفسي المكعب الذي في الحجر والشيطاني الركن العراقي ولذلك شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق وبالذكر المشروع في كل ركن يعرف العارفون مراتب الاركان * وقال الذي أقول به ان الطفل اذا حج ثم مات ولم يبلغ كتب الله تلك الحجة عن فريضته كما قال صلى الله عليه وسلم في الصبي الذي رفعته أمه وقالت يارسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر فانه نسب

الطلاق الاستقرار أولى لكون العرش جاء فى الحديث بمعنى السرير نحو قوله صلى الله عليه وسلم ان الكرسى فى جوف العرش كحلقة ملقاة فى أرض فلاة انتهى (تتمة) نختم بها الخاتمة * قال الشيخ محيي الدين فى الباب الثالث والستين وثلثمائة من الفتوحات اعلم ان من عدم الانصاف اعان الناس بما جاء من آيات الصفات واخبارها على لسان الرسل عليهم الصلاة والسلام وعدم ايمانهم بها اذا أتى بها أحد من كمل العارفين الوارثين للرسل فان البحر واحد فكما وجب الايمان بما جاءت به الرسل من ذلك كذلك يجب الايمان بما جاء به الاولياء المحفوظون وكما سلمنا لما جاء به الاصل كذلك نسلم لما جاء به الفرع بجامع الموافقة للشرع بعد ويا ليت الناس اذلم يؤمنوا بما جاء به الاولياء يجعلونهم كاهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم اه فتأمل فى هذا المبحث وتعقله فانك لا تجد ما فيه فى كتاب والله يتولى هداك

(المبحث التاسع عشر فى الكلام على الكرسى واللوح والقلم الاعلى)

اعلم يا أخى ان الحق تعالى كما جعل العرش محل الاستواء كما يليق بجلاله كذلك جعل الكرسى محل بروز الاوامر والنواهى المعبر عنهما فى حديث الكرسى بتدلى القدمين من العرش اليه اذ العرش محل أحدية الكلمة العلية المشتملة على الواحدة كما أشار الى ذلك تخصيص الاستواء بالاسم الرحمن وأما الكرسى فقد انقسمت الكلمة فيه الى أمرين ليخلق تعالى من كل شئ زوجين فظهرت الشفعية فى الكرسى بالفعل وكانت فى العرش بالقوة فان قدمى الامر والنهى لما تدليا الى الكرسى انقسمت فيه الكلمة الرحمانية هؤلاء للجنة ولا أبالى وهؤلاء للنار ولا أبالى فاستقرت كل قدم فى مكان غير مكان القدم الآخر وهو منتهى استقرارهما فسمى أحدهما جنة والآخر جهنم وليس بعدهما مكان ينتقل اليه أهل القدمين كما ذكر الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والتسعين ومائة وما ذكرناه من ان المراد بالقدمين اللتين تدلتا الى الكرسى هما الامر والنهى هو الصحيح خلاف ما توهمه المجسمة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ذكره الشيخ فى الباب الرابع والسبعين وثلثمائة وعبر عن القدمين فى الباب الثالث عشر بانهما الخير والشر وكلاهما صحيح لان الخير والشر الامر والنهى فاعلم ذلك فانه نفيس لا تجد تأويله فى كتاب (فان قيل) فما محل استقرار اعمال بنى آدم اذا صعدت بها الملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين من الفتوحات أنه ينتهى صعودها الى سدرة المنتهى فان كل شئ يرجع نهايته الى ما منه بدا (فان قيل) ان الكرسى هو موضع القدمين اللذين هما الامر والنهى فلا يتأخر عن الكرسى عمل (فالجواب) ان ذلك خاص بعالم الخلق والامر وأما التكليف فان أصله انما هو منقسم من السدرة فقطع أربع مراتب قبل السدرة والسدرة هى المرتبة الخامسة وايضاح ذلك ان التكليف ينزل من قلم الى لوح الى عرش الى كرسى الى سدرة ومعلوم ان أحكام التكليف خمسة لا سادس لها واجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح فظهر الواجب من القلم والمندوب من اللوح والمحظور من العرش والمكروه من الكرسى والمباح من السدرة اذ المباح هو حظ النفس فلذلك كان منتهى نفوس عالم السعادة الى السدرة والى أصولها وهى الزقوم ينتهى نفوس عالم الشقاء فاذا صعدت الاعمال التى نشأت من هذه الاحكام الخمسة المذكورة كان غايتها الى الموضع الذى منه ظهرت انتهى (فان قيل) فما صورة صعود الاعمال مع انها اعراض (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والتسعين وثلثمائة انها تتطور ملائكة على شاكلة فاعلها ثم تصعد فتخرج من الهيكل الى محالها على مركبها الذى هو روح الحضور فيها فيضع قدمه منتهى بصره حتى يصل العمل الى محل انتهائه الذى هو محل بروزه الاول (فان قيل) فما وجه تخصيص هذه الاماكن بالاحكام الخمسة وهو كون الواجب من القلم والمندوب من اللوح الخ (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين أن وجه التخصيص كون كل محل يعد ما يرى زمنه فيكون من القلم نظر الى الاعمال الواجبة فيمدها بحسب ما يرى فيها ويكون من اللوح نظر الى الاعمال المندوبة فيمدها بحسب ما يرى فيها ويكون

من

الحج لمن لا قصد له فيه عند من لا كشف عنده من العلماء وعندنا أن الشارع لولا علم قصده بوجه ما صح ان ينسب الحج اليه وكان ذلك كذبا قال الشيخ وقد اتفق لى مع بنت كانت لى عمرها دون سنة قلت لها يا بنية فأصغت الى ما تقولين فى رجل جامع امرأته فلم ينزل ماذا يجب عليه فقالت يجب عليه الغسل فغشى على جدتها من نطقها هذا اشهدته بنفسى وأطال فى ذلك وسيأتى بسط القصة فى الباب الثمانين وأربعمائة ان شاء الله تعالى وعدد من تكلم فى المهد فراجعه * وقال الذى أقول به فى وجوب الحج على العبد ان استطاع اليه سبيلا لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت نعم ولم يقل الاحرار منهم قال وان منعه السيد أثم انتهى فليتأمل ويحرر هو وما قبله * وقال انما حرم المخيط على الرجل فى الاحرام دون المرأة لان الرجل وان كان خلق من مركب فهو الى البسائط أقرب وأما المرأة فقد خلقت من مركب محقق فانها خلقت من الرجل فبعدت من البسائط والمخيط تركيب فقيل للمرأة ابقى على أصلك لا تلحقين الرجل وقيل للرجل ارتفع عن تركيبك فهذا سبب أمره بالتجرد عن المخيط ليقرب من بسيطه الذى لا مخيط فيه وان كان مركبا من حيث انه منسوج ولكنه أقرب الى البساطة من القميص

من العرش نظر الى المحظورات فلا يعدها الا بالرحمة لانه محل استواء الاسم الرحمن قال ولهذا يكون مآل من
لم يسبق له شقاوة الى الرحمة ويكون من الكرسي نظر الى الاعمال المكروهة فيعدها بحسب ما يرى فيها
لكن رحمة الكرسي دون رحمة العرش اذ الرحمة تعم بحسب الذنب والمكروه أقل قبحا من الحرام بيقين
فاذا لا تعم رحمة الكرسي جميع من فعل المكروه ورحمة العرش جميع من فعل الحرام اما رحمة امهال
وتخفيف واما رحمة دوام ولما كان الكرسي محل بروز الامر والنهي على ما قررناه أسرع في العفو
والتجاوز عن أصحاب المكروه ومن الاعمال ولهذا لا يؤاخذ فاعل المكروه ويؤجر تاركه والله أعلم
(فان قلت) فما صورة خلقه تعالى اللوح والقلم والكرسي والعرش وأيهما خلق قبل الآخر (فالجواب)
كما قاله الشيخ في الباب الثالث عشر من أبواب الفتوحات ان أول ما خلق الله القلم الاعلى فهو رأس ملائكة
التدوين والتسطير وأما اللوح فهو مشتق من القلم وقد جعل الله لهذا القلم ثلثمائة وستين سنا كل سن
يغترف من ثلثمائة وستين صنفا من العلوم الاجمالية فيفصلها في اللوح ثم انه ذكر في الباب الستين منه أن مقدار
أمهات فروع علوم القلم المتعلقة بالخلق الى يوم القيامة ما خرج من ضرب ثلثمائة وستين في مثلها من
أصناف العلوم لا تزيد علما واحدا ولا تنقص اه وقال في الباب الثالث عشر اعلم ان الحق تعالى لما تجلى
للقلم وهو في محل التعليم الذهني قذف تعالى فيه ما يريد ايجاده في خلقه لا الى غاية فأوجده فقبل بذاته علم
ما يكون وما للحق تعالى من الاسماء الالهية الطالبة صدور هذا العالم ثم اشتق من هذا القلم موجودا آخر
سماه اللوح وأمر القلم أن يتدلى اليه ويودع فيه جميع ما يكون الى يوم القيامة لا غير فعلمه اللوح حين
أودعه اياه القلم ثم ان الله تعالى أوجد الظلمة المحضة التي هي في مقابلة تجليه للعماء بالنور حتى ظهر فيه
صور الملائكة ولولا هذا النور ما ظهر لهم في صورة وهذه الظلمة بمنزلة العدم المطلق المقابل للوجود المطلق
فعندما أوجدها تعالى أفاض عليها من ذلك النور والتجلي للعماء فظهر الجسم المعبر عنه بالعرش فاستوى
عليه الرحمن بالاسم الظاهر فذلك أول ما ظهر من عالم الخلق ثم انه تعالى خلق من ذلك النور الممتزج الذي هو
مثل ضوء السحر الملائكة الحافين بالسرير وهو قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد
ربهم ثم انه تعالى أوجد الكرسي في جوف هذا العرش وجعل فيه ملائكة من جنس طبيعته فان كل فلك
أصل لما خلق منه من عماره كالعناصر فيما خلق منها من عمارها كما خلق آدم من تراب وعمر به وبنيه الارض
ثم خلق في جوف الكرسي الافلاك فلكا في جوف فلك ثم خلق بعد ذلك الارواح ثم الغذاء ثم جعل لكل
مكلف مرتبة في السعادة والشقاء اه (فان قلت) قد ورد في الحديث ان الحق تعالى قال للقلم اكتب
علمي في خلقي الى يوم القيامة فذكر الغاية فما حكم ما يقع بعد يوم القيامة أبد الآبدين (فالجواب) ان
جميع ما يقع للخلق بعد يوم القيامة من توابع الاحكام التي كتبت عليهم في اللوح حتى الشقاء الابدي لتجزى
كل نفس بما تسعى أبد الآبدين ودهر الداهرين * وقال الشيخ في الباب السابع والعشرين وثلثمائة
انما خص الحق تعالى الكتابة في اللوح بامور الدنيا فقط لتناهيها بخلاف أمور الآخرة فان القلم لا يقدر
يكتب علمه فيما لا يتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة وجود اه (فان قلت) فما
وجه تخصيص القلم الاعلى بالذكر فهل هناك غيره قلم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر وثلثمائة
من الفتوحات ان هناك أقلاما أخر دون القلم الاعلى وألواحا أخر دون اللوح المحفوظ كما أشار اليه حديث الاسراء
وقوله فيه فوصلت الى مستوى سمعت فيه صريف الاقلام والصريف هو الصوت (فان قلت) فما عدد هذه
الالواح والاقلام (فالجواب) عددها ثلثمائة وستون قلما وثلثمائة وستون لوحا كما ذكره الشيخ في الفتوحات في
الباب المتقدم آنفا قال ورتبة هذه الاقلام والالواح دون رتبة القلم الاعلى واللوح المحفوظ وذلك لان الذي
كتب في اللوح المحفوظ لا يتبدل ولذلك سمي بالمحفوظ يعني من المحو فلا يمحو تعالى ما كتبه فيه بخلاف هذه
الاقلام والالواح فان هذه الاقلام تكتب دائما في ألواح المحو والاثبات ما يحدثه الله تعالى في العالم من الاحكام

والسراويل وكل مخيط وانما
جاز الازار والرداء للمحرم
لانهما غير مخيطين فلم يكونا
مركبين ولهذا وصف الحق
تعالى نفسه بهما دون
القميص والسراويل فقال
الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري * وقال وانما كان لبس
النعل في الاحرام هو الاصل
فلا يلبس الخف الا اذا عدم
النعل لان النعل ما جاء اتخاذه
الا للزينة والوقاية من الاذى
الارضي فاذا عدم عدل الى
الخف فاذا زال اسم الخف
بالقطع لم يلحق بدرجة النعل
لستره ظاهر الرجل فهو لا خف
ولا نعل فحكمه مسكوت عنه
لكن يمشي حافيا فانه لا خلاف
في صحة احرامه وهو مسكوت
عنه وكل ما سكت عنه الشرع
فهو عافية وقد جاء الامر بقطع
الخف فالحق بالمنطوق وتعين
الاخذ به فانه ما قطعهما المحرم
الا ليلحقهما بدرجة النعل
فما لم يلحقاه لسترهما ظاهر
الرجل فارقا النعل ولما لم يسترا
الساق فارقا الخف فالمقطوع
لا هو خف ولا هو نعل كما قررناه
انتهى فليتأمل ويحرر
* وقال الذي أقول به في لبس
المحرم المعصفر انه ان لبسه عند
الاحرام قبل عقده فله ان يبقى
عليه ما لم يرد نص باجتنابه
وان لبسه ابتداء في زمان بقاء
الاحرام فعليه الفدية وان
لبسه عند الاحلال جاز هذا هو
الاظهر عندي الا أن يرد نص
جلي في النهي عن المعصفر ابتداء
وانتهاء وما بينهما فنقف عنده

المشار اليها بقوله تعالى يمحو الله ما يشاء و يثبت * قال ومن هذه الالواح تنزلات الشرائع والصحف والكتب الالهية على الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا دخلها النسخ بل دخل النسخ في الشرع الواحد قال والى محل هذه الالواح كان التردد ليلة الاسراء أي تردد محمد صلى الله عليه وسلم بين الالواح و بين موسى عليه الصلاة والسلام في شأن الصلوات الخمس فكانت حضرة خطاب الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الالواح والى الخمس كان منتهاه فمحا الله تعالى عن أمة محمد ما شاء من تلك الصلوات التي كتبها في هذه الالواح الى أن أثبت فيها الخمسة وأثبت لمصليها أجر الخمسين وأوحى الى محمد ما يبدل القول لدي فما رجع موسى عليه الصلاة والسلام بعد الخمسة يسأل شيأ من التخفيف على سبيل الجزم وانما ذلك من حضرة الاطلاق على سبيل العرض قال ومن حضرة هذه الالواح أيضا نزل قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده * ومنها أيضا وصف الحق تعالى نفسه بالتردد في قبض نسمة عبده المؤمن حين موته مع أنه تعالى هو الذي قضى عليه بذلك من باب رحمتي سبقت غضبي قال ومن هذه الحقيقة الالهية التي كنى عنها بالتردد يكون سريانها في التردد الكوني في الامر وحصول الحيرة فيه وذلك ان الانسان اذا وجد نفسه تتردد في فعل ما هل يفعله أم لا وما زال ذلك الحال به حتى وقع أحد الامور التي كان تردد فيها او زال التردد فذلك الامر الواقع هو الذي ثبت في اللوح المحفوظ من تلك الامور المتردد فيها وهو الذي ينتهي اليه أيضا أمر الواح المحو والاثبات وايضاح ذلك أن القلم الكاتب في لوح المحو يكتب أمرا ما وهو زمان الخاطر الذي يخطر للعبد فيه فعل ذلك الامر ثم ان تلك الكتابة تمحى فيزول ذلك الخاطر من ذلك الشخص لانه ثم رقيقة من هذا اللوح تمد الى نفس هذا الشخص في عالم الغيب فان الرقائق الى النفوس من هذه الالواح تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها فاذا أبصر القلم موضعها من اللوح محوا كتب غيرها مما يتعلق بذلك الامر من الفعل والترك فتمتد من تلك الكتابة رقيقة الى نفس ذلك الشخص الذي كتب هذا من أجله فيخطر لذلك الشخص ذلك الخاطر الذي هو نقيض الاول ثم ان أراد الحق تعالى اثباته لم يمحه فاذا ثبت بقيت رقيقة متعلقة بقلب هذا الشخص وثبتت ليفعل ذلك الامر أو يتركه بحسب ما في اللوح فاذا فعله أو ثبت على تركه وانقضى فعله محاه الحق تعالى من كونه محكوما بفعله وأثبته صورة عمل حسن أو قبيح على قدر ما يكون ثم ان القلم يكتب أمرا آخر هكذا الامر دائما فعلم أن القلم الاعلى أثبت في لوحه كل شئ تجري به هذه الاقلام من محو واثبات ففي اللوح المحفوظ اثبات المحو في هذه الالواح واثبات الاثبات ومحو الاثبات عند وقوع الحكم وانشاء أمر آخر فهو لوح مقدس عن المحو ولذلك سمي محفوظا يعني من المحو كما مر (فان قلت) فهل يدخل المحو في الذوات كالاعمال (فالجواب) كما قاله سيدي علي الخواص رضي الله عنه لا يدخل المحو في الذوات وانما هو خاص بالاحوال والاعمال كما أشار اليه حديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة الحديث اه (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على عدد الحوادث التي كتبها القلم الاعلى في اللوح الى يوم القيامة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة نعم قال وأنا ممن أطلعه الله على ذلك (فان قيل) فكم عدد ما سطر في اللوح من آيات الكتب الالهية (فالجواب) عدد ما سطر في اللوح من الآيات التي أنزلت على الرسل مائتا ألف آية وتسع وستون ألف آية ومائتا آية ذكره الشيخ محيي الدين في الباب المتقدم وقال هذا ما أطلعنا الله عليه (فان قلت) فهل اطلع أحد من الاولياء على عدد أمهات علوم أم الكتاب الذي هو الامام المبين (فالجواب) نعم يطلع الله على ذلك من يشاء من عباده * قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والعشرين والذي أطلعني الله تعالى عليه من طريق الكشف ان عدد أمهات علوم أم الكتاب مائة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم جمة اه (فان قلت) فما مراد أهل العقائد بقولهم السعيد من كتبه تعالى في الازل سعيدا والشقي من كتبه الله تعالى في الازل شقيا هل هذه الكتابة المذكورة في اللوح المحفوظ أم غيره وهل الازل غير زمان أو زمان لائق بالحق تعالى

على اني أقول ان تطيبه صلى الله عليه وسلم عند الاحرام وعند الحل ليس هو متعينا لاجل احرامه وحله فانه من قول عائشة لا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يأتي فهو أمر فهمته على حسب ما اقتضاه نظرها أو عن نص صريح منه لها في ذلك فتطرق الاحتمال ثم قال والذي أقول به استحباب بقاء الطيب الذي دخل به في الاحرام وعدم طلب ازالته ولو وجدت رائحته لانه صلى الله عليه وسلم لم يغسله وقول عائشة طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحله واحرامه انما أرادت به قبل وجود الاحرام منه وقبل التحلل فانها لم تقل طيبته لآخر احرامه حين قرب انقضاؤه وتعقبه الاحلال وانما راعت الاحلال في آخر أفعال الحج وهو طواف الافاضة انتهى وهو كلام يحتاج الى تحرير (وقال) اذا جامع المحرم قبل الوقوف بعرفة و بعد الاحرام فالحكم فيه عند العلماء قاطبة الفساد كحكمه بعد الوقوف قال ولا أعرف لهم دليلا على ذلك ونحن وان قلنا بقولهم واتبعناهم في ذلك فان النظر يقتضي ان الوطء اذا وقع قبل الوقوف أنه رفض ما مضى و يجدد الاحرام و يهدي فان كان بعد فوات الوقوف فلا لانه لم يبق للوقوف زمان وهنالك بقي زمان للاحرام لكن ما قال بهذا أحد فتبعنا

لا يتبدل (فالجواب) المراد به أم الكتاب كما قاله ابن عباس وغيره فالمراد بالازل بالابد لا يدخله تبديل ولا تغيير وفي حديث الترمذي فرغ ربك من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير * وقال شيخ مشايخنا الشيخ كمال الدين بن أبي شريف مرادهم بغير الازل التي تكتب فيها الملائكة رزق الانسان وأجله وشقيا أو سعيدا عندما ينفخ فيه الروح ولا مانع من تطرق التبديل الى ما كتب في هذه الصحف لتعلق السعادة والشقاوة فيها على شئ لا يدرى الملك أيقع أم لا مع علم الله بما يكون من وقوعه أو عدمه اهـ (قلت) وفيه تأييد لما قدمناه من أمر ألواح المحو والاثبات الثلاثمائة وستين لوحا المتقدمة عند أهل الكشف ولعلها هي المرادة في لسان المتكلمين بالصحف (فان قلت) هل يقال ان الحق تعالى تكلم في الازل كما ذهب اليه بعضهم (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين في بعض كتبه ان ذلك لا ينبغي لذهاب الذهن الى الزمان المعقول والحق تعالى منزه عن أن يقول أو يقدر في الازمان اذ الزمان مخلوق والتقدير قديم فافهم اهـ (فان قيل) كيف دخل التبديل والتغيير للتوراة مع ما ورد ان الله كتب التوراة بيده (فالجواب) ان التوراة لم تتغير في نفسها وانما كتابتهم اياها وتلفظهم بها لحقه التغيير فنسبة مثل ذلك الى كلام الله تعالى مجاز قال تعالى يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون فهم يعلمون ان كلام الله تعالى معقول عندهم ولكنهم أبدوا في الترجمة عنه خلاف ما في صدورهم وفي مصحفهم المنزل عليهم فانهم ما حرفوا الا عند نسخهم من الاصل وأبقوا الاصل على ما هو عليه ليبقى لهم ولعلمائهم بعدهم العلم (فان قيل) ان آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله بيده ومع ذلك فما حفظ من المخالفة وأين رتبة اليد من اليدين ان جعلتم اليدين كناية عن شدة الاعتناء بآدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) انما لم يحفظ آدم عليه الصلاة والسلام من جريان الاقدار لانه عبد وليس جريان الاقدار الاعلية لانه هو المحل الاعظم لذلك وأما كلام الله تعالى فانما عصم لكونه حكم الله وحكم الله في الاشياء غير مخلوق لعصمته من ذلك بخلاف آدم ليس هو حكم الله (فان قلت) فاذا كان خلق آدم باليدين انما هو لشدة الاعتناء به على غيره فاذن الحق تعالى بالانعام أشد اعتناء بها منه لان الله تعالى جمع الايدي في خلقها فقال مما عملت أيدينا أنعاما (فالجواب) ان توجه اليدين على آدم أقوى من توجه الايدي على الانعام لان التثنية تدرج بين المفرد والجمع فلها القوة والتمكين من حيث انه لا يوصل الى الجمع الا بها ولا ينتقل عن المفرد الا اليها (فان قلت) فكيف سمى الحق تعالى نفسه بالدهر مع ان الخلق لا يتعقلون الدهر الا زمانا (فالجواب) ان المراد بالدهر هنا هو الازل والابد اللذان هما الاول والآخر وهما من نعوت الله عز وجل بلا شك فانه تعالى سمى نفسه بالاول لكن لا بأولية تحكم عليه كالاوليات المسبوقة بالعدم لان ذلك محال في حق الحق وكذلك القول في الآخر فانه تعالى آخر لا بآخرية تحكم عليه نظير اسمه الاول (فان قلت) فما سبب كفر الدهرية على هذا التقدير (فالجواب) سبب كفرهم تعقلهم في الدهر الذي جعلوه الها انه زمان فلكي اذ الفلكي لا حقيقة له في زمان الله الذي لا يتعقل ولو انهم اعتقدوا الدهر كما ذكرنا ما كفروا لقوله صلى الله عليه وسلم يقول الله أنا الدهر والله تعالى أعلم

(المبحث العشرون في بيان صحة أخذ الله العهد والميثاق على بني آدم وهم في ظهره عليه الصلاة والسلام)

اعلم يا أخي ان المعتزلة قد انكروا هذا العهد والميثاق وزعموا ان معنى قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ان المراد به أخذ بعضهم من ظهر بعض بالتناسل في الدنيا الى يوم القيامة وانه ليس هنالك أخذ عهد ولا ميثاق حقيقة وان المراد بالعهد والميثاق هو ارسال الرسل واستكمال العقل والنظر والاستدلال وتوجيه الخطاب الى العبد ولا يخفى ما في هذا المذهب من الخطا والغلط وكيف يصح للمعتزلة هذا القول ومعظم الاعتقاد في اثبات الحشر والنشر مبني على هذه المسئلة والذي يظهر لي انهم انما أنكروا ذلك فرارا من غموض مسائل هذا المبحث ودقة معانيه عليهم فرضوا بالجهل عوضا عن العلم والحق ان الله تعالى

أصحاب الاجماع في الطلاق من الفساد (قلت) الذي يظهر لي ان النكتة في ذلك التغليظ عليه لهتكه حرمة الحج والله تعالى أعلم * وقال الذي أقول به وجوب رفع الصوت بالتلبية مرة واحدة وما زاد على الواحدة فهو مستحب * وقال الذي أقول به عدم وجوب الخروج للحل على من كان في الحرم لحج أو عمرة بل يصح احرامه بهما من الحرم وأما استدلالهم بقصة خروج السيدة عائشة الى التنعيم فانما هو لاجل كونها كانت آفاقية وحاضت فخرجت لتقضي صورة ما فاتها وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال قد عبرت الكعبة على العرش والبيت المعمور بالحجر الاسود يمين الله في الارض وأطال في ذلك * وقال بيت الله لا يقبل التحجير فما بقي من الكعبة في الحجر هو بيت الله تعالى الاصح وما حجر عليه فهو بيته الصحيح فمن دخل القطعة التي في الحجر دخل البيت ومن صلى فيه صلى في البيت ولا حكم لبني شيبة ولا غيرهم عليه فاستغنى العارفون عن منتهم * وقال يوم عرفة محسوب من الزوال الى طلوع الفجر من ليلة العيد فنقص عن سائر الايام الزمانية * قال وقد أجمع الشرع والعرف على تأخير ليلة عرفة عن يومها لقول الشارع من أدرك ليلة جمع قبل الفجر فقد ادرك الحج والحج عرفة

أخذ عليهم العهد فى ظهر آدم حقيقة لانه على كل شئ قدير (فان قيل) ففى أى محل كان أخذ هذا العهد (فالجواب) كما قاله ابن عباس أن ذلك كان ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة وقال بعضهم بسرنديب من أرض الهند وهو الموضع الذى هبط به آدم من الجنة وقال الكلبى كان أخذ العهد بين مكة والطائف وقال على بن أبى طالب كان أخذ العهد والميثاق فى الجنة وكل هذه الاحتمالات قريبة ولا ثمرة للتعيين بعد صحة الاعتقاد بأخذ الميثاق (فان قيل) فما كيفية استخراجهم من ظهره (فالجواب) قد جاء فى الحديث ان الله تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته كلهم منه كهيئة الذر ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا هذين الوجهين بعيد والاقرب كما قاله الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله انه تعالى استخرجهم من مسام شعرات ظهره اذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط وجمعه مسام ويمكن خروج الذرة من هذه الثقب كما يخرج منها العرق المنصب والصئبان وهذا غير بعيد فى العقل فيجب الاعتقاد بانه تعالى أخرج الذرية من ظهر آدم كما شاء ومعنى مسح ظهره انه أمر بعض ملائكته بالمسح فنسب ذلك الى نفسه لانه بأمره كما يقال مسح السلطان طين البلاد الفلانية وما مسحها الا أعوانه فان الرب سبحانه وتعالى مقدس عن مسح ظهر آدم على وجه المماسة اذ لا يصح اتصال بين الحادث والقديم (فان قيل) كيف أجابوه بقولهم بلى هل كانوا أحياء عقلاء أم قالوه بلسان الحال (فالجواب) الصحيح ان جوابهم كان بالنطق وهم أحياء اذ لا يستحيل فى العقل أن يؤتيهم الله الحياة والعقل والنطق مع صغرهم فان بحار قدرته واسعة وغايته وسعنا فى كل مسئلة ان نثبت الجواز ونكل كيفيتها الى الله تعالى (فان قيل) اذا قال الجميع بلى فلم قبل قوم ورد قوم (فالجواب) كما قاله الحكيم الترمذى انه تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة فلم يك ينفعهم ايمانهم كايمان المنافقين وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى طوعا فنفعهم ايمانهم وقيل ان أصحاب اليمين قالوا بلى حقا فرجع صوتهم الى جانب أهل الشمال وهم سكوت وكان ذلك لهم كارتداد الصوت فى شعاب الجبال والكهوف الخالية الذى يسمونه الصدى وكان هواء الارض يومئذ خاليا من الاصوات اذ لم يكن أحد فى الارض غير آدم وانما هو محاكاة للصوت الاول ولا حقيقة له وقد أطال الشيخ أبو طاهر القزوينى فى ذلك ثم قال والصحيح عندى أن قول أصحاب الشمال بلى كان على وفق السؤال وذلك ان الله تعالى سألهم عن ربهم ولم يسألهم عن الههم ومعبودهم ولم يكونوا يومئذ فى زمان التكليف وانما كانوا فى حالة التخليق والتربية وهى الفطرة فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى لان تربيتهم اذ ذاك مشاهدة فصدقوا فى ذلك كلهم ثم لما انتهوا الى زمان التكليف وظهور ما قضى الله تعالى فى سابق علمه لكل أحد من السعادة والشقاوة فكان منهم من وافق اعتقاده فى قبول الالهية اقراره الاول ومنهم من خالفه ولو أنه تعالى كان قال لهم ألست باحد وقالوا بلى لم يصح لاحد أن يشرك به فافهم (فان قيل) اذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلم لا نذكره اليوم (فالجواب) انما كنا لا نذكره لان تلك البنية قد انقضت وتداولت الانسان الغير بمرور الدهور وعليها فى أصلاب الآباء وأرحام الامهات ثم زاد الله تعالى فى تلك البنية أجزاء كثيرة ثم استحالت بتصريفها فى الاطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذه كلها مما يوجب الوقوع فى النسيان وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول انى لاذكر العهد الذى عهد الى ربى وأعرف من كان هنالك عن يمينى ومن كان عن شمالى قال وانما أخبرنا الله تعالى عن أخذ الميثاق منا تذكرة والزاما للحجة علينا فهذه فائدة الاخبار لنا لا غير اه وكذلك بلغنا نحو هذا القول عن سهل بن عبد الله التسترى انه كان يقول أعرف تلامذتى من يوم ألست بربكم ولم أزل الاحظهم فى تربيتهم فى الاصلاب حتى وصلوا الى فى هذا الزمان (فان قيل) فهل كانت تلك الذرات متصورة بصورة الآدمى أم لا (فالجواب) لم يرد لنا فى ذلك شئ الا أن الاقرب فى العقول انها لم تكن متصورة والسمع والنطق لا يفتقران الى الصورة انما يقتضيان محلا حيا فاذا أعطاها الله الحياة والفهم جاز أن يتعلق بالذرة السمع والنطق وان كانت غير مصورة بصورة

اذ

فهذا سبب تأخير هذه الليلة عن يومها والا فالاصل تقديم الليلة على نهارها قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فجعل الليل أصلا وسلخ منه النهار كما تسلخ الشاة من جلدها فكان الظهور لليل والنهار مبطون فيه * وقال فى قوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى أى موضع دعاء اذا صليتم فيه أن تدعوا لانفسكم فى تحصيل نظير تلك المقامات التى كانت لابراهيم عليه السلام وهو أن يقول أحدنا اللهم اجعلنى أواها حليما أمة قانتا شاكرا لانعم الله منقادا لامر الله صالحا موفيا بالعهد ونحو ذلك مما قص الله علينا فى القرآن * وقال انما أمرنا بالتضلع من ماء زمزم لان فيه سرا خفيا وهو أنه يذل النفس بعد تكبرها وتحققها بمقام العبودية المحضة كما جرب (قلت) وقد شربته مرة لدبلة طلعت فى جانبى قدر البطيخة فتقطعت وخرجت من دبرى كالزفت الاسود الذائب فالحمد لله رب العالمين فصح عندى ذوقا حديث ماء زمزم لما شرب له وان ضعفه بعضهم والله أعلم (قلت) قال الشيخ فى الباب الرابع والخمسين وأربعمائة ينبغى لكل مؤمن أن يصل نسبه باجداده وآبائه المسلمين من آدم الى أبينا الاقرب لان صلة الارحام تزيد فى العمر (قلت) ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم وأمرت أصحابى

اذا البنية عندنا ليست بشرط وانما اشترطها المعتزلة ويحتمل أن تكون الذرات متصورة بصورة آدمي لقوله تعالى من ظهورهم ذرياتهم ولفظ الذرية يقع على الصورتين (فان قلت) فمتى تعلقت الارواح بالذرات قبل خروجها من ظهر آدم أم بعد خروجها منه (فالجواب) ان الذي يظهر انما انه تعالى استخرجهم أحياء لانه سماهم ذرية والذرية هم الاحياء لقوله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون فيحتمل ان الله تعالى خلق الارواح فيهم وهم في ظلمات ظهر أبيهم ويخلقها فيهم مرة أخرى وهم في ظلمات بطون أمهاتهم ويخلقها مرة أخرى ثالثة فيهم وهم في ظلمات بطون الارض خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث هكذا جرت سنة الله تعالى (فان قيل) فما الحكمة في أخذ الميثاق من الذرات (فالجواب) ليقيم الله تعالى الحجة على من لم يوف بذلك العهد كما وقع نظير ذلك في دار التكليف على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام (فان قيل) فهل أعادهم الى ظهر آدم أحياء أم استرد أرواحهم ثم أعادهم اليه أمواتا (فالجواب) الذي يظهر انه لما أعادهم الى ظهره قبض أرواحهم بناء على انه لما أراد في الدنيا ان يعيدهم الى بطن الارض يقبض أرواحهم ثم يعيدهم فيها (فان قيل) أين رجعت الارواح بعد رد الذرات الى ظهره (فالجواب) ان هذه مسئلة غامضة لا يتطرق اليها النظر العقلي ولم يجئ فيها نص فمن أطلعه الله تعالى على شئ فليلحقه بهذا الموضع (فان قيل) ان الناس يقولون ان الذرية أخذت من ظهر آدم والله تعالى يقول واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم (فالجواب) هذا شئ يتعلق بالنظم وذلك انه لم يقل من ظهر آدم وان أخرجوا من ظهره لان الله أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على طريق ما يتناسل الابناء من الاباء فاستغنى به عن ذكر آدم استغناء بظهور ذريته اذ ذريته خرجوا من ظهره ويحتمل ان يقال انه أخرج ذرية آدم بعضهم من بعض في ظهر آدم ثم اخرجهم جميعا فيصح القولان جميعا فاذا قال أخرجهم من ظهورهم صح واذا قال أخرجهم من ظهره صح أيضا ومثال ذلك من أودع جوهرة في صدفة ثم أودع الصدفة في خرقة وأودع الخرقة مع الجوهرة في حقة وأودع الحقة في درج وأودع الدرج في صندوق ثم أدخل يده في الصندوق فأخرج منه تلك الاشياء بعضها من بعض ثم أخرج الجميع من الصندوق فهذا لا تناقض فيه (فان قيل) ورد في الخبر أن كتاب العهد والميثاق مستودع في الحجر الاسود وان للحجر عينين وفما ولسانا وهذا غير متصور في العقل (فالجواب) ان كل ما عسر علينا تصوره بعقولنا يكفينا فيه الايمان به والاستسلام له ونرد معناه الى الله تعالى * وقد ذكر الشيخ محيي الدين في كتاب الحج من الفتوحات قال لما أودعت الكعبة شهادة التوحيد عند تقبيلي الحجر الاسود خرجت الشهادة عند تلفظي بها وأنا أنظر اليها بعيني في صورة سلك وانفتح في الحجر الاسود مثل الطاق حتى نظرت الى قعر الحجر والشهادة قد صارت مثل الكعبة واستقرت في قعر الحجر وانطبق الحجر عليها وانسد ذلك الطاق وأنا أنظر اليه فقالت لي هذه أمانة لك عندي ارفعها لك الى يوم القيامة فشكرتها على ذلك انتهى * وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وفي يده كتابان مطويان وهو قابض بيده على كتاب فسأله أصحابه ما هذان الكتابان فقال ان في الكتاب الذي في يدي اليمنى أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول ما خلقهم الله الى يوم القيامة والذي في يدي الاخرى فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم من أول ما خلقهم الله الى يوم القيامة انتهى * قال الشيخ محيي الدين في الباب الخامس عشر وثلثمائة من الفتوحات ولو ان مخلوقا أراد أن يكتب هذه الاسماء على ما هي عليه في هذين الكتابين لما قام بذلك كل ورق على وجه الارض قال ومن هنا يعرف كتابة الله من كتابة المخلوقين وهو علم غريب رأيناه وشاهدناه قال وقد حكى ان فقيرا طاف بالبيت وسأل الله أن ينزل له ورقة بعتقه من النار فنزلت عليه ورقة من ناحية الميزاب مكتوب فيها عتقه من النار ففرح بذلك وأوقف الناس عليها وكان من شأن هذا الكتاب أن يقرأ من كل ناحية على السواء لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها فعلم الناس ان ذلك من عند الله تعالى وأطال الشيخ في ذكر حكايات تناسب ذلك والله تعالى أعلم

بذلك فوجدنا تلك الليلة أبواب السماء قد فتحت ونزلت لبناء الملائكة لا تحصى وتلقونا بالترحيب والتهليل الى أن ذهلنا مما رأيناه وأطال في ذلك ثم قال فرحم أبينا آدم مطلوعة عند غالب الناس من أهل الله بكشف بالعامة في ذلك فالحمد لله الذي من على بصلة رحمي ووصلتها من أصحابي بي وكان ذلك عن توفيق الهي فاني لم أر لاحد في ذلك قدما أمشي على أثره فيها وما قال الله في غير موضع من القرآن يابني آدم الا ليذكرنا بأبينا لنصله ومع ذلك فلم يتنبه أحد لهذه الآية وهذه الذكرى من الله شبيهة بقوله تعالى يا أخت هرون وأين زمان هرون منها انتهى وأطال في ذكر اسرار الحج بنحو ثلاثين ورقة وفي هذا القدر كفاية والله أعلم * وقال في الباب الثالث والسبعين وذكر فيه شرح أسئلة الحكيم الترمذي رضي الله عنه اعلم انه ما ثم دليل يرد طريق القوم ولا قادح يقدح فيها شرعا ولا عقلا وانما يردها من ردها بالجهل بها لان طريق القوم لا تنال بالنظر الفكري ولا بضرورات العقول وانما هي نور في القلب يحدث فيه بواسطة اتباع الكتاب والسنة ويدرك الامور يقينا لا ظنا وتخمينا * وقال انما نكر تعالى علما في قوله في حق الخضر وآتيناه من لدنا علما ليشمل الاربعة علوم التي

(المبحث الحادى والعشرون فى صفة خلق الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام)

قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (فان قلت) فما وجه تشبيه عيسى بآدم عليهما السلام مع ان عيسى خلق من نطفة مريم ونفخ جبريل عليه الصلاة والسلام (فالجواب) ان الحق تعالى انما أوقع التشبيه فى عدم الابوة الذكرانية من أجل انه تعالى نصب ذلك دليلا لعيسى فى براءة أمه وانما لم يوقع التشبيه بحواء وان كان الامر عليه لكون المرأة محل التهمة لوجود الحمل اذ كانت محلا موضوعا للولادة وليس الرجل بمحل لذلك والمقصود من الادلة انما هو ارتفاع الشكوك وفى خلق حواء من آدم لا يمكن وقوع الالتباس لكون آدم ليس بمحل لما صدر عنه من الولادة فكما لا يعهد ابن من غير أب كذلك لا يعهد ابن من غير أم فالتشبيه من طريق المعنى ان عيسى كحواء الا ان ظهور عيسى من غير أب كظهور حواء من غير أم وايضاح ذلك ان أول موجود وجد من الاجسام الانسانية آدم عليه السلام فكان هو الاب الاول من هذا الجنس ثم ان الحق تعالى فصل عن آدم أبا ثانيا سماه أما فصح لهذا الاب الاول الدرجة عليه لكونه أصلا له فلما أوجد الحق تعالى عيسى بن مريم تنزلت مريم عليها السلام منزلة آدم عليه السلام وتنزل عيسى منزلة حواء فلما وجدت أنثى من ذكر كذلك وجد ذكر من أنثى فختم الدورة بمثل ما به بدأ فى ايجاد ابن من غير أب كما كانت حواء من غير أم فكأن عيسى وحواء اخوان وكأن آدم ومريم أبوان لهما اه ذكر ذلك الشيخ محيي الدين فى الفتوحات وهو كلام نفيس لم أجد أحدا تعرض له ولا حام حول معناه فرحمه الله ما كان أوسع اطلاعه * وقال فى الباب السابع منها (فان قيل) كم أنواع ابتداء الجسوم الانسانية (فالجواب) هى أربعة أنواع آدم وحواء وعيسى وبنو آدم فان كل جسم من هذه الاربعة يخالف نشأة الآخر فى التشبيه مع الاجتماع فى الصورة لئلا يتوهم الضعيف العقل ان القوة الالهية أو الحقائق لا تعطى أن تكون هذه النشأة الانسانية الا عن سبب واحد يعطى بذاته هذه النشأة فرد الله هذه الشبهة فى وجه صاحبها بان أظهر هذا النشء الانسانى بطريق لم يظهر به جسم حواء وأظهر جسم حواء بطريق لم يظهر به جسم ولد آدم وأظهر جسم ولد آدم بطريق لم يظهر به جسم عيسى عليه الصلاة والسلام قال وقد جمع الله تعالى هذه الاربعة أنواع فى آية من القرآن وهو قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر يريد آدم وجميع الناس من ذكر يريد حواء وأنثى يريد عيسى ومن المجموع من ذكر وأنثى معا بطريق النكاح يريد بنى آدم فهذه الآية من جوامع الكلم وفصل الخطاب ثم انه لما ظهر جسم آدم كما ذكرنا ولم يكن فيه شهوة النكاح وكان سبق فى علم الله انه لا بد من التناسل والنكاح للانتاج استخرج تعالى من ضلع آدم من القصيرى حواء فقصرت بذلك عن درجة الرجل فما تلحق به أبدا (فان قلت) فما الحكمة فى تخصيص خلقها من الضلع (فالجواب) الحكمة فى ذلك ليكون عندها حنو على ولدها وزوجها لاجل الانحناء الذى فى الضلع فحنو الرجل على المرأة انما هو حنو على نفسه فى الحقيقة لانها جزء منه وحنو المرأة على الرجل لكونها منه خلقت أى من ضلعه والضلع فيه انحناء وانعطاف قال الشيخ وعمر الله تعالى الموضع الذى خرجت منه حواء من آدم بالشهوة لئلا يبقى فى الوجود خلاء فلما عمرت بالهواء حن اليها حنينه الى نفسه لانها جزء منه وحنت حواء اليه لكونه موطنها الذى نشأت منه (فان قلت) فاذن حب حواء حب الوطن وحب آدم حب نفسه (فالجواب) نعم وهو كذلك ولذلك كان حب الرجل للمرأة ظاهرا اذ كانت عينه وأما المرأة فأعطيت القوة المعبر عنها بالحياء فلم يظهر حبها المحبة للرجل لقوتها على الاخفاء اذ الموطن لم يتحد بها اتحاد آدم بها قال وصور الله تعالى فى ذلك الضلع جميع ما صوره وخلقه فى جسم آدم فكان نشء آدم فى صورته كنشء الفخارى فيما ينشئه من الطين والطبخ وكان نشء جسم حواء كنشء النجار فيما ينحته من الصور فى الخشب فلما نحتها فى الضلع وأقام صورتها وسواها نفخ فيها من روحه فقامت حية ناطقة أنثى ليجعلها محلا للزراعة والحرث لوجود الانبات الذى هو التناسل وأطال فى ذلك فى الباب السابق (فان قيل) فما وجه تسمية

عيسى

خص به أصحاب منازل القربة الذين الخضر رأسهم وهى علم الكتابة الالهية وعلم الجمع والتفرقة وعلم النور والعلم اللدنى * قال ومنزل أهل القربة مقام بين الصديقية ونبوة التشريع فافهم

* وقال لولا القول اللين ما انكسرت غلظة فرعون ولا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا عليه كل ذلك الاجتماع قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فتأمل واعتبر

* وقال اجتمعت بعيسى عليه السلام فى وقائع كثيرة وتبت على يديه ودعا لى بالثبات على الدين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ودعانى بالحبيب وأمرنى بالزهد والتجريد

*(قلت) وهو أمر غريب ولكن الشيخ له أغرب من هذا وهو أخذه الطريق عن الملائكة المسمين بأسماء الحروف أوائل السور كما سيأتى ونقل ابن سيد الناس فى سيرته فى قصة اسلام سلمان الفارسى ما يشهد للشيخ فى نزول عيسى الى الارض بعد رفعه وقبل اليوم الموعود وقال اذا جاز نزوله بعد رفعه مرة فلا بدع ان ينزل مرارا والله أعلم

* وقال المراتب التى تعطى السعادة للانسان أربعة وهى الايمان والولاية والنبوة والرسالة ولأهل كل مرتبة ذوق يخصهم لكن قد يكون للنبى ذوق فى مرتبة الايمان

عيسى عليه الصلاة والسلام روحا من الله (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله ان الحق تعالى لما خلق الارواح قبل الاجسام بألفي عام كان ردحا بها في مكنون علمه فلما خلق الاجسام هيأ في علمه لكل ذرة منها روحا في الملكوت تناسبها من سعادة أو شقاوة فكانت تلك الذرات أزواجا للارواح كما قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها أي مقرونة كل روح بشكلها ثم لما أراد الله تعالى أخذ الميثاق منهم أهبط بقدرته تلك الارواح كلها من أماكنها على تلك الذرات على وفق علمه وحكمته ثم لما أخذ منهم الميثاق حل عقال الارواح فطارت الى مكامنها في الملكوت الى وقت اتصالها بالاجنة في الارحام * قال الشيخ ورأيت في تفسير الانجيل ان روح عيسى عليه الصلاة والسلام لم تسترد عن الذرة بعد أخذ الميثاق وانما دفعها الله تعالى الى جبريل عليه السلام فأسكنه الملكوت وكان يسبح الله ويقدسه الى ان أمره بنفخه فنفخه في جيب مريم فخلق منها المسيح عليه الصلاة والسلام من غير نطفة متوسطة فلذلك سماه الله روحا دون غيره ثم رفعه الى السماء بقدر ما فيه من الروحانية فكان مكثه في الارض بقدر ما فيه من الطين ومكثه في السماء بقدر ما فيه من النور * قال الشيخ وقول الله تعالى حكاية عنه وهو في المهد من قوله وجعلني مباركا أينما كنت اشارة منه الى هذه الجملة يعني أينما كنت في السماء والارض ويؤيد ذلك قول أبي بن كعب ان الله تعالى لما رد أرواح بني آدم الى صلب آدم مع الذرات أمسك عنده روح عيسى فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح الى مريم فكان منه عيسى عليه السلام فلهذا قال فيه روح منه (فان قلت) فهل الملائكة الموكلون بالارحام ويتولون تصوير الاجنة هم أعوان عزرائيل أو اسرافيل (فالجواب) هم أعوان اسرافيل عليه الصلاة والسلام الموكل بالصور وأما هو عليه السلام فانما هو ناظر الى صور الخليقة المصورة تحت العرش فان في الحديث ان لكل ما خلق الله تعالى صورة مخصوصة في ساق العرش أظهرها الله تعالى قبل تكوينهم ثم انه لصور بني آدم تشابه وتشاكل في الخليقة لانهم على صورة أبيهم آدم وآدم هو كذلك في الصور التي تحت العرش واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته وفي رواية أخرى على صورة الرحمن ومعناه على الصورة التي صورها الرحمن في العرش أو اللوح قبل خلق آدم عليه السلام فان الحق تعالى لا صورة له لمباينته لجميع خلقه فافهم فعلم ان اسرافيل ناظر الى الصور المنقوشة في العرش وملك الارواح عند تصوير الجنين ناظر الى اسرافيل وتلك الصور كلها حكاية عما في علمه الازلي سبحانه وتعالى فيأخذ اسرافيل تلك الصورة المختصة المسماة عند الله لتلك الذرة الخاصة المرباة ثم يلقيها الى ملك الارحام وملك الارحام يلقيها الى الجنين في الرحم فيصوره بتلك الصورة المعينة والقاء الصورة انما يكون بالقاء نسختها التي تليق بها وانما أضاف تعالى التصوير في الارحام اليه بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لان هذه الاسباب مقدرة على قضية علمه وتدبيره اجراء للعادة الحسنى فهو تعالى مصور للصور ومصور مصور يهم الاخالق سواه ولا مصور الا هو ولذلك شدد الوعيد على من اتخذ الاصنام والله تعالى أعلم فامعن النظر في هذا المبحث فانك لا تجده في كتاب والله تعالى يتولى هداك

(المبحث الثاني والعشرون في بيان انه تعالى مرئي للمؤمنين في الدنيا بالقلوب وفي الآخرة لهم بالابصار بلا كيف في الدنيا والآخرة أي بعد دخول الجنة وقبله)

كما ثبت في أحاديث الصحيحين الموافقة لقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والمخصصة أيضا لقوله تعالى لا تدركه الابصار أي لا تراه قال جمهور المتكلمين والاصوليين وتكون رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة بالانكشاف المنزه عن المقابلة والجهة والمكان وذلك لان الرؤية نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئي يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بابعاده فجاز أن يخلق هذا القدر بعينه من غير أن ينقص منه قدر من الادراك من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلا كما كان صلى الله عليه وسلم يرانا من وراء ظهره وكما أن الحق تعالى يرانا من غير مقابلة ولا جهة باتفاق اذ الرؤية نسبة خاصة بين طرفي راء ومرئي فاذا اقتضت عقلا كون أحدهما

والولاية فان كان رسولا زاد عليهم بذوق مقام الرسالة لانه رسول نبي ولي مؤمن وقد لا يكون له ذوق في ذلك قال الخضر لموسى عليهما السلام مالم تحط به خبرا والخبر الذوق * قال الشيخ ثم ان العلم من شرائط الولاية لا من شرائط الايمان لان الايمان مستنده الخبر الذي بلغه عن الصادق فاذا لم يكن هناك خبر كايام الفترات ووحد الله تعالى منهم أحد فهو سعيد مع كونه لا يسمى مؤمنا فالمؤمن لا يكون الا موحدا واما الموحد بنور قذفه الله في قلبه فقد لا يكون مؤمنا فتأمله وحرره * وقال انما سميت العبارة عبارة لانك تجوز منها الى المعنى المقصود منها وانما سمي الوحي وحيا لسرعته فان الوحي عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه كما يذوقه أهل الالهام من الاولياء * وقال ليس فوق الانسان الكامل مرتبة الا مرتبة الملك في المخلوقات وكون الملائكة تلامذته حين علمهم الاسماء لا يدل على انه خير من الملك وانما يدل على انه أكمل نشأة من الملك لا غير *(قلت) هذا كان مذهب الشيخ أولا ثم رجع عنه كما نبه عليه في الباب الثامن والتسعين ومائة والباب الثالث والثمانين وثلثمائة من الفتوحات * وقال الخلاف في غير محمد صلى الله عليه وسلم اما هو فهو أفضل الخلق على الاطلاق فراجعه وقد عرف

في جهة اقتضت كون الآخر كذلك فاذا ثبت عدم لزوم ذلك في أحدهما ثبت مثله في الآخر وخرج بقولنا يراه المؤمنون غير المؤمنين من الكفارة فلا يرونه يوم القيامة ولا في الجنة لعدم دخولهم لها قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون الموافق لقوله تعالى لا تدركه الابصار واختلفوا هل تجوز رؤيته تعالى في الدنيا يقظة ومناما فقال بعضهم يجوز وقال بعضهم لا يجوز ودليل جوازها في اليقظة هو ان موسى عليه الصلاة والسلام طلبها حيث قال أرني أنظر اليك وهو عليه الصلاة والسلام لا يجهل ما يجوز ويمتنع عن ربه عز وجل ودليل المنع أن قوم موسى عليه الصلاة والسلام طلبوها فعوقبوا قال تعالى فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم قال الجلال المحلي رحمه الله تعالى واعترض هذا بان عقابهم انما كان لعنادهم وتعنتهم في طلبها لا لامتناعها في نفسها اهـ وقد استدل الجمهور على منع الرؤية في الدنيا بقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت وبذلك صح جوابهم للآيتين السابقتين على عدم الرؤية في الدنيا جمعا بينهما وبين أدلة الرؤية وأما دليل امتناعها في النوم فلان المرئي فيه خيال ومثال وذلك محال على القديم سبحانه وتعالى ودليل المجيز لها انه لا استحالة في الرؤية في المنام وقد ذكر العلماء وقوعها في المنام لكثير من السلف الصالح منهم الامام أحمد وحمزة الزيات والامام أبو حنيفة وكان حمزة الزيات يقول قرأت سورة يس على الحق تعالى حين رأيته فلما قرأت تنزيل العزيز الرحيم بضم اللام فرد على الحق تعالى تنزيل بفتح اللام وقال اني نزلته تنزيلا وقال وقرأت عليه جل وعلا سورة طه فلما بلغت الى قوله وأنا اخترتك فقال تعالى وانا اخترناك فهي قراءة برزخية وقد أجمع علماء التعبير على جواز رؤية الله تعالى في المنام وانما بالغ ابن الصلاح في انكارها تبعا لمن منع وقوعها من العلماء وأما رؤية الحق جل وعلا في اليقظة لغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فمنعها جمهور العلماء واستدلوا لذلك بقوله تعالى لا تدركه الابصار وبقوله تعالى لموسى لن تراني وبقوله صلى الله عليه وسلم لن يرى أحدكم ربه حتى يموت رواه مسلم في كتاب الفتن في صفة الدجال اما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اختلف الصحابة في وقوع الرؤية له ليلة المعراج قال الجلال المحلي رحمه الله والصحيح نعم والبه استند القائل بالوقوع في الجملة لكن روى مسلم عن أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه بتشديد نون أنى مفتوحة وضمير أراه لله تعالى أى حجبني النور والمغشى للبصر عن رؤيته اهـ ما قاله الشيخ جلال الدين المحلي والشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته * وعبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتاب سراج العقول في هذه المسئلة واعلم أن أكثر المتكلمين من الفرق ينكرون جواز رؤية الله تعالى في المنام فضلا عن اليقظة لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتجوا في ذلك بأن ما يراه النائم يكون من صور الاحالة ولا صورة للرب تعالى وانه يراه بواسطة مثال مناسب له ولا مثل ولا مثال لله رب العالمين قال تعالى فلا تضربوا لله الامثال وقال ليس كمثله شئ وقال ولم يكن له كفوا أحد قال فمن رأى من ذلك شيأ وتخيل انه الاله فذلك من اراءة الشيطان وتخييله واغوائه وتضليله أو هو مشبه يعتقده كذلك في اليقظة وأطال في ذلك ثم قال والذي عليه جمهور مشايخ السلف رضي الله تعالى عنهم أنه يجوز رؤية الله تعالى في صورة في المنام وبه جاءت الاحاديث نحو قوله صلى الله عليه وسلم خير الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه أو يرى أبويه ان كانا مسلمين وقوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في أحسن صورة الحديث وقال محمد بن سيرين من رأى ربه في المنام دخل الجنة قالوا وتكون رؤية الله تعالى بواسطة مثال يليق به منزه عن الشكل والصورة فيكون تجليه في ذلك المثال كتفهيم الحق تعالى كلامه القديم لعباده بواسطة الحروف والاصوات مع تنزيه كلامه تعالى عن ذلك فكما ان الكلام الازلي منزه عن الصوت والحروف الحادثين ويفهم بواسطتهما كلام الله القديم فكذلك يجوز أن تكون ذاته الازلية المنزهة عن الصورة والشكل ترى بواسطة مثال يناسبها بأدنى معنى فيكون كالمثل بفتح المثلثة المذكور في القرآن في قوله مثل نوره كمشكاة لا كالمثل بسكون المثلثة الذي يوجب المماثلة من كل وجه أما اذا رآه في صورة

بعضهم الوحي بانه ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة * وقال من خاض في الدنيا فيما يكرهه الحق تعالى خيض به يوم القيامة فيما يكره جزاء وفاقا * وقال قد جاء أكثر الشريعة على فهم العامة في صفات التنزيه ولم يجئ على فهم الخاصة الا بعض تلويحات نحو قوله تعالى ليس كمثله شئ وسبحان ربك رب العزة عما يصفون * وقال ذهب بعضهم الى انه يجوز لنا ان نسأل لا نفسنا مقام الوسيلة التي رجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكون له قال لأنه صلى الله عليه وسلم لم يعين حصولها لنفسه ولا حجرها على واحد بعينه وانما نحن مؤثرون له بها فلا نسألها الا له صلى الله عليه وسلم لانه طلب منا ان نسأل الله له الوسيلة انتهى (قلت) هذا كلام فيه ما فيه والذي نعتقده أنه لا يجوز لاحد من الامة سؤال الوسيلة لنفسه أبدا لانعقاد الاجماع على انها لا تكون الا له صلى الله عليه وسلم والله أعلم (وقال) اذا غلق باب التوبة حبس على المؤمن ايمانه بغلق الباب عليه فلا يرتد مؤمن بعد ذلك أبدا لانه ليس للايمان باب يخرج منه كما لا يدخل بعد غلقه ايمان على كافر فعلم ان غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ووبال على الكافر وانما كان هذا الباب بالمغرب دون المشرق لان المغرب محل الاسرار والكتم * وقال الشطح عبارة عن كلمة

لا تناسب جلال الصمدية في معنى تأويل الرائي ممن عبث به الشيطان (فان قيل) ان رؤية الله تعالى على ما هو عليه في ذاته غير ممكن لعدم صحة المثل والمثال في نفس الامر والنائم لا يرى شيأ في المنام الا صورة ومثل (فالجواب) اذا تجلى الحق تعالى بذاته المقدس لعبد في منامه فالروح تعرف بالفطرة الاولية انه هو الاله الحق بخلاف سائر رؤياه المحتاجة للتعبير اذ النفس بالآلات الخيالية لا تستطيع رؤية من لا صورة له ولكن تتصوره بوسائط وأمثلة ثم تذهب الامثلة كالزبد يذهب جفاء ويبقى معها رؤية الله تعالى حقا كما ان كلام الله القديم يتعلمه الناس بأمثلة الحروف في اللوح ثم يمحى اللوح ويبقى القرآن في الحفظ * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله تعالى اعلم أنه لا يلزم من كون الشئ لا صورة له ان لا يرى في صورة على ما قررناه الا ترى أن كثيرا من الاشياء التي لا أشخاص لها ولا صورة ترى في المنام بأمثلة تناسبها بأدنى معنى ولا يوجب التشبيه ولا التمثيل وذلك كالمعاني المجردة مثل الايمان والكفر والشرف والقرآن والهدى والضلالة والحياة الدنيا ونحو ذلك فأما الايمان فكقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت الناس في المنام يعرضون منهم من قميصه الى كعبه ومنهم من قميصه الى أنصاف ساقيه فجاء عمر بن الخطاب وهو يجر قميصه فقالوا يا رسول الله ما أولت ذلك قال الايمان فالايمان لا شكل له ولا صورة ولكن جعل القميص له مثالا فرؤي بواسطته وكذلك الكفر يمثل في المنام بالظلمة وكذلك الشرف والعز يرى بواسطة صورة الفرس وكذلك يمثل القرآن باللؤلؤ ويمثل الهدى بالنور والضلالة بالعمى ولا شك أن بين هذه الاشياء مضاهاة لتلك المعاني المرئية وتجسد المعاني لا ينكره العلماء بالله تعالى قال وموضع الغلط في ذلك لمن منع رؤية الله في صورة ظنه أن المثل بفتحتين كالمثل بكسر الميم وسكون المثلثة وذلك خطأ فاحش فان المثل بالسكون يستدعي المساواة في جميع الصفات كالسوادين والجوهرين ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه في كل حال بخلاف المثل بفتحتين فانه لا يشترط فيه المساواة من كل وجه وانما يستعمل فيما يشاركه بأدنى وصف قال تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء والحياة لا صورة لها ولا شكل والماء ذو شكل وصورة وقد مثل الله تعالى به الحياة وكذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وغير ذلك فعلم أنه لا مثل لله تعالى ولكن له المثل الاعلى في السموات والارض قال ومن هنا جوز الاكثرون من السلف الصالح جواز تجليه تعالى لعبده في المنام كما مر في الامثال وأطال في ذلك ثم قال واللسان يقصر حقيقة عن البيان لانها أمور ذوقية لا تضبطها عبارة والله تعالى أعلم هذا ما رأيته في كتب المتكلمين * وأما ما رأيته في كتب الصوفية فمن أوضحهم عبارة فيه الشيخ محيي الدين رضي الله تعالى عنه فقال في الباب الرابع والستين من الفتوحات اعلم انه لا ينبغي لمسلم أن يتوقف في رؤية الله تعالى في المنام لانه لا شئ في الاكوان أوسع من عالم الخيال وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ما ليس بشئ ويصور لك العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا ويريك العلم لبنا والاسلام قبة والثبات في الدين قيدا قال ودليلنا فيه اذا ما قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله ووجه الشئ حقيقته وعينه فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصوير فعلم ان كل ما جاز وقوعه في المنام والدار الآخرة جاز وقوعه وتجسيده لمن شاء في اليقظة والحياة الدنيا اهـ * وقال أيضا في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة لا يصح لانسان قط أن يعبر عن حقيقة ما طريقه الذوق من غير تكييف كرؤية الله عز وجل أبدا وأطال في ذلك ثم قال واذا صح ان العقل يدرك الحق تعالى جاز أن يدركه بالبصر من غير احاطة لانه لا فضل لمحدث على محدث من حيث الحدوث وانما الفضل من حيث الصفات الجليلة ومن قال ان الحق تعالى يدرك عقلا ولا يدرك بصرا فذلك لاعب لا علم له بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ما هي عليه وذلك كالمعتزلة فان هذه رتبتهم وكل من لا يفرق بين الامور العادية والطبيعية فلا ينبغي لاحد الكلام معه في شئ من الامور العلمية ولولا أن موسى عليه الصلاة والسلام فهم من الامر اذ كلمه ربه بارتفاع الوسائط ما تجرأ على طلب الرؤية فما فعل فان سماع

عليها رائحة رعونة ودعوى عريضة وهي نادرة أن تقع من متقيد بالشريعة لكن من شرط أهل الله اذا ذكروا تذكروا فاستغفروا منها وسيأتي بسط ذلك في الباب الخامس والتسعين ومائة * وقال في الباب الرابع والسبعين العارف من سلك في توبته مسلك أبيه آدم في الندم والاعتراف وأما العزم على انه لا يعود فليس ذلك في يده حقيقة انما هو اظهار أدب أي لو كان الامر في يدي ما عصيتك قط جزما فافهم ذلك وحرره (وقال) في الباب السابع والسبعين ينبغي لمن سمع شخصا يقول الحمد لله رب العالمين أن يصغي لها كما يصغي لتلاوة القرآن فانها قرآن فالادب حمل قراءتها على انه قصد بها التلاوة لا الذكر حتى يثاب السامع لها ثواب من سمع القرآن ولا بد * قال وهذا مشهد غريب قل ان ترى له ذائقا وهو قريب سهل لا كلفة فيه وهو من باب حسن الظن بالناس * وقال في الباب الموفي تسعين انما كان البياض أحب الى الله تعالى وأمر بلباسه يوم الجمعة لان الالوان كلها تستحيل اليه ولا يستحيل هو اليها قال واعلم أن البياض على نوعين أحدهما ما يكون لونا في ظاهر العين فقط كسواد الجبال البيض على البعد فاذا جئتها رأيتها بيضاء وقد كنت تحكم عليها بالسواد غلطا قال وبهذه

كلام الله تعالى بارتفاع الوسائط عين الفهم فلا يفتقر الى فكر وتأويل فلما كان عين السمع فى هذا المقام عين الفهم سأل الله الرؤية ليعلم قومه ومن له هذه المرتبة من الله تعالى يعلم أن رؤية الله تعالى ليست بمحال اهـ وقال أيضا فى الباب التسعين من الفتوحات اعلم أن أعظم نعيم فى الدنيا والآخرة نعيم رؤية البارى جل وعلا لكن هنا دقيقة وهى أن الالتذاذ برؤيته تعالى انما هو راجع الى رؤية المظاهر التى تجلى الحق تعالى فيها تنزلا للعقول لا الى الذات المتعالى وايضاح ذلك أن الالتذاذ بالرؤية لا يكون الا برؤية من بيننا وبينه مجانسة ومناسبة ولا مناسبة بيننا وبين الحق تعالى بوجه من الوجوه (فان قيل) فكيف الرؤية (فالجواب) ان الحق تعالى اذا أراد أن يتفضل على عبد من عبيده المختصين بأن يحصل له الالتذاذ برؤيته أقام له مثلا يتخيله فى عقله مطابقا له لقوله تعالى ولا يحيطون به علما وتقدم فى الكتاب أن مراد من يقول ان الحق تعالى اذا حيط عبد به أحاط به هو علمه بأنه تعالى لا يحاط به فهذا هو معنى الاحاطة * وقال أيضا فى الباب الثامن والتسعين ومائة اذا أراد الله عز وجل أن يرى عبدا من عبيده نفسه تعالى فلا بد من فناء العبد عن شهود نفسه عند التجلى وتجرد الروح وحينئذ ترى ربها كما يراه الملائكة اذا أراد الحق تعالى أن ينعم عبده ويلذذه برؤيته ومشاهدته فلا بد من ارسال الحجاب فيقع التلذذ للمشاهد قال وهذه مسئلة من الاسرار ما أظهرتها باختيارى وانما كنت فى اظهارها كالمجبور اهـ * وعبارته فى كتاب لواقح الانوار اعلم انه لا بد من فناء المشاهد عند رؤية البارى جل وعلا فيغيب عن حسه وعن لذته لان النفس أحدية الذات ليس فى قدرتها أن تشتغل بأمرين معا فى آن واحد فلا بد أن تكون متوجهة بكليتها لادراك الرؤية أو قبولها فاذا أشهدك تعالى نفسه أفناك عنه فلا يجد الخطاب محلا يتوجه عليه واذا كلمك أو حدثك لانه لا بد للقبول منك حتى تقبل الخطاب والا فلا فائدة للخطاب اهـ * وكان أبو العباس السيارى أحد شيوخ الطائفة الاكابر يقول ما التذ عاقل قط بمشاهدة الحق تعالى وذلك لانها فناء ليس فيها لذة ووافقه على ذلك الشيخ فى الفتوحات وقال فى لواقح الانوار أيضا اذا أقامك الحق تعالى فى مشهد ما وأشهدك نفسك معه فانت من أبعد الابعدين لان نفسك كون وأين الكون فى الرتبة من رب العالمين لكن لك حينئذ حقيقة المجاورة المنوه بها وهى أنه ليس بينك وبين الله تعالى أمر زائد كما ليس بين الجوهرين المتجاورين حيز ثالث ولله المثل الاعلى قال ثم ان هذه المجاورة لا يعقلها الا أهل الكشف * وفى حديث الطبرانى وغيره مرفوعا بين العبد وبين ربه سبعون ألف حجاب من نور وظلمة فما من نفس تسمع بشئ من حس تلك الحجب الا زهقت اهـ وفى رواية أخرى ان لله تعالى سبعين ألف حجاب بينه وبين خلقه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه (فان قيل) فكيف رؤية البارى جل وعلا لخلقه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والسبعين ومائة أن صورة نظر الحق تعالى الى العالم أنه ينظر اليه بعين الرحمة لا بعين العظمة كما يليق بجلاله تعالى ولهذا ثبت العالم معه تعالى عند الرؤية ولو أنه تعالى نظر الى العالم بعين العظمة كما يليق بجلاله لاحرق العالم كله بسبحات وجهه كما مر آنفا فى الحديث قال وهذه الرحمة هى عين الحجاب الذى بين العالم وبين السبحات المحرقة فهى كالعماء الذى أخبر الشارع أن الحق تعالى كان فيه قبل أن يخلق الخلق وأكثر من ذلك لا يقال * وقال الشيخ فى باب الاسرار اذا عرفت الحق تعالى فلا يعاين الا من حيث العلم والمعتقد والله أجل وأعلى من أن يحاط بذاته اهـ * وقال فى باب الوصايا من الفتوحات اعلم أن من علامة صدق من يدعى أنه يشاهد الحق تعالى انه اذا عكس مرآة قلبه الى الكون يعرف ما فى ضمائر جميع الخلق ويصدقه الناس على ذلك الكشف (فان قلت) فما الفرق بين الرؤية وبين الشهود الذى تقول به الطائفة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والستين ومائتين أن الرؤية لا يتقدمها علم بالمرئى أبدا والشهود يتقدمه علم بالمشهود وهو المسمى بالعقائد ولهذا يقع الاقرار والانكار فى الرؤية يوم القيامة لانهم رأوا من لم يتقدم لهم به علم بخلاف الشهود فانه لا يكون فيه الا الاقرار لا الانكار وايضاح ذلك أن الشاهد

المشابة أيضا زرقة السماء انما هو فى نظر العين وان كانت فى نفسها على لون يخالف لون الزرقة * وقال فيه انما اختار الحق تعالى من الشهور رمضان لمشاركته لاسم الله فقد ورد أن رمضان من أسمائه تعالى فتعينت له حرمة ما هى لسائر شهور السنة قال وانما جعله الشارع من الشهور القمرية لتسرى بركته جميع شهور السنة فيحصل لكل يوم من أيام السنة حظ منه فان أفضل الشهور عندنا رمضان ثم شهر ربيع الاول ثم رجب ثم شعبان ثم ذو الحجة ثم شوال ثم القعدة ثم المحرم والى هنا انتهى علمى فى فضل الشهور القمرية وأما بقية الشهور وهى صفر وربيع الآخر والجاديان فهى متساوية فى الفضل فيما يغلب على ظنى فانى ما تحققت فيها تفاضلا فلم يتمكن لى ان أقول ما ليس لى به علم * وقال فى الباب الثانى والتسعين ينبغى لكل مؤمن ان يتورع ان لم يكن ورعا قال ومما يقع فيه غالب المتورعين ان أحدهم اذا رأى شخصا على مخالفة شرع فى افعاله أو اقواله أو عقائده ثم فارقه لحظة واحدة لا يجوز له الحكم عليه بما وقع منه قبل تلك اللحظة ومتى ظن بذلك الشخص انه باق على مخالفته خرج عن مقام الورع وصار من أهل الوقوع فى الشبهات قال وقليل من يكون على هذه

ماهي شاهدة الا لكونه رآه يشهد بصحة ما اعتقده قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه أي يشهد له بصحة ما اعتقده قال ومن هنا سأل موسى الرؤية بقوله أرني أنظر اليك وما قال أشهدني لانه تعالى كان مشهوده ما غاب عنه وكيف يغيب عن رسول كريم ولا يغيب عن الاولياء فما طلب موسى الا الرؤية الخاصة بالانبياء في الآخرة ليجعلها الله تعالى له في الدنيا حين طاب مقامه ذلك وأما شهوده الحق تعالى مثل ما يشهده الاولياء فذلك حبوة وزيادة من حيث مقام ولايته انتهى * وقال في كتاب اللواقح أيضا من الفرق بين الرؤية والشهود أن الشهود هو ما تمسكه في نفسك من شاهد الحق المشار اليه بحديث اعبد الله كأنك تراه فقوله كأنك تراه هو شاهد الحق الذي أقمته في نفسك كأنك تراه قال وهذه درجة التعليم ثم يرتقي منها الى درجة الخصوص وهي علمك بان الله يراك ولا تراه وذلك لانك ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك مثلا في جهة القبلة فقد أخليت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك واذا تحققت بذلك علمت عجزك عن الاحاطة به تعالى لانك متبدد وهو تعالى مطلق وأنت ضيق وهو تعالى واسع وحينئذ تبقى مع نظره المحقق اليك لا مع نظرك أنت اليه لان نظرك يقيده بحدده وهو المنزه عن القيود والحدود فاذن الشهود له المعرفة والرؤية لها الكشف التام اه (فان قلت) فمتى يخرج العبد عن القول بالجهة (فالجواب) كما قاله سيدي على ابن وفا رحمه الله أنه لا يخرج عبد عن القول بالجهة الا ان نفذ كشفه من أقطار السموات والارض وأعطاه الله تعالى شيأ من علمه تعالى قال وأما من تقيد كشفه بالسموات والارض أو البرزخ والجنة والنار فلا يرى ربه الا في جهة اه (فان قلت) فاذن ما رأى أحد ربه الا بصورة استعداده في نفسه وتعالى الله عن ذلك في علو ذاته (فالجواب) نعم ما رأى عبد ربه الا بقدر وسعه وغير ذلك لا يكون اذ لو صح أن يرى عبد فوق مرتبته لبطل اختصاص الانبياء والاولياء على بعضهم ولرقى الاولياء في سلم الانبياء وذلك محال (فان قلت) فاذن ما رأى العبد الا صورة نفسه في مرآة معرفة الحق وما رأى الحق حقيقة (فالجواب) نعم وهو كذلك فحكمه كالانسان الذي رأى وجهه في المرآة المحسوسة فانه يرى صورة نفسه حاجبة له عن شهود جرم المرآة * قال الشيخ محيي الدين في لواقح الانوار وما ثم مثال أقرب ولا أشبه بالرؤية والتجلي من رؤية الشاهد وجهه في المرآة واجهد يا أخي في نفسك عند ما ترى الصورة في المرآة أن ترى جرم المرآة لا تراه أبدا بل تنطبع صورتك في المرآة قبل تحققك بالرؤية فلا يقع بصرك الا على صورة نفسك فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن ترقى الى أعلى من هذا المرقى فما هو ثم أصلا وليس بعده الا العدم المحض اه فليتأمل ويعرف أنه يوهم أن المرئي في الآخرة لجميع الناس غير الحق ولا يخفى ما فيه (فان قلت) فما سبب تفاضل الناس في الرؤية كمالا ونقصا مع أن المرئي سبحانه وتعالى لا تقبل ذاته الزيادة ولا النقصان (فالجواب) سبب التفاضل كونهم لا يشهدون في مرآة معرفة الحق تعالى الا حقائقهم ولو أنهم شهدوا عين الذات لتساووا في الرؤية ولم يصح بينهم تفاضل ولكن أين حقائق الانبياء من غيرهم (فان قلت) فهل يتفاوتون في الآخرة كما تفاوتوا في الدنيا (فالجواب) نعم فان تفاوتهم في الآخرة فرع عن تفاوتهم في الدنيا وقد قال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة اعلم أن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة تابعة لاعتقادهم الذي كانوا عليه في دار الدنيا ليجني كل أحد ثمرة ما كان يعتقده فرؤيتهم على قدر علمهم بالله تعالى وعلى قدر ما فهموه وممن قلدوه من العلماء وكما أنهم متفاضلون في النعيم واللذة فمنهم من حظه من النظار الحربة لذة عقلية ومنهم من حظه من ذلك لذة نفسية ومنهم من حظه من ذلك لذة حسية ومنهم من حظه من ذلك لذة خيالية ومنهم من حظه من ذلك لذة مكيفة ومنهم من حظه لذة يقال بتكييفها ومنهم من حظه لذة لا يقال بتكييفها ومنهم من هو مقلد في علمه بالله بحسب ما ألقى اليه عالمه أو على حسب ما عنده من العلم واما على قدر ما يتخيله عقله فقط ومنهم من هو غير مقلد وهكذا (فان قلت) فما أكمل الرؤية التي تقع للخلق (فالجواب) أكمل الرؤية رؤية الانبياء ثم رؤية كمل أتباعهم فان الكمل لا يرون ربهم الا في مرآة نبيهم المأخوذة من شرعه الثابت عنه واعلم أن عدد

القدم * وقال في الباب الثامن والتسعين من شرط الولي الكامل ان لا ينام له قلب بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكامل مطالب بحفظ ذاته الباطنة عن الغفلة كما يحفظ باليقظة ذاته الظاهرة (قلت) ذكر الشيخ في الباب الحادي والتسعين انه يجب على الورع انه يجتنبه في خياله كما يجتنبه في ظاهره لان الخيال تابع للحس * قال ولهذا كان المريد اذا وقع له احتلام واشيخه معاقبته على ذلك لان الاحتلام برؤيا في النوم أو التصور في اليقظة لا يكون الا من بقية شهوة في خياله فاذا احتلم صاحب كمال فاعلم ان ذلك اضعف اعضائه الباطنة لعارض طرأ في مزاجه لا عن احتلام لا في حلال ولا في حرام انتهى فتأمله والله أعلم * وقال في الباب الثامن ومائة فتنة العبد باتساع الدنيا عليه وانقياد الوجود له أعظم من فتنة الضيق وعصيان الخلق له * وقال الشهوة آلة للنفس تعلو به الى المشتهى وتسفل باسفاله وحقيقة الشهوة ارادة الالتذاذ بما ينطلب أن يلتذ به * قال والذي أقول به ان صحبة المريدين للاحداث حرام عليهم لاستيلاء الشهوة الحيوانية عليهم بسبب ضعف العقل الذي جعله الله مقابلا لها بخلاف الكمل من الرجال الذين ارتقوا عن عالم طبيعتهم فان الكامل اذا رأى الامرد

فلو انه تعالى أيده بالقوة في بصره كما أيده بها في سمعه لثبت للرؤية كما ثبت لسماع الكلام اذ لا طاقة للمحدث على رؤية الحق تعالى الا بتأييد الهي اهـ (فان قلت) فما السبب الذي دعا موسى عليه الصلاة والسلام الى سؤال الرؤية دون سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان كان هو شدة الشوق فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أشد شوقا منه بيقين لان الشوق يعظم بشدة المعرفة بعظمة من وقع الاشتياق الى رؤيته وان كان الباعث له على ذلك هو التقريب فكل الانبياء مقربون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة أن السبب الداعي له الى طلب الرؤية زيادة التقريب على غيره من الانبياء ماعدا محمدا صلى الله عليه وسلم فان الحق تعالى لما أقام موسى في مقام التقريب لم يتمالك أن يمنع نفسه عن سؤال الرؤية ومحمد صلى الله عليه وسلم منعه الادب أن يسأل ذلك مع أنه كان بالاشواق الى رؤية البارى أكثر من موسى عليه الصلاة والسلام بيقين فلما ملك مقام الادب لقوة تمكينه حفظ الله عليه المقام حتى دعاه تعالى الى رؤيته على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وأرسل له براقا ركب عليه تشريفا له على موسى عليه الصلاة والسلام فعلم أن موسى عليه الصلاة والسلام مامنع من الرؤية الا لكونه سألها عن غير وحي الهي ومقام الانبياء يقتضي المؤاخذة بالذرات ولذلك كان الجواب له لن تراني من حيث سؤاله الرؤية ثم انه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم أن التأديب بلغ حده في موسى من حيث سؤاله الرؤية بغير أمر من الله تعالى فقال له تعالى ولكن انظر الى الجبل فأحاله على الجبل في استقراره عند التجلي حيث كان الجبل من جملة الممكنات فلما تجلى سبحانه وتعالى للجبل وهو محدث وتدكدك الجبل لتجليه علم كل عارف أن الجبل رأى ربه وان الرؤية هي التي أوجبت له التدكدك ومن هنا قال بعض المحققين اذا جاز أن يكون الجبل رأى ربه فما المانع لموسى أن يرى ربه في حال تدكدك الجبل ويكون وقوع النفي على الاستقبال والآية محتملة فكان الصعق لموسى قائما مقام التدكدك للجبل ثم لما وقع التجلي للجبل واندك علم موسى انه وقع فيما لم يكن ينبغي له سؤاله وان كان الحامل له على ذلك كثرة الشوق فقال تبت اليك وأنا أول المؤمنين يعني بوقوع هذا الجائز اهـ وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما أطمع موسى في طلب الرؤية الا ما قام عنده من التقريب ومعلوم أن الرسل أعلم الناس بالله تعالى فهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالادراك البصري كما ينبغي لجلاله تعالى وعلى ذلك فما سأل موسى الا ماجوزه السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا لان ذلك من محالات العقول انتهى * وقال في الباب التاسع ومائتين انما أحال الحق تعالى موسى عليه الصلاة والسلام على رؤية الجبل حين سأل رؤية ربه لان من صفات الجبل الثبوت يعني ان ثبت الجبل اذا تجليت له فتراني من حيث ما في ذاتك من صفة ثبوت الجبال يقال فلان جبل من الجبال اذا كان يثبت عند الشدائد والامور العظيمة ولا يخفى ان الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وانما ذلك من حيث كون خلق الارض التي الجبل منها أكبر من خلق موسى الذي هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أي فاذا كان الجبل الذي هو أقوى صار دكا عند التجلي فكيف يثبت لرؤيتي جبل موسى الذي هو جبل صغير من حيث الجرم انتهى (فان قيل) فلم رجع موسى الى صورته بعد الصعق ولم يرجع الجبل بعد الدك الى صورته (فالجواب) انما لم يرجع الجبل الى صورته لخلوه عن الروح المدبرة له بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى صورته بعد الصعق لكونه كان ذا روح فروحه هي التي أمسكت صورته على ماهي عليه بخلاف الجبل لم يرجع بعد الدك الى كونه جبلا لعدم وجود روح فيه تمسك عليه صورته انتهى (فان قلت) فقد قال أهل الكشف ان الجماد كله حي فما هذه الحياة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والتسعين وثلثمائة ان المراد بحياة الجماد كونه يسبح بحمد ربه وينزهه ويقدسه لا ان له اختيارا وتدبيرا كالحيوان المشهور * قال الشيخ ومن أعظم دليل سمعي على حياة الجماد قوله تعالى وان منها لما يعني الحجارة لما يهبط من خشية الله فانه لا يوصف بالخشية الا حي دراك ولكن قد أخذ الله تعالى بأبصار الانس والجن

الخاصة وان وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو بخلاف هذا العمل فالعدول الى الشاق واجب لانه ان اعتادت المساعدة في مثل هذا أثرت في المساعدة في المحظور والمكروه والمباح * وقال في الباب الخامس عشر ومائة في قوله صلى الله عليه وسلم لاغيبة في فاسق الذي فهمته من هذا الحديث انه نهي لانفي وعلى ذلك جرى أهل الورع في فهم هذا الحديث أي لا تغتابوا الفاسق المعين وعرضوا بالغيبة على وجه المصلحة لغير معين كما كان صلى الله عليه وسلم يقول ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا قال ومع كون الغيبة محمودة في مواضع مذكورة في كتب الفقه فعدم التعيين أولى فهم من التعيين الا ان ترتب على ذلك حكم شرعي * وقال في الباب السادس عشر ومائة القناعة عندنا على بابها في اللسان وهي المسئلة والقانع هو السائل ولكن من الله تعالى لا من غيره وهو قوله تعالى في الظالمين يوم القيامة مقنعي رؤسهم الى الله يسألونه المغفرة عن جرائمهم فعلم أن من سأل غير الله فليس بقانع ويخاف عليه من الحرمان والخسران فان السائل موصوف بالركون الى من سأله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ومن ركن الى جنسه فقد ركن الى ظالم لان

عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله تعالى كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل سمعى فى ذلك لكشفنا عن حياة كل شئ عيانا واسماعنا تسبيح الجماد ونطقه قال وكذلك اندكاك الجبل حين وقع له التجلى ماوقع منه الا لمعرفته بعظمة الله تعالى ولولا ما كان عنده من المعرفة ماندك اذ الذوات لا تؤثر فى بعضها من حيث هى ذات وانما يؤثر فيها معرفتها وانظار الى الملك اذا دخل الى السوق على هيئة العوام ومشى بينهم وهم لا يعرفونه كيف لا يقوم له وزن فى نفوسهم ثم اذا لقيه فى تلك الحالة من يعرفه من خواصه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتادب معه وخضع له فاذا رأى الناس ذلك من هذا الخاضع الذى يعرفون قربه ومنزلته من الملك حارت اليه أبصارهم وخشعت له أصواتهم وأوسعوا له فى الشارع وتبادروا لرؤيته واحترامه فما أثر فيهم الا ما قام بهم من العلم بما احترمه وحينئذ لمجرد صورته لانها كانت مشهودة لهم قبل علمهم بانه الملك فتأمل فعلم ان كونه ملكا ليس هو عين صورته وانما هى رتبة نسبية أعطته التحكم فى العالم الذى هو تحت حكمه اه (فان قلت) قد ورد فى الحديث أن العبد يناجى ربه فى الصلاة فى هذه الدار ومعلوم انه لا يصح ان يناجى الا من يتخيله مناجيا له كذلك فبم تميزت الدار الآخرة (فالجواب) تميزت الدار الآخرة بكون العبد هنالك يعرف من يناجيه ويسمع كلامه وهنا لا يعرفه ولا يسمع كلامه فلابد من مزيد انكشاف للعبد فى الآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لنا فى هذه الدار اعبد الله كأنك تراه وقال فى الدار الآخرة مامن أحد الا سيكلمه ربه كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان الحديث وايضاح ذلك ان كل مدرك بشئ من القوى الظاهرة أو الباطنة التى فى الانسان لابد أن يكون بتخيل ولولا ذلك التخيل ماسكن اليه فلا يقع السكون الا لمتخيل بفتح التحتية من متخيل بكسرها وجميع العقائد كلها تحت هذا الحكم ولهذا سميت عقائد فان العقائد علاها الحبال والحبال لا يصح ان يضبط أمرا أبدا ولذلك كان من لازم صاحب الوهم قلة السلامة منه انتهى (فان قيل) فهل يقع من أهل الكشف فى الدنيا انكار الشئ من التجليات الأخروية (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين وثلثمائة لا يقع من أهل الكشف شئ من الانكار للتجلى الاخروى وانما يقع ذلك من أصحاب النظر العقلى وذلك لانهم قيدوا الحق تعالى بما أدت اليه عقولهم المعقولة فلما لم يروا فى الآخرة ماقيدوه بعقولهم فى الدنيا أنكروه ضرورة الا تراهم اذا وقع التجلى لهم بالعلامة التى كانوا قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو انه تعالى كان تجلى لقلوبهم بهذه العلامة أولا لما انكروه فعلم ان أهل الكشف لا يقع منهم انكار والسلام انتهى * وكان سيدى على بن وفا رحمه الله يقول لا يقر بالحق تعالى فى تجل من تجليات الآخرة الا أهل التنزيه المطلق الذى هو تجريد التوحيد عن شريك يقابله قال وهذا هو سر العيان الذى يستحيل معه الحجاب انتهى (فان قيل) اذا كان الحق تعالى واحدا لا ثانى له فى نفس الامر فمن أين جاء الانكار (فالجواب) كما قاله الشيخ فى باب الاسرار جاءهم الانكار من اختلاف الامزجة فكل واحد يصوب اعتقاد نفسه ويخطئ غيره وهو تعالى فى نفسه واحد لا يتبدل ولا يتحول فالاعتقادات هى التى تنوعه وتفرقه وتجمعه وتعالى الله فى على ذاته عن ذلك (فان قيل) فما علامة صدق من يرى الله تعالى بقلبه فى هذه الدار على الكشف القلبى (فالجواب) علامته أن يراه من سائر الجهات الست من غير ترجيح لاحدى الجهات على بعضها قال الشيخ محيى الدين فى الباب السادس عشر ومائتين وقد ذقناه هذا المقام ولله الحمد قال وكذلك هى رؤية أهل الجنة فى الجنة اذا رأوه بأبصارهم تكون الرؤية مطلقة لا تتقيد بجهة انتهى (فان قلت) ان بعض المحققين منع رؤية الحق تعالى أيضا بالقلوب كالابصار فما وجهه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب العشرين وأربعمائة أن وجهه اطلاق الابصار فى الآية أى لا تدركه الابصار من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب وذلك أن القلوب لا ترى الا بالبصر وأعين الوجوه لا ترى أيضا الا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذى يقع به الادراك فيسمى البصر فى القلب عين البصيرة ويسمى فى الظاهر بصر العين فكما ان العين فى الظاهر محل البصر كذلك البصيرة فى الباطن محل العين الذى هو بصر فى عين الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو فى نفسه كما

الله تعالى قال فى الانسان انه كان ظلوما جهولا انتهى وهو كلام نفيس * وقال فى الباب الرابع والعشرين ومائة فى قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام قال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب الآية معناه أحببت الخير عن ذكر ربى الخير بالخيرية فاحببته لذلك والخير هى الصافنات الجياد من الخيل وأما قوله فطفق مسحا أى مسح بيده على أعرافها وسوقها فرحا واعجابا بخير ربه لا فرحا بالدنيا لان الانبياء منزهون عن ذلك وهذه تشبه ماوقع لايوب عليه السلام حين أرسل الله له جرادا من ذهب فصار يحثو فى ثوبه منه ويقول لا غنى لى عن بركتك يارب انتهى فما أحب سليمان الخير الا لكونه تعالى أحب حب الخير ولذلك اشتاق اليها لما توارت بالحجاب يعنى الصافنات الجياد لكونه فقد المحل الذى أوجب له حب الخير عن ذكر ربه فقال ردوها على وقال وليس للمفسرين الذين جعلوا التوارى للشمس دليل فان الشمس ليس لها هنا ذكر ولا الصلاة التى يزعمون ومساق الآية لا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر البتة قال وأما ستر واحدهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالفتنة هى الاختبار يقال فتنت الذهب أو الفضة اذا اختبرتهما بالنار فلا ينافى ذلك ماقلناه اذ كان متعلقه الخيل

لاتدركه العيون بابصارها كذلك لاتدركه البصائر بأعينها انتهى (فان قيل) فهل وقعت رؤية الله تعالى يقظة فى الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الارث له فى المقام (فالجواب) كما قاله الشيخ عبد القادر الجيلى رضى الله تعالى عنه لم يبلغنا وقوع ذلك فى الدنيا لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له ان فلانا يزعم انه يرى الله تعالى بعينى رأسه فأرسل الشيخ خلفه وقال له أحق ما يقول هؤلاء عنك فقال نعم فانتهره الشيخ وزجره عن هذا القول وأخذ عليه العهد أن لا يعود اليه فقيل للشيخ أمحق هذا الرجل أم مبطل فقال هو محق ملبس عليه وذلك انه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال البديع ثم خرق من بصيرته الى بصره منفذ فرأى ببصره بصيرته حالة اتصال شعاعها بنور شهوده فظن ان بصره الظاهر رأى ما شهدته بصيرته وانما رأى بصره حقيقة بصيرته فقط من حيث لا يدرى قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وكان جمع من المشايخ حاضرين فأعجبهم هذا الجواب وأطربهم ودهشوا من حسن افصاحه رضى الله عنه عن حال ذلك الرجل قال الشيخ عبد القادر الجيلى وقد تراءى لى مرة نور عظيم ملأ الافق ثم بدت لى فيه صورة تنادينى يا عبد القادر أنا ربك وقد أسقطت عنك التكاليف فان شئت فاعبدنى وان شئت فاترك فقلت له اخسأ يا لعين فاذا ذلك النور قد صار ظلاما وتلك الصورة صارت دخانا ثم خاطبنى اللعين وقال لى يا عبد القادر نجوت منى بعلمك بأحكام ربك وفقهك فى أحوال منازلاتك ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقيل للشيخ عبد القادر فمن أين عرفت انه شيطان فقال باحلاله لى ما حرمه الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه تعالى لا يحرم شيأ على السنة رسله ثم يبيحه لاحد فى السر أبدا انتهى (فان قلت) ان الحق تعالى أخبر انه أقرب الينا من حبل الوريد فاذا كان بهذا القرب العظيم فما المانع من رؤيته (فالجواب) المانع من رؤيته شدة القرب كما قال تعالى ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون أى لشدة قربى منكم وقد أطال الشيخ فى تفسير قوله تعالى لا تدركه الابصار فى الباب الخامس والعشرين وأربعمائة وفى الباب الحادى وعشرين ومائتين * وقال فى كتابه شرح ترجمان الاشواق اعلم ان الحق تعالى اذا كان الوهم لا يحيط به مع أنه ألطف من الادراك الحسى فكيف يدركه البصر الذى هو الا كثف انتهى * وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول قوله تعالى لا تدركه الابصار صحيح على ظاهره فان المبصر للحق جل وعلا انما هم المبصرون بالابصار لا نفس الابصار انتهى فليتأمل (فان قلت) فهل ثم وجه جامع بين قول من أثبت رؤية البارى وبين قول من نفاها (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ولفظه اعلم ان الجامع بين من أثبت رؤية الله عز وجل وبين من أنكرها ونفاها ان من أثبتها أراد أنها تكون على قدر وسع العبد ومن نفاها أراد أن حجاب العظمة مانع من رؤية حقيقة الذات وكل من لا يحيط بشئ كأنه ما رآه مع انه رآه انتهى * وقال فى لواقح الانوار أيضا اعلم ان حجاب الكبرياء على الذات المتعالى لا يرتفع أبدا كما أشار اليه خبر مسلم بقوله صلى الله عليه وسلم وليس على وجهه تعالى الارداء الكبرياء فى جنة عدن واذا كان هذا الحجاب لا يرتفع فما وقعت الرؤية دائما الا على الحجاب فصح قول من قال ان الحق يصح أن يرى ومن قال لا يصح ان يرى يحمله على هاتين الحالتين انتهى * وأما الكلام على رؤيته تعالى فى المنام فقد قدمنا أول المبحث نقول المتكلمين فيها وها نحن نذكر لك نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم ان الاصل فى صحة الرؤيا ما رواه الطبرانى وغيره مرفوعا رأيت الليلة ربى فى صورة شاب أمرد قطط له وفرة من شعر وفى رجليه نعلان من ذهب الحديث قال الحافظ السيوطى رحمه الله وهو حديث صحيح قال الشيخ محيى الدين فى الباب الاحد وثمانين وثلثمائة قد اضطربت عقول العلماء فى معنى هذا الحديث وفى صحته فضعفه بعضهم وأثبته بعضهم وتوقف فى معناه وأوله ولا يحتاج الامر الى تأويل فانه صلى الله عليه وسلم انما رأى هذه الرؤيا فى عالم الخيال الذى هو النوم ومن شأن الخيال أن النائم يرى فيه تجرد المعانى فى الصور المحسوسة وتجسد ما ليس من شأنه ان يكون جسدا لان حضرته تعالى ذلك فما ثم أوسع من الخيال قال ومن حضرته أيضا ظهر وجود المحال فانك ترى فيه

ولابد يكون اختياره اذا رآها هل أحبها عليه السلام عن ذكر الله لها أو أحبها لعينها فأخبر عليه السلام أنه انما أحبها عن ذكر ربه اياها لا لعينها مع حسنها وكمالها وحاجته اليها فانها جزء من الملك الذى طلب أن لا يكون لاحد من بعده فأجابه الحق الى ما سأل فى المجموع ورفع الحرج عنه بقوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب أى ما ينقصه هذا الملك من ملك الآخرة شيأ كما يقع لغيره (قلت) هذا تفسير غريب لم أره لغير الشيخ فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والعشرين ومائة اعلم ان رضا الله عن العبد يكون بحسب مشيه على الشرع كثرة وقلة فمن لم يخل بالعمل فى شئ من الشريعة فهو صاحب الرضا الكامل ومن أخل بالعمل فى شئ منها نقص من الرضا بقدر ما أخل وهذا ميزان فى غاية الوضوح والانسان على نفسه بصيرة انتهى بالمعنى فى بعضه * وقال فى الباب التاسع والعشرين ومائة يجب على العبد الرضا بقضاء الله لا بكل مقضى فلا ينبغى الرضا بالمعاصى ولو رأيت وجه الحكمة فيها فانك اذا كنت صحيح الرؤية والكشف ترى الحق تعالى غير راض عنك فى فعلها وان لم تره فارجع الى حكم الشرع ولا يرضى لعباده الكفر

واجب الوجود الذي لا يقبل الصور في صورة ويقول انه معبر المنام صحيح ما رأيت ولكن تأويلها كذا وكذا فقد قبل المحال الوجود في هذه الحضرة فاذا كان الخيال بهذه القوة من التحكم في الامور من تجسد المعاني وجعله ما ليس قائما بنفسه قائما بنفسه وهو مخلوق فكيف بالخالق وكيف يقول بعضهم ان الله تعالى غير قادر على خلق المحال وهو يشهد من نفسه قدرة الخيال على المحال وأطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثامن والتسعين ومائة ثم قال ولو لم يكن من قوة الخيال الا أنه يريك الجسم في مكانين فيكون الانسان نائما في بيته ويرى في منامه ان عين جسمه في مدينة أخرى وعلى حالة أخرى تخالف حالته التي هو عليه في بيته وهو عينه لا غيره ان أدرك الوجود على ما هو عليه ولولا ذلك ما قدر العقلاء على فرض المحال فانه لولاه ورؤيته في نفسه ما قدر على فرضه * قال ومن هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة وهو عند الله حي يرزق ويأكل وروى الترمذي في حديث القبضتين مرفوعا ان الحق لما قبض قبضته أي كل يد بجلاله فاذا فيها آدم وذريته فآدم في هذه القصة في القبضة وهو عينه خارج عنها فيا من يحيل الجمع بين الضدين ما تقول في هذا الحديث وأطال في ذلك هذا كلامه بحروفه فتأمله وحرره والله يتولى هداك (فان قلت) فاذن المواطن تحكم بنفسها على كل من ظهر فيها فمن مر على موطن انصبغ به كحكم الخيال على صاحبه برؤية الحق تعالى في صورة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وأربعمائة نعم هو كذلك والدليل الواضح في ذلك ما ذكرته في السؤال من رؤيتك الله تعالى في المنام الذي هو موطن الخيال في صورة فاذا كان حكم الموطن قد حكم عليك في الحق تعالى بما هو منزه عنه فلا تراه الا كذلك فكيف بغيره ثم انك اذا خرجت من حضرة الخيال الى موطن النظر العقلي لم تدرك الحق تعالى الا منزها عن تلك الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال فاذا كان الحكم للمواطن عرفت اذا رأيت الحق تعالى ما رأيت وأثبت ذلك الحكم للموطن حتى يبقى الحق تعالى لك مجهولا أبدا فلا يحصل لك به احاطة أبدا وغاية أمرك توحيد المرتبة له لا غير وأما علمك بذاته تعالى فهو محال لانك لا تخلو عن موطن تكون فيه يحكم عليك ذلك الموطن بحاله فلا تعرف الله تعالى من حيث ما يعرف الله نفسه أبدا فما عندك من معرفته في موطن ينقدح منك في موضع آخر فما عندك من العلم به ينفد وما عنده تعالى من علمه بنفسه لا يتغير ولا يتبدل انتهى (فان قلت) فاذا كان ما يراه الانسان في النوم بهذه المثابة فلا يصح لاحد القطع بما يراه في المنام أبدا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما ذكره الشيخ في لواقح الانوار قال لان دائرة الخيال واسعة وكل ما يظهر فيها ومنها يحتمل التأويلات فلا يحصل القطع الا ان استند الرائي الى علم آخر وراء ذلك اذ الخيال ليس له حقيقة في نفسه لانه أمر برزخي بين حقيقتين وهما المعاني المجردة والمحسوسات فلهذا يقع فيه الغلط قال وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم حين أتاه جبريل بصورة عائشة في سرقة من حرير وقال له هذه زوجتك كيف قال له ان يكن من عند الله يمضه ولو ان جبريل أتاه بذلك من طريق الوحي المعهود في الحس أو بطريق المعاني المجردة الموجبة لليقين لما كان يمكنه الجواب بمثل ذلك لان النصوص لا يدخلها تأويل ولا خطأ ولا تردد انتهى (فان قلت) فما السبب الداعي لرؤية الله تعالى في النوم مع قوله صلى الله عليه وسلم انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا السابق أول المبحث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة أن السبب لرؤية الله في المنام كون النوم أخا الموت فمعنى الحديث انكم ترونه بعد موتكم لا في حال حياتكم فما نفى الشارع الا رؤية الله في الدنيا يقظة لغير من استثنى وسبب عجز الناس عن رؤيته ربهم في الدنيا ضعف نشأة هذه الدار الا لمن أمده الله بالقوة بخلاف نشأة الآخرة لقوتها (فان قلت) فما محل وقوع النوم في العالم (فالجواب) محل النوم ما تحت مقعر فلك القمر خاصة وما فوق فلك القمر لا نوم وأما محله في الآخرة فما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة قال الشيخ محيي الدين ومن هنا أنكر بعضهم كون الملائكة يرون ربهم وقال ان الملائكة خلقوا للبقاء من غير موت فلا يرون الله في الدنيا ولا في الآخرة لعدم موتهم ونومهم وقد أطال الشيخ الكلام على الرؤيا في الباب التاسع والتسعين من الفتوحات وذكر في موضع آخر من الفتوحات ان جبريل لا يرى

(قلت) وأكثر من يقع في لرشا بالذي هي أصحاب حضرة توحيد العام اذا لم يكن لهم شيخ ويظنون بنفوسهم انهم حوطبوا بأمر من الله خلاف ما جاءت به الشريعة وهذا كفر وتلبيس فان الحق تعالى ما نهى عن شيء على لسان رسله ويبيحه من ورائهم لاحد من أممهم أبدا فتفهم والله أعلم * وقال في الباب السادس والاربعين ومائة اياك ان ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل بادر لما حكم به وان فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين امضاء ظاهر الحكم به فلا يعول عليه فانه مكر نفساني في صورة علم الهي من حيث لا يشعر قال وقد وقعنا بقوم صادقين من أهل الله من التبس عليهم هذا المقام ورجحوا كشفهم وما ظهر من فهمهم مما يبطل ذلك الحكم وهم مخطئون في ذلك قال واعلم ان تقديم الكشف على النص ليس عندنا بشيء ولا عند أهل الله تعالى وكل من عول عليه فقد غلط وخرج عن الانتظام في شرع أهل الله تعالى ولحق بالاخسرين أعمالا وأطال في ذلك ثم قال واذا ورد على أحد من أهل الكشف وارد الهي يحل له ما ثبت تحريمه في نفس الامر من الشرع المحمدي وجب عليه جزما ترك هذا الوارد لانه تلبيس ووجب عليه الرجوع الى حكم الشرع الثابت وقد ثبت

ر به فى الدنيا وانما يراه فى الآخرة فقط فليتأمل ويحرر (فان قلت) فما الفرق بين النوم والموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع عشر وثلثمائة ان الموت فيه اعراض الروح عن تدبير الجسم بالكلية ويزول بذلك جميع القوى كما يدخل الليل بغيب الشمس وأما النوم فليس هو اعراضا عن الجسم بالكلية وانما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة فى النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع ادراك الشمس لذلك السحاب المتراكم بينها وبين الارض (فان قلت) فما السبب فى عدم نقض وضوئه صلى الله عليه وسلم بالنوم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وثمانين وثلثمائة ان السبب فى ذلك شدة حياة قلبه صلى الله عليه وسلم فاذا انتقل الى عالم الخيال لم يتغير عليه حال بل يرى صورته هناك بسرعة يقظانه فكأنه لم ينم فلم يحدث وكذلك جسده المحسوس لم يطرأ عليه ما ينقض طهارته ومن هنا قال بعضهم النوم سبب للحدث ما هو عين الحدث (فان قلت) فمن أصدق الناس رؤيا (فالجواب) أصدقهم رؤيا من تجلى له ما رآه فى حضرة خياله الذى هو فيه فهذا هو الذى تصدق رؤياه أبدا (فان قلت) فاذن كل رؤيا صادقة (فالجواب) نعم هى صادقة بلا شك لا تخطئ واذا قيل ان الرؤيا اخطأت فما اخطأت وانما الذى عبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة الا ترى انه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حين عبر الرؤيا أصبت بعضا واخطأت بعضا وما قال له خيالك فاسد لانه رأى حقا ولكن اخطأ فى التأويل وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والستين من الفتوحات فراجعه (فان قلت) فما الفرق بين الرؤيا والحلم المشار اليهما فى حديث الرؤيا من الله والحلم من الشيطان (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الحليم ان الرؤيا هى رؤيا الامر على ما هو عليه فى نفسه وأما الحلم فهو رؤيا الامر على خلاف ما هو عليه يقال حلم الاديم اذا فسد وكذلك النوم أفسد المعنى عن صورته لانه ألحقه بالحس وليس بمحسوس فاذا أخبر المحتلم العارف بما رأى عبر له ذلك العارف بنقل تلك الصورة الى المعنى الذى ظهر بها فردها الى أصلها كما أفسد الحلم العلم وأظهره فى صورة اللبن فلبس باللبن فرده صلى الله عليه وسلم بتأويل الرؤيا الى أصله وهو العلم وجرده عن تلك الصورة وقد جاء رجل الى محمد بن سيرين رضى الله عنه فقال انى رأيت انى أرد الزيت فى الزيتون فقال له أمك تحتك فبحث الرجل عن ذلك فوجد أمه تحته تزوجها وما عنده خبر منها وأين صورة نكاح الرجل أمه من رد الزيت فى الزيتون فتأمل وبالجملة فكل من رأى الامر على ما هو عليه فهو صاحب كشف لا صاحب حلم سواء كان فى النوم أو فى اليقظة انتهى (فان قلت) فما معنى حديث رؤيا المؤمن على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا احدث بها وقعت (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الثامن والثمانين ومائة ان لله تبارك وتعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا وبيده صور الاجساد التى يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور فى الاكوان فاذا نام الانسان انتقلت اللطيفة الانسانية بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بها الذى محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهى ما يشاء الحق تعالى أن يريه لهذا النائم من ادراك المعانى متجسدة ونحو ذلك حتى انه يرى الحق تعالى فى صورة كامرة فاذن ما عبر أحد الرؤيا حيث عبرها الا بعد ان تصورها فى خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذى كانت فيه حديث نفس أو تحزين شيطان الى خيال العابر لها (فان قلت) فما المراد بالطائر فى الحديث (فالجواب) الطائر هو الحظ قال تعالى قالوا طائركم معكم أى حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر وايضاح ذلك ان الله تعالى اذا أراد ان يرى أحدا رؤيا جعل لصاحبها فيما يراه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضى رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك فى صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية وانما جعلها الحق تعالى فى صورة طائر لانه يقال طار سهمه بكذا فاذا وقعت

عند أهل الكشف بأجمعهم أنه لا تحليل ولا تحريم لاحد بعد انقطاع الرسالة والنبوة وأطال فى ذلك * ثم قال فتفطنوا يا اخواننا وتحفظوا من غوائل هذا الكشف فقد نصحتكم ووفيت الامر الواجب على فى النصح والله أعلم * وقال فى الباب الثامن والاربعين ومائة فى قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله انما أضاف نور الفراسة الى الاسم الله دون غيره لان الاسم الله هو الجامع لاحكام الاسماء فيكشف المذموم والمحمود وحركات السعادة والشقاء فلو انه صلى الله عليه وسلم أضاف نور الفراسة الى الاسم الحميد مثلا لما كان المتفرس يرى بنور فراسته الا المحمود السعيد خاصة قال ومن كانت فراسته العلامات الربانية فلا تخطئ له فراسة بخلاف من كانت فراسته مستندة الى الفراسة الحكمية كقولهم مثلا من كان أبيض ذا شقرة أو زرقة كثيرة فهو دليل على القحة والخيانة وخفة العقل والفسوق فان هذا ليس بقاعدة كلية وأطال فى أمثلة الفراسة الحكمية بنحو ثلاثة أوراق فراجعها ان شئت (وقال) فيه لا يخلو الانسان فى معرفة الله تعالى من ثلاثة أحوال بالنظر الى الشرع اما ان يكون باطنيا محضا وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالا وقولا وهذا يؤدى الى تعطيل

الرؤيا جعلها الله تعالى معلقة برجل هذا الطائر وهي حقيقة عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعند ماتسقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها او يتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لاغير وتلك الحال اما عرض واما جوهر واما نسبة من ولاية أوغيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولابد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين انتهى (فان قيل) فما وجه تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الستة وأربعين جزأ من حديث الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة (فالجواب) وجهه ان رسالته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة ووقعت له الرؤيا اول الرسالة مدة ستة أشهر فانسب الستة أشهر الى ستة وأربعين جزأ تجدها صحيحة فالمراد بالجزء منها هنا النصف ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه اذا أصبح هل رأى أحد منكم رؤيا لكون الرؤيا من أجزاء النبوة اذ هي مبتدأ الوحي فكان يحب أن يشهد معنى النبوة في أمته هذا والناس في عماية الجهل عن هذا المعنى الذي اعتنى به صلى الله عليه وسلم وتصده وسأل عنه كل يوم بل بعضهم يستهزئ بالرائي اذا اعتمد على تلك الرؤيا وذلك جهل بمقامها وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والستين وثلثمائة وذكر فيه الفرق بين الرؤيا والمبشرات فراجعه والله تعالى اعلم

(خاتمة) في الكلام على رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم ان الاصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم السابق أول المبشرات الرؤيا أن يرى العبد ربه في منامه أو يرى نبيه وقوله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لايتمثل بي وليس بعد الحق تعالى أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم فوجب علينا الاعتناء بالكلام على رؤيته في المنام اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق انما كان الشيطان لايتمثل به صلى الله عليه وسلم لما وردانه صلى الله عليه وسلم لما ولد جاء الشيطان وجنوده حتى دخلوا مكة فوجدوا نورا يسطع منه الى السماء له شعاع كلما دنا منه شيطان احترق فمن ذلك اليوم والشياطين كلهم يفرون ويفزعون من صورته صلى الله عليه وسلم ولاجل هذا الفزع أسلم قرينه كما جاء في الحديث بناء على ضبط أسلم بفتح الميم وقد ضبطه بعضهم بضمها انتهى فهذا هو السبب في كون الشيطان لايتمثل به صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف عصم الله صورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يمنع تصور الشياطين ودعواهم انهم الحق تبارك وتعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاربعين وخمسمائة ان الشياطين انما لبست على بعض الخلق بالتصور بصورة الحق لكون الحق تعالى ليس له صورة تعقل ولذلك جاء الشيطان الى جماعة في المنام وقال لهم اني أنا الله فنهم من هدى الله فرده خاسئا ومنهم من حقت عليه الضلالة بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فان له صورة معقولة ثابتة الاوصاف في الاحاديث الصحيحة فاذا جاء ابليس في صورة غيرها ردت عليه حتى قالوا من شرط الرؤيا الصحيحة أن يراه صلى الله عليه وسلم مكسور الثنية كما كان في حياته ومعنى قوله في الحديث السابق فقد رآني أى رأى حقيقة جسمي وروحي وصورتي معا وذلك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لاتبلى أجسادهم ولاتتغير صورهم وهم في قبورهم يصلون كما جاءت به الاحاديث (فان قيل) كيف يراه وهو بالمدينة وبينه وبين هذا الرائي مسافات بعيدة (فالجواب) ان رؤية المنام ليس حكمها حكم رؤية العين التي في رأسه حتى يجب الحضور وانما الرؤية له صلى الله عليه وسلم بالعين التي في قلب الرائي وذلك لايستدعي حضور المرئي بل يرى من المشرق الى المغرب وتخوم الارض الى العرش وذلك كما ترى الصور في المرآة المحاذية لها وليست الصور منتقلة الى جرم المرآة ومعلوم أن العين الباطنة كالمرآة يرتسم فيها ماقابلها من العلويات والسفليات (فان قيل) فما الحكم فيما اذا رآه صلى الله عليه وسلم جمع كثير في وقت واحد على صفات مختلفة كأن يراه بعضهم شيخا ويراه آخر شابا ويراه آخر ضاحكا وآخر باكيا وآخر طويلا وآخر قصيرا وغير ذلك (فالجواب) أن هذه الاختلافات كلها راجعة الى الرائين لا الى المرئي صلى الله عليه وسلم ومثاله المرايا الكثيرة المختلفة الاشكال والمقادير اذا

أحكام الشرع كالباطنية في عدولهم عما أراده الشارع وكل ما يؤدي الى هدم قاعدة دينية فهو مذموم مطلقا عند كل مؤمن واما أن يكون ظاهريا محضا متغاليا متوغلا بحيث أن يؤديه ذلك الى التجسيم والتشبيه على حد عقله هو فهذا أيضا مذموم شرعا واما أن يكون جاريا مع الشرع على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدما بقدم فهذه حالة متوسطة وبها صحت محبة الحق تعالى لنا في قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاعلم ذلك فانه نفيس والله يتولى هداك *وقال في الباب الثالث والخمسين ومائة في قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض أي باعطائهم مافي قوتهم من المصالح المعلومة في الكون وتسخير بعضهم لبعض الاعلى للادنى وعكسه وهذا لاينكره عاقل لانه الواقع وتأمل الملك الذي هو أعلى مرتبة من سائر رعيته تجده مسخرا في مصالحهم كما هم مسخرون كذلك في مصالحه فهذه هي ولاية المؤمنين بعضهم لبعض *وقال في الباب الرابع والخمسين ومائة الملائكة على ثلاثة أصناف صنف مهيمون في جلال الله تجلى لهم في اسمه الجميل فهيمهم وافناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه وصنف مسخرون ورأسهم القلم الاعلى سلطان عالم التدوين والتسطير وصنف

قابلت وجه انسان يرى وجهه فى المرآة الكبيرة كبيرا وفى الصغيرة صغيرا وفى المعوجة معوجا وفى الطويلة طويلا وفى المقعرة مقعرا الى غير ذلك فالاختلافات فى ذلك راجعة الى اختلاف أشكال الرائى لا الى وجه المرئى وكذلك الرائون للنبى صلى الله عليه وسلم أحوالهم بالنسبة اليه مختلفة بحسب استقامتهم على شريعته واعوجاجهم فعلم أن جميع ما يرى من النقص فى صورة النبى صلى الله عليه وسلم فهو راجع الى الرائى قال الشيخ ابو طاهر القزوينى رحمه الله تعالى وانى لارى جماعة من الحمقى تشمئز طباعهم من ضرب الامثال بالمرآة ونحوها فى مثل هذا الذى ذكرناه من رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفات مختلفة وذلك جهل منهم يضاهون قول الذين كفروا من قبل حين ضرب الله الامثال بالذبابة والعنكبوت حتى أنزل الله تعالى ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها يعنى والله أعلم فى الصغر والحقارة فالامثال أعظم شئ فى تفهيمات المعنى وقالوا الامثال مرايا القلوب يعنى ان عين القلب ترى فى الامثال من صور المعانى ما تراه عين الرأس فى المرآة من صور الاجسام قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون والكتب المنزلة من السماء اكثرها أمثال مضروبة فعلم ان الرائى لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تلك الصور والاشكال المختلفة رأى له حقيقة فان تلك الصور كلها أمثلة له خيالية والمرئى بواسطتها هو النبى صلى الله عليه وسلم وهذا كما يقول الانسان رأيت وجهى فى الماء ومعلوم قطعا أن وجهه ليس منتقلا الى الماء حتى يراه فيه وانما معناه رأيت حقيقة وجهى بواسطة مثاله فى الماء فيكون المثال واسطة لا يلتفت اليه اذ لا حقيقة له حتى يكون مرئيا لذاته وانما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها وذلك من عجائب قدرته التى تكل الافهام عن دركها ولا فرق بين أن تقول رأيت وجه صديقى بعينى وبين قولك رأيت وجه صديقى فى الماء اذ المرئى فى الحالتين واحد غير أن الله تعالى أجرى العادة أن من نظر فى صقيل كالماء والمرآة يرى فى ذلك الصقيل وجهه فيظن أن فى ذلك الصقيل شيأ يراه هو مثال وجهه وذلك خيال باطل لان الصقيل فى ذلك الحال يتلون بلونه الخاص ولا يقوم لونان بمحل واحد فى حالة واحدة فعلى هذا من رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى نومه فقد رآه حقيقة بروحه وجسده كما قال صلى الله عليه وسلم فقد رآنى وأطلق كما انه صلى الله عليه وسلم لما كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية الكلبى يراه حقيقة لا مثالا قال الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله وكان الغزالى رحمه الله يقول من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير حقيقة شخصه المودع فى روضة المدينة وانما رأى مثاله لا شخصه قال وبلغنا عن الغزالى أيضا انه كان يقول ما يراه النائم من المثال انما هو مثال روحه صلى الله عليه وسلم المقدسة عن الصورة والشكل وشبه رؤية الله فى المنام بذلك فلا أدرى ما أراد به رحمه الله اه (فان قلت) فهل يصدق من ادعى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة الآن (فالجواب) نعم يصدق وقد أخبرنى الشيخ الصالح عطية الابناسى والشيخ الصالح قاسم المغربى المقيم فى تربة الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه والقاضى زكريا الشافعى انهم سمعوا الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله تعالى يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليقظة بضعا وسبعين مرة وقلت له فى مرة منها هل أنا من أهل الجنة يارسول الله فقال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال لك ذلك قال الشيخ عطية وسألت الشيخ جلال الدين مرة أن يجتمع بالسلطان الغورى فى ضرورة وقعت لى فقال لى يا عطية أنا أجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم يقظة وأخشى ان اجتمعت بالغورى أن يحتجب صلى الله عليه وسلم عنى ثم قال ان فلانا من الصحابة كانت الملائكة تسلم عليه فاكتوى فى جسده لضرورة فلم ير الملائكة بعد ذلك عقوبة له على الاكتواء اه قال الشيخ قاسم المذكور وأكثر ما تقع رؤية النبى صلى الله عليه وسلم يقظة بالقلب ثم تترقى الى رؤية البصر قال وليست رؤية النبى صلى الله عليه وسلم كرؤية الناس بعضهم بعضا وانما هى جمعية خيالية وحالة برزخية وأمر وجدانى لا يدرك حقيقته الا من باشره اه وقد ألف الشيخ جلال الدين المذكور كتابا سماه تنوير

أصحاب تدبير للاجسام كلها من جميع أجناس العالم وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والخمسين ومائة اعلم ان النبوة التى هى الاخبار عن شئ سارية فى كل موجود عند أهل الكشف والوجود ولكن لا يطلق على أحد منهم اسم نبى ولا رسول الا على الملائكة الذين هم رسل فقط أما غير الرسل منهم فلا يقال فيهم ملائكة وانما يقال على أحدهم روح وذلك كالارواح المخلوقة من أنفاس الذاكرين الله قال واعلم أن الله تعالى سمى نفسه وليا ولم يسم نفسه نبيا مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا وأمرنا ونهانا وقلنا له سمعنا وأطعنا وليست النبوة بامر زائد على هذا وأطال فى أمثلة الامر والنهى (وقال) فى الباب السابع والخمسين ومائة ينبغى للواعظ ان يراقب الله فى وعظه ويجتنب كل ما كان فيه تجرؤ على انتهاك الحرمات مما ذكره المؤرخون عن اليهود من ذكر زلات الانبياء كداود ويوسف عليهم السلام مع كون الحق تعالى أثنى عليهم واصطفاهم ثم الداهية العظمى أن يجعل ذلك فى تفسير القرآن ويقول قال المفسرون كذا وكذا مع كون ذلك كله تأويلات فاسدة باسانيد واهية عن قوم غضب الله عليهم وقالوا فى الله تعالى ما قصه علينا فى كتابه وكل واعظ ذكر ذلك فى مجلسه مقته الله وملائكته

الحالث في امكان رؤية النبي والملك وذكر فيه من كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالملائكة يقظة من الصحابة والاولياء والعلماء ولم يذكر عن نفسه شيأ مما ذكرناه عن هؤلاء الاشياخ الثلاثة العدول الثقات الذين لا يتهمون في مثل ذلك فيصدق من قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مطلقا وكان الشيخ محمد المغربي رحمه الله يقول بين العبد وبين مقام رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة مائتا ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما لابد للسالك من قطعها كلها حتى يصح له مقام الرؤية في اليقظة * وكان رضي الله عنه يقول أيضا ان من ادعى رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأته الصحابة فهو كاذب وان ادعى أنه يراه بقلبه حال كون القلب يقظانا فهذا لا يمنع منه وذلك لان من بالغ في كمال الاستعداد بتخليص القلب من الرذائل المذمومة حتى من خلاف الاولى صار محبوبا للحق تعالى واذا أحب الحق تعالى عبدا كان في نومه من كثرة نورانية قلبه كانه يقظان قال وحينئذ فما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا روحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائي لكرامتها وتنزيهها عن كافة المجيء والرواح هذا هو الحق الصراح اه * فعلم أن المراد بقول من قال انه يراه يقظة يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية والسلام (فان قلت) فهل يجب على الرائي العمل بما يسمعه من هذه الصورة (فالجواب) لا يجب على أحد العمل بمثل ذلك لعدم العصمة ولخوف تطرق الخلل الى الشرع الظاهر لاسيما ان خالف نصا صريحا (فان قلت) فما حكم ما يراه الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فالجواب) ان للانبياء عليهم الصلاة والسلام العمل بما يرونه في المنام وذلك ان الانبياء لا يرون الاحقا وما يرونه في المنام حكمه حكم اليقظة ويؤيد ذلك حديث ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكذلك الانبياء فجميع ما ينطبع في علم أمثالهم حق اذ هو من خزانة علم الحق بتوسط الملكوت السماوي وهذا لا يمكن الخطأ فيه ولا التأويل (فان قيل) فاذا انعكس نور قلوبهم الى الجهة العلوية فهل يحتاج الى تأويل (فالجواب) ان مثل ذلك يحتاج الى تأويل كما وقع في قصة يوسف ورؤيته الاحد عشر كوكبا ولهذا قال يوسف هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والعشرون في اثبات وجود الجن ووجوب الايمان بهم)

وذلك لاجماع أهل السنة سلفا وخلفا على اثباتهم مع نطق القرآن وجميع الكتب المنزلة بهم وهم من الخلق الناطق يأكلون ويتناكحون ويتناسلون قال الشيخ أبو طاهر القزويني ومما يدل على وجودهم تخبيل عامة الناس من آثارهم الخفية قال وقد أنكرت المعتزلة الجن أصلا وزعموا ان الجن عبارة عن دهاة الناس والشياطين عبارة عن مردة الناس وأشرارهم فردوا بذلك نص القرآن الدال على وجودهم وأوصافهم (فان قلت) فكم أصول الخلق كلهم (فالجواب) كما قاله الماوردي ان أصول الخلق أربعة أشياء الماء والتراب والهواء والنار فالماء والتراب ظاهران للخلق والهواء والنار خافيان عنهم ومعلوم ان النار مشتملة على نور ولهب ودخان فالنور ضياء محض والدخان ظلمة محضة واللهب هو المارج المتوسط وهو الشرر المحض وخلق الله الجان من مارج من نار فلهم نسبة الى الملائكة بالنورية ولهم نسبة الى الشياطين بالظلمة الدخانية ولذلك كان منهم المطيع والعاصي والمؤمن والكافر قال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم قيل هي نار الشمس وقيل هي نار الصواعق وأما ابليس فقد اختلفوا فيه أهو من الملائكة أم من الجن فقال قوم كان من الجن الذين استكبروا في الارض فحاربهم الملائكة وسبوا ابليس منهم الى السماء فصار بالحكم من الملائكة فان مولى القوم من أنفسهم وكان من النسب جنيا فيصدق فيه القولان وقيل انه من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا فباعتبار فعله كان من الكافرين * قال الماوردي ثم ان الله تعالى خلق سكان البر والبحر من الطين والماء كالانسان والانعام والوحوش والطيور والحشرات وخلق الحيتان والضفادع وغيرها من نبات الماء فصار هؤلاء الاجناس الاربعة من المخلوقات من الاصول الاربعة جنسين

لكونه ذكر ان في قلبه مرض من العصاة حجة يحتج بها او يقول اذا كان مثل الانبياء وقع في مثل ذلك فايش أنا فعلم أن الواجب على الوعاظ ذكر الله وما فيه تعظيمه وتعظيم رسله عليهم الصلاة والسلام وأئمته وترغيب الناس في الجنة وتحذيرهم من النار وأهوال الموقف بين يدي الله عز وجل فيكون مجلسه كله رحمة (قلت) وكذلك لا ينبغي له أن يحقق المناط في نحو قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا نحو قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وقوله ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فان العامة اذا سمعوا مثل ذلك استهانوا بالصحابة ثم احتجوا بأقوالهم والله تعالى أعلم * وقال في الباب التاسع والخمسين ومائة لا تكون الرسالة قط الا بواسطة روح قدسي ينزل بالرسالة على قلبه وأحيانا يتمثل له رجلا وكل وحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا أو الهاما أو نفثا أو القاء ونحو ذلك قال والفرق بين النبي والرسول ان النبي انسان أوحي اليه بشرع خاص به فان قيل له بلغ ما أنزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وحده سمي بهذا الوجه رسولا وان لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث اليهم فهو رسول لا نبي وأعني

صاعدين الصعود أصلهما وهما الملائكة والجن وجنسان هابطان الهبوط أصلهما وهما حيوان البر وحيوان البحر ذكر ذلك كله الماوردي في كتاب النبوة ثم اعتذر فقال انما نقلت هذه العبارات من ألفاظ المتكلمين لهلاك الاستدلال بلسان الخصوم يكون أوقع عندهم وأدعى الى التزام الحجة اهـ * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله واعلم ان كل جنس من هؤلاء لابد اذا تم خلقه بقدرة الله ان تزول صورة أصله ويتشكل بشكل آخر لا يشبه أصله وتأمل الانسان كيف زالت عنه صورة الماء والطين والتراب وصار لحما وعظما وبشرا الى غير ذلك ثم تشكل بهذه الصورة المخصوصة والهيئة المشهودة وكذلك القول في جميع الحيوانات من السباع والطيور وأشكالها المختلفة لا يشبه بعضها بعضا وهكذا تكون صفة الملائكة والجن والشياطين فانه قد زالت صورة الهواء عن ظاهر أجسادهم وصور الله لهم هيآت لطافا ولذلك سموا روحانيين ثم ان تلك الانوار أشكال وصور لطيفة لائقة بذواتهم يتمايز بعضها كأشكال الحيوانات الارضية لا يعلمها الا الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وتلك الصورة لازمة في اختلافهم في تنوعها ولكنها ممنوعة عن أبصارنا لغاية لطافتها كالهواء والرياح وقد يكون بعضها عارضة كالصور التي يتطورون فيها أحيانا فيراهم الانبياء والاولياء بواسطتها ثم تزول عنهم وذلك يجري لهم مجرى اختلاف اللباس لنا وسببه ان أجسامهم لغاية اللطافة والرقة كأنها امتزج بالهواء فيتصور الهواء بمثابة من الصور في عين الرائي دون الهواء وتارة تظهر مرتسمة في الهواء ارتسام قوس قزح حتى يراها الحاضرون أيضا في صورة الخضرة والحمرة والصفرة وغير ذلك كما رأى عبد الله بن عباس صورة جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرها أبوه العباس وكان معه في المسجد فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما انه سيعمى ولكن الله يفقهه في الدين ويعلمه التأويل قال وقد أقدر الله تعالى الجن على أن يظهروا في أي صورة شاؤا كما أقدرنا أن نظهر في أي لباس شئنا فكما ان أشكال اللبس انما مسخرة كذلك كانت اشكال الصور لهم مسخرة غير ان لباسنا من نسج الغزل والقز ولباسهم من نسج الهواء والاشعة وكل يعمل على شاكلته قال ولما كان جسم الملك والجني أرق من الهواء يعني في سرعة التطور دقت أجسامهم عن أبصارنا ولكن اذا أراد الله عز وجل أن يرينا الملك أو الجني كثف الهواء وأعطاهم القدرة على ما تشكلوا به من لباس الهواء بأي شكل وصورة شاؤا فيراهم الناس على تلك الصورة كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون والملك لا يكون رجلا في الحقيقة وانما يتشكل بصورة الرجل بواسطة الهواء المتكاثف لان الهواء اذا تكاثف أمكن ادراكه كالسراب (فان قلت) فما معنى قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم (فالجواب) معناه والله أعلم من حيث لا ترونهم في الصورة التي خلقهم الله عليها وأما رؤيتهم اذا تشكلوا في غير صورهم من كلب وهر فلا منع بل هو واقع كثيرا (قلت) وقد وقع ان شخصا منهم جاءني بنيف وستين سؤالا في التوحيد يطالب جوابها مني وكان على صورة كلب أصفر مثل كلاب الرمل السالمة من الدنس وذلك ليلا فظن الفراش ان ذلك كلب حقيقة فغسل المسجد كله بالماء والطين فأجبتهم عنها برسالة سميتها كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان وهو مجلد لطيف (فان قلت) فهل يكونون مجموعين معنا في الجنة كما في الدنيا (فالجواب) لا بل ينعكس الحكم هناك فنراهم ولا يرونا الا الخواص منهم فانهم يرونا كما يرى الخواص منا الجن هنا (فان قلت) فهل تختلف أصواتهم بحسب الصورة التي تطوروا فيها أم هم باقون على أصواتهم الاصلية (فالجواب) تختلف أصواتهم تبعا للصورة التي ظهروا بها اذ الحكم للصورة التي دخلوا فيها من آدمي أو بهيمة أو غير ذلك من سائر الحيوانات (فان قلت) فاذا دخلوا في صورتنا فهل ينطقون بجميع حروف كلامنا أم يخالفونا (فالجواب) يخالفوننا في البعض دون البعض فلا تشبه أصواتهم أصواتنا في جميع الامور وذلك لان أجسامهم لطيفة فلا يقدرون على مخارج الحروف الكثيفة لانها تطلب انطباقا وصلابة وذلك غير موجود عندهم (فان قلت) فكيف يحصل لنا العلم من كلامهم الناقص الحروف

نبوة التشريع التي لبست للأولياء فعلم ان كل رسول لم يختص بشئ في نفسه مع التبليغ فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قررناه ولا كل نبي رسول بلا خلاف وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والستين ومائة قد أنكر أبو حامد الغزالي مقام القربة الذي بين الصديقية والنبوة وقال ليس بينهما مقام ومن تخطى مقام الصديقية وقع في النبوة والنبوة باب مغلق قال الشيخ محيي الدين والحق أن مقام الخضر مقام بين الصديقية والنبوة وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والستين ومائة في قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الآية اعلم انه ينبغي للداعي أن لا يطمع قط في مال المدعوين ولا في حمدهم ولا ثنائهم عليه فان مرتبة الداعي شرطها أن تكون أعلى من مرتبة المدعو فلا ينبغي له أن يخلع ثوبا ألبسه الله اياه وأطال في ذلك * ثم قال فمن لم يكن غني النفس عما بأيدي الناس فليبدأ بنفسه بعظها حتى يتخلص من الركون للخلق ثم يدعو كما دعت الرسل وكمل ورثتهم قال تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم تنبيها على مقام الكمال لان الانسان لا يأمر الناس بشئ الا ان كان هو قد عمل به فافهم والله أعلم * وقال في الباب السادس والستين ومائة في قوله تعالى

(فالجواب) حصول العلم للناس بكلامهم انما هو لما قام بتشكل حروفنا الاعنيةتها فلو ماثلوا بحقيقة حروفنا ونقصوا من الكلمة حرفا واحدا لما فهمنا من كلامهم شيأ (فان قلت) فهل يقدر أحدهم على ان يتكلم بكلام البشر وهو فى غير الصورة الانسانية (فالجواب) لا يقدر روحانى على ذلك أبدا الا ان خرقت له العادة (فان قلت) قد تقدم أول المبحث ان الجان خلق من مارج من نار والمرج فى اللغة الاختلاط فما هذا الاختلاط (فالجواب) هو نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا ينظر لها لهب وهو اشتعال الهواء فهو حار رطب (فان قلت) ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء خاصة فلم أبقى عليهم اسم الجنس الذى هو الجان (فالجواب) انما أبقى عليهم اسم الجن لان الجان خلق بين الملائكة والبشر الذى هو الانسان ومعلوم ان الجان عنصرى ولهذا تكبر ولو كان طبيعيا خالصا لم يغلب عليه حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة فهو برزخى النشأة فله وجه الى الارواح النورية بلطافة النار منه بدليل ان له الحجاب والتشكل وله أيضا وجه الى النيابة فكان عنصريا ماديا كما مرت الاشارة اليه فى كلام الماوردى وأعطاه الاسم اللطيف انه يجرى من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به ولولا تنبيه الشارع لنا على لمة الشيطان ووسوسته فى صدورنا ما علمنا ان ثم شيطانا فلما أقدر الجان على الاستتار عن أعين الناس الا الاسم اللطيف ولهذا كانت أبصارنا لا تدركهم الا متجسدين (فان قلت) فهل ثم فرق بين لفظ الجسم ولفظ الجسد (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والاربعين وثلثمائة ان بينهما فرقا وذلك ان الجسم هو المعروف فى العموم لطيفة وشفافة وكثيفة ما يرى منه وما لا يرى وأما الجسد فهو ما يظهر فيه الروحانى فى اليقظة المتمثل فى صور الاجسام ومنه ما يظهر ادراكه للنائم فى نومه مما يشبه بالاجسام ويعطيه الحس وليست هذه الامور فى نفسها بأجسام اه (فان قلت) فهل المرئى بواسطة الصور التى يتطور فيها الجنى أو الملك هو الملك حقيقة او الجنى (فالجواب) نعم الملك والجنى حقيقة كما ان المسموع بواسطة الحروف والاصوات هو كلام الله حقا * وقد سئل بعضهم عن حد الجنى فقال هو حيوان هوائى ناطق من شأنه ان يتشكل بأشكال مختلفة (فان قلت) فهل ثم من الجن من يقسم الانسان عليه بأسماء الله تعالى فلا يبرقه انام كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم (فالجواب) كلهم يبرون قسم من أقسم عليهم لا يقدرون على رد أنفسهم عن ذلك بخلاف الانس قال الشيخ أبو طاهر ويقال ان الجن لا يجيبون الا بالعزائم وانها اذا قرئت على المجنون كان لها شعاع كشعاع الشمس يقع على الجنى فيحضرهم ويردهم الى الطاعة طوعا بحيث لا يمكنهم العصيان ولقد كانوا مسخرين لسليمان عليه الصلاة والسلام كما سخرت له الريح وهم أجساد لطاف كالريح يدخلون أجواف بنى آدم دخول النار فى الفضة المذابة ترها تضطرب فى البوطة وكذلك المصاب يضطرب عند قراءة العزائم عليه وفى الحديث ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم (فان قلت) فما الدليل على ان الجن مكلفون (فالجواب) الدليل على ذلك قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وكانوا تسعة من جن نصيبين وقد كان صلى الله عليه وسلم رآهم ببطن النخلة قد أتوا من شعب الحجون فخط رسول الله صلى الله عليه وسلم حول عبد الله بن مسعود خطا وقال لا تخرج منه وقال ابن مسعود ولما حضرهم النبى صلى الله عليه وسلم وكان بينهم خصومة فى دم فكنت أسمع لغطهم حين قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ثم علمهم سورة الرحمن وأوجب عليهم الصلوات كما هو مشهور فى التفاسير (فان قلت) فما الدليل على دخول الجن الجنة (فالجواب) قد سئل عن ذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فمكث سبعة أيام حتى اطلع على قوله تعالى لم يطمثهن يعنى الحور انس قبلهم ولا جان فقال هذا دليل على ان الجن يدخلون الجنة اه وقال الضحاك يدخل الجن الجنة ويثابون على أعمالهم كالانس * وقال سفيان يثابون على الايمان بأن يجاوزوا النار خلاصا ثم يقال لهم كونوا ترابا قال الشيخ أبو طاهر وأكثر الجن لا يعتقدون البعث لقوله تعالى وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا (فان قلت) فهل منعهم من استراق السمع باق الى يوم القيامة من منذ

وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب أى آتيناه الحكمة علما وفصل الخطاب قولا قال والحكمة هى علم علوم خاص ومن شرطها أنه يحكم ويحكم بها ولا يحكم عليها وبذلك سمى الرسن الذى يحكم به الفرس حكمة وكل علم له هذا النعت فهو النعت * وقال فى الباب السابع والسبعين ومائة ليس من شأن أهل الله ان يتصرفوا بالهمة لكن اذا أعطوها فربما يكون ابتلاء واختبارا وجعلوا بدلها بسم الله فى كل فعل أرادوه قال وانما استعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ليعلم خواص أصحابه بعض اسرار الله فى خلقه وما سمع منه قبل ذلك ولا بعده تصرف بها * وقال فيه لم نعرف من الاسماء الالهية اسما يدل على الذات فى جميع ما ورد علينا فى الكتاب والسنة الا الاسم الله على خلاف فى ذلك لانه اسم علم لا يفهم منه الا الذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وهذا فى مذهب من لا يرى أنه مشتق من شئ ثم على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود للمسمى كما اذا سمينا شخصا بيزيد على طريق العلمية وان كان هو فعل من الزيادة ولكن ما سميناه به لكونه يزيد وينمو فى جسمه وعلمه مثلا وانما سميناه به لنعرفه ونصيح به اذا أردناه فمن الاسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فاذا قلت على هذا فهى أعلام واذا

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أم ذلك الى مدة معلومة (فالجواب) الصحيح انهم ممنوعون منه الى يوم القيامة وبتقدير استراقهم السمع فلا يتوصلون الينا بالخبر ونبأ ما استرقوه بل تحرقهم الشهب وتفنيهم (فان قلت) فما حقيقة هذه الشهب (فالجواب) ان فيها قولين قيل هو نور يمتد بشدة ضيائه فيحرق الجني ثم يعود الى مكانه وقيل هو على هيئة النجم ينقض من تحت السماء فيحرقهم فلا يعود (فان قلت) فهل ابليس أبو الجان كما هو مشهور فى أفواه الناس (فالجواب) ليس ابليس بأب للجان فان الجان كانوا قبله وانما هو أول من عصى (فان قلت) فما مرتبة ابليس (فالجواب) مرتبته أن يوسوس للناس بما يهلكهم أو ينقص مقامهم عند الله تعالى من حيث لا يشعرون ولكن قد أخبر الله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون أى يضيفون اليه أمر الاغواء مع الغفلة عن الله تعالى وتقديره فمن أخذ وسوسته مع الحذر منه ولم يعمل بها نجا من كيده ومن دسائسه التى تخفى ان يجد الانسان فى طاعة فيوسوس له بفعل غيرها لينقله منها أو يفسخ عزمه ونيته الاولى مع الله تعالى ثم ان خالفه العبد فى ذلك حسن له فعلا آخر وقال له ان ذلك الفعل أفضل مما أنت فيه * ومن دسائسه أيضا انه يأتى العبد بالكشف الصحيح والعلم التام ويقنع منه ان يجهل من أتاه به * ومن دسائسه انه يأتى العبد بنور يكشف به معاصى العباد ويهتك به أستارهم ويظهر به عوراتهم فيظن ذلك المكاشف انه نال درجة عليه وانما ذلك من الشيطان لان الشيطان صار عينه وبصره فيجب على ذلك المكاشف المبادرة للتوبة والا هلك * ومن دسائسه التى تخفى على غالب الاولياء انه ينظر الى قلب الولى فان رآه يستمد من العماء مثل له عماء وأتاه منه وكلمه منه أو عرشا فكذلك أو كرسيا فكذلك أو سماء فكذلك فان كان سبق فى علم الله تعالى حفظ هذا العبد منه أطلعه على ان ذلك مفتعل وتلبيس عليه من الشيطان فيرد خاسئا وان لم يحفظ الله العبد هلك مع الهالكين (فان قلت) فهل للشيطان سلطان على ظاهر الانسان كباطنه أو سلطانه على الباطن فقط (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والثمانين وثلثمائة ان شياطين الجن ليس لهم سلطان الا على باطن الانسان بخلاف شياطين الانس لهم سلطان على ظاهر الانسان وباطنه وان وقع من شياطين الجن وسوسة واغواء للناس فى ظاهرهم فانما ذلك بحكم النيابة لشياطين الانس فانهم هم الذين يدخلون الآراء على شياطين الانس (فان قلت) فأى عداوة أشد عداوة ابليس لآدم أم عداوته لذريته (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس وعشرين وثلثمائة ان عداوته لبنى آدم أشد من عداوته لآدم وذلك أن بنى آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم فقد جمع بينه وبين ابليس اليبس الذى فى التراب فكان بين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما أقسم له بالله تعالى انه له من الناصحين وما صدقه الابناء فى ذلك لكونهم اضداده فلهذا كانت عداوته للابناء أشد من عداوته لابيهم قال ثم من رحمة الله تعالى بنا انه لما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك أبصارنا جعل الله تعالى لنا علامات فى القلب من طريق الشرع نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر لنحفظ بتلك العلامة من العمل بالقائه وأعاننا الله تعالى عليه أيضا بالملك الذى جعله مقابلا له غيبا لغيب اه (فان قلت) فهل ثم لنا شيطان لا هو انسى ولا هو جنى كما قيل (فالجواب) نعم وذلك فى صورة واحدة اذ الشيطان فى سائر مراتبه حسى الا فى صورة واحدة يكون فيها معنويا وهو ما اذا اجتمعت شياطين الانس والجن وأوحى بعضهم الى بعض فانه يحدث بينهما حينئذ شيطان آخر عند دوسستهم معنوى لا انسى ولا جنى (فان قلت) فما الفرق بين هؤلاء الشياطين الثلاث (فالجواب) الفرق بينهم ان الشيطان الانسى أو الجنى يفتح أحدهما باب الالقاء فى قلب العبد بما يبعده عن الله تعالى لا غير وأما الشيطان المعنوى فيستنبط من ذلك شبها وأمورا لم يقصدها ابليس ولا غيره * قال الشيخ محيى الدين ومثل هذا ينسب الى الشيطان بحكم الاصالة لانه هو الذى فتح باب الوسوسة وليس غرض الشيطان من الخلق الا أن يجهلوه فى الخواطر ويصدقوها قال وقد أعطى الشيطان قوة التجسد قال

قيل على طريق المدح فهى أسماء صفات وبهذا ورد جميع الاسماء الحسنى ونعت بها كلها ذاته سبحانه وتعالى من طريق المعنى وأما الاسم الله فنعت به من طريق الوضع اللفظى فالظاهر ان الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وان كانت فيه رائحة الاشتقاق كما قاله بعضهم قال وأما أسماء الضمائر فانها تدل على الذات بلا شك وما هى مشتقة مثل لفظة هو وذا وأنا وأنت ونحن والياء من انى والكاف من انك فأما هو فهو اسم لضمير الغائب وأما ذا فهى من أسماء الاشارة مثل قوله ذلكم الله ربكم وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى وكذلك لفظة أنت وتاء المخاطب مثل قوله كنت أنت الرقيب عليهم ولفظة نحن ولفظة انا مشددة ولفظة نا من قوله انا نحن نزلنا الذكر وكذلك حرف كاف الخطاب نحو انك أنت العزيز الحكيم فهذه كلها أسماء ضمائر واشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار اليه ومكنى عنه وأمثال هذه ومع ذلك فليست اعلاما ولكنها أقوى فى الدلالة من الاعلام فان الاعلام قد تفتقر الى النعوت وهذه لا افتقار لها قال وأما لفظة هو فهى أعرف عند أهل الله من الاسم الله فى أصل الوضع لانها تدل على هوية الحق التى

تعالى وألقينا على كرسيه جسدا وكان روحانيا تجسد على صورة سليمان فاذا رأى الشيطان من عبد أنه محفوظ ووجد التأييد من الله محيطا به ولم يستطع الوصول اليه بالوسوسة تجسد له في صورة انسان مثله فيتخيل العبد انه انسان حقيقي ويأتيه بالاغواء من قبل اذنه فيدخل له فيما حجر الله تعالى عليه التأويلات الكثيرة ليوقعه في معاصي الله تعالى أدناها ان يقول له مثلك لا يؤاخذه الله تعالى لكونه كشف لك انه الفاعل وانه المقدر فان رد ذلك عليه دخل له من باب حسن الظن بالله وقال أحسن ظنك بالله أنه لا يؤاخذك فانك اذا ظننت به ذلك لا يؤاخذك وأنت عبده على كل حال في حال طاعاتك وفي حال معاصيك وذلك لان ابليس يعلم ان المؤمن لا يقدم على معصية الله تعالى ابتداء دون تأويل وتزيين لذلك الفعل ولو ان المؤمن كان يقدم على المعصية بغير وسوسة ابليس ما أوجد الله ابليس انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة فراجعه (فان قلت) فما صورة تناكح الجن (فالجواب) صورة تناكحهم التواء مثل ما يبصر الدخان الخارج من الالوان أو من فرن الفخار يدخل بعضه في بعض فيلتذ كل واحد من الشخصين بذلك التداخل ويكون حملهم من ذلك كالقاح النخلة بمجرد الرائحة (فان قلت) فهل هم قبائل وعشائر كالانس (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع من الفتوحات نعم ويقع منهم حروب عظيمة قال وبعض الزوابع قد يكون من حروبهم فان الزوبعة تقابل ريحين تمنع كل واحدة صاحبتها ان تخترقها فيؤدي ذلك المنع الى الدور المشهور في الغبرة في الحس وما كل زوبعة تكون من حروبهم (فان قلت) فمن أول من سمي من الجن شيطانا (فالجواب) هو الحارث فأبلسه الله تعالى أي طرده من رحمته ومنه تفرقت الشياطين باجمعها فمن آمن منهم مثل هامة بن الهام بن لاقيس بن ابليس التحق بالمؤمنين من الجن ومن بقي منهم على كفره كان شيطانا (فان قلت) فهل يصح في حق شيطان أن يسلم كما يسلم الكافر عندنا من الانس ويصير مؤمنا (فالجواب) قد اختلف الناس في ذلك ومبنى خلافهم على ضبط ميم فأسلم فان بعض الحفاظ ضبطها بالضم أي فأسلم انا منه وهو باق على كفره وبعضهم ضبطها بالفتح ولفظ الحديث ما من أحد الا وله قرين يأمره بالسوء قالوا وأنت يا رسول الله قال نعم ولكن أعانني الله عليه فأسلم وفي بعض طرق الحديث فلا يأمرني الا بخير فهذه الزيادة تدل على انه يصح اسلامه في الجملة ثم فان ابليس قد أنظره الله تعالى الى يوم الدين يعني الجزاء حين تنقطع التكاليف فلا يصح ان يسلم أبدا لانه لو جاز ان يسلم لتعطل بعض حضرات الاسماء الالهية وما عصى الله أحد فانه لا يصح في الوجود كله معصيته من أحد الا بواسطة اما بنفسه واما باعوانه والله أعلم (فان قلت) فاذا كان ابليس أول من عصى فهو نظير قابيل سواء (فالجواب) نعم والامر كذلك فكما كان قابيل أول الاشقياء من البشر فكذلك كان ابليس أول الاشقياء من الجن ولذلك قال تعالى الا ابليس كان من الجن أي من هذا الصنف المخلوقين الاشقياء (فان قيل) قد حكى الله تعالى عن ابليس انه اذا قال للانسان اكفر فلما كفر يقول له اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين فهل يدل هذا الخوف على توحيده باطنا (فالجواب) لا يدل ذلك على توحيده لانه أول من سن الشرك في العالم ثم بتقدير صحة توحيده ذلك الوقت فما يدريك انه لحقه شبهة طرأت عليه على الفور فأخرجته عن ذلك التوحيد فانه لا بد أن يموت على الكفر قطعا فافهم (فان قلت) ان الكفر الذي أمر به ابليس ليس بشرك فان الكفر هو تعيين الالوهية لغير من هي له مع عدم وجود اله ثان في عقده والشرك هو جعل المشرك مع الله تعالى الها آخر فمن أين جاء أن ابليس أول من سن الشرك في العالم (فالجواب) أن المراد بالكفر هنا هو الشرك وهو الظلم العظيم كما قال لقمان ذلك لابنه ولذلك قال تعالى في آخر الآية وذلك جزاء الظالمين يريد المشركين فانهم هم الذين لبسوا ايمانهم بظلم فعلمنا بقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم بالشرك أن المراد بالايمان في قوله تعالى ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الايمان بتوحيد الله عز وجل اذ الشرك لا يقابله الا التوحيد فعلم النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلمه الصحابة حين سألوه عن الظلم وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة من الفتوحات ثم

لا يعلمها الا هو وأطال في ذلك * قلت وذكر الشيخ أيضا في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة ما نصه اعلم انه ثم أسماء الهية تطلب العالم ولا بد كالاسم الرب والقادر والخالق والنافع والضار والمحيي والمميت والقاهر والمعز والمذل ونحو ذلك وثم أسماء الهية لا تطلب العالم ولكن تستروح منها نفس من أسماء العالم كالغني والعزيز والقدوس وأمثال هذه الاسماء * قال وما وجدنا لله تعالى أسماء تدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبدا فانه ما ثم اسم الا على أحد أمرين اما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولا بد واما يدل على تنزيه وهو الذي يستروح منه صفات نقص كوني تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما أعطانا الله فما ثم اسم علم فيه سوى العلمية لله تعالى أصلا الا ان كان ذلك في علمه وما استأثر به في غيبه مما لم يبده لنا * قال وسبب ذلك انه تعالى ما أظهر أسماءه لنا الا للثناء بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علم أصلا لان الاسماء الاعلام لا يقع بها الثناء على المسمى لكنها أسماء أعلام للمعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه بها فينا وهو المسمى بمعانيها والمعاني هي الاسماء فهذه الاسماء اللفظية كالعالم والقادر وباقي الاسماء

قال ومن هنا ترك بعض العلماء التأويل ولم يقل به واعتمد على الظاهر ووكل علم ذلك الى الله فان أعلمه الله بما أراده في كلامه قال به والا كف عن ذلك انتهى (فان قلت) فهل مجالسة الجان رديئة أو محمودة (فالجواب) هي رديئة غير محمودة ومن آثر مجالستهم من العلماء الروحانيين فهو جاهل فان الغالب عليهم الفضول كالانس الفسقة فالعاقل من هرب منهم كما يهرب من مجالسة الفاسقين وما رأينا أحدا جالسهم وحصل له أبدا خير وذلك لان أصلهم نار والنار كثيرة الحركة ومن كثرت حركاته كان الفضول أسرع اليه فالجن أشد فتنة على جليسهم من الناس فانهم اجتمعوا مع فسقة الانس على الاطلاع على عورات الناس التي لا يقع فيها عاقل وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والخمسين من الفتوحات ما جالس أحد الجان وحصل له منهم بالله علم جملة واحدة اذهم أجهل العالم الطبيعي بالله وصفاته قال وربما يتخيل جليسهم بما يخبرونه به من حوادث الاكوان وما يقع في العالم ومن العالم ان ذلك من كرامة الله له وهيهات فان غاية ما يمنحونه لمن يجالسهم ان يطلعوه على شئ من خواص النبات والاحجار والاسماء والحروف وذلك معدود من علم السيمياء فما اكتسب هذا منهم الا العلم الذي ذمته الشرائع قال وما جربنا من أكثر مجالستهم صار عنده تكبر على الناس ومن تكبر مقته الله تعالى وأدخله النار كما جاءت به الآيات والاخبار انتهى * وقد أطال الشيخ الكلام على ذم عشرة الجن في الباب الخامس والخمسين والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع والعشرون في ان الله تعالى خالق لافعال العباد كما هو خالق لذواتهم)

وان العباد مكتسبون لا خالقون خلافا للمعتزلة في قولهم ان العبد يخلق افعال نفسه * قال الشيخ كمال الدين ابن أبي شريف رحمه الله وقد كان الاوائل من المعتزلة كواصل وابن عطاء وعمرو بن عبيد لقرب عهدهم باجماع السلف على انه لا خالق الا الله تعالى يتحاشون عن اطلاق لفظ الخالق ويكتفون بلفظ المخترع والموجد ونحوهما فلما رأى أبو علي الجبائي وأصحابه أن معنى الكل واحد وهو المخترع من العدم الى الوجود تجاسروا على اطلاق لفظ الخالق واعلم يا أخي ان مسئلة الكسب من أدق مسائل الاصول وأغمضها ولا يزيل اشكالها الا الكشف على نزاع في ذلك كما سيأتي في نقول الصوفية وأما أرباب العقول من الفرق فهم تائهون في ادراكها وآراؤهم مضطربة فيها وذلك ان افعال الانس وجميع الحيوانات وحركاتهم في معايشهم وتصرفاتهم مشاهدة لا انكار لها من أحد ثم اذا رجعنا الى حاكم العقل لا يكاد يحكم بثبوتها حكما جليا بحيث لا يبقى منا حزازة في الصدر * وها أنا أجلي عليك عرائس نقول المتكلمين ثم نقول العارفين من القوم فأقول وبالله التوفيق كان أبو الحسن الاشعري رحمه الله يقول ليس للقدرة الحادثة أثر وانما تعلقها بالمقدور مثل تعلق العلم بالمعلوم في عدم التأثير وكان الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله يقول القضيات العقلية في هذه المسئلة ثلاثة وهي اما أن تكون الافعال كلها مقدورة لله تعالى على الاستبداد أو مقدورة للخلق على الاستبداد أو تكون مقدورة لله تعالى والخلق معا فالاولتان معلومتان وأما الثالثة وهي أن تكون مقدورة بين قادرين فيلزم عليه ان الحركة الواحدة تعلق بها قدرتان قديمة وحادثة وهي اذا تعلقت بها قدرة واحدة استغنت عن القدرة الثانية فما فائدة الثانية وما متعلقها وما كيفية تعلقها وهي بالقدرة الاولى كائنة موجودة وحالاتها ثلاث حالة عدم وحالة وجود وحالة ايجاد وتعلق القدرة الثانية بها في هذه الحالات الثلاث محال ثم لو قدرنا مقدورا بين قادرين خاصة بدواعيهما وارادتيهما لوجب انه اذا امتنع أحدهما فعله ولم يمتنع الثاني كان الحاصل فعلا موجودا معدوما وهو من أمحل المحال * بقي ان يقال انما يلزم المحال اذا تعلق به القدرتان من وجه واحد أما اذا كان الفعل مضافا الى قادرين من وجهين مختلفين فلا استحالة فيه وذلك ان تعلق القدرة القديمة من وجه الايجاد وتعلق القدرة الحادثة به من وجه الاكتساب وهذا غير محال فيقال لو جاز ذلك لجاز ان يقع لوجهان في حالتين يعني كأن يقع الوجود بايجاد القدرة القديمة في حالة ويقع الحدوث باكتساب القدرة الحادثة في حالة ثانية وهو محال اذ حدوثها قد حصل بالقدرة القديمة فكيف يقال تعلقت القدرة الحادثة بها بعد وجودها ولو وقع الفعل بقدرة ممتزجة من القديم والحادث

فلله الاسماء الحسنى وليست الا المعاني لا هذه الالفاظ لان الالفاظ لا تتصف بالحسن والقبح الا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها لا لاعتبار لها من حيث ذاتها لانها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظام خاص يسمى اصطلاحا انتهى * وذكر أيضا في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ما نصه اعلم ان الاسم الله بالوضع انما هو اسم لذات الحق تعالى عينها الذي بيده ملكوت كل شئ وأطال في ذلك * ثم قال فعلم ان كل اسم الهي يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق تعالى ولكن لما كان ما عدا الاسم الله من الاسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفي أو اثبات من حيث الاشتقاق لم تقو أحديته الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالرحمن وغيره من الاسماء الالهية الحسنى وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به أحد غير ذات الحق ولهذا قال في معرض الحجة على من نسب الالوهية الى غير الله تعالى قل سموهم فلو سموهم ما قالوا الا بغير الاسم الله فقد علمت ان الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالاسماء الاعلام على مسمياتها وأطال في ذلك فتأمل هذا المحل وحرره والله يتولى هداك * وقال ليس في أسماء الله اسم مرادف قط للاتساع الالهي بل ليس في الوجود كله تكرار

حتى تصلح للايجاد والاكتساب كان من أمحل المحال على أن الاكتساب لا وجد محال والايجاد للمكتسب محال وهذا القسم مع دقته وغموضه هو اختيار الشيخ أبي الحسن الاشعري ومن تابعه النجار من المعتزلة على اختلاف بينهما قال الشيخ أبو طاهر وانما اختار الاشعري ومن تابعه هذا القسم على مذهب الجبرية ومذهب المعتزلة لكونه أسهل من مذهبيهما كما قال الشاعر

اذا لم يكن الا الاسنة مركبا * فلا رأي للمضطر الا ركوبها

قال وقد توجهت على الاشعري ومن تبعه اسئلة أظهرها ان كان للقدرة الحادثة أثر في المقدور فهو شرك وان لم يكن لها أثر فوجود تلك القدرة وعدمها سواء فان قدرة لا يقع بها المقدور بمثابة العجز ومن أجل هذا الاعتراض افترق أصحاب الشيخ أبي الحسن فقال بعضهم لا أثر للقدرة الحادثة أصلا في المقدور فيلزمه الجبر وقال آخرون القدرة الحادثة لها أثر في المقدور وهو اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني واستدل بأن الانسان يحس من نفسه تفرقة بين حركتي الاضطرار والاختيار وهذه التفرقة لا ترجع الى نفس الحركتين من حيث الحركة لانهما مثلان بل ترجع الى أمر زائد عليها وهو كون احداهما مقدورة ومرادة والثانية غير مقدورة ولا مرادة ثم لا يخلو أن يكون تعلق القدرة باحداهما كتعلق العلم بالمعلوم من غير تأثير فيؤدي الى نفي التفرقة والانسان يجد التفرقة بينهما أو يكون تعلق القدرة باحداهما تعلق تأثير ثم لا يخلو ذلك من أمرين أيضا اما أن تكون راجعة الى الوجود والحدوث واما أن تكون راجعة الى صفة من صفات الوجود فالاول باطل لانه لو أثر في الوجود لاثر في كل موجود فتعين أن التأثير يرجع الى صفة أخرى وهي حال زائدة على الوجود مثل قادرية القادر عند أبي هاشم فانه لا تؤثر الا في حال الوجود فقالوا للقاضي قد أثبت حالا مجهولة لا اسم لها ولا معنى فأجاب بل هي معلومة بالدليل لكن لا يمكنني الافصاح عنه الآن بعبارة وان التفرقة ترجع الى اعتقاد العبد تيسير الفعل له عند سلامة الآلة ووجود الاستطاعة وكل ذلك من الله تعالى وتقدم قول الشيخ أبي الحسن الاشعري انه لا أثر للقدرة الحادثة وقال خصومه نفي الاثر عن القدرة يؤدي الى نفي حقيقة القدرة فان القدرة فارقت العلم بتأثيره في المقدور ولو انه كان في عدم التأثير كالعلم لاكتفى الفاعل بعلمه عن القدرة فعلى هذا الكسب هو مقدور القدرة الحادثة عنده وأما عند القاضي فهو يعني الكسب حال وحكم هو مقدور القدرة الحادثة فقال له هذه الحال هي مقدورة لله تعالى أم ليست بمقدورة فان لم تكن مقدورة لله تعالى فهي لا محالة تكون مقدورة للعبد وهو مذهب المعتزلة بعينه وان كانت مقدورة لله فلم يكن للعبد شيء البتة وذلك هو مذهب الجبرية بعينه فلا فائدة للتمسك بالحال في هذا المقام قال الشيخ أبو طاهر وقد غلا أبو المعالي اذ أثبت للقدرة الحادثة أثرا هو الوجود غير انه لم يثبت للعبد استقلالا بالايجاد ما لم يستند الى سبب آخر ثم تسلسل الاسباب في سلسلة الترقي الى الباري جل وعلا المستقل بالابداع من غير حاجة الى سبب وقال في بعض كتبه ان القدرة الحادثة مقدور القدرة القديمة لانها من أثرها * وقال في مدارك العقول العبد فاعل على الحقيقة وان قدرته مؤثرة في ايقاع الفعل ومقدمة عليه * وقال في موضع آخر منه نحن نقول بان قدرتنا الحادثة تؤثر في غير محلها على شرط الاتصال * وقال في النظامي ان القدرة الحادثة هي المؤثرة للفعل وشبهها بالعبد في بيع ماله باذن سيده في البيع قال الشيخ أبو طاهر وحاصل الامر أن أبا المعالي كان تارة يثبت أثر القدرة الحادثة وتارة ينفيه هذه نهاية مذاهب الائمة في هذه المسئلة العويصة المشكلة فمن تأملها وكرر النظر فيها علم غموض معانيها وصعوبة مراقيها وملخص الامر أن من زعم ان لا عمل للعبد أصلا فقد عاند وجحد ومن زعم انه مستبد بالعمل فقد أشرك وابتدع وما بقي مورد التكليف الا ما يجده العبد في نفسه من الاختيار للفعل وعدمه وان العبد بين طرفي الاضطرار مضطر على الاختيار والله تعالى أعلم هذا أحسن ما وجدته من كلام المتكلمين * وأما كلام الصوفية في هذه المسئلة فأكثر من أن يحصى ولكن نشير الى طرف صالح منه فلعل الله تعالى يوضح لنا بعض معانيها حتى يأتينا الكشف عن الحق فيها وزوال اللبس ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق

جملة واحدة * وقال في حديث ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها دخل الجنة قد خرج بذلك ما أخذناه نحن من طريق الاشتقاق على جهة المدح فانها لا تحصى كثرة وهذه التسعة والتسعون اسما لم نقدر على تعيينها من وجه صحيح لان الاحاديث الواردة فيها كلها مضطربة لا يصح منها شيء وكل اسم الهي يحصل لنا من طريق الكشف فلا نورده في كتاب وان كنا ندعو به في نفوسنا لما يؤدي اليه ذلك من الانكار علينا وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والسبعين ومائة معنى حبنا لربنا ان نحب الاشياء من أجله ونبغض الاشياء من أجله ليس غير ذلك لانتفاء المجانسة بينه تعالى وبيننا يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن ادعى محبته هل واليت لي وليا أو عاديت لي عدوا كما ورد * وقال في قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة في هذه الآية دليل على ان الله تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود الى السماء بلا سبب ولا بالجمع بين الضدين ولو كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وانما كان يقول فله ان يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل لمن يقول في نفسه كيف تأمرنا يا ربنا بامر لم تقسم لنا فعله وتنهانا عن شيء وقد قدرته علينا فهذا

ذكر الشيخ الأكبر في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات أن صورة مسئلة خلق الأعمال صورة لام ألف في حروف الهجاء فإن الرائي لا يدري أي الحرفين هو اللام حتى يكون الآخر هو الألف ويسمى هذا الحرف الذي هو لام ألف حرف الالتباس في الأفعال فلم يتخلص الفعل الظاهر على يد المخلوق أنه هو ولكن إن قلت هو لله صدقت وإن قلت للمخلوق مع الله صدقت ولولا ذلك ما صح خطاب الله تعالى للعبد بالتكليف ولا إضافة العمل إليه بقوله اعملوا اهـ وقال الشيخ أيضا في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة إنما أضاف تعالى الأعمال إلينا لانتقال الثواب والعقاب وهي لله حقيقة ولكن لما شهدنا الأعمال بارزة على أيدينا وادعيناها لنا أضافها تعالى إلينا بحسب دعوانا ابتلاء منه لأجل الدعوى ثم إذا كشف الله تعالى عن بصيرتنا رأينا الأفعال كلها لله تعالى ولم نر إلا حسنة فهو تعالى فاعل فينا ما نحن العاملون ثم مع هذا المشهد العظيم لا بد من القيام بالأدب فما كان من حسن شرعا أضفناه إليه خلقا وإلينا محلا وما كان من سيء أضفناه إلينا بإضافة الله تعالى فنكون حاكين قول الله تعالى وحينئذ يرينا الله عز وجل وجه الحكمة في ذلك المسمى سوأ فنراه حسنا من حيث الحكمة فيبدل الله سيئاتنا حسنات تبديل حكم لا تبديل عين انتهى * وقال أيضا في الباب التاسع والسبعين ومائتين لولا النسبة بين الرب والمربوب يعني رابطة الاستمداد بالحق ما دل العبد على الرب ولا قبل التخلق بأخلاقه قال وبتلك النسبة كان الحق تعالى مكلفا عباده بالأمر والنهي وبها بعينها كان المخلوق مكلفا مأمورا منهيا قال فحقق ما نبهتك عليه فإني أظن أنه ما طرق سمعك قط وإن لم تكن كذلك فاتك أدب كثير * وقال في الباب السادس والتسعين ومائتين كنت لم أزل أنفي التجلي الإلهي في الفعل تارة وأثبته أخرى بوجه يقتضيه ويطلبه التكليف إذ كان التكليف بالعمل من حكيم عليم ولا يصح أن يقول تعالى لمن يعلم أنه لا يفعل افعل إذ لا قدرة له على الفعل وقد ثبت الأمر الإلهي للعبد بالعمل مثل أقيموا الصلاة فلا بد أن يكون له في المفعول عنه تعلق من حيث الفعل به يسمى قابلا وإذا كان كذلك صحت نسبة وقوع التجلي في الفعل فهذا الطريق كنت أثبته وهو طريق في غاية الوضوح يدل على أن القدرة الحادثة لها نسبة تعلق بما كلفت عمله لا بد من ذلك وحاصله أن العبد ما صحت له نسبة الفعل إلا من كون الحق تعالى جعله خليفة في الأرض فلو جرد عنه الفعل بالكلية لما صح أن يكون خليفة ولما قبل التخلق بالأسماء قال وهذه الفائدة مما نبهني عليها التلميذ إسماعيل حفظه الله تعالى ولما أفادها لي لم يعرف أحد قدر ما دخل علي من السرور انتهى * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة اعلم أنه لولا صحة النسب بكسر النون وتحقيق النسب الصوري بفتحها ما كان للأسباب عين ولا ظهر عندها أثر وأنت تعلم أن استناد العالم أكثره إلى الأسباب فلولا أن الله تعالى حاضر عندها ما استند إليها مخلوق فإنا لم نشاهد أثرا إلا منها وما عقلناه إلا عندها فمن الناس من قال بها ولا بد ومن الناس من قال عندها ولا بد ونحن ومن جرى مجرانا من أهل التحقيق يقولون عندها وبها أي عندها عقلا وبها شهودا وحسا فما طلب الحق تعالى من عباده الأعمال فيه تعمل فلا بد من حقيقة تكون هنا تعطي صحة الإضافة في العمل إليك مع كون عملك خلقا لله والله خلقكم وما تعملون أي وخلق ما تعملون قال وبعض أهل الإشارة جعلوا ما هنا نافية فالعمل للعبد والخلق لله تعالى وبين الخلق والعمل فرقان في المعنى واللفظ فما أضافه تعالى إليك هو عين ما أضافه تعالى إليه لكن مع اختلاف المعنى وما فعل لك الابتلاء لك أن الأمر الواحد له وجوه فمن حيث ما هو عمل هو لك وتجزى به ومن حيث ما هو خلق هو لله تعالى فلا تغفل عن معرفة هذا فإنه لطيف جدا انتهى (قلت) ونظير ذلك قول عيسى عليه الصلاة والسلام تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك لأن المعنى تعلم ما في نفسي التي هي لك ملكا ولا أعلم ما في نفسك التي خلقتها ونفختها في فالنفس في الموضعين مضافة إلى الله تعالى من وجهين خلقا وإسنادا وإلى العبد إسنادا فقط والله تعالى أعلم * قال الشيخ أيضا في الباب التسعين وأربعمائة اعلم أن الحق تعالى ما أضاف الفعل إلى العبد إلا لكونه تعالى هو الفاعل حقيقة من خلف حجاب جسم العبد فلم يكن الفعل إلا لله تعالى غير أن من عباد الله من أشهده

ذلك

موضع لا يسئل عما يفعل * وقال بلغني أن العصفور قال لزوجته حين راودها عن نفسها لقد بلغ بي من حبي لك أن لو قلت لي اهدم هذه القبة على سليمان لهدمتها لك فأرسل سليمان خلفه وقال ما حملك على هذا القول الذي تعجز عنه فقال مهلا يا نبي الله إن المحبين إنما يتكلمون غالبا بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والعقل فضحك سليمان من قول الخطاف ولم يعاقبه (قلت) وفي هذه عذر عظيم لنحو سيدي عمر بن الفارض وأضرابه في تغزلاتهم فلا ينبغي إقامة موازين أهل العقول الكونية عليهم لأنهم إنما تكلموا بلسان العشق فافهم وسلم تسلم * وقال في الباب الرابع والثمانين ومائة كرامات الأولياء على قسمين حسية ومعنوية فالحسية للعامة والمعنوية للخاصة قال والحسية هي مثل الكلام على الخاطر والإخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية والأخذ من الكون والمشي على الماء واختراق الهواء وطي الأرض والاحتجاب عن الأبصار وإجابة الدعوة في الحال ونحو ذلك وأما الكرامة المعنوية عند الخواص فهي حفظ آداب الشريعة من فعل مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها والمحافظة على أداء الواجبات مطلقا في أوقاتها والمسارعة إلى الخيرات

ذلك ومنهم من لم يشهده ذلك قال تعالى فنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فالقسم الذى هداه هو الذى حفظه من دعوى الفعل لنفسه حقيقة وأما القسم الذى لم تحق عليه الضلالة فهو الذى حار ولم يدروهم القائلون بالكسب وأما من حقت عليه الضلالة فهم القائلون بخلق الافعال لهم اه وقال فى الباب الاحد وثمانين وأربعمائة اعلم ان مقام الاحسان هو العمل على شهود الحق تعالى فى حال العبادة وفى ذلك تنبيه عجيب فانه بتلك المشاهدة يبصر أن الفاعل هو الله تعالى لا هو فان العبد انما هو محل الظهور العمل لا غير * وقال فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة اعلم ان أعمال الناس حقيقة لله وحده وانما أضافها الينا ابتلاء واختبار لينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل ندعيها لانفسنا فيقيم الحق تعالى بذلك علينا الحجة أو نضيفها له فنقف موقف الادب نظير قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم فانه تعالى انما قال ذلك لينظر هل نضيف اليه تعالى ما أضافه الى نفسه مع جهلنا بالكيف أم نرد ظاهر ذلك ونؤوله فنقع فى سوء الادب اه وقال فى الباب السابع عشر وثلثمائة ومن أراد أن يعرف حقيقة أن الله تعالى هو الفاعل من خلف حجاب الخلق فلينظر فى خيال الستارة وصورها ومن هو الناطق فى تلك الصور عند الصبيان الصغار الذين بعدوا عن حجاب الستارة المضروبة بينهم وبين اللاعب بتلك الصور والناطق فيها الامر كذلك فى صور العالم كله والناس أكثرهم أولئك الصغار الذين فرضناهم فهنالك يعرف من أين أتى عليهم فالصغار فى ذلك المجلس يفرحون ويطربون والغافلون يتخذون ذلك هزوا ولعبا والعلماء بالله يعتبرون ويعلمون ان الله تعالى مانصب هذا الامثلة العباده ليعلموا أن هذا العالم مع الله تعالى مثل هذه الصور مع محركها وان هذه الستارة هى حجاب سر القدر الذى لا يجوز لاحد كشفه وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس عشر وأربعمائة مما يدلك على ان أفعال العبد لله حقيقة كونه جعل نفسه عين قوى العبد المحبوب فى حديث كنت سمعه وبصره ويده ورجله ومعلوم ان العمل ليس هو بجسم الانسان مماهو جسم حسا وانما العمل فيه لقواه فما تصرف فى باطن العبد الا الرب وهذا من أسرار المعرفة وقليل من عثر عليه ولذلك ادعى المعتزلة انهم يخلقون أفعال نفوسهم لحجابهم عن شهودهم مقوى قواهم انتهى * وقال فى الباب التسعين وأربعمائة فى قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون اعلم ان المقت درجات بعضها أكبر من بعض ومن قال قولا ولم يصدق مقت نفسه عند الله تعالى أكبر المقت اذا اطلع على ماحرمه من الخير بترك الفعل ولا سيما اذا رأى غيره قد عمل بما سمعه منه وأطال فى ذلك ثم قال ومعنى الآية بلسان الاشارة يا أيها الذين آمنوا من وراء حجاب لم تقولون ان الفعل لكم وما هو كذلك فانه لى فكيف تضيفون الى أنفسكم مالا تفعلون حقيقة ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا أى يقاتلون فى سبيله من ينازع الحق فى اضافة الافعال لى نفسه ويقول ان الفعل لى كالمعتزلة حتى يرجع الى الحق ويترك النزاع فيضيف الافعال كلها الى الله تعالى * وقال فى الباب الحادى والستين وثلثمائة اعلم ان الانسان مجبور فى عين اختياره عند كل ذى عقل سليم مع ان جميع مايظهر عنا من الافعال يجوز أن يفعله الحق تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ماوقع ذلك فى الشاهد ولا ظهر الا بأيدينا اذ الاعمال اعراض والاعراض لا تظهر الا فى جسم وهذا وان كان صدقا فقد أنف أهل الله أن يصرحوا به وانما قالوا الاعمال لله خلقا وللعبد اسنادا مجازا انتهى * وسمعت أخى الشيخ زين العابدين المرصفى رحمه الله يقول مر ار الاختيار العباد غير مفوض اليهم قطعا وأما قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فهو وعيد وليس بتفويض لقوله تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا والله خلقكم وما تعملون لا يقال ان كان خالق أفعالهم وحده فكيف يعذبهم لانا نقول الثواب والعقاب انما هو على استعمال العبد الفعل المخلوق لا على أصل الخلق فيعاقب على صرف الاستطاعة التى تصلح للطاعة الى المعصية لا على احداث الاستطاعة انتهى (وقال) الشيخ محيي الدين فى باب الوصايا انت محل للعمل لا عامل ولكن لولاك لما ظهر للعمل صورة لانه عرض * وقال فى لواقح الانوار أيضا محال من الحكيم أن يقول امش يامقعد أو افعل يامن لا يفعل فان الحكمة لا تقتضيه فبقى نسبة الفعل الى

وازالة الغل للناس والحسد والحقد لهم وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الانفاس ومراعاة حقوق الله فى نفسه وفى الاشياء ومراعاة انفاسه فى دخولها وخروجها وتلقاها بالادب ويخرجها وعليها خلعة الحضور فهذه كلها هى الكرامات عندنا فانه لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف كرامة العامة وايضاح ذلك ان الكرامة عند الخواص من لازمها العلم الصحيح والوفاء بالعهود ومعلوم ان الحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الالهى وليست الدنيا بمحل لخرق العوائد وانما محل ذلك الدار الآخرة وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الخامس والثمانين ومائة اعلم ان ميزان الشرع الموضوعة فى الارض هى مابايدى العلماء من الشريعة فمهما خرج ولى عن ميزان الشرع المذكورة مع وجود عقل التكليف انكرنا عليه ذلك فان غلب عليه الحال سلم له حاله مالم يعارض نصا أو اجماعا وأما مخالفته لما طريقه الفهم فلا قال فان ظهر بأمر يوجب حدا فى ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيمت عليه الحدود ولابد ولا يعصمه من اقامة الحد احتمال أن يكون كأهل بدر لان المؤاخذة انما سقطت عن أهل بدر فى الدار الآخرة ومن قيل له افعل ماشئت فقد غفرت لك فقتضى

الفاعل ينبغي أن يعرف اهـ (وقال) في الباب الثالث والعشرين وثلثمائة اعلم انه لا أثر لمخلوق في الاعمال التي تظهر على يديه أبدا من حيث التكوين وانما له بها حكم لا أثر وأكثر الناس لا يفرقون بين الحكم والاثر فان الله تعالى اذا أراد ايجاد حركة أو معنى من الامور التي لا يصح وجودها الا في موادها لانها لا تقوم بنفسها فلا بد من وجود محل يظهر فيه تكوين هذا الامر لا يقوم بنفسه فللمحل حكم في الايجاد لهذا الممكن وما له فيه أثر فهذا الفرق بين الحكم والاثر اذا حققته علمت أنه لا أثر للعبد جملة واحدة في الفعل فلماذا يقول فعلت كذا مع أنه لا اثر له ولذلك يمقت نفسه عند الله اذا انكشف حجابه وينكشف له يقينا ان ذلك الفعل الذي كان يدعيه ليس هو له حين انقضى زمان التكليف فليس المراد ان الله تعالى يمقت العبد على نسبة الفعل لنفسه فان الله قد أضافه اليه وانما المراد ان العبد يمقت نفسه ولو أنه فعل مستحضرا مشيئة الله تعالى في ذلك الفعل لم يمقت نفسه عند الله تعالى قال تعالى ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله فشرع المشيئة ليدفع وقوع مقت العبد نفسه * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة اذا نزهت الحق تعالى عن الشريك فقيده بالشركة في الملك دون الشركة في الفعل لاجل صحة التكليف فانه لولا ان للعبد شركة في الفعل ما صح تكليفه اذ لا بد من شركة العبد في الفعل من خلف حجاب الاسباب فعلم ان من نزهه عن الشركة مطلقا فاته مقام الكمال * وقال في الباب الثاني والسبعين حكم أفعال العبد مع الحق حكم آلة النجار أو الحائك ولله المثل الاعلى ونحوها فان الله يفعل بالواسطة وبلا واسطة قال وبهذا القدر الذي هو كانه آلة تعلق الجزاء والتكليف لوجود الاختيار من لا آلة ولا دليل في العقل يخرج العبد عن الفعل ولا جاء بذلك نص عن الشارع لا يحتمل التأويل فالافعال كلها من المخلوقين مقدورة لله تعالى ووجود أسبابها بالاصالة من الله تعالى وليس لمخلوق فيها مدخل الا من حيث كونه محلا لها اهـ * وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون أثبت الفعل للعبد بالضمير ونفاه بالفعل الذي هو خلق كما انتفى أبو بكر فلم يظهر له ذكر في القرآن وأثبته ضمير التثنية في القرآن اهـ * وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة على اسمه تعالى الواجد بالجيم اعلم انه تعالى لا يصعب عليه شئ طلب ايجاده فاذا طلب من العبد أمرا ولم يقع منه كان تعويقه من قبله تعالى بمشيئته لا عجزا عن تنفيذه مثاله طلب من أبي جهل أن يؤمن بالله ورسوله وبما جاء به من أحدية الخالق فلم يجبه الى ما طلبه منه فالظاهر من أبي جهل ان ابايته ما كانت الا من حيث كونه ليس بواجد لما طلب منه والمنع انما كان منه تعالى اذ لم يعطه التوفيق ولو شاء لهداكم أجمعين فعلم انه تعالى لو قال للايمان كن في محل أبي جهل أو خاطبه بالايمان بلا واسطة لكان الايمان في محل المخاطب فكونه واجدا انما هو اذا تعلقت الارادة بكونه وما عدا كن فما هي حضرة الوجدان اهـ وقال في هذا الباب أيضا في الكلام على اسمه تعالى الخالق اعلم ان الخلق خلقان خلق يتقدم الامر الالهي كما في قوله تعالى ألا له الخلق والامر فانه قدمه في الذكر وخلق ايجاد وهو الذي يساوق الامر الالهي فيكون عين قوله كن عين قبول الكائن للتكوين فيكون على الاثر فالفاء جواب الامر وهي فاء التعقيب وليس الجواب والتعقيب الا في الرتبة لا في الامر الباطن خلاف ما يتوهم من أنه لا يتكون الا عند الامر بقوله تعالى له كن ولولا هذا القول لم يكن والخلق الذي نعتقده انه لا افتتاح للقول كما لا افتتاح لعلوم علمه تعالى فما حدث الا الظهور للمكون لعالم الشهادة بعد أن كان غيبا في علم الله تعالى والسلام * وقال في كتاب لواقح الانوار لا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهية وانما يعصي العبد الامر من خلف حجاب الداعين الى الله تعالى من الرسل وأتباعهم من العلماء قال تعالى انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فما وقع العبد في تخلفه عن امتثال أمر واجتناب نهي الا اذا كان الامر والنهي على لسان الوسائط من الخلق كما اذا قال الرسول أو نائبه للناس صلوا أو صوموا فقد يقع المأمور به من العبد المأمور وقد لا يقع وأما اذا قال الحق تعالى لعبده من غير واسطة كن مصليا أو صائما فانه يقع ولا بد

ان ذلك الفعل ذنب ولذلك قال غفرت لك دون اسقاط عنك الحدود فعلم ان القاضي الذي يقيم الحد على هذا الشخص مأجور وهي بعينه واقعة الحلاج وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والثمانين ومائة لا يكون خرق العادة الا ان خرق العادة في ترك شهوات نفسه وأما من خرقت له العادة لا عن استقامة فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر قال وهذا هو الكيد المتين قال واعلم ان خرق العوائد على وجوه منها ما يكون عن قوى نفسية فان أجرام العالم تنفعل للهمم النفسية ومنها ما يكون عن حيل طبيعية كالقلفطريات وغيرها وبابها معلوم عند العلماء بها ومنها ما يكون عن نظم حروف بطوالع وذلك لاهل الرصد ومنها ما يكون باسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في عين الرائي لا في نفس الامر وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله وليس صاحبها عند الله بمكان وانما ذلك بفعل خاصية ما ذكرنا كالدواء المسهل يفعل بخاصيته وليس هو عند الله بمكان * وقال في الباب السابع والثمانين ومائة اختلف الناس فيما كان معجزة لنبي هل يجوز ان يكون كرامة لولي فالجمهور أجازوا ذلك الا الاستاذ أبا اسحق الاسفرايني فانه منع من ذلك قال وهو الصحيح عندنا الا

وتأمل قوله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أقيموا الصلاة واصبروا وصابروا ورابطوا وجاهدوا ولا يقع من بعض الناس شيء من ذلك لتوقف امتثالهم على الارادة وهي لم ترد لهم امتثال الامر فكأنه تعالى قال لهم حينئذ اخلقوا بأنفسكم من غير ارادتي وليس من قدرتهم ذلك فكان التعلق بهم جسم كن لا روح له فكانت كالميتة يحرم عليهم استعمالها بخلاف ما اذا تعلق بهم كن الحية الذي هو الامر الالهي بلا واسطة فانه لو جرد عين الجهاد والرباط والصلاة وغيرها من أفعال العباد في حين توجه الاذن لهم وليس من شأن الافعال ان تقوم بنفسها والا كانت الصلاة تظهر في غير مصل والجهاد في غير مجاهد وذلك لا يصح فلابد من ظهورها فيمن ظهرت عنه فاذا ظهر ذلك فيمن ظهرت عنه من المصلي أو المجاهد أو نحوهما نسب الفعل الى العبد وجازاه الحق تعالى عليه فضلا منه أو عدلا ولولا أن العمل نفسه كان محلا للتنعم أو التألم لكان هو أولى بالجزاء ولكن لما كان ليس محلا لذلك جعل الله تعالى الجزاء لاقرب نسبة اليه وهو العبد الذي هو الآلة قال ولولا هذه النسبة التي جعلها الحق تعالى للعبد لكان ذلك قدحا في الخطاب والتكليف ومناهاة للحسن وكان لا يوثق بالحسن في شيء وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب السادس والثمانين ومائتين * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول العبد محل ظهور الافعال كالباب الذي يخرج منه الناس فليس الناس متولدين من نفس الباب وانما ظهر بروزهم منه لا غير اذ الاعضاء الفعالة في الظاهر أبواب للحركات الربانية المستورة اذ الاكوان كلها ستره وهو الفاعل من خلف حجاب بهذا الستر فقوم لا يشعرون بأن الله تعالى هو الفاعل وهم المعتزلة وقوم يشهدون ويشعرون بذلك وهم الجبرية غلب عليهم شهود الفعل لله وحده ولم يتسع نظرهم حتى يضيفوه للعبد كما أضافه الحق تعالى اليه فأخطأوا الشريعة وقوم لا يشهدون ويشعرون وهم الاشعرية منعهم حجاب القول بالكسب عن الشهود وكل من هؤلاء الطوائف الثلاث على بصره غشاوة ولا تزول عنهم تلك الغشاوة الا بالكشف قال ولا ينبغي أن يقال العبد مجبور في عين اختياره وان كان ذلك القول صحيحا لان في ذلك سوء أدب ويرجع الى رائحة اقامة الحجة على الحق جل وعلا اه وسيأتي بسط ذلك في المبحث عقبه * وقال في باب الاسرار من الفتوحات ما طلب الحق تعالى من عباده أن يستعينوا به في عباداتهم وغيرها الا لينبههم على عجزهم عن الاستقلال بالافعال وكان الامام الجنيد رحمه الله تعالى يقول اياك أن تقف في حضرة شهود الفعل لله تعالى وحده دون عباده فتقع في مهواة من التلف ولا ترى لك مع ذلك قط ذنبا فتهلك مع الهالكين وفي ذلك هدم للشرائع كلها اه (فان قلت) فما منشأ الخلاف في مسئلة خلق الافعال بين الفرق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والستين ان منشأ الخلاف بينهم كونهم لم يدروا الى ماذا يرجع ذلك التمكن الذي أعطاه الله تعالى للعبد ووجده من نفسه حال الفعل هل هو راجع الى كون القدرة الحادثة لها فيها أثر في تلك العين الموجودة عن تمكنا أو عن الارادة المخلوقة فيه فيكون التمكن أثر الارادة لا أثر القدرة الحادثة فعلى ذلك ينبني كون الانسان مكلفا لما بين التمكين الذي يجده من نفسه ولا يحقق بعقله الى ماذا يرجع ذلك التمكين هل هو لكونه قادرا أو لكونه مختارا وان كان على قول بعضهم هو مجبور في اختياره ولكن بذلك القدر من التمكن الذي يجده من نفسه صح أن يكون مكلفا ولهذا قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فقد أعطاها أمرا وجوديا ولا يقال أعطاها لا شيء * وقال في الباب الاحد وتسعين وثلثمائة في قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان في هذه الآية اثبات القتل والرمي ان نفاه عنه ثم انه لم يثبت على الاثبات بل أعقب الاثبات نفيا كما أعقب النفي اثباتا بقوله ولكن الله قتلهم وبقوله ولكن الله رمى فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت لعين واحدة وايضاح ذلك ان الله تعالى قال فقتلوا المشركين فأظهر آمرا وآمرا ومأمورا في هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال ما أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فانتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أي آلة كانت للقتل كما ان القتل وقع في المقتول بالآلة ولم تقل فيها

أما نشترط أمر الذي كره الاستاذ وهو أن نقول الآن أقام الولي بذلك الامر المعجز على تصديق النبي لا على جهة الكرامة فهو واقع عندنا بل قد شاهدناه فيظهر على الولي ما كان معجزة النبي على ما قلناه ولو تنبه لذلك الاستاذ قال به ولم ينكره فانه ما خرج عن بابه قال وهذا الذي ذهب اليه الاستاذ والذي يعطيه النظر العقلي الآن يقول الرسول في وقت تحديه بالمنع في الوقت خاصة فانه جائز ان يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه وأما ان أطلقه فلا سبيل الى ما قاله الاستاذ انتهى * وقال في الباب الثامن والثمانين ومائة في حديث ان الرؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت اعلم ان لله تعالى ملكا موكلا بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا بيده صور الاجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور من الاكوان فاذا نام الانسان أو كان صاحب غيبة أو فناء أو قوة ادراك لا تحجبه المحسوسات في يقظته عن ادراك ما بيد هذا الملك من الصور فيدرك هذا الشخص بقوته في يقظته ما يدركه النائم في نومه وذلك ان اللطيفة الانسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات الى حضرة الخيال المتصل بهم الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها

انهم القاتله بل الضارب هو القاتل فكذلك الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة اليه هو فافهم * وقال فى باب الاسرار ما أجهل من قال ان الله تعالى لا يفعل بالآلة وهو يقرأ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فتراه يكفر بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب فالسيف آلة للعبد والعبد والسيف آلة له تعالى اهـ وقال فى الباب الخمسين اعلم ان الحق تعالى ما كلفنا الا بعد ان جعل لنا قدرة نجد أثرها فى نفوسنا تعجز عنها العبارة واذا فقدت لم يكلفنا كلم يكلف الزمن القيام فى الصلاة وهذه القدرة هى التى أظهرها النفخ الالهى فى الانسان بواسطة الملك فلولا هذه القدرة ما توجه علينا التكليف ولا قيل لاحد ناقل واياك نستعين فان فى الاستعانة اثبات جانب من الفعل للعبد فصدقت المعتزلة فى اضافتها الافعال الى العبد من وجه واحد بدليل شرعى وأخطأت فى اضافتها الافعال اليه بحكم الاستقلال وصدقت الاشعرية فى اضافتها الافعال الى الله خلقا والى العباد كسبا من الوجهين بدليل شرعى وعقلى اهـ وقال فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات اتفق النظار كلهم على أن خالق القدرة المقارنة للفعل من العبد لله وحده وانما البحث من كسب العبد ولا من خلقه فكل انسان معه اختيار لا ان له من نفسه اختيارا استقلالا * وقال فى باب الاسرار ما أمر الله تعالى عباده بنصره الا وأعطاهم الاشتراك فى أمره فمن قال لا قدرة لى ويعنى الاقتدار فقد رد الاخبار وكان ممن نكث والحق تعالى منزه عن تكليف الحق تعالى بالعبث اهـ * وقال فى الباب الثامن والخمسين وخمسمائة فى الكلام على اسمه تعالى الخافض اعلم ان حضرة الخفض لا يتصرف الحق تعالى فيها تصرف المحدث الا اذا تنزل اليها فاذا تنزل اليها أضفنا اليه أحكام تلك الحضرة فليس سلطان حضرة الخفض الا فى المحدث الاتيان ولو كان قرآنا فانه محدث عندهم باتيانه ألا ترى حروف الخفض هى الخافضة للاسماء مع انها دونها فى الدرجة وعلو الاسماء فيما يقول العبد أعوذ بالله فالباء خافضة ومعمولها كلمة الله فهى التى تخفض الهاء من الكلمة فأثرت فيما هو أعلى منها الذى هو الاسماء فالعالم وان كان فى مقام الخفض فى الرتبة فبعضه لبعض كأدوات الخفض فى اللسان لا يخفض المتكلم الكلمة الا بها كذلك ما يفعله الحق تعالى بواسطة الاسماء الالهية لا بد من التنزل الى رتبة الخفض ليتصرف فى أدوات الخفض ثم ان حروف الخفض اذا دخل بعضها على بعض صار المدخول عليه منها أسماء وزال عنه حكم الحرفية فيرجع مخفوضا بالاضافة كسائر الاسماء وأبقوا عليه البناء حتى لا يتغير عن صورته لان الخافض اصالة لا يكون مخفوضا حقيقة فهو هنا مخفوض المعنى غير مخفوض الصورة بما هو عليه من البناء مثل قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد قال وهكذا يكون الامر فى الطريق التى نحن فيها اذ أثر الحدث فى المحدث لم يشركه أثر فيه غير أن يكون محدثا لحدوثه بمنزلة البناء للحرف والاثر فيه للمؤثر ولا مؤثر بالاجماع الا الله فهذا فعل الخالق ظهر بصورة فعل الخلق تعالى فانفعل المنفعل بصورة الحق تعالى قال ومن هذه الحضرة قال تعالى كنت سمعه الذى يسمع به وقال فأجره حتى يسمع كلام الله ومن يطع الرسول فقد أطاع الله مع قوله ما على الرسول الا البلاغ اهـ وقال فى باب الاسرار ما فى الوجود الا فعله مع أنه حرم الفواحش فسلم ولا تفتش اهـ * وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يقول فى قوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله أى ايجادا واسنادا وما أصابك من سيئة فمن نفسك يعنى اسنادا لا ايجادا وتأمل يا أخى قول السيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذا مرضت فهو يشفين كيف لم يقل واذا أمرضنى بل أضاف المرض الى نفسه حيث كان مكروها للنفس وأضاف الشفاء الى الله لكونه محبوبا للنفس وكذلك تأمل قول أيوب عليه الصلاة والسلام رب انى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ولم يقل أمسنى الضر فارحمنى بل حفظ أدب الخطاب وكذلك تأمل قول الخضر عليه الصلاة والسلام فأردت أن أعيبها فأضاف العيب الى نفسه لما كان العيب مكروها وانكارا كيف أضاف الامر المحبوب للنفس الى الله تعالى فى قوله تعالى فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما (فان قيل) فما الجواب عن قول الخضر عليه الصلاة والسلام فأردنا أن يبدلهما

ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الاذن الالهى ما يشاء الحق أن يريه لهذا النائم أو الغائب أو الفانى من ادراك المعانى مجسدة ونحو ذلك فيرى الحق فى صورة وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان كل من عبر الرؤيا لا يعبرها حتى يصورها فى خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذى كانت فيه حديث نفس أو تحزينا من شيطان الى خيال العابر لها ثم ان الله تعالى اذا أراد أن يرى أحدا رؤيا يجعل لصاحبها فيما رآه حظا من الخير والشر بحسب ما تقتضيه رؤياه فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائرا وهو ملك فى صورة طائر كما يخلق من الاعمال صورا ملكية روحانية جسدية برزخية قال وانما جعلها فى صورة طائر لانه يقال طار سهمه بكذا والطائر الحظ قال تعالى طائركم معكم أى حظكم ونصيبكم معكم من الخير والشر وتجعل الرؤيا معلقة برجل هذا الطائر وهى عين الطائر فاذا عبرت سقطت لما عبرت له وعندما سقط ينعدم الطائر لانه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها وتتصور فى عالم الحس بحسب الحال التى تخرج عليها تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير فتلك الحال اما عرض أو جوهر واما نسبة من ولاية أو غيرها فهى عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت

ربهما بنون الجمع الشاملة للعبد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين من الفتوحات ان قوله أردنا تحته أمران أمر الى الخير وأمر الى غيره في نظر موسى وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو لله من حيث ضمير النون وما كان فيه من نكر في ظاهر الامر في نظر موسى في ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم ان النون الجمع هنا وجهين لما فيها من الجمع وجه الى الخير به أضاف الامر الى الله تعالى ووجه الى العيب به أضاف العيب الى نفسه ولو أن الخطيب الذي قال ومن يعصهما فقد غوى كان يعرف هذين الوجهين اللذين علمهما الخضر ما كان صلى الله عليه وسلم قال له بئس الخطيب أنت وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين ربه بضمير واحد فقال ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ وما ينطق عن الهوى وكذلك جمع الحق تعالى نفسه مع الملائكة في قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فتأمل يا أخي فيما ذكرناه لك من آداب الانبياء تجدهم أكثر أدبا من سائر الخلق وقد قالوا لابي بكر رضي الله تعالى عنه لما مرض الا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني فهو وان شهد الامر من الله تعالى لم يراع ادب اللفظ كما راعاه الخليل عليه الصلاة والسلام وأيوب انتهى (قلت) الذي نراه أن السيد أبا بكر رضي الله تعالى عنه لم يقل ما قال من اسناد المرض الى الله جهلا بمقام الادب مع الله وانما ذلك تنزل لعقل السائل له أن يدعو له طبيبا لما رأى من عدم شهوده مقام الخليل الاعظم عليه الصلاة والسلام والله أعلم * وقال في الباب الاحد وعشرين ومائة اعلم يا أخي أن مسئلة خلق الافعال وتعقل وجه الكسب منها من أصعب المسائل قال وقد مكثت دهري كله أستشكلها ولم يفتح لي بالحق فيها على ما هو الامر عليه الا ليلة تقييدي لهذا الباب في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة وكنت قبل أن يفتح علي بذلك يعسر علي تصور الفرق بين الكسب الذي يقول به قوم وبين الخلق الذي يقول به قوم وما كنت اعتقد الا الجبر المحض والآن قد عرفت تحقيق هذه المسئلة على القطع الذي لا شك فيه وعرفت الفرق بين المذاهب الثلاث فيها وذلك أن الحق تعالى أوقفني بكشف بصيرتي على المخلوق الاول الذي لم يتقدمه مخلوق اذ لم يكن ثم الا الله وحده وقال لي انظر هل هنا أمر يورث اللبس والحيرة قلت لا يا رب فقال لي هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لاحد فيه أثر ولا شئ من الخلق فانا الذي أخلق الاشياء عند الاسباب لا بالاسباب فتتكون عن أمري خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر قلت له يا رب فنفسك اذن خاطبت بقولك افعل ولا تفعل فقال لي اذا طالعتك بشئ من علمي فالزم الادب ولا تحاقق فان الحضرة لا تقبل المحاققة فقلت له يا رب وهذا عين ما نحن فيه ومن يحاقق ومن يتأدب الا ان خلقت الادب والمحاققة فان خلقت المحاققة فلا بد من وقوعها وان خلقت الادب فلا بد من وجوده قال هو ذاك فاسمع وأنصت قلت ذلك لك يا رب اخلق السمع حتى أسمع والانصات حتى أنصت وما يخاطبك الآن سوى ما خلقت وحدك فقال لي ما أخلق الا ما علمت وما علمت الا ما هو المعلوم عليه حين تعلق به علمي في الازل ولي الحجة البالغة اه وسيأتي ايضاح ذلك في المبحث بعده ان شاء الله تعالى فتأمل يا أخي في هذه النقول ولكن مع اجتناب جميع ما يسخط الله عز وجل فان القلب المظلم من لازمه الاستشكال في الامور الواضحة فضلا عن مثل هذه المسئلة وقد قال الامام الغزالي رحمه الله هذه مسئلة لا يزول اشكالها في الدنيا وهو معذور في قوله والله تعالى أعلم *(خاتمة)* (ان قيل) ما المراد باضافة الخلق الى عيسى عليه الصلاة والسلام مع ان عيسى في ذلك عبد مخلوق الذات ومن شأن المخلوق أن لا يخلق ولا يقدر على ذلك (فالجواب) قد صرح القرآن العظيم بأن خلق عيسى عليه الصلاة والسلام للطير انما كان باذن الله تعالى فكان عيسى في ذلك كالملك الذي يصور الجنين في الرحم باذن الله فكان خلقه عليه الصلاة والسلام للطير من جملة العبادة التي يتقرب بها الى الله تعالى لاذنه تعالى له في ذلك قال تعالى أفرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة في تفسير هذه الآية اعلم ان لفظة ما عامة لانها لفظة تطلق على كل شئ ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو

ولابد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين وأطال في ذلك * ثم قال وانما كان صلى الله عليه وسلم اذا أصبح يقول لاصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا لان الرؤيا من أجزاء النبوة لانها مبتدأ الوحي فكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يشهدها في أمته والناس في غاية الجهل بهذه المرتبة التي كان صلى الله عليه وسلم يعتني بها ويسأل كل يوم عنها والجهلاء في هذا الزمان اذا سمعوا بامر وقع في النوم أو في الغيبة أو الفناء لم يرفعوا به رأسا وقالوا بالمنامات يريد هؤلاء أن يدركوا مدارك الصالحين ويستهزؤن بالرائي اذا اعتمد عليها وهذا جهل بمقامها قال واعلم ان محل الرؤيا النشأة العنصرية فليس للملك رؤيا وذلك لان مكان الرؤيا ما تحت مقعر فلك القمر خاصة فلو قدر أن شخصا خرج من مكان الرؤيا لا يرى بعد ذلك رؤيا لانه لا يقوم به صفة النوم وأطال في ذلك (قلت) ذكر الشيخ شروطا فيمن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الباب التاسع عشر وأربعمائة وكذلك في الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة والباب الاربعين وخمسمائة فيما تعلق برؤية الله ورؤية رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر في الباب الثالث والستين وثلثمائة الفرق بين الرؤيا والمبشرات وان الرؤيا أعم والمبشرات أخص فان الانسان

المرجوع اليه في هذا الفن فان بعض المتحذلقين للفن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل ولفظة من تختص بمن يعقل وهو قول غير محرر فقد رأينا في كلام العرب جمع ما لا يعقل جمع من يعقل واطلاق ما على ما يعقل كهذه الآية فدخل عيسى في هذا الخطاب وان كان يعقل لانه لا يقدر يخلق شيأ استقلالا فافهم وقول سيبويه أولى والسلام وتقدم قوله تعالى للشيخ قبيل الخاتمة حاققت النفخ في عيسى وخلقت التكوين في الطائر الى آخره وهذا أمر لا اشكال فيه والله تعالى أعلم (فان قيل) فاذا أعطى الحق تعالى بعض خواصه في هذه الدار حرف كن هل يتصرف بها أم الادب تركه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة أن من أدب أهل الله تعالى اذا أعطاهم الله تعالى التصرف بلفظة كن في هذه الدار لا يتصرفون بها الا في محلها الدار الآخرة ولكنهم جعلوا مكان لفظة كن بسم الله ليكون التكوين لله تعالى ظاهرا كما هو له تعالى باطنا (فان قيل) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق أدبا وقد استعملها في بعض الغزوات (فالجواب) انما استعملها صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك بحضرة صحابه بيانا للجواز ولانه كان مأذونا له في اظهار المعجزات وهذه المسئلة من قبيلها فقال صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فكان أبا ذر وقال لعسيب النخل كن سيفا فكان سيفا (فان قلت) فهل يصح لاحد من الخلق انه يخلق انسانا باذن الله تعالى أم غاية أمر الخلق أن يخلق الطير كما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام في خلقه الخفاش (فالجواب) ان هذا السؤال أورده الشيخ محيي الدين في الباب الخامس والثلاثين وثلثمائة ولفظه اذا خلق الانسان باذن الله تعالى انسانا وفرض فهل هو انسان أو حيوان في صورة جسم انسان لان الله تعالى أعجز الخلق كلهم أن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فضلا عن صورة انسان التي هي أكمل الصور ولكن قد ذكرنا في الفلاحة النبطية ان بعض العلماء بعلم الطبيعة كون من المني الانساني بتعفين خاص على وزن مخصوص من الزمان والمكان انسانا بالصورة الآدمية وأقام سنة يفتح عينيه ويغلقها ولا يتكلم ولا يزيد على ما يتغذى به شيأ فعاش سنة ومات قال الشيخ فلا أدري أكان انسانا حكمه حكم أخرس أو كان حيوانا في صورة انسان انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والعشرون في بيان ان لله تعالى الحجة البالغة على العباد مع كونه خالقا لاعمالهم)

فلو قدر أن عبدا قال يا رب كيف تؤاخذني بما قدرته علي قبل أن أخلق لقال له الحق تعالى وهل تعلق علمي بك الا بما أنت عليه ولا افتتاح لعلمي ولا لمعلومي قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين فاني تدل هذه الآية لاقامة الحجة على عباده مع انه تعالى عالم بجميع ما يكون من العبد قبل كونه لثبوت ذلك في علمه تعالى ولكن ما كل أحد يبلغ الى ذوق هذا العلم والحجج انما تقام في الاصل على المحجوبين لا على أهل الكشف لعدم نزاعهم للحق تعالى في شئ أضافه الحق تعالى اليه أو اليهم فيجب على العبد أن يقيم الحجة لله على نفسه ايمانا حتى يعرف ذلك يقينا وكشفا لانه لا يجري على العبد الا ما كان هو عليه في العلم الالهي فما فعل تعالى بالعبد الا ما كان في علمه تعالى وما فوق اقامة الحجة موضع لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (فان قيل) فما وجه كونهم يسئلون دونه تعالى (فالجواب) انما كانوا يسئلون لانه تعالى اذا أطلعهم عند السؤال على شهود الحالة التي كانوا عليها في علمه تعالى الذي لا افتتاح له تحققوا حينئذ أن علمه تعالى ما تعلق بهم الا بحسب ما هم عليه وانه تعالى ما حكم فيهم الا بما كانوا عليه مع انه تعالى خالق بالاختيار لا بالذات فافهم واياك والغلط وقد حكى عبد الله بن سلام شكا نبي من الانبياء بعض ما أصابه من المكروه الى الله تعالى فأوحى الله تعالى اليه كم تشكوني ولست باهل ذم هكذا بدء شأنك في علم الغيب أفتريد أن أعيد الدنيا من أجلك وأبدل اللوح بسببك الى آخر ما ورد فعلم ان كل من أطلعه الله تعالى على هذا المشهد صار يعترف بحجة الله تعالى البالغة عليه من ذات نفسه ويقيم الحجة على نفسه كشفا ويقينا وقد أطال الشيخ محيي الدين في

فتري ما يعقد شبه نفسه وما يلعب به الشيطان أو يحزنه ولو لم يكن لذلك أثر فيمن رآها لنفسه أو رؤيت له ما أثبت الشارع لذلك الخوف منزلا وهو أمر صاحب الرؤيا المفزعة أن يتفل عن يساره ثلاثا ويستعيذ بالله من شر ما رأى فانها لا تضره ثم يتحول عن شقه الذي كان نائما عليه حين الرؤيا الى شقه الآخر فانها تتحول بتحوله ولا تضره وذلك كما يحول الانسان رداءه في الاستسقاء فيحول الله حالة الجدب بالخصب والله أعلم

* وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في حديث ان نفس الرحمن يأتيني من قبل اليمن المراد بالنفس هو العماء الذي هو البخار المسمى بالحق المخلوق به السموات والارض وما بينهما وليس هو الهواء ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في صفة العماء الذي كان الحق تعالى فيه من غير حلول قبل أن يخلق الخلق ليس تحته هواء وليس فوقه هواء يعني ان له صفة الفوق والتحت اما الفوق فمن كون الحق نسب الى نفسه انه فيه واما التحت فمن حيث كون العلم فيه فلو كان العماء هواء لكان مخلوقا والحديث أثبت ان العماء كان قبل خلق الخلق فافهم ما تحته * وقال في قوله تعالى ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من

الجواب ثم قال وأكثر الناس لا يعلمون وجه هذه الحجة بل يأخذونها على وجه الايمان والتسليم ونحن وأمثالنا نأخذها عيانا ونعلم موقعها ومن أين أتى بها الحق تعالى واعلم أن من علامة من يأخذ الحجة على وجه الايمان ان لا يتخيل الحجة عليه على وجهها بل لسان حاله يقول لو أن الحق تعالى مكنني من الاحتجاج حين يسألني عن ذلك لقلت له يارب أنت فعلت بي ذلك ولكنك لا تسئل عما تفعل ومثل هذا الكلام لا يقع الا من جاهل باحكام الله تعالى بل لله الحجة البالغة عليه مطلقا وكيف يليق بعبد أن يقول لسيده لا حجة لك على ولو بقلبه فتأمل في ذلك وقد قال الشيخ في الباب السابع والخمسين وأربعمائة في تفسير قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة (فان قيل) ما وجه كون حجة الله تعالى على العبد بالغة (فالجواب) وجه ذلك كون العلم تابعا للمعلوم وتميز الحق تعالى انما هو برتبة الفاعلية اذ الخلق كلهم مفعوله تعالى فما قال المعلوم شيأ من الامور الا وهو محكوم عليه بانه يقوله وكأن لسان الحق تعالى يقول للعبد المجادل ما تعلق علمي بك حال عدمك الشخصي وأنت في عالم الغيب عن هذا العالم الا على ما أنت عليه فاني ما أبرزتك الى الوجود الا على قدر ما قبلته ذاتك فيعرف العبد حينئذ ان ذلك هو الحق وهنالك تدحض حجج الخلق أجمعين من جميع المنازعين ولا يخفى ان كل واحد لله تعالى عليه الحجة ماهي عين ما يقام على عبد آخر جملة واحدة وبتلك الحجة يظهر بها تعالى على عباده قال تعالى وهو القاهر يعني بالحجة فوق عباده وهو الحكيم الخبير أي حيث يظهر على كل صنف بما تقوم به الحجة لله تعالى عليه فلولا اطلاق التكاليف ما كان خصما ولا عمل لنا معه مجلس حكم ولا ناظرنا تعالى وهذا من جملة انصاف الحق تعالى عباده الطالب منهم النصف انتهى فليتأمل ويحرر ما فيه فانه منزع دقيق وقال في الباب الثامن والسبعين ومائة في قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة اعلم ان في هذه الآية دليلا على انه تعالى ما كلف عباده الا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم بنحو الصعود الى السماء بلا سبب ولا بشهود الجمع بين الضدين ولو انه تعالى كلفهم بذلك ما كان يقول فلله الحجة البالغة وانما كان يقول فله ان يفعل ما يريد كما قال لا يسئل عما يفعل يعني في أصل القسمة الازلية فهذا موضع لا يسئل عما يفعل لفقد من كان هناك يسأل الحق تعالى انتهى وسيأتي أوائل المبحث التاسع والعشرين تظم بديع لبعض اليهود في تصوير وجه مخالفة العبد للقدرة الالهية وانما ذلك غير ممكن فراجعه * وقال الشيخ في باب الاسرار من احتج عليك بما سبق في علم الحق فقد حاجك بالحق لكنها حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونهم سالما نفعت سمعت وقيل بها وان عدل الشرع من مذهبها فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولكن أكثر الناس لا يشعرون ومثل هذه المسئلة لا يكون الاجهارا ولا يتكلم بها الا اشعارا مع انه لو جاهر بها لكانت علما ونفحت فهما أو رنت في الفؤاد كمادونه تحز القمم لما تؤدي اليه من درس الطريق الاهم الذي عليه جميع الامم وان كان كل دابة هو آخذ بناصيتها فافهم فصح قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيأ ولكن الناس أنفسهم يظلمون وايضاح ذلك لا يذكر الا مشافهة لاهله فانه من علوم سر القدر والكتاب يقع في يد أهله وغير أهله والله تعالى أعلم * وقال الشيخ في كتاب لواقح الانوار لو ان عبدا قال لربه يارب كيف تؤاخذني على أمر قدرته على قبل ان أخلق اقال له الحق تعالى اما أنت محل لجريان اقداري فلا يسعه الا أن يقول نعم يارب انا محل لجريان اقدارك فاذا قال العبد ذلك قال له الحق فاذن قد ذهب اعتراضك على فان شئت جعلتك محلا للثواب وان شئت جعلتك محلا للعقاب والعذاب وان قال العبد مذهب المعتزلة ونحاله فحينئذ يقام عليك ميزان العدل في قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت انتهى فقد قامت حجة الله تعالى على جميع الطوائف اه (قلت) وقد بلغنا أن ابليس قال يارب كيف تقدر على عدم السجود لآدم ثم تؤاخذني به فقال جل وعلا متى علمت أني قدرت عليك الاباية عن السجود بعد وقوع الاباية منك أو قبلها فقال بعدها فقال له الحق تعالى وبذلك آخذتك فسر القدر وحكمه محكم مكيدة الفخ الذي ينصب للطير وهو الولب المدفون في التراب وحكم اختيار العبد حكم الحبة الظاهرة على وجه الارض فترى الطير لا يرى المكيدة ولا يهتدي لها وانما يرى الحبة فقط فيلتقطها فيكون فيها هلاكه ولو انه عرف المكيدة ما التقط الحبة أبدا فهكذا ابن آدم لا يقع في

عباده اذا هم يستبشرون اعلم ان السحاب انما يثقله الماء فاذا ثقل استبشر الناس بنزوله فينزل كما صعد بما فيه من الحرارة فاذا ثقل اعتمد على الهواء فانضغط الهواء فاخذ سفلا لخلف وجه الارض فتقوت الحرارة في الهواء فطلب الهواء بما فيه من الحرارة القوية الصعود الى الركن الاعظم فوجد السحاب متراكما فمنعه من الصعود فكاثفه فاشتعل الهواء فخلق الله من تلك الشعلة ملكا فسماه برقا فاضاء به الجو ثم انطفأ بقوة الريح كما ينطفئ السراج فزال ضوءه مع بقاء عينه فزال كونه برقا وبقي العين كونا يسبح الله ثم يصدع الوجه الذي يلي الارض من السحاب فاذا مازجه كان كالنكاح فيخلق الله تعالى من ذلك الالتحام ملكا سماه رعدا فسبح بحمد الله فكان بعد البرق لا بد من ذلك فكل برق لا بد أن لرعد يعقبه لان الهواء يصعد مشتعلا فيخلقه الله ملكا يسميه برقا وبعد هذا يصدع اسفل السحاب فيخلق الله الرعد فيسبح بحمد ربه لما أوجده وأطال في ذلك * ثم قال وقد خلق الله ملك الرعد من الهواء كما خلقنا تعالى من الماء وذلك الصوت المسمى عندنا بالرعد تسبيحه وفي ذلك الوقت يوجده الله فعينه نفس صورته ويذهب كما يذهب البرق وذوات الاذناب قال وحقيقة الرعد تنشأ من

معصية الا وغافل عن شهود المكيدة والمؤاخذة ثم اذا وقع ندم واستغفر والله يحب التوابين وبالجملة فاذا كان نفس ابليس وقع ولم يدر بذلك الامر الذى كان فيه هلاكه الابعد الوقوع فكيف بغيره * وكذلك بلغنا ان ابليس سأل فى الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له صلى الله عليه وسلم بشرط أن يصدقه وحفت به الملائكة وهو فى حال الذلة والصغار بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله خلقك للهداية وما بيدك منها شئ وخلقنى للغواية وما بيدى من الغواية لنفسى ولا لغيرى شئ وأنزل الله تصديق ذلك انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء والله تعالى أعلم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اياك أن تحتج بأن ابليس أوقعك فى المعصية من غير ميل منك سابق فان الله تعالى قد حكى عن ابليس انه يتبرأ فى خطبته فى النار من أطاعه فى دار الدنيا وذلك موضع يصدق فيه الكذوب ويبين فى تلك الخطبة جهل أهل المعاصى ويقول فى آخرها فلا تلومونى ولوموا أنفسكم فانى ما أغويتكم بوسوستى الابعد أن ملتم بنفوسكم الى فعل مانهاكم الله تعالى عنه وما كان لى عليكم من سلطان قبل أن تميلوا فلا تلومونى ولوموا أنفسكم حيث ملتم قبل وسوستى فان نفسكم كلسان الميزان الذى فى الفلك وانا واقف تجاهكم على الدوام فمادام لسان الميزان فى فكم لم يخرج فأنتم محفوظون منى فاذا خرج لسان الميزان الى جانب معصية خبيثة نفذت ارادتكم بالوقوع فانا تابع لكم وهنالك تندحض حجة العبيد الذين أطاعوا ابليس لقيام حجته عليهم وتصديقهم له فى ذلك الموضع ويتضح لهم ان ابليس لم يوقعهم فى ذلك مستقلا وانما أوقعهم نفوسهم فيصيرون يقيمون الحجة لابليس عليهم كما أقاموا الحجة عليهم بالنظر للاقدار الالهية وأكثر من ذلك لا يقال * قلت فحاصل هذا المبحث ان العبد هو الذى ظلم نفسه تصديقا لقوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فانه تعالى لايخبر الا بالواقع ولما علم أهل الله تعالى ذلك طلبوا وجها واحدا يقيمون به الحجة لله تعالى على أنفسهم فنظروا بالكشف الصحيح فرأوا جميع أفعالهم هى معلوم علم الله تعالى وكما لا افتتاح لعلم الله تعالى كذلك لا افتتاح لمعلومه واذا كان لا افتتاح لمعلومه فالحق تعالى لم يظلم مناسبا واهل المعتزلة لو اطلعوا على هذا الوجه الذى قررناه ما وقعوا فى قولهم ان العبد يخلق افعال نفسه فانهم رأوا بعقولهم أنهم اذا جعلوا الفعل لله وحده وخلقا ثم عاقبهم عليه كان ذلك غير العدل فلما تخافوا من اضافة ذلك الى الحق قالوا جعلنا أن العبد يخلق أفعال نفسه أخف من نسبة الظلم الى الحق من باب الاضافة والمجاز لا من باب الحقيقة فان مثل الامام الزمخشرى لا يعتقد انه يخلق افعال نفسه حقيقة أبدا بل اليهود نفسهم لا يعتقدون ذلك ثم ان القول فى جزاء الاعمال يوم القيامة كالقول فى الاعمال نفسها فلو قال قائل لله لم تعذبنى على ماليس من خلقى لقال له الحق تعالى وهل تعلق علمى بك الا معاقبا على أعمالك فلا يسع العبد الا أن يقول نعم ماتعلق علمك بى الا معاقبا وهنالك يقيم العبد الحجة على نفسه يقينا وكشفا وهذا المنزع الذى ذكرته لم أره ذائقا من أهل عصرى وغاية أمرهم ان أحدهم يقيم الحجة على نفسه أدبا فقط من باب قولهم يدلا تقدر أن تعضها قبلها فهو يقيم الحجة على ربه بقلبه كما هو مذهب الجبرية وربما استشهد بقول الشاعر

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له * اياك اياك ان تبتل بالماء

ومثل هذا البيت لا يجوز عندنا التفوه به لما فيه من رائحة اقامة الحجة على الله تعالى فعلم ان الجبرية وغيرهم ماوقعوا فيما وقعوا فيه الا من شهودهم وجه حدوث العبد وكونه مخلوقا ولو انهم شهدوا الوجه الآخر وهو كونه قد عانى العلم الالهى لاقاموا الحجة لله على نفوسهم فليتأمل فانه محل يتفلت من الذهن والله تعالى أعلم

(المبحث السادس والعشرون فى بيان ان أحدا من الانس والجن لايخرج عن التكليف مادام عقله ثابتا ولو بلغ أقصى درجات القرب على ماسيأتى بيانه)

اعلم يا أخى ان من المحال رفع التحجير عن كل عاقل مابقيت الدنيا ولولا ذلك لكان كل من ارتفع حجابه يرتفع عنه التحجير لانه حينئذ لا يرى فاعلا الا الحق وحده ولا قائل بذلك من أهل السنة والجماعة وقول بعض العارفين

هبوب الهواء فتصدع أسفل السحاب اذا تراكم فيصوت كما يصوت الثوب اذا شق فليتأمل ويحرر * وقال أرجى آية للمشرك ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فمن نظر فى الدلائل جهد الطاقة فاداه ذلك الى تخيل شبهة انها برهان فقد تعرض لفتح باب العذر عند الله قال والمراد بالبرهان هنا فى زعم الناظر والا فمن المحال أن يكون ثم دليل فى نفس الامر على اله آخر فلم يبق الا ان تظهر الشبهة بصورة البرهان فيعتقد انها برهان وليس فى قوته أكثر من هذا وأطال فى ذلك بنحو ثلاثة أوراق * ثم قال وانما نكر الها لانه لم يكن ثم اذ لو كان ثم لتعين ولو تعين لم يتنكر فدل على ان من ادعى مع الله الها آخر فقد نفخ فى غير ضرم واستسمن ذا ورم لانه ليس له حق يتعين ولا حق يتضح ويتبين فكان مدلول دعائه العدم المحض ولم يبق الا من له الوجود المحقق وأطال فى ذلك (قلت) وهذا الكلام من أقوى دلالة على ضعف العمل بالمفهوم ثم انه لا يمشى الا على مذهب من يقول ان المخطئ فى الاصول لا وزر عليه كما لو أخطأ فى الفروع وهو مذهب بعضهم خلافا للجمهور * وقال اذا تلوت القرآن فاعلم عمن تترجم فان الله تعالى تارة يحكى قول عبد بعينه وتارة يحكيه على المعنى مثال الاول قوله لا تحزن ان الله معنا

ان السالك يصل الى مقام يرتفع عنه التكليف مراده بهذا التكليف ذهاب كلفة العبادة فلا يصير عليه منها دليل ربما تلذذ بفعل ما كانت نفسه تتصعب افعله قبل ذلك وقد مكثت أنا في هذا المقام لا أتكلف لأشق العبادات ثم كشف لي عن نقص ذلك المقام لما يصاحبه من هوى النفس فتبت منه وصرت لا آتي بعبادة الا بمشقة وكلفة كأني حامل جبلا وذلك لما فيها من الآداب والمشاهد التي كلفنا بها فيها وكنت قبل ذلك لا أتكلف لها كما لا أتكلف لخروج النفس من أنفي ودخوله وذلك اني رأيت الله عز وجل يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم فاذا فرغت فانصب أي اذا فرغت من عمل متعب فانصب في عمل آخر أي متعب وهذا أمر لا يذوقه الا من سلك الطريق فاين الراحة من التكليف ونحن مطالبون بالاقبال على الله تعالى في كل نفس * واعلم يا أخي ان من عباد الله من لا يصلي الصلوات الخمس الا بمكة ومنهم من لا يصليها الا ببيت المقدس ومنهم من لا يصليها الا بالمدينة المشرفة ومنهم من لا يصليها الا بجبل (ق) ومنهم من لا يصليها الا في قبة أرين ومنهم من لا يصليها الا فوق سد اسكندر ومنهم من لا يصليها الا على الجبل المقطم المشرف على بحر السويس فربما لاث الناس بمثل ذلك الفقير ويقولون انه تارك للصلاة وهو خطأ ولاهل هذا المقام أمارات يتميز ون بها على من يترك الصلاة تهاونا أو كسلا وقد قال لي مرة سيدي عبد القادر الدشطوطي ولم تقول أهل مصر عبد القادر ما يصلي شيأ ونحن والله لانقطع الصلاة ولكن انا أماكن نصلي فيها فقلت ذلك لسيدي محمد بن عنان رضي الله عنه فقال صدق الشيخ عبد القادر له أماكن يصلي فيها (وأخبرني) الشيخ محمد أيضا ان سيدي ابراهيم المتبولي ما رؤي قط يصلي الظهر في مصر أبدا حتى كان بعض الناس يقول كأن الله لم يفرض الظهر على ابراهيم والحال انه كان يصليه في الجامع الابيض برملة لد (وكذلك) كان سيدي على الخواص فكان يصلي في الجامع المذكور الظهر دائما وسمعت الشيخ بدر الدين المشاوي رحمه الله يقول له يا شيخ الظهر فرض عليك فسكت الشيخ (وأخبرني) الشيخ يوسف الكردي انه صلى مع سيدي ابراهيم الظهر في الجامع الابيض مرارا قال ورأيت الذي يؤم فيه وهو شاب أمرد نحيف البدن أصفر اللون كأن لونه الزعفران انتهى وقد حضرت أنا صلاة الظهر عند سيدي عبد القادر الدشطوطي رحمه الله فلما سمع الاذان اضطجع وقال غطوني بالملاءة فغطيناه بها فلم نجد تحت الملاءة أحدا ثم جاء بعد نحو خمس عشرة درجة * وكان سيدي على الخواص رحمه الله يغلق باب حانوته عليه بعد اذان الظهر ساعة ثم يفتحه ففتحوا عليه مرة فلم يجدوه وبالجملة فأرباب الاحوال ينبغي التسليم لهم وأما العارفون الذين هم قدوة للناس فيجب عليهم حفظ ظاهرهم بالاعمال لعدم الناس بهم النفع فعلم ان الله تعالى لا يحرم شيأ أو يوجبه على ألسنة رسله ثم يبيحه لاحد من أوليائه أبدا لان الله تعالى قد راعى شرعه الظاهر وجعله مرادا للناس كلهم فلا ينسخ الشريعة الا من جاء بها من بعده من الرسل ونبينا آخر الرسل فليس لشرعنا ناسخ وقد ذكر الشيخ محيي الدين انه لا يجوز لولي قط المبادرة الى فعل معصية اطلع من طريق كشفه على تقديرها عليه كما انه لا يجوز لمن كشف له انه يمرض في اليوم الفلاني من رمضان ان يبادر للفطر في ذلك اليوم بل يجب عليه الصبر حتى يتلبس بالمرض لان الله تعالى ما شرع له الفطر الا مع التلبس بالمرض أو غيره من الاعذار قال وهذا مذهبنا ومذهب المحققين من أهل الله عز وجل (فان قيل) فاذا اطلع الولي على أن الله لا يؤاخذه على ذلك الذنب هل له الاقدام عليه (فالجواب) لا يجوز له على ان الاطلاع على عدم المؤاخذة ليس بواقع أصلا وان كان ذلك جائزا عقلا ذكره الشيخ في باب أسرار الصوم من الفتوحات ويؤيد ما ذكرناه من بقاء اسم المعصية على جميع المكلفين قوله صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة أهل بدر وما يدريك ان الله تعالى اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانه لم يقل قد أبحت لكم وانما قال فقد غفرت لكم يعني ذلك الذنب فأبقاه على تحريمه والمغفرة لا ترد الا على ذنب فافهم * وقد سئل أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه عن قوم يقولون باسقاط التكاليف ويزعمون ان التكاليف انما كانت وسيلة الى الوصول وقد وصلنا فقال رضي الله تعالى عنه صدقوا في الوصول ولكن الى سقر والذي يسرق ويزني خير ممن يعتقد ذلك ولو أني بقيت ألف

ومثال الثاني قوله عن فرعون ياهامان ابن لي صرحا فانه انما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربي والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فلتعلم الامور اذا وردت حتى يعلم قول الله من قول يحكيه لفظا ومعنى كل لسان بما هو عليه فقول الله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا وانتهى قول الله ثم حكى قولهم مترجما عنهم أقررنا وكذلك قوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا الى هنا انتهى قول الله آمنا حكاية قولهم واذا خلوا الى شياطينهم قالوا الى هنا قول الله انا معكم انما نحن مستهزؤن حكاية قول المنافقين وقس على ذلك (وقال) في قوله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه وكذلك فعل الله تعالى ففرج الله عنه بعد الضيق ليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه ذوقا ولذلك سمى قوله لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين توحيد الغم والتنفيس لانه تعالى نفس عن يونس بخروجه من بطن الحوت وكذلك عامل قومه بكشفه عنهم العذاب بعدما رأوه نازلا بهم فآمنوا وأرضاه الله في أمته فنفعها ايمانها ولم يفعل ذلك مع أمة قبلها اذ كان غضبا لله ومن

علمها نقصت من أو زادى شيأ الابعذر شرعى انتهى * وقال فى الباب الثامن والسبعين ومائتين أول درجات خطاب الروح بالتكليف من حين التمييز الى حين يبلغ الحلم قال وقد اعتبر الحق تعالى فعل الصبى فى غير زمان تكليفه فلو قتل أحدا لم يقم عليه حد وانما يحبس الى ان يبلغ و يقتل بما قتل فى صباه الان بعفو ولى الدم نقد آخذه بما لم يفعله فى زمان تكليفه وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان من حكم انفاذ الوعيد من حيث لا يشعر به الا الخواص وجود التكليف وهو أول العذاب فان به يقوم الخوف بنفس المكلف فقد عذب عذابا حسيا ومثلما وهو عقوبة ما جرى منه فى الزمان الذى لم يكن فيه مكلفا من الافعال التى تطرأ بين الصبيان من الاذى والشتم والضرب على طريق التعدى وكل خير يفعله الصبى يكتب له حتى الحج ولوليه الذى حج به أجر المعونة التى لا يقدر الصبى على فعلها انتهى وقد سبق فى مبحث اسمه تعالى المريد نفائس تتعلق بتكليف الصبى وانفاذ الوعيد فى حق البرىء فراجعه * وقال الشيخ فى الكلام على صلاة التطوع من الفتوحات الذى أقول به ان من غاب عليه حال أو كان مجنونا أو صبيا انه يحت خطاب الشارع خلافا لبعضهم وذلك لانه ما ثم حال ولا صفة فى مكلف يخرج عن حكم الشرع بالكلية فان الشارع قد أباح للصبى والمجنون التصرف فيما خطر على غيرهما ولا حرج عليهما فكيف يقال زال عنهما حكم الشرع وهما قد حكم لهما بالاباحة وهى حكم شرعى فعلى هذا فما خرج عن حكم الشرع وأحكام الشرع مبنية على الاحوال لا على الاعيان انتهى (فان قلت) فما حكم البهاليل و المجاذيب (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس والعشرين ومائتين ان كل من سلب عقله كالبهاليل والمجانين والمجاذيب لا يطالب بأدب من الآداب بخلاف ثابت العقل فانه يجب عليه معانقة الادب والفرق ان من سلب عقله من هؤلاء حكمه عند الله حكم من مات فى حالة شهود و نعت استقامة لان ذهاب عقله انما هو من أمر طرأ عليه من قبل الحق تعالى وضعف عن حمله فذهب عقله مع الذاهبين وصار حكمه حكم الحيوان ينال جميع ما تطلبه حكم الحيوان ينال جميع ما تطلبه حكم طبيعته من أكل وشرب ونكاح وكلام من غير مؤاخذة ولا مطالبة بذلك عند الله تعالى مع وجود الكشف و بقائه عليه كما يكشف الحيوان أحوال الموتى على النعش وفى القبر انتهى (فان قلت) فلم سمى المجذوب مجذوبا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السادس عشر ومائتين من الفتوحات انه انما سمى مجذوبا لجذب الحق تعالى له وأخذه بأعطافه ولولا انه كان متعشقا بعالمه ما سمى مجذوبا لما جذبه الحق تعالى فكان سبب هذا الكشف تعشق أحواله الطبيعية ولولا الجذب العنيف ما ترك ما كان فيه من اللذة لكن من رحمة الله تعالى انه نقله الى ما هو أحلى وألذ فان أحوال المجاذيب فى لذاذتهم لا يعادلها لذة لكونها لذة معنوية فى غير مادة محسوسة فلا تشبه حلاوة العسل ولا حلاوة الجماع بل هى أعلى وأجل (فان قلت) هل تدوم تلك اللذة مع المجذوب الى موته أم تزول (فالجواب) تدوم اللذة معه زمانا ثم يفقدها قال الشيخ محيى الدين وكل جذب لا يعطى صاحبه علما لم يكن عنده قبل الجذب فليس هو بجذب ولا تلك الحلاوة حلاوة فتح (فان قلت) فما الفرق بين المجاذيب والمجانين (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الرابع والاربعين ان الفرق بينهما هو ان المجانين سبب جنونهم فساد المزاج عن أمر كونى من غذاء أو جوع أو فزع ونحو ذلك وأما المجاذيب فسبب ذهاب عقولهم التجلى الالهى الذى جاءهم على بغتة فذهب بعقولهم فعقولهم محبوسة عند الحق تعالى منعمة بشهوده عاكفة فى حضرته متنزهة فى جماله فهم أصحاب عقول بلا عقول ويسمى هؤلاء عقلاء المجانين أى المستورين عن تدبير عقولهم قال والمجاذيب على ثلاثة أقسام (الاول) من يكون وارده من القوة التى يكون فى نفسه عليها فيحكم الوارد عليه فيغلب عليه الحال فيكون تحكمه بصرفه الحال ولا تدبير له فى نفسه وكان أبو عقال المغربى من أهل هذا المقام (الثانى) من يمسك عليه عقله فى حضرة الله تعالى ويبقى عليه عقل حواسه فيأكل ويشرب ويتصرف من غير تدبير ولا روية ويتناول العيش الطبيعى كسائر الحيوانات (الثالث) من لم يدم له حكم ذلك الوارد بل زال عنه الحال و رجع الى نفسه بعقله فهو يدبر أمره و يعقل ما يقول و يقال له و يتصرف عن روية وتدبير

مثل

أجل الله فامدادهم فى التمتع فى مقابلة ما نالوه من الالم عند رؤية العذاب نقص الله أمته من أجله بما لم ينقص به أمة قبلها قال الشيخ وقد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالاندلس حيث كنا فيه وقست أثر رجل واحد منهم فى الارض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثى شبر * وقال انما كنت أذهب الى تفضيل الملا الاعلى من الملائكة على خواص البشر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطانى الدليل على ذلك فى واقعة وقعت لى وكنت قبل هذه الواقعة لا أذهب فى هذه المسئلة الى مذهب جملة واحدة (قلت) وذكر الشيخ عبد الكريم الجيلى رحمه الله ان الشيخ رجع عن القول بتفضيل خواص الملائكة على خواص البشر قبل موته بسنة ووافق الجمهور من أهل السنة انتهى وتقدم ذلك أيضا عنه فى الباب الثالث والسبعين ولكن سيأتى فى الباب الثالث والثمانين وثلثمائة قوله بعد كلام طويل وليس يدرك ما قلناه سوى رجل قد جاوز الملأ العلوى والرسالة وهام فيما يعطى الحق أجمعه تحصيله وسهاه عن نفسه ومثلا ذلك الرسول رسول الله أحمد رب الوسيلة فى أوصافه كملا فصرح بان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من الملائكة ومن سائر الرسل

مثل كل انسان وذلك هو الكامل من الاولياء وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان أكبر من جذبه الحق تعالى الى حضرته الرسل عليهم الصلاة والسلام ولولا ان الحق تعالى كلفهم بتبليغ الرسالة وسياسة الامة لذهبت عقولهم لعظيم ماشاهدوه من جلال الله وعظمته فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الوحى ونزل به الروح الامين على قلبه يؤخذ عن حسه ويسجى بثوبه و يرغو كما يرغو البعير حتى ينفصل عنه وقد وعى ماجاءبه الملك فيلقيه على الحاضرين و يبلغه للسامعين ومعلوم ان مواجيده صلى الله عليه وسلم التى كانت تطرقه من تجليات ربه على قلبه أعظم سطوة وتيقن من نزول ملك أو وارد فى الوقت الذى لم يكن يسعه فيه غير ربه فلذلك كان يؤخذ عن نفسه مع كونه كان مستندا لذلك الهول فعلم انه لولا ان الرسل مطالبون بهداية الخلق وجهادهم ماردالله عليهم عقولهم فلذلك أعطاهم التمكين ليقوموا بما كلفوا به بخلاف المجاذيب فان هنالك من يقوم بهداية الخلق غيرهم من العارفين فى كل عصر فافهم * واعلم أيضا انه ماثم وارد يرد على قلب أحد من الخواص وقد غلط فى ذلك بعض أهل الطريق حين تكلموا على الفرق بين الولى والنبى وقالوا النبى يصرف الاحوال عنه والولى تصرفه الاحوال فجعلوا الانبياء مالكين أحوالهم والاولياء مملوكين تحت أحوالهم والحق ماذكرناه من أن الرسل يؤخذون عن احساسهم عند واردات الحق تعالى بخلاف الولى صاحب الحال فقد يمكث دهره كله لايحس بجوع ولا عطش ولا حر ولا برد بل ربما ذهب عمره كله كلمحة بارق * واعلم أن حالة أيام جذب المجذوب تكون بحسب الحالة التى جذبه الحق تعالى عليها فان جذبه فى حال قبض فعمره كله قبض وان جذبه فى حال بسط فعمره كله بسط وضحك أو تبسم وان جذبه فى حال كلام دنيوى فكذلك أو أخروى فكذلك حتى انى رأيت بعض القضاة جذب فكنت لا أزال أراه يقول لاحقا ولا استحقاقا ولا دعوى ولا طلبا الى آخره ورأيت بعض النحاة جذب فكنت لا أزال أراه يقول باب النعت النعت تابع للمنعوت فى نصبه وخفضه الى آخره فتأمل فى هذا المبحث فانك لاتجده مجموعا فى كتاب والله يتولى هداك

(المبحث السابع والعشرون فى بيان أن أفعال الحق تعالى كلها عين الحكمة ولا يقال انها بالحكمة)

لئلا تكون الحكمة موجبة له فيكون محكوما عليه تعالى وهو لا يصح أن يكون محكوما عليه لانه تعالى أحكم الحاكمين فعلم انه لاينبغى أن يعلل أفعال الحق بالحكمة * وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والستين وثلثمائة فى قوله تعالى وماخلقنا السموات والارض ومابينهما الا بالحق الباء فى قوله بالحق بمعنى اللام أى للحق قال وهى عين اللام فى قوله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون فان الله تعالى لايخلق شيأ بشئ فى الغالب وانما يخلق شيأ عند شئ وعلم أيضا انه تعالى اذا أخبرانه خلق شيأ بشئ فتلك اللام لام الحكمة فهى عين الحكمة اذ خلقه تعالى لايعلل بالحكمة فيكون معلولا لها انتهى وعلم أيضا أنه تعالى ان أنعم فنعم فذلك فضله وان أبلى فعذب فذلك عدله وقد أخرج تعالى العالم قبضتين وأوجد لهم منزلتين وقال هؤلاء للجنة ولا أبالى وهؤلاء للنار ولا أبالى ولم يعترض عليه معترض هنالك اذلا موجود كان ثم سواه (فان قيل) فمامعنى قوله تعالى فى الحديث القدسى ولا أبالى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين وثلثمائة ان معناه رحمتى سبقت غضبى فى حق أهل الجنة وحقت كلمتى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ويصح ان يكون سبق الرحمة أيضا فى حق المشركين من حيث رحمة الايجاد من العدم اذهى سابقة على ظهور الغضب الواقع عليهم بعصيانهم أيام التكليف فلذلك كان تعالى لايبالى بالفريقين واعلم ان الاسم الرب مع أهل الجنة لانها دار أنس وجمال وتنزل الهى لطيف والاسم الجبار مع أهل النار لانها دار جلال وجبر وتوقهر فلا يزال هذان الاسمان مع أهل الدارين أبد الآبدين ودهر الداهرين (فان قلت) فهل يتجلى الحق لاهل النار بالجلال الصرف أم بالجلال الممزوج كما فى دار الدنيا (فالجواب) لايتجلى الحق تعالى لاهل النار الا بالجلال الصرف

ومكث عماه مداه وتقدم قوله فى الباب الخامس والعشرين أخذ على الخضر العهد بالتسليم لمقالات الشيوخ واعدل ماذكرناه عنه من التفضيل كان أولا ثم رجع عنه وكذلك تقدم قوله فى الباب التاسع والستين ليس يصح لاحد منا دخول مقام الرسالة انما نراه من خارج كما نرى كواكب السماء ونحن فى الارض فراجعه والله تعالى أعلم * وقال نجم الثريا سبعة أنجم والصرفة اثنان والذراع ثلاثة والبطين أربعة والجبهة خمسة والدبران ستة والنعائم تسعة قال ولم أر للثمانية صورة فى نجوم المنازل ولهذا كان المولود اذا ولد فى الشهر الثامن يموت ولا يعيش ويكون معلولا لاينتفع بنفسه بخلافه اذا ولد فى سبعة أو تسعة وذلك لان الثامن شهر يغلب على الجنين فيه البرد واليبس وهو طبع الموت وأطال فى ذلك * وقال العرش مستدير الشكل وكل ماأحاط به فيه الاستدارة وانظر الى التشبيه النبوى بان الكرسى فى جوف العرش كحلقة ملقاة فى أرض فلاة فشبهه بشكل مستدير وهى الحلقة وكذلك شبه السموات فى الكرسى كحلقة قال واعلم ان العرش يوصف تارة بالعظيم وتارة بالكريم وتارة بالمجيد فهو من حيث الاحاطة عظيم لانه أعظم الاجسام ومن حيث انه أعطى مافى قوته لمن هو فى حيطته

لفقد الرحمة لهم بخلاف الدنيا فانه يتجلى بجلال ممزوج بجمال وذلك حتى يطيقه الخلائق (فان قلت) فاذن ليس المراد بعدم المبالاة بأهل النار ما يتبادر الى الافهام من عدم الاهتمام بأمرهم (فالجواب) وهو كذلك خلاف ما فهمه من لا معرفة له بالحقائق لانه لولا المبالاة بأمرهم ما آخذهم بالجرائم ولا وصف تعالى نفسه بالغضب السرمدي عليهم ولا كان بطشه الشديد حل بهم ولا كانت رحمته محرمة عليهم وهذا كله من المبالاة بهم والاهتمام بأمرهم ولولا المبالاة ما كان هذا الحكم فللامور والاحكام مواطن اذا عرفها أهلها لم يتعد وا بكل حكم موطنه (فان قلت) فاذا كانت رحمته سبقت غضبه فما معنى قول الامام أبي القاسم بن قسي لا يحكم عدله في فضله ولا فضله في عدله (فالجواب) ان معناه ان كلا من النعتين ليس محلا لحكم الآخر كما تعطيه الحقائق ولكن قد علمنا من الله تعالى انه يتفضل بالمغفرة على طائفة من عباده قد عملوا الشرور ولا يقيم عليهم ميزان العدل ولا يؤاخذهم بالعدل وانما يحكم فيهم بفضله ولا يقال في هذا انه حكم فضله في عدله اذ محل حكم الصفة انما هو في المفضول عليه أو المعدول عنه فعلى هذا يجب تأويل كلام ابن قسي فانه هو اللائق بمقامه فانه كان من الراسخين والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن والعشرون في بيان انه لا رازق الا الله تعالى)

خلافا للمعتزلة في قولهم من حصل له الرزق بتعب فهو الرازق نفسه ومن حصل له بغير تعب فالله هو الرازق له واحتجوا بحديث فكم ممن لا مطعم له ولا مؤوي وليس في ذلك دليل لهم لان المراد به انما هو عدم تسهيل الرزق لا منع الرزق مطلقا من باب يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال أهل السنة ورزق العبد هو ما ينتفع به في التغذي وغيره ولو كان حراما بغصب أو سرقة أو نحوهما وقالت المعتزلة ليس الحرام برزق حلا للرزق على الملك والجواب لا وجه للحمل عليه لان من الدواب ما لا يملك والله تعالى رازقها وعندهم أن العبد يقدر أن يأكل رزق غيره وعندهم أيضا أنه لا يكون رزق الله تعالى الا حلالا لاستناده الى الله تعالى في الجملة وما أسند اليه من حيث انتفاع عباده به يصح أن يكون حراما يعاقبون عليه وقال أهل السنة لا قبح بالنسبة اليه تعالى فانه تعالى فعال لما يريد وعقابهم على الحرام لسوء مباشرتهم أسبابه * قال أهل السنة ويلزم المعتزلة ان المتغذي بالحرام فقط طول عمره لم يرزقه الله تعالى أصلا وهو مخالف لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ولا يترك تعالى قط ما أخبرنا أنه عليه وان كان لا يجب عليه شئ لاطلاق حضرته وما أوجب الله تعالى على نفسه أشياء وحرم أشياء في نحو حديث اني حرمت الظلم على نفسي الا تأنيسا للعباد وتنزلا لعقولهم ليتخلقوا بأخلاقه تعالى والا فالحق ان جميع ما أنعم به على عباده فضل منه ورحمة ولا يدخل تحت حد الواجب على عباده ومعنى قول المعتزلة السابق في الرزق لاستناده الى الله تعالى في الجملة أي لان الله تعالى هو خالق القدرة للعبد على تحصيل رزقه وقالوا ما منا من المعتزلة وهو بهذا الاعتبار مستند الى الله تعالى عندهم ذكره الشيخ كمال الدين بن أبي شريف وقال بعضهم الذي يظهر لي ان خطأ الفرق الاسلامية كله خطأ اضافي لا مطلق ويحتمل أن يكون أكابر المعتزلة مانعوا اضافة الرزق الحرام الى الله تعالى الا من باب ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ومن باب أنه لا يقال سبحان خالق الخنازير وان كان تعالى خالقها فالمعتزلة يعتقدون ان الله تعالى خالق رزق العبد كله بل اليهود والنصارى والمجوس يعتقدون ذلك فضلا عن مسلم موحد كالزمخشري وفي الحديث والخير كله في يديك والشر ليس اليك أي لا يضاف اليك على وجه التشريف ويضاف اليك بحكم الخلق والقسمة وعليه يحمل حديث اللهم أغنني بحلالك عن حرامك قال وكثيرا ما ينصب العلماء الخلاف بينهم بلازم المذهب لا سيما المقلدون ولازم المذهب ليس بمذهب على الراجح فعلم أن المعتزلة ان أرادوا بقولهم الحرام ليس برزق الله الادب اللفظي فلا بأس به وان أرادوا غير ذلك فهم مخطئون باجماع اهـ وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اعلم ان الحق تعالى يوصل لكل مخلوق

رزقه

وقبضته فهو كرسيه ومن حيث نزاهته ان يحيط به غيره من الاجسام فهو مجيده لشرفه على سائر الاجسام قال فان قلت اذا كان العرش محيطا بجميع الكائنات فأين الخلاء الذي يكون فيه الحافون من حول العرش لان العرش قد عمر الخلاء فالجواب انه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش وبين الاستواء على العرش فان من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال والانفصال فعلم ان هذا العرش الذي تحف به الملائكة هو الذي يأتي الله فيه للفصل والقضاء يوم القيامة وليس هو الجسم الذي عمر الخلاء واستوى عليه الرحمن اما تراه تعالى يقول وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين عند الفراغ من القضاء وقال زيارة العبد لربه في الجنة تكون على عدد صلاته في دار الدنيا ورؤيته له على قدر حضوره فيها مع ربه *وقال ينبغي لقارئ القرآن اذا لم يكن من أهل الكشف ان يبحث ويسأل علماء الشريعة عن كل شئ ثبت عندهم انه كان قرآنا ونسخ فيحفظه ليزيده الله بذلك درجات في الجنة حين يقال له يوم القيامة اقرأ وارق قال وقد زعم بعض أهل الكشف أنه سقط من مصحف عثمان كثير من المنسوخ قال ولو أن

رزقها الذي قسمه له وليس ذلك من اهانته عليه ولا كرامته فانه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف ولكن من اعتنائه بالعبد أن يرزقه حلالا لا شبهة فيه ويستخرجه له من بين الحرام والشبهات كما يستخرج اللبن من بين فرث ودم قال تعالى بقيت الله خير لكم وهي ما أحل للخلق تناوله من جميع الاشياء التي تقويهم على طاعة ربهم قال وليس رزق العبد الا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه اهـ وقال أيضا في الباب الثامن والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى اعلم ان رزق ربك هو ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك وما لم يعطك فان كان لك فلا بد من وصوله اليك وما ليس لك فلا يصل اليك قط فلا تتعب نفسك في غير مطمع ومراد نابه وانما ان كان لك انك تأخذه على الحد المشروع فان ما أخذ من حرام لا ينبغي اضافته الى الله تعالى أدبا وانما يضاف الى الطبع كما أضاف الخليل عليه الصلاة والسلام المرض الى نفسه حيث كان مكروها والشفاء الى الله تعالى حيث كان محبوبا لها وكما قال أيوب عليه الصلاة والسلام رب اني مسني الضر اهـ * وقال أيضا في الباب الثامن والتسعين ومائة حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله تعالى وليس فيه تحجير ومن هنا أبيح الحرام للمضطر لكن لا ينبغي اضافة الحرام الى الله تعالى أدبا وما ورد في حديث أغنني بحلالك عن حرامك السابق فانما هو بيان للجواز

(خاتمة) في بيان أن الاكتساب لا ينافي التوكل ولا ينبغي نصب خلاف في أن السعي أفضل من التوكل على هذا لان الحق تعالى جعل الرزق على حالين فما سبق في علم الله أنه يأتيك بحول ولا بلا سعي لا يقال فيه ان السعي أفضل وما سبق في علم الله انه لا يأتيك الا بالسعي في تحصيله لا يقال فيه ترك السعي أفضل فان الرزق في طلب صاحبه دائر والمرزوق في طلب رزقه حائر ويسكون أحدهما يتحرك الآخر ولكن هذا الحال يحتاج الى كشف ومن لا كشف عنده فهو مخير بين السعي وعدمه وغالب الخلق يقولون كل شيء رأيناه يحتمل أن يكون قسم لنا فتراهم يتجاذبونه وكل من غلب صاحبه تبين أنه له كالزقاق الذي يدخله الجاهل فان رآه ينفذ خرج منه وان رآه مسدودا رجع ثم ما قررناه أولا هو على مذهب المحققين من الصوفية وأما على مذهب المتكلمين فرجح قوم التوكل مطلقا وآخرون الاكتساب مطلقا قال ابن السبكي والمختار ان ذلك يختلف باختلاف الناس فمن كان في توكله خاليا عن التسخط اذا ضاق رزقه ولا تتطلع نفسه الى ما في أيدي الناس فالتوكل في حقه أرجح لما فيه من الصبر والمجاهدة للنفس ومن كان في توكله على خلاف ما ذكرنا فالاكتساب في حقه أرجح من التسخط والتطلع وقد سئل الحسن البصري رضي الله تعالى عنه عن شخص يريد أن يجلس في بيته تاركا للحرفة ولا يخرج ويقول أنا متوكل على الله تعالى فقال ان كان له يقين كيقين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فليفعل والا فليخرج الى الحرفة لئلا يصير يأكل بدينه وزهده ويصطادبهما الدنيا اهـ

* وقال الشيخ محيي الدين في باب الجنائز من الفتوحات اعلم ان اضطراب قلب المؤمن في أمر رزقه لا يقدح في أصل ايمانه وانما يقدح في كماله فقط وذلك لان هذا الاضطراب ما هو عن تهمة في حق الله تعالى في ان الله لا يرزقه وانما هو اضطراب البشرية لعدم الصبر والاحساس بألم الفقد فان العبد يعلم بالايمان ان الله يرزقه ولا بد من حيث كونه حيوانا ولكن لم يعلمه الحق تعالى متى يرزقه انما أعلمه أنه لا يموت حتى يستكمل رزقه فما يدري عند فقد السبب الجالب للرزق هل فرغ وجاء أجله فيكون نزعه من الموت أم رزقه لم يفرغ في علم الله فيكون اضطرابه لجهله بوقت حصول الرزق بانقطاع السبب فيخاف من ألم الجزع المتوقع أو من دوامه ان كان وقع فهذا سبب الاضطراب اهـ وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول قد يدعي بعض الناس التوكل ويسعى كل السعي وان لامه أحد على ذلك يقول سعيي لاجل العيال لا لاجل نفسي فمثل هذا يجب عليه ان يمتحن نفسه بأن يفرق جميع ما يكسبه على العيال أولا فأولا ولا يدخر لنفسه منه شيأ وينظر فان وجد في نفسه رائحة اضطراب لذلك علم انه غير متوكل على الله وانما هو مدع كذاب فان القوم ما سموا

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الذي تولى جمع القرآن لوقفنا وقلناه ذا وحده هو الذي نتلوه يوم القيامة قال ولولا ما يسبق للقلوب الضعيفة ووضع الحكمة في غير اهلها لبينت جميع ما سقط من مصحف عثمان رضي الله عنه قال وأما ما استقر في مصحف عثمان فلم ينازع أحد فيه (قلت) ذكر الشيخ محيي الدين في الفتوحات المصرية ان الذي يتعين اعتقاده انه لم يسقط من كلام الله تعالى شيء لانعقاد الاجماع على ذلك والله أعلم * وقال لا يعرف حقائق الحروف المقطعة أوائل السور الا أهل الكشف والوجود فانها ملائكة وأسماؤهم أسماء الحروف قال وقد اجتمعت بهم في واقعة وما منهم ملك الا وأفادني علما لم يكن عندي فهم من جملة أشياخي من الملائكة فاذا نطق القارئ بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه يقول القارئ ألم فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارئ ما بعد هذه الحروف فيقولون صدقت ان كان خبرا ويقولون هذا مؤمن حقا نطق حقا وأخبر حقا فيستغفرون له وهكذا القول في ألف لام ميم صاد وأخواتها وهم أربعة عشر ملكا آخرهم نون والقلم وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد مثل نون وصاد

في الرزق الا امتثالا لامر الله تعالى حتى لا تنهال الاسباب فهمهم امتثال الامر لا الاعتماد على الاسباب اهـ
والله تعالى أعلم * (انتهت مباحث الالوهية وتوابعها) * فلنشرع في مباحث النبوة والرسالة فنقول وبالله التوفيق

* (المبحث التاسع والعشرون في بيان معجزات الرسل والفرق بينها وبين السحر ونحوه كالشعبذة والكهانة وبيان استحالة المعجزة على يد الكاذب كالمسيح الدجال وذكر نقول المتكلمين من الصوفية وغيرهم وتحرير مسئلة ما كان معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي) *

اعلم ان الحق تعالى ما أرسل الرسل الا ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم وذلك انه ما بعث رسول الا في زمن حيرة وتردد بين التنزيه والتشبيه بعقولهم فمن الله تعالى عليهم بأن أقام الحق تعالى لهم شخصا اذكر انه جاء اليهم من عند الله تعالى برسالة نزل بها عليهم فنظروا بالقوة المفكرة فرأوا ان الامر جائز ممكن فلم يعزموا على تكذيبه ولا رأوا علامة تدل على صدقه فوقفوا وسألوه هل جئت بعلامة من الله تعالى يعرف بها صدقك في ارسالك فانه لا فرق بيننا وبينك الا ذلك فجاءهم بالمعجزة فمن الناس من آمن ومنهم من كفر * فعلم ان كل نبي لم يظهر له شيء من الآيات الا بقدر اقامة الحجة على قومه لا غير فان جميع الآيات انما وقعت على يدي الرسول من كونه رسولا رفقا بالمؤمنين من أمته وحجة على الكافر ألا ترى الى قصة الاسراء لما خرج الى الناس صباح تلك الليلة وذكر لاصحابه ما جرى له في اسرائه وما وقع له معه كيف أنكر عليه بعض الناس لكونهم ما رأوا ذلك أثرا في الظاهر انما زادهم حكما في التكليف وانظر الى موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء من عند ربه كساه الله نورا على وجهه يعرف به صدق ما ادعاه فما رآه أحد الا عمي فكان يمسح وجه الرائي له بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى الناظرون اليه اذا رأوه قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة وكان شيخنا أبو يعزى المغربي موسوي المقام وكان له هذه الكرامة فكان لا يراه أحد الا عمي وممن رأى وجهه فعمي شيخنا أبو مدين لما رحل اليه فمسح أبو مدين عينيه بثوب أبي يعزى فرد الله عليه بصره قال الشيخ محيي الدين وكان أبو يعزى هذا في زماني ولكن لم أجتمع به لما كنت عليه من الشغل وكان غيره من الاولياء المحمديين ممن هو أكبر منه في الحال والعلم والقرب الالهي لا يعرفه أبو يعزى ولا غيره قال الشيخ من جعل الله كرامته في قلبه فقد ملأ يديه من الخير وكان ممن اصطنعهم الحق تعالى لنفسه فلم تعرفه الابصار في الدنيا ومن جعل الله كرامته في الآفاق وخرق العوائد اشتهر ضرورة بين الناس وخيف عليه الفتنة اهـ * فقد بان لك أن الله تعالى ما أيد جميع رسله بالمعجزات الباهرات الا تأسيسا للانقياد ومهم لهم اذ من شأن البشر أن لا ينقاد بعضه لبعض الا بظهور برهان وقد حد جمهور الاصوليين المعجزة بانها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة من المرسل اليهم بان لا يظهر بينهم ذلك الخارق كما سيأتي بيانه في المبحث بعده والمراد بالتحدي هو الدعوى للرسالة وفيما قلناه تنبيه على انه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي وانما المراد انه يكفي دعواه الرسالة فكل من قيل له ان كنت رسولا فأتنا بمعجزة فأظهر الله تعالى على يديه معجزا كان ظهور ذلك دليلا على صدقه نازلا منزلة التصريح بالتحدي قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف وأصل التحدي أنه تفعل من الحداء أي تكلف الحداء على وجه يباري فيه الحادي شخصا آخر اهـ

* وخرج بقولنا مقرون بالتحدي الخارق المتقدم على التحدي وذلك يتناول ما وجد من النبي قبل النبوة وهو المسمى عند علماء أصول الدين ارهاصا أي تأسيسا للنبوة من أرهصت الحائط اذا أسسته وخرج بالخارق للعادة غير الخارق كطلوع الشمس كل يوم وكذلك خرج أيضا الخارق من غير تحد ككرامات الاولياء وخرج أيضا المتأخر عنه بما يخرجه عن المقارنة العرفية وخرج أيضا السحر والشعبذة من المرسل اليهم اذ

ومنازل ظهر فيها الاثنان مثل طس ويس وحم وهكذا وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكا بيد كل ملك شعبة من الايمان فان الايمان بضع وسبعون شعبة والبضع من واحد الى تسعة فقد استوفى غاية البضع فمن نظر في هذه الحروف بهذا الباب الذي فتحت له يرى عجائب وتكون هذه الارواح الملائكة التي هي الحروف أجسامها تحت تسخيره وبأيديها من شعب الايمان عدة وتحفظ عليه ايمانه * وقال في قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء الصواعق أهوية محترقة اشتعلت فما تمر بشيء الا أثرت فيه ولولا الاثير الذي هو نار بين السماء والارض ما كان حيوان ولا نبات ولا معدن في الارض لشدة البرد الذي في السماء الدنيا فهو يسخن العالم لتسري فيه الحياة بتقدير العزيز العليم * قال واعلم ان الاثير الذي هو ركن النار متصل بالهواء والهواء حار رطب فما في الهواء من الرطوبة اذا اتصل بهذا الاثير أثر فيه لحركته اشتعالا في بعض أجزاء الهواء الرطبة فبدت الكواكب ذوات الاذناب لانها أهواء محترق لا مشتعل وهي سريعة الاندفاع وان أردت تحقيق هذا فانظر الى شرر النار اذا ضرب الهواء النار بالمروحة تطاير منها شرر مثل الخيوط في رأي

لا معارضة بذلك فعلم أن مرادهم بالخارق للعادة أن يظهر على خلافها كاحياء ميت واعدام جبل وانفجار ماء من بين الاصابع ونحو ذلك (فان قلت) فما القول فيما يظهر على يد المسيح الدجال من دعواه الالوهية واحياء الموتى وامطار السماء ونحو ذلك وجعله ذلك دليلا على صدقه فى دعواه الالوهية فى غاية الاشكال وهو من أكبر القوادح فيما قرره أهل الاصول فى العلم بالنبوات من استحالة المعجزة على يد الكاذب وذلك لانه يبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه وأى فتنة أعظم من فتنة تقدح فى الدليل الذى أوجب السعادة للعباد (فالجواب) جميع ما يقع على يد الدجال ليس هو بأمور حقيقية وانما هى أمور مخيلة يفتن بها ضعفاء العقول بخلاف ما يقع على يد الانبياء فانها أمور حقيقية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ ويشير بها لامته من فتنة المسيح الدجال فان الدجل هو التمويه باظهار الباطل فى صورة حق وما كل أحد يخرق بصره حتى يدرك الامور المموهة ويميزها عن غيرها انما ذلك للانبياء وكمل ورثتهم فان العقول السليمة اذا شاهدت المعجزات لم يبق عندها شك فى ان ما جاء به ذلك الرسول حق من عند ربه عز وجل وأما العقول الضعيفة فلم تستجب لذلك الرسول ولم تؤمن به ولهذا قال الشيخ محيي الدين فى لواقح الانوار نحن لا نشترط المعجزة عليه الصلاة والسلام لانها ما خرجت عن كونها ممكنة والقدرة لا تتعلق الا بايجاد الممكنات واذا أتى الرسول بالممكن فانما يكون المعجز فى ذلك عدم الاتيان ممن أرسل اليهم بمثل ذلك الذى تحدى به الرسول مع كون ذلك ممكنا وقوعه فى نفس الامر ثم اذا نظرنا الى الذين انقادوا بالمعجزة الى الايمان فرأينا ذلك انما كان لاستقرار الايمان عندهم فتوقفت استجابتهم على المعجزة لضعف ايمانهم وأما غيرهم فما احتاج الى ظهور ذلك بل آمن بأول وهلة بما جاء به رسوله لقوة نصيبه من الايمان فاستجاب بأيسر سبب وأما من ليس له نصيب فى الايمان فلم يستجب بالمعجزات ولا بغيرها قال تعالى ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء انتهى وقد نظم بعض اليهود بالشام أبياتا وأرسلها للشيخ صدر الدين القونوى وطلب الجواب عنها فأجابه الشيخ رحمه الله وهى

أيا علماء الدين ذمى دينكم * تحير دلوه بأوضح حجة
اذا ما قضى ربى بكفرى بزعمكم * ولم يرضه منى فما وجه حيلتى
دعانى وسد الباب دونى فهل الى الدخول سبيل بينوا لى قضيتى
قضى بضلالى ثم قال ارض بالقضا * فها أنا راض بالذى فيه شقوتى
فان كنت بالمقضى يا قوم راضيا * فربى لا يرضى بشؤم بليتى
وهل لى رضا ما ليس يرضاه سيدى * وقد حرت دلونى على كشف حيرتى
اذا شاء ربى الكفر منى مشيئة * فها أنا راض باتباع المشيئة
وهل لى اختيار أن أخالف حكمه * فبالله فاشفوا بالبراهين غلتى

فأجابه الشيخ رحمه الله بقوله

صدقت قضى الرب الحكيم بكل ما * يكون وما قد كان وفق المشيئة
وهذا اذا حققته متأملا * فليس بسد الباب من بعد دعوة
لان من المعلوم ان قضاءه * بأمر على تعليقه بشريطة
يجوز ولا يأباه عقل كما ترى * حدوث أمور بعد أخرى تأدت
كما الرى بعد الشرب والشبع الذى * يكون عقيب الاكل فى كل مرة
فليس ببدع أن يكون معلقا * قضاء اله الحق رب البرية
بكفرك مهما كنت بالكفر راضيا * تعاطى أسباب الهدى مع مكنة
فمن جملة الاسباب مما ارتضيته * مع الامن والايمان لفظ الشهادة

العين ثم تنطفئ كذلك هذه الكواكب قد جعلها الله رجوما للشياطين الذين هم كفار الجن كما قال الله تعالى * قال واعلم ان الهواء لا يسمى ريحا الا اذا تحرك وتموج فاذا اشتدت حركته كان زعزعا وان لم تشتد كان رخاء وهو ذو روح يعقل كسائر أجزاء العالم وهو به تسبيحه تجرى به الجوارى ويطفأ به السراج وتشعل النار وتحرك المياه والاشجار وموج البحر وتزلزل الارض ويزجى السحاب * قال واعلم ان روح الماء من الهواء ولو سكن الهواء لهلك كل متنفس وكل شئ فى العالم متنفس وتأمل الانسان اذا حمى بدنه فى زمن الصيف يحرك الهواء بالمروحة ليبرد عنده ما يجده من الحرارة لما فى الهواء من برودة الماء فان صورة الهواء من الماء * وقال فى قوله تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا اعلم ان الله تعالى ما جعل تكوين دواب البحر الملح الا فى العذب منه خاصة فان الله تعالى أجرى فى قعره عيونا وانهارا عذبة وجعل للارض نفسا من الهواء فيطرأ التعفين من ذلك فتتكون حيوانات البحر الملح فى الماء العذب ولولا وجود الهواء فيه والماء العذب ما تكون فيه حيوان ألا ترى البخار الصاعد من الانهار والبخار الصاعد من الارض ومن البحر كيف يخرج كما يخرج النفس من المتنفس فطلب ركنه الاعظم فيتخيل

فانت كمن لا يأكل الدهر قائلا * أموت بجوعى اذ تفنى لى بجوعة

انتهى فليتأمل الجواب ومن فتح الله عليه بجواب أوضح منه فليلحقه بهذا الموضع وقد تقدم فى بحث خلق الافعال ان هذه المسئلة من أشكل الامور فراجعه والله أعلم * ورأيت فى كتاب سراج العقول للشيخ أبى طاهر القزوينى رحمه الله مانصه اعلم أن البرهان القاطع على ثبوت نبوة الانبياء هو المعجزات وهى فعل يخلقه الله خارقا للعادة على يد مدعى النبوة مقترنا بدعواه وذلك الفعل يقوم مقام قول الله عز وجل له أنت رسولى تصديقا لما ادعاه مثاله قام الانسان فى ملإ من الناس بحضرة ملك مطاع فقال يامعشر الحاضرين انى رسول هذا الملك وان آية صدقى أن الملك يقوم ويرفع التاج عن رأسه فيقوم الملك فى الحال ويرفع التاج عن رأسه عقب دعوى هذا المدعى أليس ذلك الفعل منه يتنزل منزلة قوله صدقت أنت رسولى قال وانما راعى فى ذلك ثلاثة أمور الفعل الخارق للعادة واقترانه بالدعوى وسلامته عن المعارضة اذ لو رفع التاج بقول غيره أو بعد ذلك بمدة لا يكون حجة لهذا المدعى فهذه الثلاثة بمجموعها برهان قاطع على دعوى المدعى للرسالة نازل منزلة التصديق بالقول وهو مثل حصول العلم لسائر الاشياء من شواهد المقال وقرائن الحال (فان قلت) اقتران المعجزة بدعواه لا ينهض دليلا على صدقه لان نفس الاقتران بالاضافة الى دعواه والى غير دعواه من طريق الاقوال والافعال بمثابة واحدة (فالجواب) ان سبيل تعريف الله تعالى عباده صدق الرسل بالمعجزات كسبيل تعريفه تعالى الوهيته بالآيات الدالة عليها وذلك قد يكون مرة بالقول ومرة بالفعل فتصديقه بالقول كقوله للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة وتصديقه بالفعل كما علم آدم الاسماء كلها ثم قال للملائكة أنبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين وعلم محمدا القرآن ثم قال فأتوا بسورة من مثله فكما عجزت الملائكة عن معارضة آدم عليه الصلاة والسلام كذلك عجزت العرب عن معارضة محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن فدلت الاسماء هناك والقرآن هنا على صدق النبى الذى هو أول الانبياء وعلى صدق النبى الذى هو آخر الانبياء فعلى هذه الصفة صح أن المقترن بدعواه تأثير ينهض دليلا بخلاف الاقتران بما لا معجزة للخلق عنه اه كلام الشيخ أبى طاهر رحمه الله * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول نعرف نبوة النبى بامور منها أن يدعو الى طاعة الله وينهى عن معاصيه * ومنها أن لا يخالف ما يدعو الناس اليه ويعرف هو نبوة نفسه * ومنها أن يخلق الله له علما ضروريا فيعرف أنه رسول * ومنها أن يظهر الله له آيات وكرامات فيضطر الى العلم انه من عند الله وان البشر يعجزون عن مثله * ومنها أن يخبره الله بما فى قلبه وصدره فيضطر النبى الى معرفة كلامه اذ الغيب لا يعلمه الا الله تعالى * واعلم يا أخى ان خرق العوائد يكون على وجوه كثيرة وليس مرادنا هنا الا خرق العادة على من ثبتت استقامته على الشرع المحمدى والا فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر صاحبه وقد ذكر الشيخ فى الباب السادس والثمانين ومائة أن من الخوارق ما يكون عن قوى نفسية وذلك أن اجرام العالم تنفعل للهمم النفسية هكذا جعل الله الامر فيها وقد تكون أيضا عن حيل طبيعية معلومة كالقلفطيريات ونحوها وبابها معلوم عند العلماء بها وقد يكون عن نظم حروف بطوالع وذلك لاهل الرصد وقد يكون باسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة فى ناظر عين الرائين لا فى نفس الامر وأطال فى ذلك ثم قال وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله تعالى قال ولا يكون خرق العادة على وجه الكرامة الا ان خرق العادة من نفسها باخراجها عن مألوفها الطبيعى الى الانقياد للشرع فى كل حركة وسكون قال وليس خرق العادة الا أول مرة فاذا عاد ثانيا صار عادة وفى الحقيقة الامر جديد ابدا دواما ثم ما يعود فما ثم خرق عادة وانما هو أمر يظهر نرى مثله لا عينه فلم يعد فما هو عادة فلو عاد لكان عادة وقد انحجب الناس عن هذه الحقيقة بل ما رأيت أحدا اطلع عليها من أهل عصرى وقد نبهتك على ما هو الامر عليه ان كنت تعقل ما أقول فان الله تعالى اذا كان خلاقا على الدوام فاين التكرار انتهى (فان قيل) فكم الاعجاز على ضرب (فالجواب) هو على ضربين كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثمانين ومائة *

منه ما يستحيل ويلحق بعنصره ما يلحق على قدر ما سبق فى علم الله من ذلك فهو دولاب دائر منه يخرج واليه يعود * وقال فى قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن اعلم ان طبقات الارض سبع كطبقات السموات فى كونها واحدة فوق واحدة قال صلى الله عليه وسلم فيمن غصب شبرا من الارض طوقه من سبع أرضين وذلك أنه اذا غصب شيأ من الارض كان ما تحت ذلك المغصوب مغصوبا الى منتهى الارض السابعة ولو لم تكن طباقا بعضها فوق بعض لبطل المعقول من هذا الخبر وكذلك الخبر الوارد فى سجود العبد على الارض من أن يطهر الله ذلك الموضع بسجدته الى سبع أرضين وقوله يتنزل الامر بينهن أى بين السموات والارضين ولو كانت أرضا واحدة لقال بينهما قال وهذا الذى قررناه هو الظاهر وهو الذى أعطاه كشفنا والله أعلم * وقال فى قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون اعلم ان العالم كله فى قبضة الحق لا يمكنه الانفكاك عن ذلك والانقباض فى المقبوض يبس بلا شك فهو يطلب بذاته لغلبة اليبس عليه ما يرطبه وقوله أفلا يؤمنون أى لا يصدقون بذلك لجواز خلافه عقلا الذى هو ضد الواقع فانه لو غلب عليه البرد والرطوبة هلك ولم يكن

الاول

الاول أن يمكن صرفه فيدعي في ذلك أن الذي هو مقدور لكم في العادة اذا أتيت به دليل على صدق دعواى فان الذي أرسلني يصرفكم عنه فلا تقدرون على معارضته وكل من كان في قدرته ذلك عند العجز في ذلك الوقت فلا يقدر على اتيانه بما كان قبل هذه الدعوى يقدر عليه وهذا أنفع للنفس من الصرف * الضرب الثاني أن يأتي بأمر لا يكون في مقدور البشر ولا يقدر عليه الا الله كاحياء الموتى ولكن الوصول اليه على طريق العلم انه حي في نفس الامر عزيز لا يدركه الا أهل الكشف منا فانا رأينا عصا موسى حية وعصى السحرة حيات ولم يفرق العامة بين الحيتين فلهذا كان الوصول الى علم ذلك عزيزا جدا اه (فان قلت) فما المراد بتلقف عصا موسى لما صنعوا (فالجواب) ان المراد به كما قاله الشيخ في الباب السادس عشر والباب الاربعين من الفتوحات انكشاف ذلك للسحرة والناس يظنون ان تلك الحيات حبال وعصي لا حيات حين ظهرت حجة موسى عليهم لان الحبال والعصي انعدمت اذ لو انعدمت لم تدخل عليهم اللبس في عصا موسى فكانت الشبهة تدخل عليهم في عصا موسى كذا وايضاح ذلك ان عصا موسى انما تلقفت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم فقط فبدت للناس حبالا وعصيا كما هي في نفس الامر هذا تلقفها وذلك كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه ويظهر بطلانها ولو انه كان المراد بتلقفها انعدام الحبال والعصي كما توهمه بعض المفسرين لدخل على السحرة الشبهة في عصا موسى والتبس عليهم الامر فكانوا لم يؤمنوا فتنبه يا أخي لذلك فان الله تعالى يقول تلقف ما صنعوا وما صنعوا الحبال والعصي بسحرهم وانما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيات من الحبال والعصي وعلى ما توهمه بعضهم يكون المعنى الذي جاء به موسى من قبيل ما جاءت به السحرة الا أن سحره أقوى من سحرهم (فان قلت) فما سبب خوف موسى من عصاه حين ظهرت في صورة حية (فالجواب) انما خاف موسى من عصاه لعلمه ان ذلك ليس هو بسحر منه فان أحد الا يخاف من فعل نفسه لانه يعلم انه لا حقيقة له في نفس الامر (فان قلت) فما وجه من قال ان من سحر غيره كفر (فالجواب) ان في ضمن السحر الكفر لان الارواح الكافرة التي هي المعينة له على السحر انما تجيبه اذا خرج عن دين الاسلام (فان قلت) فلم سمي السحر سحرا (فالجواب) لانه مأخوذ من السحر الذي هو الزمان وهو اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس وكذلك هذا الذي يسمى سحرا لسكون الحاء ما هو باطل محقق فيكون عدما فان العين أدركت أمرا لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فانه ليس هو في نفس الامر كما تشهده العين ويظنه الرائي والله أعلم فعلم ان معجزة كل نبي انما تكون بحسب ما هو غالب على قومه كما أتى موسى عليه الصلاة والسلام بما يبطل السحر لما كان السحر غالبا على قومه وكما أتى عيسى بابراء الاكمه والابرص لما كان الطب غالبا على قومه وكما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم المعجز بفصاحته كل بليغ وفصيح لما غلب على قريش التفاخر بالفصاحة والبلاغة (فان قلت) قد شرطتم في المعجزة أن تكون فعلا كما مر ثم ادعيتم ان القرآن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان القرآن كلام الله والكلام عندكم صفة من صفات الذات كالعلم والقدرة فلو جاز أن تكون صفة الكلام معجزة لجاز أن تكون صفة العلم والقدرة معجزة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني رحمه الله انه لا يخفى ان المعجز حقيقة انما هو الله تعالى فانه خالق العجز والقدرة وانما سمي الفعل الخارق للعادة معجزة على طريق التوسع والمجاز لا على الحقيقة كمن نظر الى صاعقة تقع من السماء فيقول انظر الى قدرة الله تعالى وانما هي من آثار قدرته وذلك ان العجز انما يكون عن مقدور عليه وليس احياء الميت مثلا من مقدور البشر حتى يقال ان فلانا عجز عن احياء الموتى والانسان قد يحس من نفسه عدم القدرة على ذلك وعدم القدرة ليس بعجز كما ان عدم العلم ليس بجهل اذ الجدار مثلا عادم العلم وليس بجاهل لانه فاقد شرط العلم والجهل معا الذي هو الحياة والعامة يعبرون عن عدم القدرة بالعجز وهو وهم وتخييل لان العجز لا بد أن يقارن المقدور عليه فعلم مما قررناه ان مرادهم بقولهم القرآن معجزة أن نظامه وتأليفه على هذه الهيئة الغريبة والاساليب العجيبة هو فعل الله تعالى وذلك معجزة

له شفاء عيبابه الا الحرارة واليبس فكان يقال في ذلك الحال وجعلنا من النار كل شئ حي ولو غلب عليه البرد واليبس لكانت حياته بالهواء فيقال في تلك الحالة وجعلنا من الهواء كل شئ حي ولو افرطت عليه الحرارة والرطوبة لكانت حياته بالتراب وكان يقال في هذه الحالة وجعلنا من التراب كل شئ حي وأطال في ذلك * وقال حيثما أضيف الرزق الى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله وليس فيه تحجير ومن هنا كان المضطر لا حجر عليه فعلم ان الحرام لا ينبغي اضافته الى الله تعالى أدبا (قلت) ومن هنا كان من أدب الفقراء أن لا يأكلوا الا عند الجوع لتخف الشبهة في الشبهات ولكونوا في حال أكلهم تحت أمر واجب أو مستحب بخلاف الاكل من غير جوع فافهم وأول مراتب الجوع اشتغال الامعاء بأكل بعضها بعضا لعدم الطعمة التي بها اغتذاؤها والله أعلم * وقال في قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم الآية اعلم ان الله تعالى وصف الجن باللطافة وخلقهم من مارج من نار والمرج الاختلاط فهم من نار مركبة فيها رطوبة الماء ولهذا يظهر لها لهب واللهب حار رطب قال واعلم ان الشياطين من الجن هم الاشقياء البعداء

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس مرادهم ان كلام الله الذي هو صفته القائمة بذاته معجزة وقد أعجز الله تعالى جميع الخلق عن الاتيان بمثله كل ذلك دلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم ولفظ القرآن في العربية يطلق على القراءة والمقروء كما قدمناه في مبحث اسمه تعالى المتكلم والله تعالى أعلم * ثم اعلم ان جمهور العلماء قائلون بان ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي وخالف في ذلك المعتزلة والشيخ أبو اسحق الاسفرايني فقالوا لا يجوز أن يكون ما ظهر معجزة لنبي أن يكون مثله كرامة لولي من سائر الخوارق وانما مبالغ الكرامة اجابة دعوة أو موافاة ماء في بادية لا ماء فيها عادة ونحو ذلك مما ينحط عن خرق العادات قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والثمانين بعد المائة من الفتوحات وهذا الذي قاله الاستاذ هو الصحيح عندنا الا اني أشترط شرطا آخر لم يذكره الاستاذ وهو أنا نقول لا يجوز أن تكون المعجزة كرامة لولي الا أن يقوم ذلك الولي بذلك الامر المعجز على وجه التصديق لذلك النبي دون أن يقوم به على وجه الكرامة لنفسه فلا يمتنع ذلك كما هو مشهود بين الاولياء اللهم الا أن يقول ذلك الرسول في وقت تحديه يمتنع وقوعها في ذلك الوقت خاصة أو في مدة حياته خاصة فانه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه وأما ان أطلق ذلك النبي ولم يقيد فلا سبيل الى ما قاله الاستاذ انتهى * قال اليافعي اليمني رحمه الله ولا يرد على قولهم ما جاز أن يكون معجزة لنبي الى آخره القرآن العظيم للزوم التحدي فلا يجوز وقوع مثله لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف الكرامة (فان قلت) ما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق بينهما ظاهر وذلك انه اذا توقفت الاجابة على المعجزة يجب على النبي أن يتحدى بها و يظهرها بخلاف الكرامة لا يجب على الولي اظهارها لانه انما يدعو بحكم التبع بشرع نبيه الثابت عنده فلا يحتاج الى دليل على صحة طريقه ودعواه بخلاف النبي وكان اليافعي رحمه الله يقول يجب على الولي اخفاء الكرامة الا عن ضرورة أو اذن أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار ولا تعمل أو يكون لتقوية يقين بعض المريدين كالذي غرف عسلا من الهواء ووضعه بين يدي مريده انتهى * وقد فرق الائمة بين المعجزة والكرامة بفروق كثيرة غير ما ذكرناه فقال بعضهم من الفرق بينهما المعجزة تقع عند قصد النبي صلى الله عليه وسلم وتحديه وأما الكرامة فقد تقع من غير قصد الولي وقال بعضهم يجوز أن تقع الكرامة أيضا بقصد الولي وانما الفرق الصحيح بينهما أن المعجزة تقع مع التحدي والكرامة لا يتحدى بها الولي وقال بعضهم يجوز للولي أيضا أن يتحدى بالكرامة على ولايته اذا رأى في ذلك مصلحة ونصيحة للخلق حتى يهديهم الى الحق وانما الفرق الصحيح بينهما هو ان المعجزة لا تكون الا بعد دعوى له ولا تكون مع السكوت معجزة والكرامة يجوز أن تقع مع كلامه ومع سكوته معا وهذا القدر من الفروق كاف وحقيقة ذلك أن الولي اذا ادعى بفعل خارق للعادة انه ولي فان ذلك لا يقدح في معجزة النبي بخلاف ما اذا ادعى بمثل ذلك الفعل الآن على انه نبي فانه يكذب في دعواه والكاذب لا يكون وليا لله تعالى فلا يصح أن يظهر على يديه ما يظهر على أيدي الانبياء والاولياء قال الشيخ أبو طاهر وهو فرق ظاهر وهو معنى قول المشايخ المعجزات علامات صدق حيث وجدت فلا تظهر على أيدي الاولياء عند دعواهم النبوة لانها لو وجدت عند ذلك لانقلب الصدق كذبا وهو محال اه (فان قلت) هذا الفرق بين المعجزة والكرامة فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله أن الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه أن المعجزة تبقى هي أو أثرها بعد النبي زمانا والسحر سريع الزوال وأما الفرق بين المعجزة والشعبذة فهو ان المعجزة يظهرها النبي على رؤس الاشهاد وعقلاء البلاد والشعبذة انما يروج أمرها على الصغار وضعفاء العقول وجهلة الناس قال القزويني رحمه الله وقد اختلف الناس في السحر وأثره فقيل انه يمكن به تبديل الصورة فينقلب الانسان كلبا أو تمساحا أو حمارا قال والظاهر ان أمثال هذه خرافات العوام واسمار النسوة وأطال في ذكر النيرنجيات والقلفطيريات في كتابه سراج العقول قال والسحر في اللغة ارادة الباطل في صورة الحق ومنه وقت السحر للفجر الكاذب وأما الشعبذة فهي منسوبة

من رحمة الله خاصة وأما السوداء فأبقى عليهم اسم الجنس وهم الجان والجان خلق بين الملائكة والبشر الذي هو الانسان وهو عنصري ولهذا تكبر فلو كان طبيعيا خالصا من غير حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة وهو برزخي النشأة له وجه الى الارواح النورية بلطافة النار منه فله الحجاب والتشكل وله وجه الينا أيضا به كان عنصريا ومارجا فأعطاه الاسم اللطيف ان يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به وأطال في ذلك ثم قال فالاسم اللطيف هو الذي جعل الجان تستتر عن أعين الناس فلا تدركهم الابصار الا متجسدين والله أعلم * وقال في الباب الثاني ومائتين ما نصه اعلم أن آداب الشريعة كلها ترجع الى ما نذكره وهو ان لا يتعدى العبد في الحكم موضعه في جوهر كان أو في عرض أو في زمان أو مكان أو في وضع أو في اضافة أو في حال أو في مقدار أو عدد أو في مؤثر أو في مؤثر فيه فأما أدبه في الجوهر فهو أن يعلم العبد حكم الشرع في ذلك فيجري فيه بحسبه وأما أدب العبد في الاعراض فهو ما يتعلق بافعال المكلفين من وجوب وحظر واباحة ومكروه وندب وأما أدبه في الزمان فلا يتعلق الا بأوقات العبادات المرتبطة بالاوقات فلكل وقت له حكم في المكلف ومنه ما يضيق

الى رجل اسمه شعبان وهو معرب وأصله خفة اليد فى تقليب الاشياء والسحر عندنا حق على معنى انه ثابت واقع وأنكر المعتزلة والروافض والدهرية السحر والدليل على صحته اجماع الامم سلفا وخلفا واجماع أهل الكتاب كلهم من الهند والروم والفرس وآيات القرآن ناطقة بذلك وقال الشيخ محيي الدين فى الباب الاحد والسبعين ومائتين فى قوله تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اعلم ان الله تعالى انما كره التفريق وذم فاعله ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى أن الافتراق لابد منه لكل مجموع مؤالف لحقيقة خفيت شرع الطلاق رحمة بعباده ليكونوا تحت الاذن فى جميع أفعالهم محمودين غير مذمومين ارغاما للشيطان ومع هذا فقد ورد أبغض الحلال الى الله الطلاق وذلك لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم وكان تعطيل الاسماء الالهية عن التأثير فى أهل حضراتها فلاجل هذه الرائحة كره التفريق بين الزوجين لعدم الاجتماع اه (فان قلت) فما الفرق بين المعجزة والكهانة (فالجواب) أن الفرق بينهما هو أن المعجزة فعل خارق للعادة مقرون بالتحدي يقوم مقام تصديق الله تعالى النبي بالقول كما مر وأما الكهانة فهي كلمات تجري على لسان الكاهن ربما توافق وربما تخالف والنبي لايكون قط الا كامل الخلق والخلق وأما الكاهن فيكون مختل العقل ناقص الخلق مزورا فان ادعى النبوة بكهانته فربما قابله بدعواها كاهن آخر فلا يوجد الفرق بينهما البتة بخلاف النبوة فان النبي اذا تحدى بالمعجزة وقابله مدع كاذب لايجوز أن يظهر له معجزة مثل معجزة الصادق وقد قدمنا ان المعجزة تصديق الله للصادق فكيف تكون تصديقا للكاذب والله تعالى لا يصدق الكاذب والله تعالى أعلم (فان قلت) فما وجه استحالة المعجزة على يد الكاذب (فالجواب) وجه ذلك ان الناس قد أشبعوا القول فى استحالة المعجزة على يد الكاذب وكان ذلك كالاجماع على استحالتها (فان قيل) اذا جوزتم اضلال الله تعالى الخلق واغواءهم فما يشعركم انه تعالى يظهر الآيات على أيدي الكاذبين اضلالا واغواء ومعلوم ان ساحة ربوبيته تعالى بريئة من وجوب اضلال الخلق وهدايتهم (فالجواب) اننا انما جوزنا الاضلال لنصوص القرآن مثل قوله يضل به كثيرا وقوله ويضل الله الظالمين وغيرهما من الآيات وانما نجوزه فيما لا يؤدي الى المحال فان كل ما أدى الى المحال فهو محال والمحال لايكون مقدورا البتة وذلك من وجوه اما أن يقع على خلاف المعلوم واما أن يتناقض الدليل والمدلول فيه وأما ان يلتبس الدليل بالمدلول واما أن يؤدي الى تعجيز القدرة وتكذيب الحق تعالى فهذه أربعة وجوه تؤدي الى المحال فلا تتعلق القدرة بها والمعجزة على يد الكاذب من جملتها لان المعجزة مقرونة بالتحدي نازلة منزلة قول الحق تعالى لذلك الرسول صدقت وأنت رسولي كما مر وتصديق الكاذب من المحال لذاته وعينه اذ كل من قال له أنت رسولي صار رسولا وخرج عن كونه كاذبا والجمع بين كونه كاذبا ورسولا صادقا محال والله أعلم وقد ذكر الشيخ أبو طاهر ان بعض الائمة قال اظهار المعجزة على يد الكاذب من المقدورات بناء على ان ما علم الله انه سيكون لايخرج عن كونه مقدورا وخلاف المعلوم لا يكون مقدورا ثم الذي نقول به ان ذلك ولو كان مقدورا فلا يقع ذلك قطعا كما لا ينقلب العلم جهلا وأطال فى ذلك فى كتاب سراج العقول فراجعه ان شئت وحاصله ان شرط المعجز أن يكون ناقضا للعادة لان الفعل المعتاد يوجد مع الصادق والكاذب وأن يكون فى أيام التكليف لان الذي يظهر فى القيامة من انفطار السماء وتكوير الشمس أفعال ناقضة للعادة وليست بمعجزة لان الآخرة ليست بدار تكليف وأن يكون مقرونا بالتحدي لانه قد يحصل أحيانا أفعال ناقضة كالزلازل والصواعق وليست بمعجزة لانها لم تكن مقرونة بذلك وأن يكون على وجه الابتلاء لانه لو تلقن انسان سورة من القرآن ثم مضى الى قبيلة بعيدة لم تبلغهم الدعوة وتنبأ هناك لم تكن معجزة والله سبحانه وتعالى أعلم فتأمل فى هذا المبحث فانه نفيس والله أعلم

(المبحث الثلاثون فى بيان حكمة بعثة الرسل فى كل زمان ووقع فيه ارسال عليهم الصلاة والسلام)

وقته ومنه ما يتسع وأما أدبه فى المكان كمواضع العبادات مثل بيوت الله فيرفعها عن البيوت المنسوبة الى الخلق ويذكر فيها اسمه وأما أدبه فى الوضع فلا يسمى الشئ بغير اسمه ليغير عليه حكم الشرع بتغيير اسمه فيحلل ما كان محرما ويحرم ما كان محللا كما فى حديث سيأتي على أمتي زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها أي فتحا للباب استحلالها بالاسم وقد تفطن لما ذكرناه الامام مالك رحمه الله تعالى فسئل عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له انه من جملة سمك البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا فانسحب عليه حكم التحريم لاجل الاسم كما سموا الخمر نبيذا أو مزرا فاستحلوها بالاسم وقالوا انما حرم علينا ما كان اسمه خمرا وأما أدب الاضافة فهو مثل قول الخضر فأردت أن أعيبها وقال فأردنا أن يبدلهما ربهما وذلك للاشتراك بين ما يحمد ويذم وقال فأراد ربك لتخليص المحمدة فيه فأفاد أن الشئ الواحد يكتسب ذما بالنسبة الى جهة ويكتسب حمدا بالاضافة الى جهة أخرى وهو هو بعينه وانما تغير الحكم بالنسبة وأما أدب الاحوال كحال السفر فى الطاعة وحال السفر فى المعصية فيختلف الحكم بالحال وأما الادب فى الاعداد فهو أن لا يزيد فى أفعال الطهارة على أعضاء الوضوء ولا ينقص

اعلم ان الاصل فى هذا المبحث قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فما عذب بعد ارسال الرسل الا من لم ينصح نفسه ممن حقت عليه كلمة العذاب والشقاء الابدى قال الشيخ محيي الدين رحمه الله واعلم أن جميع الحدود التى حدها الله أى قدرها الرب سبحانه وتعالى فى هذه الدار لا تخرج عن قسمين قسم يسمى سياسة حكمية بكسر الحاء وقسم يسمى شريعة وكلاهما انما جاء لمصلحة بقاء الاعيان الممكنات فى هذه الدار وسلامتها من الفساد فأما القسم الاول فطريقه الالقاء بمثابة الالهام عندنا وذلك لعدم وجود شريعة بين أظهر أهل ذلك الزمان فكان الحق تعالى يأتى فى نفوس الاكابر من الناس الحكمة فيحدون الحدود ويضعون النواميس فى كل مدينة وجهة واقليم بحسب المزاج الذى تقتضيه طباع تلك الناحية فانحفظت بذلك أموال الناس ودماؤهم وأهلوهم وأرحامهم وأنسابهم وسموها نواميس ومعناها أسباب خير لان الناموس فى الاصطلاح هو الذى يأتى بخير عكس الجاسوس فهذه هى النواميس الحكمية وضعها العقلاء عن الالهام من الله تعالى من حيث لا يشعرون لاجل مصالح العالم ونظمه وارتباطه اهـ * وقال فى الباب السابع والستين وثلثمائة اعلم أنه انما يتعين استعمال النواميس الوضعية والقوانين السلطانية فى أيام الفترات وذلك ليجمع الله تعالى باستعمالها شمل العالم قال وما حرم الله تعالى كل من وضع ذلك أجرا ما من باب ان الله لا يضيع أجر المحسنين * قال وأما استعمال النواميس والقوانين فى زمن الشرائع فلا ينبغى استعمالها الان وافقت الشرائع لانه يحرم على كل حاكم أن يتعدى شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون * وقال أيضا فى الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة اعلم ان الشرع شرعان شرع منزل الهى وشرع حكمى سياسى عند فقد هذا الشرع فلا تخلو أمة عن تدبير يقوم بسياستها لبقاء المصلحة فى حقها سواء كان ذلك الشرع الهيا أو سياسيا (فان قلت) فهل كان لواضعى هذه النواميس علم بانها مقربة الى الله تعالى أم لا (فالجواب) انه لم يكن لهم علم بذلك كما انه لم يكن لهم علم بانه ثم بعث ولا حشر ولا نشر ولا ميزان ولا حساب ولا صراط ولا جنة ولا نار ولا شئ من أحوال الآخرة جملة لان ذلك ممكن وعدمه أيضا ممكن ولا دليل لهم فى أحد الممكنين بل رهبانية ابتدعوها فلهذا كان مبنى نواميس الحكماء فى كل زمان على ابقاء الصلاح فى هذه الدار لا غير وغاية علمهم انهم انفردوا فى نفوسهم بالعلوم الالهية من توحيد الله تعالى وما ينبغى لجلاله من التعظيم والتقديس وعدم المثل والشبيه وصاروا يحرضون الناس على النظر الصحيح فكان جل أشغالهم فى ذلك فلما رأوا ذلك شرعوا فى البحث عن حقائق نفوسهم حين رأوا ان الصورة الجسدية اذا ماتت ما نقص من أعضائها شئ فعلموا أن المدرك والمحرك لهذا الجسم أمر آخر زائد عليه فبحثوا عن ذلك الامر الزائد فعرفوا نفوسهم وما حده لهم عقلهم لا غير فأورثهم ذلك ترددا بين التنزيه والتشبيه وحيرة من اثبات المعرفة ونفيها فى حق العالم فلما أورثهم ذلك ما ذكر رحمهم الله تعالى بارسال الرسل وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة فراجعه والله تعالى أعلم

* وأما القسم الثانى المسمى بشريعة حقيقة فهو ما جاء على لسان الصادق المصدوق من سائر الاحكام التى ليس للعقل فيها مدخل الا من حيث قبولها والايمان بها لا غير كما مر فى مبحث المعجزات اذ لو استقلت العقول بأمور سعادتها لكان وجود الرسل عبثا ومعلوم قطعا أن كل انسان منا يجهل بالضرورة مآله والى أين ينتقل كما يجهل أيضا أسباب سعادته ان سعد أو شقاوته ان شقى وذلك لجهله بعلم الله السابق منه وبما يريد به ولماذا خلقه فهو مفتقر بالضرورة الى التعريف الالهى له بذلك ولولا ارسال الرسل ما عرفنا الفرق بين الطاعة والمعصية ولا تميز أحد من أهل القبضتين عن الآخر * فعلم أن بارسال الرسل قامت حجة الله تعالى على عباده وظهرت وما سعد من سعد الا بالقسمة الالهية وما شقى من شقى الا بها وليس للرسل عليهم الصلاة والسلام أثر فى ذلك ان عليك الا البلاغ انك لا تهدى من أحببت وكذلك ليس لابليس أثر فى الاضلال انما هو موسوس للناس أن يفعلوا ما قدره الله عليهم وسوف يخاطب فى النار ويقول ما كان لى عليكم من سلطان

وكذا القول فى أعداد الصلوات والزكوات ونحوها وكذلك لا يزيد فى الغسل عن صاع والوضوء عن مد وأما أدبه فى المؤثر فهو أن يضيف القتل أو الغصب مثلا الى فاعله ويقيم عليه الحدود وأما أدبه فى المؤثر فيه كالمقتول قودا فينظر هل قتل بصفة ما قتل به أو بأمر آخر وكالمغصوب اذا وجد بغير يد الذى باشر الغصب فهذه أقسام آداب الشريعة كلها * وقال فى الباب الثالث ومائتين من راض نفسه ترقى لمقام رضا الله تعالى عنه وذلك لان الرياضة تذليل للنفس شيأ بعد شئ حتى يلتحق بدرجة العبيد الخاص لله تعالى ولذلك سميت الارض ذلولا يطؤها البر والفاجر ولا تميز عندها فى ذلك بل تحمل البار حبا لما هو عليه من مراضى سيده وتحمل الفاجر لحمل الله تعالى اياه بكونه يرزقه على كفره به وينعمه ويحده اياها ونسيان شكر رب النعمة ونحو ذلك (قلت) فعلم انه كلما اتسعت دائرة العبد فى المعارف كلما طولب بتحمل الاذى من جميع العالم على اختلاف طبقاتهم وانه كلما علت درجة العبد كلما كثر عصيان اتباعه له لكثرة تخلقه بالحلم والرحمة وكانوا قبل ذلك سامعين مطيعين له لضيقه ولو أنهم عصوه أيام ضيق حاله لنفر ولم يصبر وتفسخ عزمه عن تربيتهم هذا مع أن أسباب المخالفات فى زيادات لا تنفك حتى تقوم

الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم وذلك مكان يصدق فيه الكذوب وكذلك اذا أمر الرسول أمته بفعل شئ مثلا فلسان حالهم يقول هل نفعل ماقسمه الحق تعالى لنا أم لم يقسمه فلا يسع الرسول الا أن يقول انه لوا ماقسم لكم فاذا قالوا هل نفعله في الوقت الذي قسم لنا الحق تعالى فعله فيه أو قبله يقول لهم الرسول في الوقت الذي قسم لكم أن تفعلوه فيه ولكن سلطان الامر الالهي متوجه عليكم أن تفعلوا ذلك في الوقت المضروب لكم شرعا لاوقت ارادة نفوسكم وهنا تدحض حجتهم (فان قلت) فهل للحيوانات رسل منهم كالجن والانس كما قيل (فالجواب) ليس للحيوانات رسل منهم وانما ذلك خاص بالجن والانس وقد أفتى المالكية بكفر من قال ان في كل جنس من الحيوانات نذيرا منها لها (فان قلت) فما تقولون في قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير وفي قوله الا أمم أمثالكم (فالجواب) ان هذا عام مخصوص بالجن والانس فانه قد ورد في الكلاب انها أمة من الامم وكذلك النمل والفيران ولم يرد لنا دليل قاطع بأن لها نذيرا منها فالك والغلط (فان قلت) فمتى ينقطع حكم التكليف في حق الامة (فالجواب) ينقطع التكليف في حق أهل الجنة وأهل النار بالموت ماعدا أهل الاعراف الى أن يخروا ساجدين يوم القيامة فترجح ميزانهم بتلك السجدة ثم يدخلون الجنة فانه لولا أن تكليفهم باق الى ذلك الوقت مانفعتهم تلك السجدة ولا رجحت ميزانهم بها (فان قلت) فما أول وقت كان فيه تكليف الروح (فالجواب) هي مكلفة من يوم ألست بربكم فلو أن تكليفها وقع لها من وجود ذلك اليوم ماخوطبت ولا أجابت وعلى ماورد في الحديث من الامتحان للاطفال والمجانين وأصحاب الفترات على لسان رسول يوم القيامة يرسل اليهم فيقوم بعث ذلك الرسول في ذلك اليوم مقام بعث الرسول اليهم في دار الدنيا فمن أطاعه نجا ودخل الجنة ومن عصاه وخالف أمره هلك ودخل النار ليقوم العدل من الله تعالى في عباده بعد اقامة الحجة والله أعلم * وقد رأيت في كتاب سراج العقول للامام أبي طاهر القزويني في الباب الخامس والثلاثين منه مانصه اعلم ان الله تعالى قد خلق جميع الكائنات من فضله وكرمه بعد أن لم يكن للكون أثر ولا للمكون خبر ثم انه تعالى لما خلقهم من فضله لم يتركهم سدى هملا وانما فاض عليهم سائر ماجمع الى مصالحهم في الامور الدينية والدنيوية ولما كان الجليل جل جلاله منزها عن المجئ اليهم والنزول عليهم ولم يكن كلامه بحرف ولا صوت حتى يسمعوا كلامه كفاحا بعث اليهم منهم رسلا مبشرين ومنذرين ليبلغوا الى أسماع عباده كلامه وقد ألم بعض الشعراء بهذا المعنى فقال

ولما تعذر أن نلتقي * وزاد النزاع وجد القدم

بعثت اليك رجل الرسول * وناجاك عني لسان القلم

قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ثم ان الحق تعالى من جملة فضله علينا ارسال الرسل الينا كما انه خلقنا بفضله من العدم اذ لا يجب عليه تعالى شئ البتة (فان قلت) فما حقيقة النبوة (فالجواب) هو خطاب الله تعالى شخصا بقوله أنت رسولي واصطفيتك لنفسي كما مر في المبحث قبله الله أعلم حيث يجعل رسالاته (فان قلت) فهل النبوة مكتسبة أو موهوبة (فالجواب) ليست النبوة مكتسبة حتى يتوصل اليها بالنسك والرياضات كما ظنه جماعة من الحمقى فان الله تعالى حكى عن الرسل بقوله قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا فالنبوة اذن محض فضل الله تعالى كما مر خلافا للمعتزلة ومن تابعهم من قولهم بوجوب النبوة عقلا من جهة اللطف والحق انها جائزة عقلا واجبة تواترا ونقلا ينتهي الى المعاينة وهي من فضل الله ورحمته وتدبيره في الملك والملكوت بأوامره ونواهيه على من يشاء كيف يشاء وعلى هذا فالنبوة صفة راجعة الى اصطفاء الله شخصا بخطابه ولو بواسطة الملك ولا ترجع الى نفس ذلك الشخص الذي هو النبي حتى انه يقال استحق النبوة لذاته واذا كانت كذلك فلا تبطل بالموت كما لا تبطل بالنوم والغفلة ومن قال ان النبوة مأخوذة من النبأ وهو الخبر واذ هو مخبر عن الله تعالى ومن مات لا يخبر نقول له حكم النبوة

الساعة وكلما كثرت اتسعت دائرة الحلم والعارف متخلق بأخلاق الحق في ذلك ويؤيد هذا الذي قررناه ان الحق تعالى حبس تسعة وتسعين جزأ من الرحمة عن أهل الدنيا ثم ينشر جميع أجزاء الرحمة في الآخرة فنحن كل قليل نقرب من نشر هذه الاجزاء علينا وما قارب الشئ أعطى حكمه فافهم والله أعلم * وقال في الباب السابع ومائتين اعلم أن معاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم حتى يقعوا في المعاصي بحكم الشهوة الطبيعية وانما تكون معاصي الخواص بالخطأ في التأويل وايضاح ذلك ان الحق تعالى اذا أراد ايقاع المخالفة من العارف بالله زين له الوقوع في ذلك العمل بتأويل لان معرفة العارف تمنعه من الوقوع في المخالفة دون تأويل يشهد فيه وجه الحق فان العارف لا يقع في انتهاك الحرمة أبدا ثم اذا وقع في ذلك المقدور بالتزيين والتأويل يظهر تعالى له فساد ذلك التأويل الذي أداه الى ذلك الفعل كما وقع لآدم عليه السلام فانه عصى بالتأويل فعند ذلك يحكم العارف على نفسه بالعصيان كما حكم عليه بذلك لسان الشريعة وكان قبل الوقوع غير عاص لاجل شبهة التأويل كما كان المجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقادا أن ذلك عين الحكم المشروع في المسئلة لا يوصف بخطأ ثم

باق عليه أبدا حياً وميتاً كما أن حكم نكاحه كذلك * وفي الحديث زوجاتي في الدنيا زوجاتي في الآخرة وفي الحديث أيضاً الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون وقد أفتى المالكية وغيرهم بكفر من قال ان النبوة مكتسبة والله أعلم (فان قيل) هلا أرسل الله تعالى الملائكة فانهم كانوا بتفهيم الملكية أدعى الى الحق والاستجابة لهم وكانت الكفرة لا تقول أبشراً منا واحداً نتبعه (فالجواب) أن هذا السؤال قد سبق من كفار مكة وأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً وقال تعالى ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون والمعنى في ذلك ان في الرسالة امتحاناً واختباراً فينظر تعالى وهو العالم بما يكون قبل أن يكون هل يقوم بهم داء الحسد فلا يطيعون ذلك الرسول أو يطيعونه وذلك ان الحسد موضوعه أن يكون بين الجنس الواحد فليس بين البشر والملك حسد ولذلك طلب كفار مكة أن يكون الرسول اليهم ملكاً لعدم الحسد بينهم وبين الملك بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم وأيضاً فان عامة البشر لا تطيق أن ترى الملائكة بأعيانهم وصفاتهم في صورهم فضلاً عن أخذ الكلام عنهم وانما يستأنس الجنس بالجنس ولا عجب من أن يفزع الآدمي من صورة الملك الذي يسد الخافقين بنشر جناح واحد * ولقد بلغنا ان الله تعالى خلق عجائب في أعالي الهند وأقاصي بلاد الصين وجزائرها أناساً اذا أبصروا أحداً منا خروا على وجوههم ميتين ولو أبصرنا واحداً صورة أحدهم لانشقت مرارته خيفة منه وفي القصر المشيد خلق لا يقع بصر أحد منا عليهم الا زاغ عليهم فمات لوقته وقد بلوا انساناً بحبال وثيقة وقالوا له أنظر ونحن نمسك فنظر اليهم فتمزع من الحبال ونزل اليهم قطعاً قطعاً * وحديث بدء الوحي مشهور فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوته وشهامته لما رأى الملك أولاً بحراء قاعداً على كرسي بين السماء والارض وله صوت هائل امتلأ منه رعباً وهوى من الجبل الى الارض وجاء الى بيت خديجة وهو يقول زملوني فعلى هذا لو بعث الله تعالى ملائكة رسلاً الى عباده لفروا منهم ولم يطيقوا سماع كلامهم بل ربما صعقوا من هيبتهم وماتوا كما قال تعالى ولو أنزلنا ملكاً لقضي الامر ثم لا ينظرون أي لماتوا من هيبته في الحال فقد بان لك فائدة كون الرسول من جنس المرسل اليهم وهو تمكنهم من الاخذ عنه لاستئناسهم بحكم الجنسية كما قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم وقال تعالى أيضاً وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم (فان قلت) فما التحقيق في قوله أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم هل جميع ما جاءت به الرسل مخالف لهوى النفس من كل وجه أم بعضه موافق لهواها (فالجواب) كما قال الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائتين ان الشرع لم يجيء لنا الا بمساعدة الطبع فلا ندري من أين جاء الانسان المشقة والكلفة وايضاح ذلك ان الصفات التي جبل عليها الانسان لا تتبدل فانها اذا تبدلت له في هذه النشأة الدنيوية والمزاج الخاص فلا يكاد يفارق الجبن والبخل والشح والحسد والتكبر والغلظة وطلب القهر وأمثال ذلك ثم لما سبق في علم الحق تعالى أن هذه الصفات لم تكن تتبدل جعل الله تعالى لها مصارف وأمر بصرفها اليها حكماً مشروعاً فان تبعت النفس تلك المصارف سعدت ونالت الدرجات العلى ٣ عن اتيان المحارم لما تتوقعه من المضرة لها دنيا وأخرى وشحت كذلك بدينها أن تقع في شيء ينقصه وحسدت من أنفق المال ابتغاء مرضاة الله وطلب العلم على وجه الاخلاص وحرصت على الخير أيضاً وتكبرت وتعززت بالله على من تكبر عن أمر الله وأغلظت القول والفعل في المواطن التي أمرها الله تعالى بها وطلبت القهر والغلبة لمن ناوى الحق وقاواه فقد بان لك ان صفات النفس لم تتغير في حد ذاتها وانما صرفت تلك الصفات في المصارف التي ندب الحق تعالى اليها لحمد ها ربها وملائكته ورسله وبيان ذلك أيضاً ان الحق تعالى لم يحجر على العبد ما يقتضيه طبعه بالكلية وانما حجر عليه البعض وما أهلك الناس الا ساعات الاغراض فانه الذي أدخل الالم عليهم والمكر ولو انهم كانوا صرفوا أغراضهم الى ما أراده لهم خالقهم واختاره لهم لاستراحوا وأطال الشيخ في ذلك (فان قلت) قوله تعالى نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء هل هو نور العقل مع نور الشرع أو غير ذلك (فالجواب)

في ثاني الحال اذا ظهر له بالدليل انه أخطأ حكم عليه لسان الظاهر انه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فعلم انه لا يمكن العبد أن يعصي ربه على الكشف من غير تأويل أو تزيين أو غفلة أو نسيان أبداً قال وأما قول أبي يزيد لما قيل له أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف فقال نعم وكان أمر الله قدراً مقدوراً فلا ينافي ذلك أي لان من أدب العارفين مع ربهم أن لا يحكموا عليه بتقييد كأنه يقول ان كان الحق تعالى قدر عليهم في سابق علمه بشيء فلا بد من وقوعه واذا وقع فلا بد لهم من حجاب أدناه التأويل والتزيين فاعلم ذلك * وقال في الباب الثامن ومائتين من مكر الله الخفي بابليس اشتغاله بالعارفين ليوقعهم في المخالفات وهو تعالى قد حفظهم من مطاوعته في ذلك فهو يعمل دائماً في غير معمل فكلما وسوس لولي في شيء خالفه ذلك الولي فيرقى بتلك المخالفة من حيث لا يشعر ابليس فهو لعنه الله ساع في تنقيصهم ليلاً ونهاراً وذلك عين رفع درجاتهم ولو أنه شعر بذلك لرجع عنهم فافهم * وقال في الباب التاسع ومائتين انما أحال الحق تعالى موسى على الجبل حين سأل رؤية ربه لان من صفات الجبل الثبوت أي فان ثبت الجبل اذا تجليت له فانك ستراني من حيث ما في ذاتك من ثبوت الجبال يقال فلان

كما قاله الشيخ محيي الدين ان المراد بهذين النورين نور الشرع مع نور التوفيق والهداية ولولا اجتماع هذين النورين ما كمل حال المكلف وذلك لان النور الواحد وحده لا يظهر له ضوء ولا شك أن نور الشرع قد ظهر كظهور نور الشمس من حين ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام ولكن الاعمى لا يبصر ذلك كما لا يبصر الخفاش شيأ في ضوء النهار ولذلك من أعمى الله تعالى بصيرته لا يؤمن به لعدم ادراكه ذلك النور ولو كان نور البصيرة موجودا ولم يظهر الشرع نور لم يدر صاحب نور البصيرة أين يسلك ولا كيف يسلك لانه طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا ما تنتهي اليه * فعلم ان الماشي في هذه الطريق ان لم يحفظ سراجه من الاهواء والاهبت عليه رياح زعازع أطفأته وأذهبت نوره ومرادنا بالزعازع كل شيء يؤثر في نور توحيده وايمانه فان هبت ريح لينة أمالت سراجه ولسانه يعني السراج حتى يحار في الطريق فتلك الريح كتبعات الهوى في فروع الشريعة وهي المعاصي التي لا يكفر بها الانسان ولا تقدح في توحيده وايمانه انتهى (فان قلت) فهل يشترط في وقوع العذاب على من خالف الرسل ثبوت رسالتهم عنده (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس والسبعين وثلثمائة نعم يشترط ثبوت رسالتهم عنده وذلك حتى ينبني عليه وجوب امتثال أمره واجتناب نهيه (فان قلت) فما صورة ثبوت الرسالة (فالجواب) ان تقوم الدلالة الظاهرة عند كل شخص ممن بعث اليهم سواء كانت بواسطة التواتر أو باشراق نور في القلب فرب آية يكون فيها غموض أو احتمال بحيث لا يدرك معناها بعض الناس ولا يعرف وجه دلالتها فلا بد أن يكون الدليل على صحة الرسالة واضحا في غاية الوضوح عند كل من قام له حتى يثبت عنده انه رسول وحينئذ ان جحد بعدما تبين وتيقن تعينت مؤاخذته ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولم يقل نبعث شخصا لانه لا بد أن تثبت رسالة المبعوث عند من وجه اليه كما مر وفي هذه الآية رحمة عظيمة للامة لما الخلق عليه من اختلاف الفطر المؤدي ذلك الى اختلاف النظر وما فعل الله ذلك الا ليفتح باب الرحمة على من يريد ان يرحمه من عباده (فان قلت) فما السبب الذي منع العبد من العمل بما سمعه من الدعاة الى الله تعالى مما يجب عليه العمل به وهل حكمه حكم من لم يسمع فيكون الحق تعالى قد تفضل عليه وعفا عنه أو حكمه حكم من علم فلم يعمل فعاقبه الله تعالى على ذلك عدلا منه فانه تعالى قال ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أي فانهم سمعوا ذلك حقيقة وفهموه لانه بلسانهم ثم قال تعالى وهم لا يسمعون أي حكمهم حكم من لم يسمع مع كونهم سمعوا (فالجواب) ان قرائن الاحوال تشهد بالعقوبة لمن يسمع ولم يعمل بما سمع ولكن الامكان لا يرتفع في نفس الامر في حق الموحدين لما يعرف من سعة رحمة الله وتجاوزه عن سيآت جميع الموحدين الا من شاء الله ولم يخبرنا الحق بحكم من قالوا سمعنا وهم لا يسمعون هل يعاقبهم أم لا (فان قلت) فهل الاولى دعاء الرسول بالالحاح للمدعو أو من غير الحاح (فالجواب) أن من شروط الداعي الى الله تعالى نفوذ البصر الى باطن المدعو وان رأى المدعو يمكنه الاجابة دعاه بالالحاح والادعاء بغير الحاح لاقامة الحجة عليه خاصة ولذلك لم تبعث الانبياء بالامر بالتوحيد الا للمشركين فقط كما ذكره الشيخ في آخر الباب الثاني والسبعين من الفتوحات قال وذلك لانهم أبعد الخلق عن الله تعالى فبعثوا اليهم بالتوحيد ليهدوهم الى طريق الهدى وهذا هو سر اهداء رسول الله صلى الله عليه وسلم البدن الى الكعبة مع ذكره فيها انه اشياطين ليثبت عند العقلاء العالمين بذلك أن مقامه صلى الله عليه وسلم رد البعداء عن حضرة الله وانما أشعرها في صفحة سنامها الايمن الذي هو أرفع ما فيها ينبه على كبرياء المشركين التي كانوا عليها في نفوسهم وأيضا فان الصفحة مشتقة من الصفح فكان في ذلك اشعار من الله تعالى أن يصفح عن هذه صفته اذا أراد التقريب من حضرة الله تعالى وانما جعل في رقابها النعال اشارة الى زوال الكبرياء والشيطنة التي كانت في البدن اذ لا يصفع بالنعال الا اخو الهون والذلة ومن كان بهذه المثابة فما بقي عنده كبرياء تظهر واهدى صلى الله عليه وسلم مرة غنما وهي من الحيوان الطاهر من الشيطنة فكان ذلك اشارة منه الى تقريب الموحدين في ترقيهم في مقامات التوحيد فقد علمت أن من حكمة بعثة الرسل أن يردوا الشاردين عن حضرة

جبل من الجبال اذا كان يثبت عند الشدائد والامور العظام وايضاح ذلك ان الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى وانما هو لكون خلق الارض التي الجبل منها أكبر من خلق موسى الذي هو من الناس كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أي فاذا كان الجبل الذي هو الاقوى صار دكا عند التجلي فكيف يكون موسى من حيث جبلته الصغيرة يثبت لرؤيتي وأطال في ذلك * وقال في الباب العاشر ومائتين من أراد أن يعرف بغض الحق أو محبته له فلينظر الى حاله الذي هو عليه من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والائمة المهتدين بعده فان وجد نفسه على هديهم واخلاقهم من الزهد والورع وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية وترك جميع المنهيات كذلك حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه فليعلم ان الله تعالى يحبه والا فليحكم بان الله يبغضه والانسان على نفسه بصيرة * وقال في الباب الحادي عشر ومائتين في قوله تعالى لا تدركه الابصار يحتمل ذلك وجهين احدهما انه نفى ان تدركه الابصار على طريق التنبيه على الحقائق أي على معنى ان المدرك له تعالى ليس هو الابصار وانما يدركه

الله اليها ويرقوا أهلها فى درجاتها والله أعلم * (خاتمة) * فى آثار بعثة الرسل اعلم ان من آثارها وجود القرينين اللذين هما الملك والشيطان فمن كان من أهل الفترات فلاقرين له بل هو يتصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيده خاصة فكل ماأتى فى ذلك الزمان من أحوال الموحدين فهو فيه على صراط مستقيم وأما من كان فى أمة بعث فيها رسول أو خلق فى أمة بعث فيها رسول فان القرينين يلزمانه من حين ولادته لاجل وجود الشرع (فان قلت) ان المولود غير مكلف حتى يبلغ الحنث فلماذا يقرن به هذان القرينان وهو لم يكلف (فالجواب) أن الله تعالى ماجعل هذين القرينين فى حق المولود نفسه وانما ذلك من أجل تربية والديه أو من كان فيه فيوسوس القرين الشيطانى فيبكى أو يلعب بيده فيفسد شيأ مما يكره والداه فساده أو غيرهما فتكون تلك الحركة الموجودة من المولود الغير المكلف شيأ مثيرا فى الغير ضجرا أو سخطا كراهية لفعل الله وتقديره فيتعلق به الاثم فلهذا قرن بالصغير الشيطان لالاجل نفسه فانه ليس له حركة نفسية ولاربانية حتى يبلغ الحلم (فان قلت) فاذا كان المولود فى زمن لاشرع فيه فهل يقال ان حركته نفسية أم لا (فالجواب) اذا لم يكن المولود فى أمة لها شرع فحركته كلها نفسية من حال ولادته الى أن يموت مالم يرسل اليه رسول أو يدخل هو فى دين الهى يتعبد به أى دين كان مشروعا من الله أو غير مشروع وحينئذ يوكل به القرينان اذ لم يكن للعقل وحده ان يشرع القربات (فان قلت) فما حكم من يكون على مكارم الاخلاق المعتادة فى العرف المحبوبة بالطبع المدركة بالعقل (فالجواب) مثل هذا لاحكم عليه بحكم يقطع به على الله تعالى فان العقل لايدرك ان ثم آخرة ولاجنة ولانارا ولاحشرا بعد الموت ولايعرف هذا المدرك بدنه ماهو وانما يدرك ذلك من جهة اخبار الشارع عن الله عز وجل كما مر فى مبحث المعجزات (فان قلت) فهل القرينان خاصان بالجن والانس فى دار التكليف أم يكونان لهما ولغيرهما حتى فى الجنة (فالجواب) ان القرينين خاصان بالجن والانس فى دار التكليف فقط فان كل مخلوق سوى الانس والجن مفطور على تعظيم الله والتسبيح بحمده لايعصى الله ماأمره وكذلك أعضاء جسد الانسان وجسد الجنى ولكن تسبيح هؤلاء الاعضاء لاعلى جهة التقريب وابتغاء المنزلة العظمى بل يتنعشون بذلك كالانفاس الداخلة والخارجة وكتسبيح الجن والانس فى الجنة والنار فانه لاعلى طريق القربة المكلف بها ولاتنتج لهم قربة لانقضاء زمن التكليف فكل واحد من الخلق هنالك على مقام معلوم فى تسبيحه وتحميده لكون العادة صارت هنالك طبيعية تقتضيها حقيقة كل أحد وبرتفع التكليف والوقوع فى المخالفات فلايصير القرين يحدث شيأ يكتبه والله تعالى أعلم

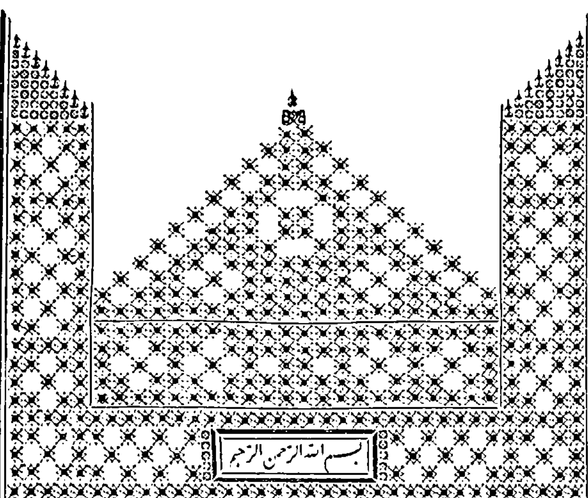
(تم الجزء الاول من كتاب اليواقيت والجواهر ويليه الجزء الثانى أوله المبحث الحادى والثلاثون)

المبصرون بالابصار * والوجه الثانى لاتدركه الابصار المقيدة بالجارحة لضعفها عن مقابلة النور الالهى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نور انى اراه لمن سأله هل رأيت ربك يعنى بالبصر المقيد بالجارحة فعلم ان الابصار اذا لم تتقيد بالجارحة ادركته تعالى بنوره الذى وقع فيه التشبيه بالمصباح لابنورها المقيد الذى يقبل التشبيه وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثالث عشر ومائتين ماذكر الله تعالى قط احد عن غفلة بجوارحه كلها الا ان اللسان الذى هو المترجم قد ذكروا انما الغفلة عن شعور الذاكر بانه ذاكر فالذاكر باللسان أجوذ كر اللسان فهو أفضل من ترك الذكر جملة * وقال فى الباب السادس عشر ومائتين من ارتفع حجابه رأى من ورائه كما يرى من امامه بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد * وقال فى الباب التاسع عشر ومائتين فى قوله تعالى أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون انما قال سبحانه وتعالى أأنتم تخلقونه ولم يقل أأنتم تخلقون منه أو فيه لانه تعالى أراد عين ايجاده منيا خاصة والاسم المصور هو الذى يتولى فتح الصورة فيه أية صورة شاء من الجنس أو غيره وهو قوله تعالى فى أى صورة ماشاء ركبك يعنى شاء الاسم المصور

(الجزء الثاني)

من كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر
للامام العارف الرباني سيدي عبد الوهاب
الشعراني نفعنا الله والمسلمين
ببركاته وأفاض علينا
من نفحاته
آمين

*(وعلى الهوامش بقية كتاب الكبريت الاحمر في بيان علوم
الشيخ الاكبر صاحب اليواقيت والجواهر المذكور ضاعف
الله تعالى له أسنى الاجور)*



(المبحث الحادى والثلاثون)

فى بيان عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من كل حركة أو سكون أو قول أو فعل ينقص مقامهم الا كمل وذلك لدوام عكوفهم فى حضرة الله تعالى الخاصة فتارة يشهدونه سبحانه وتعالى وتارة يشهدون أنه يراهم ولا يرونه ولا يخرجون أبدا عن شهود هذين الامرين ومن كان مقامه كذلك لا يتصور فى حقه مخالفة قط حقيقية وانما هى مخالفة صورية كما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى وتسمى هذه حضرة الاحسان ومنها عصم الانبياء وحفظ الاولياء فالاولياء يدخلون ويخرجون والانبياء مقيمون فيها ومن أقام فيها من الاولياء كسهل بن عبد الله التسترى وسيدى ابراهيم المتبولى فانما ذلك بحكم الارث والتبعية للانبياء استمدادا من مقامهم لا بحكم الاستقلال فافهم اذا علمت ذلك فلنذكر لك نقول المتكلمين فى مبحث العصمة ثم نقول الصوفية فنقول وبالله التوفيق * قال أئمة الاصول الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون لا يصدر عنهم ذنب ولو صغيرة سهوا ولا يجوز عليهم الخطأ فى دين الله قطعا وفاقا للاستاذ أبى اسحق الاسفراينى وأبى الفتح الشهرستانى والقاضى عياض والشيخ تقى الدين السبكى وغيرهم وقال جماعة لا ينبغى اجراء الخلاف فى الانبياء والمرسلين أبدا وانما الخلاف فى الانبياء الذين لم يرسلوا وهو كلام محشو أدبا وذلك لتوقف حجية الرسل على القول بالعصمة وأيضا فان الرسول مشرع لنا بجميع أقواله وأفعاله وتقريراته فلو أنه صدق عليه الوقوع فى معصية لم يصدق عليه تشريع المعاصى ولا قائل بذلك أبدا وعبارة الشيخ محيى الدين فى الفتوحات ويشترط فى حق الرسول العصمة فى جميع ما يبلغه عن الله عز وجل فان عصم فى غير ما يبلغه فن مقام آخر كأن يخاطب بالتأسى به فيصير ذلك التأسى أصلا لا يجوز عليه فيه فعل حرام قطعا ولا فعل مكروه الا لبيان الجواز اه وكان امام الحرمين رحمه الله يقول من جوز وقوع الصغيرة من الانبياء سهوا قيدها بغير الدالة على الخسة كسرقة لقمة والتطفيف فى الكيل والوزن بتمرة مثلا ثم لا بد أن ينبهوا عليها على الفور وأما استغفاره صلى الله عليه وسلم أكثر من سبعين مرة كما ورد فكان لاجل الترقى فى المقامات فكان يستغفر

* وقال فى الباب الخامس والعشرين ومائتين فى قول الله عز وجل حكاية عن ابراهيم عليه السلام رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى أى بلى آمنت ولكن لوجود الاحياء وجوه كثيرة كما كان وجود الخلق فمن الخلق من أوجدته يارب عن كن ومنهم من أوجدته بيدك ومنهم من أوجدته بيديك ومنهم من أوجدته ابتداء ومنهم من أوجدته عن خلق آخر فطلبت العلم بكيفية الامر فان كان واحدا فأى واحد من هذه الامور والانواع فاذا أعلمتنى به اطمأن قلبى وسكن بحصول ذلك الوجه والزيادة من العلم مما أمر تنابه فأحال سبحانه وتعالى ابراهيم على الكيفية بالطيور الاربعة التى هى مثال الطبائع الاربعة اخبارا بان وجود الآخرة طبيعى يعنى فتحشر الاجسام الطبيعية اذ كان ثم من يقول لا تحشر الاجسام وانما الحشر حشر النفوس بالموت الى النفس الكلية مجردة عن الهياكل الطبيعية فأخبر الله تعالى ابراهيم ان الامر ليس هو كما زعم هؤلاء فأحاله على أمر موجود عنده تصرف فيه اعلاما بان الطبائع لو لم تكن معلومة مشهودة متميزة عند الله لم تتميز فما أوجد العالم الطبيعى الا من شئ معلوم عنده مشهود له نافذ التصرف فيه فجمع بعضها الى بعض

من كل مقام ترقى عنه وثم مقام رفيع وارفع وكان الامام الجنيد يقول فى حديث انه ليغان على قلبي فاستغفر الله تعالى فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة ان المراد انه ليغان على قلبي مما اطلعت عليه مما يقع لامتى بعدى من المخالفات فاستغفر الله لهم أكثر من سبعين مرة اه وقال جماعة من علماء الاصول الانبياء الذين لم يرسلوا معصومون قطعا من غير خلاف ومن قال فيهم غير ذلك فعليه الخروج من عهدته بين يدى الله عز وجل وبين يديهم فان بداية النبوة تؤخذ من بعد انتهاء الولاية فمن أين يتعقل الواحد منا اليهم ذنوب الانبياء وقد قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين فافهم والزم الادب وأجب عن الانبياء عليهم السلام جهدك كل من كان فى حجاب عن مقامهم وأى فائدة لتجريح من عدله الله تعالى هل يثاب أحد على ذلك لا والله بل ذلك الى الاثم أقرب * وقال الشيخ أبو طاهر القزوينى فى الباب الخامس والثلاثين من كتاب سراج العقول يجب تنزيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن كل ما يتبادر الى افهامنا من ذكر خطاياهم فان خطاياهم لا ذوق لنا فيها وان الله تعالى لما اصطفى الانبياء فى سابق علمه للنبوة واداء الرسالة رشحهم لذلك فى مبادى أمورهم وحماهم من مكايد الشيطان وصفى سرائرهم من الكدورات وشرح صدورهم بنور وزينهم بالاخلاق الجليلة وطهرهم عن الرجس ولهذا لما روى فى الصحيح ان جبريل أتى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الصبيان فأخذه وصرعه وشق عن قلبه فاستخرج منه شبه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب من ماء زمزم ثم لأمه وعاد كما كان فى مكانه * قال وصورة الشق ليست مثل شق الذبح بالسكين وانما المراد به كشف باطنه بيد جبريل من غير ألم يصيبه أودم يصيبه وحاشى حشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك * قال وهذا قريب من اخراج الله الذرية من ظهر آدم عليه السلام بمسح اليد كما يليق بجلاله وسبب توقف العقول الضعيفة وقوع الاشتباه فى مثل ذلك تعذر الخروج عن المألوفات وذلك قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك فلم يكن فيه بعد ذلك للهوى منفذ ولا للشيطان عليه سبيل وأطال فى ذلك * وقال الشيخ العارف بالله تعالى الجامع بين الطريقين سيدى عبد العزيز الدرينى رضى الله عنه لا يجوز قطعا نسبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الى الذنوب على حد ما نتعقله نحن وانما سماه الله تعالى فى حقهم معصية وخطيئة وذلك لان مقامهم الارفع لا ذوق لنا فيه ولو ارتفعت درجته فضلا عن غيره من أمثالنا وذلك لانهم معصومون من الوقوع فى ذنوبنا وغاية خطاياهم انما هو مثل نظره الى مباح أو لفظة اشتهار عونه ومكر وه وباطنها علم وصلاح مثل قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى معرض اقامة الحجة على قومه بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم وكما وقع له من قوله انى سقيم حتى لا يخرج مع قومه الى ما دعوه اليه من اللهو واللعب أى ما آل الى السقم ونحو ذلك اه وقال الشيخ فى الباب الثانى والسبعين وثلثمائة من الفتوحات المكية يجب قطعا تنزيه الانبياء مما نسبه اليهم بعض المفسرين من الطامات الكبرى مما لم يجئ فى كتاب ولا سنة صحيحة وهم يزعمون انهم قد فسروا قصصهم التى قصها الله تعالى علينا وكذبوا والله فى ذلك وجاؤا فيه بأكبر الكبائر وذلك كمسئلة ابراهيم الخليل عليه السلام وما نسبوا اليه من وقوع الشك بحسب ما يتبادر الى الاذهان وما نظروا فى قوله صلى الله عليه وسلم نحن أولى بالشك من ابراهيم وذلك ان ابراهيم عليه السلام لم يشك فى احياء الله الموتى معاذ الله ان يشك نبى فى مثل ذلك وانما كان يعلم ان لاحياء الله الموتى طرقا ووجوها متعددة لم يدر بأى وجه منها يكون احياء الله تعالى للموتى وهو مجبول على طلب الزيادة من العلم فعين الله تعالى له وجها من تلك الوجوه فسكن ما كان عنده وعلم حينئذ كيف يحيي الله الموتى فما كان السؤال الا عن معرفة الكيف لا غير وكذلك القول فى قصة سليمان وما نسبوه الى الملكين ببابل هاروت وماروت كل ذلك لم يرد فى كتاب ولا سنة وانما ذلك نقل عن اليهود فاستحلوا أعراض الانبياء والملائكة بما ذكروه من تجريحهم أنبياء الله تعالى وملؤا تفاسيرهم للقرآن من ذلك فالله تعالى يحفظنا واخواننا من غلطات الافكار والافعال والاقوال آمين اه * وقال أيضا فى الباب الرابع والخمسين ومائة ينبغى للواعظ أن يراقب الله تعالى فى أنبيائه وملائكته

فظاهر الجسم على هذا الشكل الخاص وبان لابراهيم باحالته على الاطيار الاربعة وجود الامر الذى فعله الحق تعالى فى ايجاد الاجسام الطبيعية والعنصرية فاجسام أهل السعادة طبيعية وأجسام أهل النار عنصرية ولذلك لا تفتح لهم أبواب السماء اذ لو فتحت لخرجوا عن العناصر بالترقى فافهم هذا والله تعالى أعلم * وقال فى الباب الحادى والثلاثين ومائتين من أعظم المكر بالعبد أن يرزق العلم الذى يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رأيت يا أخى هذا من نفسك أو علمته من غيرك فاعلم ان المتصف به ممكور به * وقال فى الباب الرابع والثلاثين ومائتين من النكت الجليلة التى ينبغى التنبيه عليها ان تعلم يا أخى ان المؤمن لا يأتى قط معصية توعد الله عليها بالعقوبة الا ويجد فى نفسه عند الفراغ منها الندم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقد قام به الندم فهو تائب فاذا قبلها الحق سقطت عنه العقوبة فانه لابد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها فى حال عملها فهو من كونه كارها لها ومتأثما منها معصية ونادما عليها ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلا لها ذو عمل سيئ فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله

ويستحي من الله عز وجل ويجتنب الطامات في وعظه كالقول في ذات الله بالفكر والكلام على مقامات الانبياء عليهم السلام من غير أن يكون وارثا لهم فلا يتكلم قط على زلاتهم بحسب ما يتبادر الى أذهان الناس بالقياس على غيرهم فان الله تعالى قد أثنى على الانبياء أحسن الثناء بعد أن اصطفاهم من جميع خلقه فكيف يستحل اعراضهم بما ذكره المؤرخون عن اليهود فقل ثم ان لداهية العظمى حملهم ذلك تفسير الكلام الله تعالى ويقولون في تفسيرهم قال المفسرون في قصة داود انه نظر الى امرأة أوريا فأعجبته فأرسله في غزاة الموت فيأخذها وكقولهم في قصة يوسف عليه السلام انه هم بالمعصية وان الانبياء لم يعصموا عن مثل ذلك وكقولهم في قصة قوم لوط لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد العجز والتحري ونحو ذلك ويعتمدون على تأويلات فاسدة وأحاديث واهية نقلت عن قوم قالوا في الله ما قالوا من البهتان والزور فمن أورد مثل ذلك في مجلسه من الوعاظ مقته الله والانبياء والملائكة لكونه جعل ذلك جزاء لهاد المن في قلبه زيغ يدخل منه الى ارتكاب المعاصي ويحتج بما سمعه منه في حق الانبياء ويقول اذا كان الانبياء وقعوا في مثل ذلك فمن أكون أنا وحاشا الانبياء كلهم عن ذلك الذي فهمه هذا الواعظ فوالله لقد أفسد هذا الواعظ الامة وعليه وزر كل من كان سببا لاستهانته بما وقع فيه من المعاصي ولكن قدر رداته لا تقوم الساعة حتى يصعد الشيطان على كرسي الوعظ ويعظ الناس وهؤلاء من جنوده الذين يتقدمونه اه (فان قلت) فما الفرق بين العصمة والحفظ (فالجواب) الفرق بينهما ان الانبياء معصومون من المباح لهوى أنفسهم بخلاف الاولياء فاذا فعل الانبياء المباح لا يفعلونه لهوى نفوسهم كغيرهم وانما يفعلونه على جهة التشريع انه مباح فهو واجب عليهم حينئذ يعني فعل المباح اذا التبليغ واجب عليهم ذكره الشيخ محيي الدين في آخر باب سجود التلاوة من الفتوحات المكية * وقد حبب لي أن أذكر لك بعض أجوبة عن بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبتدئا بآدم عليه السلام خاتما بمحمد صلى الله عليه وسلم فتحا الباب الاجوبة عن باقيهم فأقول وبالله التوفيق

اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام أول فاتح لباب التوبة حين وقع على يديه ما وقع من أكل الشجرة بعد النهي عنها فكانت معصية صورية ليعرف بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا في المنهي عنه لانه عليه السلام هو فاتح القبضة ولو لم يقع ذلك على يديه لوقع على يد غيره وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والثلاثين من الفتوحات كانت معصية آدم عليه السلام من عين نعمة الله تعالى عليه لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينتقلون قط من حال الا الى أعلى منه اذ ان الله تعالى اجتباهم واصطفاهم بسابق العناية فلا يمكر الحق تعالى بهم أبدا * قال ومن هنا يعلم أن هبوط آدم عليه السلام وحواء الى الارض لم يكن عقوبة لهما وانما كان عقوبة لابليس وحده فان آدم عليه السلام أهبط بصدق الوعد السابق بأن يكون خليفة في الارض من بعد ما تاب الله عليه واجتباه وبعد ما تلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فكان اعترافه عليه الصلاة والسلام في مقابلة قول ابليس أنا خير منه الخ فعرفنا الحق تعالى مقام الاعتراف عند الله تعالى وما ينتجه من السعادة لنتخذ ذلك طريقا اذا خالفنا أوامر ربنا فكان ما وقع من آدم كالتعليم لبنيه اذا وقعوا في مخالفة كيف يكون خلاصهم وتنصلهم منها كما مر وأما ابليس فعرفنا الحق تعالى بدعواه الخيرية أن كل من اتبعه في هذه الدعوى طرد عن حضرة الله ولعن ورجم لنحذر من أن نقول نحن خير من فلان فلذلك كان هبوط ابليس الى الارض عقوبة له دون آدم فما أهبط ابليس الى الارض الا لاكتساب الاوزار بخلاف آدم عليه السلام فانه أهبط للخلافة والترقي في الدرجات فان جميع حسنات بنيه في صحائفه وليس عليه من أوزارهم شئ (فان قلت) ان معصية ابليس لا تقتضي تأبيد الشقاء لانه لم يشرك بالله شيأ وانما افتخر على آدم عليه السلام بما جبله الله عليه من الطبيعة التي هي النار لكونها أقرب الى اسمه تعالى النور ولما فيها من الاضاءة بخلاف الطين (فالجواب) انما جاءه الشقاء الابدي من اعتراضه على الله ونسبة أفعاله الى غير الحكمة مع اضماره في نفسه أنه لو بقي أبد الآبدين لوسوس للناس بالضلال فجوزي بنظير فعله ونيته ورجع عليه وزر كل مشرك على وجه الارض وقد

قال

واجبة الوقوع فلا بد له من التوبة وحاصل الامر انه ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وذو عمل سيئ من وجه واحد كما مر * وقال في قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره لم يتعرض سبحانه في هذه الآية للمؤاخذة به ولكن لا بد من رؤية الكل ما عمله فان كان ممن غفر له فانه يرى عظيم ما جنى وعظيم نعمة الله عليه بالمغفرة والكرم اذا توعد تجاوز وعفا والله أولى بهذه الصفة من الكرام من عبيده وأطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب الخامس والثلاثين ومائتين لا يجوز لاحد التواجد الا باشارة شيخ مرشد عارف بامراض الباطن (قلت) قال في الباب السادس والثلاثين ومائتين من شرط أهل الله في السماع ان يكونوا على قلب رجل واحد وان لا يكون فيهم من ليس من جنسهم أو غير مؤمن بطريقهم لان حضور مثل هؤلاء يشوش * وقال في الباب السابع والاربعين ومائتين استغفار الانبياء لا يكون عن ذنب حقيقة كذنوبنا وانما هو عن أمور تدق عن عقولنا لانه لا ذوق لنا في مقامهم فلا يجوز حمل ذنوبهم على ما نتعقله نحن من الذنب (قلت) ويصح حمل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر على نسبة الذنب اليه من حيث ان شريعته هي التي حكمت

قال الشيخ أبو مدين انما خلد أهل الجنة والنار بالنيات والا فكان العدل أن يعذب الكفار بقدر مدة عصيانهم (فان قلت) فهل قوله حين تبرأ من الذين كفروا بقوله انى أخاف الله رب العالمين توحيد يسعد به أم لا (فالجواب) ليس هو بتوحيد لانه لا يقدر يوسوس لاحد بالشرك حتى يتصور في نفسه على الصورة التى اذا حصلت في نفس المشرك زالت عنه صورة التوحيد فاذا تصورها في نفسه كهذه الصورة فقد خرج عن التوحيد ضرورة فلم يسعد به فكان ابليس مشركا في نفسه بلا شك ولا ريب ثم لو قدر أن صفة الشرك ذهبت من نفسه لم يجد المشرك في نفسه من يحدثه بالشرك * فاعلم ان ابليس أول مشرك بالله وأول من سن الشرك فهو أشقى العالمين (فان قلت) فما الحكمة في قوله تعالى في آدم عليه السلام عصى وفي ابليس أبى (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة ان ذلك من علوم الاسرار ولا يذكر الا مشافهة لاهله (فان قلت) فهل ابليس يجهل شيأ من شرائع الانبياء عليهم السلام (فالجواب) هو عالم بها كلها على الكمال وذلك انه يوسوس للناس بضد ما أمرت الانبياء به ولولا علمه بالرعيا التبس عليه الامر فامر الناس بما أمرت به الرسل وذلك لا يصح منه وقد ذكر الشيخ في باب الحج من الفتوحات ان من أغرب الامور ان ابليس يقف كل سنة مع الناس ولكن لا يقف في عرفة وانما يقف في عرنة بفتح الراء وهى من عرفات فيقف يبكى على ما فاته من طاعة الله عز وجل ويحزن على ما فاته ولما يراه يحصل لاهل الموقف من المغفرة العامة فيقف بعرنة لعلمه انها من عرفة رجاء أن تصيبه الرحمة من باب الامتنان لا من باب الاعمال الصالحة قال وانما لم تطرده الملائكة عن عرنة لعلمهم بان عنده معرفة الله عز وجل ودخول المشركين المساجد جائز في الجملة اه (فان قلت) فما الحكمة في وقوع آدم عليه السلام في أكله من الشجرة ثم نزوله بعد ذلك الى الارض التى هى دون الحضرة التى كان فيها (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثلاثين ان الحكمة في ذلك كله تأنيس العلماء والاولياء اذا وقعوا في زلة فانحطوا عن مقامهم العلى وظنوا انهم نقصوا بذلك عند الله تعالى فيعلمون بقصة آدم عليه السلام ان ذلك الانحطاط الذى أحسوا به في نفوسهم لا يقضى بشقائهم ولابد فربما يكون هبوطهم كهبوط آدم للتكريم والحق تعالى لا يتحيز والوجود العلوى والسفلى كله حضراته فليست السماء التى أهبط منها أقرب الى الحق من الارض واذا كان الامر على هذا الحد فعين هبوط الولى في عيون الناس بعد الزلة وذله وانكساره بسببها هو عين الترقى فقد انتقل بالزلة الى مقام أعلى مما كان فيه لان علو الولى انما يكون بزيادة المعرفة والحال وقد زاد هذا الولى بحصول الذلة والانكسار من العلم بالله تعالى ما لم يكن عنده قبل الزلة وهذا هو عين الترقى فعلم أن من فقد هذه الحالة في زلته ولم يندم ولم ينكسر ولا ذل ولا خاف مقام ربه فهو في أسفل سافلين ونحن ما نتكلم الا على زلات أهل الله عز وجل اذا وقعت منهم قال تعالى ولم يصروا على ما فعلوا الآية وقال صلى الله عليه وسلم الندم توبة وقيل لابى يزيد البسطامى أيعصى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا فلم يقل لا يعصى ولا انه يعصى أدبا مع الله تعالى ومعنى وكان أمر الله قدرا مقدورا أى ان معصية أهل الله تعالى بحكم القدر النافذ فيهم لا غير ولا يصح في حقهم أن يقعوا في المعاصى قط بشهوتها كما يقع فيها غيرهم لان في ذلك انها كالحرمات الله تعالى وأهل الله تعالى محفوظون من شهوة المعاصى والتلذذ بها لان الايمان المكتوب في قلوبهم يمنعهم من ذلك * قال سيدى على الخواص رحمه الله تعالى ومن حكمة وقوع العبد في المخالفة للاوامر وقوعه في مقام الادلال بالطاعات وعجبه بها فان توالى الطاعات الصرف لابد لا ونها تورث غالب الناس الزهو والعجب وشهود أنهم خير من كثير من الناس وهذا غاية البعد من حضرة الله عز وجل وما جعل الله تعالى التكاليف الا ليذل بها النفوس بين يديه ولا يرى بها المكلف شرف نفسه على أحد من خلق الله تعالى فان ذلك ذنب ابليس الذى أخرج به من حضرة الله عز وجل وكل من ادعى مقام القرب مع عدم الاذلال فهو كاذب اه (فان قلت) قد ورد أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة اسود جسده وقد يتبادر الى الاذهان أن ذلك يؤذن بان آدم

بانه ذنب فلولا أوحى به اليه ما كان ذنبا فجميع ذنوب أمته تضاف اليه والى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبى ذكره الله وقد قالوا لم يعص آدم وانما عصى بنوه الذين كانوا في ظهره فما كان قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الا تعليمنا له صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى قد غفر جميع ذنوب أمته التى جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة باقامة الحدود عليهم في دار الدنيا كما وقع لماعز ومن الواجب على كل مؤمن امتثال الاجوبة للاكابر جهده وذلك مما يحبه الله عز وجل ويحبه من أحبنا منهم فافهم هذا اعتقادنا الذى نلقى الله تعالى عليه ان شاء الله تعالى * وقال في الباب الثامن والاربعين ومائتين لابد لطالب طريق الله تعالى من رمى ما بيده من الدنيا ان كان بلا عائلة ولا شيخ وان كان تحت تربية شيخ معتبر رماه بين يدى الشيخ وخرج عنها بالكلية ظاهرا وباطنا ولا يبقى له قط ملكا قال ولا ينبغى له ان ينتظر حالة ينشرح لاخراج ما بيده من الدنيا بل يرميه ولو كان في باطنه محبة له قال وهكذا كان خروجنا عما بأيدينا من المال اذ لم يكن لنا اذ ذاك شيخ نحكمه في ذلك قال ثم انى لم أسأل ما جرى لذلك المال الى يومى هذا وأطال في الاستدلال على ذلك وقال

عليه السلام أثرت فيه المعصية نقصا فما (فالجواب) ليس اسوداده علامة على نقصه بل هو علامة على حصول سيادته كما ذكره الشيخ في الباب الثاني والسبعين في الكلام على حديث نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم قال وكذلك القول في اسوداد جسد آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة يدل على سيادته لان ذلك أورثه الاجتباء والاصطفاء ولولا أكله من الشجرة ما ظهرت سيادته وكذلك الحجر الاسود لما خرج من الجنة وهو أبيض فلابد من أثر يظهر عليه تعرف به سيادته في دار الدنيا اذا رجع الى الجنة ويتميز به عن اقرانه ويظهر به عليه خلعة التقريب الالهي فجعله يمين الله في الارض ولم يكن من الاكوان ما يدل على السيادة الا اللون الاسود فكساه الله تعالى لون السواد اعلاما لنا بأنه صار سيدا بخروجه من الجنة الى الدنيا (قلت) ولعل من هذا القبيل جعل ستر الكعبة أسود وكذلك عمائم خلفاء بني العباس وغيرهم ولعل ذلك هو سر لبسه صلى الله عليه وسلم العمامة السوداء يوم فتح مكة اظهارا لسيادته على الخلق من باب التحدث بالنعمة فعلم ان معنى قوله في الحديث فسودته خطايا بني آدم أي جعلته سيدا بتقبيلهم اياه وكذلك القول في اسوداد جلد آدم هو يدل على سيادته لان هبوطه الى الارض هبوط خلافة لا تناسل والترقي (فان قلت) فما الوجه الجامع بين سواد الحجر وجلد آدم وبنيه (قلنا) وجهه الاجتباء والسيادة فكان تقبيل الحجر يشبه الاجتباء والاصطفاء لآدم عليه السلام وبنيه بسبب خطاياهم (فان قلت) فلم أمر الناس بالسجود على هذا الحجر وتقبيله والتبرك به (فالجواب) انما أمروا بذلك ليكون كفارة لهم من خطاياهم فظهرت سيادته بذلك وحصل به تمييز القائم بآداب العبودية والمخل بالقيام بها فان بني آدم ربما زهوا بالصورة التي خلقوا عليها أو بالكمالات التي خلعها الحق عليهم على ما سواهم فأمرهم الحق تعالى بالسجود الى جهة الجماد الذي هو الكعبة مع انه أنقص رتبة منهم فمنهم من أطاع فرضي الله تعالى عنه ومنهم من عصى فسخط الله عليه * (فان قلت) قال القوم ان حصول معرفة الله عز وجل للعبد تمنعه من الوقوع في معصية الله وآدم عليه الصلاة والسلام من رؤس العارفين بالله عز وجل فكيف وقع في أكله من الشجرة * (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع ومائتين أن المعرفة تمنع العارف بلاشك ولكن اذا أراد الله تعالى ان يوقع أحدا من الاكابر فيما قدره عليه لحكمة سبق بها علمه فلابد أن يزين الله تعالى له الوقوع في ذلك بتأويل يقع له فيه وجه الحق ولا يقصد بذلك العمل انتهاك الحرمة كما وقع لآدم عليه السلام ثم اذا وقع ذلك المقرب في المعصية بذلك التأويل أظهر الله له فساده فاذا تحقق بعد الوقوع انه أخطأ علم أنه عصى فعند ذلك يحكم عليه لسان الشريعة بأنه عصى ويشهد على نفسه عند نفسه انه عصى وأما في حال وقوع الفعل منه فلا لاجل شبهة التأويل فهو كالمجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقادا منه أن ذلك عين الحكم المشروع في المسئلة وفي ثاني الحال يظهر له بالدليل انه أخطأ فيكون لسان الظاهر يحكم عليه انه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك (فان قلت) فهل تكون عقوبة العارفين على الذنب أشد أم عقوبة الجاهلين (فالجواب) أن عقوبة العارفين بالله تعالى أشد لشدة اعتناء الحق تعالى بهم وربما كانت زلة العارف ترجع على سبعين زلة من زلات الجاهل ولو لم يكن من عقوبة العارف الا ما يحصل عنده من الاستحياء والخجل لكان ذلك كفاية بل ربما كان ذلك الخجل أشد على العارف من العقوبة الظاهرة كما ان المغفرة أشد عليهم من العقوبة وذلك لان العقوبة جزاء فيجد العبد الراحة عند الاستيفاء منه فهو بمنزلة من أوفى دينه والغفران ليس كذلك فلا يزال العارف ملازم الخجل والحياء مدة طويلة وذلك أشد من العقوبة الشديدة في يوم وتنقضي كما قال تعالى والفتنة أشد من القتل ولهذا المعنى الذي ذكرناه كان الحق تعالى اذا اعتنى بعبده وغفر له ذنبه أحال بينه وبين تذكره وأنساه اياه لانه لو تذكره لاستحى ولا عذاب على النفوس الطاهرة الشريفة أعظم من أن ينعم عليها من هي مسيئة في حقه حتى ان صاحب الحياء يود أنه لم يكن شيأ مذكورا كما قالت الكاملة ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا مع أن حياءها انما كان من المخلوقين حين نسبوا اليها ما لا يليق بها ولا بأبيها ولا أمها

في الباب الاحد وخمسين ومائتين في قوله تعالى وقل رب زدني علما اعلم ان كل من طلب الزيادة من شئ فما ارتوى منه ولذلك لم يأمر الحق سبحانه وتعالى بطلب العلم الى وقت معين ولا حد محدود بل أطلق طلب الزيادة والعطاء دنيا وآخرة فلا يزال طالب العلم عطشان لا يروى أبدا لانه كلما نال علما أعطاه ذلك العلم الاستعداد لعلم آخر كوني أو الهي فما قال بالري الا من جهل ما يتجلى فيه على الدوام والاستمرار ومن لا علم له بنفسه فلا علم له بربه واذا كان الحق تعالى لم يزل خلاقا الى غير نهاية فينا فالعلوم الى غير نهاية وأطال في ذلك * وقال في الباب الثاني والستين ومائتين اعلم ان الشريعة تسمى حقيقة لانها حق كلها والحاكم بالشريعة على حق وهدى من الله وان كان المحكوم له على باطل والمحكوم عليه على حق لكن هل هو عند الله كما حكم هذا الحاكم أو كما هو في نفس الامر قال بكل جماعة قال والمسئلة تحتاج الى سبر ادلة وتحقيق نظر فان العقوبة قد أوقعها الله في الرامين المحصنات وان صدقوا اذا لم يأتوا بأربعة شهداء وقال في قضية خاصة في ذلك كان الرامي كاذبا ثم الولاء اذا علم بأربعة شهداء كما قرر في الحكم فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون فقوله أولئك هل يريد بهم ذه الاشارة هذه القضية

كما أشار اليه قوله تعالى ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فبرأها الله تعالى مما نسب اليها لاجل مانالها من عذاب الحياء من قومها فكيف بالحياء من رب العالمين فيما اقترفه العبد من تعدى حدوده ومجاهرته بالمعاصى (فان قلت) فهل يلزم من كون الحق تعالى ينسى عبده سيآته أن تكون بدلت بحسنات كما أشار اليه قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات (فالجواب) لا يلزم ذلك ولكن قال بعض العارفين ان فى نسيان العبد ذنوبه بالكلية بشرى عظيمة من الله بانه يبدل سيآته حسنات فان من علامة التبديل نسيان الذنب وذلك ان الذنب اذا بدله الله بحسنات لم يبق للذنب صورة وجود من الوجودات الاربع ويؤيد ذلك قول بعض العارفين كل ذنب لم يذهب من ذهن الانسان فليحدث له توبة جديدة فانه الى الآن لم يبدل ولكثرة من الاستغفار طول عمره فوالله ما خلقنا الا لامر عظيم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما أنسى الله تعالى خواص أوليائه ذنوبهم رحمة بهم لان العبد كلما تذكر ذنبه فكأنه يجعل بينه وبين الله تعالى صورة قبيحة تؤذن بالبعد ولهذا قالوا ذكر الجفاء فى وقت الصفاء جفاء انتهى * وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول لما أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر كان ذكر الذنب عليه أشد من الذنب لصفاء الحضرة التى كان فيها على ان تلك الذنوب لا تشبه أمثالنا كما مر لانها ذنوب بالنظر الى مقامه الشريف من باب حسنات الابرار سيآت المقربين كما بلغنا ان شخصا من العارفين مر على جدار فانتحب عنده بالبكاء فقيل له ما سبب هذا البكاء فقال وقع لى أننى تيممت من تراب بغير اذن صاحبه وهذا الذنب لا يكاد يبكى عليه أحد ولو من صالحى زماننا فضلا عن غيرهم * وقال الشيخ محيى الدين فى الباب السابع ومائتين من الفتوحات من حين نزل قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وتأمل النبى صلى الله عليه وسلم من ذكر الذنب فما نزل عليه جبريل قط الا فى صورة دحية وكان قبل نزول هذه الآية ينزل عليه فى أى صورة شاء وكان دحية أجمل أهل زمانه فكأن الحق تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم بلسان الحال ما بينى وبينك الا صورة الجمال والحسن لانك أعظم حبيب وفى آداب الملوك انه ينبغى للوزراء أن لا يكون فى أحد منهم عاهة من برص أو جذام أو تشويه خلقة وأن لا يحضر بين يديهم قط أحد فى بدنه عاهة بل يقضون حاجته من غير أن يقفوه بين يدى السلطان فافهم وكان من كمال دحية انه ما رآته حامل دخل المدينة الا ألقت ما فى بطنها لما أدركها فى نفسها من شهود ذلك الجمال وانما لم تلق الحوامل ما فى بطنها عند رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه أجمل من دحية بلا تقارب لانه مشرع والناس مأمورون برؤيته فستر الله تعالى جماله عن غالب الناس رحمة بهم بخلاف دحية لم يؤمر أحد برؤيته (فان قلت) ما صورة تبديل السيآت بالحسنات هل تصير نفس المعصية التى وقعت حسنة فى صحيفة العبد أم يصير العبد يطيع الله تعالى بعد أن كان يعصيه فالجواب كما قاله بعض أهل الكشف أن صورة التبديل أن يبدل اسم السيئة فى الصحيفة ويكتب مكانها الحسنة تشاكلها فان كانت المعصية كبيرة كتب مكانها حسنة كبيرة أو كانت صغيرة كتب موضعها حسنة صغيرة وهذا الامر أعظم عنايات الله تعالى بالعبد ان صح لانه يعطى النفس حظها فى الشهوات الدنيوية ثم يكتب الله تعالى له فى صحيفته أعمالا صالحة لم يعمل عينها فاعلم أن الله تعالى اذا بدل سيآت العارف حسنات رأى ذلك من أكبر النعم عليه (فان) قيل فهل يصح أن يعصى أحد من الخواص ربه على الكشف والشهود اذا رأى فى اللوح المحفوظ ما قدره الله عليه (فالجواب) لا يصح ذلك لعارف أبدا الا ان الخصوص بما كشف بقلبه فى حضرة الاحسان على الدوام ولو قدر أنه عصى الله تعالى على الكشف لا يشهد الحق تعالى الا غير راض عنه فى ذلك الفعل (فان قيل) قد تقدم قول أبى يزيد حين سئل أيعصى العارف فقال وكان أمر الله قدرا مقدورا فجوز وقوع العارف فى سائر المعاصى (فالجواب) وهو كذلك فجائز فى حق الولى أن يكفر بعد ايمان فضلا عن المعاصى الاسلامية كما وقع لابليس فانه عصى بعد معرفته بالله عز وجل وانما جوز أبو يزيد ذلك وعدمه أدبا مع الله تعالى أن يحكم عليه بشئ معين كما مر أوائل المبحث أى ان كان الله تعالى قدر على العارف

الخاصة أو يريد عموم الحكم فى ذلك فان حد الزانى انما كان لرميه ولكونه ما جاء باربعة شهداء وقد تكون الشهداء شهود زور فى نفس الامر وتحصل العقوبة بشهادتهم فى المرمى فيقتل وله الاجر التام فى الآخرة مع ثبوت الحكم عليه فى الدنيا وعلى شهود الزور والمفترى العقوبة فى الاخرى وان حكم الحاكم فى الدنيا بقوله وبشهادة شهود الزور فيه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انما أنا بشر مثلكم وانكم لتختصمون الى ولعل أحدكم يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار فقد قضى له بما هو حق لاخيه وجعله حقا مع كونه معاقبا عليه فى الآخرة كما يعاقب الانسان على الغيبة والنميمة مع كونهما صدقا فما كل صدق فى الشرع تقترن به السعادة وأطال فى ذلك * ثم قال فى الباب الثالث والستين ومائتين فعين الشريعة عين الحقيقة والشريعة حق ولكل حق حقيقة فحقيقة الشريعة وجود عينها وحقيقتها ما ينزل منزلة الشهود البصرى والوجود الحسى الذى لا شك جملة اذ الحقيقة تطلب الحق لا تخالفه وما ثم حقيقة تخالف شريعة أبدا فان الشريعة من جملة الحقائق ولكن لما كان الاطلاع على الحقائق عزيز المنال لا يعرفه كل أحد فرق الناس بينهما انتهى فليتأمل

المعصية فلابد من وقوعه فيها لكن مع الحجاب بتأويل أو تزيين أو غفلة أو سهو كما أشار اليه حديث اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم الحديث يعني العقول الذاكرة انهم بين يدي الله عز وجل حال عصيانهم لا عقول التكليف فافهم ذلك والغلط والله تعالى أعلم (فان قلت) فقد قال الحق جل وعلا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وآدم عليه السلام من عبيد الاختصاص بيقين فكيف كان ابليس واسطة في أكل آدم عليه السلام من الشجرة (فالجواب) ان ابليس لم يأت آدم عليه السلام من باب المعصية وانما دلاه بغرور * من ذلك حلفه لآدم عليه السلام بالله تعالى انه له من الناصحين * ومنها أنه قال له انما نهاك الله تعالى عن قرب الشجرة لا عن أكل ثمرها ومنها كما هو مشهور في الاجوبة عن آدم عليه السلام فما أتاه من صورة ما نهي عنه وانما أتاه من صورة ما لم ينهه عنه الذي هو الاكل * وايضاح ذلك ان ابليس اذا أراد اغواء عبد ورأى وجه العصمة أو الحفظ محيطا به تجسد له في صورة انسان مثله فيتخيل ذلك الولي مثلا انه انسان لا شيطان ويأتيه بالاغواء من قبل اذنه فيدخل عليه فيما يجر عليه تأويلا فاما ان يقول له ان الله غفور رحيم وهل رحمته الا للمذنبين وقال نبيكم شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي فاذا اصغا اليه يقول له انفعل فان مثلك لا يضره الذنب الا اذا كان دليله لا يحتمل التأويل وقد احتمل دليل هذه المعصية التأويل وذلك ان ابليس يعلم ان الانسان العاقل لا يقدم على معصية الله ابتداء دون وسوسته بالتأويل والتزيين فاذا أعطاه ابليس هذا الاصل صار العبد من أهل الاجتهاد في وقوعه في الذنب أو تركه فان أخطأ فله أجر فلم يتم للشيطان مراده من ذلك العبد المحفوظ ما دام العبد ذاكرا قول ابليس فان نسي ما قاله ابليس وقع ضرورة كما وقع لآدم عليه السلام * قال الشيخ محيي الدين وانما أكل آدم وحواء من الشجرة لان قلوب الاصفياء صافية لا تعتقد أن أحدا يكذب عليهم ولكن من عناية الله تعالى لآدم أن تلك الاكلة أعقبته الخلد في جنته وملكا لا يبلى على رغم أنف ابليس لكن من غير ما قصده ولآدم انما كان قصده له ان يقع في الذنب ولا يتوب منه فتاب الله تعالى على آدم والتائب من الذنب كمن لا ذنب له (فان قلت) فهل يمكن ان يكون ابليس قصد بقوله لآدم عليه السلام هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى الخير الذي آل أمر آدم عليه السلام اليه فان ابليس لم يعين وقتا (فالجواب) لا يصح من ابليس قصد ذلك أبدا لانه ليس له خير الى آدم وذريته البتة وانما الله تعالى برده وسته حانية بحسن العاقبة لوليه مثلا فعينيه ويصلح بعضه ما قصده ابليس * وكان الشيخ أبو العباس العريني شيخ الشيخ محيي الدين يقول لم يعص آدم ربه معاذ الله وانما عصى من كان في ظهره من ذريته الذين هم أهل الشقاء لان ظهره كان كالسفينة الساتر أولاده وكان الشيخ أبو مدين التلمساني يقول لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة كلها وفي رواية أخرى لو علم آدم حين أكله من الشجرة ما يؤول أمره اليه من الخير لأكل الشجرة كلها انتهى وقد بسط الشيخ الكلام على حديث فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته في الباب الخامس وثلثمائة فراجعه ترى العجب في غرائب تلك العلوم * وقد سنح لي أن أضرب لك مثلا تعلم به يقينا تنزيه آدم عليه السلام من المعصية المحضة كما يقع فيها غيره وتقوم ببعض واجب حق أبيك عليه الصلاة والسلام فأقول وبالله التوفيق * اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما قضى في سابق علمه بالسعادة قوم والشقاوة لقوم ولم يبدل ذلك القول لديه فلابد من فاتح يفتح القبضتين فكان ابليس فاتح القبضة الشقاوة وآدم عليه السلام فاتحا لقبضة السعادة فابليس شقي وآدم عليه السلام سعيد وذريته الذين اقتفوا آثاره في التوبة والاعتراف فان آدم مع علمه بأن ما وقع فيه كان بقضاء وقدر اعترف بذنبه وقال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وأضاف الذنب الى نفسه ليعلم بنيه كيف يخرجون اذا وقعوا في معصية عن الاثم ولا يصرون على المعاصي من غير توبة ولا اعتراف كما وقع فيها ابليس وجنوده من الانس والجن فكان حكم آدم عليه السلام فيما وقع له مع الحق جل وعلا حكم عبد قال الحق تعالى له فيما بينه وبينه اني أريد أن أظهر

ويحرر هداك الله تعالى * وقال في الباب الرابع والستين ومائتين في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه اعلم انه لابد لجميع بني آدم من العقوبة والآلام شيأ بعد شيء الى دخولهم الجنة فأول الالم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخا لما يجده عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فان مات فقد أخذ حظه من البلاء وان عاش فلابد له في الحياة الدنيا من الالم اذ الحيوان مجبول على ذلك فاذا نقل الى البرزخ فلابد له من ألم أدناه سؤال منكر ونكير فاذا بعث فلابد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فاذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الآلام وصحبه النعيم أبد الآبدين * وقال في الباب الثامن والستين ومائتين في قوله تعالى ويسئلونك عن الروح أي من أين ظهر فقيل له قل الروح من أمر ربي فما كان ذلك سؤالا عن الماهية كما فهمه بعضهم فانهم ما قالوا ما الروح وان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا ولكن قوي الوجه الذي ذهبنا اليه ما جاء في الجواب من قوله من أمر ربي ولم يقل هو كذا كما قال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر * وقال في الباب التاسع والستين ومائتين

فى هذا الوجود ما كان مكنونا فى علمى و يحكم أسمائى فى أهل حضراتها من السعداء والاشقياء و تظاهر حجتى على عبادى قبل أن أخرجهم من جوارى فان علمى سبق بذلك وانا كريم ومن شأن الكريم أن لا يخرج أحدا من جواره الا بحجة ظاهرة تقام عليه بين المحجوبين عن سماع ماقلته لك من سرى فاذا قلت لك لا تقرب هذه الشجرة فاعلم أنى أذنت لك فى القرب منها فاقرب لاقيم عليك الحجة وأخرجك الى دار خلافتك وترقيك بالاعمال فان هذه الدار التى أنت فيها الا تكليف فيها ولا ترقى لاحد باعماله كما هى أعمال أهل الجنة التى يؤول أمر المؤمنين اليها بعد يوم القيامة سواء فلا يسع العبد صاحب هذا السر الا ان يبادر الى ما أذن له فيه سيده سرا من وراء المحجوبين ولم يكن ذلك معصية الا عند المحجوبين عن سماع ذلك السر الذى أسره الحق لآدم عليه السلام وأما الحاضرون السامعون ذلك فليس ذلك بمعصية عندهم فان الاذن من الحق فى فعل شئ والامر به واحد فى تلك الحضرة كما صرح به الشيخ فى الباب الثالث والسبعين فى الجواب الثامن والثلاثين من أسئلة الحكيم الترمذى وانما فرق بينهما فى لسان ظاهر الشرع فقط فان الامر غير الارادة فى أحكام الشريعة اذ الامر بخلاف الارادة اكتفى الحق تعالى فيها بالجاء العبد فى الباطن الى وقوع ذلك الفعل من غير أن يأمره بذلك ان الله لا يأمر بالفحشاء فافهم * وكان الشيخ أبو مدين يقول قول بعض العارفين ما فعلت الشئ الفلانى الا باذن من الله تعالى مراده بالاذن هنا الارادة الازلية اه * فعلم ان فى نداء الحق تعالى على آدم بالمعصية والغواية نفعا عظيما للذرية المحجوبين الذين يتعدون حدود الله فيتأسون بأبيهم فى الندم والاستغفار والاعتراف فلم تكن تلك المعصية مقصودة لآدم بالاصالة كما هى ذنوب الغاوين من ذريته وانما بكى آدم عليه السلام مع اذن الحق تعالى له فى أكله من الشجرة سرا على ما مر فى كلام أبى مدين تشريعا للذرية فكان بكاؤه صوريا * فان قلت فلم يفتح آدم عليه السلام قبضة السعادة بالطاعة الصرف دون وقوعه فى المعصية ثم توبته منها (فالجواب) انما كان الامر بعد وقوع المعصية ليظهر آدم بذلك سعة فضل الله ورحمته وحلمه على عباده الذين سبق فى علمه انهم يقعون فى معاصيه تعالى ولو أنه فتح قبضة السعادة بالطاعة المحضة لتعطلت حضرات كثير من الاسماء الالهية المتعلقة بالعالم المخالف اذ الطائع لا يحتاج الى مغفرة ولا رحمة ولا حلم لعدم من يغفر له أو يرحم أو يحلم عليه ويؤيد ذلك حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وأتى بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم فاعلم ذلك * وأما الجواب عن نوح عليه السلام فى قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فانما دعا عليهم بذلك رحمة بهم خوف أن يشتد عليهم غضب الله تعالى أكثر مما كانوا فيه وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول أحدنا اذا خاف من وقوعه فى فتنة اللهم توفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى فلم يكن دعاؤه على قومه من غضب نفسى حاشا الانبياء من ذلك وقال الشيخ محيى الدين ايست دعوة نوح التى يعتذر بها يوم القيامة قوله رب لا تذر على الارض انما هى قوله ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لكونه تحكم على الله فيما لم يعرفه ولم يزل الحق تعالى يربى أنبياءه بأدب بعد أدب قال صلى الله عليه وسلم لما نزل قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى أدبنى ربى فأحسن تأديبى اه * وأما الجواب عن السيد أيوب عليه السلام فى جمعه الذهب فى ثوبه لما أمطر الله تعالى عليه رجلا من جراد من ذهب وقال له ربه ألم أكن أغنيتك عن هذا فقال بلى يارب ولكن لا غنى لى عن خيرك و بركتك * فالجواب أن أكابر الاولياء فضلا عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا ينقص كما لهم أخذ الدنيا وامساكها فان كان أيوب عليه السلام جمع الذهب لما هو عليه من ظاهر الحال فهو صحيح مع انه قانع بلا شك لان القناعة عند أهل الله تعالى ليست هى الا الاكتفاء بالموجود من غير طلب مزيد وان كان فعل ذلك ليقتدى به قومه فما فعل الا ما هو أولى بالقربة الى الله تعالى من تركه لا سيما وأيوب عليه السلام ممن هدى الله تعالى وممن أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهداهم وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فقد بحث القناعة بهذا التقرير الى بابها فى لسان العرب وهى المسئلة فان القانع هو السائل لكن من الله لا من غيره قال تعالى فى الظالمين يوم القيامة

فى قوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين الآية اعلم ان علم اليقين هو ما أعطاه الدليل الذى لا يقبل الدخل ولا الشبهة وعين اليقين هو ما أعطاه المكاشفة والشهود وحق اليقين هو ما حصل فى القلب من العلم بما أريد له ذلك الشهود مثال علم اليقين الذى لا يدخله شبهة ولا يقدح فى دليله دخل علمنا بان لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه فى كل سنة و يطوفون به ثم انه عند الوصول اليه شهد فهذا عين اليقين الذى كان قبل هذا الشهود علم يقين فانه قد حصل فى النفس برؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقا ثم لما فتح الله عين بصيرة هذا المشاهد فى كون ذلك البيت مضافا الى الله مقصودا دون غيره من البيوت المضافة الى الله فعلم علة ذلك ونسبته باعلام الله لا بنظره واجتهاده فكان علمه بذلك حق اليقين مقررا عنده لا يتزلزل فما كل حق له قرار ولا كل علم ولا كل عين كذلك فاذلك صحت الاضافة ولو كان علم اليقين وعينه وحقه نفس اليقين ما صحت الاضافة لان الشئ الواحد لا يضاف الى نفسه اذ الاضافة لا تكون الا بين مضاف ومضاف اليه فطالب الكثرة حتى يصح وجودها وأطال فى بيان الفرق بين هذه المراتب فاستأمل فانه نفيس * وقال فى الباب الاحد والسبعين ومائتين فى قوله

مقنعي رؤسهم أي رافعين رؤسهم الى الله تعالى يسئلونه العفو والمغفرة عن جرائمهم فعلم أن من سأل غير ربه فهو ظالم الا ان يرى أن ذلك الغير باب من أبواب الله تعالى من غير وقوف معه فان لم يكن كذلك خيف عليه الحرمان والخسران ولا يخفى ان السائل موصوف بالركون الى من سأله والله تعالى يقول ولا تركنوا الى الذين ظلموا ومن ركن الى نفسه أو الى جنسه فقد ركن الى ظالم لقوله تعالى انه أي الانسان كان ظلوما جهولا * وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والثمانين اعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكمل الاولياء ما أمسكوا الدنيا الا باطلاع ثم عرفانى أنتج لهم ما شققهم في الامساك من نفع الانفس بالاقوات التي قدر الله تعالى وصول الاحتياج الى أوقات مخصوصة فما أمسكوا الدنيا عن بخل ولا ضعف يقين حاشاهم من ذلك قال وانظر الى أيوب عليه السلام كيف أعطته المعرفة المذكورة انه صار يحثو في ثوبه من الذهب لما أمطر عليه وهو يقول لا غنى لي عن بركتك اه * وأما الجواب عن يونس عليه السلام فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه الآية فالمراد بقوله أن لن نقدر عليه أن يونس عليه السلام ظن أن الله تعالى لا يضيق عليه لما عهده من سعة رحمته من باب قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه أي ضيق عليه وانما آخذه الله تعالى لكونه قصر ذلك الاتساع الالهي على نفسه فقط ولم ينظر ذلك في حق غيره من أمته فلما ظن أن رحمة الله تعالى لا تنالهم أثر غضبه ظلمة في ظاهره لعلو منصبه وصفاء قلبه فأسكن في ظلمة بطن الحوت ما شاء الله تعالى لينبهه تعالى على حالته حين كان جنينا في بطن أمه من كان يدبره فيه وهل كان في ذلك الموطن يتصور منه ان يغضب أو يغاضب بل كان في كنف الله عز وجل لا يعرف سوى ربه فرده تعالى الى هذه الحالة في بطن الحوت تعليما له بالفعل لا بالقول فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين أي سبحانك يارب تفعل ما تريد وتبسط رحمتك على من تشاء وهذا كالاعتذار عن أمته وقوله كنت من الظالمين أي أثر غضبي رجع على ما أنت ظلمتني لان علمك ما تعلق بي الا على هذا الحال ثم لما زالت ظلمة المغاضبة ظلمة تليق بمقام الانبياء وانتشر النور اللائق بكمال النبوة في قلبه استجاب له ربه فنجاه من الغم فقذفه الحوت من بطنه مولودا على الفطرة السليمة فلم يولد أحد من بني آدم ولادتين سوى يونس عليه الصلاة والسلام فخرج ضعيفا كالطفل كما قال تعالى وهو سقيم وربّاه تعالى باليقطين وذلك لان ورقه ناعم ولا ينزل عليه ذباب اذ الطفل لضعفه لا يستطيع أن يرد الذباب عن نفسه فغطاه الله تعالى بهذه الشجرة التي من خاصيتها أن لا يقربها ذباب مع نعومة ورقها فانه مثل القطن في النعومة بخلاف ورق الاشجار كلها فان فيه الخشونة ذكره الشيخ في الباب الثالث والثلاثين من الفتوحات * وأما الجواب عن السيد موسى عليه الصلاة والسلام في قوله ففررت منكم لما خفتكم كيف خاف عليه السلام وهو كامل مع ان الواحد من الاولياء لا يخاف أحدا الا الله تعالى * فالجواب مقام الخوف أولى من وجوه منها ان الكامل يرى من نفسه الضعف بخلاف صاحب الحال من الاولياء ومنها انه يجب على الكامل الفرار من كل شئ يؤذي بدنه أو يلحقه بالعدم وان خالف ذلك أثم ومنها أن في الخوف عدم تعطيل الاسباب فكان من كمال موسى فراره ويحتمل ان خوفه منهم انما هو خوف من الله تعالى بالاصالة ان يسلطهم عليه فرجع خوفه منهم الى خوفه من الله تعالى وذلك محمود والله أعلم * وأما الجواب عن السيد سليمان عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق فهو أن تعلم يا أخي أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا توصف بفعل سفه ولا اتلاف مال لكنهم وانما المراد انه لما أحب الخير الذي هو المال عن ذكر ربه لا عن حكم الطبع طفق يمسح بيده على اعراف الخيل وسوقها فرحا واعجابا بخير ربه واعلامه عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى يحب من عباده حب الخير وذلك الحب للخير اما ان يراد به حب الله اياه أو حب الخير من حيث وصف الخير بالحب ومعلوم ان الخير لا يحب الا للاخيار فانهم محل وجوده بعينه فلذلك قال سليمان عليه الصلاة والسلام انى أحببت حب الخير عن ذكر ربي أي أتاني الخير من حيث المحبة كالخير في حبه ولهذا لما توارت بالحجاب يعني الصافنات الجياد اشتاق انها

فقال

تعالى الطلاق مرتان الآية اعلم ان الشارع انما كره الطلاق وقال أبغض الحلال الى الله الطلاق ندبا الى الالفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى ان الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة لعباده ليكونوا مأجورين في أعمالهم محمودين غير مذمومين ارغاما للشياطين فانهم في ذلك تحت اذن الهي * قال وانما كان الطلاق أبغض الحلال الى الله لانه رجوع الى العدم اذ بائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم فمن أجل هذه الرائحة كرهت الفرقة بين الزوجين لعدم عين الاجتماع * وقال في الباب الثاني والسبعين ومائتين في قوله تعالى قل هو الله أحد انما لم يقل واحد لان الاحد هو الذي لا يشارك في أحديته قال وأما الواحد فانا نظرنا في القرآن هل اطلقه على غيره كما أطلق الاحدية فلم أجده وما أنا منه على يقين في هذا الوقت فان كان لم يطلقه فهو أخص من الاحدية ويكون اسما للذات علما لا صفة كالاحدية فان الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت الاحدية على كل ما سوى الله في القرآن في نحو قوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وان كان مذهبنا اختصاص الاحدية بالله تعالى دون خلقه وأطال في ذلك * وقال في الباب الرابع

فقال ردوها على لانه فقد المحل الذى أوجب له هذه الصفة الملذوذة فانها كانت محلا له * قال الشيخ فى الباب الرابع والعشرين ومائة من الفتوحات وليس للمفسرين الذين جعلوا التوارى للشمس دليل لان الشمس ليس لها ههنا ذكر ولا الصلاة التى يزعمون وسياق الآية لا يدل على ما قالوه فى ذلك بوجه ظاهر البتة وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى ولقد فتنا سليمان فالمراد بتلك الفتنة عناه والاختبار اذ كان متعلقة الخيل ولابد فيكون اختباره اذا رآها هل يحبها عن ذكر ربه لها أو يحبها لعينها فأخبر عليه السلام انه أحبها عن ذكر ربه اياها لا لحسنها وكمالها وحاجته اليها فانها اجزء من الملك الذى طلب أن لا يكون لاحد من بعده فأجابه الحق تعالى الى ما سأل فى المجموع ورفع الحرج عنه وقال له هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب أى ما ينقصه هذا الملك شيأ من ملك الآخرة كما يقع لغيره من المتنعمين فى الدنيا فان كل شئ تنعموا به فى الدنيا نقص من نعيمهم فى الآخرة كما ورد * قال ومن هنا يعلم أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكن شئ يشغلهم عن الله تعالى من نعيم الآخرة فضلا عن الدنيا ولذلك سألوا التوسع فى الدنيا ومحال أن يسألوا من ربهم ما يحجبهم عنه أو يحجبهم الحق تعالى الى ما يحجبهم اكراما لهم وقد ذكر الشيخ فى باب الوصايا من الفتوحات ان الاكابر ما سألوا الله تعالى التوسع فى الدنيا الا لغرض صحيح وذلك لانهم لما أحكموا الزهد فى الدنيا والقناعة منها بالقليل أمنوا على نفوسهم من أن يشتغلوا عن الله بشئ فسألوا الله التوسع فى الدنيا ليوسعوا بها على أنفسهم وعلى من يلوذ بهم اعطاء لنفوسهم ومعارفهم حقهم وايتاذا بخطاب الله عز وجل لهم بقوله أقرضوا الله قرضا حسنا فانه تعالى ما خاطب بذلك الا أهل الجدة والسعة فلا جل لذة توجه خطاب الحق تعالى لهم فى ذلك سارعوا الى تحصيل مرتبة الغنى بالتجارات والمكاسب الشرعية لعلمهم بأن من لا مال له محروم من لذة ذلك الخطاب فقد بان لك أن سليمان عليه السلام لم يقدح فى كماله سؤاله الدنيا أن تكون له بأسرها الفقد العلة التى كرهت الدنيا من أجلها * وقد بلغنا أن نملة طلبت من سليمان الامان فأعطاها فقالت ما ملكك الذى اعطاكه الحق تعالى بسؤالك فقال خاتمى فقالت أف لملك يحويه خاتم ثم قالت له يا سليمان اذا كانت الامور التى يعطيها الحق تعالى لعباده لا تخرج عن ملكه تعالى فما فائدة طلبك أن يعطيك ملكا لا ينبغى لاحد من بعدك انتهى (قلت) وما ذكره الشيخ فى هذه الآية تفسير غريب واضح وعليه فلا يصح استدلال الشبلى به على تحريق ثيابه بالنار حين شغلته عن ربه عز وجل وقال ان سليمان عليه السلام قطع سوق الخيل وأعناقها لما شغلته عن الصلاة * وأما قول بعض العلماء ان الضمير فى توارت للشمس فلا يناسب قوله ردوها على اذ الشمس ليس ردها فى مقدوره حتى يردوها عليه ومع ذلك فان صح دليل فى رد الشمس على سليمان باظهار الضمير الذى فى توارت وردوها للشمس دون الخيل اتبعناه والله أعلم * وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ثم مقام يقتضى طلب العبد أن يوسع الله عليه الدنيا ليزداد بذلك فقرا الى الله تعالى والى نعمه وكيف يعاب على من سأل ربه ما هو أقل من جناح بعوضة اه * وأما الجواب عن خطيئة داود عليه الصلاة والسلام التى استغفر منها وخر راكعا وأناب فكانت نظرة فجاءة بغير تقدم نية صالحة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم كانت خطيئة أخى داود النظر وذلك انه رفع رأسه من الارض بغير نية تناسب مقامه فآخذه الله بذلك ولذلك ورد أنه لم يرفع بصره الى ناحية السماء بعد ذلك الى أن مات حياء من ذلك الرفع السابق مع الغفلة فعين الذنب هو رفع البصر ولو الى مباح بغير نية فافهم * فعلم أن مؤاخذة الاكابر فى الحركات والسكنات مع الغفلة لا تختص بالنظر ولا غيره فلو قدر انه حرك أصابعه مع الغفلة عن شهود الحق بذلك لآخذه الله به لوجوب الحضور عليهم مع الله تعالى على الدوام وأما ما ذكروه من ان خطيئة داود كانت هى النظر الى امرأة أوريا فلم يصح لنا ذلك فى حديث والله أعلم وقد بسط ذلك فى مبحث الجواب عن آدم عليه الصلاة والسلام فراجعه * وأما الجواب عن السيد يوسف عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها الآية فقد ذكر الشيخ فى الباب السابع والستين وثلثمائة من الفتوحات انه روحه اجتمعت بروح يوسف

والسبعين ومائتين فى قوله تعالى ثم قضى أجلا وهو نهاية عمر كل حى يقبل الموت وأجل مسمى عنده هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت فى حياته الاولى وهو المعبر عنه بالبعث ولذلك قال تعالى ثم أنتم تمترون يعنى فيه فان الموت لا يمترون فيه فانه مشهود لهم فى كل حيوان مع الانفاس وانما وقعت المرية فى البعث وهو الاجل المسمى المذكور وانما لم يجعل أجل الموت مسمى لانه اذا نفخ فى الصور صعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله فاستثنى طائفة لا يصعقون فلا يموتون وأطال فى ذلك * وقال فى الباب السادس والسبعين ومائتين فى قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما نزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم المراد باقامة التوراة وما بعدها عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعدما كان قائما ومن نزهه عن التأويل والتعمل فيه بفكره فقد أقامه اذ الفكر غير معصوم من الغلط فى حق كل أحد قال والمراد بقوله لأكلوا من فوقهم هو العلم الموهوب ومن تحت أرجلهم يعنى العلم المكتسب وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الاحد والثمانين ومائتين فى قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أى فقد أهله وماله اعلم ان سبب تخصيص صلاة العصر

عليه الصلاة والسلام في بعض الاسرا آت لي وجية فقال له يا نبي الله ما معنى الاشتراك في اخبار الله تعالى عنك بقوله ولقد همت به وهم بها فانه تعالى لم يعين في ماذا ولا يخفى ان اللسان يدل على أحدية المعنى فقال يوسف عليه الصلاة والسلام نعم ولذلك قالت المرأة على لسان رسوله أن يسأل النسوة فما ذكرت المرأة الا انها راودتني عن نفسي وما ذكرت اني راودتها فافهم ما قاله لك فانه يزيل ما كان يتوهمه بعض الناس الما لم يعين الله تعالى أمر همي وهمها فقلت له يا نبي الله اللسان يؤذن بالاشتراك فقال نعم صدقت لكن في اللفظ دون المعنى فانها همت بي لتقهرني على ما كانت أرادت مني وهممت أنا بها لأقهرها بالدفع عن ذلك فالاشتراك في طلب القهر مني ومنها فكأنه تعالى يقول ولقد همت به يعني في عين ما هم بها وليس الا القهر فيما يريد كل واحد من صاحبه دليل ذلك قول المرأة الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وما جاء في قصتي قط أنني راودتها عن نفسها فأراني الله تعالى البرهان غير ارادتي القهر في دفعها عني أولا بالقول اللين كما قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا أي لا تعنف عليها يا يوسف وسببها انها امرأة موصوفة بالضعف على كل حال قال الشيخ محيي الدين فقلت له أدبتني أدبك الله تعالى فاعلم ذلك * وأما الجواب عن أبينا ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فذكر الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة انه رضي الله عنه اجتمعت بروح الخليل عليه الصلاة والسلام قال فقلت له يا أبت لم قلت ولكن ليطمئن قلبي مع انك من المؤمنين بذلك بلا شك فقال صحيح ولكن للاحياء وجوه كثيرة كما كان ايجاد الخلق فمنهم من أوجده الله تعالى عن كلمة كن ومنهم من أوجده بيديه ومنهم من أوجده ابتداء ومنهم من أوجده عن خلق آخر فطلبت العلم بتعيين وجه من هذه الوجوه فاذا أعلمني به اطمأن قلبي * قلت وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الخامس والعشرين ومائتين والله أعلم ولنرجع الى المعنى الذي نحن فيه * قال الشيخ فقلت له يا أبت لم قلت بل فعله كبيرهم هذا فقال لانهم كانوا قائلين بكبرياء الحق تعالى على آلهتهم التي اتخذوها فقلت له فماذا أردت باشارتك بقولك هذا قال لي أنت تعلم المراد بها فقلت اني أعلم انها اشارة ابتداء وخبر محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسألوهم اقامة للحجة عليهم فقال عليه الصلاة والسلام ما زدت على ما كان الامر عليه فقلت له فما كانت خطيئتك في قولك والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال هي نسبة المرض الى نفسي في قولي واذا مرضت فهو يشفين مع انه في الحقيقة لم يمرضني الا الله تعالى فهذا كان خطيئتي فكان في اضافة المرض الى نفسي ثم طلبي المغفرة من تلك الاضافة أدبا فقلت له فلم قال تعالى في حقك وانه في الآخرة لمن الصالحين فخص صلاحك بالآخرة وأطلق الصلاح لغيرك من الانبياء في الدنيا والآخرة فقال لان الصالح من شرطه أن لا يضيف الى نفسه شيأ الا باضافة الله تعالى وقد أضفت الى نفسي وغيرها ما ليس لها بغير اذن خاص من الله تعالى بقولي واذا مرضت وقولي اني سقيم وقولي بل فعله كبيرهم هذا * فقلت له يا أبت فما قولك في الانوار الثلاثة فانك معصوم عن اعتقادك فيها الالوهية في حين من الاحيان فقال انما قلت ذلك اقامة للحجة على قومي ألا ترى الى ما قال الحق تعالى في القرآن وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما كان اعتقادهم في الاله الا انه نمروذ ولم تكن تلك الانوار آلهتهم ولا كان نمروذ الههم وانما كانوا يرجعون في عبادتهم لما نحتوه آلهة لا اليه ولذلك لما قلت ربي الذي يحيي ويميت لم يتجرأ نمروذ أن ينسب الاحياء والاماتة الى آلهتهم التي وضعها لهم لئلا يفتضح فقال أنا أحيي وأميت فعدل الى نفسه تنزيها لآلهتهم عندهم حتى لا يتزلزل الحاضرون فقلت له فلم عدلت الى الاقرب في الحجة فقال لاني علمت قصور أفهامهم عما جئت به لو فصلته وطال المجلس فعدلت الى الاقرب في افهامهم بذكر اتيان الله تعالى بالشمس من المشرق وطلبت أن يأتي بها من المغرب فبهت الذي كفر تعجيزا له من الله تعالى * ولنختم الاجوبة بالجواب عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق اعلم ان الاجوبة عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من علماء أمته لا تحصى ولكن نذكر لك منها طرفا صالحا فنقول وبالله التوفيق ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يزل

بالتشبيه المذكور دون غيرها من الصلوات أن سائر أوقات الصلوات محدودة الا العصر فهي غير محدودة وان قاربت الحد فان المغرب محدودة بغروب الشمس وهو محقق محسوس والعشاء محدودة أولها بغيب الشفق من أوله وهو محقق محسوس أي شفق كان على الخلاف في ذلك والفجر محدود أوله بالبياض المعترض في الافق المستطيل وهو محقق محسوس والظهر محدود بزوال الشمس والزوال ظاهر وهو محقق محسوس ولم يأت مثل هذه الحدود في العصر فتنزهت عن الحدود المحققة لانه صلى الله عليه وسلم قد جعل وقتها أن تكون الشمس مرتفعة بيضاء نقية فليس حدها ظاهرا مثل حد غيرها وأما جعل ظل الشاخص طوله غير ظل الزوال فليس ذلك في كل زمان فلم يتعلق الحد على التحقيق بها كتعلقه بسائر أخواتها فلذلك عظمها النبي صلى الله عليه وسلم للمناسبة التي فيها لصفات الحق من حيث نفي الحدود وقد أنشد

صلاة العصر ليس لها شبيه
لنظم الشمل فيها بالحبيب

أي لان العصر حقيقة ضم شئ الى آخر لاستخراج مطلوب ما وهو هنا ضم ذات عبد مطلق في عبودية لا يشوبها ربوبية بوجه من الوجوه الى ذات حق مطلق لا يشوبها عبودية أصلا بوجه من الاجماع التي

معصوما عن كل ما ينقص مقامه الا كمل قبل النبوة و بعدها كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قبل رسالته كان يرعى الغنم بالبادية فكان يهم أن يدخل الى مكة فيصيب فيها ما يصيب الشبان من اللهو فاذا دخل مكة لذلك أرسل الله عليه النوم فيفوته فعل ما دخل لاجله فيستعجل الرجوع الى غنمه فكان فى ذلك عصمته صلى الله عليه وسلم من حيث لا يشعر * وفى المثل السائر من العصمة أن لا تجد و يسمى هذا المقام علم الحاصل فى عين الفائت كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم فكان فى ذلك الفائت سعادة العبد وفضل على الحاصل اه وقد تقدم أوائل المبحث معنى قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فأستغفر الله تعالى فى اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة وان المراد بذلك انه كان دائم الترقى فكان يستغفر الله عز وجل عن كل مقام ترقى عنه فانه ثم مقام رفيع ومقام أرفع * وفى باب الوصايا للشيخ محيي الدين اذا كان الحق تعالى يجيب دعوة الداعى اذا دعاه فينبغى للعبد أن يتحدث فى مناجاته للحق تعالى بما علمه قبل ذلك فانه تضييع للوقت وانما ينبغى له أن يطلب دائما أمرا جديدا انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الجواب الخامس والخمسين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن المراد بهذا الخطاب و جميع العتاب الذى عاتب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم غيره من الامة نحو يا أيها النبي اتق الله لئن أشركت ليحبطن عملك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا فكان من قوته صلى الله عليه وسلم انه تحمل عن أمته صولة الخطاب بالعتاب والتوبيخ فالخطاب له والمراد به غيره وهذا أحسن الاجوبة * قال وأما مغفرته تعالى لبقية النبيين عليهم الصلاة والسلام فانما هى لكون الحق تعالى ستر عنهم فى هذه الدار العلم بأن جميع مقاماتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الاصالة وانهم نوابه صلى الله عليه وسلم كما ينكشف لهم ذلك كله فى الدار الآخرة وأطال فى ذلك * ثم قال فعلم من قولنا ان المخاطب بتلك المعاتبات كلها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بذلك غيره أن الحق تعالى من شأنه أن يؤدب الكبير بالصغير وكما أدب تعالى الامة بتأديب رسوله التبليغ باستعمال ذلك الادب الى نيل مأمولها فخاطب الرسول والمراد من أرسل اليه بالحث عليه اه * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائة فى قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك الآية هو من باب قولهم اياك أعنى واسمعى يا جارة كما يشهد لذلك قرائن الاحوال * قال والحكمة فى ذلك مقابلة لاعراض الكفار عن استماع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فلذلك أعرض الحق عنهم فى الخطاب مقابلة اعراض باعراض مع كونهم هم المراد بذلك الخطاب فأسمعهم فى غيرهم عقوبة لهم واستهانة بأمرهم اه * وقال الشيخ فى الباب السابع والأربعين ومائتين اعلم انه لا يشترط فى استغفار الاكابر أن يكون من ذنب وقع وانما استغفارهم من خوف أن يبدو منهم ما كان ينبغى ستره من الاحوال التى لم يؤمروا بذكرها لقومهم ولهذا ما نقل عن نبي قط أنه ندم على ما قاله مما أوحى به اليه ولا سمع منه كلام عادى فى حال الوحى حتى يفرغ من تنزله عليه واذا انفصم عنه فحينئذ يخبر بما وقع * قال وأما ما كان عن نظر من غير وارد وحى فقد يمكن أن يندم على ما جرى منه كما وقع له فى أسارى بدر انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وما الذى أوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما عاتبه الله عليه من خشية الناس (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وخمسمائة من الفتوحات أن سبب وقوعه صلى الله عليه وسلم فى خشيته من الناس قوله فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام لو كنت مكانه لأجبت الداعى يعنى داعى الملك لما دعاه الى الخروج من السجن فلم يخرج حتى قال له ارجع الى ربك يعنى العزيز الذى حبسه فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن وذلك ليثبت عند العزيز براءته فلا تصح له المنة على يوسف فى اخراجه من السجن بل المنة لله وحده فقصد يوسف بذلك براءة ساحته اذ لو بقى الاحتمال القادح فى عدالته وهو رسول من الله عز وجل فلا بد لا منه فى طريق انقيادهم له من ثبوت عدالته عندهم فلذلك خشى صلى الله عليه وسلم من الناس أن يعيبوا عليه تزويجه بزوجة من تبناه حتى

تطالب الكون كالرحيم والغفار ونحوهما فاذا قابلت الذات بمثل هذه المقابلة كان المقتصر عن الكمال لكل ذات بما يليق بها قال وهذا هو المطلوب الذى له وجد العصر وقد ألقيت بك على مدرجة الكمال انتهى وهو كلام نفيس * وقال فيه لا حرج على العبد المريض فى شكواه لاخيه ما به من المرض كما يستعين باخيه واذا تفرد الانسان بهمه عظم عليه واذا وجد من يقاسمه فيه ولو بالتوجع خف عليه ما انألم واستراح * وقال فى الباب الثانى والثمانين ومائتين فى قوله تعالى أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس الآية اعلم ان ورود الموت على النفوس لا يكون الا عن حياة سابقة اذ الموت لا يرد الا على حى والتفرق لا يكون الا عن اجتماع وكذا الحكم فى موت النفس بعد العلم فان قيل ان العلم بالله طارئ الذى هو حياة النفوس والجهل ثابت لها قبل وجود العلم فكيف يوصف الجاهل بالموت وما تقدم علم يحيا به قلنا العلم بالله سبق الى كل نفس فى الاخذ الميثاقى حين أشهدهم على أنفسهم فلما عمرت الانفس الاجسام الطبيعية فى الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد الله ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بتوحيده وأحياها كلها بالعلم

لا يردوا دعوة السائق عليه فعلم أن الله تعالى ما ابتلى نبيه صلى الله عليه وسلم بتزويجه زوجة من تبناه الا ليذوق بلاء التهمة ويتخلق بالرحمة التامة على كل من اتهم فان تزوج الرجل زوجة من تبناه مما كان يقدح في كماله صلى الله عليه وسلم عند جهال العرب وهو رسول وأى رسول ثم انه تعالى لما أذاقه ألم الجرح في مقامه داواه بابانته عن العلة في ذلك بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ورفع الحرج في مثل ذلك عن المؤمنين فأذاق الحق تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذاق يوسف حين لم يجب الداعي وطلب ان تكون البراءة في غيبته لكونها أكثر تنزيها له لانه لو حضر ربما قيل ما زكوه الا في وجهه حياء منه ومن كمال الرجل أن يقف مع ما تحملك عليه المروءة العرفية في كل ما لم يؤمر بفعله حتى يأتيه أمر الله فهناك يكون بحسب ما يؤمر به انتهى (قلت) ويحتمل أن يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لأجبت الداعي الثناء على يوسف بالقوة في عدم خروجه من السجن فأظهر صلى الله عليه وسلم ضعف حاله عن حال يوسف كما قال نحن أولى بالشك من ابراهيم فان يوسف اجتمع عليه حالان حال السجن وحال كونه مفترى عليه وكل رسول يطلب أن يقرر في نفوس أمته ما يقبلون به دعاءه ربه في كل ما يدعوهم اليه فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت مكان يوسف لسارعت الى الخروج طلبا للابراءة بجدالي عن نفسي لتثبت براءتي عند من أرسلت اليهم ويحتمل غير ذلك والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك لم أذنت لهم هل هو توبيخ كما فهمه بعضهم أو سؤال عن العلة مثل قوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة أن ذلك سؤال عن العلة لا سؤال توبيخ لان العفو قد تقدم ذلك وقوله حتى يتبين لك انما هو استفهام مثل قوله تعالى لعيسى ما تقدم كأنه تعالى يقول أفعلت بمجرد ذلك حتى يتبين لك الذين صدقوا فاما أن يقول عند ذلك نعم أولا فان العفو والتوبيخ لا يجتمعان لا سيما مع تقدم العفو في الذكر كما تقدم فان من وبخ فما عفا مطلقا لان التوبيخ مؤاخذة وهو تعالى قد عفا قال ولما كان هذا اللفظ قد يفهم منه في اللسان التوبيخ جاء لاجل ذلك بالعفو ابتداء ليتنبه العارف بالله تعالى ويعلم بواقع كلامه انه لم يرد التوبيخ الذي يتوهمه من لا علم عنده بالحقائق انتهى وقال في الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات أيضا في قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم ذكر أهل التفسير انه تعالى قدم له البشرى قبل العتاب ليطمئن فؤاده صلى الله عليه وسلم قال والذي عندنا نحن من العلم الالهي أن هذه الآية بشرى خاصة ليس فيها عتاب انما هو استفهام ان أنصف وأعطى كلام الله تعالى حقه في الفهم انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم عبس وتولى أن جاءه الاعمى الى آخر النسق هل معناه على ظاهره أم المراد به غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع وثلثمائة ليس ذلك العتاب على ظاهره وانما نبه نبيه صلى الله عليه وسلم على ما ذكر ليعلمه انه تعالى عند المنكسرة قلوبهم أكثر حضورا من الملوك لان رحمة الله تعالى لا تفارق الفقراء بخلاف الملوك وايضاح ذلك أن الحق تعالى يغار لعبده المنكسر القلب من أجل ربه أشد مما يغار لمن تظاهر بصفات العظمة فاذا حضر عندك ملك مطاع نافذ الامر زائرا ثم ان فقيرا دخل عليك كذلك زائرا فأقبل على الفقير أكثر من الملك الا أن تخاف سطوته ولا تعرض عن الفقير حتى يفرغ من حاجته التي جاءك لاجلها * فعلم أن تجلي الحق تعالى بالحضور عند الملك المطاع تجل في غير موطنه اللائق به اذ الكبرياء والعظمة انما تليق بأهل الجنة في الجنة لعدم التحجير عليهم وزوال التكليف وما عاتب الله تعالى نبيه بقوله عبس وتولى أن جاءه الاعمى الا لكون ذلك الاعمى فقيرا فغار تعالى لمقام العبودية والفقر أن يستهضم لاجل صفة عز أو قهر ظهرت في غير محلها وأطال في ذلك * وأما معنى قوله تعالى أما من استغنى فأنت له تصدى فذكر الشيخ في الباب التاسع والاربعين وخمسمائة ان معناه العتاب في حال اجتماع الفقراء مع الاغنياء لا مع الانفراد فان من الادب الاقبال على كل وارد من غني أو فقير وفي الحديث اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب

بوجود الله اذ كان من ضرورة العقل العلم بوجود الله فلهذا سميناه ميتا فلما رد اليه علمه حيي به كما ترد الارواح الى أجسامها في الدار الآخرة يوم البعث وقوله كمن مثله في الظلمات يريد مقابلة النور الذي يمشي به في الناس وما هو عين الحياة اذ الحياة الاقرار بوجود الله والنور الجهول بتوحيد الله والموت الجهل بوجود الله والظلمات الجهل بتوحيد الله ولهذا لم يذكر الحق تعالى في الاخذ الميثاق الا الاقرار بوجود الله لا بتوحيده ما تعرض للتوحيد فقال ألست بربكم قالوا بلى فاقروا له بالربوبية التي هي السيادة وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر اعلم ان شهود الكثير يوجب للعبد الجهل بنفسه وذلك لان الروح لا يعقل نفسه الا مع هذا الجسم محل الكم والكثرة ولم يشهد نفسه قط وحده مع كونه في نفسه واحدا ولا تعرف انسانيته الا مع وجود هذا الجسم ولا تعقل أحديته في ذاته أبدا وانما تعقل أحدية الجنس لا الاحدية الحقيقية والذي يحصل له بالاكتساب انه واحد في عينه علم دليل فكري لا علم ذوق شهودي كشفي وأطال في ذلك * ثم قال واعلم ان الزيارة مأخوذة من الزور وهو الميل فمن زار قوما فقد مال اليهم بنفسه فان زارهم بمعناه فقد

القسطين * وهنا نكتة ينبغي لك يا أخي أن تعرفها وهي أن الملك العزيز في قومه ما جاء اليك ولا نزل عليك حتى ترك جبروته وكبرياءه خلاف ظهره قبل أن يأتيك فما أتاك الا وهو يرى نفسه دونك فكان جبروتك في نفسك اذا لم تقبل عليه وتتواضع له أعظم من جبروته هو فعلى كل حال يلزمك مقابلته بنظير فعله معك وأنزله أنت منزلته من نفسك قبل أن يأتيك وأدخل عليه السرور بالاقبال والتبسم تكن حكيم الزمان فان الله تعالى ما عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في حق الاعمى والاغنياء الا لكون الفريقين كانا حاضرين فبالمجموع وقع العتب لا مع الانفراد * وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول انما أقبل صلى الله عليه وسلم على الاغنياء لصفة الغنى التي تظاهروا بها والعارف بالله تعالى ينبغي له الاقبال على كل نعت الهي من جلال وعظمة وغيرهما فان وقع أن أحدا من العارفين عوتب على اقباله على الاغنياء فليس ذلك من حيث تظاهرهم بالغنى وانما ذلك لعلة أخرى فعلم انه لا ينبغي القياس على هذا العتاب وطرده في حق الاغنياء مطلقا فان ذلك مزلة قدم عن الشريعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا باكرام كريم كل قوم اذا أتانا كما مر فافهم وعلم أيضا أن تعظيم العارف للملوك والامراء والاغنياء انما هو من تعظيم الرب جل وعلا وأما تعظيم الفقراء فانما ذلك جبرا لقلوبهم لانكسارها انتهى * وقال في تفسير هذه الآية أيضا في الباب الثالث والستين ومائة اعلم أن الغنى صفة ذاتية للحق تعالى فان الله هو الغنى الحميد أي هو الذي يستحق أن يثنى عليه بهذه الصفة وكان مشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عاتبه ربه بقوله عبس وتولى الى آخره انما هو الصفة الالهية المذكورة وهو الغنى المطلق الذي لا يكون لغير الله قطعا فلهذا تصدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاكابر قريش لظهور رائحة هذه الصفة الالهية فيهم فانهم لعطي بذاتها الشرف والرفعة في ذلك الوقت الذي تصدى لهم فيه فكان قصده صلى الله عليه وسلم باقباله على الاغنياء انما هو تعليم أمته أن يتصدوا لكل من اتصف بصفة الغنى من الخلق ثم اذا رسخوا في ذلك المقام أمروا بالترقي الى شهود عدم تخصيص الصفات الالهية فان العالم كله من شعائر الله تعالى ومن صفته ولا ينفك شئ منه عن مصاحبة معية الحق تعالى له لعدم تحيزه جل وعلا فكل كامل يغار على هضم جناب المنكسرة قلوبهم لان الحق عندهم كما أخبرنا به الشارع صلى الله عليه وسلم وأيضا فانه صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد كان له حرص عظيم على اسلام قريش فكان يعلم أن أكابرهم اذا مالوا اليه بقلوبهم أطاعوه وأحبوه وأسلموا فأسلم باسلامهم خلق كثير قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم أي ان عنادكم وعدم اسلامكم يعز عليه لمحبته الخير لكم (فان قلت) فكيف أوقع الحق تعالى العتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع هذا المشهد العظيم الذي قدمناه (فالجواب) انما عاتبه واعلمنا بذلك تأديبا لنا فان الانسان محل الغفلات وهو فقير بالذات ولو صار من أكبر ملوك الدنيا فهو فقير لان غناه عرضي عرض له من حصول الجاه والمال فما استغنى الا بغيره بخلاف الحق جل وعلا فليست الصفة التي ظهرت في الاغنياء صفة الحق حقيقة حتى يتصدى العبد لها ولذلك قال تعالى في الآية أما من استغنى بسين الطلب وما قال أما من هو غني فكان مما أدب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم الاعراض عن الاغنياء والاقبال على الفقراء أولا ثم أمره أن يقبل على كل من ترك غناه وكبرياءه وجاء اليه قال الشيخ وأكثر الناس غافلون عن هذا الادب الثاني فلا يكادون يشهدون له طعما ويتخيلون ان اقبال العارفين على أحد من الرؤساء والاغنياء انما ذلك لاجل جاههم ومالهم وليس الامر كما ظنوا * ثم اعلم ان أهل الله تعالى اذا خافوا ان أحدا من العوام يتبعهم على تعظيم الاغنياء من غير فهم المعنى الذي قصدوه وخافوا ان يزدادوا بذلك الفعل رغبة في الدنيا فلهم اظهار الانفة على الاغنياء والرؤساء تقديما للمصلحة الجمعية وتأمل قولهم شرط الداعي الى الله عز وجل أن يكون غنيا عن المدعوين لا يحتاج اليهم في شئ يمنون به عليه فعرف أنه ينبغي له استجلاب الناس لا تنفيرهم عنه فيحسن اليهم بالمال والاقبال ولا ينبغي له قبول صدقاتهم واحسانهم لانه يهون بذلك في أعين المدعوين ويجب عليه التعفف عما بأيديهم وكف نفسه عنهم اما بذل أو قناعة قال تعالى ادع الى سبيل

مال اليهم بقلبه وشهادة الزور هي الميل الى الباطل عن الحق وزيارة الموتى هي الميل اليهم تحت الصفة الموت أن تحل به فان الميت لا حكم له في نفسه وانما هو في حكم من يتصرف فيه ولا يتصور من الميت منع ولا اباية ولا حمد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم لمن وفى هذا المقام حقه فهو من رجال الله قال وجملة الامر أن يكون حيا في افعاله الظاهرة والباطنة التي تتعلق بها التكاليف ويكون ميتا بالتسليم لموارد القضاء عليه في كل شئ لا للمقضي والله أعلم * وقال في الباب الثالث والثمانين ومائتين ليس للشيطان على قلوب الانبياء اطلاع ولا استشراف بخلاف قلوب الاولياء ألا ترى ان الشيطان لعنه الله لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المثابة من العصمة أن يصل الى قلبه كيف جاءه في الصلاة في قبلته بشعلة من نار يخيله فرمى بها في وجهه وكان غرض الشيطان ان يحيل بينه وبين الصلاة لما يرى له فيها من الخير فانه يحسده بالطبع فتأخر النبي صلى الله عليه وسلم الى خلف ولم يقطع صلاته وأخبر بذلك أصحابه وأما الولي فان الشيطان يلقي اليه في قلبه وقد يسمع منه ما تحدثه به نفسه فيطمع ان يلبس عليه حاله وأطال في ذلك * وقال في الباب الرابع والثمانين ومائتين ينبغي للعارف اذا كان في مجلسه من

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فأما الحكمة فهو غناه عما بأيدي المدعوين وأما الموعظة الحسنة فهو تمهيده بساطا للمدعوين حتى أنهم يصيرون يبادرون الى فعل ما ندبهم اليه من غير توقف لما يعلمون لنفوسهم في ذلك من المصلحة وفي القرآن ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد استقر الامر على ان تقديم الفقراء على الاغنياء مطلوب في كل ما فيه اكرام وانه لا ينبغي لفقير أن يراعي أحدا من الاكابر بعد ما تبين له الحق فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والسلام *(خاتمة)* لا ينقص من كمال الانبياء عليهم السلام عدم معرفتهم بتدبير أحوال الدنيا في بعض الاوقات كما أشار اليه قوله صلى الله عليه وسلم في مسئلة تلقيح النخل أنتم أعلم بأمر دنياكم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم مر على قوم وهم على رؤس النخل فقال ما يصنع هؤلاء فقالوا يلقحون النخل فقال ما أرى ذلك يجدي شيأ فسمع بذلك الانصار فتركوا التلقيح فخاس تلك السنة فقل حمل النخل وخرج البلح شيصا فأخبر بذلك فقال أنتم أعلم بأمر دنياكم يعني في كل ما لم يوح اليه فيه شيء * قال الشيخ محيي الدين وسبب خفاء بعض أحوال الدنيا على الانبياء والاولياء انما هو لما غلب على قلوبهم من عظيم مشاهدة جلال الله تعالى فغابوا بذلك عن تدبيرهم للكون ولو أن ذلك الجلال والعظمة احتجب عنهم لكانوا أعرف الناس بأمر الدنيا لكن لا يخفى أن حجابهم عن تدبير الكون انما هو في بعض الاوقات لا كلها كما أشار اليه خبر لي وقت لا يسعني فيه غير ربي * قال بعض العارفين وما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تزايد كماله وصار يدبر أمر الدنيا والآخرة ولم يكن يشغله مشاهدة جلال الله عز وجل عن ذلك * وقد ذكر الجلال السيوطي رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم كان مكلفا بالاقبال على الله عز وجل وعلى الخلق معا في آن واحد لا يحجبه الخلق عن الحق (فان قلت) فلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه مع كونهم دونه بيقين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة ان الله تعالى ما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاورة وان هو دونه الا ليعلمه تعالى ان له في كل موجود خصوصية لا تكون لغيره فقد يلقي الله تعالى من الوجه الخاص لآحاد الامة ما لم يلقه الى أحد من المقربين بدليل قصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام والله أعلم

(المبحث الثاني والثلاثون)

في ثبوت رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبيان أنه أفضل خلق الله على الاطلاق وغير ذلك

* اعلم ان رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة بالكتاب المعجز والسنة والاجماع وكذلك أجمعت الامة على انه بلغ الرسالة بتمامها وكمالها وكذلك تشهد لجميع الانبياء انهم بلغوا رسالات ربهم وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فحذر وأنذر وأوعد وما خص بذلك أحدا دون أحد ثم قال ألا هل بلغت فقالوا بلغت يا رسول الله فقال اللهم اشهد (فان قيل) ان بعضهم يقول انه سقط من القرآن حين جمعه بعض آيات وعلى هذا فينبغي للعارف أن يبحث عنها من طريق كشفه ليتلوها ليثاب على تلاوتها فهل ذلك صحيح (فالجواب) هذا أمر لا يوافق هذا القائل عليه أحد وقد قال جمهور المحدثين يجب تأويل قول عائشة كانوا يقرؤن ثلاثة من أيام أخر متتابعات فسقط متتابعات وقالوا المراد بالسقوط النسخ فيحتمل ان يكون المراد بالسقوط في كلام هذا البعض النسخ ان صح النقل (فان قيل) هل الدليل على تصديق الرسول في دعواه أنه رسول ينسحب في الدلالة على ما جاء به من الاخبار والاحكام أو يفتقر الى دليل آخر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين من الفتوحات أنه لا يفتقر الى دليل آخر بل ينسحب في الدلالة على ما جاء به صلى الله عليه وسلم (فان قلت) أيهما أتم شهادتنا بما جاءنا من طريق الوحي أو شهادتنا بالمعاينة (فالجواب) أن شهادتنا بالوحي أتم من شهادتنا بالعين والمشاهدة كما شهد خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه ابتاع الجمل من الاعرابي ولم يكن خزيمة حاضرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم تشهد يا خزيمة قال بتصديقك يا رسول الله فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة خزيمة وحده لكونها شهادة بالوحي ولو أن خزيمة كان شهد

لا يؤمن بكلام القوم ولا يفهمه أن لا يتكلم بشيء من الدقائق فان سبق منه كلام دقيق على من ليس من أهل الطريق فالادب منه أن يقول انما هذه عبارات أحوال ونطق حال لا نطق مقال كما تقول الارض للوتد لم تشقني فيقول لها الوتد سلي من يدقني * وقال فيه اعلم ان الفتح بعد المجاهدات والرياضات أمر لازم لابد منه تطالبه الاعمال وتناله الانفس ولكن متى يكون ظهور ذلك الفتح هل هو الدنيا أم الآخرة ذلك الى الله تعالى فاذا رأيت يا أخي عامل صدق أو عرفت ذلك من نفسك ولم تر يفتح لك في باطنك مثل ما فتح لمن رأيته على قدمك في العمل فلا تتهم ربك فانه مدخر لك واطرح من نفسك التهمة في ذلك وفر من أن تكون من أهل التهم * وقال قد يطلع الله الولي على ما تكنه القلوب فيعلم من الجليس جميع حركاته وسكناته من حين نفخت فيه الروح الى وقت مجالسته ومع ذلك فلا يعرف هو ما في جيب نفسه لان العارف انما هو مع الله بحسب ما يطلعه (قلت) وقد شهدت ذلك من الشيخ عيسى المجذوب بمصر رحمه الله فكان يخبر الشيخ بما فعله في صباه في أرض خلاف بلاده رضي الله عنه وأما شيخنا سيدي علي الخواص فسمعته يقول لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده في

شهادة من لم تقم شهادته مقام اثنين وبه حفظنا الله تعالى علينا قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة فان جامع القرآن من الصحابة كان لا يقبل آية منه الا بشهادة رجلين فصاعدا الا هذه الآية فانها ثبتت بشهادة خزيمة وحده انتهى (فان قيل) فما أول ما ظهر من الموجودات بعد فتق العماء (فالجواب) كما قاله الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور أن أول ما ظهر بعد فتق العماء هو محمد صلى الله عليه وسلم فاستحق بذلك الاولية للاوليات فهو أبو الروحانيات كلها كما كان آدم عليه الصلاة والسلام أبا الجسمانيات كلها انتهى وسيأتي قريبا تحقيق الاولية في كلام الشيخ محيي الدين وأن أول ما خلق الله الهباء فراجعه (فان قلت) فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين والنبي هو المخبر عن الله وكيف صح اخباره صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق وقبل وجود من يخبرهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين من الفتوحات معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته باذن الله في غير مجلى قبل أخذ الميثاق وهو الحال التي كان فيها صلى الله عليه وسلم يعرف نبوته وذلك قبل خلق آدم كما أشار اليه الحديث المذكور فكان له صلى الله عليه وسلم التعريف في ذلك الحال فان النشأة الانسانية كانت مبثوثة في العناصر ومراتبها الى حين وجودها لكن من الناس من أعطي في ذلك الموطن شهود نفسه ومرتبته اما على غاياتها بكمالها واما بأن يشهد صورة ما من صوره وهي عين تلك المرتبة التي له في الدنيا فيعلمها ليحكم على نفسه بها وهنا شاهد صلى الله عليه وسلم نبوته ولا ندري هل شهد صور جميع أحواله أم لا قال تعالى وأوحى في كل سماء أمرها فما من فلك من الافلاك التسعة الا وللانسان صورة فيه فيحفظها ذلك الفلك الى وصوله وفيها وجودها كوجود الصورة الواحدة في المرايا الكثيرة المختلفة الاشكال من طول وعرض واستقامة وتعويج واستدارة وتربيع وتثليث وصغر وكبر فتختلف صور الاشكال باختلاف المجلى والعين واحدة فلذلك قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعرف ذاته بذاته من غير مجلى باذن الله تعالى واذا كان بهذه المثابة لم تؤثر فيه المراتب اذا نالها قال صلى الله عليه وسلم وهو في المرتبة العليا أنا سيد ولد آدم ولا فخر فلم تحكم فيه المرتبة * وقال في وقت آخر وهو في مرتبة الرسالة والخلافة انما أنا بشر مثلكم فلم تحجبه المرتبة عن معرفة نشأته وسبب ذلك انه رأى الطبيعة ناظرة الى مركبها العنصري وهو متبدد فيها فشاهد ذاته العنصرية فعلم أنها تحت قوة الافلاك العلوية ورأى المشاركة بينها وبين سائر الخلق الانامي والحيواني والنبات والمعدن فلم ير لنفسه من حيث نشأته العنصرية فضلا على أحد من تولد عنها بل رأى نفسه مثلا لهم وهم أمثال له فقال انما أنا بشر مثلكم وكان يتعوذ من الجوع فما افترق عنا الا بقوله يوحى الي فقد عرفت معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وأن هذا القول انما كان بلسان تلك الصورة التي هو فيها ماه ومعدود من صور تلك المراتب فترجم لنا في هذه الدار عن تلك الصورة * قال الشيخ رحمه الله تعالى ولنا أيضا صورة فوق ما ذكرناه لا ندرك بعقل ولا بالاسترواح من نقول الشرع فسكتنا عنها وذلك أن لنا صورة في الكرسي وصورة في العرش وصورة في الهيولى وصورة في الطبيعة وصورة في النفس وصورة في العقل المعبر عنه باللوح والقلم وصورة في العماء وصورة في العدم هذا كله مرئي لاصحاب الكشف وهو الذي يتوجه عليه خطاب الله القديم لعباده في مكنون علمه فافهم (فان قلت) فهل كان لآدم عليه الصلاة والسلام علم عند أخذ الميثاق بما يحتوي عليه ظهره من الصور (فالجواب) لم يكن له علم بذلك كما أنه لا علم لفلك من الافلاك التي فيها صورة من صور ذريته (فان قيل) فلم كان الاخذ من الظهر دون غيره (فالجواب) انه انما خص الظهر بالاخذ لان الظهر كان غيبا لآدم عليه الصلاة والسلام ولو أنه تعالى أخذنا من بين يدي آدم لكان عرفنا وذلك لان له عليه الصلاة والسلام معنا صورة في صورة فشهد كما شهدنا * قال الشيخ محيي الدين وما نحن على يقين بأنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم بما أخذ منه أو يعلم ولكنا لما رأينا الحضرات التي تقدمت من الافلاك لا تعلم بصورة ما فيها قلنا ربما يكون الامر في آدم كذلك فرحم الله من اطلع

انتقاله في الاصلاب وهو نطفة من يوم ألست بربكم الى استقراره في الجنة أو النار والله تعالى أعلم * وقال في الباب الخامس والثمانين ومائتين اعلم ان الحواس لا تخطئ لان ادراكها للاشياء ادراك ذاتي وان حصل علة عارضة فهي لا تؤثر في الذاتيات وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان ادراك العقل على قسمين ادراك ذاتي هو فيه كالحواس لا يخطئ وادراك غير ذاتي وهو ما يدركه بالآلة التي هي الفكر وبالآلة التي هي الحس فالخيال يعلو الحس بما يعطيه والفكر ينظر في الخيال فيجد الامور مفردات فيحب ان ينشئ منها صورة يحفظها العقل فينسب بعض المفردات الى بعض فقد يخطئ في النسبة للامر على ما هو عليه وقد يصيب فيحكم العقل على ذلك الحد فيخطئ ويصيب فالعقل مقلد ولذلك اتصف بالخطا ولما رأت الصوفية خطأ النظار عدلوا الى الطريقة التي لا لبس فيها فأخذوا الاشياء من عين اليقين وأطال في ذلك والله اعلم * وقال في الباب السابع والثمانين ومائتين ما من كلمة يتكلم بها العبد الا ويخلق الله تعالى من تلك الكلمة ملكا فان كانت خيرا كان ملك رحمة وان كانت شرا كان ملك نقمة فان تاب الى الله تعالى وتلفظ بتوبته خلق الله تعالى من تلك اللفظة ملك رحمة فان قال العبد تبت اليك يا رب من كل شئ

على أن آدم كان يعلم الصور التي أخذت من ظهره وألحقهم بذا الموضع من هذا الكتاب (قلت) قد أخبرني أخي أفضل الدين رحمه الله أن الله تعالى أطلعه على عدد السعداء الذين كانوا في ظهر آدم عليه الصلاة والسلام دون الاشقياء قال وعددهم ما يحصل من ضرب تسعمائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف تسع مرات وتسعمائة وتسعة وتسعين ألفا ونصف ذلك وثلث ذلك مضروب جميعه في الاصول التي ذكرناها فما يحصل من ذلك فهو عدد من كان في ظهر آدم من السعداء لا يزيدون واحدا ولا ينقصون وهو حساب لا يتعقله العقل وانما طريقه الكشف انتهى والله تعالى أعلم * قال الشيخ محيي الدين ومن بعد عن فهمه تصور ما ذكرناه من أن انا في كل فلك صورة ليست احداهما أحق بنا من الاخرى فلينظر في خبر الترمذي مرفوعا وقال فيه حسن غريب ان الله تعالى تجلى لآدم ويداه مقبوضتان أي كما يليق بجلاله فقال له يا آدم اختر أيهما شئت فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ففتحها فاذا آدم وذريته فنظر آدم عليه الصلاة والسلام الى شخص من أضوئهم فقال من هذا يارب فقال الله تعالى له هذا ابنك داود فقال يارب كم كتبت له من العمر فقال أربعين سنة فقال يارب وكم كتبت لي فقال الله تعالى ألف سنة فقال يارب قد أعطيته من عمري ستين سنة قال الله له أنت وذاك فلم يزل آدم يعد لنفسه حتى بلغ تسعمائة وأربعين سنة فجاءه ملك الموت ليقبض روحه فقال له آدم قد بقي من عمري ستون سنة فقال الله تعالى يا آدم انك قد وهبتها لولدك داود فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك اليوم أمر الله تعالى بالكتاب والشهود انتهى فهذا آدم وذريته صور قائمة في قبضة الحق كما يليق بجلاله وهذا آدم خارج عن تلك اليد وهو يرى صورته وصورة ذريته في يد الحق تعالى فما بالك بانا تقر به في هذا الموضع وتنكره علينا في قولنا بتعدد الصور في الافلاك لو كان هذا محالا في نفسه لم يكن واقعا ولا جائز النسبة اذ الحقائق لا تتبدل * قال وأكثر من هذا انبئك فلا اقدر عليه فلا تكن ممن قال الله تعالى فيهم صم بكم عمي فهم لا يرجعون وقد أطال الشيخ الكلام على ذلك في الباب السادس والاربعين وثلثمائة (فان قلت) فهل أعطي أحد النبوة وآدم بين الماء والطين غير محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) لم يبلغنا أن أحدا أعطي ذلك انما كانوا أنبياء أيام رسالتهم المحسوسة (فان قلت) فلم قال كنت نبيا وآدم بين الماء والطين ولم يقل كنت انسانا أو كنت موجودا (فالجواب) انما خص النبوة بالذكر دون غيرها اشارة الى انه أعطي النبوة قبل جميع الانبياء فان النبوة لا تكون الا بمعرفة الشرع المقدر عليه من عند الله تعالى (فان قلت) فما معنى قولهم انه صلى الله عليه وسلم أول خلق الله هل المراد به خلق مخصوص أو المراد به الخلق على الاطلاق (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السادس أن المراد به خلق مخصوص وذلك ان أول ما خلق الله الهباء وأول ما ظهر فيه حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم قبل سائر الحقائق وايضاح ذلك أن الله تبارك وتعالى لما أراد بدء ظهور العالم على حد ما سبق في علمه انفعل العالم عن تلك الارادة المقدسة بضرب من تجليات التنزيه الى الحقيقة الكلية فحدث الهباء وهو بمنزلة طرح البناء الجص ليفتح فيه من الاشكال والصور ما شاء وهذا هو أول موجود في العالم ثم انه تعالى تجلى بنوره الى ذلك الهباء والعالم كله فيه بالقوة فقبل منه كل شيء في ذلك الهباء على حسب قربه من النور كقبول زوايا البيت نور السراج فعلى حسب قربه من ذلك النور يشتد ضوءه وقبوله ولم يكن أحد أقرب اليه من حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أقرب قبولا من جميع ما في ذلك الهباء فكان صلى الله عليه وسلم مبدأ ظهور العالم وأول موجود * قال الشيخ محيي الدين وكان أقرب الناس اليه في ذلك الهباء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الجامع لاسرار الانبياء أجمعين انتهى وقول الشيخ في الامام علي رضي الله تعالى عنه انه جامع لاسرار الانبياء قد نقل أيضا عن الخضر عليه الصلاة والسلام في حق الشيخ أبي مدين التلمساني فقال فيه حين سئل عنه انه جامع لاسرار المرسلين لا أعلم أحدا في عصري هذا أجمع لاسرار المرسلين منه فعلم كما قاله الشيخ محيي الدين في الفتوحات أن مستمد جميع الانبياء والمرسلين من روح محمد صلى الله عليه وسلم

لا يرضى لك خالق من هذا الاقفا ملائكة بعدد كلمات الشر التي كانت منه فان كل تدل على الكثرة فهي تبت الى الله من كل شيء تبت الى الله من كذا تبت الى الله من كذا تبت الى الله من كذا كما تقول زيد دون ترى زيد وزيد وزيد قائم قال ان ملائكة الشر ترجع كلها بالتوبة ملائكة رحمة كما قال تعالى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والثمانين ومائتين في قوله تعالى خلق الانسان من علق انما خلقه تعالى من علق اشارة للعلاقة التي بينه وبين الحق فانه خليفته في الارض وأيضا فان العلقة في ثالث مرتبة من أطوار خلقته فهي في مقام الفردية التي لا تليق الا بالحق فانظر ما أعجب كلام الله عز وجل * وقال في اسم الله الاعظم اعلم ان أسماء الله كلها عظيمة فاصدق واسأل حاجتك بأي اسم الهي شئت وقد قال شخص لابي يزيد البسطامي علمني اسم الله الاعظم فقال له ابو يزيد فأرني الاصغر ثم وبخه على ذلك * وقال انما سمي الانسان انسانا لان به حصل الانس لمراتب الكمال في الوجود اذ لم يكن احد يطلع عليه مراتب الوجود غير الانسان والالف والنون فيه زائدة مثل عمران وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والثمانين ومائتين في قوله تعالى الله نور السموات

اذهو قطب الاقطاب كما سيأتى بسطه فى مبحث كونه خاتم النبيين فهو ممد لجميع الناس أولا وآخرا فهو ممد كل نبي و ولي سابق على ظهوره حال كونه فى الغيب وممد أيضا الكل ولي لاحق به فيوصله بذلك الامداد الى مرتبة كماله فى حال كونه موجودا فى عالم الشهادة وفى حال كونه منتقلا الى الغيب الذى هو البرزخ والدار الآخرة فان أنوار رسالته صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين (فان قلت) قد ورد فى الحديث أول ماخلق الله نورى وفى رواية أول ماخلق الله العقل فما الجمع بينهما (فالجواب) أن معناهما واحد لان حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم تارة يعبر عنها بالعقل الاول وتارة بالنور (فان قلت) فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم ممد الانبياء السابقين فى الظهور عليهم من القرآن (فالجواب) من الدليل على ذلك قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أى أن هداهم هو هداك الذى سرى اليهم منك فى الباطن فاذا اهتديت بهداهم فانما ذلك اهتداء بهداك اذ الاولية لك باطنا والآخرية لك ظاهرا ولو أن المراد بهداهم غير ما قررناه لما قال تعالى له صلى الله عليه وسلم فبهم اقتده وتقدم حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فكل نبي تقدم على زمن ظهوره فهو نائب عنه فى بعثته بتلك الشريعة ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث وضع الله تعالى يده بين ثديى أى كما يليق بجلاله فعلمت علم الاولين والآخرين اذ المراد بالاولين هم الانبياء الذين تقدموه فى الظهور عند غيبة جسمه الشريف وايضاح ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أعطى العلم مرتين مرة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام ومرة بعد ظهور رسالته صلى الله عليه وسلم كما أنزل عليه القرآن أولا من غير تعليم جبريل ثم أنزل عليه به جبريل مرة أخرى ولذلك قال تعالى له ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه أى لا تعجل بتلاوة ما عندك منه قبل أن تسمعه من جبريل بل اسمعه من جبريل وأنت منصت اليه كأنك ما سمعته قط وقد علمت التلامذة الموقنون بذلك مع استاذيهم ذكر ذلك الشيخ فى الباب الثانى عشر من الفتوحات وفى غيره من الابواب (قلت) وفى تصريح الشيخ بأن القرآن أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل جبريل نظر ولم أطلع على ذلك فى حديث فليتأمل (فان قلت) فاذا روح محمد صلى الله عليه وسلم هى روح عالم الخير كله وهى النفس الناطقة فيه كله (فالجواب) نعم والامر كذلك كما ذكره الشيخ فى الباب السادس وأربعين وثلثمائة فحال العالم المذكور قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم بمنزلة الجسد السوى وحاله بعد موته صلى الله عليه وسلم بمنزلة النائم وحال العالم حين يبعث يوم القيامة بمنزلة الانتباه من النوم فالعالم اليوم كله نائم من حين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أن يبعث انتهى (فان قلت) فما الدليل على كونه صلى الله عليه وسلم أفضل من أبيه ابراهيم مع انه صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نسأل الله أن يصلى عليه كما صلى على ابراهيم والقاعدة أن يكون المشبه به أفضل من المشبه (فالجواب) ليس المراد ما يتبادر من ذلك الى الاذهان وانما النكتة فى قوله كما صليت على ابراهيم كونه صلى الله عليه وسلم كان مسؤلا فى تعليم الصحابة كيفية الصلاة عليه فلما قالوا له كيف نصلى عليك ما وسعه الا التواضع فقال قولوا كما صليت على ابراهيم وأنت اذا قلت لانسان على ألفاظا أنعم لك بها الا بقدر ينطق لك بألفاظ تعطى التفخيم مع كونك أقل حياء من الشارع صلى الله عليه وسلم بيقين فافهم (فان قلت) فلم كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من أبيه آدم صلى الله عليه وسلم وأقوى استعدادا منه مع انه فرع من آدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الخامس من الفتوحات انه انما كان أفضل من أبيه آدم عليه الصلاة والسلام لان آدم عليه الصلاة والسلام كان حاملا لألفاظ الاسماء ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حاملا لمعانيها وهى جوامع الكلم المشار اليها بحديث أوتيت جوامع الكلم فمن حصل على الذات حصل على الاسماء وكانت تحت حيطة علمه ومن حصل على الاسماء لا يكون محصلا للذات الذى هو المسمى قال ولهذا فضلت الصحابة فانهم حصلوا الذات ونحن حصلنا الاسم ولكن لما راعينا الاسم مراعاتهم للذات ضوعف لنا الاجر لحسرة الغيبة التى لم تكن لهم فكان لنا التضعيف بذلك فنحن الاخوان لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والارض اعلم انه لولا النورية التى فى الاجسام الكثيفة ماصح لامكاشف ان يكشف ماوراء الجدران وماتحت الارض ومافوق السموات ولولا اللطافة التى هى أصلها ماصح اختراق بعض الاولياء الجدران ولا كان قيام الميت فى قبره والتراب عليه أو التابوت مسمرا عليه مجعولا عليه التراب لا يمنعه شئ من ذلك عن قعوده وأطال فى ذلك * وقال فى الباب التسعين ومائتين اذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك كل مباح وخفت ان تنتقل الى مكروه فاسأل الله أن يخلق فيك الكراهة لذلك الامر والا هلكت * وقال من أراد ان يطلق الله عليه الالسنة بالثناء الحسن فليعمل بأعمال المقربين ويجتنب أعمال الفاسقين جملة واحدة ظاهرا وباطنا وأما من طلب الثناء عليه من غير سلوك طريق المقربين فيا عناءه ويا تعبه على العارفين كلهم فى هذه الدار لا يبالون كيف أصبحوا ولا كيف امسوا عند الناس لانهم فى موطن التكليف فلا تتركهم التكاليف ان يلتفتوا لغير الله عز وجل * وقال فى الباب الحادى والتسعين ومائتين ما من سائل عن شئ الا وفيه أهلية للجواب عن سؤاله وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اعرابيا سأله وهو بين ظهرانى أصحابه

وهم الاصحاب وهو صلى الله عليه وسلم البنا بالاشواق وما أفرحه بلقاء واحد منا ولا عامل منا أجر خمسين ممن يعمل مثل عمل أصحابه كما ورد انتهى وأما كونه صلى الله عليه وسلم أقوى استعدادا من أبيه آدم فلانه خلق من امتزاج الابوين لا من واحد منهما بل من المجموع حسا وهما الجامع صلى الله عليه وسلم استعداد الاثنين فلهذا كان كماله أتم من كمال أبيه ذكره الشيخ فى الباب الثانى والسبعين فى أسرار الحج من الفتوحات * قال ومن هنا اختص محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال على آدم وابراهيم لكونه ابنا لهما وكل ابن له فى النشأة هذا الكمال الا أن الناس يتفاضلون فيه لاجل الحركات العلوية والطوالع النورانية والاقترانات السعادية وان لم يكن لها عندنا أثر فى التخليق انتهى * وقال الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وثلثمائة فى حديث لو كان موسى حيا ما وسعه الا أن يتبعنى اعلم انه صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء للعهد الذى أخذ على الانبياء بسيادته عليهم ونبوته فى قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية نعمت رسالته وشريعته كل الناس فلم يخص نبى بشئ الا ان كان ذلك الشئ لمحمد صلى الله عليه وسلم بالاصالة انتهى * فكل نبى تقدم على زمن ظهوره فهو نائب له صلى الله عليه وسلم فى بعثته بتلك الشريعة ذكره الشيخ تقى الدين السبكى ونقله عنه الجلال السيوطى فى أول الخصائص (فان قلت) قد تقدم أن القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة قبل أن ينزل عليه تفصيلا فما الحكمة فى ذلك (فالجواب) انما نزل عليه صلى الله عليه وسلم القرآن اجمالا ليفرق بين تنزيله عليه وتنزيل العلوم على الاولياء وذلك أن التدريج فى الامور انما هو للتعمل ولا تعمل الا لرسال بخلاف الاولياء لا تنزل عليهم العلوم الا وهى مفصلة فقط لان منها جهة الترقى والتكسب فالنبوة وهب والولاية كسب * وقال فى الباب العاشر من الفتوحات فى قوله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر انما كان صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم لان جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام نواب له صلى الله عليه وسلم من لدن آدم الى آخر الرسل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام كما أبان عن ذلك حديث لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما الا اتباعى وصدق صلى الله عليه وسلم فى ذلك فانه لو كان موجودا بجسمه من لدن آدم الى زمان وجوده لكان جميع بنى آدم تحت شريعته حسا ولهذا لم يبعث نبى الى الناس عامة الا هو خاصة فجميع شرائع الانبياء هى بالحقيقة شرعه صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فهل يكون نسخ شريعته لكل شريعة تقدمت يخرج تلك الشرائع عن كونها شرعا له (فالجواب) لا يخرجها ذلك النسخ عن كونها من شريعته فان الله تعالى قد أشهدنا النسخ فى شرعه الظاهر مع اجتماعنا واتفاقنا على انه شرعه الذى نزل عليه فنسخ المتقدم بالمتأخر ومما يشهد لكون جميع الانبياء نوابا له صلى الله عليه وسلم كون عيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل الى الارض لا يحكم بشرع نفسه الذى كان عليه قبل رفعه وانما يحكم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم الذى بعث به الى أمته ولو أن الشرع الذى يحكم به عيسى اذا نزل كان له بالاصالة لما كان يحكم اذا نزل الى الارض الا به (فان قلت) قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس الحديث هل هو منسوخ أو قاله تواضعا (فالجواب) هو تواضع منه صلى الله عليه وسلم والا فهو يعلم انه أفضل خلق الله تعالى وذلك ليصح له تمام الشكر فانه أشكر خلق الله تعالى لله ولا يكون ذلك الا بمعرفته كل ما أنعم الله به عليه فافهم ومعنى الحديث لا تفضلونى من ذوات نفوسكم لجهلكم بالامر وليس معناه لا تفضلونى مطلقا فانه من فضله بتفضيل الله عز وجل له فقد أصاب (فان قلت) فهل للعارف أن يفضله صلى الله عليه وسلم بحسب ما تحتمله الالفاظ (فالجواب) نعم له ذلك ولكن الكامل لا يعتمد فى جميع ما يقوله الا على ما يلقيه الله تعالى عنده لا على ما تحتمله الالفاظ والله أعلم (فان قلت) فهل جميع مقاماته صلى الله عليه وسلم تورث لاتباعه من الانبياء والاولياء أم يختص صلى الله عليه وسلم بمقامات لا يصح لاحد منهم أن يرثها منه (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وثلثمائة يختص صلى الله عليه وسلم بمقامات لا يشاركه فيها أحد من الانبياء منها انه أعطاه ضروب الوحى كلها من وحى البشارات وانزاله على القلب والاذن وبالعروج به الى السماء ونحو ذلك ومنها

انه

فقال يارسول الله أسألك عن ثياب أهل الجنة أتخلق تخلق أم تنسج نسجا فضحك الحاضرون من سؤاله فغضب صلى الله عليه وسلم وقال أتضحكون من جاهل سأل عالما ياهذا الرجل انها تشقق عنها ثمر الجنة فأجابه صلى الله عليه وسلم بما أرضاه وعلمه ما جهله وازال خجل السائل بتعليم أصحابه الادب معه حين سأل وانقلب الاعرابى عالما فرحا مسرورا * وقال فى الباب الثانى والتسعين ومائتين فى قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اعلم ان العلماء اختلفوا هل يكون الحق تعالى عوضا لامر خاص أم لا والتحقيق أن الحق تعالى من حيث ذاته ووجوده لا يقاومه شئ ولا يصح ان يطلب لذاته وانما يريد الطالب معرفة وجه ربه أو مشاهدته أو رؤيته وكل هذا ما هو عين الحق تعالى واذا لم يكن عينه فقد يصح أن يكون عوضا كما ان من عبد الله تعالى كأنه يراه فجزاؤه فى الآخرة رؤيته وأطال فى ذلك * ثم قال وقد ترافع اثنان الى مالك بن أنس رضى الله عنه ادعى أحدهما على الآخر هدية وطلب المكافأة عليها فقال له ماذا ابتغيت بها حين أعطيتها له ان كنت ابتغيت بها جزاءه فى الجنة أو معاوضة فى الدنيا فخذها منه ان كانت عينها باقية والا قيمتها وان كنت ابتغيت

انه أعطاه علم الاحوال كلها لكونه أرسل الى جميع الناس كافة ومعلوم ان أحوالهم مختلفة فلابد أن تكون رسالته تعم الكل بجميع أحوالهم ومنها انه أعطاه علم احياء الاموات معنى وحسا بخلاف غيره فحصل صلى الله عليه وسلم العلم بالحياة المعنوية وهى حياة العلوم وحصل أيضا الحياة الحسية وهو ما أتى فى قصة ابراهيم تعليما واعلاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق ومنها انه أعطاه علم الشرائع المتقدمة كلها اذ أمره ان يهتدى بهدى الانبياء لا بهم ومنها انه اختص بشرع لم يكن لغيره كما أشار اليه حديث أعطيت ستا لم يعطهن نبى قبلى فهذه أمور رخص بها لم يعطها أحد غيره ومما خص به أيضا لواء الحمد فى المقام المحمود الذى يقام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة باسمه الحميد (فان قلت) فهل لواء الحمد واحد او هو متعدد (فالجواب) هو سبعة ألوية تسمى بألوية الحمد تعطى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وورثته المحمديين وفى تلك الالوية أسماء الله التى يثنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه عز وجل اذا أقيم فى المقام المحمود يوم القيامة وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا سئل فى الشفاعة فأحمد الله تعالى بمحامد يعلمنيها الا أعلمها الآن أى أثنى عليه تعالى بهذه الاسماء التى يقتضيها ذلك الموطن ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لا يثنى على الله الا بأسمائه الحسنى وهى لا يحاط بها علما وذلك انا نعلم أن فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونعلم اننا لا نعلم أيضا ما أخفى لنا من قرة أعين وما من شئ من ذلك الا وهو مستند الى الاسم الالهى الذى أظهره بخلاف الاسم الالهى الذى امتن الله تعالى علينا بالاطلاع عليه فلابد أن نثنى عليه به ونحمده به اما ثناء تسبيح واما ثناء اثبات قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة وقد سألت الله تعالى أن يطلعنى على عدد تلك الاسماء المرقومة فى الالوية فقيل لى ان قدرها ألف اسم وستمائة اسم وأربعة وستون اسما فدرقم فى كل لواء منها تسعة وتسعون اسما من أحصاها فى موطن القيامة دخل الجنة يعنى قبل الناس وليس احصاؤها الا لرجل الكامل من نبى أو ولى اه (فان قلت) فما حكمة جعل اللواء بيده صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والسبعين انه انما جعل بيده ليجتمع اليه الناس اذ هو علامة على مرتبة الملك وعلى وجود الملك وانما سمى لواء لانه يلتوى على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد كما أشار اليه حديث آدم ومن دونه تحت لوائى وايضاح ذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام عالم بالاسماء وما ظهر بعلمها الا بحكم النيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم فى عالم الملائكة لتقدمه بالنبوة وآدم بين الماء والطين فلما ظهر جسم محمد صلى الله عليه وسلم كان هو صاحب اللواء فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الاصالة فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه * (فان قلت) فهل يدخل تحت لوائه صلى الله عليه وسلم أيضا الملائكة (فالجواب) نعم لانها كانت تحت ذلك اللواء فى زمان آدم فكذلك يكونون فى الآخرة تحته حين يحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنالك يظهر لجميع الخلق سيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافته على الجميع اه * (فان قلت) فأين منزلة محمد صلى الله عليه وسلم يوم الموقف الاعظم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب السابع والثلاثين وثلثمائة أن منزلته على يمين حضرة الرحمن حين التجلى على العرش وأما منزلته يوم القيامة فهى بين يدى الحكم العدل لتنفيذ الاوامر الالهية فى العالم فالكل عنه يأخذ فى ذلك الموطن وهو صلى الله عليه وسلم وجهه كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب اعلام من الله يفهم عنه بر ونه لسانا او يسمعونه صوتا وحرفا اه * (فان قلت) فهل الوسيلة مختصة به فلا تكون لغيره أم يصح أن تكون لغيره لقوله فى الحديث لا ينبغى أن تكون الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون انا هو فلم يجعلها له صلى الله عليه وسلم نصا (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع والسبعين فى الجواب الثالث والتسعين أن الذى نقول به أنه لا يجوز لاحد سؤال الوسيلة لنفسه أدبا مع الله تعالى فى حق رسوله صلى الله عليه وسلم الذى هدانا الله به وايثارا له أيضا على أنفسنا وما طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة الا تواضعا منه صلى الله عليه وسلم لنا وتأليفا لنا نظير المشاورة

بها وجه الله فلا أحكم لك بشئ انتهى * وقال فى الباب الثالث والتسعين ومائتين فى قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ اعلم أن لله تعالى جودا مطلقا وجودا مقيدا وهذه الآية من الجود المطلق وأما المقيد فهو قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة أى أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص وهو قوله أنه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فهذا جود مقيد بالوجوب لان هذه صفته وهو عوض عن هذا العمل الخاص ولا يخفى ان التوبة والاصلاح من الجود المطلق فقابل جوده بجوده فما حكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره * قال وحكى عن سهل بن عبد الله عالمنا وامامنا انه قال لقيت ابليس فعرفته وعرف منى أنى عرفته فوقعت بيننا مناظرة فقال لى وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث انه وقف ووقفت وحار وحرت فكان من آخر ما قال لى ياسهل ان الله تعالى يقول ورحمتى وسعت كل شئ فعم ولا يخفى عليك أنى شئ بلاشك لان لفظة كل تقتضى الاحاطة والعموم وشئ أنكر المنكرات فقد وسعتنى رحمته قال سهل فوالله لقد أخرسنى وحيرنى بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآية وفهمه منها ما لم أفهم وعلمه من دلالتها ما لم أعلم فبقيت حائرا متفكرا

فتعين علينا أدبا وايثارا ومروءة ومكارم أخلاق ان الوسيلة لو كانت لنا لوهبناها له صلى الله عليه وسلم وكان هو
الاولى بأفضل الدرجات اعلاؤ منصبه ولما عرفناه من منزلته عند الله تعالى * ومما يؤيد تحريم سؤالنا
الوسيلة لانفسنا ما ذكره العلماء في الخصائص من تحريم خطبة المرأة التي عرض عليه الصلاة والسلام لوليها
بتزويجها له ولذلك امتنع أبو بكر من اجابة عمر رضي الله عنهما حين سأله عمر أن يتزوج ابنته حفصة وقال أبو بكر اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها اه (وقد رأيت) في نسخة من نسخ الفتوحات بمصر مانصه
يجوز لكل مسلم أن يسأل لنفسه الوسيلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعينها لنفسه ولعلها من النسخ
المدسوس فيها على الشيخ أو مرجوع عنها بدليل قوله رضي الله عنه في الباب السابع وثلاثمائة ان
منزلته صلى الله عليه وسلم في الجنان هي الوسيلة التي يتفرع منها جميع الجنان وهي في جنة عدن دار المقامة
ولها شعبة في كل جنة من الجنان ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة وهي في
كل جنة أعظم منزلة فيها انتهى فاياك أن تضيف الى الشيخ ما في النسخة المدسوسة ثم تعترض عليه
والله أعلم

*(المبحث الثالث والثلاثون في بيان بداية النبوة والرسالة والفرق بينهما وبيان
امتناع رسالة رسولين معا في عصر واحد وبيان أنه ليس كل رسول
خليفة وغير ذلك من النفائس التي لا توجد في كتاب)*

اعلم يا أخي أنه قد ورد في الصحيح أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة
الحديث (فان قلت) ما حقيقة بدء الوحي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الجواب الخامس والعشرين
من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن المراد ببدء الوحي انزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية
المقيدة في حضرة الخيال سواء كان ذلك في نوم أو يقظة (فان قلت) فاذن هو من مدركات الحس (فالجواب)
نعم هو من مدركات الحس وحضرة المحسوس كما في قوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا قال الشيخ محيي الدين وفي
حضرة الخيال أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم في صورة اللبن ولذا كان يؤوله برؤياه هذا هو
ما أبقاه الله تعالى على الامة من أجزاء النبوة فان مطلق النبوة لم يرتفع وانما ارتفع نبوة التشريع فقط كما
يؤيده حديث من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه فقد قامت به النبوة بلا شك وقوله صلى الله
عليه وسلم فلا نبي بعدي ولا رسول المراد به لا مشرع بعدي (فان قلت) فما الحكمة في كون الرؤيا
الصادقة جزءا من ستة وأربعين جزءا من النبوة وما حكمة هذا العدد (فالجواب) انما خصت الاجزاء بهذا
العدد لان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة وكانت رؤياه الصادقة ستة أشهر ونسبة الستة
أشهر الى الثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءا فلا يلزم أن تكون هذه الاجزاء لنبوة كل نبي فقد
يوحى الى نبي أكثر من ذلك فتكون الاجزاء بحسب ذلك من خمسين وستين وأكثر والله أعلم (فان قلت)
هل مقام الولاية من لازم مقام النبوة أو هو وصف آخر لا يكون للانبياء (فالجواب) أن ولاية الله تعالى
لعباده هي الفلك المحيط العام وهي الدائرة الكبرى ومن حكمها وحقيقتها أن الله تعالى يتولى من شاء من
عباده برسالة أو نبوة أو ايمان ونحو ذلك من أحكام الولاية المطلقة وكل رسول لابد أن يكون نبيا وكل نبي لابد
أن يكون وليا وكل ولي لابد أن يكون مؤمنا (فان قلت) فالى أي وقت يستمر حكم الرسالة والنبوة (فالجواب)
أما الرسالة فتستمر الى دخول الناس الجنة أو النار وأما النبوة فانها باقية الحكم في الآخرة لا يختص حكمها
بالدنيا (فان قلت) فما حقيقة الرسالة وهل هي حال أو مقام (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن
والخمسين ومائة أن حقيقة الرسالة ابلاغ كلام الله من متكلم الى سامع وهو حال لا مقام اذ لا بقاء لها بعد
انقضاء التبليغ فلا تزال الرسالة يتجدد حكمها كل حين وهو قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
فالاتيان به هو الرسالة وحدوث الذكر هو عند السامع المرسل اليه ولهذا ظهر علم الرسالة في صورة اللبن لان

وأخذت أتلو الآية في نفسي
فلما جئت الى قوله تعالى
فسأكتبها للذين يتقون
الآية سررت وظننت أني
قد ظفرت بحجة وظهرت عليه
بما يقصم ظهره فقلت له
يا ملعون ان الله تعالى قد
قيدها بنعوت مخصوصة
تخرجها من ذلك العموم
فقال فسأكتبها للذين يتقون
الى آخر النسق فتبسم ابليس
وقال والله يا سهل ما كنت
أظن أن يبلغ بك الجهل
بصفات الله تعالى هذا المبلغ
ولا ظننت انك ههنا ليتك
سكت ليتك سكت ليتك سكت
ألست تعلم يا سهل أن التقييد
صفتك لا صفته تعالى قال
سهل فرجعت الى نفسي
وغصصت بريقي وقام الماء
في حلقي والله ما وجدت له
جوابا ولا سددت في وجهه
بابا وعلمت أنه طمع في مطمع
وانصرفت وانصرف والله
ما أدري بعد هذا ما يكون فان
الله تعالى ما نص بما يرفع هذا
الاشكال فبقي الامر عندي
على المشيئة منه في خلقه
لا أحكم عليه في ذلك الا بما
حكم به على نفسه من حيث
وجوب الايمان به انتهى
كلام سهل قال الشيخ محيي
الدين واعلم رحمك الله أني
تتبعت ما حكي عن ابليس فما
رأيت أقصر منه حجة ولا أجهل
منه بين العلماء فلما وقفت له
على هذه المسئلة التي حكاها
عنه سهل بن عبد الله تعجبت
وعلمت أنه قد علم علما لا جهل

المرسل هو اللبن اه * وقال فى الباب السابع والخمسين ومائة اعلم أن الرسالة نعت كونى متوسط بين مرسل ومرسل اليه والمرسل به وقد يعبر عنه بالرسالة وقد تكون الرسالة حال الرسول لا تقضائها بانقضاء التبليغ قال تعالى ما على الرسول الا البلاغ فالرسالة هنا هى التى أرسل بها وبلغها وهكذا وردت فى القرآن حيثما وردت ولا يقبلها الرسول الا بواسطة روح قدسى ينزل بالرسالة تارة على قلبه وتارة يتمثل له الملك رجلا وكل روح لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية وانما يسمى وحيا أو الهاما أو وجودا ولا تكون الرسالة الا كما ذكرنا يعنى بواسطة روح قدسى (فان قلت) فما الفرق بين النبى والرسول (فالجواب) الفرق بينهما هو أن النبى اذا أتى اليه الروح بشئ اقتصر به ذلك النبى على نفسه خاصة ويحرم عليه أن يبلغ غيره ثم ان قيل له بلغ ما أنزل اليك اما لطائفة مخصوصة كسائر الانبياء واما عامة ولم يكن ذلك الا لمحمد صلى الله عليه وسلم سمى بهذا الوجه رسولا وان لم يخص فى نفسه بحكم لا يكون لمن بعث اليهم فهو رسول لا نبى وأعنى بها نبوة التشريع التى لا تكون للاولياء * فعلم أن كل رسول لم يخص بشئ من الحكم فى حق نفسه فهو رسول لا نبى وان خص مع التبليغ بشئ فى حق نفسه فهو رسول ونبى فما كل رسول نبى على ما قررناه ولا كل نبى رسول بلا خلاف والله أعلم هكذا ذكره الشيخ محيي الدين فى الباب الثامن والخمسين ومائة فليتأمل فان من بلغ شرعا لا نصيب له فى العمل به بما أتى عليه نبى أيضا من حيث انه مخبر والله أعلم (فان قلت) فهل كان الوحى للانبياء الذين لم يرسلوا على لسان جبريل فى اليقظة أم فى المنام (فالجواب) لم أر فى ذلك شيأ عن الاصوليين ولكن ذكر الشيخ عبد العزيز الديرينى فى كتابه المسمى بالدرر الملتقطة أن الانبياء الذين لم يرسلوا كان الوحى اليهم فى المنام على لسان جبريل اه فلا أدرى ما دليله فى ذلك فليتأمل (فان قلت) فكم تنقسم النبوة على قسم (فالجواب) تنقسم النبوة البشرية على قسمين (القسم الاول) من الله تعالى الى عبده من غير روح ملكى بين الله تعالى وبين عبده بل اخبارات الهية يجدها فى نفسه من الغيب أو فى تجليات ولا يتعلق بذلك الاخبار حكم تحليل ولا تحريم بل تعريف بمعانى الكتاب والسنة أو بصدق حكم مشروع ثابت انه من عند الله تعالى أو تعريف بفساد حكم قد ثبت بالنقل صحته ونحو ذلك وكل ذلك تنبيه من الله تعالى وشاهد عدل من نفسه قال ولا سبيل لصاحب هذا المقام أن يكون على شرع يخصه يخالف شرع رسوله الذى أرسل اليه وأمرنا باتباعه أبدا (القسم الثانى) من النبوة البشرية وهو خاص بمن كان قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهم الذين يكونون كالتلامذة بين يدى الملك فينزل عليهم الروح الامين بشريعة من الله تعالى فى حق نفوسهم يتعبدهم بها فيحل لهم ما شاء ويحرم عليهم ما شاء ولا يلزمهم اتباع الرسل وهذا المقام لم يبق له أثر بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا فى الائمة المجتهدين من أمته لكن لا يفارقونهم بوجوب اتباعهم الرسل فلهم أن يحلوا بالدليل ويحرموا به اه (فان قلت) هل ثم أحد من البشر ينال فى الدنيا علما من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الاحد وتسعين وأربعمائة ليس أحد ينال علما فى الدنيا الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على مبعثه والمتأخرون عنه وأطال فى ذلك كما تقدم بسطه فى المبحث قبله (فان قلت) فهل أطلع الله تعالى أحدا من الاولياء على عدد الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أو حصل له الاجتماع بهم كلهم من طريق كشفه (فالجواب) نعم ذلك واقع لكل من حصل له قدم الولاية الكبرى * وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب التاسع والاربعين وثلثمائة اعلم أن عدد الانبياء والمرسلين من بنى آدم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا كما ورد فى الحديث ولا بد من هذا العدد فى الاولياء فى كل عصر وقد يزيدون * قال الشيخ وقد جمع الله تعالى بينى وبين جميع أنبيائه فى واقعة صحيحة حتى لم يبق منهم أحد الا وعرفته وكذلك جمعنى على من هو على أقدامهم من الاولياء فرأيتهم وعرفتهم كلهم * وقال أيضا فى الباب الثالث والستين وأربعمائة رأيت فى كشفى جميع الانبياء والمرسلين وأممهم كأنى مشاهدة على من كان منهم ومن يكون الى يوم القيامة أظهرهم

فيه فهو استاذ سهل فى ذلك والله أعلم * وقال فى قوله تعالى وجعل الشمس سراجا اعلم ان النور المنبسط على الارض الذى هو من شعاع الشمس السارى فى الهواء ليس له حقيقة وجودية الا بنور البصر المدرك لذلك فاذا اجتمعت العينان عين الشمس وعين البصر استنارت المبصرات وقيل قد انبسطت الشمس عليها ولذلك يزول ذلك الاشراق بوجود السحاب الحائل لان العين فارقت العين الاخرى بوجود السحاب قال وهى مسئلة فى غاية الغموض لانى أقول لو ان الشمس فى جو السماء وما فى العالم عين تبصر من حيوان ما كان لها شعاع ينبسط فى الارض أصلا فان نور كل مخلوق مقصور على ذاته لا يستنير له غيره فبوجود أبصارنا ووجود الشمس ظهر النور المنبسط قال ولا يخفى ان الحرباء يظهر لونه بحسب ما تقلب فيه من خضرة أو حمرة أو غيرها ولا وجود لتلك الالوان فى جسمها فقد أدركت يا أخى ما لا وجود له حقيقة بل نسبة وكذلك النور المنبسط على الارض قال ومن هنا يعلم ان العالم مدرك لله فى حال عدمه فهو معدوم العين مدرك لله يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار لا لأمر فيه (قلت) وهذا كلام دقيق غوره بعيد فليتأمل ويحرر والله أعلم * وقال فى الباب الخامس والتسعين وما ننبه معنى كون الشمس

الحق تعالى فى صعيد واحد قال وصاحبت منهم غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم الخليل عليه الصلاة والسلام قرأت عليه القرآن كله باستدعائه ذلك منى فكان يبكى عند كل موضع ذكره الله تعالى فيه من القرآن وحصل لى منه خشوع عظيم وأما موسى عليه الصلاة والسلام فأعطانى علم الكشف والايضاح عن الامور وعلم تقليب الليل والنهار وأما هود عليه الصلاة والسلام فأخبرنى بمسئلة كانت وقعت فى الوجود وما علمتها الامته * وأما عيسى عليه الصلاة والسلام فتبت على يديه أول دخولى فى طريق القوم * قال ورأيت فى هذه الواقعة أمورا علمت منها أنه لاحظ لى فى الشقاء ومنها انى رأيت نفسى فى السعداء الذين على يمين آدم عليه الصلاة والسلام فشكرت الله على ذلك * وقال أيضا فى الباب الثالث والسبعين ما اجتمعت بأحد من الانبياء أكثر من عيسى عليه الصلاة والسلام وكنت كلما اجتمعت به دعا لى بالثبات فى الدين حيا وميتا وكان لا يفارقنى حتى يدعو لى بذلك * وكان يقول لى يا حبيبى وأمرنى أول اجتماعى عليه بالزهد والتجريد وكان من زهاد الرسل وأكثرهم سياحة وكان حافظا للامانة لم يأخذ فى الله لومة لائم ولذلك عادته اليهود اه

* وقال أيضا فى الباب الخامس والستين وثلثمائة قد شاهدت فى واقعة نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وشاهدت جميع الانبياء من آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم وأشهدنى الله تعالى جميع المؤمنين بهم حتى ما بقى منهم أحد لا من كان ولا من يكون الى يوم القيامة وعرفت خاصهم وعامهم وعرفت جميع السعداء الذين كانوا فى ظهر آدم وعددهم فلا يخفى على الآن منهم أحد من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن لم يعطنى الله تعالى معرفة عدد أهل النار لكثرتهم فلا يعلم عددهم الا الله تعالى وعرفت فى هذا الكشف جميع مراتب الانبياء والمرسلين وأتباعهم واطلعت على جميع ما كنت آمنت به مجملا مما هو فى العالم العلوى والسفلى وشهدت ذلك كله عيانا ومازحزحنى ذلك الذى رأيته وشاهدته عن ايمانى فلم أزل أقول وأعمل ما أقوله لقول النبى صلى الله عليه وسلم لى قل كذا واعمل كذا لا لعلمى ولا لعينى ولا لشهودى فواخيت فى شهودى بين الايمان والعيان فى آن واحد فلا يفوتنى ثواب الايمان * قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا الى وقتى هذا وان كنت أعلم أن فى رجال الله تعالى من ناله لكنى لم أجتمع به يقظة ومشافهة * قال وسبب ذلك أنى ما علقت خاطرى قط من جانب الحق تعالى بشئ يطلعنى عليه من الكون وانما علقت خاطرى مع الله تعالى أن يستعملنى فيما يرضيه ولو خالف ذلك هوى نفسى وأن لا يحجبنى عنه بوقوع ما يباعدنى عنه وعن شهوده فانى أنا العبد المحض الذى لا أرى لى شفوفا على أحد من عباد الله تعالى وأتمنى أن يكون العالم كله مطيعا على قدم المعرفة * قال وانما ذكرت لك ذلك من باب التحدث بالنعمة وفتحا للباب تنشيطا للاخوان لطلب نيل مقامات الرجال اه

(فان قلت) فما معنى قوله تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده (فالجواب) أن الروح هنا هو الملقى من عند الله الى قلوب عباده ويكون أمر الله تعالى هو الذى ألقاه لانه صورة ذلك الروح هو صورة قوله تعالى لا اله الا أنا فاتقون ولو لم تكن صورته ذلك لكان يقول أن لا اله الا هو فالوسائط مرتفعة فى هذا المنزل لا وجود لها اذ كان عين الوحى المنزل هو عين الروح والملقى هو الله لا غيره فليس الروح هنا عين الملك (فان قلت) فهل الملائكة تعرف هذا الروح (فالجواب) لا تعرف الملائكة هذا الروح لانه ليس من جنسها اذ هو روح غير مجهول وليس نورانيا والملائكة روح فى نور * قال الشيخ فى الباب الثامن والثلاثين ومائتين وهذا الرزق لنا ولسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما تنزل الارواح الملكية على قلوب العباد فانهم لا ينزلون الا بأمر الله الرب وليس معنى ذلك أن الله يأمرهم من حضرة الخطاب بالانزال وانما يلقى اليهم ما لا يليق بمقامهم أن يعرفوه من ذواتهم فى صورة من ينزلون عليه بذلك فيعرفون أن الله تبارك وتعالى قد أراد منهم الانزال والنزول بما وجدوه فى نفوسهم من الوحى الذى لا يليق بهم فانه من خصائص البشر فان البشر يشاهدون صورة المنزل عليهم فى الصورة التى عندهم فيعرفون من تلك الصورة من هو صاحبها فى الارض فينزلون عليه ويلقون اليه ما أتى اليهم فيه يعبر عن ذلك الملقى بالشرع والوحى فان كان منسوبا الى الله

سراجا أن يهتدى به العالم وتبصر به الاشياء التى كان يسترها الظلام فحدوث الليل والنهار بحدوث كواكب الشمس والارض قال والليل هو ظلمة الارض الحاجبة عن انبساط نور الشمس والكواكب كلها عند أهل الكشف مستنيرة لا تستمد من الشمس كما يراه بعضهم قال والقمر على أصله لا نور له البتة فقد محا الله نوره وذلك النور الذى ينسب اليه هو ما يتعلق به البصر من الشمس فى مرآة القمر على حسب مواجهة الابصار منه فالقمر مجلى الشمس وليس فيه من نورها شئ قال وأول من شرع فى تعليم الناس علم الحوادث التى تكون فى الارض باقترانات الكواكب هو ادريس عليه السلام وهو علم صحيح لا يخطئ فى نفسه وانما الناظر فى ذلك هو الذى يخطئ بعدم استيفائه النظر فالخطأ واقع فى نظر هؤلاء لا فى نفس العلم وهو من علوم الاسرار الالهية والله تعالى أعلم بالصواب * وقال فى الباب السابع والتسعين ومائتين من رحمة الله عز وجل بعباده أن رفع عنهم الخطأ والنسيان فلا يؤاخذهم الله فى الدنيا ولا فى الآخرة فاما فى الآخرة فمجمع عليه من الكل وأما فى الدنيا فاجمعوا على رفع الذنب واختلفوا فى الحكم وقد سئل الجنيد عن الشبلى رحمهما الله لما كان يرد من

تعالى بحكم الصفة سمى قرآنا وفرقانا وتوراة وانجيلا وزبورا وصحفا وان كان منزو بالى الله بحكم الفعل لا بحكم الصفة سمى حديثا وخبرا وسنة ورأيا قال الشيخ وقد ينزلون أيضا بالامر الالهى من حضرة الخطاب (فان قلت) فما معنى قول الملك وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ما معنى هذا النسيان (فالجواب) معناه ليس ربك نسيا فيما شاهده من قول جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم فى حال كونها أعيانا ثابتة فى علمه حال عدمها وخطاباتها فصح قوله نسيا لانه حكاية أمر محقق فى وجود محقق لله لا يتصف بالحدوث ثم ان تلك الاعيان لما حدثت أخبرت بما كان منها قبل كونها مما شاهده الحق تعالى منها ولم تشهده هى لعدم وجودها لنفسها وقد روى عن الزهرى انه حدث مرة عن شخص من الثقات فقال حدثنى فلان عنى أنى قلت كذا وكذا وذلك أن الزهرى لما قال حدثنى فلان اتصل الاسناد وان كان هو لا يعلم هذا الحديث ذكره الشيخ فى الباب السابع والثمانين وسيأتى بسط الكلام على أحوال الملائكة فى المبحث التاسع والثلاثين فراجعه والله أعلم (فان قلت) هل النبوة مكتسبة كالولاية أو ولاية النبى فى نفسه كما قيل أم هى موهوبة (فالجواب) الولاية فى كل من النبى والولى مكتسبة وما خرج عن الكسب سوى النبوة وايضاح ذلك أن الله تعالى قد خلق الخلق على منازل بحسب ما سبق فى علمه فجعل الملائكة ملائكة والرسل رسلا والانبياء أنبياء والاولياء أولياء والمؤمنين مؤمنين والمنافقين منافقين والكافرين كافرين كل ذلك مميز عنده سبحانه وتعالى لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ولا يتبدل أحد بأحد فليس لمخلوق تعمل فى مقام لم يخلق عليه بل قد وقع الفراغ من ذلك فلا يجرى أحد فى غير مجراه ولا يمشى أحد فى مدرجة أحد اذ لو سلك أحد فى مدرجة أحد لكانت النبوة مكتسبة ولحصلها من لم يكن نبيا وذلك غير واقع اه وقال الشيخ أيضا فى الباب التاسع عشر لكل شخص من أهل الله تعالى سلم يخصه لا يرقى فيه غيره اذ لو رقى أحد فى سلم أحد لكانت النبوة مكتسبة والامر على خلاف ذلك (فان قلت) فما شبهة قول من يقول ان النبوة مكتسبة (فالجواب) شبهته فى ذلك كونه رأى الانبياء قبل رسالتهم لابد أن ينقطعوا ويتعبدوا على نية قوة الاستعداد للوحى لم يرجعوا الى الحالة التى كانوا عليها حين قدر الحق تعالى المقادير فلما نظر هؤلاء القوم الى انقطاعهم وتعبدهم ثم حصول النبوة لهم ظنوا أن النبوة مكتسبة وهو وهم وقصور نظر (فان قلت) فما شبهة منكرى النبوات المعهودة (فالجواب) سبب انكارهم ذلك توهمهم ان كل من صفى جوهرة نفسه من الكدورات الطبيعية والتزم مكارم الاخلاق المرضية صار نبيا من غير وحى اليه على لسان ملك قالوا فانه اذا صفى قلبه انتقش فى قلبه جميع ما فى العالم العلوى من العلوم السماوية التى فى اللوح المحفوظ وغيره بالقوة فينطق بالغيوب فهناك يسمى نبيا عندهم ذكره الشيخ فى الباب الخامس والستين وثلثمائة ثم قال وليس الامر عندنا وعند أهل الله تعالى كما قال هؤلاء وان جاز وقوع ما ذكروه من انتقاش العلوم الالهية لانه لم يبلغنا أن نبيا أو حكيما صفى جوهرة نفسه فأحاط علما بما يحتوى عليه حاله فى كل نفس أبدا بل غايته ان يعلم بعضا ويجهل بعضا وأطال فى رد أقوال منكرى النبوة فكذب والله وافترى من زعم أن الشيخ فلسفى كما مر فى مبحث حدوث العالم * وقد قال أيضا فى الباب الثامن والتسعين ومائتين من قال ان النبوة مكتسبة أخطأ لان النبوة اختصاص الهى قطعا قال وشبهة قول من يقول انها مكتسبة زعمه انها البعث من الله تعالى وانما هى من فيض العقل والارواح العلوية اه * وقال أيضا فى الباب الرابع والثمانين اعلم ان كل مأمور به فهو مقام مكتسب ومن هنا قالوا المقامات مكاسب والاحوال مواهب اه (فان قلت) فهل كل رسول خليفة أم الخلافة لبعض الرسل دون بعض (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والاربعين أنه ليس كل رسول خليفة انما تكون الخلافة ان نص الله تعالى على خلافته كداود عليه الصلاة والسلام فهو رسول وخليفة لانه قال له احكم بين الناس بالحق وأما آدم عليه الصلاة والسلام فاجعل الله تعالى له الخلافة وما قال له احكم (فان قلت) فما الفرق بين الخلافة والرسالة (فالجواب) الفرق

واهب الى فصل المقامات فى أوقاتهم اذ قال الحمد لله الذى لم يجر عليه لسان ذم أو قال ذنب قال وانما قال الجنيد ذلك خوفا على من لم يبلغ تلك المرتبة أن يظهر بها وهو غير محقق فيها فيقع فى الذنب وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الثامن والتسعين ومائتين فى قوله تعالى نور على نور هو نور الشرع مع نور بصر التوفيق والهداية فلابد للماشى فى طريق الشرع من هذين النورين فلو وجد نور البصيرة دون نور الشرع لما درى العبد كيف يسلك لانه فى طريق مجهوله لا يعرف ما فيها ولا أين ينتهى به ثم الماشى فى هذا الطريق يحتاج أن يحفظ سراجه من الاهواء أن تطفئه بهبوبها فانه ان هبت عليه ريح زعزع أطفأت سراجه وأذهبت نوره قال ومرادنا بالريح الزعزع كل ريح تؤثر فى نور توحيده وايمانه بخلاف غير الزعزع فانها لا تطفئ نور السراج وانما تميل لسانه حتى يحير فى الطريق لا غير ومثال ذلك متابعة الهوى فى فروع الشريعة كالوقوع فى المعاصى التى لا يكفر بها الانسان ولا تقدح فى توحيده وايمانه فوالله لقد خلقنا الامر عليهم (وقال) فى قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته الآية اعلم ان القرين لا يكون الا فى أمة بين أظهرها شرع فان لم يكن بين أظهرهم شرع فلا

بين الخليفة والرسول ان الخليفة هو كل من جمعت فيه هذه الصفات فأمر ونهى وعاقب وعفا وأمرنا الله تعالى بطاعته فهذا هو الخليفة وأما الرسول فهو كل من بلغ أمر الله ونهيه ولم يكن له من نفسه أمر من الله أن يأمر وينهى في كل ما أراد فهذا رسول مبلغ رسالات ربه لا خليفة (قلت) ويصح ان يسمى الرسول الذي لم يصرح الحق له بقوله احكم خليفة أيضا من حيث انه نائب عن الحق في خطابنا بالتكاليف وغيرها والله أعلم * فعلم ان للخليفة أن يشرع كل ما أراد مما لم يأمر الحق به شرعا وليس ذلك للرسول قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم أي أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان محمد يقول محمد فيه ان الله يأمركم بكذا وأطيعوا الرسول فيما لم يبلغه عن أمري ولا قال لكم انه من عندي ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى وأطيعوا الرسول ففصل أمر الله الذي يطيعه فيه من طاعة رسوله ولو كان يعني بذلك ما بلغه الينا عن أمر الله الذي أمرنا به لم يكن ثم فائدة زائدة بطاعة رسوله فتعين أن يكون المراد بطاعتنا له صلى الله عليه وسلم أن نطيعه فيما أمر هو به ونهى عنه مما لم يقل هو انه من عند الله وسيأتي بسط ذلك في مبحث وجوب الاذعان والطاعة للرسل ان شاء الله تعالى (فان قلت) هل يقدح في كمال عبودية الرسل بالنظر الى مقامهم طلبهم الاجر على التبليغ كما أشاروا اليه بقولهم ان أجري الا على الله (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب اسرار الزكاة من الفتوحات لا يقدح في عبودية الرسل ذلك وانما قال نوح عليه الصلاة والسلام ان أجري الا على الله ليعلمنا بأن كل عمل خالص يطلب الاجر بذاته وذلك لا يخرج العبد عن أوصاف عبوديته فان العبد في صورة الاجير ما أنت أجير اذ حقيقة الاجير من استؤجر وهو أجنبي عن عبودية المستأجر له والسيد لا يستأجر عبده وانما العمل يقتضي الاجرة ولا يأخذها وانما يأخذها العامل وهو العبد فهو قابض الاجرة من الله تعالى فأشبه الاجير في قبض الاجرة وفارقه بالاستئجار انتهى (فان قلت) فهل الافضل ترك الاجرة أو أخذها صدقة من الله تعالى (فالجواب) كما قاله الشيخ في الكلام على الاذان ان مذهب المحققين أخذ الاجرة وأن ذلك أفضل من تركها لكن بشرط أن يكون مشهده الاخذ من الله تعالى لا من المخلوقين فالكمل طلب الاجرة وأخذها من باب المنة واظهار الفاقة لا من باب الاستحقاق وذلك من أجل ما يؤكل ويتمتع به فعلم ان مقام الدعوة الى الله تعالى يقتضي الاجرة وما من نبي دعا قومه الى الله تعالى الا قال لا أسألكم عليه أجرا فنفى الاجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله تعالى (قلت) ويؤخذ من هذا ان للواعظ منا أو المدرس أو المفتي بعلم أن يأخذ أجرا على ذلك اذ هو من عمل يقتضي الاجر بشهادة كل رسول لله تعالى وله أيضا أن يترك الاخذ من الناس ويطلبه من الله تعالى اقتداء بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ هو أجرة فضل الله تعالى به على عبده لكون العبد لا يستحق على سيده أجرا من حيث انه ملكه وعين ماله * وقال الشيخ أيضا في الباب السادس عشر وثلثمائة * اعلم ان استخدام الحق العبد على حالين للعبد تارة يعبده بالعبادة المحضة وتارة يعبده عبادة اجارة فمن كونه عبدا هو مكلف بالصلاة والزكاة وجميع الفرائض ولا أجر له على هذا جملة واحدة من حيث أداء فرضه انما له ما عين به على عبده من النعم التي هي أفضل من الاجر لا على جهة الاجر ثم انه تعالى ندب الى عبادته في أمور ليست فرضا على العبد فعلى هذه الاعمال المندوب اليها فرضت الاجور فكل من تقرب بها الى سيده أعطاه أجرته عليها وكل من لم يتقرب لم يطالبه بها ولا يعاقبه عليها فمن هنا كان العبد حكمه حكم الاجير في الاجارة فالفرض له الجزاء الذي يقابله من حيث انه هو العهد الذي بين الله وبين عباده وأما النوافل فلها الاجور وهي قوله في الحديث القدسي ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه الحديث فأثبت النافلة للعبد ومحبة الحق تعالى والنكتة في ذلك هو أن المتنفل عبد اختيار كالاجير فاذا اختار الانسان أن يكون عبد الله لا عبد هواه فقد آثر الله تعالى على هواه وأما في الفرائض فهو عبد اضطرار لان العبودية أوجبت على العبد خدمة سيده فيما افترضه عليه فعلم ان بين الانسان في عبوديته الاضطرارية وعبوديته الاختيارية كما بين الاجير والعبد المملوك فان العبد

قرين اذ الشيطان الذي هو القرين لا يكون الا في مقابلة الملك الذي يأمر العبد بالخير بلسان الشرع وأما اذا لم يكن شرع فانما العبد متصرف بحكم طبعه لان ناصيته بيد ربه خاصة ولا يوكل به القرينان الا ان دخل في دين الهي يتعبد نفسه به فان العقل وحده لا يستقل بمعرفة تشريع ما يقرب الى الله تعالى وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر (وقال) قد أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام فانه خلق من ماء أمه فقط وذلك ان الملك لما تمثل لها بشرا سويا سرت اللذة بالنظر اليه بعدما استعاذت منه وبعد أن عرفها انه رسول الحق ليهب لها غلاما زكيا فذهبت لقبول ذلك فسرت فيها اللذة النكاحية بمجرد النظر فنزل الماء منها الى الرحم فتكون جسم عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة فيها فهو من ماء أمه فقط * وقال في الباب اوفى ثلثمائة في حديث ان الصدقة تقع بيد الرحمن فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله انما قال ذلك ولم يقل كما يربي أحدكم ولده لان الولد قد لا ينتفع به اذا كان ولد سوء فالنفع بالولد غير محقق بل ربما يحصل على والده منه الضرر بحيث يتمنى ان الله لم يخلقه والفلو والفصيل ليس هما

الاصلي

الاصلي ماله على سيده استحقاق الا ما لابد منه فهو يأكل ويلبس من سيده ويقوم بواجبات أموره ولا يزال في دار سيده ليلا ونهارا لا يبرح الا اذا وجهه سيده في شغل فهو في شغله الدنياوي مع الله تعالى وكذلك هذا حاله يوم القيامة وفي الجنة فانها جميعها ملك لسيده فيتصرف فيها باذن سيده كتصرف المالك والاجير ليس له الا ما عين له من الاجرة فقط ومنها نفقته وكسوته وماله دخول على حرم سيده ولا جرم ولا له اطلاع على أسراره ولا تصرف في ملكه الا بقدر ما استؤجر عليه فاذا انقضت مدة اجارته وأخذ أجرته فارقه وخرج واشتغل بأهله وليس له من هذا الوجه حقيقة ولا نسبة أن يطالب من استأجره الا أن يمن عليه رب المال بأن يبعث خلفه ويخالعه ويخلع عليه فذلك من باب المنة (فان قلت) فهل يكون عبودية الاضطرار في الجنة كما هي في الدنيا (فالجواب) لا يكون في الآخرة عبودية اضطرار أبدا لعدم التحجير فان تفطنت يا أخي لما نبهتك عليه علمت من أي مقام قالت الانبياء ان أجري الا على الله مع كونهم العبيد الخاص الذين لم يملكهم قط هوى نفوسهم ولا هوى أحد من خلق الله وذلك لان طلب الاجر راجع الى دخولهم تحت حكم الاسماء الالهية فمن هنالك وقعت الاجارة فهم في حال الاضطرار وهم في الحقيقة عبيد الذات وهم لها ملك والاسماء دائما تطالبهم لتظهر آثارها فيهم فكل اسم يناديهم ادخلوا تحت أمري وأنا أعطيكم كذا فلهم الاختيار من هذا الوجه في الدخول تحت أي اسم شاؤا فلا يزال أحدهم في خدمة ذلك الاسم حتى يناديه السيد من حيث عبودية الذات فيترك كل اسم الهي ويقوم لدعوة سيده فاذا فعل ما أمره به حينئذ رجع الى أي اسم شاء ولهذا كان الانسان يتنفل حتى يسمع اقامة صلاة الفريضة فيؤمر بترك كل نافلة ويبادر الى أداء فرض سيده ومالكه فاذا فرغ دخل في أي نافلة شاء (فان قلت) فمن أي حضرة كان أجر الانبياء على الله تعالى (فالجواب) هو من حضرة السيادة فانه هو الذي استخدمهم في التبليغ (فان قلت) فهل يكون زيادة أجر النبي صلى الله عليه وسلم ونقصه بحسب النية والعزم أو بحسب التعب ولراحة من جهة المدعوين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع عشر وأربعمائة ان أجر كل نبي يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين (فان قلت) فكيف يصح طلب الاجر من الله مع كون الاجر ليس هو بمعلوم القدر عند الرسول أو الواعظ مثلا (فالجواب) انما صح طلب ذلك من الله تعالى مع كونه مجهولا لعلم الرسول بأن الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الاجر المجهول من الخلق لا يصح الا بعد علمه وذلك لجهل الخلق بما يستحقه المدعي عليهم (فان قلت) فهل للرسول أجر اذا رد قومه رسالته ولم يقبلوها منه (فالجواب) نعم للرسول أجر في ذلك لكن كما يؤجر المصاب فمن يعز عليه فللرسول أجر بعدد من رد رسالته من أمته بالغوا من العدد ما بلغوا كما ان الذي يعمل بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن به له مثل أجر جميع من اتبع الرسل لاستجماع الشرائع كلها في شرع محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فما هو الغيب الذي يطلع الله تعالى عليه رسله المشار اليه بقوله فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول هل هو ما غاب عنه من أحكام التكاليف الموحى بها اليه أم غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الاحد وعشرين وثلثمائة ان المراد بهذا الغيب المخصوص بمن كان رسولا هو علم التكاليف الذي غاب عن العباد ولم تستقل عقولهم بادراكه ولهذا جعل له الملائكة رصدا حذرا من الشياطين ان تأتي الى الرسول بما يعمل به في نفسه من التكليف الذي جعله الله طريقا الى سعادة العباد من أمر ونهي ويؤيد ما قلناه من أن هذا الغيب هو علم الرسالة التي يبلغها الرسل عن الله تعالى قوله تعالى ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم فأضاف الرسالة الى قوله ربهم لما علموا ان الشياطين لم تأت اليهم أعني الرسل شيأ فيتيقنون أن تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره (فان قلت) فهل ذلك القدر الذي يطلع الله تعالى عليه من ارتضاه من رسول هل هو باعلام الملائكة أم هو بلا واسطة ملك (فالجواب) هو بلا واسطة ملك فان الملائكة اذا لم يكن لها واسطة في الوحي تحف أنوارها بالرسول كالهالة حول القمر وتكون الشياطين من وراء الا يجدون سبيلا الى هذا الرسول حتى يظهر الله تعالى ذلك الرسول

كذلك فان المتقدم ما يحققه ولا بد اما بركوبه أو بما يحمله عليه أو بثمنه أو بلحمه يأكله ان احتاج اليه فتشبيهه صلى الله عليه وسلم بما يتحقق الانتفاع به ليعلم المتصدق انه ينتفع بما تصدق به ولا بد ومن الانتفاع به انه اتقاء له يوم القيامة من حر الشمس حتى يقضى بين الناس (قلت) ويحتمل أيضا انه انما مثل بالفلو دون الولد لان الولد ليس هو بمال يتصدق به بخلاف الفلو والله أعلم * وقال في الباب الثالث وثلثمائة اختلف العلماء في الموت هل هو طلاق رجعي أو بائن فذهب قوم الى ان المرأة اذا ماتت كانت من زوجها كالاجنبية ولا بد فليس له أن يكشف عليها وذهب آخرون الى بقاء حرمة الزوجية فله ان يغسلها وحاله معها كحاله في حياتها فان كان رجعيا فان الازواج ترد الى أعيان هذه الاجسام من حيث جواهرها في البعث وان كان بائنا فقد ترد اليها مع اختلاف التأليف وقد ينشئ الله تعالى اجساما أخرى في وأحسن لاهل النعيم ولاهل الشقاء بالعكس ولكن الاول أظهر لقوله تعالى بعثر ما في القبور فالموت طلاق رجعي والله أعلم * وقال في حديث من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه انما لم يقل فقد أدرجت النبوة في صدره أو بين عينيه أو في قلبه لان ...

على ما شاء من غيبه المتعلق بالتكاليف كما مر قال الشيخ محيي الدين وليس في الفتوحات المكية ولا غيرها من
كتبنا أصعب من تصور الغيب الذي انفرد به الحق ويسمى الغيب الحالي المشار إليه بقوله تعالى وعنده مفاتح
الغيب لا يعلمها إلا هو وإنما كان صعبا لأنه غيب برزخي بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لأحد الجانبين
وكان هذا مما فضل الصديق عن غيره به وقليل من عثر عليه (فإن قلت) فما الحكمة في كونه صلى الله
عليه وسلم كان يلحقه البرد إذا نزل عليه الوحي حتى يسجى بالكساء (فالجواب) الحكمة في ذلك أن الرسول
إذا نزل عليه الوحي عرق من شدته للانضغاط الذي يحصل من التقاء روح الملك وروح الرسول ثم إن الهواء
الخارج مع الرطوبات من البدن يعمر المسام بقوته فلا يتخلل الهواء البارد من خارج ثم إذا سري عن ذلك النبي
وانصرف الملك عنه سكن المزاج وانتعشت الحرارة الغريزية وإيضاح ذلك أن الملك إذا ورد على رسول الله
بأمر يتعلق بعلم خبري أو حكم يتلقى ذلك منه الروح الإنساني ويتلاقيان هذا بالإصغاء وذلك بالإلقاء وكل
منهما نور فيحتد عند ذلك المزاج ويشتعل وتتحرك الحرارة الغريزية المزاجية حتى يتغير وجه الرسول
من شدتها وهو المعبر عنه بالحال وهو من أشد ما يكون ثم إن تلك الرطوبات البدنية تصعد بخارات إلى سطح كرة
البدن لاستيلاء الحرارة ومنه يكون العرق الذي يطرأ على صاحب الحال ثم إذا انتعشت تلك الحرارة وانفتحت
المسام قبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم وحصل البرد في المزاج فيطلب الغطاء وزيادة الثياب
ليسخن وذلك لاستيلاء البرد والقشعريرة على الحرارة الغريزية وضعفها ولا يخفى أن هذا كله خاص بما
إذا كان التنزل على القلب بالصفة الروحانية والله أعلم (فإن قلت) فلم اختار الأنبياء النوم على ظهورهم
دون جنوبهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والثلاثين وثلثمائة أنهم إنما اضطجعوا على
ظهورهم لعلمهم بأن كل مقابل الوجه فهو أفق له ومعلوم أن الأفق نوعان نوع أدون وهو الأرض ونوع أعلى
وهو السماء فلذلك استلقوا على ظهورهم ليكون أفقهم أعلى وإيضاح ذلك كما في الباب الثالث والثلاثين هو
أن تعلم أن الوارد الإلهي الذي هو صفة القيومية إذا جاءهم اشتغل الروح الإنساني عن تدبيره بما يتلقاه من
الوارد الإلهي من العلوم الإلهية فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع إلى أصله وهو لصوقه بالأرض
المعبر عنه بالاضطجاع ولو كان على سرير فإن السرير هو المانع له من وصوله إلى التراب فهذا سبب اضطجاع الأنبياء
على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم ثم إن الروح إذا فرغ من ذلك التلقي وصدر الوارد إلى حضرته رجع
الروح إلى تدبير جسده فأفاق من ضجعته قال الشيخ وما بلغنا عن نبي قط أنه تخبط واضطرب عند نزول الوحي
أبدا والله أعلم (فإن قلت) فما ثم أحد في العباد أقوى من الأنبياء لتحملهم ثقل الوحي (فالجواب) نعم ما ثم أقوى
من الأنبياء فهم أقوى من الجبل لتحملهم الوحي حين نزل إليهم ولم يتحمل ذلك الجبل بل تصدع قال الشيخ في
الباب الثاني والأربعين وثلثمائة ومما يؤيد قولنا أن الأنبياء أقوى من الجبال قوتهم على سماع ما لا يليق بجناب
الله من الكفار وغيرهم وعدم قوة الجبال لسماع ذلك قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض
وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وقد سمع الأنبياء قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله ولم يكادوا ينفطروا ولم يتزلزلوا بل ثبتوا وذلك لأنه تعالى تجلى للأنبياء في نحو حضرة قوله تعالى لو
أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فعلموا من حضرة الإطلاق الإلهي ما لم تعلمه السموات والأرض والجبال فأنتج
لهم هذا العلم قوة في نفوسهم حملوا بها ما سمعوه في حق الله ولو أن ذلك نزل على من ليست له هذه القوة لذاب
عظمه فانظر ما أكثف حجاب من اعتقد أن لله ولدا وما أشد عماه عن رؤية الحقائق انتهى (فإن قلت) فهل كان
قبل نوح عليه الصلاة والسلام رسل أم كانوا كلهم أنبياء فقط حتى آدم عليه الصلاة والسلام (فالجواب) لم
يأت في كتاب ولا سنة أنه كان قبل نوح رسل وإنما كانوا كلهم أنبياء فقط كل نبي منهم على شريعة مخصوصة
من ربه عز وجل ولكن كان كل من شاء من القوم دخل في شرع أحدهم معهم ومن شاء لم يدخل فمن دخل
ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر كما أنه إذا أدخل نفسه ثم كذب الأنبياء كان كافرا وأما من

لم

رتبة النبي لا رتبة الولي وأين
الاكتساب من التخصيص فمن
تعمل في تحصيل الولاية حصلت
له وإن كان نفس التعمل في
تحصيلها اختصاصا من الله
أيضا يختص برحمته من يشاء
فما اكتسبت الولاية إلا بالمشي
في نور النبوة وأطال في ذلك
* وقال كانت القوة التي ظهرت
في أبي بكر الصديق يوم موت
النبي صلى الله عليه وسلم
كالمعجزة في الدلالة على رسالة
النبي فتقوى حين ذهلت
الجماعة لأنه لا يكون صاحب
التقدم في الإمامة إلا صاحيا
غير سكران فكان هو المقدم
بالتقدم في ذلك اليوم لصحوه
ولا يقدح في استحقاقه الخلافة
كراهة بعض الناس له فإن
ذلك مقام إلهي قال تعالى
ولله يسجد من في السموات
والأرض طوعا وكرها وأطال
في ذلك * ثم قال فاعلم أن تقدم
الخلفاء بعضهم على بعض في
الولاية على الناس على ما وقع
به الترتيب لا يقتضي الجزم
بتفضيل بعضهم على بعض بل
ذلك راجع إلى الله فإنه العالم
بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه
وتعالى نفسه من ذلك فالله
يحفظنا من الفضول انتهى
(قلت) ذكر الشيخ في الباب
الثامن والخمسين وخمسمائة
في الكلام على اسمه تعالى
المعطي ما نصه اعلم أن الله تعالى
ما أمرنا باتباع ملة إبراهيم
لكونه أحق بها من محمد
صلى الله عليه وسلم وإنما أمرنا
بها لتقدمه في الزمان فيها

لم يكذب وبقي على البراءة فليس بكافر (قلت) لكن رأيت في مسند الإمام أحمد مرفوعا كان آدم عليه الصلاة والسلام رسولا مكرما انتهى فليتأمل مع ما قبله وما بعده (فإن قلت) قوله تعالى وإن من أمة إلا خلا فيها نذير هل هو نص في الرسالة (فالجواب) ليس هو بنص في الرسالة كما ذكره الشيخ في الباب الثالث عشر وثلثمائة قال وإنما هو نص في أن في كل أمة عالما بالله تعالى وباليوم الآخر وذلك هو النبي لا الرسول إذ لو كان الرسول لقال إليها ولم يقل فيها فليس هو بنص في الرسالة قال وهذا هو الذي نقول به فلم يكن فيهم رسل وإنما كان فيهم أنبياء عالمون بالله تعالى فمن شاء وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم ومن شاء لم يكلف ذلك وكان إدريس عليه الصلاة والسلام منهم فلم يجئ له نص في القرآن بالرسالة وإنما قيل فيه صديقا نبيا فأول شخص افتتح الله به الرسالة نوح عليه الصلاة والسلام (فإن قلت) فهل كان عدم إجابة أكثر قوم نوح عليه الصلاة والسلام لضعف عزمه أم لاتساع حاله وغلبة التسليم لله تعالى عليه فلم يكن له همة تنفذ فيهم (فالجواب) ليس للهمة من الداعين أثر في المدعوين جملة واحدة ومن قبل من رسوله ما قبل فليس ذلك من علو همة الداعي وإنما ذلك من حيث ما وهب الله تعالى لخلقه من المزاج الذي اقتضى له قبول مثل ذلك ويسمى هذا المزاج الخاص الذي لا يعلمه إلا الله تعالى وبه كان كفر أول من كفر ممن ليس له أبوان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما ورد فعلم أنه لو كان تأثير الكلام في المدعو من همة الداعي فقط لأسلم كل من شافهه الرسول بالخطاب كائنا من كان لنفوذ همته وكان يقدح في كمال الرسل ردّ قومهم رسالتهم ولا قائل بذلك فسقط قول من يقول لو كان الواعظ صادقا مخلصا في وعظه لأثر وعظه في قلوب السامعين فإنه لا أصدق من الرسل ومع ذلك فلم يعم قولهم في السامعين قبولا بل قال نوح عليه الصلاة والسلام إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي إلا فرارا فلما لم يعم القبول في السامعين لكلام الرسل مع تحققنا علو همتهم علمنا أن الهمة ما لها أثر جملة واحدة وإنما ذلك من المزاج كما مر ومن سمع قول واعظ فلم يؤثر فيه القبول فالعيب منه لا من الواعظ إذ صاحب العقل السليم يؤثر فيه الكلام الحق على يدي أي من جاء به من الناس ولو من كافر بالله إذ الوحي الذي جاء به المشرك حق على كل حال وإن لم يعمل به حامله فالعاقل يقبل ذلك من حيث كونه حقا لا من حيث المحل الذي ظهر به (فإن قلت) فما إيضاح ذلك (فالجواب) أن تنظر في حال المدعو فإن رأيته في حال سماعه يسمع من الواعظ كلاما ولم يؤثر فيه ثم إنه يسمعه من واعظ آخر بعينه فيؤثر فيه فاعلم أن ذلك التأثير لم يكن من حيث قبوله الحق وإنما هو من حيث وجود نسبة بينه وبين الواعظ الثاني من اعتقاد فيه أو نحو ذلك فما أثر في السامع سوى نفسه وفي القرآن العظيم إن عليك إلا البلاغ وقال ليس عليك هداهم أي ليس عليك أن توفقهم لقبول ما أرسلتك به وأمرتك ببيانه ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين أي الذين قبلوا التوفيق على مزاج خاص فالهادي الذي هو الله تعالى الإبانة والتوفيق وليس للهادي من المخلوقين إلا الإبانة فقط ذكره الشيخ في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة (فإن قلت) فما معنى قوله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم مع أن القرآن جاء على لغتهم فما السبب الداعي إلى احتياجهم إلى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم (فالجواب) سبب ذلك أن كل كلام لا بد فيه من إجمال وما كل أحد يعرف المجمل فلذلك لم يكتف الحق تعالى بنزول الكتب الإلهية من غير بيان الرسل لما أجمل فيها ومعلوم أنه لا يفصل العبارة إلا العبارة فنابت الرسل مناب الحق تعالى في تفصيل ما أجمله في كتابه وناب المجتهدون مناب الرسل فيما أجملوه في كلامهم ولولا أن حقيقة هذا الإجمال سارية في العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان إلى لسان ولا من حال إلى حال قال تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله وهو ما أنزل خاصة وأما ما فصله الرسول وأبان عنه فهو تفصيل ما نزل لا عين ما نزل فإن البيان وقع بعبارة أخرى ذكره الشيخ في الباب الحادي والستين وثلثمائة (فإن قلت) فهل النبوة من النعوت الإلهية أو الكونية (فالجواب) هي من النعوت الإلهية أثبت حكمها في الجناب الإلهي الاسم السميع وأثبت حكمها صيغة الأمر الذي في الدعاء المأمور به وإجابة الحق تعالى عباده فيما سألوه به فليست النبوة بمقول

فللزمان حكم في التقدم من حيث هو لا في المرتبة كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان من حكمة الله تعالى إعطاؤها لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي بحسب أعمارهم التي قدر الله وقوعها أيام ولاية كل واحد على التعيين وكل لها أهل في وقت أهلية الذي قبله ولا بد من ولاية كل واحد منهم وخلع المتأخر لو تقدم لا بد منه حتى يلي من لا بد له عند الله في سابق علمه من الولاية فرتب الله الخلافة ترتيب الزمان للأعمار حتى لا يقع خلع مع الاستحقاق من كل واحد من متقدم ومتأخر بما علم الصحابة ذلك إلا بالموت * قال ومع هذا البيان بقي أهل الأهواء في خوضهم يلعبون مع إبانة الصبح لذي عينين بلسان وشفتين انتهى * وقال أيضا في الكلام على اسمه تعالى الآخر من الباب المذكور ما نصه اعلم أن حد الآخر من الثاني الذي يلي الأول إلى ما تحته فهو المسمى بالآخر لأن له حكم التأخر عن الأولية بلا شك وإن استحق الأولية هذا المتأخر فما تأخر عن الأول إلا لأمر أوجبه الزمان لا لوجود الأهلية فيه من جميع الوجوه فالحكم في تأخيره وتقدم غيره للزمان لا للأفضلية في الحقيقة كخلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين فما من واحد إلا وهو مترشح للتقدم والخلافة مؤهل لها

زائد على هذا الذي ذكرناه الا انه تعالى لم يطلق على نفسه من ذلك اسما كما أطلق في الولاية فسمى نفسه وليا وما سمى نفسه نبيا مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا ذكره الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائة (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته كيف وصل الى قلب الرسول والنبي مع انهم معصومون منه (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب السادس من الفتوحات ان الانبياء عليهم السلام انما عصموا من العمل بوسوسة الشيطان فقط فهو يلقى اليهم ولا يعملون بقوله لعصمتهم فليس له على قلوب الانبياء من سبيل فالعصمة حقيقة انما هي من العمل بما يلقى لا من الالقاء لاجل الآية المذكورة في السؤال بخلاف قلوب الاولياء فقد يعملون بما يلقى اليهم ان لم تحفهم عناية الحفظ ولما علم ابليس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من العمل بقوله لعصمة قلبه من استشراف ابليس عليه جاءه في الصلاة بشعلة نار مخيلة فرمى بها في وجهه وكان غرض الشيطان ان يفتن بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته وعن الاقبال عليها لما رأى ماله في الصلاة من الخير اذ هو لعنه الله حسود لبني آدم بالطبع فتأخر النبي صلى الله عليه وسلم الى خلفه ولم يقطع الصلاة وأخبر بذلك أصحابه *(خاتمة)* ان قلت هل يمتنع رسالة نبيين معا في آن واحد الى شخص واحد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والعشرين من الفتوحات نعم يمتنع رسالتهما لا أن يكونا ينطقان في رسالتهما بلسان واحد في آن واحد كموسى وهرون عليهما السلام قال تعالى فيهما اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا الى آخر القصة فلم يكن لكل منهما عبارة تخصه دون الآخر لا سيما وموسى عليه الصلاة والسلام يقول عن هرون هو أفصح مني لسانا انتهى والله أعلم

(المبحث الرابع والثلاثون في بيان صحة الاسراء وتوابعه وانه رأى من آيات الله تعالى صورة ما كان يعلمه في الارض لا غير وما تغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده حال كونه في الارض)

اعلم ان الاصل في قصة الاسراء قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير قال الشيخ محيي الدين والضمير في قوله انه راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الى البارى جل وعلا وأطال في ذلك ثم قال فما نقل الحق تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من مكان الى مكان الا ليريه ما خص تعالى به ذلك المكان من الآيات والعجائب الدالة على قدرته تعالى من حيث وصف خاص لا ليعلم من الله تعالى الابتلاك الآية كانه تعالى يقول ما أسريت بعبدي الا لرؤية الآيات لا الي لانه لا يحويني مكان ونسبة الامكنة الى نسبة واحدة وكيف أسرى بعبدي الي وأنا معه حيث كان (قلت) فما بقي الا أن رؤية الملك في عسكره ومملكته وجنوده أعلى في التعظيم وحصول الهيبة من رؤيته وهو متنكر وانما كان تعالى لا يحويه مكان لان المكان المعقول هو من سقف العرش الى تخوم الارضين وذلك كالذرة بالنسبة لما فوق العرش ولما تحت التخوم فان صعد العرش الى أبد الآبدين لا يجد بعده سقفا أو نزل العرش أبد الآبدين لا يجد له أرضا فمن رأى الوجود هذه الرؤية بعد عن القول بالجهة تعالى الله رب العالمين عن ذلك * قال الشيخ محيي الدين في الباب السابع والستين وثلثمائة ولما أراد الله سبحانه وتعالى ان يرى محمدا صلى الله عليه وسلم من آياته ما شاء أنزل الله تعالى اليه جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الروح الامين بدابة يقال لها البراق اثباتا للاسباب وتقوية له ليريه العلم بالاسباب ذوقا كما جعل الاجنحة للملائكة ليعلمنا بثبوت الاسباب التي وضعها في العالم والبراق دابة برزخية فانه دون البغل الذي تولد من جنسين مختلفين وفوق الحمار الذي تولد من جنس واحد وذلك لحكمة يعلمها أهل الله تعالى فركبه صلى الله عليه وسلم وأخذه جبريل عليه السلام وسار به في الهواء قال الشيخ محيي الدين والبراق للرسل مثل فرس النوبة الذي يخرجه المرسل للمرسل اليه ليركبه تشريفا له في الظاهر وأما في الباطن فمعناه انه لا يصل الى حضرته الا بما كان منه تعالى لا على ما يكون لغيره فهو تشريف وتنبيه لمن لا يدري مواقع الامور فلما وصل صلى الله عليه وسلم الى البيت المقدس ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التي تربطه بها الانبياء قبله كل ذلك اثباتا للاسباب فانه ما من

فلم يبق حكم لتقدم بعضهم على بعض فيما عند الله بفضل علم تعالى الخلافة وما كان الا الزمان فلما سبق في علم الله ان أبا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي والكل له حرمة عند الله وفضل فقدم الحق سبحانه وتعالى في الخلافة من علم ان أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الاربعة وما قدم من قدم من الاربعة لكونه أكثر أهلية من المتأخر منهم في علمنا فلم يبق الا حكم الآجال والعناية وفي الحديث اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما فلو بايع الناس أحد الثلاثة دون أبي بكر فلا بد لابي بكر أن يكون خليفة وخليفتان لا يجتمعان فان خلع أحد الثلاثة وولي أبو بكر كان عدم احترام في حق المخلوع ونسب الساعي في خلعه الى انه خلع عن الخلافة من يستحقها ونسب الى الهوى والظلم والتعدي في حقه ولو لم يخلع لمات أبو بكر في أيامه دون أن يكون خليفة ولا بد له من الخلافة فان بابها في علم الله فلا بد من تقدمه لتقدم أجله قبل صاحبه وكذلك تقدم عمر بن الخطاب وعثمان وعلي والحسن فما تقدم من تقدم لكونه أحق بها من هؤلاء الباقين ولا تأخر من تأخر منهم لعدم الاهلية * وقال وما علم الناس ذلك الا بعد ان بين الله ذلك بآجالهم وموتهم واحدا بعد آخر اذا تقدم

رسول الاوقد أسري به راكبا على ذلك البراق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختص عنهم في اسرائه بامور تعرفها أهل الله عز وجل (فان قلت) فما الحكمة في ربطه صلى الله عليه وسلم مع علمه بانه مأمور (فالجواب) انما ربطه اثباتا لحكم العادة التي أجراها الله تعالى في مسمى الدابة ولوانه أوقفه من غير ربطه بالحلقة لوقف ولكن حكم العادة منعه من ذلك ألا تراه صلى الله عليه وسلم كيف وصف البراق بانه شمس وهو من شأن الدواب التي تركب وانه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة التي لاقته في طريق مكة فوصف البراق بانه يعثر والعثور هو الذي أوجب قلب الآنية يعني القدح ولما جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد اركب فركبه صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل وطار به البراق في الهواء واخترق به الجو عطش صلى الله عليه وسلم واحتاج الى الشرب فأتاه جبريل باناءين اناء لبن واناء خمر وذلك قبل تحريم الخمر فعرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتأول اللبن بالعلم فلما وصلا الى السماء الدنيا استفتح جبريل فقال له الحاجب من هذا فقال له جبريل قال من معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قال أوقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح فدخل جبريل ومحمد فاذا آدم عليه السلام وعن يمينه أشخاص بنيه السعداء عمرة الجنة وعن يساره نسم بنيه الاشقياء عمرة النار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورته هناك في أشخاص السعداء فشكر الله تعالى وعلم عند ذلك كيف يكون الانسان في مكانين وهو عينه لا غيره فكان له الصورة المرئية والصور المرئيات في المرآة الواحدة والمرايا فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم عرج في البراق وهو محمول عليه في الفضاء الذي بين السماء الاولى والسماء الثانية فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الاولى وقال وقيل له فلما دخل اذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه فانه لم يمت الى الآن بل رفعه الله الى هذه السماء وأسكنه فيها وحكمه فيها * قال الشيخ محيي الدين وهو شيخنا الاول الذي رجعنا الى الله تعالى على يديه وتبناوله عليه الصلاة والسلام بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة فرحب وسهل ثم عرج الى السماء الثالثة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بيوسف عليه السلام فسلم عليه ورحب به وسهل وجبريل في هذا كله يسمى له ما رآه من هؤلاء الاشخاص ثم عرج به الى السماء الرابعة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بادريس عليه السلام بجسمه فانه ما مات الى الآن بل رفعه الله الى هذه السماء وأسكنه فيها قال تعالى ورفعناه مكانا عليا وهو هذه السماء قلب السموات فسلم عليه ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء الخامسة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بهرون عليه الصلاة والسلام ويحيى بن زكريا فسلما عليه ورحبا به ثم عرج به الى السماء السادسة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بموسى عليه السلام فسلم ورحب وسهل ثم عرج به الى السماء السابعة فاستفتح فقال وقيل له ففتح فاذا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور فسلم عليه ورحب وسهل وسمى له البيت المعمور الضراح فنظر اليه وصلى فيه ركعتين وعرفنا عليه السلام انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغاربها وأخبر أن أولئك يخلقهم الله تعالى كل يوم من قطرات ماء الحياة التي تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطائر عندما يخرج من الماء عند انغماسه في نهر الحياة فان له في كل يوم غمسة فيه ثم عرج به الى سدرة المنتهى فاذا نبقها كالقلال وورقها كآذان الفيلة فرآها وقد غشاها الله تعالى من النور ما غشى فلا يستطيع أحد أن ينعتها الا ان البصر لا يدركها حتى ينعتها لشدة نورها ورأى يخرج من أصلها أربعة أنهار نهران ظاهران ونهران باطنان فأخبره جبريل ان النهرين الظاهرين النيل والفرات والنهرين الباطنين نهران عشيان الى الجنة وان النيل والفرات يرجعان يوم القيامة الى الجنة وهما نهرا العسل واللبن في الجنة قال الشيخ وهذه الانهار تعطي لشاربها علوما متنوعة يعرفها أصحاب الاذواق في الدنيا وأخبره أن اعمال بني آدم تنتهي الى تلك السدرة وانها مقر الارواح

انما كان بسبب الآجال عندنا وفي نظرنا الظاهر أو بعلم آخر في علم الله لم نقف عليه وحفظا له المرتبة عليهم رضي الله عنهم أجمعين وقد أطال الشيخ محيي الدين الكلام على السر الذي وقر في صدر أبي بكر في الباب التاسع والستين وثلثمائة وسيأتي ذلك ملخصا في الباب المذكور ان شاء الله تعالى (قلت) الذي نعتقده ان تقديم الخلفاء الاربعة كان بالفضل والزمان معا وهذا أولى مما قاله الشيخ والله أعلم فليتأمل ويحرر والله واسع عليم * وقال في الباب الرابع وثلثمائة ما عظم الزهاد في أعين الملوك والامراء والاغنياء الا لغناهم عما بأيديهم من حطام الدنيا ولو انهم طلبوا من الناس شيأ من الدنيا لنقصوا في أعينهم بقدر ما طلبوا مع كون الاغنياء يبادرون لقضاء حوائجهم ويتواضعون لهم فلو أن الزاهد وزن مرتبته في قلب الملك مثلا قبل طلب تلك الحاجة منه ثم وزنها بعد الحاجة لرآها نقصت عنها نقصا عظيما وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن وثلثمائة في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا أي قد أتى على الانسان * واعلم ان آخر صورة ظهر فيها الانسان بعد مروره على العناصر الصورة الآدمية لانه كان قبلها له في كل مقام وحضرة وفلك وسماء صورة ولم يكن قط في صورة من تلك الصور مذكورا بهذه الصورة الآدمية العنصرية ولهذا ما ابتلاه الله تعالى في صورة من تلك الصور ولا عصى ربه فيها ولا يموت الا فيها * قال ولا يخفى ان حقيقة معنى الانسان هي اللطيفة والجسم معلو شرفه عارض لاذاتي فان شرفه انما هو بما أعطاه الله من العلم والخلافة والسلطنة

فهي تمر به تمايل به دونه وفوقه ولم يقابل به مرح الهيكل دونهم ولم يقدم جبريل عليه السلام وهناك منصته فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق من عند المنصة وجيء له بالرفرف وهو مأمور لحمله عند فقعد عليه وسلمه جبريل في تلك المنزلة بالرفرف فسأله صحبته ليستأنس به فقال لا أقدر لو خطوت خطوة لاحترقت فما منا إلا له مقام معلوم وأسرى الله تعالى بك يا محمد ليريك من آياته فلا تغفل فودعه وانصرف مع ذلك الرفرف يتنحى به الى أن ظهر له مستوى سمع فيه صريف الأقلام في الألواح وهي تكتب ما يجري به الله تعالى في خلقه وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده وكل قلم ملك من الله تعالى قال تعالى إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ثم زج به في النور زجة فأفرده الملك الذي كان معه وتأخر عنه فلم يره فاستوحش لما لم يسمعه ولم يره بحسه وأخذه حنين مثل السكران في ذلك النور وأصابه الوجد فأخذ يميل ذات اليمين وذات الشمال واستفرغه الحال وكان ذلك كتمايل السراج ذاهب عليه نسيم رقيق لا يستقر كل ذلك بسبب سماع ايقاع تلك الأقلام وصريفها أي صوتها في الألواح فأعطته من النغمات المستلذة ما قوي به في ما ذكرته من سريان الحال فيه وحكمه عليه فتقوى بذلك الحال وإن الرفرف ما له إلا للكون البراق له مكان لا يتعداه كجبريل عليه السلام لما انتهى الى المكان الذي لا يتعداه وقف فيه ولو أن الحق تعالى أراد بجبريل صعوده فوق ذلك لشاهده الاحتمال لمثل ما حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عروجه إنما كان المعروج بالبراق بحكم التبعية والحركة القسرية وكذلك انتهاء الرفرف فلما وصل الى منتهاه لا يتعداه الرفرف زج به في النور فغمره النور من جميع نواحيه كما بسطه الشيخ في الباب الرابع عشر وثلثمائة وسيأتي الكلام على عروج الملائكة في مبحثها إن شاء الله تعالى ثم إنه صلى الله عليه وسلم لما تقوى بالحال أعطاه الله تعالى في نفسه علما لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحي من حيث لا يدري وجهته فطلب الإذن في الرؤية بالدخول على حضرة ربه فلما تقرب سمع صوتا يشبه صوت أبي بكر وهو يقول يا محمد قف إن ربك يصلي فراعه ذلك الخطاب وقال في نفسه أربي يصلي فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب وأنس بصوت أبي بكر رضي الله عنه تلا عليه هو الذي يصلي عليكم وملائكته فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق تعالى فلما فرغ تعالى من الصلاة مثل قوله تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان مع أنه تعالى لا يشغله شأن عن شأن ولكن لما كان خلقه لأصناف العالم أزمنة مخصوصة وأمكنة مخصوصة لا تتعدى بها أزمانها ولا أمكنتها ما سبق في علمه ومشيئته جاء قوله تعالى سنفرغ لكم من هذه الحيثية أي لا من حيث الذات فإنه لا يحجبه شأن عن شأن ترتب أحدهما على الآخر في آن واحد وفهم بذلك الشدة لاعتناء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فهم معنى الفراغ فإنه بحكم التنزل الإلهي للعقول فهو تنبيه على العناية به وأنه على أجل في تقديمه صلى الله عليه وسلم من ذلك ثم أمر صلى الله عليه وسلم بالدخول لتلك الحضرة شرفها فأوحى الله تعالى إليه في تلك الحضرة ما أوحى ورأى عين ما كان علمه لا غير وتغيرت عليه صلى الله عليه وسلم صورة اعتقاده ثم ذكر الشيخ رجوعه عليه الصلاة والسلام من تلك الحضرة ومراجعته لموسى في شأن الصلوات الى أن آل ثم ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى وانصرف نازلا الى الأرض قبل طلوع الشمس قال الشيخ وكان هذا الإسراء بجسمه الشريف ولو كان الإسراء بروحه صلى الله عليه وسلم ويكون رؤيا رآها كما يرى النائم في نومه ما أنكره أحد من قريش ولا نازعه فيه وإنما أنكروا عليه كونه أعلمهم أن الإسراء كان بجسمه الشريف في تلك المواطن التي دخلها كلها (فإن قلت) فكم كانت إسراآته صلى الله عليه وسلم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع عشر وثلثمائة أنها كانت أربعة وثلاثين مرة واحدة منها بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها ويدلك على أن الإسراء ليلة فرض الصلاة كان بجسمه ما ورد في بعض طرق الحديث أنه صلى الله عليه وسلم استوحش لما زج به في النور وبقي وحده بعد الملك والروح لا توصف بالوحشة ولا بالاستيحاش قال وكذلك يدل على

لا غير وقد ذكر في الباب التاسع وثلثمائة رجال الله تعالى ثلاثة أصناف لا رابع لهم عباد وصوفية وملامية وهم كمل الرجال فضلا ملامتهم من غلب عليهم زهد وتبتل والأعمال الظاهرة محمودة لا يرون فوق ما هم عليه ولا معرفة لهم بالأحوال ولا بالمقامات ولا رتبة عندهم من العلوم الإلهية الوهبية ولا المعارف والكشوف يترفعون على أعمالهم من تحية الاعتماد عليها دون الله وصنف الصوفية ثم رجال فوق هؤلاء العباد لا يرون الأفعال كلها منهم ما هم عليه من الجد والاجتهاد والورع والزهد والتوكل وغير ذلك ويرون أن لهم فيه سترا المقامات التي فوقهم كلها ولكن هم مع حسن أخلاقهم وفتوتهم أهل رعونة وتقوى نفس لا أهل الطبقة الثالثة وسادتهم رجحة العارفين وصنف الملامتية الذين هم على قدم أبي بكر الصديق ثم رجال لازمون على الصلوات الخمس لا ترتب ولا يتميزون عن الناس بحالة زائدة يعرفون بتشريفي الأمور ويتكلمون مع الناس بكلام ... قد تفردوا بقلوبهم مع الله لا يتزلزلون عن عبوديتهم ولا يعرفون الربوبية مع الاستيلاء الربوبية على قلوبهم رجال المقامات رضي الله عنهم أجمعين وقد ذكر في الباب عشرين وثلثمائة في قوله تعالى

[illegible] أبي بكر ... برودة ... ذلك أن ... على النبي صلى الله عليه وسلم ...
وحكمه في تلك صورة الروح ... الدنيا ... [illegible] الزاجية

ان الاسراء كان بجسمه ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش (قال) وانما سمع صوت أبى بكر تأنيسا له وقد أعطت المعرفة بأن الانس لا يكون الا بالمناسب ولا مناسبة بين الحق تعالى وبين عبيده وان أضيف الى الحق المؤانسة فانما ذلك على وجه خاص يرجع الى الكون فافهم * قال الشيخ وانما خص أبو بكر بذلك لكونه كان يأنس به فى الارض فحن لذلك وأنس به وتعجب من ذلك الصوت فى ذلك الموطن لكونه جاءه من العلو وقد تركه فى الارض (فان قلت) فهل ثم فى المعراج الى السماء بالجسم أو الروح فائدة أخرى غير رؤية الآيات (فالجواب) نعم منها انه اذا مر على حضرات الاسماء الالهية صار متخلقا بصفتها اذا مر على الرحيم كان رحيما أو على الغفور كان غفورا أو على الكريم كان كريما أو على الحليم كان حليما أو على الشكور كان شكورا أو على الجواد كان جوادا وهكذا فما رجع من ذلك المعراج الا وهو فى غاية الكمال ومنها شهود الجسم الواحد فى مكانين فى آن واحد كما رأى محمد صلى الله عليه وسلم نفسه فى أشخاص بنى آدم السعداء حين اجتمع به فى السماء الاولى كما مر وكذلك آدم وموسى وغيرهما فانهم فى قبورهم فى الارض حال كونهم ساكنين فى السماء فانه قال رأيت آدم رأيت موسى رأيت ابراهيم وأطلق وما قال رأيت روح آدم ولا روح موسى فراجع صلى الله عليه وسلم موسى فى السماء وهو يصلى فى قبره فى الارض فتمايحه على كم ورد فيامن يقول ان الجسم الواحد لا يكون فى مكانين كيف يكون ايمانك بهذا الحديث فان كنت مؤمنا فقلد وان كنت عالما فلا تعترض فان العلم منعك وليس لك الاخبار فانه لا يخبر الا الله وليس لك ان تتأول أن الذى فى الارض غير الذى فى السماء لقوله عليه الصلاة والسلام رأيت موسى وأطلق وكذلك سائر من رآه من الانبياء هناك فالمسمى موسى ان لم يكن عينه فالاخبار عنه كذب أنه موسى هذا والمعترض يقول رأيتك البارحة فى النوم ومعلوم ان المرئى كان فى منزله على حالة غير الحالة التى رآه عليها ولكن فى موطن آخر ولا يقول له رأيت غيرك ثم ان المعترض ينكر على الاولياء مثل هذا فى تطورانهم وقد كان قضيب البان يتطور فيما شاء من الصور فى أماكن متعددة وكل صورة خوطب فيها أجاب ان الله على كل شئ قدير ذكره الشيخ فى الباب الرابع والسبعين ومائتين * وقال فى الباب السابع والأربعمائة اعلم أن العبد محمول بالقدرة الالهية فى جميع أحواله لا استقلال له بشئ ولهذا لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسرى به على براق اذا كان الاسراء بالجسم المحسوس فان كان الاسراء به فى النوم كما يقع للاولياء فقد يرى نفسه محمولا على مركب وقد لا يرى نفسه محمولا لكن يعلم انه محمول فى الصورة التى يرى نفسه فيها وقد علم أن جسمه فى فراشه وفى بيته نائم (فان قلت) فهل يكون الوارث للانبياء عليهم الصلاة والسلام له فى هذه المرتبة فيكون محمولا بالقدرة على الكشف والشهود فى جميع أحواله (فالجواب) نعم ولذلك قال تعالى فى حق سيد العبيد على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام فأقامه فى العبودية المطلقة ونزعه من الدعوى والربوبية على شئ من العالم وجرده عن كل شئ حتى عن الاسراء وجعله يسرى به وما أضاف السرى اليه فانه لو قال سبحان الذى دعا عبده لأن يسرى اليه أو الى رؤية آياته فسرى لكان له أن يقول ذلك ولكن المقام منعه ان يقول فجعله مجبورا لاحظ له فى الدعوى لفعل من الافعال * ومنها أى من فوائد الاسراء أيضا التنويه بشرف مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه نظير مدحه تعالى بالاستواء على العرش والثناء بذلك على نفسه فان العرش أعظم الاجسام لاحتوائه على جميع الموجودات فما فوقه سقف فى العلو ولا أرض فى السفل وانما خص الاستواء به لانه غاية مطمح أبصار المؤمنين وأما العارفون من الانبياء وكمل اتباعهم فيرون هذا العرش بالنسبة لاتساع الوجود كالذرة الطائرة فى الهواء ليس لها سقف ترى عليه ولا أرض تنزل عليها فسبحان من لا يعرف قدره غيره وفى كلام سيدى على بن وفا رحمه الله ما صح حاله

وقد نفذت من الاقطار أجمعها * وقد تجاوزت حد الخفض والرفع

فيكون من ذلك العرق الذى يطرأ على أصحاب هذا الحال لانضغاط الذى يحصل بين الطبائع من التقاء الروحين ثم لما كان الهواء الخارج من البدن قويا عمر المسام برطوبته فمنع تخلل الهواء البارد من خارج فاذا سرى عن ذلك النبى أو عن صاحب الحال وانصرف الملك سكن المزاج وانتشت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم فيبرد المزاج ويستولى على الحرارة ويضعفها فذلك هو البرد الذى يجده صاحب الحال ولهذا تأخذه القشعريرة فيزاد عليه الثياب ليسخن ثم بعد ذلك يفيق ويخبر بما وقع له من الوحى ان كان نبيا أو من الالهام ان كان وليا وأطال فى ذلك * وقال فى الباب الحادى عشر والثلثمائة لم أعرف اليوم أحدا تحقق بمقام العبودية أكثر منى فانه ان كان هناك أحد فهو مثلى فقط وذلك لانى بلغت من مقام العبودية غايته فان العبد المحض الخالص الذى لا يعرف للسيادة طعما وقد منحنيها الله تعالى هبة أنعم بها على ولم أنلها بعمل بل اختصاص الهى وأرجو من الله تعالى أن يمسكها على ولا يحول بينى وبينها حتى ألقاه بها فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (قلت) وقوله فأنا العبد المحض يرد قول من نسب الشيخ الى الحلول والاتحاد والله أعلم * وقال فيه فى قوة الكامل من البشر أن يظهر فى صورة غيره كما وقع لقضيب البان وغيره وليس فى قوة الكامل من الملائكة أن يظهر فى صورة غيره من الملائكة فلا يقدر

* وقال أيضا ليس الرجل من يقيده العرش وما حواه من الافلاك والجنة والنار وانما الرجل من نفذ بصره الى خارج هذا الوجود كله وهناك يعرف قدر عظمة موجده سبحانه وتعالى انتهى * وقال الشيخ في الباب السادس عشر وثلثمائة اعلم أنه لما كان الاستواء على العرش تمدح الله عز وجل جعل الله تعالى لنبيه كذلك نسبة على طريق التمدح عليه حيث كان العرش أعلى مقام ينتهى اليه من أسرى به من الرسل عليهم الصلاة والسلام قال وهذا يدل على أن الاسراء كان بجسمه صلى الله عليه وسلم ولو كان الاسراء رؤيا رآها لما كان الاسراء ولا الوصول الى هذا المقام تمدحا ولا وقع من الاعراب في حقه انكار على ذلك لان الرؤيا يصل الانسان فيها الى مرتبة رؤية الله تعالى وهي أشرف الحالات ومع ذلك فليس لها ذلك الموقع من النفوس اذ كل انسان بل كل حيوان له قوة الرؤيا قال وانما قال صلى الله عليه وسلم على سبيل التمدح حتى ظهرت لمستوى سمعت فيه صريف الاقلام وأتى بحرف الغاية الذي هو حتى اشارة لما قلناه من أن منتهى السير بالقدم المحسوس العرش والله تعالى أعلم *(خاتمة)* ذكر الشيخ في الباب العاشر ومائة مانصه (فان قيل) ما الفرق بين تنزل الوحي على الانبياء عليهم الصلاة والسلام و بين تنزله على الاولياء في المنام على يد ملك الالهام (فالجواب) الفرق بينهما أن تنزل الوحي على النبي يكون على قلبه وعلى صدره لكون نبوته مشهودة له وأما تنزله على الاولياء فيكون بين جنبيهم من وراء حجبهم لان نبوتهم مستورة عنهم فالوحي لهم في الظاهر لا في الظهور والى ذلك الاشارة بقول بعض العارفين لم يمت أبو يزيد البسطامي حتى استظهر القرآن أي من الله تعالى عليه بفهم معانيه كلها من طريق الالهام بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن استظهر القرآن هكذا فقد أدرجت النبوة بين جنبيه وأطال في ذلك وسيأتي بسط ذلك زيادة على ذلك في مباحث الولاية ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

*(المبحث الخامس والثلاثون في كون محمد صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين كما صرح به القرآن)*

اعلم ان الاجماع قد انعقد على أنه صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين كما انه خاتم النبيين وان كان المراد بالنبيين في الآية هم المرسلين وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة من الفتوحات قد ختم الله تعالى بشرع محمد صلى الله عليه وسلم جميع الشرائع فلا رسول بعده يشرع ولا نبي بعده يرسل اليه بشرع يتعبد به في نفسه انما يتعبد الناس بشريعته الى يوم القيامة (قلت) وأما اجتهاد الائمة وتشريعهم في الاحكام فذلك باذنه مع أن مادتهم في الاستنباط انما هو شرعه صلى الله عليه وسلم الثابت كتابا كان أو سنة وأعني بالسنة هنا الحديث ويلحق بالسنة كل حكم صدر عن المجتهد من قياس فرع على أصل فانه من السنة أيضا والمراد بالاستنباط وأما قياس فرع على فرع فلا يقول به الا المقلدون للائمة فانهم جعلوا قياس الفرع على الاصل أصلا رابعا كما جعلوا الاجماع أصلا ثالثا وقالوا ان الائمة لا تجتمع على أمر الا وهم يعرفون له دليلا وان لم يذكروه ولنا فنحن نقطع بتحريم خرق اجماع الائمة سواء أعلمنا لهم دليلا في ذلك أم لم نعلم والله أعلم * وقال في الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم أن حقيقة النبي الذي ليس برسول هو شخص يوحي الله اليه بأمر يتضمن ذلك شريعة يتعبد بها في نفسه فان بعث بها الى غيره كان رسولا أيضا وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الملك يأتي النبي بالوحي على حالين تارة ينزل بالوحي على قلبه وتارة يأتيه في صورة جسدية من خارج فيلقي ما جاء به الى ذلك النبي على اذنه فيسمعه أو يلقيه على بصره فيبصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء قال وهذا باب أغلق بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم فلا يفتح لاحد الى يوم القيامة ولكن بقي للاولياء وحي الالهام الذي لا تشريع فيه انما هو بفساد حكم قال بعض الناس بصحة دليله ونحو ذلك فيعمل به في نفسه فقط قال ولو ان الوحي على لسان جبريل عليه السلام كان باقيا بعد محمد صلى الله عليه وسلم لكان عيسى عليه السلام

جبريل أن يظهر به ولا اسرافيل ولاميكائيل وعكسه فبقي قوة الانسان ما ليس في قوة الملك وأطال في الفرق بينهما * وقال في الباب الثاني عشر وثلثمائة في معرفة وحي الاولياء الالهامي اعلم أن الحق تعالى اذا أراد ان يوحي الى قلب ولي من أوليائه بأمر ما تجلى الحق الى قلب ذلك الولي برفع الحجب فيفهم الولي من ذلك التجلي ما يريد الحق أن يعلم ذلك الولي به فيجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم كما وجد النبي صلى الله عليه وسلم العلم بالضربة بين ثدييه وفي شربه اللبن ومن الاولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر به بل يقول وجدت في خاطري كذا وكذا ولا يعرف من أتاه به ولكن من عرف فهو أتم * وقال في الباب الثالث عشر وثلثمائة اعلم ان أول رسول أرسل نوح عليه السلام ومن كانوا قبله انما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل في شرعه معه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافرا ومن لم يدخل فليس بكافر ومن أدخل نفسه ثم كذب الانبياء كان كافرا ومن لم يفعل وبقي على البراءة لم يكن كافرا قال وأما قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير فليس هو بنص في الرسالة وانما هو نص في ان في كل أمة عالما بالله تعالى وباليوم الآخرة وذلك هو النبي لا الرسول اذ لو كان الرسول لقال الهادي ولم يقل نذير * قال ونحن نقول انه كان فيهم أنبياء عالمون بالله فمن شاء وافقهم ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم ومن لم يشأ لم يكلف ذلك وكان اذا ادريس عليه السلام منهم ولم يجئ له نص في القرآن برسالته بل قيل فيه صديقا نبيا وأول شخص افتتح به الرسالة نوح عليه السلام وأطال في ذلك

اذا نزل لا يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشرعه الذي يوحى به اليه جبريل وأطال في ذلك

* وقال في الباب العاشر وثلثمائة اعلم أن الوحي لا ينزل به الملك على غير قلب نبي أصلا ولا يأمر غير نبي بأمر الهي جملة واحدة فان الشريعة قد استقرت وتبين الفرض والواجب والمندوب والحرام والمكروه والمباح فانقطع الامر الالهي بانقطاع النبوة والرسالة وما بقي أحد من خلق الله تعالى يأمره الله بأمر يكون شرعا يتعبد به أبدا فانه ان أمره بفرض كان الشارع أمره به وأمثاله وفي ادعائه نبوة قد انقطعت أونهاه عن حرام كان الشارع نهاه عنه أو أمره بمندوب كان الشارع ندبه اليه أونهاه عن مكروه كان الشارع كرهه له فان قال ان الله أمرني بفعل المباح قلنا له لا يخلو أن يرجع ذلك المباح واجبا في حقك أو مندوبا وذلك عين نسخ الشرع الذي أنت عليه حيث صيرت بالوحي الذي زعمته المباح الذي قرره الشارع مباحا مأمورا به يعصي العبد بتركه وان أبقاه مباحا كما كان في الشريعة فأي فائدة لهذا الامر الذي جاء به ملك وحي هذا المدعي فان قال لم يجئني بذلك ملك وانما أمرني الله تعالى به من غير واسطة قلنا له هذا أعظم من الاول فانك اذن ادعيت ان الله تعالى كلمك كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام ولا قائل بذلك لا من علماء النقل ولا من علماء الذوق ثم انه تعالى لو كلمك أو قال لك ما كان يلقي اليك في كلامه الا علوما وأخبارا لا أحكاما ولا شرعا ولا يأمرك بأمر جملة واحدة اهـ * وقال الشيخ أيضا في الباب الحادي والعشرين من الفتوحات من قال ان الله تعالى أمره بشيء فليس ذلك بصحيح انما ذلك تلبيس لان الامر من قسم الكلام وصفته وذلك باب مسدود دون الناس فانه ما بقي في الحضرة الالهية أمر تكليفي الا وهو مشروع فما بقي للاولياء وغيرهم الا سماع أمر ما ولكن لهم المناجاة الالهية وتلك لا أمر فيها وانما هو حديث وسمر وكل من قال من الاولياء انه مأمور بأمر الهي في حركاته وسكناته مخالف لامر شرعي محمدي تكليفي فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال انه سمعه فليس ذلك عن الله وانما هو عن ابليس فظن انه عن الله لان ابليس قد أعطاه الله تعالى ان يصور عرشا وكرسيا وسماء ويخاطب الناس منه كما مر في مبحث خلق الجن اهـ وسيأتي بسط ذلك في مبحث الولاية ان شاء الله تعالى فقد بان لك ان أبواب الاوامر الالهية والنواهي قد سدت وكل من ادعاها بعد محمد صلى الله عليه وسلم فهو مدع شريعة أوحي بها اليه سواء وافق شرعنا أو خالف فان كان مكلفا ضربنا عنقه والا ضربنا عنه صفحا (فان قيل) فهل كان قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم تحجير في ادعاء النبوة (فالجواب) لم يكن في ادعائها تحجير ولذلك قال العبد الصالح خضر عليه الصلاة والسلام وما فعلته عن أمري فان زمانه أعطى ذلك وهو على شريعة من ربه أوحى اليه بها على لسان ملك الالهام وقيل بلا واسطة وقد شهد له الحق تعالى بذلك عند موسى وعندنا وزكاه وأما اليوم فالياس والخضر عليهما الصلاة والسلام على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم اما بحكم الوفق أو بحكم الاتباع وعلى كل حال فلا يكون لهما ذلك الا على سبيل التعريف لا على طريق النبوة وكذلك عيسى عليه الصلاة والسلام اذا نزل الى الارض لا يحكم فينا الا بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه الحق تعالى بها على طريق التعريف وان كان نبيا انتهى واعلم أن أمر الحق عز وجل حكمه العموم الا أن يخصه دليل وقد قال تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فلم يجعل لاحد بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أن يخالف شرعه انما أوجب عليه الاتباع وجعل لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يشرع فيأمر وينهى وأما قوله تعالى وأولي الامر منكم فالمراد بطاعتهم فيما اذا أمر ونا بمباح أونهونا عنه لا أنهم يشرعون لنا شريعة تخالف شرع محمد الثابت فاذا أمرونا بمباح أونهونا عنه فاطعناهم فقد أجر نافي ذلك أجر من أطاع أمر الله تعالى فيما أوجبه من أمر ونهي وهذا من كرم الله تعالى بنا ولا يشعر به غالب الناس بل ربما استهزؤا به والله أعلم وقال الشيخ في الباب الثامن والثلاثين من الفتوحات لما أغلق الله باب الرسالة بعد محمد صلى الله عليه وسلم كان ذلك من أشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوحي الذي

*وقال في الباب الرابع عشر وثلثمائة متى خرج كشف ولي في العلم عن الكتاب والسنة فليس ذلك بعلم ولاه وعلم ولاية بل اذا حققته وجدته جهلا والجهل عدم والعلم وجود فعلم انه لا يتعدى كشف ولي في العلوم الالهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه أبدا (وقال) في قوله صلى الله عليه وسلم ان المصلي يناجي ربه أي بارتفاع الوسائط كما سيكلمه في القيامة كفاحا ليس بينه وبينه ترجمان كما ورد فما تميزت الآخرة الا بكون العبد يعرف هناك من يكلمه وهنا لا يعرفه وأطال في ذلك * وقال في الباب السابع عشر وثلثمائة في قوله تعالى وكان عرشه على الماء اعلم ان على ههنا بمعنى في أي كان العرش في الماء كما ان الانسان في الماء أي منه تكون فان الماء أصل الموجودات كلها وهو عرش الحياة ومن الماء خلق الله كل شيء وكل ما سوى الله حي ولذلك سبح بحمده ولو لم يكن حيا ما سبح قال وتأول ذلك بعض الناس وقال انما هو تسبيح حال والخلاف انما ينبغي أن يكون في سبب حياته لا في حياته والعرش هنا عبارة عن الملك وكان حرف وجودي أي الملك كله موجود في الماء اذ الماء أصل ظهور عينه فهو للملك كالهيولى ظهر فيه صور العالم الذي هو ملك الله وأطال في ذلك * وقال الفرق بين الموت والنوم ان الموت اعراض الروح عن الجسم بالكلية فيزول بذلك جميع القوى كالليل بتغيب الشمس وأما النوم فليس باعراض بالكلية عن الجسم انما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها او دون موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة

وان لم يقع ادراك الشمس لذلك الذي (١٩٠) حال بينه وبين السماء من السحاب المتراكم * وقال في الباب العشرين وثلثمائة في قوله تعالى

ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا اعلم ان اسم كان هنا هو النفس فيسئل النفس عن سمعه وبصره وفؤاده فيقال له ماذا فعلت برعيتك كما يسئل الوالي الجائر اذا أخذه الملك وعذبه عند استغاثة رعيته منه * وقال في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول المراد بهذا الغيب الذي يطلع عليه رسوله هو علم التكليف الذي غاب عنه العباد ولم تستقل عقولهم بدركه ولهذا جعل الملائكة له رصدا حذرا من الشياطين ان تلقي اليه ما يعمل به في نفسه من التكليف الذي جعله الله تعالى سعادة للعباد من أمر ونهي فهذا الغيب هو علم الرسالة ولهذا قال ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم فأضاف الرسالة الى قوله ربهم لما علموا ان الشياطين لم تلق اليهم أعني الرسل شيأ فيتيقنون ان تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره ثم هل هذا القدر الذي يطلع عليه من ارتضاه من رسول هل هو باعلام الملك له أو هو بلا واسطة ملك الظاهر الثاني وتكون الملائكة تحف أنوارها رسول الله صلى الله عليه وسلم كالهالة حول القمر والشياطين من ورائهم لا تجد سبيلا الى هذا الرسول حتى يظهر الله له ما شاء من علم التكليف الذي خفي عنه وعن العباد علمه قال وليس في كتابنا هذا الآية ولا غيره أصعب من تصور الغيب الذي انفرد به الحق ويسمى الغيب المحال وجود ذلك لانه لا يظهر عنه شيء أبدا يتصف بالشهادة وقتا ما أو حالا ما فهو

كان به لوصلة بينهم وبين الله تعالى فانه فوق أن واحدهم اه * وقال في الجواب الخامس والعشرين من الباب الثالث والسبعين اعلم أن النبوة لم ترتفع مطلقا بعد محمد صلى الله عليه وسلم وانما ارتفع نبوة التشريع فقط فقوله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي ولا رسول بعدي أي ما ثم من يشرع بعدي شريعة خاصة بهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ولم يكن كسرى وقيصر الا ملك الروم والفرس وما زال الملك في الروم ولكن ارتفع هذا الاسم فقط مع وجود الملك فيهم وسمي ملكهم باسم آخر غير ذلك وقد كان الشيخ عبد القادر الجيلي يقول أوتي الانبياء اسم النبوة وأوتينا اللقب أي حجر علينا اسم النبي مع أن الحق تعالى يخبرنا في سرائرنا بمعاني كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ويسمى صاحب هذا المقام من أنبياء الاولياء فغاية نبوتهم التعريف بالاحكام الشرعية حتى لا يخطئوا فيها لا غير اه (فان قلت) فما الحكم في تشريع المجتهدين (فالجواب) أن المجتهدين لم يشرعوا شيأ من عند أنفسهم وانما شرعوا ما اقتضاه نظرهم في الاحكام فقط من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر حكم المجتهدين فصار حكمهم من جملة شرعه الذي شرعه فانه صلى الله عليه وسلم هو الذي أعطى المجتهد المادة التي اجتهد فيها من الدليل ولو قدر أن المجتهد شرع شرعا لم يعطه الدليل الوارد عن الشارع رددناه عليه لانه شرع لم يأذن به الله والله أعلم *(خاتمة)* مما يؤيد كون محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر المرسلين وأنه خاتمهم وكلهم يستمدون منه ما قاله الشيخ في علوم الباب الاحد والتسعين وأربعمائة من أنه ليس لاحد من الخلق علم يناله في الدنيا والآخرة الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم سواء الانبياء والعلماء المتقدمون على زمن بعثته والمتأخرون عنها وقد أخبرنا صلى الله عليه وسلم بانه أوتي علم الاولين والآخرين ونحن من الآخرين بلا شك وقد عم محمد صلى الله عليه وسلم الحكم في العلم الذي أوتيه فشمل كل علم منقول ومعقول ومفهوم وموهوب فاجهد يا أخي أن تكون ممن يأخذ العلم بالله تعالى عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه أعلم خلق الله بالله على الاطلاق واياك أن تخطئ أحدا من علماء أمته من غير دليل وهذا برهان لك عليه فاحتفظ به ولا تقل حجرت واسعا وتقول قد يعطي الله تعالى عبده من الوجه الخاص الذي بين كل مخلوق وبين ربه عز وجل من غير واسطة محمد صلى الله عليه وسلم ما شاء من العلوم بدليل قصة الخضر عليه السلام مع موسى الذي هو رسول زمانه لانا نقول نحن ما حجرنا عليك أن لا تعلم مطلقا وانما حجرنا عليك أن لا يكون لك علم ذلك الا من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم شعرت بذلك أم لم تشعر قال الشيخ ووافقنا على ذلك الامام أبو القاسم بن قسي في كتابه خلع النعلين وهو ممن روايتنا عن ابنه عنه بتونس سنة تسعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

(المبحث السادس والثلاثون في عموم بعثة محمد صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس وكذلك الملائكة على ما سيأتي فيه وهذه فضيلة لم يشركه فيها أحد من المرسلين)

وقد ورد في صحيح مسلم وغيره وأرسلت الى الخلق كافة وفسروه بالانس والجن كما فسروا بهما أيضا من بلغ في قوله تعالى وأوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ أي بلغه القرآن وكما فسروا بذلك أيضا العالمين في قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قاله الجلال المحلي رحمه الله (فان قلت) فهل تكليف الجن بالشرائع المنزلة من عند الحق تعالى تكليف ألزمهم به الحق تعالى ابتداء او ألزموا به أنفسهم ابتداركونا في الفضائل فألزمهم الحق تعالى به كالنذر (فالجواب) قد أورد هذا السؤال الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة وقال لا أدري اه فمن ظفر في ذلك بنقل فليلحقه بهذا الموضع من هذا الكتاب واختلفوا في الملائكة هل أرسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أم لا فنقل البيهقي في الباب الرابع من شعب الايمان عن الحليمي أنه صرح بأنه صلى الله عليه وسلم لم يرسل الى الملائكة ثم انه نقل عن الحليمي أيضا في الباب الخامس عشر بانفكاكهم عن شرعه وفي تفسير الرازي والبرهان النسفي حكاية الاجماع في تفسير

الآية الثانية السابقة آنفا على انه صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا اليهم * قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته وفي نقل البيهقي ذلك عن الحليمي اشعار بالتبري من عهدته و بتقدير أن لا اشعار فيه فلم يصرح بأنه مرضي عنده قال وأما الحليمي فانه وان كان من أهل السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملائكة على الانبياء وما نقل عنه هنا أي من أنه لم يرسل الى الملائكة موافق لقوله بأفضلية الملائكة فلعله بناه عليه وأطال الشيخ كمال الدين في ذلك ثم قال ومع ذلك فالاليق بالعلماء الوقف عن الخوض في هذه المسئلة على وجه يتضمن دعوى القطع في شئ من الجانبين اه (قلت) والحاصل ان كلام الاصوليين يرجع الى قولين الاول انه أرسل الى الملائكة والثاني لم يرسل اليهم والذي صححه السبكي وغيره انه أرسل اليهم وزاد البارزي رحمه الله انه أرسل الى الحيوانات والجمادات والشجر والحجر ذكره الجلال السيوطي في أوائل كتاب الخصائص ونقل فيها أيضا عن السبكي انه كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء فهو كالسلطان الاعظم وجميع الانبياء كأمراء العساكر ولو أدركه جميع الانبياء لوجب عليهم اتباعه اذ هو مبعوث الى جميع الخلق من لدن آدم الى قيام الساعة فكانت الانبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف وكان كل نبي يبعث بطائفة من شرعه صلى الله عليه وسلم لا بتبداها اه * وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول كان صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى الخلق أجمعين في عالم الارواح والاجسام من لدن آدم الى قيام الساعة (وسمعته) يقول الملائكة على ثلاثة أقسام (قسم) أرسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم بالامر والنهي معا وهم الملائكة الارضيون ومابين الارض والسماء الاولى (وقسم) أرسل اليهم بالامر فقط وهم ملائكة السموات فانهم لا يذوقون للنهي طعما انما هم في الامر فقط قال تعالى لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون (وقسم) لم يرسل اليهم أصلا لا بأمر ولا نهي وهم الملائكة العالون المشار اليهم بقوله تعالى لابليس استفهام انكار أستكبرت أم كنت من العالين فان هؤلاء الملائكة عابدون لله تعالى بالذات التي جبلهم عليها لا يحتاجون الى رسول بل هم مهيمون في جلال الله تعالى لا يعرفون أن الله تعالى خلق آدم ولا غيره اه فليتأمل القسم الاول ويحرر فانه غريب في كلامهم والله أعلم (وسمعته) مرة أخرى يقول ملائكة الارض الى السماء الاولى غير معصومين لان محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم بالنهي ولا يرسل نبي الى أحد بالنهي الا ان كان يتصور وقوعه فيه فان المعصوم لا يحتاج الى رسول ولذلك لم يرسل قط نبي الى نبي ومن سمى ملائكة الارض جنا فهو صحيح لاستتارهم عن العيون قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا فقالوا انهم بنات الله تعالى الله عن ذلك قال ومما يؤيد عدم عصمة ملائكة الارض وقوع النزاع منهم في قصة آدم عليه الصلاة والسلام بقولهم أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فانهم لم يقولوا ذلك الا عن ذوق وقع لهم في الارض قبل آدم ولولا ذوقهم لذلك ما اهتدوا الاعتراض عليه اه وعلم من كلامه سابقا ولاحقا ان من قال انه أرسل الى الملائكة مطلقا بالامر والنهي معا فما حقق الامر ومن قال لم يرسل اليهم مطلقا كذلك فما حقق الامر ومن فصل في ذلك كما تقدم أصاب وهو كلام منزعه الكشف ولم أجده لغيره رحمه الله وقد ذكر القلشاني ما يؤيد القول بعدم عصمة الملائكة الارضية فقال (ان قيل) كيف وقع من الملائكة نزاع واعتراض في قصة آدم مع عصمتهم وقول الله تعالى صدق قطعا (فالجواب) ان هذا النزاع لم يقع من ملائكة الجبروت والسموات لعصمتهم وانما وقع ذلك من ملائكة الارض ومابينها وبين السماء لكونهم لا عصمة عندهم فان ملائكة الجبروت والسموات لغلبة النورانية عليهم واحاطتهم بالمراتب يعرفون شرف مقام الانسان الكامل وعلو رتبته عليهم عند الله تعالى ولم يأت لنا في كتاب ولا سنة تصريح بأن هذا النزاع وقع من الملائكة السماوية والارضية وانما أخذنا ذلك من معرفة العناصر حين رأينا أهل كل عنصر تحت حكم عنصرهم من نور أو ظلمة فقلنا ان النزاع وقع من ملائكة الارض لغلبة الظلمة عليهم والطبيعة الموجبة

غيب بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يختص لاحد الجانبين وقد حارت الخلائق في هذا الغيب فانه ماهو محال فيكون عدما محضا ولا هو واجب الوجود فيكون وجودا محضا ولا هو ممكن يستوي طرفاه ولا هو غير معلوم بل هو معقول فلا يعرف له حد فهذا هو الغيب الذي انفرد به الحق حيث قال عالم الغيب * وقال في الباب الثاني والعشرين وثلثمائة انما وجب نصب امام واحد في العالم تنبيها على ان الاله للعالم واحد فهو واجب شرعا مع كون طلب الامام موجودا في فطر العالم كلهم فان همهم توفرت في كل بلدة أو قرية أو جماعة أن يكون لهم رئيس يرجعون اليه و يكونون تحت أمره (فان قلت) ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن أين يكون واجبا (قلنا) ان الله تعالى قد أمرنا باقامة الدين بلا شك ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الامان في أنفس الناس على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم من تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يصح أبدا مالم يكن ثم من يخاف سطوته وترجى رحمته يرجع أمرهم اليه و يجتمعون عليه فاذا زال الخوف الذي كانوا يخافونه على أنفسهم وأموالهم وأهليهم تفرغوا لاقامة الدين الذي أوجب الله عليهم اقامته ومالا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب ثم انه يجب ان يكون واحدا لئلا يختلفا فيؤدي الى الفساد وامتناع وقوع المصلحة * وقال في الباب الثالث والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون اعلم ان العبد مادخل عليه مقت الله الا من باب اضافة الفعل الى نفسه من غير مشيئة الله تعالى فلو انه قرن العمل

للعجاب قال ويؤيد ذلك الاشارة بتخصيص الارض بالذكر في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة فما وقع منهم النزاع الا من علمهم بأحوال أهل الارض فان الملائكة السماوية لا يفسدون ولا يسفكون الدماء بل ليس لاحدهم دم في جسمه يسيل أبدا وأطال في ذلك ثم قال فقد بان لك ان الاعتراض والطعن في آدم لم يصدر من ملائكة الجبروت اذ النزاع لا يكون الا من ركب من الطبائع الاربع لما فيها من التضاد اذ المتكون منها لا يكون الا على حكم الاصل اهـ قال بعضهم ولعل مراده بهؤلاء الملائكة القاطنين بين السماء والارض نوع من الجن سماهم ملائكة اصطلاحا له (فان قيل) قد وصف الله تعالى الملأ الاعلى بالخصام في قوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون وفي قوله في الحديث قال يارب فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث (فالجواب) كما قاله الشيخ في الفتوحات ان خصام هؤلاء ليس هو في الاعتراض على أحكام الله وتقديره في خلقه وانما خصامهم في بيان الافضل من الاعمال كما صرح به الحديث وذلك حتى انهم يتبادرون الى بني آدم يدعونهم بالسنتهم ويرغبونهم في فعل ما فيه الاجر العظيم من الاعمال حتى يقدموه على غيره من غير التفات الى غيره مما أجره يسير فهم كالرجال المتناظرين في مسائل الحيض التي لا نصيب فيها للرجال (فان قيل) فهل هم في هذا الخصام مسبحون لله تعالى به لكونهم قد وصفهم الله تعالى بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وذلك لزوال الملل (فالجواب) نعم هم مسبحون لله تعالى بذلك الخصام وهو من جملة تسبيحهم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ومعلوم انه كان يتحدث مع الاعراب ويمزح مع الاطفال والعجائز وهو في ذلك ذاكر لله تعالى لا يتحرك ولا يسكن الا في أمر مشروع (فان قلت) فهل ذلك المقام لكل كامل بعده صلى الله عليه وسلم (فالجواب) نعم لان الله تعالى ما شرع لعباده أمرا الا ليشهدوه تعالى حال العمل بذلك الامر فمنهم من وفى بذلك المقام ومنهم من أتى بعباداته مع الغفلة (فان قلت) فهل يلحق خصام أرباب المذاهب بخصام الملائكة المذكورين في الاجر والثواب (فالجواب) نعم لكن بشرط أن يكون الجدال والخصام بصريح السنة الا بالفهم وان يكونوا مخلصين في عملهم لا يشوبهم غرض نفساني فان قصدوا مغالبة الخصوم ورد أقوال مذاهبهم فذلك مذموم شرعا فان الله تعالى يقول أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومن سعى في تفرقة الدين ولو باللازم فقد أضجعه من قيامه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجدال في دين الله بغير نص وقال عند نبي لا ينبغي التنازع وحكم تقرير العلماء شرعه من بعده في الادب كحكم حضورهم عنده سواء كما يعلم ذلك العلماء بالله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم

(المبحث السابع والثلاثون في بيان وجوب الاذعان والطاعة لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الاحكام وعدم الاعتراض على شيء منه)

اعلم انه يجب على كل مؤمن أن ينشرح لكل ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الحج من الفتوحات ما نصه اياك أن ترى أمورا قد أباحها الشارع صلى الله عليه وسلم فتكرهها ذلك ويقع في نفسك من فعلها حزازة وتقول لو أن الحكم لي فيها لحجرتها وحرمتها على الناس فترجع نظرك في ذلك على نظر الشارع وتجعل نفسك أرجح ميزانا منه وتنخرط في سلك الجاهلين قال وهذا واقع كثيرا من بعض الناس الذين لم يمارسوا الادب مع الشارع صلى الله عليه وسلم فيغضب على الناس اذا فعلوا بعض المباحات التي أباحها الشارع ويقول اذا عجز عن كف الناس عنها أي شيء أصنع هذا قد أباحه الشارع ومن يقدر يتكلم فتراه يصبر على حنق وكره في نفسه على استعمال الناس شرع ربهم وهذا من أعظم ما يكون من سوء الادب وصاحبه ممن أضله الله على علم قال وقد ظهر ذلك من بعض الناس في العصر الاول وأما اليوم فقد فشا في غالب الناس ويقولون لو أدرك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لمنع الناس منه ونحن نعلم أن

بالمشيئة الالهية فلم يعقه الله تعالى فاذا لك شرع الحق تعالى لعباده الاستثناء الالهي ليرتفع عنهم المقت وكذلك لا يحنث أيضا من استثنى اذا حلف على فعل مستقبل فانه اضافه الى الله تعالى لا الى نفسه قال وهذا لا ينافي اضافة الافعال الى المخلوقين من حيث الحكم فان للعبد حكما في ظهور العمل وما له أثر في ايجاده وفرق بين الاثر والحكم قال وبهذا القدر تفاوتت درجات العقلاء ألا ترى الحق تعالى كيف قال يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ولم يقل يا أولي الالباب ولا يا أولي العلم لان العالم العاقل لا يقول ما لا يفعل الا بالاستثناء لعلمه بان خلق الفعل لله لا له وأطال في ذلك وسيأتي تفسير الآية بأوضح من هذا وان الانسان هو الذي مقت نفسه عند الله حين ينكشف له ان العمل لله لا للعبد فيخجل من ذلك * وقال في الباب الرابع والعشرين وثلثمائة في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة اعلم ان المرأة تلحق الرجال في الابوة وتلحقهم أيضا في بعض المواضع فتقوم المرأة مقام الرجلين ويقطع الحكم بشهادتها كما يقطع بشهادة الرجلين وذلك في قبول الحاكم قولها في حيض العدة وقبول الزوج قولها في أن هذا ولده مع الاحتمال المتطرق الى ذلك وقبول قولها بانها حائض فقد تنزلت ههنا منزلة شاهدين عدلين كما تنزل الرجل في شهادة الدين منزلة امرأتين عند اختلاف الحكم فهذه توليتها من الله وأما الحديث فانما هو الشارع في تولية الناس قال ولو لم يكن للنساء من الشرف الا قوله صلى الله عليه وسلم النساء شقائق الرجال لكان فيه غنية فان فيه اشارة الى ان كل ما يناله

الشارع هو الله تعالى ولا يعزب عن علمه شئ ولو كانت اباحة ذلك الامر خاصة بقوم دون آخرين لبينها تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله أحكامه فيما أراده الله تعالى لا ينطق قط عن هوى نفسه ولا يبدي شيأ مما أمر بتبليغه ان هو الا وحي يوحى وما كان ربك نسيا وما فرضه تعالى من الشرائع الا ما تقع به المصلحة في العالم فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ومهما زيد فيه أو نقص منه أو لم يعمل بما فرضه الشارع فقد اختل نظام المصلحة المقصودة للشارع فيما نزله وفرضه من الاحكام وقد عاب بعض أكابر الصحابة على عائشة رضي الله تعالى عنها في قولها لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع النساء بعده لمنعهن من المساجد كما منعت نساء بني اسرائيل لايهام هذا القول الاعتراض على الشارع وانه لم يعلم ان ذلك يقع من الناس وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك ثم قال فعلم ان من سلك كمال الادب لا يجد قط في نفسه حرجا مما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله قولا عاما اللهم الا أن يحصل من ذلك ريبة ظاهرة فلا مانع من المنع وأما على الظن والتوهم فلا فالعاقل لا ينبغي له أن يغار الا في مواطن مخصوصة شرعها الحق تعالى له لا يتعداها وكل غيرة تعدت ذلك فهي خارجة عن حكم العقل منبعثة عن حكم الهوى فليس لانسان أن يغار على كشف زوجته وجهها في الاحرام فان الله تعالى قد شرع لها ذلك وأوجب عليها كشفه مع ان الله تعالى أغير من جميع خلقه كما في الصحيح ان سعدا الغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني ومن غيرته انه تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فمن زاد على ما جعل الحق تعالى غيرته فيه من الفواحش فكأنه ادعى انه أغير من الله تعالى لكونه غار على أمر ليس هو بفاحشة عند الله تعالى وما أحسن قوله تعالى ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو عرض الانسان حال ايمانه وأدخله في هذا الميزان لعلم أنه بعيد عن مقام الايمان الذي ذكره الله تعالى في قوله فلا وربك لا يؤمنون الى آخره فان الله تعالى نفى الايمان عمن هذه صفته وأقسم بنفسه عليه أنه ليس بمؤمن وأطال الشيخ في ذلك ثم قال ولولا تعلق الاغراض النفسانية ما نزلت آية الحجاب فانها ما نزلت باستدعاء بعض النفوس وأهل الله عز وجل يفرقون بين الحكم الالهي اذا نزل ابتداء من الله وبين الحكم الالهي اذا نزل مطلوبا بالبعض العباد وكأنه تعالى سئل في تنزيله فأجاب السائل اذ لولا ذلك ما نزل وفي البخاري عن محمد بن كعب القرظي التابعي الجليل انه كان يقول ان أعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم على المسلمين من أجل مسئلته وكان صلى الله عليه وسلم يخاف على أمته من كثرة تنزل الاحكام لئلا يعجزوا عنها كما قال لمن سأله عن الحج أكل عام يا رسول الله قال لا ولو قلت نعم لوجبت ولم تستطيعوا وأطال في ذم السؤال ثم قال فعلم ان من كمال العارف أن يعتني بالامر المنزل ابتداء أشد من اعتنائه بما نزل بسؤال فان الله تعالى يفهم منه مقاصد الشرع حتى لا تخرج عنه ومما رجح أحدهم وما شيأ سكت الشارع عن بيانه كغطبة العبد فان الشارع فعلها ولم يخبرنا بكونها واجبة أو مندوبة فخلاص العبد من اتباع الهوى أن يفعلها على وجه التأسي به صلى الله عليه وسلم بقطع النظر عن كونها واجبة أو مندوبة (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول ما من عالم يأمر الناس بفعل شئ لم يصرح الشارع بالامر به الا تخلى يوم القيامة انه لم يكن رجح شيأ ثم ان المرجحين بأهويتهم خلاف ما رجح الشارع رجلان الواحد يغلب جانب الحرمة والثاني يغلب رفع الحرج عن هذه الامة رجوعا الى الاصل فهذا عند الله أقرب منزلة من الذي يغلب الحرمة اذ الحرمة أمر عارض عرض للاصل ورافع الحرج داع الى الاصل واليه يعود حال الناس في الجنان يتبوؤن من الجنة حيث شاؤا وما أغفل أهل الاهواء وان كانوا مؤمنين عن هذه المسئلة وسيندمون اذا انكشف الحجاب فاياك يا أخي وهوس الطبيعة فان العبد فيه ممكور به من حيث لا يشعر قال الشيخ وكم قاسينا في هذا الباب من الجهلة بين حيث غلبت أهواؤهم على عقولهم فانا آخذ بحجزهم عن النار وهم يتقحمون فيها وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة الى طعامه

الرجل من المقامات والمراتب يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء ألا تنظر الى حكمة الله تعالى فيما زاده للمرأة على الرجل في الاسم فقال في الرجل المرء وقال في الانثى المرأة فزادها هاء في الوقف تاء في الوصل على اسم المرء للرجل فلها على الرجل درجة في هذا المقام ليس له مرة في مقابلة قوله وللرجال عليهن درجة فسد تلك الثلمة بهذه الزيادة في المرأة وأطال في ذلك ثم قال ولو لم يكن في شرف التأنيث الا اطلاق لفظ الذات على الله واطلاق الصفة وكلاهما لفظ تأنيث لكان فيه كفاية فان في ذلك جبرا لقلب المرأة الذي يكسره من لا علم له من الرجال بما هو الامر (قلت) ذكر الشيخ في الباب الخامس والاربعين وثلثمائة مانصه مما قال تعالى ولم يكن له كفوا أحد نفيا للصاحبة لان المراد بالكف ههنا الصاحبة لاجل من قال ان المسيح ابن الله والعزير ابن الله فان الكفاءة هي المثل والمرأة لا تماثل الرجل أبدا فان الله يقول وللرجال عليهن درجة فليست له بكفء فان المنفعل ما هو كفء لفاعله والعالم كله منفعل عن ارادة الله فما هو كفء لله وحواء منفعلة عن آدم فله عليها درجة الفاعلية فليست له بكفء من هذا الوجه ولما قال تعالى وللرجال عليهن درجة لم يجعل عيسى عليه السلام منفعلا عن مريم حتى لا يكون الرجل منفعلا عن المرأة كما كانت حواء عن آدم فتمثل لها الملك بشرا سويا وقال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا فوهبها عيسى عليه السلام فكان انفعال عيسى عن الملك المتمثل في صورة الرجل ولذلك يخرج على صورة أبيه ذكرا بشرا حيث تمثله بشرا وما جمع

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهذه وأشار الى عائشة رضي الله تعالى عنها فقال الرجل لا فأبى أن يجيبه الى ان أنعم له فيها ان تأتي معه فأقبلا يتدافعان يعني النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة الى منزل ذلك الرجل والله تعالى يقول لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فأين اعيانك اليوم لو رأيت صاحب منصب من قاض أو خطيب أو وزير أو سلطان يفعل مثل هذا تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تنسبه الا الى سفساف الاخلاق ولو أن هذه الصفة لم تكن من مكارم الاخلاق ما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه بعث ليتمم مكارم الاخلاق ونظير هذه الواقعة نزوله صلى الله عليه وسلم من فوق المنبر وهو يخطب حتى أخذ الحسن والحسين وصعد بهما المنبر لما رآهما يعثران في أذيالهما ثم عاد الى خطبته أترى ذلك كان من نقص حال لا والله بل كان من كمال معرفته بربه عز وجل لان ذلك من الشغل بالله لا عن الله وقد عاب العارفون على الشبلي لما سمع قارئا يقرأ ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم فقال انه شغلهم بالجنة عنه تعالى الهم لا تجعلني منهم وقالوا للشبلي ان الله تعالى قد ذكر الشغل عن أصحاب الجنة وأنهم هم وأزواجهم في ذلك الشغل وما عرفنا تعالى عن تفكههم وأزواجهم فبماذا يحكم الشبلي عليهم بأنهم اشتغلوا بذلك عن الله عز وجل قال الشيخ محيي الدين وقد عدوا هذا من قصور نظر الشبلي حيث جرح أهل الجنة ببادي الرأي ولعل ذلك كان في بدايته وأطال في ذلك ثم قال فعليك يا أخي بالغيرة الايمانية الشرعية ولا تزد عليها فتشقى في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فلا تزال متعوب النفس فيما لا ينبغي الاعتراض عليه وأما في الآخرة فلانه يؤدي الى سؤال الحق تعالى لك عن ذلك وعما ينسحب عليه وهو من الاعتراض بالحال على الله تعالى في أحكامه وحصول الكراهية في النفس مما أباحه الله تعالى انتهى وقال أيضا في الكلام على صلاة العيدين من الباب الثامن والستين اعلم ان الله تعالى قد شرع الزينة والشغل بأحوال النفوس من أكل وشرب وبعال في يوم العيد فمن أدب المؤمن أن لا يشتغل في هذا اليوم الا بما ذكره الشارع فجميع ما يفعله العبد من المباحات فيه يشبه سنن الصلاة في الصلاة وجميع ما يفعله فيه من النوافل في ذلك اليوم يشبه الاركان في الصلاة فلا يزال العبد في يوم العيدين في أفعال تشبه أفعال المصلي ولهذا سمي بيوم العيد أي لانه يعود على العبد بالاجر في كل مباح يفعله وهذا أحسن من قول بعضهم انما سمي عيدا لعود السرور فيه كل سنة فانه ربما انتقض بالصلوات الخمس فانها تعود بالسرور كل يوم لوقوف العبد فيها بين يدي الله ولا يقال فيها عيد (فان قلت) ان العيد مرتبطا بالزينة (قلنا) والزينة مشروعة في كل صلاة قال تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد وأيضا فان الصوم في يوم العيد حرام فصار الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحا ثم لما كان يوم العيد يوم فرح وسرور وزينة واستيلاء للنفوس على طلب حظوظها من الشهوات أبدلها الشارع في ذلك تحريم الصوم فيه وشرع للناس فيه اباحة اللعب والزينة وأقر الحبشة على لعبهم في المسجد يوم العيد ووقف صلى الله عليه وسلم هو وعائشة ينظران الى لعبهم وعائشة خلفه وفي هذا اليوم أيضا دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مغنيتان فغنتا في بيته صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ولما أراد أبو بكر أن ينهاهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فانه يوم عيد وأطال الشيخ في ذلك ثم قال ولما كان هذا اليوم يوم حظوظ النفوس شرع بصلاته تكرار التكبير في الصلاة ليتمكن من قلوب الناس ما ينبغي للحق تعالى من الكبرياء والعظمة لئلا يشغلهم حظوظ نفوسهم عن كمال مراعاة حقه جل وعلا قال ومن هنا يعرف حكمة ترك التنفل قبل صلاة العيد اذ المقصود في هذا اليوم فعل ما كان مباحا على جهة الندب خلاف ما كان عليه ذلك الفعل في سائر الايام فلا يتنفل في ذلك اليوم سوى بصلاة العيد خاصة لان الحكم اذا كان مربوطا بوقت غلب على ما لم يكن مربوطا بوقت وأيضا فانه انما ندب اللعب والفرح والزينة في هذا اليوم لتكثير السرور وأهل الجنة ونعيمهم فلا يدخل مع ذلك مندوب آخر يعارضه ثم اذا زال

بين الصورتين فكان رسامن حيث (١٩٤) عينه بشرا من حيث تمثله في صورة البشر والله أعلم فليتأمل ذلك مع ما هنا * وقال في الباب الخامس والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وفي قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة اعلم ان عداوة ابليس لبني آدم أشد من معاداته لابيهم آدم عليه السلام وذلك ان بني آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم عليه السلام فجمع بينه وبين ابليس اليبس الذي في التراب فبين التراب والنار جامع ولهذا صدقهما اقسم له بالله انه لناصح وما صدقه الابناء لكونه لهم ضدا من جميع الوجوه فبهذا كانت عداوة الابناء أشد من عداوة الاب له * قال ولما كان هذا العدو محجوبا عن ادراك الابصار جعل الله لنا في القلب من طريق الشرع علامة نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر فنحفظ بتلك العلامة من القائه وأعاننا الله عليه بالملك الذي جعله الله مقابلا له فيما غاب وأطال في ذلك * وقال فيه مادام القرآن في القلب فلا حرف ولا صوت فاذا نطق به القارئ نطق بصوت وحرف وكذلك اذا كتبه لا يكتبه الا بصوت وحرف وأطال في ذلك * ثم قال والمفهوم من كون القرآن أنزل حروفا منظومة من اثنين الى خمسة حروف متصلة ومنفردة أمران كونه قولا وكلاما ولفظا وكونه يسمى كتابة ورقما وخطا فان نظرت الى القرآن من حيث كونه محفوظا فله زمان حروف الرقم وان نظرت اليه من حيث كونه ينطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفا منظومة أهل هي لكلام الله الذي هو صفته

زمان ذلك الحكم المربوط فحينئذ يبادر العبد الى سائر المندوبات ويرجع ما كان مندوبا اليه فى ذلك اليوم مباحا فيما عداه من الايام وهذا كله من فعل الحكيم العادل فى القضايا فان انفسك عليك حقا واللهو واللعب والطرب فى هذا اليوم من حق النفس فلا تكن يا أخى ظالما لنفسك وأعطها حقها اه (فان قلت) فهل يلحق بالسنة الصحيحة فى وجوب الاذعان لها ما ابتدعه المسلمون من البدع الحسنة (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين وماتتين انه يندب الاذعان لها ولا يجب كما أشار اليه قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم وكما أشار اليها قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فقد أجاز لنا ابتداع كل ما كان حسنا وجعل فيه الاجر لمن ابتدعه ولمن عمل به ما لم يشق ذلك على الناس وأخبر أن العابد لله تعالى بما يعطيه نظره اذا لم يكن على شرع من الله معين يحشر أمة وحده يعنى بغير امام يتبعه فجعله خيرا والحقه بالاخيار كما قال فى حكيم ابن حزام أسلمت على ما أسلفت من خير وكان سأله عن أمور تبرر بها فى الجاهلية من عتق وصلة رحم وكرم وأمثال ذلك وقال أيضا فى حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان ابراهيم كان أمة قانتا لله وذلك قبل أن يوحى اليه وفى الحديث بعثت لأتمم مكارم الاخلاق فمن كان على مكارم الاخلاق فهو على شرع من ربه وان لم يعلم هو ذلك والله أعلم (فان قلت) فما المراد بحقيقة قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث وأربعين وخمسمائة ان المراد به بيان ما جاء من الوحى على لسان الرسول وما جاء منه تعالى الى عباده ولكل من الحالتين ميزان يخصه فما جاءنا على أيدى الرسل وجب علينا أخذه بغير ميزان وما جاءنا من غير واسطة بيننا وبين الله تعالى أعنى من الوجه الخاص بطريق الالهام وجب علينا أخذه بالميزان فان الله تعالى قد نهى أن نأخذ منه كل عطاء وهو قوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا فصار أخذك من الرسول أنفع لك وأحصل لسعادتك لعصمته وان أخذك من الرسول واجب على الاطلاق وأخذك من الله بطريق الالهام واجب على التقييد لعدم عصمتك فيما أخذته بغير واسطة فانظر ما أعجب هذا الامر ما تأخذه من الرسول مطلق مع ان الرسول مقيد وما تأخذه من الله تعالى مقيد مع انه تعالى مطلق فان فى هذا ظهور الاطلاق والتقييد فى الجانبين وايضاح ذلك ان تعلم ان الله تعالى ما أرسل رسوله ليمكر بنا وانما أرسله ليبين لنا ما نزل الينا فلهذا أطلق لنا الاخذ عن الرسول والوقوف عند قوله من غير تقييد فنحن آمنون فيه من مكر الله عز وجل بخلاف الاخذ من الوجه الذى بيننا وبين الله تعالى من طريق الالهام ليس أحد على أمان من المكر فيه فربما مكر الحق تعالى بالعبد من حيث لا يشعر فان له تعالى فى عباده مكرا خفيا قال تعالى ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون وقال وهو خير الماكرين ولم يبح للرسل هذه الصفة ولم يجعل لهم فيها قدما لانهم بعثوا مبينين فبشروا وأنذروا وكل ذلك صدق وأعطى رسوله الميزان الموضوع فمن أراد السلامة فلا يضع ذلك الميزان من يده فكل ما جاءه من عند الله من غير واسطة وضعه فى ذلك الميزان فان قبله أخذه وعمل به وان لم يقبله اهمله لله تعالى ومن عزم على الاخذ عن الله ولا بد فليقل لا خلابة فاذا قال ذلك فان كان من عند الله ثبت وأخذه وان كان مكرا من الله ذهب من بين يديه بارادة الله فلم يجده عند قوله لا خلابة اذ الامر كالبيع والشراء وان كان الحق تعالى لا يدخل تحت الشرط هذا يقتضيه مقام الحق تعالى بالذوق وانما يشترط على الله تعالى من يجهل الله أو يدل عليه حين ظن به خيرا كما فى حديث فليظن بى خيرا وأطال الشيخ فى ذلك بكلام نفيس * وقال فى الباب الثامن والاربعين أيضا فى قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أى لانى جعلت له ان يأمر وينهى زائدا على تبليغ صريح أمرنا ونهينا الى عبادنا * وقال فيه أيضا فى قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم اعلم انه انما لم يكتف بقوله أطيعوا الله عن قوله وأطيعوا الرسول مع انه تعالى قال من يطع الرسول فقد أطاع الله لانه تعالى ليس كمثله شئ فلذلك استأنف القول وصرح بقوله وأطيعوا الرسول بخلاف طاعة أولى الامر لم يستأنف فيها بقوله

أولا مترجم عنه يحتاج الى ايضاح وأطال فى ذلك * ثم قال وقد صح فى ذلك فى الطبران الله تعالى يتجلى فى القيامة فى صور مختلفة فيعرف وينكر ومن كانت حقيقته تنكر تقبل التجلى فى الصور فلا يبعد ان يكون يتكلم بالحروف كما يليق بجلاله من غير كيفية ولا تشبيه لقوله تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فنفى ان يماثل مع عقل المعنى وجهل النسبة فليتأمل وسيأتى مزيد على ذلك فى الباب التاسع والعشرين وثلثمائة فراجعه * وقال فى قوله تعالى يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين وفى قوله قد جاءكم من الله نور وفى قوله وضياء وذكرى للمتقين أما كون القرآن نورا فلما فيه من الآيات التى تطرد الشبه المضلة مثل قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله لا أحب الآفلين وقوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون وقوله فأت بها من المغرب ونحو ذلك واما كونه موعظة فظاهر واما كونه شفاء فكفاتحة الكتاب وآيات الادعية كلها واما كونه هدى فكقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله ونحو ذلك من كل نص ورد فى القرآن لا يدخله احتمال ولا يفهم منه الا الظاهر بأول وهلة كهاتين الآيتين واما كونه رحمة فلما فيه من البشرى مثل قوله لا تقنطوا من رحمة الله وقوله ورحمتى وسعت كل شئ وكل آية فيها رجاء واما كونه ضياء فلما فيه من الآيات الكاشفة للامور والحقائق مثل قوله كل يوم هو فى شأن وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقوله والله خلقكم وما

وأطيعوا أولي الامر منكم فهم لا تشريع لهم انما هو بحكم التبع للشارع وأطال في ذلك * وقال في باب أسرار الصلاة يجب على العبد اذا وعظه ولي الامر بما لم يعمل هو به ان ينقاد لامره ويعمل ولا يقل لا أعمل بذلك حتى تعمل أنت به اذ لا يشترط في الداعي ان يكون عاملا بكل ما يدعو اليه فقد يدعو بما ليس هو عليه في حاله وهو خير من ترك الدعاء على كل حال (فان قلت) فما الحكمة في سلام المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة مع انه آمن منهم صلى الله عليه وسلم والسلام انما هو أمان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين ان الحكمة في ذلك للمؤمنين هو أن مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعطي الاعتراض عليهم ولو بالباطن لامرهم الناس بما يخالف اهواءهم كان مقامهم يعطي التسليم لهم أيضا فلذلك شرع لنا ان نسلم على نبينا صلى الله عليه وسلم كأنا نقول له أنت يا رسول الله في أمان منا أن نعترض عليك في شيء أمرتنا به أو نهيتنا عنه انتهى (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولم يكتف تعالى بقوله استجيبوا للرسول اذ الشرع ما عرفناه الا منه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع عشر وخمسمائة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يدعونا من طريقين فان دعانا بالقرآن فهو مبلغ وترجمان وهو حينئذ من دعاء الله تعالى لا من دعاء الرسول فاجابتنا حقيقة انما هي لله وللرسول الاسماع وان دعانا بغير القرآن فالدعاء حينئذ دعاء الرسول فكانت اجابتنا للرسول وان كان لا فرق بين الاجابتين ولا بين الدعاءين وفي الحديث اني شرعت لكم مثل القرآن أو أكثر رواه الطبراني وغيره فاذن علة اجابة الرسل هو السماع لا من قال انه سمع ولم يسمع كما ذكره الشيخ في الباب العشرين وخمسمائة اذ السمع هو عين العقل لما أدركته الاذن بسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى فاذا علم ما سمع كان بحسب ما علم فان العلم حاكم قاهر في حكمه لابد من ذلك وان لم يكن كذلك فليس بعلم ولذلك لم يقدر أحد يعصي الله تعالى وهو يعتقد مؤاخذته على تلك المعصية أبدا انتهى (فان قلت) فهل تخلف أحد عن الاذعان لما جاء به الشارع غير الانس والجن ممن بعث اليهم من الملائكة والحيوانات والجمادات والاشجار على ما مر في مبحث عموم بعثته أم التخلف خاص بالانس والجن (فالجواب) لم يتخلف أحد من سائر من بعث اليهم صلى الله عليه وسلم سوى من تخلف من الجن والانس وقد قال الشيخ في الباب التاسع والاربعين في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ان الله تعالى لم يخص بالذلة التي هي العبودية أحدا غير الثقلين مع انهم لم يكونوا حين خلقهم اذلاء وانما خلقهم ليذلوا في المستقبل وأما ما سوى الثقلين فانه خلقهم اذلاء من أصل نشأتهم ولذلك لم يقع من أحد من خلق الله تكبر على الرسل الا الثقلين (فان قلت) فما سبب تكبر الثقلين على الرسل دون غيرهما (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب المذكور آنفا أن سبب تكبرهم كون المتوجه على ايجادهم من الاسماء أسماء اللطف والحنان والرحمة والشفقة والتنزل الالهي فلما أبرزهم الحق تعالى الى هذا الوجود لم يروا عظمة ولا عزا لغيرهم ولا كبرياء ورأوا نفوسهم قد استندت في وجودها الى لطف وعطف لكون الحق تعالى لم يبد لهم شيأ من عظمته ولا كبريائه ولا جلاله ولا جبروته حين أخرجهم الى الدنيا فقالوا ربنا لم خلقتنا فقال تعالى لهم لتعبدوني أي لتكونوا أذلاء بين يدي فلم يروا صفة قهر ولا عزة تذلهم ورأوا الحق تعالى قد أضاف فعل الاذلال اليهم فتكبروا لذلك ولو انه تعالى قال لهم ما خلقتكم الا لاذلكم لرأوا الذلة من نفوسهم خوفا من سطوة هذه الكلمة وقهرها كما قال تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين لاجل قوله أو كرها فافهم قال وأما سبب عدم تكبر غير الثقلين فلان المتوجه على ايجادهم من الاسماء الالهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والعزة والقهر فلذلك خرجوا أذلاء تحت هذا القهر الالهي فلم يتمكن لاحد منهم ان يرفع رأسه على أحد من خلق الله تعالى فضلا عن رسل الله ولا ان يجد في نفسه طعما لكبرياء على أحد من خلق الله تعالى انتهى فتأمله فانه نفيس لا تجده في كتاب والله تعالى أعلم

تعملون ونحو ذلك مما يدل على مجرى الحقائق فعلم ان لكل اسم من هذه الاسماء كلمات تخصه انتهى فليتأمل ويحرر * وقال في الباب السادس والعشرين والثلثمائة اعلم أن أعلم الارواح بالله عز وجل أرواح الجماد لكونهم الاحفظ له في التدبير ودونهم في العلم بالله تعالى أرواح النبات ودونهم في العلم بالله أرواح الحيوان ودونهم أرواح من تقيد بالعقل وذلك لان الثلاثة الاول مفطورون على العلم بالله تعالى بخلاف الرابع قال وأما الملائكة فهم كالجماد مفطورون كذلك على العلم بالله لكن لا عقول لهم ولا شهوة وأما الحيوان فمفطور على العلم بالله وعلى الشهوة وأما الجن والانس فمفطورون على الشهوة والمعارف لكن من حيث صورهم لا من حيث أرواحهم قال وانما جعل الله تعالى لهم العقل ليردوا به الشهوة الى الميزان الشرعي ولم يوجد الله لهم العقل لاجل اقتناء العلوم لان ذلك انما هو للقوة المفكرة التي أعطاها لهم وأطال في ذلك (قلت) وقد ذكر في كتابه الفصوص نظما يوافق ما هنا فقال

فما ثم أعلى من جماد وبعده * نبات على قدر يكون وأوزان
وذو الروح بعد النبت والكل عارف * بخلاقه كشفا وايضاح برهان
وأما المسمى آدم فمقيد * بعقل وفكر أو قلادة ايمان
بذا قال سهل والمحقق مثلنا * لانا واياهم بمنزل احسان
ومن عرف الامر الذي قد ذكرته * يقول بقولي في خفاء واعلان
ولا يلتفت قولا يخالف قولنا * ولا يبذر السمراء في أرض عميان
هم الصم البكم الذين أتى بهم * لاسماعنا المعصوم (المبعث

(المبحث الثامن والثلاثون في بيان ان أفضل خلق الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء الذين أرسلوا ثم الانبياء الذين لم يرسلوا ثم خواص الملائكة ثم عوامهم وترك الخوض في تفاضل المرسلين بعد محمد على التعيين الا بنص صريح)

اعلم انه قد اضطربت نقول العلماء فيمن هو الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المرسلين والملائكة فتكلم كل بما ظهر له من قرائن الاحوال وظواهر الكتاب والسنة لعدم نص صريح يعتمدون عليه اذا علمت ذلك فالمصدر بالمبحث بكلام أهل الاصول ثم بكلام محققي الصوفية فنقول وبالله التوفيق * قال الامام صفي الدين بن أبي المنصور والذي نعتقده ان جميع الرسل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الملائكة بأسرها على خلاف بيننا وبين المعتزلة وان خواص الملائكة أفضل من عموم النبيين وان عموم النبيين أفضل من جملة الملائكة وان عموم الملائكة أفضل من عموم المؤمنين كل نوع يعتبر فضله بما يقابله من النوع الآخر وان النبوات فاضلة بالمقام فضلا يشمل واسعهم وضيقهم فليس لاحد منهم مشاركة بالمقام النبوي الا بحكم الارث التبعي وسيأتي في المبحث بعده بيان المراد بعموم الملائكة فراجعه انتهى وعبارة الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته على شرح جمع الجوامع الافضل بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الانبياء ثم الملائكة العلوية انتهى وعبارة صاحب المواقف لا نزاع في ان الانبياء أفضل من الملائكة السفلية الارضية وانما النزاع في الملائكة العلوية السماوية انتهى وعبارة البرماوي رحمه الله الانبياء من بني آدم كالرسل وغيرهم أفضل من الملائكة وخواصهم كالانبياء أفضل من خواصهم وعوامهم أفضل من عوامهم وبنات آدم أفضل من الحور العين انتهى * وعبارة شيخ السنة الامام أبي الحسن البيهقي رحمه الله والاولياء من البشر أفضل من الاولياء من الملائكة وعوام البشر أفضل من عوام الملائكة يعني الصلحاء من البشر أفضل من الصلحاء من الملائكة انتهى وليس المراد بالعوام الفسقة اذ الملائكة ليس فيهم فاسق قاله ابن أبي شريف انتهى * وأما عبارة الشيخ محيي الدين فقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان المختار عدم التفاضل بين المرسلين على التعيين بالعقل مع ايماننا بان بعضهم أفضل من بعض عند الله تعالى اذ الخوض في مقام المرسلين غير محمد صلى الله عليه وسلم من الفضول فعلم انا نعتقد تفاضلهم على الابهام ولا بد لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولم يعين لنا من هو الافضل ومعلوم أنه لا ذوق لنا في مقامات الانبياء حتى نتكلم عليها وغاية أمرنا ان نتكلم بحسب الارث المناسب لمقامنا وأي المقام من المقام فلا ينبغي أن يتكلم في مقام الرسول الا رسول ولا في مقام الانبياء الا نبي ولا في مقام الوارثين الا رسول أو نبي أو ولي أو من هو منهم هذا هو الادب الالهي ولولا ان محمدا صلى الله عليه وسلم أخبرنا انه سيد ولد آدم لما ساغ لنا ان نفضله بعقولنا انتهى * وقال في الكلام على صلاة الجمعة من الفتوحات لقد أطلعني الله تعالى على من هو الافضل بعد محمد صلى الله عليه وسلم من الرسل على الترتيب ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوا بين الانبياء لبينت ذلك ولكن تركته لما يؤدي اليه من تشويش بعض القلوب التي لا كشف عند أصحابها ولكن من وجد نصا صريحا أو كشفا محققا قال به انتهى * وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة لا تعرف مراتب الرسل والانبياء الا من الختم العام الذي يختم الله تعالى به الولاية المحمدية في آخر الزمان وهو عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فهو الذي يترجم عن مقام الرسل على التحقيق لكونه منهم وأما نحن فلا سبيل لنا الى ذلك انتهى * وقال في شرحه لترجمان الاشواق لا ذوق لنا في مقام الانبياء حتى نتكلم عليه انما نراه كما نرى النجوم في الماء كما سيأتي بسطه ان شاء الله تعالى في مبحث الولاية * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الخوض في تفاضل الانبياء على التعيين من غير كشف فضول فان نحو قوله منهم من كلم الله وقوله واتخذ الله ابراهيم خليلا لا يؤخذ منه تفضيل أحدهما على الآخر على القطع للجهل بأي المقامين أفضل الخلة أو الكلام انتهى * وسمعته أيضا

في نص قرآن * وهذا المقام جواب لسائل سأل الشيخ كيف جعل الكبش فداء لاسمعيل عليه (١٩٧) السلام وهو نبي وأين مقام النبي من مقام الكبش وتمام السؤال هو قوله

فداء نبي ذبح ذبح لقربان وأين مقام الكبش من نوس انسان

وعظمه الله الكريم عناية به أو بنا لا أدري من أي ميزان

فياليت شعري كيف ناب منابه شخيص كبيش عن خليفة رحمن

الى آخر ما قال انتهى فليتامل ويحرر والله أعلم * وقال في الباب السابع والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى للقلم اكتب علمي في اللوح على في خلقي الى يوم القيامة انما خص الكتابة بأمور الدنيا فقط لتناهيها بخلاف الآخرة لا يقدر القلم يكتب علمه فيها لانه لا يتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة وجود وأطال في ذلك * وقال في الباب الثامن والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم انما لم يقل ولكم فيها ما تريده وسكم لانه ما كل مراد مشتهى فان الارادة تتعلق بما يلتذ بها لا يلتذ به بخلاف الشهوة فانها لا تكون الا بالملذوذ خاصة وأطال في ذلك ثم قال فالسعداء أخذوا الاعمال بالارادة والقصد وأخذوا النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته فقد عجل له نعيمه ومن رزق الارادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة قال وأكثر الناس لذة بعبادتهم العباد وأقلهم لذة العارفون ولذلك سميت العبادات تكاليف * وقال فيه في قوله صلى الله عليه وسلم سبق درهم ألف درهم أي لان صاحب الدرهم لم يكن له سواه فبذله لله ورجع معتمدا

على الله تعالى وصاحب الالف أعطى ماعنده وترك منه مايرجع اليه بعد العطاء ليس معتمدا على الله تعالى خالصا فصاحب

يقول من فاضل بين الرسل بعقله فقد صدق عليه انه فرق بين الرسل وقد قال تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وان كان المراد بالتفريق عند المفسرين الايمان ببعض والكفر ببعض فافهم انتهى وذكر نحوه الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات (فان قلت) فهل فضل الرسل على بعضهم بعضا من حيث ماهم رسل أو غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والخمسين ومائتين ان الرسل لم يفضل بعضهم بعضا من حيث ماهم رسل وكذلك الانبياء لم يفضلوا على بعضهم من حيث كونهم أنبياء وانما فضل الانبياء والرسل بأحوال أخر ليست هي عين ماوقع فيه الاشتراك اذ ما من جماعة يشتركون في مقام الاوهم على السواء فيما اشتركوا فيه هذا هو الاصل وقد يكون ماوقع به المفاضلة يؤدي الى التساوي كما هو مذهب الامام أبي القاسم بن قسي رحمه الله ومن وافقه من الطائفة فيكون كل واحد من الرسل فاضلا من وجه مفضولا من وجه آخر ففضل كل واحد بأمر لا يكون عند غيره وفضل ذلك المفضول بأمر ليس عند الفاضل فيكون المفضول من ذلك الوجه الذي خص به يفضل على من فضله * قال الشيخ محيي الدين والذي عندنا غير ذلك فيجمع لواحد جميع ماعند الجماعة كمحمد صلى الله عليه وسلم فيفضل الجماعة بجميع مايفضل به بعضهم على بعض لا بأمر زائد فهو أفضل من كل واحد واحد ولا تفاضل فيكون سيد الجماعة بهذا المجموع فلا ينفرد في فضله قط بأمر ليس عند آحاد الجنس انتهى * ثم ان الشيخ نقل كلام ابن قسي في الجواب التاسع والعشرين من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ثم قال وصاحب هذا القول الذي قاله ابن قسي ومن تبعه ماحرر القول على مايقتضيه وجه الحق فيه مع انه معدود من أهل الكشف قال والذي نقول نحن به أن معنى المفاضلة المعقولة من قوله فضلنا بعض النبيين على بعض أي أعطينا هذا مالم نعط هذا وأعطينا هذا مالم نعط من فضله ولكن من مراتب الشرف (فمنهم) من فضله الله بان خلقه بيديه كما يليق بجلاله وأسجد له ملائكته وهو آدم عليه السلام (ومنهم) من فضله بالكلام كموسى عليه السلام (ومنهم) من فضله بالخلة كابراهيم (ومنهم) من فضله بالصفوة وهو يعقوب عليه السلام فهذه كلها صفات مجد وشرف لا يقال ان خلقه أشرف من كلامه ولا كلامه أشرف من صفة خلقه بيديه لان ذلك كله راجع الى ذات واحدة لا تقبل الكثرة ولا العدد وأيضا فان جميع المراتب مرتبطة بالاسماء الالهية والحقائق الربانية ومن فاضل فكانه يقول الاسماء الالهية بعضها أشرف من بعض ولا قائل بذلك لا شرعا ولا عقلا انتهى وأما التفاضل والخلاف المنصوب بين الاشعرية والمعتزلة من قولهم الملك أفضل من خواص البشر وعكسه فقد قال الشيخ محيي الدين في كتابه لواقح الانوار لم يظهر لي وجه الخلاف في التفاضل بين خواص البشر والملائكة لان من شرط التفاضل أن يكون بين جنس واحد والبشر والملك جنسان فلا يقال مثلا الحمار أفضل من الفرس وانما يقال هذا الحمار أشرف من هذا الحمار اللهم الا أن يقال ان التفاضل حقيقة انما هو في الحقائق التي هي الارواح وأرواح البشر ملائكة فالملك اذن جزء من الانسان فالكل من الجزء والجزء من الكل انتهى فليتأمل هذا وماقبله من كلامه ويحرر * وقال في الباب السابع والاربعين من الفتوحات مما غلط فيه جماعة قولهم انما كان ابن آدم أفضل من الملك لكون ابن آدم له الترقي في العلم والملك لا ترقي له ولم يقيدوا صنفا ولا مرتبة من المراتب التي يقع بها التفاضل الا كون ابن آدم يترقى بخلاف الملك قال وسبب غلطهم عدم الكشف ولو كشف لهم لرأوا الترقي في العلم لازما لكل حيوان من الانس والجن والملائكة وغيرهم ممن اتصف بالموت دنيا وبرزخا وآخرة ولو ان الملائكة لم يكن لها ترق في العلم وحرمت المزيد فيه مافاتت الزيادة من آدم حين علمه الاسماء كلها فانه زادهم علما الهيا بالاسماء لم تكن عندهم فسبحوا تعالى وقدسوه (فان قلت) فاذن الملائكة مساوون لنا في الترقي بالعلم (فالجواب) نعم بخلاف الترقي بالعمل فلا أعمال لهم يترقون بها كما لا نترقى نحن في الجنة بالاعمال التي نعملها هناك لزوال التكليف فنحن واياهم في ذلك سواء في الآخرة (فان قلت) فهل ترقينا باللوم والاعمال من باب الشرف لنا

الدرهم من هذا الوجه وهذا معقول فالوزن صاحب الالف بذل جميع ماعنده مثل صاحب الدرهم لساواه في المقام فالاعتبار الشارع قدر العطاء وانما اعتبر ما يرجع اليه المعطى بعد العطاء فهو لما يرجع اليه وأطال في ذلك وتقدم نحو ذلك في الباب السبعين في الكلام على مسئلة الغني الشاكر والفقير الصابر فراجعه * وقال في الباب التاسع والعشرين وثلثمائة في قوله تعالى الرحمن علم القرآن اعلم ان القرآن هو الوحي الدائم الذي لا ينقطع فهو الجديد الذي لا يبلى و يظهر في قلوب العلماء على صور ولم يظهر بها في ألسنتهم لان الله تعالى جعل لكل موطن حكما لا يكون لغيره فهو يظهر في القلب احدى العين فيجسده الخيال و يقسمه ثم يأخذه منه اللسان فيصيره ذا كلمة ذا حرف وصوت و يقيد به سمع الآذان وقد قال الله تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه أصواتا وحروفا سمعها الاعرابي بسمع أذنه في حال ترجمته فالكلام لله بلاشك والترجمة للمتكلم به كان من كان فان القلب بيت الرب فافهم وقال في الباب الاثنين والثلثمائة اعلم ان القضاء والقدر أمران متباينان فالقضاء هو الحكم الالهي على الاشياء بكذا فهو المضاف الحكم في جميع الامور وأما القدر فهو الوقت المعين لاظهار الحكم فالقضاء يحكم على القدر والقدر لا يحكم في القضاء بل حكمه في

على

على غيرنا أو من باب الابتلاء (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ان ذلك من باب الابتلاء ليبلونا الحق به تعالى لا غير ولم يفهم ذلك من قال الكامل من البشر أفضل مطلقا من حيث ترقيه ولو علموا ان ذلك ابتلاء ما فضلوه به انتهى * وقال الشيخ فى أواخر الباب السابع والستين وثلثمائة مما يؤيد قول الاشعرية ان خواص البشر أشرف من غيرهم كون الحق تعالى من حين خلق آدم ما رؤى فى المنام قط الا على صورته لشرفها واستقامتها وكان قبل خلق آدم يتجلى للرائى فى المنام فى كل صورة فى العالم ومن هنا يعلم ان المقصود من العالم كله انما هو الانسان الكامل فان الله تعالى لما خلقه كانت حقائقه كلها متبددة فى العالم كله فناداها الحق تعالى من جميع العالم فاجتمعت فكان من جميعها الانسان فهو الخليفة الاعظم وخزانة علم الله تعالى انتهى (فان قلت) فاذا كان الملك يترقى كالبشر فما معنى قول جبريل وما منا الا له مقام معلوم وهل جميع الخلق غير الملك لهم كذلك مقام معلوم أو ذلك خاص بالملك (فالجواب) نعم لكل مخلوق فى علم الله تعالى مقام معين مقدر مغيب عن ذلك المخلوق واليه ينتهى كل شخص بانتهاء نفسه فآخر نفس يتشخص هو مقامه المعلوم الذى يموت عليه ولهذا دعوا الى السلوك فسلكوا عملوا باجابة الدعوة المشروعة وسفلا باجابة الامر الارادى من حيث لا يعلمون الا بعد وقوع المراد فكل شخص من الثقلين ينتهى فى سلوك المقام الذى عين له فمنهم شقى وسعيد فكل مخلوق سواهما فهو فى مقامه لم ينزل عنه فلم يحتج أن يؤمر بالسلوك اليه لاقامته فيه سواء كان ذلك ملكا أو حيوانا أو معدنا أو نباتا فهو سعيد عند الله تعالى لا شقاء يناله فقد بان لك ان الثقلين داخلان فى قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم والله أعلم * واعلم يا أخى ان القول بتفضيل الملائكة على خواص البشر قد نسب للشيخ محيي الدين وهو الذى رأيته فى نسخ الفتوحات بمصر وقد قدمنا فى الخطبة ان نسخ مصر مما دس فيها على الشيخ والذى رأيته فى النسخة المقابلة على نسخة الشيخ بقونية المروية عنه بالاسناد أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة ويؤيده ما قاله الشيخ من الشعر أول الباب الثالث والثمانين وثلثمائة من تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم على خواص الملائكة بعد كلام طويل

وليس يدرك ما قلنا سوى رجل * قد جاوز الملأ العلوى والرسلا

ذاك الرسول رسول الله أحمدنا * رب الوسيلة فى أوصافه كملا انتهى

فاياك أن تنسب الى الشيخ القول بمذهب أهل الاعتزال الشامل لتفضيل الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله يتولى هداك

(المبحث التاسع والثلاثون فى بيان صفة الملائكة وأجنحتها وحقائقها وذكر نفائس تتعلق بهم لا توجد فى كتاب أحد ممن صنف فى الملائكة فان منزع هذا المبحث الكشف والنقول فيه عزيزة)

اعلم انه قد تقدم فى المبحث الثالث والثلاثين نفائس فى بيان نزول الملائكة بالوحى فراجعه والذى يخصنا هنا ان تعلم أن الملائكة عند أهل الحق أجسام لطيفة ولهم قوة التشكل والتبدل قادرون على الافعال الشاقة عباد مكرمون مواظبون على الطاعات معصومون من المخالفات والفسق لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة كما سيأتى ايضاحه فى هذا المبحث ان شاء الله تعالى (فان قلت) هل النجوم والشمس والقمر أملاك أو منصات املاك (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الستين من الفتوحات ان جميع النجوم والشمس والقمر مراكب للملائكة وذلك لان الله تعالى قد جعل فى السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركب له يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم فى كل يوم دورة فلا يفوتهم شئ من أحوال المملكة السماوية والارضية واملاك هذه المنصات منهم جنود وأمراء ووزراء وملوك وأطال فى ذكرهم ثم قال فكل سلطان لا ينظر فى أحوال رعيته ولا يمشى بالعدل بينهم ولا يعاملهم بالاحسان الذى يليق بهم فقد استحق العزل (فان قلت) فهل بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمدهم الى ولاة أهل الارض بالعدل

المقدر لاغير فالقاضى حاكم والمقدر موقت والقدر التوقيت وأطال فى ذلك (قلت) وقد بسطنا نحو ذلك فى أجوبة شيخنا رضى الله عنه فراجعه * وقال فى الباب الحادى والثلاثين وثلثمائة اعلم ان موسى عليه السلام ما قال رب أرنى أنظر اليك الا لما قام عنده من التقريب الالهى فطمع فى الرؤية وسأل ما يجوز له السؤال فيه ذوقا ونقلا لا عقلا لان ذلك من محارات العقول ومعلوم ان الرسل أعلم الناس بالله تعالى وأنهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالادراك فان الابصار لا تدركه مع انها آلة يدرك العبد بها رؤية ربه قال وانما منع موسى الرؤية لانه سألها من غير وحى الهى بها ومقامهم الادب فلهذا قيل له لن ترانى ثم انه تعالى استدرك استدراكا لطيفا لما علم تعالى ان حد موسى انتهى من حيث سؤاله الرؤية بغير وحى بالاحالة على الجبل فى استقراره عند التجلى اذ الجبل من الممكنات فلما تجلى الحق للجبل واندك علم موسى انه فيما لم يكن ينبغى له وان كان الحامل له على ذلك الشوق مثل ما يقع فيه من سكر من حب الله فقال تبت اليك وأنا أول المؤمنين بوقوع هذا الجائز وأطال فى صفات الناس فى رؤية الله عز وجل (وقال) فيه فى قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم اعلم ان الهوى أعظم من عبد من دون الله فانه لنفسه حكم وهو الواضع لكل ما عبد ولولا قوة سلطانه فى الانسان ما أثر مثل هذا الاثر فيمن هو على علم بأنه ليس باله وأطال فى ذكر من ادعى الالوهية من العبيد ومن ادعيت فيه ولم يدعها ومن ادعاها فى سكر ثم قال وكان الحلاج ممن ادعاها فى سكرية بن قال

قول السكارى فيما خلطا بحكم السكر عليه كما يشتم السكران أعناء ملوك الدنيا في حال سكره ولا يلتزم معه أبدا فالحلاج

مطهرة من الشوائب مقدسة من العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الارضيين من أرواح الملائكة ورقائقها بحسب استعداداتهم فمن كان من ولاة الارض استعداده قويا حسنا قبل ذلك الامر الذي امتد اليه من رقائق الملائكة طاهرا مطهرا من الشوائب على صورته من غير تغيير فكان والي عدل وامام فضل وأما من كان استعداده رديأ فانه يقبل ذلك الامر الطاهر فيرده الى شكله من الرداءة والقبح فكان والي جور ونائب ظلم فلا يلومن الا نفسه اهـ وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في التنزلات الموصلية (فان قلت) فهل في قوة الملك أن يتطور كيف شاء كالجن (فالجواب) نعم كما مر أول المبحث (فان قلت) فهل في قدرة الكامل من البشر أن يظهر في صورة غيره كالملائكة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي عشر وثلثمائة ان في قوة الكامل من البشر كقضيب البان وغيره أن يظهر في صورة غيره من البشر وليس في قوة الكامل من الملائكة أن يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل يظهر في صورة اسرافيل ولا عكسه فعلم ان في قوة الانسان ما ليس في قوة الملك (فان قلت) فأي الملائكة أكرم مقاما على الاطلاق كما هو الحال في محمد صلى الله عليه وسلم (فالجواب) لم نطلع من ذلك على نص ولا ينبغي لاحد أن يفاضل بعقله بين الملائكة السماوية ولا غيرهم فلا يقال جبريل أفضل من اسرافيل ولا أفضل من ميكائيل ولا عزرائيل أفضل من اسمعيل الذي هو ملك السماء الدنيا الا بنص صريح (فان قلت) فهل يوصف الملأ الاعلى بأنهم أنبياء أو أولياء كالبشر (فالجواب) لا يوصف الملأ الاعلى بأنهم أنبياء أو أولياء لانهم لو كانوا أنبياء أو أولياء ما جهلوا الاسماء التي علمها الهم آدم عليه السلام اذ معرفة الله تعالى تكون بحسب المعرفة بأسمائه وجهل العبد به يكون بحسب جهله بها (فان قلت) فهل جميع الملائكة من عالم الخير فان قلتم بذلك فكيف قالوا اللهم أعط ممسكا تلفا ودعوا على مال المؤمن بالاتلاف (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب الزكاة من الفتوحات ليس ذلك دعاء على مال المؤمن بالاتلاف الذي يتألم منه المؤمن وانما هو دعاء له بأن ينفقه في مرضاة الله عز وجل فيؤجر عليه كما يؤجر المنفق اختيارا الا ان الملك من عالم الخير لا يدعو على مؤمن بما يضره فمعنى قوله اللهم أعط ممسكا تلفا أي اجعل الممسك ينفق ماله في مرضاتك فتخلفه عليه وان كنت يا ربنا لم تقدر في سابق علمك ان ينفقه باختياره فأتلف ماله عليه حتى تأجره فيه أجر المصاب ليصيب خيرا فهو دعاء له بالخير كما مر لا كما فهمه من لا معرفة له بمقام الملائكة فان الملك لا يدعو بشر لا سيما في حق المؤمن بوجود الله وتوحيده وبما جاء من عنده قال الشيخ ولا شك أن دعاء الملك مجاب لوجهين الاول لطهارته والثاني كونه دعاء في حق الغير فهو دعاء لصاحب المال بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك فعلم ان المراد بالاتلاف الانفاق لكنه أي الملك غاير بين اللفظين والله أعلم (فان قلت) فهل في قوة البشر أن ينزل الملك من السماء بالاقسام عليه بالله تعالى كما يفعله أهل الرصد (فالجواب) ليس في قوة البشر أن ينزل واحدا من الاملاك من السماء بالاقسام عليه أو غيره لقوله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك فلا يؤثر في مثل هؤلاء الذين لا يتنزلون الا بأمر الرب خاصة نبات ولا اقسام عليهم بالله عز وجل كما ذكره الشيخ في الباب الخامس والعشرين قال وهذا بخلاف أرواح الكواكب السماوية فانها تنزل بالاسماء والبخورات وأشباه ذلك لانه تنزل معنوي ومشاهدة صور خيالية فان ذات الكواكب لم تبرح في السماء عن مكانها وانما جعل الله تعالى لطارح شعاعها في عالم الكون والفساد تأثيرات عند العارفين بذلك لكن باذن الله تعالى كوجود الري عند شرب الماء والشبع عند الاكل ونبات الحبة عند دخول الفصل بنزول المطر والصحو حكمة أودعها الحكيم العليم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا هل هو الجن أو الملائكة كما هو المشهور من قولهم في الملائكة انهم بنات الله تعالى عن ذلك (فالجواب) المراد بالجنة هنا الملائكة وسموا جنة لاستتارهم عن العيون مع كونهم يحضرون معنا في مجالسنا ولا نراهم لان الله تعالى جعل بينهم وبين أعين الناس حجابا مستورا فكما ان الحجاب مستور عنا فهم كذلك مستورون بالحجاب

سعيد وان شقي به آخرون وأطال في ذلك ثم قال واذا كان يوم القيامة تجسد الله الهوى كما يجسد الموت لقبول الذبح كبشا فعذبه في صورته تلك وتجسد المعاني لا ينكره العلماء بالله تعالى فان كان من اتبع هواه مسلما خرج من النار بعد انتهاء العقوبة حدها وبقي صورة هواه معذبة وان كان كافرا بقي مع صورة هواه أبد الآبدين * وقال في الباب الثاني والثلاثين وثلثمائة في قوله تعالى فيه شفاء للناس أي العسل اعلم أنه تعالى لم يذكر للعسل مضرة قط وان كان بعض الامزجة يضره استعماله لان الشفاء هو المقصود الاعظم منه كما أن المقصود بالغيث ايجاد الرزق الذي يكون عن نزوله وقد يهدم الغيث بيت العجوز الفقيرة الضعيفة فما كان رحمة في حق هذه المرأة من هذا الوجه الخاص لان هدم البيت المذكور ما هو بالقصد العام الذي نزل له المطر وانما كان ذلك من استعداد البيت للهدم لضعف بنيانه فكذلك الضرر الواقع لمن أكل العسل انما ذلك من انحراف مزاجه ولم يكن بالقصد العام (قلت) وقد تقدم نحو ذلك في الكلام على النية من حيث انها موضوعة بالاصالة للاخلاص والله أعلم

* وقال في قوله تعالى تجري بأعيننا انما جمع العيون هنا وفي قوله فانك بأعيننا لان المراد بهذا الجمع عيون الحافظين للعالم من سائر الخلق فكل حافظ في العالم أمر اما فهو من جملة عيون الحق تعالى (قلت) والى ذلك الاشارة بقول سيدي محمد وفا عنا

عندا فلا نراهم الا اذا شاؤا أن يظهروا والذاكره الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة قال فيه ولا يخفى ان الحفظة من الملائكة هم الذين يلازمون الانسان ويتعاقبون فينا بالليل والنهار ولا نراهم عادة ولكن اذا أراد الله عز وجل لاحد من الانس أن يراهم من غير ارادة منهم لذلك رفع الله الحجاب عن عين الذي يريد الله أن يدركهم فيدركهم وقد يأمر الله الملك بالظهور لنا فنراهم أو يرفع الغطاء عنا فنراهم رأى العين لكن لا يصح كلامهم لنا اذا رأيناهم فان ذلك من خصائص الانبياء وأما الولي فان رأى الملك لا يراه مكالمة وان كلمه الملك لا يرى شخصه فلا يجمع بين الرؤية والكلام الا نبي (فان قلت) فهل للملك حظ في الشقاء (فالجواب) لا حظ للملك في الشقاء وأما ما نقل عن هاروت وماروت فلا يصح منه شيء فالشقاء والسعادة خاصان بالجن والانس والسلام (فان قلت) فما السبب الذي أمرت الملائكة بالسجود لآدم لاجله هل هو لكونه في أحسن تقويم أو لتعليمهم الاسماء (فالجواب) كما قاله الشيخ في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة ان سجود الملائكة لآدم ليس لاجل تعليمهم الاسماء وانما ذلك لاجل كونه في أحسن تقويم وسيأتي قريبا ان سبب السجود كان عن اغضاب خفي على الملائكة (فان قلت) فلم أمروا بالسجود لآدم قبل أن يعرفوا فضله عليهم (فالجواب) انما أمروا بذلك قبل أن يعرفوا فضله عليهم بما علمه الله له من الاسماء امتحانا للملائكة ولولا أن السجود كان بعد ظهوره بالعلم ما أبى ابليس ولا قال أنا خير منه ولا استكبر عليه ولهذا قال أأسجد لمن خلقت طينا وقال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار أقرب الى اسم النور من الطين لاضاءتها (فان قلت) فاذن ما كان اعلام الله تعالى الملائكة بخلافة آدم الا بعد ما أخبر الله تعالى عنهم (فالجواب) نعم ولهذا قال في قصته واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فأتى بالماضي من الافعال وباداة اذ وهي لما مضى من الزمان فاجعل بالك من هذه المسئلة لتعلم فضل آدم بعلمه على فضله بالسجود له لمجرد ذاته ولتعلم أيضا لماذا نهى الشرع أن يسجد انسان لانسان فانه سجود الشيء لنفسه فانه مثله والشيء لا يخضع لنفسه وقد نهى الشارع صلى الله عليه وسلم عن الانحناء أيضا وأمرنا بالمصافحة (فان قلت) فهل كان الامر بالسجود لآدم ابتلاء للملائكة أو لامر آخر فالجواب كما قاله الشيخ في الباب الحادي والاربعين وثلثمائة ان ذلك ابتلاء من الله للملائكة عن اغضاب خفي لا يشعر به الا العلماء بالله عز وجل لانها اعترضت على الحق تعالى في جعله آدم خليفة في الارض ولو أنها ما اعترضت ما ابتليت بالسجود لآدم الذي هو عبد الله عز وجل قال الشيخ وهكذا كل مؤاخذة وقعت بالعالم لا تكون الا بعد اغضاب خفي أو جلي لان الله تعالى خلق العالم بالرحمة المتوجهة على ايجاده وليس من شأن الرحمة الانتقام بخلاف الغضب فان من شأنه الانتقام ولكنه على طبقات قال وحيث وقع الانتقام فهو تطهير الا للكفار وهذا من علوم الاسرار فاحتفظ به اه (فان قلت) فقد ورد صفوا كما تصف الملائكة عند ربها يعني خلف امامها وورد انهم تصف خلف امامنا فاذن امامنا عند ربه أيضا (فالجواب) نعم وايضاحه أن الملائكة تصف خلفنا فهي في هذا الحال عند الامام المصلي بها وهي لم تزل عند ربها فالامام لنا مكان آدم فامامنا يسجد لله والله تعالى في قبلة الامام كما يليق بجلاله والامام قبلة الملائكة بما زال سجود الملائكة لآدم وبنيه في كل صلاة كما سجدوا لابيهم آدم فلا تزال الخلافة في بني آدم ما بقي منهم مصل الى يوم القيامة ذكره الشيخ في الباب السابع والاربعين وثلثمائة وقال فيه ان الشأن الالهي والامر اذا وقع في الدنيا لم يرتفع حكمه الى يوم القيامة وقد وقع السجود لآدم من الملائكة فبقي سجودهم لذريته خلف كل من صلى الى يوم القيامة كما نسي آدم فنسيت ذريته وكما جحد فجحدت ذريته وكما قتل قابيل أخاه هابيل ظلما فما زال القتل في بني آدم ظلما الى يوم القيامة فكل مصل امام للملائكة والملائكة خلفه تسجد الى جهته (فان قلت) فما الفرق بين السجودين أعني سجودهم لآدم وسجودهم لاولاده (فالجواب) من الفرق بين آدم وبنيه ان الملائكة اذا سجدت خلف بنيه انما تسجد لسجود بني آدم في القراءة والصلاة وأما سجودهم لآدم فهو سجود المتعلم

رضي الله تعالى عنه يحجد غير الله والعصب أعين الى آخر ما قاله فاعلم ذلك وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الخامس وخمسمائة

ما نصه انما قال تعالى فانك باعيننا ليعلمه أنه ما حكم عليه صلى الله عليه وسلم الا بما هو الاصلح له عنده سواء سره أم ساءه هذا مراده بقوله باعيننا أي ما أنت بحيث نجهلك وننساك والله أعلم * وقال في الباب الثالث والثلاثين وثلثمائة قال ابليس للحق جل وعلا يارب كيف تطلب مني السجود ولم ترد ذلك فلو أردته لسجدت ولم أقدر على المخالفة فقال له الحق جل وعلا متى علمت أني لم أرد منك السجود بعد وقوع الاباية منك أو قبل ذلك فقال ابليس ما علمت بذلك الا بعد ما وقعت مني الاباية فقال الله عز وجل له بذلك آخذتك فلله الحجة البالغة * وقال في حديث البخاري في الذين يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم اعلم أن من لم يكن وارثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام تلاوته للقرآن انما يتلو حروفا ممثلة في خياله وحملت له من الفاظ معلمه ان كان أخذه عن تلقين أو من حروف كتابة ان كان أخذه عن كتابة فاذا أحضر تلك الحروف في خياله ونظر اليها بعين خياله ترجم اللسان عنها فتلاها من غير تدبر ولا فهم ولا استبصار بل لبقاء تلك الحروف في حضرة خياله قال وله هذا التالي أجر الترجمة لا أجر القرآن لانه ما تلا المعاني وانما تلا حروفا تنزل من الخيال الذي هو مقدم الدماغ الى اللسان فيترجم به لا يجاوز حنجرته الى القلب الذي في صدره فلا يصل الى قلبه منه شيء وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة من شرف

للعلم فاجتمعا في السجود وافترقا في السبب والله أعلم (فان قلت) فلم لم يقف النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين جبريل لما صلى خلفه كما هو شأن المنفرد (فالجواب) انما لم يقف عن يمينه لان النبي صلى الله عليه وسلم رأى الملائكة خلف جبريل ببصره فوقف في صفهم ولو انه لم ير صف الملائكة لوقف عن يمين جبريل وكذلك ينبغي ان يقال في الجواب عن الرجل الذي صلى خلف النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمره بالوقوف عن يمينه لو كان يشاهد الملائكة الذين كانوا يصلون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى صلى الله عليه وسلم حكم مقام ذلك المأموم وليس حكم من لم يشاهد الامور مثل حكم من يشاهدها والمقصود بما ذكرناه كله اعلامك بأن السجود من الملائكة خلف بني آدم ما ارتفع وان الامامة ما ارتفعت من آدم الى آخر مصل والملائكة تبع لهذا الامام فنحن عند الله في حال امامتنا كامر والملائكة تبع لامامنا والملائكة عندنا بالاقتداء فهي عند ربهم الان الامام وهذه الملائكة عنده وكل صف امام لمن خلفه بالغا ما بلغ (فان قلت) فهل تتقرب الملائكة الى ربها بالنوافل كما يتقرب البشر (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والعشرين وأربعمائة انه ما ثم ملك يتقرب الى الله تعالى بنافلة أبدا انما هم في الفرائض دائما ففرائضهم قد استغرقت أنفاسهم فلا نفل عندهم (فان قلت) فاذن هم ناقصون عن مقام البشر لفقدهم المقام الذي أخبر الحق تعالى انه يكون فيه سمعهم وبصرهم الى آخر النسق كما يليق بجلاله (فالجواب) نعم هم عبيد اضطرار ونحن عبيد اضطرار واختيار فنقصوا بذلك عن مقامنا كما نقصوا عنا أيضا من حيث انه ليس لهم فكر وانما لهم عقل فقط ففاتهم ثواب الفكر في مصنوعات الله وعدموا كون الحق تعالى سمعهم وبصرهم كما فاتهم أيضا ثواب اجتناب النهي لانهم لا يذوقون له طعما العصمتهم اه (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهل المراد برقيب عتيد هما الكاتبان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وخمسمائة ان الملكين الكاتبين هما الرقيب والعتيد من ملائكة الليل والنهار فهم يكتبون كل ما تلفظ به العبد ولا يكتبون غير ذلك فان العبد اذا تلفظ رمى به في الهواء وبعد ذلك يتلقاه الملك فان الله تعالى عند قول كل قائل في حين قوله فيراه الملك نورا قد رمى به هذا القائل الذي الحق الله تعالى عند لسانه فيأخذه الملك أدبا مع القول فيجده فاعله عنده الى يوم القيامة فعلم ان الحفظة تعلم ما يفعل العبد بنص القرآن ولكنهم لا تكتب له عملا حتى يتلفظ به فاذا تلفظ به كتبته فهم شهود أقوال وسبب ذلك عدم اطلاعهم على ما نواه العبد في ذلك الفعل ولهذا كانت ملائكة العروج بالاعمال تصعد بعمل العبد وهي تستقله فيقبل منها ويكتب في عليين وتصعد باعمال وهي تستكثره فيقال لهم اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه لم يرد به وجه الله الحديث بمعناه وقال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء فلو علمت الحفظة ما في نية العبد عند العمل ما ورد مثل هذا الخبر فالنية بالقلب لا يعلمها الا الله ثم صاحبها فالملك يكتب حركة لسانه فاذا تلفظ فالله شهيد لانه تعالى عند قول عبده على الحقيقة بالاعتناء لا عند عبده فهذه الكينونة الالهية هي التي تحدث بحدوث الكون في الشهود وسبب ذلك انه تكوين والتكوين لا يكون الا عند القول الالهي في كل كائن فجميع ما يتكون في الكون فمن القول الالهي فليس بين الحق تعالى وبين العبد مناسبة أعم ولا أتم من مناسبة القول ولهذا ورد ان الله عند لسان كل قائل فان الكون الذي هو القول مفارق قائله فان لم يكن الحق تعالى عند مضاع القول ولابد من كون الحق تعالى عنده لبث نشأه صورة فتأخذه الحافظة كما يقبل تعالى الصدقة فيربيها حتى تكون كالجبل العظيم انتهى (فان قلت) قد قال العلماء ان الملائكة يكتبون الاعمال أيضا لكون الله تعالى أخبر أنهم يعلمونها وما يعلمونها الا بكتبهم لها (فالجواب) لم نعلم لقولهم هذا دليلا من القرآن فمن ظفر بدليل صريح فليلحقه بهذا الموضع والله أعلم (فان قلت) فما

هـذه الامة المحمدية على سائر الامم ان الله تعالى أنزلها منزلة خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في العالم قبل ظهوره فانه تعالى اعطى خلفاءه من الانبياء التشريع وأعطى هذه الامة الاجتهاد في نصب الاحكام وأمرهم ان يحكموا بما أدى اليه اجتهادهم وذلك تشريع فلحقوا بمقامات الانبياء عليهم السلام في ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدمهم عليهم فان المتأخر يرث المتقدم بالضرورة وأطال في ذلك * وقال فيه في معنى حديث جعلت لي الارض مسجدا اعلم أن في هذا الحديث اشارة الى أن جميع الارض بيت الله فيلزم العبد الادب حيثما حل كما يؤمر به في المساجد فأهل الادب من هذه الامة جلساء الله على الدوام لانهم في مسجد وهي الارض أحياء وأمواتا فانهم في قبورهم قد انتقلوا من ظهر الارض الى بطنها وحرمة المسجد الى سبع أرضين * وقال فيه قد أنزل الله تعالى محمدا أربع منازل لم ينزل فيها غيره من الانبياء وهي أنه أعطاه ضروب الوحي كلها من وحي المبشرات وانزاله على القلب والاذن وأعطاه انه علم الاحوال كلها لانه أرسله الى جميع الناس كافة وأحوالهم مختلفة بلا شك فلابد أن تكون رسالته تعم العلم بجميع الاحوال وأعطاه أيضا علم احياء الاموات معنى وحسا وأعطاه أيضا علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره أن يهتدي بهداهم لا بهم فهذه أربع منازل خصص بها (وقال) فيه في قوله تعالى أفرأيتم ما تدعون من دون الله المراد أروني ماذا خلقوا من الارض علم ان خلق عيسى للطير انما كان باذن الله وكان خلقه الطير عبادة يتقرب بها الى الله لانه مأذون له في ذلك فما

المراد بالملائكة المشار اليهم بقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله هل هم الحفظة أو غير ذلك (فالجواب) المراد بهؤلاء الملائكة ملائكة التسخير الذين يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه فهم تبع له وليس المراد بهم الحفظة والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين ومائة ان المراد بالصحف المكرمة هي علم الرسالة والمراد بالسفرة هم الرسل من الملائكة ومعنى بررة أي محسنون فهم سفراء الحق تعالى الى الخلق ورئيسهم الاكبر جبريل عليه الصلاة والسلام فاذا أراد الله تعالى انفاذ أمر في خلقه أوحى الى الملك الاقرب الى مقام تنفيذ الاوامر وهو الكرسي فيلقي الله تعالى ذلك الامر على وجوه مختلفة ثم يأمره بأن يوحي به الى من يليه ويوحي اليه ان يوحي الى من يليه وهكذا الى سماء الدنيا وينادي ملك الماء فيوضع تلك الرسالة في الماء وينادي ملائكة الالهامات وهم ملائكة القلوب فيلقونها في قلوب العباد فيعرف الشياطين ما جاءت به الملائكة وتأتي بأمثالها الى قلوب الخلق فتطلق الالسنة بما تجده في القلوب وهي الخواطر فيقول المنكرون انه كان كذا واتفق كذا فالعالم يكون لما يكون منه بعد الكلام به فكذلك مما جاءت به الملائكة وما لم يكن فهو مما ألقته الشياطين ويسمى ذلك في العالم الارجاف وتقول عنه العامة انه مقدمات المنكرين ثم ان ملك الماء اذا ألقى ما أوحي به اليه في الماء فلا يشرب من ذلك الماء حيوان الا ويعرف ذلك السر الا الثقلين اه (فان قلت) فهل للملائكة آخرة كالانس والجن أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن عشر وخمسمائة انه ليس للملائكة آخرة وذلك أنهم لا يموتون فيبعثون وانما هو صعق وافاقة كالنوم والافاقة منه عندنا وذلك حال لا يزال عليه المكلف في التجلي الاجمالي دنيا وآخرة والاجمال هنالك عند الملائكة عين المتشابه عندنا ولهذا يسمعون الوحي كأنه سلسلة على صفوان وعند الافاقة يقع التفصيل الذي هو نظير المحكم فينا فالامر فينا وفيهم آيات متشابهات وآيات محكمات ثم الابتلاء والفتنة بالاجمال والمتشابه المذكور من الملأ الاعلى والاسفل (فان قلت) فهل تتفاضل الملائكة في العلم بالله تعالى (فالجواب) نعم لكن من غير فرق لانهم على مقامات لا يتعدونها كما مر فالمفضول منهم يستفهم من العالم كما في قولهم ماذا قال ربكم قالوا الحق وايضاح ذلك ان الملائكة أرواح في أنوار ولها أجنحة فاذا تكلم الحق تعالى بالوحي على صورة خاصة وتعلقت به أسماعهم كأنه سلسلة على صفوان كما ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا وتصعق حتى اذا فزع الله عن قلوبهم وهو افاقتهم من صعقتهم قالوا ماذا أي يقول بعضهم لبعض ماذا فيقول بعضهم قال ربكم كذا اعلاما بان كلام الله عين ذاته فيقول بعضهم لهذا القائل الحق أي الحق يقول وهو العلي الكبير عن هذا التشبيه فانتهى كلام الملائكة الى قوله قالوا الحق فقال الله وهو العلي الكبير نظير قوله ليس كمثله شئ والله أعلم (فان قيل) فهل للعالم البشري التصرف في عالم الصور وعالم الانفس المدبرين لهذه الصور (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة قال وما عدا هذين الصنفين فالعالم البشري عليهم حكم لكن من أراد منهم أن يحكم من شاء على نفسه كعالم الجان وله ذلك فعالم العالم النوري من الملائكة خارجون عن أن يكون للعالم البشري عليهم ولاية لان كل واحد منهم على مقام معلوم عينه له ربه فما ينزل عنه الا بامر ربه فمن أراد أن ينزل واحدا منهم فليتوجه في ذلك الى ربه وربه يأمره ويأذن له في ذلك اسعافا لهذا السائل أن ينزل عليه ابتداء (فان قيل) فما مقام الملائكة السياحين (فالجواب) مقامهم المعلوم كونهم سياحين يطلبون مجالس الذكر الذي هو القرآن فلا يقدمون على من ذكر الله بالقرآن أحدا من الذاكرين بغير القرآن فاذا لم يجدوا ومن يذكر الله بالقرآن قعدوا الى الذاكرين بغيره وذلك رزقهم الذي يعيشون به وفيه حياتهم ولذلك كان المهدي اذا خرج يقيم جماعة يتلون كتاب الله آناء الليل والنهار ذكره الشيخ في الباب السادس والستين وثلثمائة (فان قيل) فهل في الملائكة أحد يجهل صفات الله عز وجل كما نعلم اقوام الجن والانس

أضاف تعالى الخلق الا لاذن الله وعيسى عليه السلام عبد والعبد لا يكون الها قال وانما جئنا بهذه المسألة في هذه الآية لعموم كلمة ما فانها تطلق على كل شئ ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع اليه في العلم باللسان فان بعض المنتحلين لهذا الفن يقولون ان لفظة ما تختص بما لا يعقل ومن تختص بمن يعقل قال وهو قول غير محرر فقد رأينا في كلام العرب جمع من لا يعقل جمع من يعقل واطلاق ما على من يعقل وغيره قلنا هذا الا ان قال في قوله ما تدعون من دون الله انما أراد من لا يعقل وعيسى يعقل فلا يدخل في هذا الخطاب قال وقول سيبويه أولى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة كل علم يظهر له الشارع تعليلا وعلمه العبد أو عمل به كان تعبدا محضا * وقال في الباب الحادي والاربعين وثلثمائة لا يجوز النظر في كتب الملل والنحل لاحد من القاصرين وأما صاحب الكشف فينظر فيها ليعرف من أي وجه تفرعت أقوالهم لا غير وهو آمن من موافقتهم في الاعتقاد لما هو عليه من الكشف الصحيح * وقال في الباب الثاني والاربعين وثلثمائة مما يرد قول من يقول ان الاسم عين المسمى قوله تعالى ذلكم الله ربي وليس هو غيره أسماء ثم قال انه قال ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله في موضع آخر غيره قال ولو لم يكن الاسم عين المسمى في قوله ذلكم الله لم يصح قوله ربي فافهم (وقال) في الباب السادس والاربعين وثلثمائة فيما قال الله تعالى في الحديث القدسي كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الى آخره وذكر الصور المحسوسة دون القوى الروحانية كالخيال والفكر

(فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة انه ليس فى الملائكة بعد تعليم آدم الاسماء من يجهل الحق تعالى بل كلهم علماء بالله عز وجل ولذلك قال تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة ثم قال فى حق الناس وأولوا العلم فلم يطلق الامر كما أطلقه فى الملائكة وأطال فى ذلك ثم قال فالمراد بهذا العلم هو علم التوحيد لا علم الوجود فان العالم كله عالم بالوجود بخلاف التوحيد فى الذات أو فى المرتبة يجهله بعض الناس (فان قيل) فهل اختصت الملائكة عن البشر بشئ من العلوم (فالجواب) نعم كما ذكره الشيخ فى الباب الخامس والسبعين وثلثمائة وذلك انهم اختصوا بالعلم الذى لا يعرفه أحد من البشر الا ان تجرد عن بشريته وعن حكم ما فيه للطبيعة من حيث نشأته حتى يبقى الروح المنفوخ فيه على أصله الاول وحينئذ يخلص له العلم بالله تعالى من حيث يعلمه الملائكة فيقوم فى عبادته لله تعالى مقام الملائكة فى عبادتهم لله تعالى قال وقد ذقنا ذلك ولله الحمد ولولا خوف التناذا علمنا هذا العلم لاحد يدعيه كذبا لبينا منها ما تقربه العيون (فان قلت) فهل فطر أحد من الملائكة على الشهوة ولكن بتعميه الله تعالى أم لا شهوة له أصلا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والسبعين وثلثمائة ليس للملائكة شهوة وانما فطرهم الله على المعرفة بالله وعلى الارادة ولذلك أخبر عنهم بانهم لا يعصون الله ما أمرهم لما خلق لهم من الارادة ولولا الارادة ما أثنى عليهم بانهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (فان قلت) فعلى ماذا فطر الحيوان (فالجواب) فطر على العلم بالله وعلى شهوة خاصة بخلاف الجن والانس فانهم فطروا على المعرفة والشهوة وذلك تعلق خاص فى الارادة اذ الشهوة ارادة طبيعية وليس للجن والانس ارادة الهية كالملائكة وفطرهم الله تعالى على العقل لا لا كتساب العلم وانما هو آلة جعلها الحق تعالى للجن والانس ليردعوا به الشهوة فى هذه الدار خاصة وجميع ما استفاده الانسان والجان من العلم من غير طريق الكشف فانما هو من طريق الفكر بالموافقة فعلم ان العلوم التى فى الانسان انما هى بالفطرة والضرورة والالهام وغاية الكشف أن يكشف له عن العلوم التى فطره الله عليها لا غير فهو يرى به معلومه وأما بالفكر فمحال أن يصل به الى العلم (فان قلت) فمن أين علمت هذا وهو من مدركات الحس فلم يبق الا النظر (فالجواب) علمنا ذلك من طريق الالهام والاعلام الالهى وذلك أن النفس الناطقة تتلقى ذلك العلم من ربها كشفا وذوقا من الوجه الخاص من طريق الالهام فان لكل موجود من الله وجها خاصا فعلم ان الفكر الصحيح غاية أمره أن لا يزيد على الامكان بخلاف ما ذكرناه من علم الله واعلامه كان غاية ما يصل اليه العبد بالنظر الصحيح فى المعرفة بالله تعالى الحيرة فى الله وهذا مبتدأ البهائم لانها مفطورة على الحيرة والعبد يريد أن يخرج عنها فلا يقدر أبدا (فان قلت) فكم أصناف الملائكة (فالجواب) هم ثلاثة أصناف كما ذكره الشيخ فى الباب الرابع وخمسين ومائة الاول الصنف المهيمون فى جلال الله تعالى كما أوجدهم فانه تعالى تجلى لهم فى اسمه الجميل فهيمهم وأفناهم عنه فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه هكذا ادركناهم من طريق كشفنا انهم فى الحيرة سكارى وقد أوجدهم الله تعالى من أبنية العماء الذى ما فوقه هواء وما تحته هواء يجعل ما ينافيه وهم أرواح فى هيا كل أنوار كسائر الملائكة الآن وليس لها ولا للملائكة من الولاية الاولاية الممكنات * الثانى ملائكة التسخير كالمحضرين لنا بالعروج ليلا ونهارا من حضرة الحق الخاصة الينا ومن حضرتنا الى الحق وكالملائكة المستغفرين لمن فى الارض والمستغفرين للمؤمنين خاصة وكالملائكة الموكلين بالاموات والموكلين بالارحام والموكلين بالالهام والموكلين بنفخ الارواح وكالملائكة الموكلين بالارزاق والامطار وكالموكلين بالانسان وكالملائكة الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والنازعات والمرسلات والناشرات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات وغيرها وكل من عموم للنبيين أفضل من هؤلاء كما مر فى المبحث قبله * واعلم ان رأس ملائكة التسخير هو القلم الاعلى وهو العقل الاول سلطان عالم التدوين والتسطير قال الشيخ وكان وجوده ولا مع العالم المهيم غيران الله

والحافظ والتصوير والوهم والعقل (٢٠٤) لان هذه مفتقرة الى الحواس والحق تعالى لا يتنزل منزلة من يفتقر الى غيره من المخلوقات بخلاف الحواس الظاهرة فانها انما هى مفتقرة الى الله تعالى لا الى غيره فتستنزل تعالى ان هو مفتقر اليه لم يشرك به أحدا فعلم ان الحواس أتم لكونها هى التى تهب القوى الروحانية ما تتصرف فيه وما به تكون حياتها العلمية * وقال لما كان تجلى الحق تعالى فى الثلث الآخر من الليل يعطى العلوم والمعارف أكثر مما يعطى الثلث الاول والاوسط كان علم أهل الثلث الآخر من مدة عمر هذه الامة أكمل وأتم وذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله والكفر ظاهر لم يدع الصحابة الا الى الايمان خاصة ولم يظهر لهم شيأ من العلم المكنون وصار يترجم لهم عما نزل من القرآن بحسب ما يبلغه الى عموم ذلك القرن فكان الصحابة أتم فى مقام الايمان والتابعون أتم فى العلم وتابع التابعين أتم فى العمل * قال والحكمة فى كون الصحابة أقوى ايمانا ان نشأة الانسان فطرت على الحسد فلما بعث اليها نبي من جنسها لم يؤمن به الا من قوى على دفع ما فى نفسه من الحسد وحب الشفوف وهو ربها من الدخول تحت حكم غيرها فكان ايمان الصحابة أقوى بهذا النظر لشاهدتهم تقديم جنسهم عليهم وكان مقام اشتغالهم فيما يدفع سلطان الحسد أن يقوم بهم وذلك مانع لهم من ادراك غوامض العلوم والاسرار فارتفعوا عليها بقوة لايمان تعالى ولكن جبر الله نقصها باعطائه اياهم التصديق بما نقل لنا عنهم من الشرع فحصل لنا درجة الايمان بالغيب الذى لا درجة للصحابة فيه ولا قدم فعلم أنهم

تعالى بحجبهم عن هذا التجلي الذي هام به غيرهم * الثالث ملائكة التدبير وهي الارواح المدبرة للاجسام كلها سواء الطبيعية والنورية والفلكية والعنصرية وجميع أجسام العالم وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وقد ذكرنا في الباب الرابع عشر وثلثمائة انه ليس للملائكة كسب ولا تعمل في مقام وانما هي مخلوقة في مقامها الانتهاء فلا تكتسب قط مقاما وان زادت علوما فليست تلك العلوم عن فكر ولا استدلال لان نشأتهم لا تعطي ذلك مثل ما تعطيه نشأة الانسان (فان قلت) فما المراد بالاجنحة في قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع (فالجواب) ان المراد بهذه الاجنحة والقوى الروحانية وليس لهذه القوى تصرف الا فيما كان من مقامها فلا تتعدى مقام صاحبها من الاملاك كما مر في مبحث الاسراء أن غاية كل شئ أن يرجع للمحل الذي صدر منه لكن لا يخفى ان الاجنحة المذكورة ماجعلت للملائكة الا لينزلوا بها الى من هو دونهم في العنصر لا ليصعدوا بها الى من فوقهم فيه وهذا بعكس الطائر عندنا فانه يهوي بلا أجنحة ويصعد بها فان أجنحة الملائكة لا تصعد بها فوق مقامها فعلم ان الاصل في أجنحة الطائر أن تكون للصعود والاصل في أجنحة الملائكة أن تكون للهبوط فالطائر اذا نزل نزل بطبعه واذا علا علا بجناحه والملك اذا نزل نزل بجناحه واذا علا علا بطبعه كل ذلك ليعرف كل موجود عجزه وان لا يمكن له أن يتصرف الاعلى قدر ماحدله (فان قلت) فما المراد بعروج الملائكة فانه لا يعرج الا من نزل (فالجواب) لا يختص عروج الملائكة بالعلويات كعروج غيرهم بل يسمى تنزلهم الينا عروجا أيضا لظهار الاطلاق الحكم لله رب العالمين فان له تعالى في كل موجود تجليا ووجها خاصا به يحفظه ولا سيما وقد ذكر سبحانه وتعالى ان له جهة العلو على الاطلاق أي سواء وقع التجلي في السفليات والعلويات قال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال وهو الله في السموات وفي الارض فجعل له العلو سواء كان في السموات أو في الارض بقرينة حديث أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فافهم فالعلو له دائما قال الشيخ وايضاح ذلك ان الله تعالى أعطى الملائكة من العلم بجلاله بحيث انهم اذا توجهوا من مقامهم لا يتوجهون الا الى الله لا الى غيره فلهم نظر الى الحق في كل شئ ينزلون اليه فمن حيث نظرهم الى من ينزلون اليه قال تنزل الملائكة ومن حيث انهم في تنزلهم أصحاب عروج قال تعرج الملائكة وبالجملة فكل نظر وقع الى الكون من أي كائن كان فهو تنزل وكل نظر وقع الى الحق من أي كائن كان فهو عروج وقد قررنا فيما سبق ان الملك اذا عرج يعرج بذاته لانه رجوع الى أصله واذا عرج الرسول الى السماء عرج تبعا لذات البراق بحكم التبعية له (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى خطابا لابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين (فالجواب) المراد به استكبرت أي في نظرك وكذلك كان الامر فان الله أخبر عنه انه استكبر وظن بنفسه في باطن الامر انه خير من آدم فهنا جهل ابليس (فان قلت) فهل العالون أرواح أو ملائكة (فالجواب) هم أرواح ماهم ملائكة اذ الملائكة هم الرسل من هذه الارواح كجبريل وأمثاله فان الالوكة هي الرسالة في لسان العرب فما بقي ملك الا سجد لانهم هم الذين قال الله لهم اسجدوا لآدم فلم تدخل الارواح المهيمة فيمن خوطب بالسجود فانه ماذكر أنه خاطب الا الملائكة لا الارواح ولهذا قال فسجد الملائكة كلهم أجمعون ونصب ابليس على الاستثناء المنقطع لا المتصل وهذه الارواح المشار اليهم بالعالين لا يعرفون ان الله تعالى خلق آدم ولا غيره لشغلهم بالله تعالى فقول الله تعالى لابليس أم كنت من العالين أي من هؤلاء الذين ذكرناهم فلم تؤمر بالسجود ولا يخفى ان السجود في اللسان هو التطأطؤ لان آدم خلق من تراب وهو أسفل الاركان لا أسفل منه وسمعت بعض أشياخنا يقول انما لم يؤمر العالون بالسجود لآدم لانهم لا يعرفونه حتى يسجدون له وأيضا فلانهم ماجرى لهم ذكر في تعريف الله ايانا ولولا ماذكر الله تعالى ابليس بالاباية ماعرفنا انه أمر بالسجود ذكره الشيخ في الباب الحادي والستين وثلثمائة * وقال في الباب السابع والخمسين ومائة ارفع الارواح العلوية

مانضلونا الابقوة الايمان والسبق وأما في العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم في ذلك وأطال في ذلك * ثم قال فالحمد لله جاءنا في الزمن الاخير وجبرنا بالتصديق وعدم الشك والتردد فيما وجدناه منه ولا في أوراق سوادا في بياض ولم نطلب على ذلك دليلا ولا ظهور آية ولو انا اجتمعنا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكنا نعرف كيف يكون حالنا عند مشاهدته صلى الله عليه وسلم هل كان يغلب علينا داء الحسد ولا نطيعه أم تغلب نحن نفوسنا ونطيعه فكفانا الله ذلك فله الحمد على كل حال * وقال في الباب السابع والاربعين وثلثمائة في الكلام على العندية الالهية في نحو قوله تعالى وما عند الله باق وفي قوله آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما وقال وعنده مفاتح الغيب وفي الحديث صفوا كما تصف الملائكة عند ربها * وقال تعالى ان الله عنده علم الساعة وقال وان من شئ الا عندنا خزائنه اعلم ان هذه العندية اختلفت اضافاتها بحسب ماأضيف اليه من اسم وضمير وكناية وهي ظرف ثالث فانه ليس بظرف زمان ولا ظرف مكان مخلص بل ماهو ظرف مكان جملة واحدة على الاطلاق قال وكذلك في قوله تعالى ماعندكم ينفد وما عند الله باق فجعل لنا عندية وماهي ظرف مكان في حقنا قال وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ماهي فعجب من العلماء كيف غفلوا عن تحقيق هذه العندية التي اتصف بها الحق والانسان وأطال في ذلك ثم قال فعندية الرب معقولة * وعندية الهو لا تعقل وعندية الله مجهولة * وعندية الخلق لا تجهل وليس هما عند ظرفية * وليس له غيره بحل

قال والضمير في قوله لها يعود على الفارقية وفي قوله هو ما يعود على عندية الحق والخلق والله أعلم * وقال في الباب الثامن والاربعين

العالون وليسوا بملائكة من حيث الاسم فانه موضوع للرسل منهم خاصة اذ معنى الملائكة الرسل وهو من المقلوب وأصله مالكة والالوكة الرسالة فلا تختص بعنصر دون جنس ولهذا دخل ابليس في الخطاب بالامر بالسجود لما قال الله للملائكة اسجدوا لانه كان ممن يستعمل في الرسالة في الجملة فالملائكة جنس يعم الارواح البررة السفرة والجن والانس فكل صنف فيه من أرسل وفيه من لم يرسل فالنبوة الملكية المهيمون فلا ينالها الا الطائفة الاولى الحافون من حول العرش يسبحون بحمد ربهم أو الافراد من ملائكة الكرسي والسموات وملائكة المعروج قال وآخرني من الملائكة اسمعيل صاحب سماء الدنيا وكل واحد منهم على شريعة من ربه من باطنية شريعة محمد صلى الله عليه وسلم في عالم الارواح مغياة بغاية وذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم فاعترفوا بأن لهم حدودا يقفون عنده الا يتعدونها ولا معنى للشريعة الا هذا فاذا أوحى الله تعالى اليهم سمعوا كلام الله بالوحي فخروا بأجنحتهم وأطال في ذلك (فان قلت) فما المراد بالاسماء الالهية التي استند اليها الملائكة المشار اليهم بهؤلاء من قوله أنبئوني بأسماء هؤلاء في ايجادهم وأحكامهم (فالجواب) هي سائر الاسماء الالهية فكان جهلهم بالاسماء نقصا يستحقون به المؤاخذة والتوبيخ كأنه تعالى يقول لهؤلاء الملائكة هل سبحتموني وقدستموني بهذه الاسماء فلم مع انكم ادعيتم تسبيحي وتقديسي وزكيتم نفوسكم وجرحتم الخليفة في الارض ولم يكن ينبغي لكم ذلك (فان قلت) فهل للملائكة والحيوان والمعدن والنبات ارادة (فالجواب) ليس لهم ارادة تتعلق بأمر من الامور فهم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم دائما به تعالى لا عنه وأما الانسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان (فان قلت) فهل في الارواح قوة مصورة كما في الانسان (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والستين وثلثمائة ان الارواح لها قوة التصور وما لها القوة المصورة فان القوة المصورة تابعة للفكر الذي هو صفة للقوة المفكرة وكذلك الارواح التي فوق الطبيعة لا يشهدون صور العالم ولا يقبلون التصور كالنفس الكلية والعقل والملائكة المهيمين في جلال الله والله أعلم وفي هذا القدر من أحوال الملائكة كفاية وسيأتي نبذة صالحة من الكلام على ملائكة الالهام في مبحث الولاية ان شاء الله تعالى

(المبحث الاربعون في مقام نبوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ووجوب الكف عن الخوض في حكم أبوي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحكم أهل الفترتين بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وبيان أنهم يدخلون الجنة وان لم يكونوا مؤمنين بكتاب ولا سنة رسول)

اعلم انه يستحب للانبياء كلهم والدعاء لهم بان الله يزيد في درجاتهم ورجاء رضا الله عز وجل عنا وقد قال الشيخ محيي الدين في الباب الرابع والخمسين وأربعمائة اعلم انه ينبغي لكل مؤمن بر أجداده وآبائه المسلمين وغيرهم بأنه من أكابر الاولياء من آدم الى أبيه الاقرب قال الشيخ ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم عليه السلام وأمرت أصحابي بذلك فوجدنا أبواب سماء الدنيا التي فيها آدم عليه السلام قد فتحت تلك الليلة وعرجت ملائكة لا يحصي عددهم الا الله ونزلت ملائكة كذلك وتلقونا بالترحيب والتسهيل الى أن بهتنا منهم وذهلنا من كثرتهم لاجل صلة أبينا آدم عليه السلام تلك الليلة وذلك لان رحم آدم عليه السلام مقطوعة عند أكثر الناس قال ولقد ألهمني الله تعالى صلته فوصلته ولو وصلت بسببي أيضا وكان ذلك عن توقيف الهي لم أر لاحد في ذلك قدما أمشي عليه وما قال الحق تعالى في غير موضع من القرآن يا بني آدم الا ليذكرنا تعالى بأبينا آدم عليه الصلاة والسلام لنصله ومع هذا فلم ينتبه أحد لهذه الابوة ولا للوفاء بحقها وما أشبه هذه الذكرى من الله تعالى بقوله لمريم يا أخت هرون وأين زمن هرون من مريم * وأما وجوب الكف عن الخوض في حكم أبوي النبي

وثلثمائة في قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية اعلم أن الشجرة التي توقد منها المصباح مثال الهوية تعالى فان هويته تعالى لا هي شرقية ولا هي غربية ولا تقبل الجهات والزيتونة هنا هي مادة الزيت الذي هو المادة للنور وكنى عن الهوية بالشجرة لان الشجرة مأخوذة من التشاجر وهو التضاد لان الهوية حاملة للاسماء المتقابلة كلها كالمعز والمذل والنافع والضار فانظر يا أخي ما أكمل العبارات الالهية في الاخبار بما هو الامر عليه وأطال في ذلك * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك اعلم ان في هذا الحديث اشارة الى أمة الاختصاص وهم الاولياء المحمديون خاصة فمن زاد على سبعين سنة فما هو محمدي المقام وانما هو وارث لمن شاء الله من الانبياء من آدم عليه السلام الى خالد بن سنان عليه السلام وأطال في ذلك * وقال في حديث السبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب أي لم يكن ذلك في حسابهم ولا تخيلوه فبدا لهم من الله خير لم يكونوا يحتسبونه وأطال في شرح كلمات الحديث * وقال التجلي الرباني في الليل على ثلاثة أقسام وكذلك تجليه في النهار فيتجلى تعالى في الثلث الاول من الليل للارواح الهيمة وفي الثلث الاوسط للارواح المسخرة وفي الثلث الآخر للارواح ... على الطبيعية المدبرة للاجسام العنصرية وأما النهار فيتجلى تعالى في الثلث الاول منه للاجسام اللطيفة التي لا تدركها الابصار وفي الثلث الاوسط

صلى الله عليه وسلم فى الآخرة للشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله فى هذه المسئلة ست مؤلفات وقد طالعتها كلها فرأيتها ترجع الى ان الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب وأن من آذاه فقد آذى الله وقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا وفى القرآن العظيم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ومن طالع فيما نقله أهل السير من كلام عبد المطلب لما أراد نحر عبد الله فى قصة حفر بئر زمزم شهد له بالتوحيد وصاحب التوحيد سعيد بأى وجه كان توحيده كما يأتى قريبا فى حكم أهل الفترات قال الجلال السيوطى وقد ورد فى الحديث أن الله تعالى أحيى أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به وعلى ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادى وأبو القاسم بن عساكر وأبو حفص ابن شاهين والسهيلى والقرطبى ومحب الدين الطبرى وابن المنير وابن سيد الناس والصفدى وابن ناصر الدمشقى وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين ولفظ السهيلى بعد ايراد حديث الحاكم وتصحيحه عن ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبويه فقال ما سألتهما ربى فيعطينى فيهما وانى القائم يومئذ المقام المحمود قال ففى هذا الحديث تلويح بأنه صلى الله عليه وسلم يشفع فيهما فى ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان الذى يقع يوم القيامة كما ورد فى عدة أحاديث قال المحب الطبرى والله تعالى قادر على أن يحيى أبويه صلى الله عليه وسلم حتى يؤمنا به ثم يموتا ويكون ذلك مما أكرم الله تعالى به سيد الاولين والآخرين اه وقال القرطبى ليس احياؤهما وايمانهما به صلى الله عليه وسلم يمتنع لا عقلا ولا شرعا فقد ورد فى القرآن احياء قتيل بنى اسرائيل حتى أخبر بقاتله اه (قلت) وعلى القول بصحة احيائهما بعد موتهما فيكون ذلك الاحياء مثل احياء من قال لهم الله موتوا ثم أحياهم أى الى تكملة آجالهم وعلى ذلك فما آمن أبوا النبى صلى الله عليه وسلم الا فى زمن تكليفهما فكأنهما آمنا به قبل ان يموتا كما قال بعض المحققين فى سجدة أهل الاعراف من أن ميزانهم ترجح بتلك السجدة يوم القيامة ثم يدخلون بها الجنة فلولا ان هذه السجدة نفعتهم وسعدوا بها لم يدخلوا الجنة مع انها ما وقعت الا بعد موت فيوم القيامة برزخ له وجه الى الدنيا ووجه الى الآخرة والله أعلم وكان الامام أبو بكر بن العربى المالكى الفقيه المحدث يقول ما عندى أحد أشد أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممن يقول ان أبويه فى النار وفى حديث مسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات فيحرم جزما ان يقال ان أبوى النبى صلى الله عليه وسلم فى النار اه قال الشيخ جلال الدين السيوطى خاتمة حفاظ مصر رحمه الله وقد صرح جماعات كثيرة بأن أبوى النبى صلى الله عليه وسلم تبلغهما الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهو مذهبنا لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية فى الفقه والاشاعرة فى الاصول ونص على ذلك الامام الشافعى رضى الله عنه وتبعه على ذلك الاصحاب قال الجلال السيوطى رحمه الله ووجه توضيح ذلك أنهما لم تبلغهما الدعوة أنهما ماتا فى حداثة سنه صلى الله عليه وسلم وصحح العلائى وغيره أن والد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله عاش من العمر ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت فى حدود العشرين ومثل هذا العمر لا يسع الفحص على المطلوب فى التوحيد على القول بأن الله تعالى لم يحيهما حتى آمنا به مع أن ذلك الزمان الذى كانا فيه كان زمانا قد عم فيه الجهل والفترة اه * ولنذكر لك جملة من أحكام أهل الفترتين ليدخل أبوا النبى صلى الله عليه وسلم فى أشرف أقسامهم فنقول وبالله التوفيق اعلم ان الموحد سعيد بأى وجه كان توحيده وان لم يكن مؤمنا بكتاب ولا رسول ويدخل الجنة وذلك أن متعلق الايمان انما هو الخبر الذى يأتى به الانبياء عن ربهم عز وجل وليس بين ظهرى أهل الفترتين كتاب ولا رسول حتى يؤمنوا بهما وحينئذ يصح أن يلغز بذلك فيقال انا شخص مات على غير الايمان ويدخل الجنة وهو من وحد الله بنور وجده فى قلبه ومات على ذلك وقد قسم الشيخ محيى الدين أهل الفترتين فى الباب العاشر من

للاجسام الشفافة وفى الثالث الآخر للاجسام الكثيفة وأطال فى ذلك وتقدم نحو ذلك فى أجوبة شيخنا رضى الله عنه * وقال الشمس غير غائبة عن الارض فى طلوعها وغروبها وانما تطلع وتغيب عن العالم الذى بها والظلام الحادث فى الارض انما هو اتصال ظلالات ما فيها من العالم فهو على الحقيقة ظل والناس يسمونه ظلاما ومن لا كشف له يسمى ظل الارض لما هى عليه من الكثافة والدهر من حيث عينه يوم واحد لا يتعدد ولا ليل له ولا نهار الله نور السموات والارض أى منورهما وذلك النور مستمر غير منقطع فافهم * وقال لا تقوم الساعة حتى يظهر الكشف فى الخاص والعام كلما قربت الساعة كان الكشف فى الناس أكمل وأتم * وقال يخرج النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان منها الى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر ويظهر الفرات من أردن الروم وهما فى غاية الحلاوة وانما تغير طعمهما عما كانا عليه فى الجنة من مزاج الارض فاذا كان يوم القيامة عادا الى الجنة (قلت) ومن أين يشرب الناس من حين قيامهم من قبورهم الى دخول الجنة أم لا أحد يشرب حتى يدخل الجنة أو يرد الحوض فمن وجد شيأ فليلحقه بهذا الموضع والله عليم خبير * وقال فى قوله ان أحسنت أمتى فلها يوم وان أساءت فلها نصف يوم يعنى من أيام الرب الذى هو كألف سنة مما تعدون والمراد باحسانها نظرها الى العمل بشريعة نبيها صلى الله عليه وسلم وانما قال صلى الله عليه وسلم ان أحسنت وان أساءت ولم يقطع بشئ لعلمه صلى الله عليه وسلم

الفتوحات الى ثلاثة عشر قسما وحكم لستة أقسام منهم بالسعادة ولاربعة بالشقاء ولثلاثة بأنهم تحت المشيئة (فأما) السعداء فقسم وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه كقس بن ساعدة وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل فان قسا كان اذا سئل هل لهذا العالم اله يقول البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام على المسير الى آخر ما قال وأما سعيد بن زيد فكان يسجد ويقول الهي اله ابراهيم وديني دين ابراهيم كما في صحيح البخاري وكان يقول أيضا انى لانتظر نبيا من ولد اسمعيل من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد انه نبي ومن طالت به مدة ورآه فليقرئه مني السلام اه * ذكره ابن سيد الناس في سيرته قال الشيخ محيي الدين ويسمى من وحد الله تعالى مثل قس صاحب دليل ممتزج بفكر وذلك لانه ذكر المخلوقات واعتباره فيها ولذلك كان يبعث أمة وحده كما وردلا تابعا ولا متبوعا (وقسم) وحد الله تعالى بما تجلى لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر ولا استدلال فهذا على نور من ربه خالص غير ممتزج بفكر في كون من الاكوان ويحشر هذا يوم القيامة مع الاصفياء الابرياء (وقسم) ألقى في نفسه واطلع من كشفه لشدة نوره وصفاء سره وخلوص يقينه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم وسيادته وعموم رسالته باطنا من زمن آدم عليه السلام الى زمن هذا المكاشف فآمن به في عالم الغيب على شهادة منه وبينة من ربه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه أي يشهد له في قلبه بصدق ما كوشف له فهذا يحشر يوم القيامة في ضياء بين من خلفه وفي باطنية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) اتبع ملة حق ممن تقدمه كمن تهود أو تنصر واتبع ملة ابراهيم أو من كان من الانبياء حين علم وأعلم انهم رسل الله تعالى يدعون الى الله تعالى طائفة مخصوصة فتبعهم وآمن بهم وسلك سنتهم فحرم على نفسه ما حرم ذلك الرسول وتعبد نفسه بشريعته وان كان ذلك ليس هو بواجب عليه اذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا اليه فهذا يحشر مع من تبع ذلك النبي يوم القيامة ويتميز في زمرته في ظاهر يته اذا كان شرع ذلك النبي قد تقرر في الظاهر (وقسم) طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم وشرف دينه وثواب من اتبعه فآمن به وصدق على علم وان لم يكن دخل في شرع نبي قط ممن تقدم لاسيما ان كان قد أتى بمكارم الاخلاق كحكيم بن حزام واضرابه فهذا يحشر يوم القيامة مع المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم لا في العاملين بشريعته ولكن في ظاهرية محمد صلى الله عليه وسلم (وقسم) آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وآمن به فله أجران فهؤلاء ستة أقسام كلهم سعداء عند الله يوم القيامة لتوحيدهم وان لم يتصفوا بالايمان (وأما) الاشقياء (فقسم) عطل لا عن نظر بل عن تقليد فذلك شقي مطلق (وقسم) أشرك لا عن استقصاء نظر فذلك شقي (وقسم) عطل بعدما أثبت لا عن استقصاء نظرا وتقليد فذلك شقي (وقسم) أشرك عن تقليد فذلك شقي (وأما) من هو تحت المشيئة (فقسم) عطل فلم يقر بوجود عن نظر قاصر ذلك القصور بالنظر اليه اضعف في مزاجه عن قوة غيره فهو تحت المشيئة (وقسم) أشرك عن نظر أخطأ فيه طريق الحق مع بذل المجهود الذي تعطيه قوته فذلك تحت المشيئة (وقسم) آخر عطل بعدما أثبت عن نظر بلغ فيه أقصى القوة التي هو عليها مع ضعفها بالنسبة لمن فوقه فهو تحت المشيئة (فهذه) أقسام أهل الفترات التي بين ادريس ونوح وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فاياك ان تحكم على أهل الفترات كلهم بحكم واحد من غير هذا التفصيل فتخطئ طريق الصواب فرحم الله تعالى الشيخ محيي الدين ما كان أوسع اطلاعه فان هذا التقسيم لم نجده لغيره والله أعلم

* (المبحث الحادي والاربعون في بيان ان ثمرة جميع التكاليف التي جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام يرجع نفعها الينا والى الرسل لا الى الله عز وجل فان الله غني عن العالمين وذلك انها كفارة لما نرتكبه من المخالفات فما من فعل

أن أحوال أمته بين حكم الاسم الخاذل والناصر وليس لهم علم بمقدارهم معلوم عند نابل ميزانه لا يعلمه الا الله (قلت) وقد أحسنت ولله الحمد وجاوزت الخمسمائة سنة الحروب من ولاية معاوية فالحمد لله رب العالمين * وقال في الباب التاسع والاربعين وثلثمائة قد جمع الله بيني وبين جميع أنبيائه في واقعة حتى لم يبق أحد منهم الا ورأيته وعرفته وكذلك جمعني تعالى على ورثتهم من الاولياء وعرفتهم وهم لا ينقصون في كل عصر عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة قد ذهب بعض العلماء الى أن الاكراه على الزنا لا يصح وذلك لان الآلة لا تقوم الا بسريان الشهوة وحكمها فيه قال وعندنا انه مجبور في مثل هذا مكره على ان يريد الوقاع ولا يكون الوقاع الا بعد الانتشار ووجود الشهوة وحينئذ يعصم نفسه من أذى المكره له على ذلك لتوعده له بقتل أوضرب أوحبس ان لم يفعل فصح الاكراه في مثل هذا بالباطن بخلاف الكفر فانه يقنع فيه بالظاهر وان خالفه الباطن فالزاني يشتهي ويكره تلك الشهوة من حيث ايمانه ولولا ان الشهوة ارادة بالالتذاذ لقلنا انه غير مريد لما اشتهاه وأنشد

من يشتهي الامر قد تراه
غير مريد لما اشتهاه

* لكنه اضطر فاشتهاه في ظاهر الامر اذ رآه * وقال في الباب الرابع والخمسين وثلثمائة من أدب العارف بالله تعالى اذا أصابه الم أن يرجع الى الله تعالى بالشكوى رجوع أيوب عليه السلام أدبا مع الله واظهار العجز حتى لا يقاوم القهر الالهي كما يفعله أهل منهى

منهي عنه الا ويقابله أمر مأمور به يكون كفارته) *

اذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق نقل بعض العارفين ان سبب مشروعية جميع التكاليف هو الاكلة التي أكلها أبونا آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلتها كفارة لها وتطهيرا لها بالتعبد (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله ينقل ذلك أيضا عن سيدي ابراهيم المتبولي رضي الله عنه ولا يخفى ان أكل آدم من الشجرة لم يكن معصية حقيقة وانما كانت صورة ليرى بنيه كيف يفعلون اذا وقعوا في مخالفة ولان الانبياء عليهم الصلاة والسلام ترقيهم دائم فلا ينتقلون قط من مقام أو حال الا الى أعلى منه كما مر بسطه في مبحث الاجوبة عن الانبياء فراجعه فكان حكم هذه الاكلة منسحبا على بنيه بالاصالة الى يوم القيامة الا من شاء الله تعالى لان الشجرة كانت مظهرا لارتكاب بنيه النهي فعلا وهو اما حرام أو مكروه أو خلاف الاولى ولكل أهل وان تفاوتت مراتب الناس فأدونهم من يرتكب خلاف الاولى وأعلاهم من ارتكب أكبر الكبائر غير الشرك فان الشرك لا كفارة له الا التوبة منه والذي عندنا فيما ورد من اطلاق اسم المعاصي في حق الانبياء فمحمول على خلاف الاولى لانهم لا يتعدون قط مرتبة خلاف الاولى فمعاصيهم كلها من هذا الباب وان فعلوا مكروها فغاية فعلهم له لبيان الجواز للامة توسعة من الله عليهم فلهم في ذلك الاجر لانهم يؤجرون على بيان المباح بفعلهم له وأما معاصي غير الانبياء فان كان الولي محفوظا فغايته المكروه ومادامت العناية تحفه فان تخلفت عنه العناية فقد يقع في الحرام أيضا وأما عامة الناس فربما يقعون في الثلاثة أحوال الحرام والمكروه وخلاف الاولى فعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يشاركون غيرهم في ارتكاب حرام ولا مكروه الا لبيان الجواز ولكن لما شرف مقامهم سمى الله تعالى وقوعهم في خلاف الاولى معصية وخطيئة فافهم فما من المكلفين من الامة أحد الا وقد وقع في النهي ولو في خلاف الاولى الذي هو كناية عن أكله من الشجرة فكانت جميع التكاليف في مقابلة وقوع بني آدم فيما ذكرناه وكان في أكل آدم من الشجرة ثم توبة الله عليه واجتبائه واصطفائه فتح باب الذلة والانكسار لبنيه وبيان انهم كلهم تحت القضاء والقدر في كل ما يتحركون و يسكنون فيه من أمر ونهي ومباح * ولنبين لك أحكام التكاليف من حيث انها كفارة من باب الطهارة الى باب أمهات الاولاد فنقول وبالله التوفيق اعلم ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من شجرة النهي الذي هو فعل خلاف الاولى بغير اذن صريح من الباري جل وعلا في حال نسيانه وفي حال ظنه ان ابليس لا يحلف بالله كاذبا سمى الحق تعالى ذلك معصية لعلو مقامه ثم بعد التوبة زاد في اعتنائه به بأنه جعل له مذكرا من نفسه لما وقع منه وهو البطنة القذرة المنتنة على خلاف ما كان عليه في تلك الجنة فكان آدم عليه السلام كلما أخذته البطنة من بول أو غائط أو ريح كريه تذكر ما وقع منه فزاد في الاستغفار اجلالا وتعظيما لله عز وجل ولذلك جاءت السنة بطلب الاستغفار اذا خرجنا من الخلاء وهذا حكمته وزادت حواء وبناتها على آدم وذكور بنيه الحيضة في كل شهر زيادة على البطنة التي بينها لآدم عليه السلام الاكل من الشجرة وقطعها الثمرة من الشجرة لآدم حتى أكلها وكانت شجرة التين على خلاف في ذلك ولا يخفى ان عقوبة من يأتي المخالفات وهو مستحسن لها أشد من يأتيها مستقبحا لها اذ التأويل يذهب قبح المعصية واعلم يا أخي ان تلك الجنة التي كان فيها آدم وحواء ليست محلا للقذر الذي تولد من تلك الاكلة فلذلك نزلا الى الارض التي هي محل العفونات ثم لما أنزلا اليها تولد في بطنهما من تلك الاكلة التي أكلاها من الشجرة البول والغائط والدم والنوم ولذة اللمس للنساء بجماع أو غيره وتولد في ذريتهما كذلك بسبب أكلهم من شجرتهم الخاصة بهم وبمقاماتهم زيادة على ذلك وهو الجنون والاغماء بغير مرض والخلط والصنان والقهقهة والتبختر والتكبر باسبال الازار والقميص والسراويل والعمامة والغيبة والنميمة والبرص والجذام والكفر والشرك وغير ذلك مما ورد في الاخبار والآثار انه ينقض الطهارة وكل هذه الامور متولدة من الاكل كما ذكرناه ولا يوجد لنا ناقض للطهارة قط الا وهو متولد

الجهل بالله ويظنون انهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض فيهم وابين جهالتهم وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والخمسين وثلثمائة في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الآية اعلم ان الانسان مجبول على حب من أحسن اليه لاجل احسانه وعلى استجلابه الود من أشكاله بالتودد اليهم ولما علم الله ان الانسان منطو على ما ذكرناه لم يكتف تعالى بقوله لا تتخذوا عدوي فقط لعلمه انا لا نقوم في هذا النهي في جانب الحق مقام من يحفظه حقا فقال وزاد تعالى وعدوكم ليبغضهم الينا بدل محبتهم التي كانت عندنا ولا نؤثرهم على مرضاته تعالى قال وليس في حقنا ذم في القرآن أعظم من هذا فانه تعالى لو علم منا انا نؤثره على هوانا لاكتفى بقوله عدوي وأطال في ذلك * وقال في الباب الستين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له هل رأيت ربك فقال نور أنى أراه فيه اشارة الى مباينة نور الحق لسائر الانوار فلا يدرك لاندراج نور الادراك فيه فلذلك لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به فكان من شأننا ظلمة فأن ندرك ولا يدرك بنا أول واذا عظم النور وادرك ولم يدرك به اشتدت ظلمته ثم انه لا يكون ادراك قط الا بنور من المدرك لا بد من ذلك عقلا وحسا وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى للملائكة أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فهذه الآية توبيخ للملائكة وتقرير كأنه تعالى يقول لهم هل سبحتموني أو قدستموني بهذه الاسماء حيث قلتم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فزكيتم

من الاكل والشرب فان من لا يأكل ولا يشرب حكمه حكم الملائكة في عدم وقوعه في شيء ينقض الطهارة مما ذكرناه ومما نذكره فان الملائكة لا تبول ولا تتغوط ولا يجري لها دم أصلا وكذلك لا تشتهي لذة اللمس ولا الجماع ولا تجن ولا يغمى عليها ولا تنام ولا تعصي الله بقول ولا فعل ولا يبرص لها جسم ولا يلحقها جذام ولا يخرج لها صنان ولا مخاط ولا تضحك الا تبسما من غير قهقهة ولا تكفر ولا تشرك بالله ولا ترتد عن دينها أبدا وايضاح ذلك ان العبد لا يعصي قط حتى يحجب ولا يحجب الا حتى يأكل ويشرب فلولا انه يحجب بالاكل والشرب ما وقع في معصية قط فصح قول الامام علي رضي الله عنه من مس أبرص أو أجذم أو يهوديا أو نصرانيا أو صليبا فليتوضأ ولما كانت هذه النواقض كلها من لازمها سوء الادب مع الله تعالى والغفلة عنه وكان ذلك مضعفا للبدن والقلب حتى ربما ألحقه بالمريض أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم وأتباعه المجتهدون بالتطهر بالماء المطلق المنعش للبدن وأمرونا بالتنزه عن كل شيء تولد من الاكل والشرب وحرموا علينا الصلاة بحضرة اسم وجوده حتى نتطهر بالماء والتراب بل أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالتنزه عن مس المحل الخارج منه البول والغائط حتى ان الشارع صلى الله عليه وسلم أمرنا بنضح السراويل التي على الفرج وقال بذلك أمرني جبريل عليه السلام وكان صلى الله عليه وسلم ينضح سراويله بالماء كلما توضأ وليس النضح المذكور دفعا للوسواس في حقه صلى الله عليه وسلم كما يتوهمه بعضهم لعصمته عن مثل ذلك اذ قيل انه نوع من الجنون والحق ان ذلك انما هو لملامسة السراويل للفرج كما ذكرنا ذلك * وقد أورد على الولد عبد الرحمن هنا سؤالا فلم يفتح الله تعالى لي فيه بجواب وهو انه اذا حكم الشارع بنقض الوضوء من لمس الفرج لكونه محلا للخارج فلم لا يأمرنا بالوضوء اذا مسسنا الغائط الذي هو أقبح من محله انتهى فقد علمت ان القول بالنقض بمس الذكر والدبر وفرج المرأة ليس لذاتها وانما هو لكونها محلا لخروج الناقض وملامسته اذ لو كان النقض بذلك لذات الفرج من حيث كونه متولدا من الاكل لكان حكم جميع أعضاء البدن كذلك ولا قائل به فان جميع الاعضاء قد تولدت من الاكل ونبتت به وقد جاءت أقوال المجتهدين على وفق الادلة الواردة في النقض تخفيفا وتشديدا فمنهم المشدد ومنهم المخفف ومنهم المتوسط في النقض وفي الماء الذي يتطهر به فمما اتفقوا على النقض به البول والغائط والجماع والجنون ومما اختلفوا في النقض به لمس المحارم ومس الفرج بباطن الكف ولمس العجوز الشوهاء وخروج الدم من البدن والغيبة والقهقهة ومس الابط الذي فيه صنان ومس المشركين والاوثان والصلبان وقد جمع بعضهم بين قولي النقض بمس الفرج وعدمه فجعل النقض به خاصا بالاكابر من العلماء وجعل عدم النقض به خاصا بالعوام من أهل الضرورات كالموسوسين في أيام البرد الشديد فليس للاكابر الترخص في ترك الوضوء من مس الذكر والمرأة الا لعذر شديد وكذلك القول في كل ما جاء فيه تخفيف وتشديد من الشارع كما سيأتي بسطه ان شاء الله تعالى في مبحث أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم فعلم أن الناقض حقيقة انما هو الطبيعة المتولدة من الاكل حتى القول بنقض الطهارة بخروج حصاة أو عود مثلا انما الناقض حقيقة ما على الحصاة أو العود من الطبيعة لا نفس الحصاة والعود فان الطبيعة هي التي تحركت الشهوة بها حتى حجبت العبد عن شهود ربه عز وجل وليس في الحصاة والعود اثارة شهوة ولو باشرهما المكلف ثم خرجا منه وأما بطلان الصوم بهما فهو انما حكم به العلماء سدا للباب الاكل من باب تحريم الحريم كما منعوا الاستمتاع بما بين السرة والركبة فرارا من القرب من الفرج الذي هو المقصود بالنهي وكما حكموا ببطلان الصوم بأكل مقدار سمسمة مع ان ذلك لا يثير شهوة وكما حرموا شرب قطرة خمر مع ان أصل علة التحريم هي الاسكار وقس على ذلك دخول الميل في ذكر الصائم أو دبره مثلا فانهم حكموا على فاعل ذلك بالافطار مع انه لا يسمى أكلا ولا شربا لا شرعا ولا لغة ولا عرفا (فان قيل) فلم وجب علينا تعميم البدن بالغسل من خروج المني مع انه دون الغائط في الاستقذار بيقين (فالجواب) انه انما وجب علينا تعميم البدن في الغسل من

الجنابة

نفوسكم وجرحتم خليفتي في أرضي (٢١٠) ولم يكن ينبغي لكم ذلك فما قدروني حق قدري قال فالمراد بالاسماء هنا الاسماء الالهية التي استند اليها المشار اليهم بهؤلاء في ايجادهم وأحكامهم وأحوالهم في ذلك * وقال ليس للملائكة والحيوان والنبات ارادة تتعلق بأمر من الامور فهم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم به لا عنه وأما الانسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان * وقال في قول أبي يزيد بطشي أشد أي من حيث نفسه الحيوانية وذلك لانه يبطش بمن لا يخافه ولا رحمة له فيه والحق تعالى اذا بطش بمن خلق فالرحمة مندرجة في بطشه بكل مؤمن فهو أرحم بالعبد من أمه وأبيه فله الحمد * وقال الانكار في التجلي الاخروي خاص بأهل النظر العقلي لا بأهل الكشف وذلك لان أهل النظر العقلي قيدوا الحق تعالى بعقولهم فلما لم يروا ما قيدوه به في الآخرة أنكروه ألا تراهم اذا وقع التجلي لهم بالعلامة التي قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو أنه كان تجلى لهم أولا بهذه العلامة لما أنكروه فافهم وقال في قوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم ثم قال وصدقت بكلمات ربها وما هو الا عيسى فقط فجعله تعالى كلمات لها لانه عليه السلام كثير من حيث نشأته الظاهرة والباطنة ومن حيث ان كل جزء منه باطنا وظاهرا هو كلمة فلهذا قال وصدقت بكلمات ربها فأفرد الكلمة باعتبار وجمعها باعتبار * وقال في قوله تعالى ان ربك هو الخلاق العليم اعلم ان الحق تعالى خلاق على الدوام ولو كان الامر على ما قاله مخالفو أهل الحق من بقاء الاعراض لم يصح أن

الجنابة بخروج المني لانه فرع أقوى لذة من أصله فما وجب تعميم البدن في ذلك الامن حيث الالتذاذ لا من حيث الاستقذار فان الجامع لما كان يحس باللذة انها قد عمت بدنه كله حتى انه لا يكاد يتعقل شيأ معها أمر بتعميم بدنه بالماء لينعشه من ذلك الفتور الذي حصل للبدن عقب خروج المني ولكانت الغفلة عن الله تعالى فيه أكثر من الغائط والبول ولذلك قال أبو حنيفة رضي الله عنه ان القهقهة في الصلاة تنقض الوضوء لما كانت لا تقع الا من قلب غافل غير حاضر مع ربه عز وجل ومعلوم ان حضرة الرب منزهة عن وقوع القهقهة فيها من أحد من أهل حضرتها تماشأنهم الادب والبهت والذبول (فان قيل) فما وجه وجوب تعميم البدن على الحائض والنفساء (فالجواب) أن وجه ذلك زيادة القذر الحاصل من دم الحيض والنفاس وكثرة انتشار الدم في محلات البدن بواسطة العرق وغيره وأيضا لبعد الزمن المتخلل بين الحيضات فلا يشق عليها الغسل كلما حصل موجبه بخلاف الحدث الاصغر لقرب زمنه من بعضه بعضا عادة ولذلك خفف الامر علينا فيه بغسل الاعضاء المفروضة والمسنونة فقط لكثرة تكرر سبب حدثها وأيضا فان أعضاء الوضوء آلة لغالب المعاصي الواقعة من العبد فاذا غسل المتوضئ الحاضر القلب مع الله تعالى أعضاء الوضوء وتذكر عند غسل كل عضو منها ما جناه من المعاصي واستغفر الله تعالى عند ذلك وندم عليه طهر ذلك العضو ظاهرا وباطنا وخرجت خطاياه لان من كان مصرا على المعاصي ربما لا تخرج له خطايا بغسل أعضائه بالماء فانهم بخلافه اذا تاب وندم فان خطاياه تخرج ان قبلت توبته بنص الحديث مع الماء فيدخل حينئذ حضرة الله تعالى التي هي الصلاة على أكمل حال يليق به (فان قيل) فما وجه اتفاق العلماء على نجاسة البول والغائط من الآدمي دون البهائم التي تؤكل مع أن الآدمي أشرف من البهائم كلها (فالجواب) أنا نقول وما جاءنا الاتفاق على نجاسة بوله وغائطه الا من جهة شرفه فانه هو المكلف دون البهائم ثم فلما أكل من شجرة النهي بالمعنى السابق أول المبحث بخلاف البهائم فانها لا توصف بطاعة ولا معصية فلذلك خفف في بولها وغائطها والقاعدة ان كل من عظمت مرتبته عظمت صغيرته وكان الاصل من حيث العقل عكس ذلك ليسامح الاقرب ويؤاخذ الابعد وكان ينبغي لكل من شرفت مرتبته ان يطهر كل شئ خالطه من المآكل والمشارب لكنه لما غفل عن ربه واشتغل بشهوات طبيعته انعكس حكمه فلذلك صارت المآكل والمشارب الطيبة المبخرة بالمسك والعود نجسة خبيثة قذرة بولا وغائطا وما خالطاه وصارا اوصافا حسين صاحبته بحيرة بوموليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (فان قيل) يفهم من تقريركم هذا أن من كان معصوما ولم يشتغل عن ربه بحكم طبيعته أن يكون بوله وغائطه طاهرا (فالجواب) نعم وهو كذلك كما أفتى به شيخ الاسلام البلقيني والسبكي والجلال السيوطي وغيرهم حتى قال شيخ الاسلام السراج البلقيني والله لو وجدت شيأ من بول النبي صلى الله عليه وسلم وغائطه لأكلته وشربته وفي الحديث ما يؤيد ذلك فروى الطبراني وغيره نحن معاشر الانبياء تنبت أجسادنا على أجسام أهل الجنة اه ولذلك كانوا يشمون المسك من موضع برازه صلى الله عليه وسلم وأما دليل من قال بنجاسة البول والغائط من النبي صلى الله عليه وسلم فهو كونه صلى الله عليه وسلم كان يتنزه عنه ويغسل ما أصابه منه أو يمسحه بالحجر ولو من حيث الجزء البشري (فان قيل) فلم لم تتفق العلماء على نجاسة فضلات الآدمي كلها من مخاط وبصاق وعرق ابطه لتولده كله من الاكل (فالجواب) انما لم يتفقوا على ذلك لخفة القبح والقذر فيها وبعدها عن صورة لون الطعام والشراب بخلاف البول والغائط فانهما يشبهان غالبا لون أصلهما (فان قيل) فما وجه الامر بالجمع بين الماء والتراب في نجاسة الكلب (فالجواب) وجهه ان الله تعالى جعل سؤره نجسا لنجاسة القلب اذا أكل أو شرب ومعلوم أن من مات قلبه صار لا يحن الى موعظة ولا الى خير ولا يهتدي لتوبة اذا وقع في ذنب وما كان يؤثر أكله أو شربه ما ذكر صح التعبير عنه بالرجس والنجس كما قال تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان وكما سماها تعالى رجسا من حيث

يكون الحق تعالى خلاقا على الدوام فهو مع كل مخلوق وهو معكم أينما كنتم بحفظنا عليكم وجودكم وكنتم مرآة وجوده بالاشتراك لا يعلم منه الا الايجاد والوجود ولهذا لا يقال للموجود قط كن عدما ولا كن معدوما لاستحالة ذلك * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم أن لا اله الا الله دخل الجنة ولم يقل من مات وهو يؤمن أو يقول ليعلمنا أن كل موحد لله في الجنة يدخلها من غير شفاعة شافع ولو لم يوصف بالايمان كنفس ابن ساعدة واضرابه ممن لا شريعة بين أظهرهم يؤمنون بها أو بصاحبها فقس رضي الله عنه موحد لا مؤمن فتأمل * وقال النفس تذكر وتؤنث قال تعالى أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله الآية فأنث ثم قال بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها بتاء مفتوحة خطاب المذكر والعين واحدة فان النفس والعين عند العرب يذكران ويؤنثان وذلك لاجل التناسل الواقع بين الذكر والانثى ولذلك جاء في الايجاد الالهي القول وهو مذكر والارادة وهي مؤنثة فأوجد العالم عن قول وارادة فظهر عن اسم مؤنث ومذكر فقال انما قولنا لشئ والقول مذكر اذا أردناه والارادة مؤنثة أن نقول له كن فيكون فظهر التكوين في الارادة عن القول والعين واحدة وأطال في ذلك بكلام نفيس في التوحيد والله أعلم * وقال في الباب الحادي والستين والثلثمائة في قوله تعالى في آدم لما خلقت بيدي بالتثنية اعلم ان كل مخلوق في العالم فهو مضاف خلقه الى يد الهية قال تعالى مما عملت أيدينا أنعاما فعمم الايدي وقال في الحديث ان الله تعالى غرس شجرة طوبى

بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده وحد اليد وثناها وجمعها ولم يضف الحق تعالى آدم الى خلقه بيديه الا تنبيها على

تنويه من الصعود عن ذكر الله وعن الصلاة فذكر ذلك صح تسميته. فو ران الكلب نجسا بالنظر لما يورثه من القساوة في الانسان ووجب عليه التباعد عنه فلذلك أمرنا الشارع بالجمع بين الماء والتراب في الغسل من ولوغه أو غيره لذلك من فضلاته لكون الماء والتراب اذا اجتمعا أنبتا الزرع بخلاف أحدهما بمفرده اذا وضع على الحب لا ينبت غيره ولا يثمر له نتاج فكذلك من غسل النجاسة الكلبية بالماء فقط أو التراب فقط بأن مسحها فلا يزيل ذلك الاثر الذي يعقب القساوة (فان قلت) فأي المذهبين أولى بالعمل من يقول بطهارته أو من يقول بنجاسته (فالجواب) القائل بنجاسته أولى وأحوط في الدين وان لم يصرح الشارع بنجاسته اتفاقا وقد تتبع الامام البيهقي الادلة على التصريح بنجاسة الكلب فلم يجده وانما دل على نجاسته بأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل ثمن الكلب وقال لولا نجاسته لما حرم الله تعالى علينا أكل ثمنه انتهى وهو مرجوح. ووقع أن سيدي عليا الخواص رحمه الله نهى شخصا من المالكية عن شرب لبن شرب منه الكلب فقال الفقيه مذهبي انه طاهر فقال له الشيخ ان شربت فاتك عبادتك فلم يسمع للشيخ فشربه فاظلم قلبه مدة شهور وصار يجيء للشيخ ويقول ياسيدي تبت الى الله تعالى فان قلبي صار لا يحن الى قراءة قرآن ولا علم ولا يستلذ بعبادة فقال له الشيخ قد نهيتك فلم تسمع ولولا ان هذا الفقيه ذاق الظلمة في نفسه لما آمن بكلام الشيخ ومارأيت أحدا نبه على هذه العلة غيره رضي الله عنه (فان قيل) فما الوجه الجامع بين أقوال الائمة في التطهير بالماء المطلق والمستعمل وما حكمهم في ذلك (فالجواب) ان حكمهم الاعمال الموقعة من المكلفين فمن كان حكمه مراعاة عظمة الذنوب وقبحها اشترط في الطهارة الماء المطلق ومن كان حكمه غلبة الرحمة على الخلق جوز الطهارة بالماء المستعمل بشرط بقاء الروحانية في الماء ولو تكررت الطهارة به بدليل انباته الزرع فكلما كانت ذنوب العبد أقبح وأكثر طولب باستعمال الماء الذي لم يستعمل قط لا أن يكون مستبحرا ولا شك أن الماء الذي لم يستعمل أنمش لبدن العاصي ومن شك فليجرب وللامام أبي حنيفة في الماء المستعمل ثلاث روايات (أحدها) أن المستعمل في الحدث حكمه حكم الماء المتغير بالنجاسة (ثانيها) انه كبول ما يؤكل لحمه (ثالثها) انه طاهر في نفسه غير مطهر لغيره كقول الشافعية وهذه أعدل الروايات وأما الامام مالك فجوز الطهارة بالماء متكررا ما لم يتغير جريا على ما بيناه فهو أوسع الائمة قولا في ماء الطهارة ولكل من روايات أبي حنيفة الثلاثة وجه فوجه الرواية الاولى الاخذ بالاحتياط فيجعل غسالة تلك الطهارة كأنها غسالة الكبائر من زنا ولواط وشرب خمر وسرقة في الناس وغيبة في العلماء العاملين والاولياء والصالحين وغسالة هذه الكبائر اذا خرجت في ماء فقذرته ضرورة وغيرته والناس بين مقل ومكثر في ارتكابه هذه الذنوب ومن الناس من يجمع بين فعلها كلها في يوم أو جمعة (فان قيل) ان الحكم بنجاسة غسالة طهارة الناس يلزم منه سوء الظن بهم (فالجواب) لا يلزم من ذلك سوء ظن انما ذلك احتياط ونعامل الناس كمعاملة من يسيء بهم الظن من غير سوء ظن فلا يلزم من الحكم بنجاسة الماء المستعمل اثبات المعاصي في قوم * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا انما قال الامام أبو حنيفة بنجاسة غسالة ماء الطهارة لانه كان من أهل الكشف فكان اذا رأى في الماء عرف غسالة كل ذنب وميزه عن غسالة غيره وصاحب هذا الكشف لا يقدر على الخروج عن حكم مشهده لانه يشاهد الماء قذرا منتنا فكيف يتوضأ منه أو يغتسل وكان سيدي علي رحمه الله يقول من كشف الله عن بصيرته رأى غسالة الكبائر أقذر وأنتن من بول الكلب والحمار أو جيفتهما اهـ وأما وجه الرواية الثانية فهو أن غالب معاصي العباد الذين يتطهرون منها صغائر والاصل عدم وقوعهم في الكبائر أو ندور ذلك بالنسبة لوقوعهم في الصغائر ومعلوم ان الصغائر رتبة متوسطة بين الكبائر والمكروهات فيكون على تسمية حكم الماء المستعمل حكم النجاسة المتوسطة بين المغلظة والمعفو عنها وأما وجه الرواية الثالثة من قول الامام أبي حنيفة ومن وافقه رضي الله عنه فهو ان احسانا الظن بالمسلمين واجب بالاصالة ولان الاصل عدم

شرفه عنده وانه هو المقصود من العالم فإن الانعام خلقها بأيديه مع انها تحت تسخير بني آدم وايضاح ذلك ان التثنية برزخ بين الجمع والافراد فهي تقابل الطرفين بذاتها فلها رتبة الكمال فان المفرد لا يصل الى الجمع الا بها والجمع لا ينظر الى المفرد الا بها فافهم (قلت) وقد ذكرنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا رضي الله عنه والله أعلم * ثم قال في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون لما أراد الله تعالى خلق آدم أخذ ترابا ازجا وخلطه بالماء فصيره طينا بيديه تعالى كما يليق بجلاله اذ ليس كمثله شيء ثم تركه مدة يختمر بما مر عليه من الهواء الحار الذي يتخلل اجزاء طينته فتخمر وتغيرت رائحته فكان حمأ مسنونا متغير الريح قال الشيخ ومن أراد أن يرى صدق ذلك ان كان في ايمانه خلل فليحك ذراعه بذراعه حكا قويا حتى يجد الحرارة من جلد ذراعه ثم يستنشقه فانه يجد فيه رائحة الحمأ وهي أصله الذي خلق جسمه منها وأطال في ذلك بكلام نفيس منزع الكشف * وقال من علامة من ادعى انه صار يذكر الله بالله أن يجد الاحتراق في لسانه حساحتى يحترق لسانه ولا يكون له أثر قطني الماق في لم يشهد هذا الحرق من الاشياخ فليس هو ذاكر الله بالله وانما ذلك توهم قال وقد دقت ذلك حين ذكرت الله بالله ومكثت على ارتكاب ذلك ست ساعات ثم رد على لساني فذكرته بالحضور معه لا به وأطال في ذلك فراجعه * وقال في حديث ان الله خلق آدم على صورته اعلم ان الصورة

ارتكاب المتطهر من الكبائر والصغائر أو انهم ارتكبوها وكفرت عنهم باعمال أخرى ما أتوا الماء للطهارة الاولياء عليهم خطيئة اللهم الا أن يشاهد انسانا زنى مثلا ولم يتب فورا ولم يعمل اعمالا تكفر عنه ما جناه فهذه ربما يندب للمتورع أن يجتنب ماء طهارته لان ماءه كماء المستعمل للرواية الاولى فرضي الله تعالى عن الامام أبي حنيفة ما أدق نظره وما أنصحه لدين الله ولعباده ورضي الله عن بقية المجتهدين آمين * ثم لا يخفى أن التراب قائم مقام الماء عند فقده فلا يقال لم أسقطنا الكلام على التيمم كما لا يقال لم أسقطنا الكلام على مسح الخف لانه لابدل من غسل الرجلين أو مسح الخف والله تعالى أعلم * فقد بينا لك وجه تعلق الحدث والطهارة فتأمل كل ما ذكرناه فانه نفيس * وأما وجه تعلق مشروعية الصلاة بأنواعها بأكل من شجرة النهي كل أحد بما يليق بجاهه من ارتكاب محرم أو مكروه أو خلاف الاولى فهو أن تعلم أن الصلاة شرعت للتوبة واستغفارا وتقربا الى الله تعالى وفتحا لباب رضا الحق سبحانه وتعالى عنا حتى كأنا ما أكلنا من شجرة النهي أو ما دنا منها فشرع تعالى لنا الصلاة فرضها ونفلها تكفيرا لذلك وفي الحديث تقول الملائكة عند دخول وقت الصلاة يا بني آدم قوموا الى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها وقد جمع الله الحق تعالى في الصلاة جميع عبادات الملأ الاعلى والاسفل ان تأملها (فان قلت) فما وجه تكرارها في الليل والنهار (فالجواب) وجهه حتى يتذكر العبد ما جناه من المعاصي والشهوات والغفلات من الصلاة الى الصلاة كلما توضأ وصلى فيتوب ويستغفر داخل الصلاة وخارجها فلو كشف للمصلي لرأى ذنوبه تتحدر عنه وتتساقط عنه في حال قيامه وركوعه فلا يصل الى حضرة السجود التي هي أقرب ما يكون العبد من شهود ربه وعليه خطيئة واحدة فيناجي ربه عز وجل في سجوده وهو طاهر مطهر من الذنوب (فان قلت) فاذا كان لا يصل الى السجود حتى لا يبقى عليه خطيئة لا كفرت بالافعال والاقوال التي في الصلاة فأي فائدة للوضوء قبلها (فالجواب) ان الوضوء شرط من شروط الصلاة حتى ان الصلاة تصح فتكفر الذنوب فانه اذا انتفى الوضوء انتفت الصحة الا لعذر شرعي كفاقد الطهورين فمغفرة الذنوب في الصلاة لا تكون الا باجتماع الوضوء والصلاة وذلك ان من الناس من يموت بدنه بالمعاصي أو يضعف أو يفتر ومن الناس من يموت بدنه بخلاف الاولى أو يضعف أو يفتر ومنهم من يموت قلبه بتوالي الغفلات أو يضعف أو يفتر فاذا تطهر بذلك الماء المنعش لذلك البدن حيي ثم انه يقوم فيدخل حضرة الحق تعالى في صلاته فيعبد الله تعالى كأنه يراه فهو ما بين تكبير لله عز وجل وتحميد له وثناء عليه بما هو أهله وسؤال أن الله تعالى يعينه على أداء ما كلفه به في هذه الدار حتى الصلاة التي هو فيها وهدايته الى الصراط المستقيم وموافقة الامام في قوله آمين فيغفر له ما تقدم من ذنوبه التي الخاصة بالصلاة والاقتداء وورد أن من توضأ كما أمره الله خرجت خطاياه من أعضائه كلها حتى يخرج نقيا من الذنوب ثم يكون مشيه الى صلاة الجماعة رفع درجات فمرادنا بالذنوب التي تبقى الى الدخول في الصلاة الذنوب الخاصة بها كما مر فعلم أنه لا يخرج مع الوضوء الا المعاصي الخاصة به لا بالصلاة ولو كان المراد بالذنوب التي تخرج في الوضوء جميع الذنوب بحكم العموم لم يبق غيره من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك مما ورد في الشريعة أنه يكفرها فافهم * وقد قدمنا أن كل منهي له مأمور يكفره هذا اذا أتى بالمأمورات على التمام والا احتاجت نفس المأمورات الى مكفرات كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب أسرار العبادات وهو كتاب نفيس ما وضع مثله فيما أظن ومما يؤيد ما قررناه ما قاله المفسرون في قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات أن المراد بالسيئات هنا الصغائر دون الكبائر اذ الكبائر لا يكفرها الا التوبة النصوح هذا في أحكام الدنيا وأما أحكام الآخرة فقد يكفر الزنا صدقة لزاني برغيف على مسكين كما ورد في قصة العابد الذي عبد الله خمسمائة سنة ثم زنى فوزنت عبادته كلها فرجحت الزنية عليها ثم تصدق برغيف فرجح على تلك الزنية فافهم (فان قيل) فاذا كانت الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر فلم أمرنا بالنوافل (فالجواب) انما أمرنا

تعالى ويراد به الامر والشأن والحكم أي جعل آدم يأمر وينهى ويعزل ويولي ويؤاخذ ويسامح ويشفع ويرحم ويعفو وذلك لهذا هو المراد بالصورة فافهم * وقال الانسان مجبور في عين اختياره عند كل ذي عقل سليم مع أن جميع ما يظهر عنا من الاعمال يجوز أن يفعله الله تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك في الشاهد ولا ظهر الا بأيدينا اذ الاعمال لا تنتهي أحكامها الى فعل حسي (قلت) وان كان هذا حقا وصدقا فهو أخذ بطرف دون طرف والكمال أن تقول ان الاعمال لله خلقا ولنا اسنادا فنضيفها الى الله بوجه والينا بوجه كما قال تعالى والله خلقكم وما تعملون وان كان ذلك حكاية عن قول السيد ابراهيم فقد أقره الحق وارتضاه من حيث ان مقام الانبياء يجل عن أن يحكى خلاف ما الامر عليه في نفسه والله أعلم * وقال في الباب الثالث والستين وثلثمائة من عدم الانصاف ايمان الناس بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم الايمان بها اذا أتى بها أحد من العلماء لوارثهم فان الخبر واحد واذا لم يؤمنوا بما جاءت به الاولياء فلا أقل من أن يأخذوه منهم على سبيل الحكاية وكما جاءت الانبياء بما تحيله العقول من الصفات وآمنت به كذلك يجب الايمان بما جاءت به الاولياء المحفوظون وكل ما جاءت به الرسل كذلك ان لم تجئ به الشريعة بحكم الموافقة وطلق ذلك * وقال الكلام في كاف ليس كمثله شئ فضول فان ذلك لا يدرك بالقياس ولا بالنظر بل يرجع الى قصد المتكلم ولا يعرف أحد ما في نفس المتكلم الا باعلامه بما في نفسه ولم يفصح الحق سبحانه وتعالى عن هذه

بالنوافل جبر ما يقع في فرائضنا من الخلل والنقص فان تأدية الفرائض بلا خلل ولا نقص من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فتأمل قوله لك تعثر على ما قلناه ولا نفل الا بعد كمال فرض ومن ذلك أيضا سجود السهو فانه يجبر خلل النقص الواقع بترك الابعاض كما ورد وكما تبين (فان قلت) فما كيفية تكملة الفرائض بالنوافل (فالجواب) كيفيتها أن يكمل الخلل الذي في أركان الفرائض بأركان النوافل والخلل الذي في نوافل الفرائض كالاذكار المستحبة بالسنن التي في النوافل فلا يكمل واجب بسنة ولا عكسه هكذا قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات والله أعلم (فان قيل) فما وجه تأكيد الشارع بعض النوافل دون بعض (فالجواب) وجهه أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك توسعة على أمته اذ لو أكدها كلها لربما شق ذلك عليهم وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب التخفيف على أمته ويقول اتركوني ما تركتكم وصلى ركعتين مرة في جوف الكعبة ثم خرج وقال لعلي شققت على أمتي انتهى أي اذا تأسوا بي في ذلك فات طلوع البيت الغالب فيه المشقة من الزحمة وغيرها وصلى ركعتين قبل المغرب وقال لمن شاء انتهى أي كراهة أن يشدد أحد من أمته على نفسه بالمواظبة عليها (فان قيل) فما وجه تعلق مشروعية صلاة الجماعة وصلاة السفر وصلاة الجمعة وصلاة الخوف بالاكل من شجرة النهي (فالجواب) وجهه ان من شأن من يأكل الحجاب فاذا احتجب تكاسل عن العبادات وملّ منها وثقل عليه الخروج لصلاة الجماعة في المسجد البعيد والقريب وخرج عن كمال طاعة الشارع ولو كان في ذلك ذهاب شعار دينه فلذلك أمرنا بصلاة الجماعة في المسجد لئلا يذهب نظام ديننا أو يضعف ولو علم الشارع أن نظام الدين في الصلاة يحصل بلا جماعة ما أمرنا بها في الجمعة والصلوات الخمس وما ألحق بذلك من العيدين والتراويح والنوافل وانما خفف عنا الشارع في صلاة السفر والمرض وجعل للمسافر القصر والجمع تقديما أو تأخيرا وللمريض الجمع دون القصر رحمة بنا لما يحصل عادة للمسافر والمريض من المشقة في تأدية الفرائض ومعلوم أن أصل ذلك كله الاكل فان من لا يأكل لا يحصل عنده ملال من عباداته كما قال تعالى في الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكذلك من لا يأكل لا يحصل عنده كسل عن عبادة ولا يأنف من طاعة امامه وكذلك من لا يأكل لا يخاف من عدو أبدا فان الخوف انما حصل من حجاب العبد عن ربه بالاكل فمن لا يأكل لا يخاف أحدا من خلق الله كما هو شأن الملائكة فان من يجوع كثيرا ولا يأكل أصلا يصير الغالب عليه الروحية والارواح ملائكة لا تخاف من بعضها بعضا وكذلك من لا يأكل لا يتبختر في مشيته ولا يلبس حريرا ولا ذهبا للتفاخر فتأمل ذلك (فان قيل) فما وجه مشروعية النوافل المؤكدات التي شرعت فيها الجماعة كالعيدين والصلوات ذوات الاسباب كالكسوف والاستسقاء وصلاة الجنازة وما وجه مشروعية قتل تارك الصلاة جحدا أو كسلا (فالجواب) وجه مشروعيتها انها شرعت لحكم ومصالح للعباد وأصل ذلك كله حجابهم بالاكل من شجرة النهي فانهم لما أكلوا منها بحسب مقاماتهم من الحرام الى خلاف الاولى قل خوفهم من الله تعالى فخوفهم الله تعالى بالآيات العظام من كسوف الشمس والقمر والقحط والغلاء فلولا حجابنا بالاكل ما احتجنا الى التخويف بالآيات ولا غفلنا عما خلقنا له لا سيما من يأكل الحرام والشبهات فانه ربما يحجب بالكلية عن مصالح الدنيا والآخرة فلذلك شرعت هذه الصلوات مشحونة بالدعاء والاستغفار والتكبير لله تعالى عن جميع وجوه صفات التعظيم التي تبلغها عقولنا أو تكبيره عن أن يخرج شيء في الوجود عن ارادته ومعلوم أن من يأكل الشهوات لا يؤدي حق اخوانه لا أحياء ولا أمواتا لحجابه فلذلك شرعت لنا صلاة الجنازة تكملة لوفاء حقوق اخواننا التي أخللنا بها في حال حياتهم فنتحفهم بصلاتنا عليهم وطلبنا من الحق تعالى أن يغفر لهم وان يسامحهم (وأما) الحكمة في مشروعية جماعة العيدين فهي تألف القلوب المتنافرة من كثرة المزاحمة على الاغراض النفسانية والمشاحنة فيها حتى ربما تعلق الشخص بما ليس هو من رزقه ليكون رزقه ولا يكون وأصل ذلك كله الحجاب

الكاف هل هي أصلية أم زائدة وأطال في ذلك (فان قلت) فقد ذكر الشيخ في الباب الستين وثلثمائة السابق انه ما قال ان الكاف زائدة في كمثله شيء الا من لا معرفة له بالحقائق قال والحق أنها كاف الصفة انتهى فليتأمل ويحرر

* وقال في الباب الخامس والستين وثلثمائة في قوله تعالى فاذكروني أذكركم وفي نحو حديث ان الله لا يمل حتى تملوا اعلم ان الحق تعالى لا يعامل عباده الا بما يعاملونه به فهو تعالى بحكم التبعية لهم في ذلك وان كان ابتداء الامر منه ولكن هكذا علمنا وقرر لدينا فنسب اليه تعالى ما ينسبه لنفسه ولا يمكن لنا الا ذلك فهي من حكم تبعية الحق تعالى للمخلوق تنزلا للعقول وأطال في ذلك * وقال فيه سبب غلط منكري النبوة من الحكماء قولهم ان الانسان اذا صفى جوهرة نفسه من كدورات الشهوات وأتى مكارم الاخلاق المرضية انتقش في نفسه ما في العالم العلوي من الصور بالقوة فتحلى بالغيوب واستغنى عن الوسائط والامر عند أهل الله ليس كذلك وان جاز وقوع ما ذكروه في بعض الاشخاص وذلك انه لم يبلغنا قط عن أحد من نبي ولا حكيم أنه أحاط علما بما يحوي عليه ساله في كل نفس الى حين وفاته بل يعلم بعضا ويجهل بعضا بل لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف ذلك وأطال في رد أقوال منكري النبوة (وقال) فيه لقد عملت على تحصيل ايماني بما جاء من عند الله ولما كتب بالسماع حتى علمت من بالاكل أين آمنت وبماذا آمنت لكن بحمد الله ما زحزحني علم ما رأيته وعاينته عن ايماني فلم أزل أقول وأعمل ما أقوله وأعمله لقول النبي صلى الله عليه وسلم

بالاكل وكذلك الحكمة فى مشروعية مصالحة الاعداء قبل الخروج لطلب السقيا من الله تعالى انما ذلك لكون التشاحن يرفع نزول الرحمة فاذا تصالحوا وتصافحوا وائتلفت قلوبهم نزلت عليهم الرحمة وناسبهم اذذاك الفرح فى العيدين والسرور ولبس الثياب النفيسة والحلى للغلمان والنساء والبنات فلا ينبغى لمؤمن أن يفارقه العيد وفى قلبه كراهية لاحد من المسلمين الابطريق شرعى وهذا وان كان مطلوبا فى كل وقت ففى العيد آكد لاسيما الحجاج فى الحرم المكى فان الله تعالى توعد بالعذاب من أراد فيه بالحاد ولو لم يفعله (وأما) وجه تعلق حكم تارك الصلاة جحدا أوكسلا بالاكل من الشجرة فهو لكونه لما أكل حجب عن تأدية حقوق الله تعالى وحقوق نفسه بتعريضها للقتل فأمرنا الشارع باقامة الحد عليه وان أدى الى قتله كفارة لذلك الفعل الا أن يترك الصلاة جحدا لوجوبها فانه يقتل كفرا فهذا كان سبب مشروعية الصلاة بأنواعها وتعلقها بالاكل من شجرة النهى والله تعالى أعلم * وأما وجه تعلق الزكاة بأنواعها بالاكل من شجرة النهى فظاهر وذلك انا لما أكلنا مالا ينبغى لنا شرعا اما من حيث الزيادة على الحاجة واما من حيث الحرام والشبهات حجبنا عن كون الملك لله تعالى فى الاموال والاقوات فادعينا الملك فيها لانفسنا دون الله تعالى غفلة وشحت علينا بما دخل تحت يدنا فلم تسمح نفوسنا أن تعطى منه شيأ لمحتاج بل صار أحدنا يجمع ويمنع ويتخذ الحلى الذى لم يشرع ومنع حق الله تعالى من المواشى والنقود من المعدن والركاز ومن ربح مال التجارة ونسيت نفسه كون الحق تعالى ألزمها باخراج الزكاة على الحكم المشروع فيها حتى انها لم تخرج زكاة فطرها فحصل بذلك ضيق على الفقراء والمساكين وابن السبيل وغيرهم من الاصناف فلما حصل الضيق المذكور أمرنا الشارع باخراج نصيب معين من كل نوع من أموال الزكاة تطهيرا لناولها واخذا من الرجس الحاصل عنها من سواد القلب وغضب الرب وقلة البركة فى الرزق وما جعل الله تعالى زكاة الا لينبه المؤمن الكامل على كثرة نمو أمواله اذا أخرج حق الله تعالى منها وعدم نقصها بذلك الاخراج قال تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة * وأما وجه تعلق نوافل الزكاة بالاكلة المذكورة فهو أن العبد اذا أكل مالا ينبغى حجب واذا حجب لم تطب نفسه باخراج الزكاة فأخرجها كارها لها أو ناقصة العدد أو رديئة فأمرنا الشارع بصدقة النافلة جبرا لذلك الخلل كما تقدم نظيره فى نوافل الصلاة * وأما زكاة الفطر فانما أمرنا بها بعد صومنا الى محل القبول فقد ورد فى الحديث صوم رمضان معلق بين السماء والارض حتى تؤدى زكاة الفطر وما عوقه عن الصعود الا الخلل الواقع فى الصوم من حجاب الاكل فى الليل ولولا الاكل ما نقص للمكلف عمل ولكان يأتى به كاملا من غير أن يخرقه بغيبة أو نميمة أو شتم أو أكل حرام أو نظر الى محرم عليه ونحو ذلك والله تعالى أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية صوم رمضان وغيره بالاكلة المذكورة فهو أن الله تعالى جعل الصوم تطهيرا للنفوس وتقوية للاستعداد والتوجه الى الله تعالى فى قبول توبتنا من سائر الذنوب التى وقعنا فيها المحجبنا بالاكل وذلك أن الصوم يورث رقة القلب وزوال الحسد ويسد مجارى الشياطين التى انفتحت بالاكل فى سائر البدن حتى صار البدن كما قالت شبكة الصياد فان العبد اذا جاع ثم تمشى بقدر السنة وتسحر بقدر السنة فقط ولم يزد فى السحور على ثلاث تمرات مثلا ضاقت على الشيطان الجارى حتى لا يجد له مسلكا يدخل منه الى بدن الصائم ليوسوس له بما يدمنه ولذلك ورد الصيام جنة يعنى على البدن ما لم يخرقه بغيبة ولا نميمة فلو فرض أن عبدا صام الصوم الشرعى ولم يخرق صومه بشئ لكان محفوظا من الشيطان من رمضان الى رمضان (فان قيل) فلم كان رمضان ثلاثين يوما وتسعا وعشرين يوما بحسب تمام الشهر ونقصه (فالجواب) قد ورد أن تلك الاكلة التى أكلها آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة مكثت فى بطن آدم شهرا والشهر يكون تارة ثلاثين وتارة تسعا وعشرين ثم خرجت فاستمر حكم تلك المدة فى بنيه فلولا أكله عليه السلام من الشجرة التى هى مظهر خلاف

لا لعلى ولا لشهودى أنا فواخيث بين الاعيان والعيان قال وهذا مقام ما وجدت له ذائقا الى وقتى هذا وان كنت أعلم أن فى رجال الله من يناله لكن ما اجتمعت به قال وكذلك أشهدنى الله تعالى جميع أنبيائه وأوليائه من آدم الى يوم القيامة خاصهم وعامهم كما تقدم ذلك فى الباب التاسع والاربعين وثلثمائة (قلت) وذكر الشيخ فى الباب الثالث والستين وأربعمائة انه رأى جميع المؤمنين كذلك من كان منهم ومن يكون الى يوم القيامة فى صعيد واحد وانه صاحب من الرسل غير محمد صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ابراهيم الخليل قرأ عليه القرآن وعيسى تاب على يديه أول دخوله فى الطريق وموسى أعطاه علم الكشف والايضاح عن الامور وعلم تقليب الليل والنهار قال ومن حين حصل عندى هذا العلم زال الليل وبقى النهار فى اليوم كله فلم تغب شمسى ولم تطلع وكان لى هذا الكشف اعلاما بأنه لاحظ لى فى الشقاء فى الدار الآخرة قال ولم يكلمنى الا هود عليه السلام انتهى وقد ذكرنا فى أجوبة شيخنا حكمة كونه لم يكلمه الا هود عليه السلام فراجعها والله أعلم * وقال سعى الانسان فى عدالته عند الحكام لقبول شهادته من باب السعى فى حق الغير لا فى حق نفسه وذلك لامور تطرأ فانه اذا لم يكن عدلا لم يقبل الحاكم شهادته ور بما ظهر الباطل على الحق فوجب السعى فى العدالة لهذا قال عليه السلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر فلم يكن مراده صلى الله عليه وسلم الا اعلام أمته بمقامه ليرجعوا من تعب يوم القيامة ولا يمشون فى ذلك اليوم الى نبى بعد نبى كما تمشى الامم فيقتصرون على محمد صلى الله

الاولى كما فرض صوم رمضان عليه وعلى بنيه لاستبعاده من أكل من الحرام والشبهات (فان قيل) فلم شرع صوم النفل (فالجواب) شرع جبرا للخلل الواقع في صوم الفرض نظير الصلاة والزكاة فلما علم الشارع من أمته أنهم لا يؤدون عبادة صومهم على وجه الكمال شرع لهم زيادة على صوم رمضان صوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وغير ذلك وقد ورد أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة اسود جسده اما باعتبار البنية في نظر أهل الحجاب واما ظهارا لحصول سيادته بذلك في نظر العارفين اذ الانبياء لا ينتقلون قط من حالة الا الاعلى منها لدوام ترقيهم في المقامات لعصمتهم كما مر بسطه في مبحث عصمة الانبياء فأمره الله تعالى لما اسود جسده أن يصوم ثلاثة أيام الليالي البيض فزال بكل يوم ثلث سواد بدنه وذلك وقع لكل من وقع في مخالفة الامر من بنيه بعده ولكن لا يشعر بذلك الا من كشف الله عن بصيرته وما منا الا من وقع وافى مكروه وقد وقع لشخص من تلامذة الجنيد رضي الله عنه انه نظر الى أمرد جميل فاسود وجهه في الحال حتى صار كالزفت الاسود فما زال حتى استغفر له الجنيد ثلاثة أيام ومن الحكمة في صوم هذه الثلاثة أيام أيضا ان كل شهر ورد على العبد فهو ضيف نزل به من قبل الحق جل وعلا وحق الضيف ثلاثة أيام فاذا استوفى قراه ذهب شاكرا صنيع العبد معه لله تبارك وتعالى (فان قيل) فلم خص الشارع الثلاثة المذكورة بالثالث عشر وتالييه (فالجواب) انما خصها بذلك لان من جملة اكرام الضيف تعجيل اكرامه سواء كان قبل اطالة الجلوس أو في وسط المدة أو قبل انصرافه ولذلك شرع صوم ثلاثة أيام من آخره أيضا ليفارق الشهر ذلك العبد على أثر الاكرام (فان قيل) هل تحصل السنة بصيام الثلاثة أيام متفرقة في غير الثالث عشر وتالييه (فالجواب) نعم لكن يفوته كمال السنة (فان قيل) فلم شرعت الكفارة ان جامع في نهار رمضان بشرطه (فالجواب) ان الكفارة شرعت لتكون حجابا بين العبد وبين ما عرض نفسه له من حلول البلايا وهي العقوبات بارتكاب المخالفة وأصل ذلك كله الاكل فانه لما أكل ما لا ينبغي له حجب فانتهك حرمة رمضان بالجماع فشرعت له الكفارة كما شرعت للمظاهر والقاتل والحالف فان البلاء اذا أراد أن ينزل من حضرة الاسم المنتقم مثلا يجد الكفارة قد سترت ذلك العاصي في ظل جناحها واكتنفته وصارت عليه جنة ووقاية فرجع البلاء غير نافذ كل ذلك لسبق الرحمة الغضب على من عصى الله تعالى فهذا كان سبب مشروعية الصوم فرضا ونفلا * وأما وجه تعلق مشروعية الاعتكاف عقب الصوم وكلما دخل المسجد في أي وقت شاء بالاكلة المذكورة فهو ان العبد اذا أكل حجب فغفل ونسي مراقبة الله عز وجل فوقع في المخالفات فشرع الشارع للعبد كل قليل أن يعتكف بقلبه وبدنه في بيت الله الخاص مستشعرا انه بين يدي الله تعالى ليجبر ذلك الحال الحاصل بالغفلة عن الله عز وجل المؤذنة بارخاء العنان في تناول الشهوات ولذلك حرم عليه الشارع ان يباشر امرأته أو حليلته في المسجد لاسيما حال الاعتكاف خروجا عن مقام الادلال في حضرة الحق فان الادلال فيها يجر الى المعاطب فلا يناسبها الا الخوف المحض والهيبة والاجلال لا الترفه بالجماع ومقدماته فان ذلك ينافي الادب ولو انه وقع في شيء من ذلك لتعدى حدود الله ومن هنا أوجب بعض الائمة الصوم في الاعتكاف سدا لباب الترفه جملة واحدة أدبا مع الله تعالى وقالوا لا ينبغي للمعتكف ان يعود مريضا ولا يشهد جنازة لانه في حضرة الله الكبرى والعيادة وصلاة الجنازة تفرقه وتخرجه من تلك الحضرة وتلك مقام رفيع وارفع والله أعلم وأما وجه تعلق مشروعية الحج والعمرة بالاكل من الشجرة فهو أن الله تعالى شرع الحج تكفيرا للذنوب العظام التي لا يكفرها شيء الا الحج وقد تقدم في الكلام على مشروعية الوضوء والصلاة أن الاكل مأمور شرعي تكفيرا به المنهي خاص وأصل وقوعنا في الذنوب حتى احتجنا الى المكفرات هو الاكل فلولا الاكل لما احتجنا الى مكفر وكان الحج آخر واجب على آدم من المكفرات فانه صلى الله عليه وسلم تلقى الكلمات من ربه في تلك الاماكن فتاب عليه وهدى قال ابن عباس والكلمات هي قوله ربنا

عليهم وسلم بما أعلمهم من ذلك بان (٢١٦) الرجوع اليه آخر الامر والله أعلم وقال في الباب السادس والستين وثلثمائة جملة الامور والتي ينفذ فيها حكم الحاكم ثلاثة الدماء والاعراض والاموال لا غير * وقال فيه في قوله تعالى غضب الله عليهم الآية اعلم ان غضب الله تعالى في الدنيا على عباده هو ما أمر باقامته عليهم من الحدود والتعزيرات واما غضبه في الآخرة فهو ما يقيمه من الحدود على من استوجب النار وهو تطهير الا في حق الكفار فانهم * وقال انما نهى الحاكم عن الحكم حالة الغضب لانه ربما تعدى مع اقامة الحدود التشفي من المحدود لحظ نفسه فيحرم الاجر من تلك الحيثية لان الامر لا يحتمل الشركة وعلامة الصادق في انه خارج من حظ نفسه أن يزول الغضب منه على ذلك الشخص عند الفراغ من اقامة الحد حتى ربما قام اليه وعانقه وآنسه وأظهر له السرور والبشاشة من حيث ان الله تعالى طهره قال تعالى ونبلو أخباركم فالله تعالى يبتلي عباده بما كلفهم به فاذا عملوا ذلك ابتلى أعمالهم هل عملوها بمطالب الحق أم عملوها لغير ذلك وهو قوله تعالى يوم تبلى السرائر وأطال في ذلك ثم قال وان كان ولا بد للحاكم من الفرح باقامة الحد على المحدود فليكن ذلك لما أسقطه ذلك الحد من المطالبة في الآخرة

* قال وليس عندنا في مسائل الاحكام الشرعية أصعب من الزنا خاصة فانه لو تيب عليه الحد فانه يبقى عليه بعد اقامته ظلمنا مطالبة من مظالم العباد انتهى فليتأمل ويحرر * وقال من أراد الاجر التام فلا يقدم شيئا على تلاوة القرآن لاجل سماع الملائكة السامعين

ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد تقدم في مبحث عصمة الانبياء أن ذنب آدم عليه السلام لم يكن ذنبا في الحقيقة وانما ذلك صورة ذنب ليعلم بنيه اذا وقعوا في مخالفة كيف يتوبون فلذلك أمره الحق تعالى بالحج تكفيرا لتلك الاكلة التي صورتها صورة المخالفة فافهم (فان قيل) فلم كان الحج على الناس مرة واحدة في العمر فقط ولم يتكرر كالصلاة والصوم وغيرهما (فالجواب) انما كان مرة واحدة تخفيفا من الله عز وجل علينا لضعفنا ولكثرة المشقة علينا في السفر للحج كل سنة لاسيما في حق أهل البلاد البعيدة وقالوا من ورد حضرة الله عز وجل الخاصة مرة واحدة في عمره لم تمسه النار أبدا (فان قيل) فما حكمة التجرد عن لبس المخيط (فالجواب) ذلك اشارة الى ان من أدب كل داخل للحضرة الالهية ان يدخل مفلسا متجردا عن شهود حسناته السابقة وتائبا من جميع زلاته اذ الامداد الالهية انما هي الخاصة بالفقراء والمساكين غالبا وقد أجمع أهل الله قاطبة على انه لا يصح دخول حضرة الله قط لغني ولا متكبر قال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فلما تجرد المحرمون مما ذكرنا استحقوا مواهب الله تعالى وفضله عليهم وفي الحديث من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فكأن المحرم يولد هنالك ولادة جديدة ثم لا يخفى ان سبب دعوى الغنى والتكبر انما هو الاكل فانه لما أكل تحجب فنازع الصفات الالهية في الكبرياء والعظمة ودعوى الغنى فحرم بركة امداده تعالى (فان قيل) فما وجه تعلق بعض الناس بأستار الكعبة (فالجواب) ان ذلك نظير تعلق الرجل بثوب صاحبه اذا كان بينه وبينه جناية ليصفح عنه ويسامحه والا فمن أدب الاكابر عدم التعلق بأستار بيت الله الخاص لما لا يخفى فقد كمل لآدم عليه السلام بالحج كمال مقام التوبة من أكله من الشجرة على ما قررناه وكذلك كمل لذريته بحكم التبع كمال توبتهم فمن لم يحج لم يحصل له كمال التوبة من حيث الذنوب الخاصة بالحج التي لا يكفرها الا هو كما مر في الكلام على الوضوء والصلاة وانما قلنا كمال التوبة ولم نقل لم تحصل له التوبة من أجل ان الندم وقع من آدم لما أكل من الشجرة وكذلك الحكم في كل مؤمن من ذريته لا بد من ندمه عقب المعصية أمر لازم لكل من رد اليه عقله بعد الزلة ومعلوم ان الندم هو معظم أركان التوبة لاستلزامه عادة وجود بقية الاركان وقد ورد أن آدم عليه السلام لما حج البيت قال يا رب اغفر لي ولذريتي فقال الله عز وجل أما أنت فقد غفرت لك ذنبك حين ندمت وأما بنوك فمن أتاني لا يشرك بي شيأ غفرت له ذنوبه فهذا كان أصل مشروعية الحج وتعلقه بالاكل من شجرة النهي كل حاج بما يناسبه يكفر عنه الحج ذنوبه كلها من الكبائر الى خلاف الاولى وأما وجه تعلق البيع والشراء وسائر المعاملات وتوابعها بالاكلة المذكورة فهو أن الانسان اذا أكل تحجب واذا تحجب حاف في البيع والشراء وغش وجار وظلم فشرع له البيع على الميزان الشرعي دفعا للحيف والجور فان الانسان اذا تحجب ربما أكل أموال الناس بالباطل ضرورة وشرهت نفسه وكثر ظلامه واشتدت ظلمة باطنه ومن لازم ذلك كثرة محبة الدنيا حتى انه يصير يتلقى الركبان ويبيع الناس بالربا ويمتنع من قرض المحتاجين الا ان راباهم وربما باع وندم أو اشترى وندم فشرع له الخيار وربما غصب الاموال واحتكر الطعام على الناس فجاءت الشريعة بالنهي عن الاحتكار والغصب وربما جحد البيع أو الشراء فشرع التحالف قطعا للنزاع وربما اشترى الثمرة قبل التأبير فادعاها المشتري أو اشترى عقارا فقط فادعى ما فيه من المنقولات وهكذا فشرع له أحكام باب بيع الاصول والثمار وأمر باعطاء كل ذي حق حقه على يد شهود عدول ليرجع اليهم عند التنازع كما هو الغالب على أهل الدنيا وسبب مشروعية ذلك كله انما هو الاكل فانه لما أكل تحجب عن جميع الحقوق التي ذكرناها ثم ان الشارع صلى الله عليه وسلم لما علم تحجب أمته بالاكل عن ارفاق بعضهم بعضا على حكم المسامحة اللائقة بأخوة الاسلام وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالسلم والرهن وضرب الحجر على من عليه دين للناس ولا يجد لها قضاء حتى ان المفلس لا يحبس ويحجر على السفيه حتى لا يتلف ماله في غير طريق شرعي فان الله تعالى قد جعلها له قياما وأصل وجود السفه في الانسان

فانهم لا يقدمون شيأ على سماع القرآن لانه أشرف أرزاقهم وأعلاها ومن لم يتيسر له تلاوة القرآن فليجلس لبث العلم لاجل الارواح الذين غذاؤهم العلم لكن لا يتعدى علوم القرآن قال واعلم ان جميع ما تكلم به في مجالسي وتصانيفي انما هو من حضرة القرآن وخزائنه فاني أعطيت مفاتيح الفهم فيه والامداد منه وذلك كله حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه اعلم ان حركات جميع الائمة العادلة لا تكون قط الا في حق الغير لا في حق نفوسهم بالاصالة فاذا رأيتم السلطان قد اشتغل عن مصالح رعيته وما يحتاجون اليه فاعلموا انه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل ولا فرق حينئذ بينه وبين العامة وتأملوا قصة موسى لما خرج لحاجة أهله كلمه الله في عين حاجته وهي النار وكذلك الخضر بعثه أمير الجيش الذي كان فيه يرتاد له ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها فعاش الى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة فهذا مما أنتجه سعيه في حق الغير قال ولقد لقيت الخضر باشبيلية وأفادني التسليم لمقالات الشيوخ وأن لا أنازعهم وان كانوا مخطئين في نفس الامر (وقال) في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا مراده بهؤلاء الذين أيههم باسم الايمان هم الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله كما قال تعالى وان يشرك به تؤمنوا فسمى المشرك مؤمنا وأطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة اجتمعت روحي بعيسى عليه السلام في السماء الثانية وتبت على يديه

اعتادوه من الاكل وكذلك وسع صلى الله عليه وسلم على الناس بالعارية والوديعة والشركة والوكالة والشفعة والحوالة وأمرهم ان يقرروا بعضا عليهم من الحقوق في هذه الدار قبل الدار الآخرة وأصل ذلك كله حاجاتهم بالاكل من شهود مصالحهم ومصالح اخوانهم وكذلك شرع لامته أن يعينوا بعضهم بعضا ويصالحوا ببعض ديونهم اذا عجز المديون عن الوفاء وكذلك نفس صلى الله عليه وسلم عن أمته بالمساقاة والقراض والاجارة ووسع عليهم في احياء الموات وأمرهم برد اللقطة واللقيط واعطاء الجعالة من رد الآبق لما عجزوا عن فعل ذلك مع اخوانهم وأصل حاجاتهم الاكل فلولا الاكل لكان الناس كلهم يتعاونون على البر والتقوى من غير مخالفة فيكونون كالملائكة لا يتصرفون قط الا في خير ولا يقعون في شر البتة وتأمل الملائكة تجدهم منزهين عن الوقوع في شئ من هذه الامور لعدم حاجاتهم وأما الهبة والهدايا والوقف فانما شرع ذلك شكرا للنعمة الحاصلة بالبيع والشراء فهي نوع آخر معدود من مكارم الاخلاق وانما كان الوقف لا يصح الا على التأبيد مبالغة في دوام المعروف والصدقة بعد الموت وجبرا للخلل الواقع من صاحب المال طول مدة كون المال في يده فلو كان كل من وجده محتاجا أعطاه حاجته أولا فأولا ما شدد عليه في تأبيد الوقف وكان يكفيه أن يقدر له مدة معلومة انتهى (فان قيل) فما وجه تعلق باب الفرائض وبيان قسمتها بالاكل من الشجرة (فالجواب) ان وجهه انه لما أكل حجب فشرهت نفسه عن أن يعطى غيره من مال مورثه شيأ فعدل الله تعالى لكل وارث نصيبا مفروضا دفعا للفساد وكانت الوصية في مرض الموت أو غيره كالنافلة مع الفريضة لتجبر خلل ما أخل به من المعروف مدة عمره ولذلك ورد أفضل الصدقة أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تؤمل البقاء وتخاف الفقر وليست الصدقة اذا بلغت الروح الحلقوم فقلت لفلان كذا ولفلان كذا الحديث بالمعنى في بعضه أى فان ذلك قليل الثواب بالنسبة لصدقة الانسان حال صحته فالحمد لله رب العالمين فهذا كان سبب مشروعية ربع البيع كله وتعلقه بالاكلة المذكورة والله أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية النكاح وتوابعه بالاكلة المذكورة فظاهر وذلك ان شهوة النكاح ما نشأت الا من الاكل فلولا الاكل لما وجد في الناس شهوة وكان الناس كالملائكة وانما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالنكاح وقال شراركم عزابكم ولم يكتف فيه بالوازع الطبيعي شفقة علينا وتقوية لقلب من يستحي من فعل ذلك بل أكثر الناس يستحيون من ذكره فضلا عن فعله وأيضا فانما أمرنا بالنكاح لنكون بذلك تحت طاعة الشارع وممتثلين لامره لا تحت طاعة نفوسنا فنثاب بذلك بل بعض الاولياء ربما يحضر مع الله تعالى في حال جماعه كما يحضر معه في حال صلاته من حيث جامع المشروعية من كل منهما وأيضا فان حثه صلى الله عليه وسلم لنا على التزويج يورث الاكثار منه فيكثر بذلك نسلنا فيزداد من يستغفر لنا ولتكون أعمالهم الصالحة من جملة حسناتنا فانا كنا محلا لوجودهم فيناونا وليس علينا من أوزارهم شئ كما انه ليس على آدم عليه السلام من أوزار أولاده المخالفين لامر الله عز وجل شئ ونرجو من فضل ربنا قبول استغفار ذريتنا لنا وأن يعفو عنا ربنا ويصلح بذلك حالنا هذا هو الاصل في الغرض بالنكاح * وأما حكم دفع شهوة الزنا ومقدماته فانما ذلك بحكم التبع لتلك المنافع الحاملة لنا على أولادنا * وأما وجه تعلق محرمات النكاح بالنسب والمصاهرة بالاكلة المذكورة فهو ان العبد لما أكل ما لا ينبغي أظلم قلبه فقل حياؤه فربما اشتهى وطء محارمه فحرم الله تعالى عليه ما حرمه من المحارم ومن النساء من لا كتاب لهن من المشركين ولولا بيان الشارع لنا صلى الله عليه وسلم لذلك لنكحنا محارمنا * وأما وجه تعلق باب الخيار والاعفاف ونكاح العبد بالاكلة من الشجرة فلان نفرة أحد الزوجين من الآخر بعادة من العاهات انما سببها الشهوة الطبيعية الناشئة من الاكل فلولا الاكل ما حصل لاحدهما جنون ولا جذام ولا برص ولا عنة ولا نفر من الرتقاء ولا القرناء كما لا ينفر منها الملائكة لعدم الشهوة الى وطئها وكذلك لولا حجابه بالاكل ما خفي عليه وجوب اعفاف والده اذا تاقت نفسه الى النكاح ولا كان امتنع من تزويج عبده مع استخدامه

وكان له بي عناية عظيمة فهو لا يغفل (٢١٨) عن تربيتي الى الآن وأطال في ذكر ما وقع له معه وكذلك الانبياء الذين في السموات ثم قال ولما اجتمعت بابراهيم عليه السلام قلت يا أبت لم قلت بل فعله كبيرهم قال لانهم قائلون بكبرياء الحق على آلهتهم التي اتخذوها فقلت له فما اشارتك بقولك هذا فقال لى أنت تعلمه فقلت له انى أعلم أن الاشارة ابتداء وخبره محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسئلوهم اقامة الحجة عليهم منهم فقال لى عليه السلام ما زدت على ما كان الامر عليه فقلت له فما قولك في الانوار الثلاثة يعني الكوكب والقمر والشمس أكان ذلك عن اعتقاد فقال لا انما كان عن تعريف اقامة الحجة على القوم ألا ترى الى قول الحق تعالى في كتابكم وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه وما كان اعتقاد القوم في الاله الا أنه نمرود بن كنعان لا تلك الانوار قال ولم يكن القوم يعتقدون في النمرود انه الاله الحق لانهم انما كانوا يعبدون الآلهة التي نحتوها وأطال في ذلك بكلام دقيق فليتأمل ويحرر (وقال) في الباب الثامن والستين وثلثمائة في قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اعلم ان جماعة من أهل الله غلطوا في هذا الحق المخلوق به وجعلوه عينا موجودة والحق ان الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى في تمام الآية تعالى عما يشركون من أجل الباء فمعنى بالحق أى للحق فالباء هنا هى بمعنى اللام في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال وايضاح ذلك ان الحق تعالى لا يخلق شيأ بشئ وانما يخلق شيأ عند شئ وكل باء تقتضي الاستعانة والسببية فهى لام فما خلق الله

فى مهماته ايلا وثم ارا * وأما وجه تعلق هذا بالاصهار قبل التزويج ووزن الصداق بالا كلة المذكورة فانما شرع ذلك استجلابا للميل لخاطر الولى والزوجة لى اجابة الخاطب فان خاطر الولى والمرأة اذا كان مائلا الى الزوج بالمحبة أسرع بالحمل وجاء الولد نجيبا وكثر النسل لعدم الامر المنغص للخاطر من كراهة المرأة وأهلها للزوج وأصل وقوع المنغصات كلها من الاكل فانه اذا أكل حجب واذا حجب عمى عن اكرام أصهاره ومن أمره الله تعالى به والاثم من المسلمين وكذلك القول فى سبب مشروعية القسم والنشوز ووجود الشقاق بين الزوجين أصله كله الاكل فلولا الاكل لما حجب الزوج ولما حاف ولما ظلم ولكان يعدل بين زوجاته لانتفاء الاغراض النفسانية حينئذ وكذلك لولا الاكل لما أخلت المرأة بحق زوجها ولما كفرت نعمته ولو أن الزوجين أكلا ما ينبغى لم يقع منهما حيف ولا جور كما هو شأن الانبياء والاولياء * وأما وجه تعلق الخلع والطلاق والرجعة والايلاء والظهار بالا كلة المذكورة فسببه أيضا الاكل وذلك انه اذا شبع من الحلال فضلا عن الحرام وبطرجاعت جوارحه فخاصم وفجر وكان من أقرب الناس اليه فى ذلك زوجته فاحوجها لغيرها بالاضرار والسرارى حتى سألته الطلاق بعوض منه التسريح من سوء خلقه فخلعها أو طلقها وابتداء من غير عذر بطرا وطلب أن يتزوج أجمل منها وحلف ان لا يطأها فاذر منه ثم اذا راقت نفسه من ذلك التكدير والخصام ربما طلب مراجعتها أو لم يطلب وكانت العدة والاستبراء والرضاع من توابع النكاح عند حصول فراق أو طلاق أو زوال فراش أو وجود ولد رضيع ذكر أو أنثى أو موت فبين لنا الشرع حدود ذلك كله حتى لا يتزوج لولده من هو أحق به ولئلا يتزوج الانسان أخته من الرضاع ويشح على المرضعة باجرتها كل ذلك لحجابه بالاكل * وأما وجه مشروعية نفقة الزوجة والاولاد والوالدين فانما كان ذلك لحجابنا بالاكل فانا لما أكلنا حجبنا عن تأدية حقوق زوجاتنا وأولادنا ووالدينا وأقاربنا ورقيقنا وبهائمنا وغفلنا عن تأدية حقوقهم العقاب الحاصل لنا من الاكل فلولا الحجاب ما احتجنا الى أن نؤمر بذلك لعلمنا حق الوالدين وبيان فضل صلة رحمهم ومن ألحق بهم من القرائب ويزيد الوالدان فى الحق علينا لكونهما كانا سببا فى ايجادنا مع تحملهما همومنا وغمومنا وخدمتنا فى حال طفوليتنا وشبابنا ورجوليتنا وفى حال صحتنا ومرضنا * وأما وجه نفقة رقيقنا وبهائمنا فمكافأة لهم على خدمتهم لنا وصبرهم على تحجيرنا عليهم لئلا وثم سار فى شئ لا يستطيع أحدنا الاقامة عليه * وأما البهائم فلكثرة نفعها لنا بالحرث والدراس والطحن وحملنا وأمتعتنا الى البلاد البعيدة التى لا يستطيع أحدنا أن يمشى اليها بنفسه فضلا عن حملنا أمتعتنا عليها وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم ان أصل حجابنا عن تأدية جميع هذه الحقوق انما هو الاكل والله تعالى أعلم * وأما وجه تعلق مشروعية جميع الحدود بالا كلة المذكورة وما يذكر معها فهو ظاهر فان الانسان اذا أكل الشهوات ربما فسق وتعدى حدود الله تعالى فقتل النفس بغير حق وقطع العضو أو جرحه أو شج الرأس وقلع العين وكسر السن والظلم وسرق أمتعة الناس وقطع الطريق وشرب الخمر وزنى وقذف الناس بالباطل وصال على البضع والمال وجار فى القسمة ولم يقر بما جناه فأحوج الناس الى أن تحلف الناس خمسين يمينا وصار يحلف الايمان الكاذبة ويكثر من الصادقة وبخل بالطعام والمال على المحتاجين ولم تسمح نفسه أن يعطيه لاحد من عباد الله الا ان شفى الله تعالى مريضه أو رد ضالته أو أخذ بيده فى الشدائد فلذلك عاهد الله بالنذر حتى قدر على نفسه انما تسمح به كل ذلك لعظم محبته ورغبته فى الدنيا الناشئ ذلك كله من حجاب الاكل ولو انه ترك الاكل جملة أو جاع وأكل سد الرمق أو الاكل الشرعى لضعفت جوارحه عن تعدى هذه الحدود التى قدمناها كلها بل ربما يكاسمه أخوه اذا جاع فيثقل عليه الكلام ولا يرد عليه الا بتكلف من شدة الجوع وكذلك لولا الاكل ما حجب العبد حتى ادعى الدعاوى الباطلة التى يقول الله له فيها كذبت ولا تحمل الشهادة على غير علم ولا قضى بين الناس بغير علم ولو أنه كان لا يأكل طعاما أو أكل الاكل المشروع فقطعا

أصحابنا فى هذا النوع هل ينقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا فمن لم يكشف قال بانتهائه ومن كشف قال بعدم انتهائه وان التوالد فى النوع الانسانى باق فى الجنة وأطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أى فمالكم يا محجوبون لا تعلمون ما نحدثكم به فان الشرع كله حديث وخبر الهى بما يقبله الوهم والعقل ويا علماء بالله فما تعلمون وقد علمتم ان حدث عندكم فما هو حديث العين قال الله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وما هو الا كلام الله الازلى فحدث علمه عندهم حين سمعوه فهو محدث الاتيان قديم العين كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم أنه كان موجودا قبل أن يأتى وقد جاء القرآن فى مواد حادثة تعلق السمع بها وكذلك الفهم تعلق بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه والقدم من وجه وأطال فى ذلك * وقال لا يطالب العبد بان يعرف حقيقة نسبة أخبار الصفات الى الله عز وجل وكل من أولها حرم رؤية الحق يوم القيامة حين يقع التجلى فما أعظمها من حسرة * وقال ليس فى الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وان كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس وأطال فى ذلك فليتأمل ويحرر * وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكن بسر وقر فى صدره اعلم ان الاشارة بهذا السر والله أعلم الى ما وقع له رضى الله عنه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما وقع منه شيء من ذلك فلذلك أمر الله تعالى أصحاب هذه الصفات أن ينقادوا لأصحاب الحقوق ليقتصوا منهم ويقام عليهم هذه الحدود حفظا للنظام الوجود عن الفساد الحاصل بالاكل وانما شرع في بعض الحدود الكفارة بعتق أو اطعام أو كسوة أو صوم لزيادة القبح في ذلك الذنب ولتكون الكفارة حجابا مانعا من وقوع البلاء على ذلك العاصي كما مرت الاشارة اليه في الكلام على صوم رمضان والله أعلم (وأما وجه تعلق عتق الرقبة وكتابته وتدبيره وتحريم بيع أمهات الاولاد بالاكلة المذكورة) فهو أن سبب العتق والكتابة والتدبير مقابلة العبد بنظير ما فعل مع سيده من الخدمة ولولا أن الشارع أمر السيد بذلك لما اهتدى لتلك المقابلة لحجابه بالاكل عن ادراك قبح تحصل من الخلائق اذ ملكه للعبد ليس ملكا حقيقيا وانما المالك فيه لله رب العالمين ولو ان الله عز وجل جعل الرقيق خفيف العقل ما دخله تحت تحجير عبد آخر فكان حكم العبد مع سيده كحكم الطفل في بدايته لولا اضاعت مصالحه فافهم ويؤيد ما قلناه حديث اخوانكم خولكم أطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان كلفتموهم فأعينوهم ❊ وأما وجه تعلق مشروعية تحريم بيع أمهات الاولاد بالاكلة المذكورة فهو أن السيد لما أكل ما لا ينبغي حجب ونسي حقوق أم ولده عليه حين كانت له فراشا مع ان ماءها اختلط بمائه في الولد فكان عتقها كفارة لذلك الجهل الحاصل بحجاب الاكل والله أعلم ❊ وأما وجه تعلق مشروعية نصب الامام الاعظم وسائر نوابه بالاكلة المذكورة من الشجرة فظاهر فانه لولا الامام الاعظم ونوابه ما نفذ شيء من الاحكام ولا أقيم شيء من الحدود ولا قام لدين الاسلام شعار وكان يفسد نظام العالم كما هو أصل الاحلال بذلك كله حجاب الخلق بالاكل فلولا الاكل ما تعدى أحد حدود الله ولا احتاج الناس الى امام ولا حاكم ولا قاض وكان الانسان يعطي الحقوق التي عليه لاربابها قبل المطالبة كما عليه طائفة الاولياء الذين كشف الله حجابهم لكن لما كان الخلق كلهم لا يقدرون على المشي على الطريقة المذكورة احتاجوا ضرورة الى الحاكم ليحموا نفوسهم وأموالهم وحريمهم من الفسقة والمتمردين وأيضا فلولا الامام الاعظم ونوابه ما انتظم لبيت المال حال ولا قدر أحد على تخليص خراج يصرف على عساكر الاسلام فكانت تضيع مصالح الخلق أجمعين فالحمد لله رب العالمين فهذا ما حضرني الآن في حكمة وجود التكاليف التي جاءت بها الشرائع كلها والله تعالى أعلم

❊(المبحث الثاني والاربعون في بيان ان الولاية وان جلت مرتبتها وعظمت فهي آخذة عن النبوة شهودا ووجودا)❊

فلا تكون نهاية الولاية بداية النبوة أبدا ولو ان وليا تقدم الى العين التي يأخذ منها الانبياء لاحترق وغاية أمر الاولياء انهم يتعبدون بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم قبل الفتح عليهم وبعده ومتى ما خرجوا عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم هلكوا وانقطع عنهم الامداد فلا يمكنهم أن يستقلوا بالاخذ عن الله أبدا وقد تقدم في المباحث السابقة ان جميع الانبياء والاولياء مستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعبد قبل رسالته بشريعة ابراهيم عليه السلام أو غيره على خلاف في ذلك فلما جاءه الوحي انقطع عن ذلك التعبد واتبع ما أوحي به اليه وكذلك القول في الولي غايته الالهام الموافق لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد الفتح فلا يعمل به مستقلا لان نبوة التشريع قد انقطعت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير ملك الالهام يفهم ذلك الولي شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويطلعه على أسرارها حتى كانه أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فاذا صح للولي قدم الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطة فهناك يصح أن يرشد الامة المحمدية ويتصدر لدعائهم الى الله عز وجل بحكم النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني الآية فقد بان لك ان الولاية لا تلحق النبوة أبدا ومن قال من العارفين ان مقام الولاية أكمل وأتم من مقام الرسالة فمراده كما قاله الشيخ محيي الدين

من الثبات حين اضطرب عقول الصحابة ذلك اليوم وقال لا يمكن ان يسمع حتى شهد على نفسه ذلك اليوم بقصوره وأبو بكر رضي الله عنه لم يتغير عليه حال بل صعد المنبر وقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتراجع من كان حكم عليه وهمه من الناس وعرف الناس فضل أبي بكر على الجماعة فاستحق الامامة والتقدم وما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته الا من جهل منه السر الذي وقر في صدره أو من كان في محل نظر من ذلك أوّلا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره ولم يظهر حكم ذلك السر الا يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصل ثبات أبي بكر وصوله الى مقام شهد فيه ان موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وانه محل لجريان أحكام الربوبية عليه وهناك تجرد أبو بكر بقلبه الى جانب الحق وتوكل على الله وحده ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر قلبه مع الله بالاعتماد عليه وحده دون غيره وانه صار يترقب لما يوحي الله به اليه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل خطاب سمعه منه قال في حقه ما قال (قلت) ومن هنا جعل القوم حال أبي بكر المذكور ميزانا لكمال المريد وأنه متى صار يرى شيخه علا لجريان الاقدار وان الامر كله لله وصار لا يتأثر لفقد شيخه اذا فقد بموت أو سفر بعيد كل ذلك التأثر فقد كمل حاله واستحق الفطام وأطال في ذلك وتقدم في الباب الثالث وثلثمائة الكلام على حكمة ترتيب ولاية الخلفاء الاربعة فراجعه ❊ وقال فيه من قال ان الحق تعالى يحل في الصور فهو أعمى

في الفتوحات ان مقام ولاية النبي في نفسه أتم وأكمل من مقام رسالته وذلك اشرف المتعلق ودوامه فان الولاية يتعلق حكمها بالله تعالى وانها الدوام في الدنيا والآخرة والرسالة يتعلق حكمها بالخلق وينقطع بزوال زمن التكليف فليس مراد احد من القوم بما قالوه نصب الخلاف بين مطلق الولاية ورسالة الانبياء فان هذا لا يقوله الا الجاهلون بالله تعالى الذين لم يقربوا من حضرته ولم يعرفوا أهلها وحاشا الاولياء من ذلك * وقد سئل بعضهم عن ولاية غير النبي هل يصح انها تفضل ولاية نبي فقال لم يرد لنا في ذلك شيء والذي نميل اليه ان ولاية كل نبي فاضلة على ولاية أعظم الاولياء وهو الذي يليق بمقامهم لان الولاية آخذة عن النبوة كما مر * واعلم ان من جملة ما أشيع عن الشيخ محيي الدين انه يقول مقام الولاية أتم من مقام الرسالة على الاطلاق والشيخ رضي الله عنه بريء من ذلك فقد قال في الباب الرابع عشر من الفتوحات اعلم ان الحق تعالى قصم ظهور الاولياء بانقطاع النبوة والرسالة بعد موت محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لفقدهم الوحي الرباني الذي هو قوت أرواحهم ولو أن أحدا من الاولياء كان في مقام نبي فضلا عن كونه قد فضله ما قصم ظهره ولا احتاج الى وحي على لسان غيره وانما غاية ما لطف الله تعالى بالاولياء انه أبقى عليهم وحي المبشرات في المنام ليستأنسوا برائحة الوحي اهـ * وقال أيضا في الكلام على التشهد من الفتوحات اعلم ان الله تعالى قد سد باب الرسالة عن كل مخلوق بعد محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة وانه لا مناسبة بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم لكونه في مرتبة لا ينبغي أن تكون لنا اهـ * وقال في شرحه لترجمان الاشواق اعلم ان مقام النبي ممنوع لنا دخوله وغاية معرفتنا به من طريق الارث النظر اليه كما ينظر من هو في أسفل الجنة الى من هو في أعلى عليين وكما ينظر أهل الارض الى كواكب السماء وقد بلغنا عن الشيخ أبي يزيد انه فتح له من مقام النبوة قدر خرم ابرة تجليا لا دخولا فكاد أن يحترق * وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة من الفتوحات اعلم انه لا ذوق لنا في مقام النبوة لنتكلم عليه وانما نتكلم على ذلك بقدر ما أعطينا من مقام الارث فقط لانه لا يصح لاحد منا دخول مقام النبوة وانما نراه كالنجوم على الماء * وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة لقد أعطيت من مقام العبودية التي اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدار الشعرة الواحدة من جلد الثور فما استطعت القيام به اهـ فهذه نصوص الشيخ محيي الدين رحمه الله تكذب من افترى عليه أنه يقول الولاية أعظم من النبوة والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والاربعون في بيان ان أفضل الاولياء المحمديين بعد الانبياء والمرسلين أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين)

وهذا الترتيب بين هؤلاء الاربعة الخلفاء قطعي عند الشيخ أبي الحسن الاشعري ظني عند القاضي أبي بكر الباقلاني ومما تشبث به الروافض في تقديمهم علي رضي الله عنه على أبي بكر رضي الله عنه حديث أنه صلى الله عليه وسلم أتي بطير مشوي فقال اللهم ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطير فأتاه علي رضي الله عنه وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وأفرد له الحافظ الذهبي جزأ وقال ان طرقه كلها باطلة واعترض الناس على الحاكم حيث أدخله في المستدرك ودليل أهل السنة في تفضيل أبي بكر على علي رضي الله عنهما الحديث الصحيح ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وهو نص صريح في أنه أفضلهم وفي البخاري عن ابن عمر قال كنا نقول خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ولا ينكر ذلك علينا * وقال الشيخ أبو الحسن الاشعري ومما فضل به أبو بكر رضي الله عنه انه ما زال بعين الرضا من الله عز وجل أي بحالة غير مغضوب فيها عليه اذ لم يثبت عنه حالة كفر كما ثبت عن غيره ممن آمن وان لم يكن موصوفا بالايمان قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم اذ حكم السعادة ترجع حكم التوحيد لا مع الايمان اذ متعلق الايمان انما هو الخبر الذي جاء به الصادق عن الله عز وجل ولا خبر ولا كتاب في زمن الفترة التي قبل

البصر والبصيرة لان غاية الناس مرتبة الاحسان ثم الايقان المشار اليها بقوله اعبد الله كانك (٢٢١) تراه فنه له في خير الناس ثيابا ولم يحجر الشارع علينا الا أن نجعل معبودنا محسوسا كالاصنام لا أن نتخيل له صورة فان الشارع يعلم ان مرتبة الخيال أن يجسد ويصور ما ليس بجسد ولا صورة وهذا من رحمة الله بنا التي وسعت كل شيء ومن شك في قولنا فليتخيل الحق في حال مناجاته في الصلاة خلفه كما هو امامه فانه لا يقدر هذا حكم الوهم وأما من حيث الايمان بالله فانه تعالى لا يتحيز وليس هو في جهة فاعلم ذلك * وقال لما سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخيل اليه انه يأتي نساءه وهو لم يأتهن فأتاهن في الخيال ولم يأتهن في الحس ومن هنا قالوا ان السحر له وجه الى الحق ووجه الى الباطل اذ هو مشتق من السحر الذي هو اختلاط الضوء والظلمة من غير تخلص لاحد الجانبين قال ومن أراد ابطال السحر فلينظر الى ما عقد الساحر فيعطي لكل عقدة كلمة تحلها بها كانت ما كانت فان نقص عنها الكلمات بقي عليه من العقد شيء ضرورة فلا يزول السحر الا بحل جميع العقد والسلام قال وهذا من العلوم الالهية فان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان روح القدس نفث في روعي ولا يكون النفث الا بريح بريق لا بد من ذلك حتى يعلم بخلاف النفخ فانه ريح مجرد وأطال في ذلك بذكر غرائب * وقال انما كان حديث النفس مغفورا ما لم تعمل او تتكلم لان الكلام عمل فيؤاخذ العبد به من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فانه يؤاخذ بحسب ما يؤدي اليه ذلك اللفظ وان كان تلفظ به وله عمل زائد على التلفظ به فلم يعمل به فلا عليه

النبوة حتى يتعلق به ايمان أبي بكر رضي الله عنه أو ايمان غيره فعلم حينئذ قولهم ان أبا بكر ما زال بعين الرضا
قد أطبق السلف الصالح من الصحابة والتابعين على احترام هؤلاء الاربعة الخلفاء عند الله وتفضيلهم على هذا
الترتيب الذي ذكرنا فالصحابة لانهم شاهدوا فضل أبي بكر بقرائن الاحوال المقترنة بقوله صلى الله عليه
وسلم وبفعله المنبئين عن الافضلية عند الله تعالى وأما التابعون فلانهم خير القرون بعد الصحابة ولانهم أعرف
بمقادير الصحابة في أبي بكر وغيره * قال العلماء وانما كان أبو بكر يدعى بخليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانه خليفته في أمر الرعية واستخلافه للصلاة بالناس في مرض موته صلى الله عليه وسلم فأبو بكر أفضل
الاولياء المحمديين وقالت الشيعة وكثير من المعتزلة الافضل بعد النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ودخل في قولنا ان أبا بكر أفضل الاولياء المحمديين أولياء الامم السالفة فأبو بكر أفضل منهم بناء
على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم في حق من تقدمه وفي حق من تأخر عنه بالزمان وخرج بقولنا في الترجمة
بعد الانبياء والمرسلين يعني الاحياء والاموات غير عيسى عليه السلام فانه أفضل من أبي بكر بيقين وكذلك
خرج الخضر عليه السلام فان مقامه برزخي بين الولاية والنبوة كما ذكره الشيخ في الفتوحات وعبارته ومقام
الخضر عليه السلام دون النبوة وفوق الصديقية كما أخبرنا بذلك عليه السلام عن نفسه مشافهة قال ويسمى
مقام القربة وأنكر الامام الغزالي هذا المقام اه * (قلت) وذكر النووي في تهذيب الاسماء واللغات
ان مذهب الخضر عليه السلام نبي وانما اختلف في رسالته وشذ بعض الصوفية فقال بولايته اه والله أعلم
وعبارة الشيخ في الباب الثالث والتسعين من الفتوحات اعلم انه ليس في أمة محمد صلى الله عليه وسلم
من هو أفضل من أبي بكر غير عيسى عليه السلام وذلك انه اذا نزل بين يدي الساعة لا يحكم الا بشرع محمد صلى
الله عليه وسلم فيكون له يوم القيامة حشران حشر في زمرة الرسالة بلواء الرسالة وحشر في زمرة الاولياء بلواء
الولاية اه * وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته الذي يتعين ان عيسى عليه السلام لا يعد من
أمة محمد صلى الله عليه وسلم لانه غير داخل في دعوته فلم يكن من أمة الدعوة ولا من أمة الملة اه وقال الشيخ تقي
الدين بن أبي المنصور في عقيدته ونعتقد ان أبا بكر رضي الله عنه أفضل من سائر الامة المحمدية وسائر أمم
الانبياء وصحابتهم لانه كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالصديقية لزوم الظل للشاخص حتى في
ميثاق الانبياء ولذلك كان أول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال الشيخ في الباب الثالث
وثلثمائة من الفتوحات اعلم ان السر الذي وقر في صدر أبي بكر رضي الله عنه وفضل به على غيره هو القوة
التي ظهرت فيه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت له كالمعجزة في الدلالة على دعوى الرسالة
وقوي حين ذلت الجماعة لانه لا يكون صاحب التقدم والامامة الا صاحيا غير سكران فكان رضي الله عنه هو
الحقيق بالتقدم ولا يقدح في كماله واستحقاقه الخلافة كراهية بعض الناس فان ذلك مقام الهي قال تعالى ولله
يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها فاذا كان بعض الناس يسجد لمن بيده ملكوت السموات والارض
كرها لا طوعا فكيف بحال أبي بكر أو غيره فعلم انه لا بد من طائع وكاره ولو كان يدخل في الامر على كره لاجل
شبهة تقوم عنده اذا كان ذا دين وكل الصحابة كذلك فيتقدم بعضهم على بعض كما وقع به الترتيب في خلافتهم
لا بد منه لكونه سبق ذلك في حكم الله وأما من حيث قطعنا بتفضيل بعضهم على بعض فذلك مصروف الى الله
تعالى فهو العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه وتعالى بما في نفسه من ذلك فالله تعالى يحفظنا من الفضول
ومن مخالفة أهل السنة والجماعة آمين * وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور وكان ترتيب الخلفاء
الاربعة كما ذكرنا منبهنا الترتيب الحكمة وسر كمال دائرة الامة * وقال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في
حاشيته اعلم ان الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم
أجمعين والادلة على ذلك من السنة كثيرة ففاتر دلالة مجموعها على تقديم أبي بكر حتى يظهر ذلك للواقف

الاوزرعين ما ائتمنا به فهو مسؤل عند الله من حيث انه قال ولا يدخل الهم بالشيء في حديث النفس كما توهم اذا الهم بالشيء له حكم
آخر في الشرع بخلاف حديث
النفس ولذلك من كان
يريد في الحرم المكي الحادا بظلم
يذيقه الله من عذاب أليم سواء
وقع منه ذلك الظلم أو لم يقع
وأما في غير الحرم المكي فانه
غير مؤاخذ بالهم وان لم يفعل
ما هم به كتبت له حسنة اذا
ترك ذلك من أجل الله خاصة
فان لم يتركها من أجل الله لم
يكتب له ولا عليه فهذا الفرق
بين الحديث النفسي والارادة
التي هي الهم (قلت) وسيأتي
ان شاء الله تعالى في الباب
الثاني والعشرين وأربعمائة
قول الشيخ اعلم ان الله تعالى
قد عفا عن جميع الخواطر
التي لا تستقر عندنا الا بمكة
لان الشرع قد ورد أن الله
تعالى يؤاخذ فيه من يريد
فيه بالحاد بظلم وهذا كان
سبب سكنى عبد الله بن عباس
بالطائف احتياطا لنفسه فانه
ليس في قوة الانسان ان يمنع
عن قلبه الخواطر فمن لم يخطر
له الحق تعالى خاطر سوء
فذلك هو المحفوظ وممن انا
بذلك قال وقد أخبرني سليمان
الدنبلي على وجه التحدث
بالنعم أنه له منذ خمسين سنة
ما أخطر الحق تعالى في قلبه
خاطر سوء انتهى قال وانما
نكر تعالى الظلم بقوله بظلم
ليجتنب من سكن مكة جميع
الظلم من كبير وصغير والله
أعلم * وقال في حديث
انصر أخاك ظالما أو مظلوما ان نصرة المظلوم معلومة عند الجميع وأما نصرة الظالم فأن تنصره على ابليس الذي يوسوس في صدره علما
بما يقع منه في الظالم بالكلام الذي تستحليه النفوس وتنقاد اليه فتعينه على رد ما وسوس اليه الشيطان من ذلك فهذه نصرته اذا كان ظالما وكذا

عليها كغلق الصبح وكانت امارة عثمان بالعهد من عمر أن يكون الامر شورى بين ستة يختار خمسة منهم السادس ليكون خليفة فوقع الاختيار على عثمان والوفاق على امارته وكانت امارة على رضى الله عنه باجتماع كبراء المهاجرين والانصار واتماسهم منه قبول مبايعتهم اياه فبايعوه رضى الله عنهم اهـ كما قال الشيخ كمال الدين رحمه الله تعالى * وقال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة مما يدل على فضل أبي بكر رضى الله عنه على غيره كونه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم كالمريد الصادق اذا كمل فتحه مع شيخه وبذلك استحق الخلافة فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تجرد أبو بكر الى جانب الحق جل وعلا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا مخلصا ليس له مع الله تعالى حركة ولا سكون الا باذن من الله تعالى * وقال أبو السعود بن الشبلي رحمه الله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صار أبو بكر متعهدا على الله تعالى دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يأخذ كل شئ يأتيه من الاحكام من الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتأثر كل ذلك التأثر كما وقع لغيره فانه ما من أحد من الصحابة الا واضطرب ذلك اليوم وقال ما لا ينبغي سماعه وشهد على نفسه في ذلك اليوم بقصوره وعدم معرفته بحال رسوله الذي اتبعه وأما أبو بكر فكان يعلم حقائق الامور ولذلك صعد المنبر وقرأ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فتراجع من كان حكم عليه وهمه وعرف الناس حينئذ فضله على الجماعة حينئذ فاستحق الامامة والتقدم فما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته الا من جهل منه ما كان يجهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من كان في محل نظر من ذلك أومنا ولا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره فظهر حكم ذلك السر يوم موته صلى الله عليه وسلم وليس السر الا ما ذكرناه من استيفائه مقام العبودية بحيث انه لم يخل منه بشئ في حقه ولا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم من أبي بكر انه صار مع الله لا مع رسوله صلى الله عليه وسلم الا بحكم انه كان يرى ما يخاطبه به الحق تعالى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في كل خطاب سمعه منه وكان لابي بكر ميزان في نفسه يعلم ما يقبل من خطابه في حقه وما لا يقبل * قال الشيخ محيي الدين وقد تحققت بمقام العبودية الصرف الخالصة وبلغت فيه الغاية فانا العبد المحض الخالص الذي لا يشوبني شئ من دعوى الربوبية على شئ من العالم قال ولا أعلم أحدا ممن تقدمني بالزمان ورث مقام العبودية على التمام كما ورثته الا ما بلغني عن رجل من رجال رسالة القشيري انه قال لو اجتمع الناس على ان ينزلوا نفسي منزلتها التي هي عليها من الخسة والتواضع لم يستطيعوا ذلك وان كان الناس يستفيدون مني العلوم فانا في نفسي عن ذلك بمعزل انتهى (فان قلت) فما حقيقة الصديقية (فالجواب) كما قاله الشيخ في كتاب لواقح الانوار أن الصديقية عبارة عن ايمان صاحبها بجميع ما أخبر به الرسل فتصديقه لذلك هو صديقيته (فان قلت) فهل في الصديقية تفاضل (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين انه لا تفاضل في الصديقية لانها كلها حقيقة واحدة فاذا رأيت بين الصديقين تفاضلا فليس هو من باب الصديقية وانما هو من باب آخر وسر آخر كالذي وقر في قلب أبي بكر ففضل به على جميع الصديقين لا بنفس الصديقية كما مر * وقال في الباب التاسع وثلثمائة اعلم ان رأس الاولياء الملامية هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه (فان قلت) ما المراد بالملامية (فالجواب) هم قوم لا يزيدون على الصلوات الخمس الا الرواتب ولا يتميزون عن المؤمنين المؤدين فرائض الله تعالى بحالة زائدة يمشون في الاسواق ويتكلمون مع الناس لا يتميزون عن العامة بعبادة ظاهرة قد انفردوا بقلوبهم مع الله تعالى راسخون في العلم وفي العبودية لا يتزلزلون عنها طرفة عين فهم لا يعرفون للرياسة طعما لاستيلاء سلطان الربوبية على قلوبهم ولتحقق الامام أبي بكر رضى الله عنه بمقام العبودية لم ينقل عنه ما نقل عن غيره من الاكثار من نوافل العبادات لكثرة ما كان يخفى من أحواله

جاء الخبر في نصرة الظالم ان تأخذ على يديه والمراد به ما ذكرناه فلا بد ان تكون النصرة واردة على شئ فافهم * وقال الشهادة بالوحي أتم من الشهادة بالمعاينة كشهادة خزيمة في قصة بيع الجمل فانه لم يكن حاضرا وانما قال أشهد بتصديقك يا رسول الله فحكم صلى الله عليه وسلم بشهادة خزيمة وحده لانها شهادة بالوحي ولو ان خزيمة شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام الاثنين وبذلك حفظ الله علينا لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة فانها ثبتت بشهادة خزيمة وحده وقد كان جامع القرآن لا يقبل آية منه الا بشهادة رجلين فصاعدا الا هذه الآية * وقال مما يدل على ان الكلام لله والترجمة للمتكلم قوله تعالى مقسما انه يعني القرآن لقول رسول كريم فاضاف الكلام الى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى الى نفسه بقوله تعالى فأجره حتى يسمع كلام الله سواء فاذا تلي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين فان الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط (وقال) في قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية اعلم ان الله عز وجل ما اصطفى عبدا قط الا حفظه قبل اصطفائه من الغوص في علوم النظر وحال بينه وبينها ورزقه الايمان بالله وبما جاء من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فان صاحب النظر العقلي وان سعد لا يكون أبدا في مرتبة الساذج الذي لم يكن عنده علم بالله الا من حيث ايمانه وتقواه وهذا هو وارث الانبياء في هذه الصفة قال وما بلغنا انه تقدم لنبي قبل نبوته نظر عقلي في العلم بالله

فكانت أعماله قلبية مع ان كل ذرة ظهرت من أعماله لا يعادلها ذرة ناظر من عمل غيره رضي الله عنه * قال الشيخ رضي الله عنه ومما يدل على تفضيل أبي بكر على عمر رضي الله عنهما من وقائع الاحوال ما ثبت في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر ما أصبح اليوم عند آل محمد شيء يقوتهم فأتاه أبو بكر بجميع ماله حتى وضعه بين يديه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا أبا بكر فقال الله ورسوله فسمع عمر رضي الله عنه بذلك فأتاه بشطر ماله فقال له صلى الله عليه وسلم ما تركت لاهلك يا عمر فقال الشطر يا رسول الله فقال بينكما ما بين كلمتيكما الحديث * وقال الشيخ في الباب الثامن والاربعين ومائتين وجه التفضيل انه صلى الله عليه وسلم لم يعد لهما في مالهما حدا بل عمى الامر عليهما ليفعل كل واحد بقدر عزمه والاولى أنه صلى الله عليه وسلم لو كان حد لهما حدا ما تعدياه فكان فضل أبي بكر على عمر لا يظهر فما أراد صلى الله عليه وسلم بابهام الامر الا بيان ظهور فضيلة أبي بكر على عمر رضي الله عنهما قال وفي قول أبي بكر تركت لاهلي الله ورسوله غاية الادب حين قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى فتح الباب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فرد أنه رد على أبي بكر شيأ من ماله لكان قبله من يده صلى الله عليه وسلم لكونه رضي الله عنه ترك رسول الله لاهله يعولهم فما حكم أبو بكر في ماله الا من استنابه رب المال فانظر يا أخي ما أشد معرفة أبي بكر بمراتب الامور وبذلك فضل على عمر وكان قد تخيل انه يسبق أبا بكر ذلك اليوم فلما وقع له ما وقع من اتيانه بشطر ماله قال لا أسبق أبا بكر بعد اليوم وسلم له المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد على أبي بكر شيأ من ماله وذلك لينبه الحاضرين على ما علمه من صدق أبي بكر في المحبة فانه لو رد على أبي بكر شيأ من ماله لتطرق الاحتمال في حق أبي بكر انه خطر له الرفق برسول الله صلى الله عليه وسلم وانه تعارض على أبي بكر ذلك مكافأة له لما علم من عدم طيب نفسه باعطائه ماله كله كما وقع لعبد الرحمن بن عوف فانه جاء مرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بماله كله فرده عليه ولو علم صلى الله عليه وسلم منه انه لا يرى له معه ملكا كما كان أبو بكر لم يرده عليه اهـ وقال الشيخ في بعض كتبه اعلم ان استحقاق الامامة لشخص واحد يعرف بامور ومنها نص من يجب قبول قوله من نبي أو امام عادل ومنها اجتماع المسلمين على امامته وكان الامام بالاجماع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ثم عمر بنص أبي بكر رضي الله عنه عليه * ثم عثمان بنص عمر عليه ثم علي بنص جماعة جعل الامر شورى بينهم فانه لم يستخلف أحدا وقد أجمع المعتبرون من الصحابة على امامة عثمان ثم علي المرتضى فهؤلاء الاربعة هم الخلفاء الراشدون ثم ان الخلافة وقعت بين الحسن ومعاوية فصالحه الحسن فاستقرت الخلافة على معاوية ثم على من بعده من بني أمية وبني مروان حتى انتقلت الخلافة الى بني العباس وأجمع أهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة فيهم الى ان جرى ما جرى وقول بعض الروافض ان أبا بكر غصب الخلافة وتقدم كرها على الامام علي رضي الله عنهما باطل ويلزم منه اجماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشا حماة الدين رضي الله عنهم من ذلك وكان الشيخ محيي الدين رضي الله عنه يقول تقديم أبي بكر في الفضل على عمر قطعي وتقديم عمر على غيره ظني قال والذي أطلعنا الله تعالى عليه من طريق كشفنا ان تقدم شخص بالامامة على آخر انما هو تقدم بالزمان ولا يلزم منه التقدم بالفضل فان الله تعالى قد أمرنا باتباع ملة أبينا ابراهيم وليس ذلك لكونه أحق بها من محمد صلى الله عليه وسلم وانما هو لتقدمه بالزمان فان للزمان حكما في التقدم من حيث هو زمان لا من حيث المرتبة وذلك كالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان من حكمة الله تعالى ترتيبها بحسب الآجال والاعمار التي قدرها الله عز وجل أيام ولاية كل واحد على التعيين مع ان كل واحد أهل لها حال ولاية الآخر وقد سبق في علم الله انه لا بد من ولاية كل واحد من الخلفاء الاربعة على الترتيب الذي وقع حتى لو قدر ان المتأخر تقدم فلا بد من خلعه حتى يلي أحدهم من لا بد له من الولاية عند الله تعالى فكان في ترتيب ولايتهم بحكم أعمارهم عدم وقوع

أبدا ولا ينبغي له ذلك قال وكل من تقدمه

من الاولياء النظر العقلي فليس هو ممن أورثه الله الكتاب وأطال في ذلك (قلت) وتقدم قبيل الباب الثامن والستين وثلاثمائة ان استدلال السيد ابراهيم بالكواكب انما كان لاقامة الحجة على قومه لا عن اعتقاد والله أعلم * وقال للملك ان يعفو الا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم وافشاء سره والقدح في الملك * وقال في الباب السبعين وثلثمائة لما كان الحق تعالى هو السلطان الاعظم ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع انه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة ان يخلق عرشا ثم ذكر انه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلا لعقولهم ولولا ذلك لبقي العبد حائرا لا يدري أين يتوجه بقلبه وقد خلق الله تعالى العبد ذا جهة فلا يقبل الا ما كان له جهة وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش والاحاطة بالجهات كلها بقوله فأينما تولوا فثم وجه الله وبقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله في قبلة أحدكم وحاصله ان الله خالق الامور كلها للمراتب لا للاعيان والله أعلم * وقال من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع ما جاء به كان له أجر من اتبع جميع الانبياء وآمن بكل كتاب وبكل صحيفة لكن أجر الايمان بهم لا أجر من عمل باحكامهم كما هو مفهوم * وقال في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة لو أن العاصي علم ان الله يؤاخذه خلع على المعصية ولا بد ما عصى فلا يصح ان يكون على بصيرة في العقاب أبدا قال وهذا هو الذي أجرأ النفوس على ارتكاب المحارم الا من حماه الله تعالى

خلع أحدهم مع الاستحقاق اذ الصحابة كلهم عدول ذكره الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة في الكلام على اسمه تعالى المعطي * وقال في هذا الباب أيضا في الكلام على اسمه تعالى الآخر اعلم ان الخلفاء الاربعة لم يتقدموا في الخلافة الا بحسب أعمارهم فان الاهلية للخلافة موجودة فيهم من جميع الوجوه فكان سبقهم لا يقتضي التفضيل بمجرده وانما ذلك بوجود نص قاطع قال ولما سبق في علم الله تعالى ان أبا بكر يموت قبل عمر وعمر يموت قبل عثمان وعثمان يموت قبل علي والكل لهم حرمة عند الله وفضل قدم الله في الخلافة من علم ان أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الاربعة قال وفي الحديث اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما لو قدر ان الناس بايعوا أحدا من الثلاثة دون أبي بكر مع كونه لا بد لابي بكر من الخلافة في ذلك الزمان فخليفتان لا يجتمعان وقتل الآخر من هؤلاء الخلفاء لا يجوز وان قدر خلع أحد من الثلاثة وولي أبو بكر الخلافة كان في ذلك عدم احترام في حق المخلوع ونسبة من خلعه الى الجور والظلم فانه خلع من الخلافة من يستحقها ثم ان قدر أن من قدم لم يخلع كان أبو بكر يموت أيام خلافة من تقدمه من غير ان يلي الخلافة وقد سبق في علم الله انه لا بد له أن يليها ومخالفة سبق العلم محال وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وبالجملة فلا ينبغي الخوض في مثل ذلك الا مع وجود نص صريح مع انا قائلون بترتيب هؤلاء الخلفاء الاربعة كما عليه الجمهور وانما خالفناهم في علة التقديم فهم يقولون هي الفضل ونحن نقول هي تقدم الزمان ولو أن كل من تأخر كان مفضولا لكان من تقدم محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل منه ولا قائل بذلك من المحققين اه فليتأمل ويحرر وقالوا وأفضل الناس بعد الخلفاء الاربعة بقية العشرة المشهود لهم بالجنة وما زاد على العشرة فالادب الوقف عن الخوض في تفضيلهم مع محبتهم وتعظيمهم ورفع درجتهم على سائر الاولياء * وقال المحدثون أفضل الناس بعد العشرة أهل بدر ثم أهل أحد ثم أهل بيعة الرضوان ثم السابقون من المهاجرين والانصار من أهل بدر أو من أهل أحد أو من صلى للقبلتين في ذلك أقوال ذكره الحافظ ابن حجر رضي الله عنه *(خاتمة)* ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السادس والاربعين وثلثمائة ان أهل القرن الاول ما فضلوا على غيرهم الا بقوة الايمان فانهم كانوا فيه أتم وكان التابعون أتم من غالب الصحابة في العلم وكان تابع التابعين أتم من غالب التابعين في العمل (فان قيل) فما الحكمة في كون الصحابة أقوى في الايمان مع انهم عاصروه صلى الله عليه وسلم ورأوا معجزاته وأخلاقه والقاعدة ان الايمان بالغيب أشد في حق صاحبه من الايمان بالحاضر (فالجواب) ان قوة الايمان انما جاءت للصحابة من حيث ان الانسان مفطور على الحسد فاذا بعث الى أمة رسول من جنسها ثارالحسد في الناس فلم يؤمن به الا من قوي على دفع ما في نفسه من الحسد وحب الشفوف ولا سيما اذا كان الحاكم عليها من جنسها فكان ايمان الصحابة أقوى بهذا النظر لمشاهدة تقدم جنسهم عليهم أول الاسلام وكان اشتغالهم بمكابدة سلطان الحسد أن يقوم بهم مانعا لهم من ادراك غوامض العلوم والاسرار لنا ففاقونا بقوة الايمان وجبر الله نقصنا بان أعطانا التصديق بما نقل لنا عنهم فحصل لنا درجة الايمان بالغيب في شأن محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا درجة للصحابة فيه ولا قدم لانهم شاهدوا الشارع وشهدوا أحواله ووقائعه فآمنوا وصدقوا على الشهود فما فضلونا الا بقوة الايمان والسبق وأما العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم في ذلك فالحمد لله الذي جاء بنا في الزمن الاخير وجبر قلوبنا بالتصديق وعدم الشك والتردد فيما وجدناه منقولا في أوراق سواد في بياض ولم نطالب على ذلك بدليل ولا لظهور آية ولو أننا جئنا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيف تكون أحوالنا عند مشاهدته هل كان يغلب علينا داء الحسد فلا نطيعه أم نغلب نفوسنا ونطيعه فكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وقال الامام الشافعي رضي الله عنه في رسالته القديمة والصحابة رضي الله عنهم فوقنا في كل علم وايمان وآراؤهم عندنا أجل من آرائنا لانفسنا انتهى

بخوف أو حياء أو رجاء أو عصمة في علم الله خارجة عن هذه الثلاثة ولا خامس لهذه الاربعة فتأمل * وقال في قوله تعالى وانشقت السماء فهي يومئذ واهية انما انشقت لذهاب عمدها الذي كان يمسكها وهو الانسان الكامل فاذا زال سقطت الى الارض والسماء معلوم أنها جسم شفاف صلب فاذا هوت السماء حال جسمها الى النار فعادت دخانا أحمر كالدهان السائل مثل شعلة النار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور وسبحت في النار لكن على غير الوجه الذي كانت في الدنيا عليه من السير وأطال في ذلك ثم قال اعلم ان آخر من تقبض روحه من بني آدم الانسان الكامل الذي يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم لو قدر فقده وهذا هو المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يبقى أحد على وجه الارض يقول الله الله فما أمسك الله تعالى صور السموات أن تقع على الارض الا لاجل هذا الانسان الواحد الذي لا يمكنه أن يتكلم بالنفي اذ ليس في خاطره الا الله الواحد الاحد قال وهذا الذكر الذي هو الله الله هو ذكر الله الاكبر المشار اليه بقوله تعالى ولذكر الله أكبر ولا يعترض علينا بالمعطلة فانهم كالعضو الاشل من الانسان الكامل وأطال في ذلك * وقال في قول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه أي في جميع الاحوال فيه اثبات المجالسة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل في جميع الاحوال وجلوس كل عبد مع ربه على قدر ذكره له فاما علمت عائشة ذلك من طريق كشفها واما أخبرها

*(المبحث الرابع والاربعون في بيان وجوب الكف عما شجر بين الصحابة
ووجوب اعتقاد أنهم مأجورون)*

وذلك لانهم كلهم عدول باتفاق أهل السنة سواء من لابس الفتن ومن لم يلابسها كفتنة عثمان ومعاوية ووقعة الجمل كل ذلك وجوبا بالاحسان الظن بهم وحملا لهم في ذلك على الاجتهاد فان تلك أمور مبناها عليه وكل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والمخطئ معذور بل مأجور وقال ابن الانباري وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم وانما المراد قبول رواياتهم انا أحكام ديننا من غير تكلف بحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية ولم يثبت لنا الى وقتنا هذا شئ يقدح في عدالتهم ولله الحمد فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يثبت خلافه ولا التفات الى ما يذكره بعض أهل السير فان ذلك لا يصح وان صح فله تأويل صحيح وما أحسن قول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تلك دماء طهر الله تعالى منها سيوفنا فلا نخضب بها ألسنتنا وكيف يجوز الطعن في حملة ديننا وفيمن لم يأتنا خبر عن نبينا الا بواسطتهم فمن طعن في الصحابة فقد طعن في نفس دينه فيجب سد الباب جملة واحدة لا سيما الخوض في أمر معاوية وعمرو بن العاص واضرابهما ولا ينبغي الاغترار بما نقله بعض الروافض عن أهل البيت من كراهيتهم فان مثل هذه المسئلة منزعها دقيق ولا يحكم فيها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مسئلة نزاع بين أولاده وأصحابه قال الكمال بن أبي شريف وليس المراد بما شجر بين علي ومعاوية المنازعة في الامارة كما توهمه بعضهم وانما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه الى عشيرته ليقتصوا منهم لان عليا رضي الله عنه كان يرى ان تأخير تسليمهم أصوب اذ المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب أمر الامامة العامة فان بعضهم كان عزم على الخروج على الامام علي وعلى قتله لما نادى يوم الجمل بان يخرج عنه قتلة عثمان ورأى معاوية ان المبادرة الى تسليمهم للاقتصاص منهم أصوب فكل منهما مجتهد مأجور فهذا هو المراد بما شجر بينهم انتهى *(خاتمة)* قال العلماء ويجب اعتقاد براءة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قطعا من جميع ما قاله الملحدون في حقها لنزول القرآن العظيم ببراءتها في سورة النور وكذلك يجب اعتقاد وجوب محبة جميع ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واكرامهم واحترامهم وهم الحسن والحسين وأولادهما م من فاطمة وغيرها الى يوم القيامة ونسكت عن المفاضلة بين الحسن والحسين وبين أحد من الصحابة غير من ثبت لهم النص ونكرم كل من آذى شريفا ونهجره ولو كان من أعز أصحابنا وذلك لقوله تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى والمودة هي ثبات الحب لا مجرد الحب هذا مذهبنا سواء ثبت نسب ذلك الشريف أو طعن في نسبه اكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب العهود فراجعه والله تعالى أعلم

*(المبحث الخامس والاربعون في بيان ان أكبر الاولياء بعد الصحابة رضي الله عنهم
القطب ثم الافراد على خلاف في ذلك ثم الامامان ثم الاوتاد ثم الابدال
رضي الله عنهم أجمعين)*

فأما القطب فقد ذكر الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائتين انه لا يتمكن القطب أن يقوم في القطابة الا بعد أن يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل ألم والمص ونحوهما فاذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلا لها (فان قلت) فما علامة القطب فان جماعة في عصرنا قد ادعوا القطبية وليس معنا علم يرد دعواهم (فالجواب) قد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان للقطب خمس عشرة علامة أن يمد بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات واحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحكم والفصل بين الموجودين وانفصال الاول عن الاول

رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأطال في ذلك * وقال خلق الله الارض مثل كرة وهي مجموع أجزاء ترابية وحجرية ضم بعضها الى بعض ولما خلق الله السماء بسط الارض بعد ذلك ليستقر عليها من خلقت له ولذلك مادت ولو بقيت كرة ما مادت فخلق الله الجبال فقال بها عليها دفعة واحدة وأدار بالماء المحيط بها جبلا جعله لها كالمنطقة وجعل أطراف قبة السماء عليها قال وأما الزرقة التي ينسبها الناس الى السماء فانما هي لبعد السماء عن البصر كما ترى الجبال اذا بعدت سودا وزرقا وهي بيض * وقال لما أخذ الله من أخذ من الامم الا في آخر النهار وذلك لاستيفاء حركة الفلك فان اليوم دائرة الفلك الاطلس فكان ذلك كالتربص بالعنين الى آخر السنة فاذا انقضت فصولها فرق بينه وبين المرأة أعني زوجته وذلك لان أسباب التأثير الالهي المعتاد في الطبيعة قد مرت عليه وما أثرت فيه فدل على ان العنة فيه قد استحكمت لا تزول فلما عدمت فائدة النكاح من لذة وتناسل فرق بينهما اذ كان النكاح موضوعا للالتذاذ أو للتناسل أولهما معا أو في حق طائفة بكذا وفي حق أخرى بكذا وفي حق أخرى للمجموع وكذلك اليوم في حق من أخذ من الامم اذا انقضت دورته وقع الاخذ الالهي آخره * وقال في الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة في قوله هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي اعلم ان الجنة دار جمال وانس ومنزل الهي لطيف وأما وما النار فهي دار جلال وجبروت فالاسم الرب مع أهل الجنة والاسم الجبار مع أهل النار أبد الآبدين ودهر الداهرين وانما كان الحق تعالى

وما انفصل عنه الى منتهاه وماثبت فيه وحكم ماقبل ومابعد وحكم من لاقبل له ولا بعد وعلم الاحاطة بكل علم ومعلوم مابدا من السر الاول الى منتهاه ثم يعود اليه انتهى * وقال فى الفتوحات فى الباب السبعين ومائتين ان اسم القطب فى كل زمان عبدالله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعانى جميع الاسماء الالهية بحكم الخلافة وهو مرآة الحق تعالى ومجلى النعوت المقدسة ومحل المظاهر الالهية وصاحب الوقت وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور ومن شأنه ان يكون الغالب عليه الخفاء لانه محفوظ فى خزائن الغيرة ملتحف بأردية الصون لا يعتريه شبهة فى دينه قط ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح راغب فيه محب للنساء يوفى الطبيعة حقها على الحد المشروع له ويوفى الروحانية حقها على الحد الالهى يضع الموازين ويتصرف على المقدار المعين الموقت له لا يحكم عليه وقت انما هو لله وحده صاحب دائما العبودية والافتقار يقبح القبيح ويحسن الحسن يحب الجمال المقيد فى الزينة والاشخاص تأتيه الارواح فى أحسن الصور يذوب عشقا يغار لله عز وجل ويغضب له تعالى له الاطلاق فى المظاهر من غير تقييد لا تظهر روحانيته الا من خلف حجاب الشهادة والغيب لا يرى من الاشياء الا محل نظر الحق فيها يضع الاسباب ويقيمها او يدل عليها او يجرى بحكمها ينزل اليها حتى يحكم عليه ويؤثر فيه لا يكون فيه رياسة على أحد من الخلق بوجه من الوجوه مصاحب لهذا الحال دائما ان كان صاحب دنيا وثروة تصرف فيها تصرف عبد فى مال سيد كريم وان لم يكن بيده دنيا وكان على ما يفتح الله تعالى له به لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج اليه طبيعته كالشافع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج اليه ثم ينصرف لا عن يأس عن حاجته الا لضرورة فان لم يجد حاجته لجأ الى الله تعالى فى حاجة طبيعته لانه مسؤل عنها ومتول عليها ثم ينتظر الاجابة عن الله فيما سأل فان شاء تعالى أعطاه ما سأل عاجلا أو آجلا فمرتبته الالحاح فى الدعاء والشفاعة فى حق طبيعته بخلاف أصحاب الاحوال فان الاشياء كلها تتكون عن هممهم لان الله تعالى عجل لهم نصيبا من أحوالهم فى الجنة فهم ربانيون والقطب منزه عن الحال ثابت فى العلم فان أطلعه الله على ما يكون أخبر بذلك على وجه الافتقار لله لا على وجه الافتخار لا تطوى له أرض ولا يمشى فى هواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شىء من خرق العوائد الا فى النادر لامر يراه الحق تعالى فيفعله باذن الله من غير أن يكون ذلك مطلوبا له وكذلك من شأنه أن يجوع اضطرارا لا اختيارا ويصبر عن النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلى النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به لا يتحقق قط بالعبودية فى شىء أكثر مما يتحقق به فى النكاح لا يرغب فى النكاح للنسل وانما يرغب فيه لمجرد الشهوة واحضار التناسل فى نفسه لامر مشروع فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح أهل الجنة وقد غاب عن هذه الحقيقة أكثر العارفين لما فيه من شهود الضعف وقهر اللذة المغيبة له عن احساسه فهو قهر لذيذ وذلك من خصائص الانبياء ولعلو مرتقى هذا المقام جهله أكثر الاولياء وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا أنفسهم عن الاكثار منها * واعلم أن من مقام القطب أن يتلقى أنفاسه اذا دخلت واذا خرجت بأحسن الادب لانه رسول الله اليه فترجع منه الى ربها شاكرة له لا يتكلف لذلك وأطال الشيخ فى ذلك ثم قال فاذن القطب هو الرجل الكامل الذى حصل الاربعة دنانير التى كل دينار منها خمسة وعشرون قيراطا وبها توزن الرجال والاربعة هم الرسل والانبياء والاولياء والمؤمنون فهو وارثهم كلهم رضى الله عنه * وقال الشيخ فى الباب الحادى والخمسين وثلثمائة من شأن القطب الوقوف دائما خلف الحجاب الذى بينه وبين الحق جل وعلا فلا يرتفع حجابه حتى يموت فاذا مات لقى الله عز وجل فهو كالحاجب الذى ينفذ أوامر الملك وليس له من الله تعالى الا صفة الحجاب لا الشهود انتهى (فان قلت) فهل يحتاج القطب فى توليته الى مبايعة فى دولة الباطن كما هى الخلافة فى الظاهر (فالجواب) نعم كما قاله الشيخ فى الباب السادس والثلاثين وثلثمائة وعبارته اعلم ان الحق تعالى لا يولى قط عبدا مرتبة القطابة الا وينصب له سريرا

لا يبالى بذلك لان رحمته سبقت غضبه فى حق الموحدين أو فى حق المشركين ويكون المراد بالرحمة رحمة الايجاد من العدم لانها سابقة على سبب الغضب الواقع منه فلذلك كان تعالى لا يبالى بما فعل بالفريقين قال ولو كان المراد بعدم المبالاة ما توهمه بعضهم لما وقع الاخذ بالجرائم ولا وصف الحق تعالى نفسه بالغضب ولا كان البطش الشديد فهذا كله من المبالاة والتهمم بالمأخوذ ولولا المبالاة ما كان هذا الحكم فللامور والاحكام مواطن اذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه وأطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى أم الله الواحد القهار اعلم ان القهر عذاب ومن أراد ان يزول عنه حكم هذا القهر فليصحب الحق تعالى بلا غرض ولا تشوف بل ينظر فى كل ما يقع فى العالم وفى نفسه فيجعله كالمراد له فيلتذ به ويتلقاه بالقبول والبشر والرضا فلا يزال من هذه حالته مقيما فى النعيم الدائم لا يتصف بالقهر ولا بالذلة * قال وما رأيت لهذا المقام ذائقا غيرى وصاحبه يحصل له اللذة بكل واقع منه أو فيه أو من غيره أو فى غيره فان اقتضى ذلك الواقع التغيير له تغير لطلب الحق تعالى منه التغير وكان هذا التغير هو المطلوب لانه هو الواقع اذ ذاك وليس بمقهور فيه بل هو ملتذ بالموجب للتغير فتأمل قال وايضاح ذلك ان الانسان لا يخلو نفسا واحدا عن طلب يقوم به لامر ما واذا كانت حقيقة الانسان ظهور الطلب فيه فليجعل متعلق طلبه مجهولا غير معين الا من جهة واحدة وهو ان يكون متعلق طلبه ما يحدثه الله فى العالم فذلك عين مطلوبه من خير وشر فللخير الرضا والفرح وللشر السخط والكراهة وممن عرف هذا

في حضرة المثال يقعد عليه ينبئ صورة ذلك المكان عن صورة المكانة كما ينبئ صورة الاستواء على العرش
عن صورة الاحاطة تعالى علما بكل شئ وتنبه المثل الاعلى فاذا نصب له ذلك السرير فلابد أن يخلع عليه جميع
الاسماء التي يطلبها العالم وتطلبه فيظهر بها حلاوة زينة متوج بالمسور وامد عليه النعمة الزينة علوا وسفلا
ووسطا وظاهرا وباطنا فاذا قعد عليه قعد بصورة الخلافة وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط
والمكره ودخل في تلك البيعة كل مأمور من أدنى وأعلى الا العالون وهم المهيمون في جلال الله عز وجل
العابدون لله تعالى بالذات لا بأمر الهي ظاهر على لسان رسول واعلم ان أول من يدخل عليه الملأ الاعلى على
مراتبهم الاول فالاول فيأخذون بيده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره لانهم لا يعرفون هاتين
الصفتين فيهم اذ لا يعرف شئ الا بضده فهم في منشط لا يعرفون انها منشط لعدم ذوقهم للمكره ومامنهم روح
يدخل عليه للمبايعة الا ويسأله عن مسئلة من العلم الالهي فيقول له يا هذا أنت القائل كذا وكذا فيقول له
نعم فيقول له في هذه المسئلة وجهان يتعلقان بالعلم بالله تعالى أحدهما أعلى من الذي كان عند ذلك الشخص
فيستفيد منه كل من بايعه علما ليس عنده ثم يخرج قال الشيخ وقد ذكرنا جميع سؤالات القطابة في جزء مستقل
ما سبقنا أحد اليه وليست هذه المسائل معينة يتكرر السؤال بها كل قطب وانما يخطر الله تعالى ذلك لمن يسأل
القطب حال السؤال بعد ان جرى ذلك على خاطره فيما مضى من الزمان قال الشيخ وأول من يبايعه العقل الاول
ثم النفس ثم المقدمون من عمار السموات والارض من الملائكة المسخرة ثم الارواح المدبرة للهياكل التي
فارقت أجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات ثم سائر ما سبح الله تعالى من مكان ومتمكن ومحل وحال فيه الا
العالين من الملائكة كما مر وكذلك الافراد من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب وماله فيهم تصرف اذهم
كل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية لكن لما كان الامر يقتضي أن لا يكون في الزمان الا واحد يقوم
بهذا الامر تعين ذلك الواحد لكن لا بأولية وانما هو بسبق العلم فيه بأن يكون هو الوالي وفي الافراد من يكون
أكبر منه في العلم بالله تعالى وحده قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين ومائتين ومن خصائص القطب أن
يختلي بالله تعالى وحده ولا تكون هذه المرتبة لغيره من الاولياء أبدا ثم اذا مات القطب الغوث انفرد تعالى
بتلك الخلوة لقطب آخر لا ينفرد بها بالخلوة شخصين في زمان واحد أبدا وهذه الخلوة من علوم الاسرار وأما ما
ورد في الآخرة من ان الحق تعالى يخلو بعبده ويعاتبه فذلك من باب انفراد العبد بالحق تعالى لا من باب انفراد
الحق بالعبد فافهموا واكتم اهـ * ثم اعلم انه لما كان نصب الامام واجبا لاقامة الدين وجب أن يكون واحدا
لئلا يقع التنازع والتضاد والفساد فحكم هذا الامام في الوجود حكم القطب قال وقد يكون من ظهر من
الائمة بالسيف أيضا قطب الوقت كأبي بكر وعمر في وقته وقد لا يكون قطب الوقت فتكون الخلافة لقطب الوقت
الذي لا يكون الا بصفة العدل ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث
لا يشعر فان الجور والعدل يقع من أئمة الظاهر ولا يكون القطب الا عادلا واعلم ان القطبية كما انها قد
تكون لولاة الامور كذلك قد تكون في الائمة المجتهدين من الاربعة وغيرهم بل هي فيهم أظهر ويكون
تظاهرهم بالاشتغال بالعلم الكسبي حجابا عليهم لكونها قطبا من شأنه الخفاء رضي الله عنهم أجمعين * قال
الشيخ محيي الدين وقد اجتمعت بالخضر عليه السلام وسألته عن مقام الامام الشافعي فقال كان من الاوتاد
الاربعة وسألته عن مقام الامام أحمد فقال هو صديق وأطال في ذلك ثم قال في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم المراد بأولي الامر الاقطاب والخلفاء والولاة لكن فيما
لا يخالف شرعا مأمورا به وذلك هو المباح الذي لا أجر فيه ولا وزر فان الواجب والمندوب والحرام والمكروه
من طاعة الله ورسوله فما بقي لاولي الامر الا المباح فاذا أمرك الامام الذي بايعته على السمع والطاعة
بمباح من المباحات وجب عليك طاعته في ذلك وحرمت عليك مخالفته وصار حكم تلك الاباحة الوجوب فيحصل

الذي ذكرناه عرف جهل من طلب الحال فقال لمن قال له ما تريد أريد أن لا أريد وانما الحق انه كان يقول أريد ما تريد فيتصف
بالارادة لما أراده الشارع
خاصة ولا يبقى له غرض في
مراد معين وأطال في ذلك
* وقال رؤية الله تعالى
لا تكون بالطلب لانها امتنان
من الله تعالى وما كان امتنانا
لا يصح طلبه انما يصح طلب
ما كان سماية وأطال في ذلك
ثم قال واذا وقع ما وقع من
الرؤية عن طلب فليس هو
الرؤية الحقيقية الحاصلة
عن الطلب وذلك لان مطلوبه
من المرئي انما هو أن يراه على
ما هو عليه في نفسه وذلك
محال فان التجلي لا يقع لعبد
الا على صورة علمه والا
أنكره فما تجلى تعالى لطالب
الرؤية الا في غير ما طلبه فلهذا
كانت الرؤية اذا وقعت
امتنانا على العبد لا استحقاقا
وجزاء ثم اذا وقع الالتذاذ
بما رآه وتخيل انه مطلوبه
تجلى له بعد ذلك من غير
طلب فكان ذلك التجلي
امتنانا الهيا وأعطاه من العلم
به ما لم يكن عنده ولا خطر
على باله وكان تنعمه بتلك
الرؤية كتنعم أهل الجنان
قال وهذه مسئلة ما نبه عليها
احد غيري فيما أعلم وأطال
في ذلك وقال في الباب الخامس
والسبعين وثلثمائة في قوله
تعالى كل حزب بما لديهم
فرحون اعلم ان كل جاهل
منهم يجهل بالامور ولكن
لا يعلم انه جاهل بما فاته لو علم
ان ثم علما بخلاف ما يعلمه هو لادركه التنغيص وما ثم من يجهله قط فليس كل حزب بما لديهم فرحون في الدنيا انما ذلك في لمن
الآخرة وأما في الدنيا فذلك في كثير من الناس لا في كلهم وقال في قوله تعالى في المنافقين واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم

لمن عمل بذلك أجر الواجب لارتفاع حكم الاباحة منه بأمر هذا الامام الذى بايعته وأطال الشيخ فى ذكر مبايعة النبات وسائر الحيوانات للقطب فراجعه (فان قلت) فما المراد بقولهم القطب لا يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن المراد به أن العالم لا يخلو زمانا واحدا من قطب يكون فيه كما هو فى الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذلك أبقى الله تعالى من الرسل الاحياء بأجسادهم فى الدنيا أربعة ثلاثة مشرعون وهم ادريس والياس وعيسى وواحد حامل العلم اللدنى وهو الخضر عليه السلام وايضاح ذلك ان الدين الحنيفى له أربعة أركان كأركان البيت وهم الرسل والانبياء والاولياء والمؤمنون والرسالة هى الركن الجامع للبيت واركانه فلا يخلو زمان من رسول يكون فيه وذلك هو القطب الذى هو محل نظر الحق تعالى من العالم كما يليق بجلاله ومن هذا القطب يتفرع جميع الامداد الالهية على جميع العالم العلوى والسفلى قال الشيخ محيى الدين ومن شرطه أن يكون ذا جسم طبيعى وروح ويكون موجودا فى هذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته فلا بد أن يكون موجودا فى هذه الدار بجسده وروحه من عهد آدم الى يوم القيامة ولما كان الامر على ما ذكرناه ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما قرر الدين الذى لا ينسخ والشرع الذى لا يتبدل دخلت الرسل كلهم فى شريعته وقوابها فلا تخلو الارض من رسول حى بجسمه اذ هو قطب العالم الانسانى ولو كانوا فى العدد ألف رسول فان المقصود من هؤلاء هو الواحد فادريس فى السماء الرابعة وعيسى فى السماء الثانية والياس والخضر فى الارض ومعلوم ان السموات السبع من عالم الدنيا لكونها تبقى ببقاء الدنيا وتفنى بفنائها صورة فهى جزء من دار الدنيا بخلاف الفلك الاطلس فانه معدود من الآخرة فان فى يوم القيامة تبدل الارض غير الارض والسموات يعنى يبدلن بغيرهن كما تبدل هذه النشأة الترابية منا أيها السعداء بنشأة أخرى أرق وأصفى وألطف فهى نشأة طبيعية جسمية لا يبولون أهلها ولا يتغوطون كما وردت بذلك الاخبار وقد أبقى الله فى الارض الياس والخضر وكذلك عيسى اذا نزل وهم من المرسلين فهم القائمون فى الارض بالدين الحنيفى فما زال المرسلون ولا يزالون فى هذه الدار لكن من باطنية شرع محمد صلى الله عليه وسلم ولكن أكثر الناس لا يعلمون فالقطب هو الواحد من عيسى وادريس والياس والخضر عليهم السلام وهو أحد أركان بيت الدين وهو كركن الحجر الاسود واثنان منهم هما الامامان وأربعتهم هم الاوتاد فبالواحد يحفظ الله الايمان وبالثانى يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفى فالقطب من هؤلاء واحد لا بعينه قال الشيخ ولكل واحد من هؤلاء الاربعة من هذه الامة فى كل زمان شخص على قلبه نائبا عنه مع وجودهم وأكثر الاولياء لا يعرفون القطب والامامين والاوتاد الا النواب ولا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم ولهذا يتطاول كل أحد لنيل هذه المقامات ثم اذا نالها وابها عرفوا عند ذلك انهم نواب لذلك القطب فاعرف هذه النكتة فانك لا تراها فى كلام أحد غيرنا ولولا ما أتى فى سرى من اظهارها ما أظهرتها اهـ (فان قلت) فما المراد بقولهم فلان من الاقطاب على مصطلحهم (فالجواب) مرادهم بالقطب فى عرفهم كل من جمع الاحوال والمقامات وقد يتوسعون فى هذا الاطلاق فيسمون القطب فى بلادهم أو بلدهم كل من دار عليه مقام ما من المقامات وانفرد به فى زمانه على أبناء جنسه فرجل البلد قطب ذلك البلد ورجل الجماعة قطب تلك الجماعة وهكذا ولكن الاقطاب المصطلح عليهم فيما بين القوم لا يكون منهم فى الزمان الا واحد وهو الغوث (فان قلت) فهل يكون القطب الغوث أحدا من مشايخ سلسلة القوم كالشيخ يوسف العجمى وسيدى أحمد الزاهد وسيدى مدين واضرابهم (فالجواب) كما قاله سيدى على الخواص رحمه الله لا يلزم أن يكون أحدهم قطبا فان مقام القطبانية عزيز جل ان يلمع سناه كل أحد ولكن السالكون المذكورون كالحجاب على باب الملك يعاونون كل من أراد دخول حضرة الملك الآداب اللائقة به وما ظهر على يديهم من

قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم اعلم ان المنافق برزخ بين المؤمن والكافر فاذا انقلب تخلص الى أحد الطرفين وهو طرف الكفر ولم يتخلص للايمان اذ لو تخلص هنا للايمان ولم يكن برزخا لكان اذا انقلب لا ينقلب الا الى الله فى دار كرامته فما أخذ المنافق الا بامر دقيق لا يشعر به كثير من العلماء وقد نبه على ذلك بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا فلو أنهم قالوا ذلك حقيقة لسعدوا وكذلك قوله واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم أى لو قالوا ذلك وسكتوا لما أثر فيهم الذم الواقع ولكنهم زادوا قولهم انما نحن مستهزؤن فشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فما أخذوا الا بما أقروا به والا فلو أنهم بقوا على صورة النفاق من غير زيادة لسعدوا ألا ترى ان الله تعالى لما أخبر عن نفسه فى مؤاخذته اياهم كيف قال الله يستهزئ بهم فما أخذهم بقولهم انا معكم وانما أخذهم بما زادوا به على النفاق من قولهم انما نحن مستهزؤن كما مر وفى الحديث مداراة الناس صدقة والمؤمن يدارى الطرفين مداراة حقيقة ولا يزيد على المداراة شيأ من الاستهزاء فيعنى غرته قال فتفطن لذلك فانه سر غامض فى القرآن ووضوحه أخفاه وانظر الى صورة كل منافق تجده ما أخذ الا بما زاد على النفاق قال فالمؤمن المدارى منافق لكنه ناج وقائل خير لانه اذا انفرد مع أحد الفريقين أظهر الاتحاد به ولم يتعرض الى ذكر الفريق الآخر الذى ليس بحاضر عنده فاذا انقلب الى الآخر كان معه بهذه المثابة والباطن فى الحالتين مع الله عز وجل وقد قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا وذلك عين المداراة فانه يتخيل فى ذلك

الكرامات والخوارق انما هو لشدة صفاء نفوسهم وكثرة مراقبتهم لله تعالى وكثرة اخلاصهم ومجاهداتهم قال وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلي ان للقطبية ستة عشر عالما احاط بالدنيا والآخرة عالم من هذه العوالم وهذا أمر لا يعرفه الا من اتصف بالقطبية (فان قيل) هل يكون محل اقامة القطب بمكة دائما كما هو مشهور (فالجواب) هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث في مكان بخصوصه ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حدادا وتارة تاجرا وتارة يبيع الفول ونحو ذلك والله أعلم (فان قيل) فهل كان قبل محمد صلى الله عليه وسلم أقطاب وكم عددهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع عشر من الفتوحات أن الاقطاب لا يخلو عصر منهم قال وجملة الاقطاب الكاملين من الامم السالفة من عهد آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام خمسة وعشرون قطبا أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدسي في حضرة برزخية وانا بمدينة قرطبة وهم الفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء والماضي والماحق والعاقب والمنحور وشجر الماء وعنصر الحياة والشريد والصائغ والراجع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والراقي والواسع والبحر والمنصف والهادي والاصلح والباقي فهؤلاء هم الاقطاب الذين سمو الناس من آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام وأما القطب الواحد الممد لجميع الانبياء والرسل والاقطاب من حين النشء الانساني الى يوم القيامة فهو روح محمد صلى الله عليه وسلم * قال الشيخ محيي الدين في الباب الثاني والستين وأربعمائة اعلم ان لكل بلد أو قرية أو اقليم قطبا غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء كان أهلها مؤمنين أو كفارا وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه * قال الشيخ وقد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام التوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها وهو عبد الله بن الاستاذ ببلاد الاندلس وصحبته زمانا طويلا وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس وكان أشل اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار علي ان استره عن الحاضرين ففعلت (فان قلت) فهل مدة معينة للقطبية اذا وليها صاحبها لا يعزل منها حتى تنقضي (فالجواب) ليس للقطبية مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أقل الى يوم الى ساعة فان هذا المقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الممالك الارضية كلها ملوكها ورعاياها * وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين وأربعمائة ان كل قطب يمكث في العالم الذي هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل ثم تنسخ دعوته بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع وأعني بالدعوة ما للقطب من الحكم والتأثير في العالم فمن الاقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث والثلاثين سنة وأربعة أشهر ومنهم من يمكث فيها الثلاث سنين ومنهم ومنهم كما يؤيد ذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فانهم كانوا أقطابا بلا شك انتهى * وقال في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة اعلم أن بالقطب تحفظ دائرة الوجود كله من عالم الكون والفساد وبالامامين يحفظ الله تعالى عالم الغيب والشهادة وهو ما أدركه الحس وبالاوتاد يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب وبالابدال يحفظ الله الاقاليم السبعة وبالقطب يحفظ الله جميع هؤلاء لانه هو الذي يدور عليه أمر عالم الكون كله فمن علم هذا الامر علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا ونظيره من الطب علم تقويم الصحة (فان قلت) فهل للقطب تصريف في أن يعطي القطبية لمن شاء من أصحابه أو أولاده (فالجواب) ليس له تصريف في ذلك وقد بلغنا ان بعض الاقطاب سأل الله أن تكون القطبية من بعده لولده فاذا بالهاتف يقول له ذلك لا يكون الا في الارث الظاهر وأما الارث الباطن فذلك الى الله وحده الله أعلم حيث يجعل رسالته انتهى فعلم انه ما حفظ من حفظ من الاولياء وغيرهم من جهته الاربع الا بالاوتاد الذين كان منهم الامام الشافعي رضي الله عنه وما حفظ من حفظ في صفاته السبع الا بالابدال السبعة فلكل صفة لها بدل يحفظها على صاحبها من حياة وعلم وقدرة وارادة وسمع وبصر وكلام انتهى * وقال الشيخ أيضا في الباب الخامس عشر اعلم ان لكل بدل من الابدال السبعة قدرة تمده من روحانية الانبياء

المقام انك معه قال الشيخ رحمه الله ولما صح لي هذا المقام واتحدت بالملوك والسلاطين ما قضيت لاحد من الناس حاجة الا من طريق المداراة ولذلك ما ردوا لي شفاعة في أحد قط وذلك أني كنت أبسط للملك بساطا استدرجه فيه حتى يكون هو السائل في قضاء تلك الحاجة فيقضيها على الفور بطيب نفس لما يرى له فيها من المصلحة قال ولقد كان السلطان الملك الظاهر بأمر الله بيبرس أبا الفتوحات صاحب حلب في حوائج كثيرة للناس فقضى لي في يوم واحد مائة حاجة وثمان عشرة حاجة ولو كان معي ذلك اليوم أكثر من ذلك لقضاه لي قال ومن علم ان الحق تعالى مع الجبابرة لزم أدب الخطاب معهم وهذا عزيز جدا وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والسبعين وثلثمائة وجه من قال انه ليس للحاكم ان يحكم بعلمه بل بالبينة كون الحق تعالى مع علمه بما فعل عبيده لا يؤاخذهم يوم القيامة الا بعد اقامة البينة عليهم وذلك أخلص للحكام في الدنيا والآخرة وأبعد عن التهمة ومن هنا يعلم ان الحق تعالى لا يؤاخذ عباده الا على صورة ما شرعه لهم في الدنيا ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن أمره به رب احكم بالحق يعني بالحق الذي بعثتني به وشرعت لي أن أحكم به فيهم أي لانه رحمة فسأله الرحمة لامته بهذا القول على سبيل التضرع * وقال فيه في قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين ونحوهما من الآيات اعلم ان للحق تعالى أن يوجب على نفسه ما شاء لانه يفعل ما يريد لكن لا يدخل تحت حد الواجب على

الكائنين في السموات فينزل مدد كل بدل من حقيقة صاحبه الذي في السماء قال وكذلك أمداد الايام السبعة تنزل من هؤلاء الابدال لكل يوم مدد يختص به من ذلك البدل (فان قلت) فهل يزيد الابدال و ينقصون بحسب الشؤن التي يبداها الحق تعالى أم هم على عدد واحد لا يزيدون ولا ينقصون (فالجواب) هم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون و بهم يحفظ الله الاقاليم السبعة ومن شأنهم العلم بما أودع الله تعالى في الكواكب السيارة من الامور والاسرار في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة (فان قلت) فلم سموا أبدالا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين انهم سموا ابدالا لان كل واحد منهم اذا فارق مكانه خلفه فيه شخص على صورته لا يشك الرائي انه ذلك البدل (فان قلت) فهل ترتيب الاقاليم السبعة على صورة ترتيب السبع سموات بحيث يكون ارتباط الاقليم الاول بالسماء السابعة والثاني بالسماء السادسة وهكذا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة نعم يكون روحانية كل اقليم مرتبطة بالسماء مثلا كما قاله فالاقليم الاول للسماء السابعة وهكذا (وايضاح ذلك) ان تعلم يا أخي أن الله تعالى جعل هذه الارض التي نحن عليها سبعة أقاليم واصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الابدال وجعل لكل بدل اقليما يمسك الله وجود ذلك الاقليم به فالاقليم الاول ينزل الامر اليه من السماء الاولى التي هي السابعة و ينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه هو على قلب الخليل ابراهيم عليه السلام والاقليم الثاني ينزل الامر اليه من السماء الثانية و ينزل اليه روحانية كوكبها الاعظم والبدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام والاقليم الثالث ينزل اليه الامر الالهي من السماء الثالثة و ينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب هرون و يحيى بتأييد محمد صلى الله عليه وسلم والاقليم الرابع ينزل اليه الامر والنهي الالهي من السماء الرابعة قلب الافلاك كلها و ينظر اليه روحانية كوكبها الاعظم والبدل الذي يحفظه على قلب ادريس عليه السلام وهو القطب الذي لم يمت الى الآن والاقطاب فيناوابه كامر والاقليم الخامس ينزل اليه الامر من السماء الخامسة و ينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظ الله به هذا الاقليم على قلب يوسف عليه السلام بتأييد محمد صلى الله عليه وسلم والاقليم السادس ينزل اليه الامر من السماء السادسة و ينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله و يحيى عليهما السلام والاقليم السابع ينزل الامر اليه من السماء الدنيا و ينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام * قال الشيخ وقد اجتمعت بهؤلاء الابدال السبعة بمكة خلف حطيم الحنابلة حين وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم وسلموا على وتحدثت معهم فما رأيت أحسن منهم سمتا ولا أكثر شغلا منهم بالله عز وجل وما رأيت مثلهم الا شيخا الرفرف بن ساقط العرش بقونية وكان فارسيا رضي الله عنه وقد أطال الشيخ الكلام على أصحاب الدوائر من الاولياء في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات فراجعه والله أعلم

(المبحث السادس والاربعون في بيان وحي الاولياء الالهامي والفرق بينه و بين وحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام وغير ذلك)

اعلم ان وحي الانبياء لا يكون الا على لسان جبريل يقظة ومشافهة واما وحي الاولياء فيكون على لسان ملك الالهام وهو على ضروب كما قاله الشيخ في الباب الخامس والثمانين ومائتين فمنه ما يكون متلقى بالخيال كالمبشرات في عالم الخيال وهو الوحي في المنام فالمتلقي حينئذ خيال والنازل كذلك والموحى به كذلك ومنه ما يكون خيالا في حس على ذي حس ومنه ما يكون معنى يجده الموحى اليه في نفسه من غير تعلق حس ولا خيال بمن نزل عليه قال وقد يكون ذلك كتابة و يقع هذا كثيرا للاولياء و به كان يوحى لابي عبد الله قضيب البان وغيره كبقي بن مخلد تلميذ الامام أحمد رضي الله عنه لكنه كان أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده الا بعد القيام من النوم مكتوبا في ورقة اه (فان قلت) فما علامة كون تلك الكتابة التي في الورقة من

عباده قاله تعالى ان يخالف ما كتب ولا يلحقه ذم ولا لوم بخلاف العبد اذا أوجب على نفسه شيأ كالنذر يدخل تحت حد الواجب فيأثم الناذر اذا لم يتم به عقوبة له حيث أوجب على نفسه مالم يوجبه الله عليه و زاحم في التشريع ولهذا نهى الشارع عن النذر فافهم ثم اذا وفوا بنذرهم أجرهم الله عليه ثواب الواجبات الشرعية فضلا منه ورحمة * وقال في حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة أكملوا لعبدي فريضته من تطوعه أي ما نقص من الفرض الواجب كملوه من الفرض الذي في النوافل كالقراءة والركوع والسجود ونحو ذلك وما نقص من سنن الفرض الواجب كملوه من السنن التي في النوافل كل شيء بمثله * قال واعلم ان النوافل هي كل ما جاء زائدا على الفرائض من جنسها فان لم يكن لذلك الزائد عين صورة في الفرائض فليس هو بنافلة بل عمل مستقل وله مرتبة في الاجر ليست للنوافل * وقال في حديث لا يقبل من صلاة الرجل الا ما عقل منها اعلم ان في حديث قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين اشارة الى أن أكثر ما يكون حق الله تعالى النصف في الصلاة من غير زيادة وأما هنا فهو القدر الذي عينه تعالى له من صلاة عبده وهو العشر فانه قال عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها وما ذكر النصف الا في الفاتحة فعلمنا المعنى فعيناه في جميع افعال الصلاة وأقوالها بل في جميع ما كلفنا من الاعمال فاما عينه فهو ما انحصرت فيه الفاتحة وهي تسعة أقسام القسم الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث الرحمن الرحيم الرابع مالك يوم الدين الخامس اياك نعبد

عند الله عز وجل حتى يجوز للولي العمل بها (فالجواب) ان علامتها كما قاله الشيخ في الباب الخامس عشر وثلثمائة أن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها قال الشيخ وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بمقربة من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا انها ليست من كتابة المخلوقين فان وجدت تلك العلامة فتلك لو رقة من الله عز وجل لكن لا يعمل بها الان وافقت الشريعة التي بين أظهرنا قال وكذلك وقع لفقيرة من تلامذتنا انها رأت في المنام أن الحق تعالى أعطاها ورقة فانطبق كفها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فالهمني الله تعالى انى قلت لها انوي بقلبك انه اذا فتح الله كفك أن تبتلعيها ففعلت وقربت يدها الى فيها فدخلت الورقة في فيها فقرأ اعلمها فقال لها بم عرفت ذلك فقلت ألهمت ان الله تعالى لم يرد منها أن يطلع أحد اعليها قال وقد أطلعني الله تعالى على الفرق بين كتابة الله تعالى في اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم عجيب رأيناه وشاهدناه اه (فان قلت) فما حقيقة الوحي (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات أن حقيقته هو ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة اذ العبارة يتوصل منها الى المعنى المقصود منها ولهذا سميت عبارة بخلاف الاشارة التي هي الوحي فانها ذات المشار اليه والوحي هو المفهوم الاول والافهام الاول ولا عجب من أن يكون عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه فان لم يحصل لك يا أخي معرفة هذه النكتة فليس لك نصيب من معرفة علم الالهام الذي يكون للاولياء ألا ترى أن الوحي هو السرعة ولا أسرع مما ذكرناه اه (فان قلت) فما صورة تنزل وحي الالهام على قلوب الاولياء (فالجواب) صورته ان الحق تعالى اذا أراد ان يوحي الى ولي من أوليائه بأمر ما تجلى الى قلب ذلك الولي في صورة ذلك الامر فيفهم من ذلك الولي التجلي بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى ان يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم فهنالك يجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم من الشريعة قبل ذلك كما وجد النبي صلى الله عليه وسلم العلم في الضربة باليد الالهية كما يليق بجلاله تعالى وكما وجد العلم في شربة اللبن ليلة الاسراء ثم ان من الاولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا في خاطري ولا يعلم من أتاه به ولكن من عرفه فهو اتم لحفظه حينئذ من الشيطان وأطال في ذلك في الباب الثاني عشر وثلثمائة * وقال في الباب الثالث والخمسين وثلثمائة اعلم انه لم يبق لنا خبر الهي أن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي تشريع أبدا انما لنا وحي الالهام قال تعالى ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك ولم يذكر أن بعده وحيا أبدا وقد جاء الخبر الصحيح في عيسى عليه السلام وكان ممن أوحي اليه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اذا نزل آخر الزمان لا يؤمن الا بنا أي بشريعتنا وسنتنا مع ان له الكشف التام اذا نزل زيادة على الالهام الذي يكون له كالخواص هذه الامة (فان قلت) فاذن الالهام خبر الهي (فالجواب) نعم وهو كذلك اذ هو اخبار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم (فان قلت) فهل يكون الالهام بلا واسطة أحد (فالجواب) نعم قد يلهم العبد من الوجه الخاص الذي بين كل انسان وبين ربه عز وجل فلا يعلم به ملك الالهام لكن علم هذا الوجه يتسارع الناس الى انكاره ومنه انكار موسى على الخضر عليهما الصلاة والسلام وعذر موسى في انكاره أن الانبياء ما تعودوا أخذ أحكام شرعهم الا على يد ملك لا يعرف شرعا من غير هذه الطريق يعلم أن الرسول والنبي يشهدان الملك ويريانه رؤية بصر عندما يوحي اليهما وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه فيلهمه الله تعالى بواسطته ما شاء أن يلهمه أو يعطيه من الوجه الخاص بارتفاع الوسائط وهو أجل الالقاء وأشرفه اذا حصل الحفظ لصاحبه ويجتمع في هذا الرسول والولي أيضا (فان قلت) فما محل الالهام من العبد (فالجواب) محله من العبد هو النفس قال تعالى فألهمها فجورها وتقواها أي ان الله تعالى ألهم النفس فجورها لتجتنبه وتعلمه لا لتعمل به وألهمها تقواها لتعمل به وتعلمه فهو الهام اعلام لا كما يظنه من لا علم له بالحقائق ولذلك

والخاشع الساهي عن صلاته من لم يحضر مع الله في قسم واحد من هذه القسمة الاقسام التي ذكرناها في الفاتحة وهي التي ذكرها الله في القبول من العشر الى النصف فمن رأى البسملة آية منها ولا يفصلها فالقسمة على ما ذكرناه في الفاتحة فان حكم الله تعالى في الاشياء حكم المجتهد فهو معه في اجتهاده ومن أداه اجتهاده الى الفصل ففصل البسملة من الفاتحة وجعلها ليست بآية منها جعل الله له الجزء التاسع ولا الضالين والبسملة أحق وأولى فانها من القرآن بلاشك عند العلماء بالله وتكرارها في السور مثل ما تكرر في القرآن من سائر الكلمات وما زاد على التسعة فعقله في التلاوة على عدد حروف الكلمة فقد يعقل المصلي حرفا من حروف الكلمة ثم يغفل عن الباقي فهذا معنى قوله العام انه لا يقبل منها الا ما عقل فالعاقل من أتى بها كاملة ليقبلها الله كاملة ومن انتقص منها شيأ في صلاته جبرت له من قراءة الفاتحة في نوافله من الصلاة فليكثر من النوافل فان لم تف قراءتها في النوافل فما انتقصه من قراءة الفاتحة في الفريضة أكمل له من تلاوته بحضور في غير الصلاة المعينة وان كان في جميع أفعاله في صلاة كمن هم على صلاتهم دائمون فاعلم ذلك

وقال في الباب السابع والسبعين وثلثمائة اعلم انه لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه ان يكون قال هو ذلك المطلوب له الا باعلام الله وجعله العلم الضروري في نفس العبد مثل ما يجد النائم في نومه من رؤية صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال تعالى وقد خاب من دساها والدس هو الخفى بازدحام فقد ألحق هذا الجاهل العمل بالفجور بالعمل بالتقوى وما فرق فى مواضع التفريق فأخطأ قال وسبب خطئه رميه ميزان الشريعة من يده ولو أن الميزان كانت فى يده لرأى أنه مأمور بالتقوى منهى عن الفجور فتبين له الامران معا (فان قلت) قد ذكر الغزالى فى بعض كتبه أن من الفرق بين تنزل الوحى على قلب الانبياء وتنزله على قلوب الاولياء نزول الملك فان الولى يلهم ولا ينزل عليه ملك قط والنبى لابد له فى الوحى من نزول الملك به فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين وثلثمائة أن ذلك غلط والحق ان الكلام فى الفرق بينهما انما هو فى كيفية ماينزل به الملك لافى نزول الملك اذ الذى ينزل به الملك على الرسول أو النبى خلاف ماينزل به الملك على الولى التابع فان الملك لا ينزل على الولى التابع الا بالاتباع لنبيه وبافهام ماجاء به ممالم يتحقق له علمه لحديث قال العلماء بضعفه مثلا فيخبره ملك الالهام بانه صحيح فللولى العمل به فى حق نفسه بشروط يعرفها أهل الله عز وجل لامطلقا وقد ينزل الملك على الولى ببشرى من الله بأنه من أهل السعادة كما قال تعالى فى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا وان كان انما يقع عند الموت فقد يعجل الله تعالى به لمن يشاء من عباده * قال الشيخ وسبب غلط الغزالى وغيره فى منع تنزل الملك على الولى عدم الذوق وظنهم انهم قد عملوا كم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم ير واملك الالهام نزل عليهم أنكروه وقالوا ذلك خاص بالانبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع أن هؤلاء الذين منعوا قائلون بان زيادة الثقة مقبولة وأهل الله كلهم ثقات قال ولو أن أبا حامد وغيره اجتمعوا فى زمانهم بكامل من أهل الله وأخبرهم بتنزل الملك على الولى لقبلوا ذلك ولم ينكروه وقال وقد نزل علينا ملك الالهام بما لا يحصى من العلوم وأخبرنا بذلك جماعات كثيرة ممن كان لايقول بقولنا فرجعوا الينا ولله الحمد (فان قلت) فهل ينزل ملك الالهام على أحد من الاولياء بأمر أونهى (فالجواب) أن ذلك ممتنع كما قاله الشيخ فى الباب العاشر وثلثمائة فلا ينزل ملك الالهام على غير نبى بأمر ونهى أبدا وانما للاولياء وحى المبشرات وهو الرؤيا الصالحة يراها الرجل أوترى له وهى حق ووحى غالبا الا انها غير معصومة (فان قلت) فهل يكون وحى المبشرات فى غير النوم كما هو فى النوم (فالجواب) نعم وعلى كل حال فهى رؤيا بالخيال وبالحس لافى الحس والتخيل قد يكون من دخل فى القوة وقد يكون من بخار تمثيل روحانى أوهو التجلى المعروف عند القوم اذا كان المزاج مستقيما فهو ألحق وهو خيال حقيقى وأطال الشيخ فى ذلك (فان قلت) ان بعضهم يقول اذا اعترضوا عليه فى فعله أمرا من الامور ما دملت ذلك الابأمر من الله تعالى كما نقل عن سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه أنه قال قدمى هذه على عنق كل ولى لله تعالى الا بعد أمر الحق له بذلك فهل ذلك صحيح (فالجواب) الامر بذلك غير صحيح ولعل الناقل لذلك اشتبه عليه الاذن بالامر اذ الاذن اطلاق على المباح شرعا بخلاف الامر فانه تشريع جديد يقتضى عصيان من خالفه فافهم * وقد قال الشيخ محيى الدين فى الباب الثانى والعشرين من الفتوحات من قال من الاولياء ان الله تعالى أمره بشئ فهو تلبيس لان الامر من قسم الكلام وصفته وهذا باب مسدود دون الاولياء من جهة التشريع (وايضاح ذلك) أنه ليس فى الحضرة الالهية أمر تكليفى الا وهو مشروع فما بقى للاولياء الاسماع أمرها فاذا أمرهم الانبياء بشئ كان لهم المناجاة واللذة السارية فى جميع وجودهم لاغير ومعلوم أن المناجاة لاامر فيها ولانهى انما هو حديث وسمر وكل من قال من أهل الكشف انه مأمور بأمر الهى مخالف لامر شرعى محمدى تكليفى فقد التبس عليه الامر وان كان صادقا فيما قال انه سمعه قال ويمكن أن بعض الاولياء يكشف الله عن قلبه الحجاب ويقيم الله تعالى له مظهرا محمديا فيسمع فيه أمر الحق ونهيه لمحمد صلى الله عليه وسلم فيظن أن الحق تعالى كلمه هو وانما كلم روح محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك من باب التعريف بالاحكام الشرعية لاتشريعا جديدا فان ذلك باب قد أغلق بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (فان قلت) فاذن وحى البشائر هو الاعم الاغلب (فالجواب)

أو الحق تعالى فى النوم فيجد فى نفسه علما مسرورا من غير سبب ظاهر ان ذلك المرئى هو الرسول (٢٣٣) ان كان الرسول أو الحق تعالى ان كان هو الحق وذلك لوجدانه حقا فى نفسه مطابقا للمادة والامر عليه فيما رآه هكذا العلم بانه لا يدرك الا هكذا وأما النظر والفكر فلا * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم فأقول سحقا سحقا يعنى فى حق الطائفة الذين أخذتهم ذات الشمال انما قال صلى الله عليه وسلم وهو الرؤف الرحيم سحقا سحقا لان من كان عالما بالامور لا يزيد على حكم مايقضى به الوقت ولذلك قالوا الصوفى ابن وقته ثم انه اذا زال الحال تلطف فى المسئلة وتشفع فى كل موحد وتبرأ من أمته فى مكان سحيق * وقال فى قوله تعالى واذا الارض مدت اعلم ان مد الارض هو ندكدك جبالها حتى تصير أرضا فما كان منها عاليا فى الجو اذا انبسط زاد فى بسط الارض قال ولهذا جاء فى الخبر ان الله يمد الارض يوم القيامة مد الاديم فشبه مدها بمد الاديم لان الانسان اذا مد الاديم طال من غير ان يزاد فيه شئ لم يكن فى عينه فما زاد الا ما كان فيه من التقبض والنتوء فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتوء الذى كان فيه فزاد فى سعة الارض ورفع المنخفض منها حتى بسطه فزاد فيها ما كان من طول من سطحها الى القاع منها كما يكون

فى الجلد سواء فلا ترى فى الارض هنالك عوجا ولا امتا يأخذ البصر من المبصر جميع من فى الموقف بلا حجاب من ارتفاع وانخفاض ليرى الخلق كلهم بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله فى الفصل والقضاء فى عباده وأطال فى ذلك * وقال فى الباب التاسع

ثم اذهو الوحي الخاص الذي بين كل انسان وبين ربه عز وجل فيناجيه منه في سره حال سجوده وغيره فلا يجد أحدا أقرب اليه من الله تعالى وذلك تأييد من الله تعالى لبعض الصادقين وقد يكون وحي البشائر أيضا بواسطة ملك ولكن النبوة من شأنها الواسطة فلابد من الملك فيها والمبشرات ليست كذلك فالعارف لايبالي بما فاته من الامر مع بقاء المبشرات عليه وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والعشرين وثلثمائة * وقال في الباب الثامن والستين ومائتين اعلم أن الفرق بين وحي الاولياء ووحي الانبياء عليهم الصلاة والسلام أن الاولياء يشاهدون تنزل الارواح على قلوبهم لكن لايرون الملك النازل بخلاف النبي والرسول فانه يشهد الولي الملك لايشهد القاءه عليه حال شهوده وان شهد الالقاء لايشهد الملك فيعلم أنه من الملك من غير شهود له فلا يجمع بين رؤية الملك والالقاء منه اليه الا نبي أو رسول وبهذا يفرق بين الرسول والولي وقد أغلق الله تعالى باب التنزل بالاحكام الشرعية وما أغلق باب التنزل به بالعلم بها على قلوب أوليائه الذي هو التنزل الروحاني بالعلم وذلك ليكون الاولياء على بصيرة في دعائهم الى الله بها كما كان مورثهم صلى الله عليه وسلم ولذلك قال تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني فهو أخذ لايتطرق اليه تهمة قال الجنيد في معرض الثناء على علم أهل الله تعالى فما ظنك م بعلم علم الناس فيه تهمة فان علم غيرهم لايكون صاحبه على بصيرة لافي الفروع ولافي الاصول أما في الفروع فللاحتمال في التأويل وأما في الاصول فلما يتطرق الى الناظر في الدليل من الدخل عليه فيه من نفسه وغيره فهو يتهم دليله لهذا الحال وقد كان يقطع به قبل ذلك وأهل الله تعالى كلهم أهل بصائر وعلمهم كله من حق اليقين أي حق استقراره في القلب فلا يزلزله شيء عن مقره قال قر الماء في الحوض اذا استقر وهنالك يحصل له السكون والاستقرار وزوال التردد والاوهام والظنون وهذا السكون والاستقرار ان أضيف الى النفس والعقل يقال له علم اليقين وان أضيف الى الروح الروحاني يقال له عين اليقين وان أضيف الى القلب الحقيقي يقال له حق اليقين وان أضيف الى السر الوجودي يقال له حقيقة حق اليقين انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين لما أغلق الله تعالى باب الرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك من أشد ما تجرعت الاولياء مرارته لانقطاع الوصلة بينهم وبين من يكون واسطتهم الى الله تعالى فرحمهم الحق تعالى بان أبقى عليهم اسم الولي الذي هو من جملة أسمائه تعالى جبرا لمصيبتهم قال ولذلك نزع الله تعالى هذا الاسم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه بالعبد والرسول اللذين لايليقان بالله شرفا له صلى الله عليه وسلم أن يزاحم الحق تعالى في التسمية وأما وصفه صلى الله عليه وسلم برؤوف رحيم فذلك شاء من الله تعالى بيانا لشرفه من الله على وجه خاص ليغبط به قوما خاصين قال ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمته من تجرع كاس انقطاع الوحي والرسالة جعل لخواص أمته نصيبا من الرسالة ليكونوا بذلك عبيدا تبعا له صلى الله عليه وسلم اذ أشرف مقام يضاف الى العبد كونه عبد الله عز وجل فقال ليبلغ الشاهد الغائب فأمرهم بالتبليغ ليصدق عليهم اسم الرسل اذ الرسالة مخصوصة بالعبد وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها يعني حرفا بحرف من غير تصرف فيما بلغه كما تبلغ الرسل كلام ربهم باللفظ الذي يلقيه الله اليهم بواسطة أو بغيرها وما فاز بهذه الدرجة وبدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالرحمة الا الذين يروون أحاديثه بالالفاظ التي سمعوها من غير زيادة لفظ فان من روى الحديث بالمعنى انما ينقل الينا صورة فهمه فيكأنه رسول نفسه ولايحشر يوم القيامة في صفوف الرسل الا من بلغ الوحي من كتاب أو سنة بلفظه كما سمعه فالصحابة اذا نقلوا الوحي على لفظه رسل رسول الله والتابعون رسل الصحابة وهكذا جيلا بعد جيل الى يوم القيامة فان شئنا قلنا في المبلغ الينا انه رسول رسول الله وان شئنا أضفناه لمن بلغ عنه وانما جوزنا حذف الواسطة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخبره جبريل أو ملك من الملائكة ولانقول فيه رسول جبريل ولا رسول ذلك الملك وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان تسمية العبد بالولي

والسبعين وثلثمائة انما سمي القرآن (٢٣٤) قرآنا لانه جمع بين ما نزل في الكتب والصحف وما لم ينزل فيهما ففيه كل ما في الكتب المنزلة وفيه ما لم ينزل في كتاب ولا صحيفة كما قيل في الفاتحة ان الله تعالى أعطاها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم خاصة دون غيره من الرسل من كنز تحت العرش فلم توجد في كتاب منزل ولا في صحيفة الا في القرآن خاصة * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم ان ربكم واحد وان أباكم واحد انما لم يقل صلى الله عليه وسلم ان أبويكم اثنان يعني حواء وآدم كما وقع في الظاهر لان حواء عين آدم اذ هي عين ضلعه فلم يكن الا أب واحد في صورتين مختلفتين وليس أبوك الامن أنت عينه فما ثم الا أب واحد وأطال في ذلك * وقال في حديث حبب الى النساء والطيب لم يبين صلى الله عليه وسلم من حببه اليه ذلك ولكن نحن نعلم يقينا من وجه عصمته أن المراد تحبيب الله تعالى اليه ذلك فانه معصوم عن أن يحب لطبع أو طبع أو حذر فعلم ان من أحب النساء والطيب بحكم الطبع مثلا فليس بوارث للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام وسيأتي معنى وجعلت قرة عيني في الصلاة في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة فراجعه * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اعلم انه ليس المراد بالعلم هنا ما تستقل العقول والحواس بادراكه دون الاخبار فان ذلك ليس بورثة وانما المراد به هنا ما لا تستقل العقول بادراكه من حيث نظرها بل تحكيه ينتقص بأدائها اعلم ذلك * وقال في الباب الاحد والثمانين وثلثمائة انما كان أكابر الرجال لامقام لهم معروف لان مشهودهم الحق تعالى ومن كان كذلك

ينتقص من عبوديته بقدر هذا الاسم فمن أراد أن لا ينقص وليامن مقام عبوديته فليسم محمدا بفتح الدال المهملة فانه أولى له من اسم الولى انتهى (فان قلت) فهل جميع الاولياء يعرفون الروح النازل عليهم (فالجواب) ليس كل الاولياء يعرفون ذلك فيرى أحدهم العلوم النازلة على قلبه ولا يدرى عمن جاءته كما يقع للكهنة وأصحاب الزجر وأصحاب الخواطر وأهل الالهام فكل هؤلاء يجدون العلم فى قلوبهم ولا يعرفون من جاءهم به حقيقة والخواص يعرفون من جاءهم ولذلك يتلقونه بالادب ويأخذون عنه الادب رضى الله عنهم أجمعين * وقد قال الشيخ فى الباب الثالث والسبعين فى الاجوبة عن أسئلة الحكيم الترمذى اعلم ان مما اختص به المحدثون من أهل الله كونهم يعرفون حديث الحق تعالى معهم فى نفوسهم لما هم عليه من الصفاء وغيرهم لا يعرف ذلك قال ورأس المحدثين عمر بن الخطاب رضى الله عنه والناس كلهم من الامة ورثته فى ذلك (فان قلت) فمتى يحفظ الولى من التلبيس عليه فيما يأتيه من وحى الالهام (فالجواب) يعرف ذلك بالعلامات فمن كان له فى ذلك علامة بينه وبين الله عرف الوحى الحق الالهامى الملكى من الوحى الباطل الشيطانى وحفظ من التلبيس ولكن أهل هذا المقام قليل قال الشيخ فى الباب الثالث والثمانين ومائتين مما غلط فيه جماعة من أهل الله عز وجل كأبى حامد الغزالى وابن سبعون رجل بوادى اشت قولهم اذا ارتقى الولى من عالم العناصر وفتح لقلبه أبواب السماء حفظ من التلبيس قالوا وذلك لانه حينئذ فى عالم الحفظ من المردة والشياطين فكل ما يراه هنالك حق قال الشيخ محيى الدين وهذا الذى قالوه ليس بصحيح وانما يصح ذلك أن لو كان المعراج بأجسامهم مع أرواحهم ان صح ان أحدا يرث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المعراج وأما من عرج به بخاطره وروحانيته بغيرانه صاحب صوت وجسده فى بيته مثلا فقد لا يحفظ من التلبيس الا أن يكون له علامة فى ذلك كما مر وأطال فى ذلك ثم قال واعلم أن الشيطان لا يزال مراقبا القلوب أهل الكشف سواء كان أحدهم من أهل العلامات أم لم يكن لان له حرصا على الاغواء والتلبيس لعلمه بأن الله تعالى قد يخذل عبده فلا يحفظه فيعيش ابليس بالترجى ويقول لعل وعسى فان رأى ابليس باطن العبد محفوظا وأنوار الملائكة قد حفت به انتقل الى جسد ذلك العبد فظهر له فى صورة الحس أمرا وناهيا يأخذهم بها فاذا حفظ الله تعالى قلب ذلك العبد ولم ير له على باطنه سبيلا جلس تجاه قلبه فينتظر غفلة تطرأ عليه فاذا عجز عن أن يوقعه فى شئ يقبله منه بلا واسطة نظر فى حال ذلك الولى فان رأى ان من عادته الاخذ للمعارف من الارض أقام له أرضا متخيلة ليأخذ منها فان أيد الله تعالى ذلك العبد ردته حاسة الاطلاع حينئذ على الفرق بين الارضين المتخيلة والمحسوسة وقد يأخذ الكامل من ابليس ما ألقاه اليه من الله لا من ابليس فيرده أيضا خاسئا وكذلك ان رأى ابليس أن حال ذلك الولى الاخذ من السماء أقام له سماء متخيلة مثل السماء التى يأخذ منها او يدرج له فيها من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله العارف بما قلناه فى شأن الارض المتخيلة والاصلية وان رأى ان حال ذلك الولى الاخذ من سدرة المنتهى أو من ملك من الملائكة خيل له سدرة مثلها أو صورة ملك مثل ذلك الملك وتسمى له باسمه وألقى اليه ما عرف ان ذلك الملك يلقيه اليه من ذلك المقام فان كان ذلك الشخص من أهل التلبيس فقد ظفر به عدوه وان كان محفوظا حفظ منه فيطرد عنه ابليس ويرمى ما جاء به أو يأخذ ذلك عن الله تعالى لا عن ابليس كما مر ويشكر الله تعالى على ذلك وان رأى الشيطان أن حال ذلك الولى الاخذ من العرش أو العماء أو الاسماء الالهية ألقى اليه الشيطان بحسب حاله ميزانا بميزان وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب الثالث والثمانين ومائتين (فان قلت) فهل يصح ان الحق تعالى يمكر بابليس فيجعله طريقا لوصول الخير لبعض العباد (فالجواب) نعم يصح ان الله تعالى يمكر بابليس كما ذكره الشيخ فى الباب الثامن والستين وعبارته واعلم ان من مكر الله تعالى بابليس أن يلهمه ما به يكون فعل الخير مع العباد من حيث لا يشعر ابليس وذلك أنه يوسوس فى قلب العبد بلمته فيخالفه العبد ويعمل بخلافه فيحصل له بمخالفته ابليس الاجر ولو علم ابليس

فلا غاية لمشهوده ولا لشهوده بخلاف أصحاب المقامات من الصوفية فان هممهم منحصرة الى غايات (٢٣٥) ونهايات فكلما وصلوا الى تلك الغايات تجددت لهم فى قلوبهم غايات أخر تكون تلك الغايات التى وصلوا اليها بدايات لهذه الغايات الاخر فتحكم عليهم الغايات بالطلب لها ولا يزال هذا الامر لهم دائما بخلاف الكمل من الرجال * وقال فيه اعلم ان للخيال سلطانا عظيما على المادية حتى انه يجسد ما ليس من شأنه التجسد فيريك الاسلام قبة والقرآن سمنا وعسلا والقيد ثباتا فى الدين قال ومن أراد نجابة ولده فليقم فى نفسه عند الجماع صورة من شاء من أكابر العلماء وان أراد أن يحكم ذلك فليجامع وهو ينظر ذلك العالم مثلا من وراء حجاب ويتأمل فى جماله ويذكر ذلك الجمال أيضا لامرأته ويستفرغان فى النظر الى حسنه فانه ان وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع أثر فى ذلك الحمل ما تخيلاه بقدرة الله تعالى فيخرج المولود بتلك المنزلة ولا بد فان لم يخرج كذلك فانما هو لامر طرأ فى نفس الوالدين عند نزول النطفة فى الرحم أخرجهما ذلك الامر عن مشاهدة تلك الصورة فى الخيال من حيث لا يشعران قال ويعرف بما ذكرناه عند العامة بالتوحم وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع فى نفس احد الزوجين صورة كلب أو أسد أو حيوان ما فيخرج الولد من ذلك الوقاع فى اخلاقه على صورة ما تخيلاه حسنا او قبحا وأطال فى ذلك ثم قال وتأمل كيف أثر الخيال فى زكريا حين دخل على مريم المحراب ورآها بتولا يعنى منقطعة عن الرجال فطلب من عند الله ان يهبه ولدا من لدنه ولما أى من عنديه الله من حيث الرحمة واللين والعطف وكانت مريم فى خياله من

أن ذلك العبد يسعد بوسوسته لك ما ألقى اليه شيئا قال وما رأيت أحدا من أهل الله نبه على هذا المكر أبدا انتهى (فان قلت) فما صورة وصول الاولياء الى العلم بأحوال السموات (فالجواب) يصل الاولياء الى ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم كما يكشفون عن أحوال أهل الجنة وأهل النار الآن بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى الجنة والنار في صلاة الكسوف ورأى في النار عمرو بن لحي الذي سيب السوائب وصاحب المحجن وصاحبة الهرة التي حبستها حتى ماتت وفي بعض طرق الحديث رأيت الجنة والنار في عرض هذا الحائط انتهى والله تعالى أعلم

(المبحث السابع والاربعون في بيان مقام الوارثين للرسل من الاولياء رضي الله عنهم أجمعين)

اعلم ان عدد منازل الاولياء في المعارف والاحوال التي ورثوها من الرسل عليهم الصلاة والسلام مائتا ألف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل وتسعمائة وتسعة وتسعون منزلا لابد لكل من حقق له قدم الولاية أن ينزلها جميعها ويخلع عليه في كل منزل من العلوم ما لا يحصى قال الشيخ محيي الدين وهذه المنازل خاصة بهذه الامة المحمدية لم ينلها أحد من الامم قبلهم ولكل منزل ذوق خاص لا يكون لغيره ذكره في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات * وقال في الباب التاسع والاربعين وثلثمائة كنت أظن قبل أن يطلعني الله تعالى على مقامات الانبياء من حيث كوني وارثا لهم أن من الادب أن يقال فلان على قدم الانبياء ولا يقال انه على قلبهم لان الاولياء على آثار الانبياء مقتدون ولو أنهم كانوا على قلوب الانبياء لنالوا ما نالته الانبياء أصحاب الشرائع فلما أطلعني الله على مقامات الانبياء علمت أن للاولياء معراجين أحدهما يكونون فيه على قلوب الانبياء ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم كانبياء لكن من حيث هم أولياء أو ما هم فيه الا تشريع فيه والمعراج الثاني يكونون فيه على أقدام الانبياء أصحاب التشريع فيأخذون معاني شرعهم بالتعريف من الله ولكن من مشكاة نور الانبياء فلا يخلص لهم الاخذ عن الله تعالى ولا عن الروح القدس وما عدا ذلك فانه يخلص لهم من الله تعالى ومن الروح القدس من طريق الالهام انتهى * وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة اعلم ان ورثة الانبياء هم العلماء والاولياء فالاولياء حفاظ الاحوال والاحكام الباطنة التي تدق عن الافهام والعلماء حفاظ الاحكام الظاهرة التي تفهم ببادي الرأي وقد برث هؤلاء أيضا الانبياء في الاحوال الباطنة كما كان عليه السلف الصالح فكانوا أولياء علماء فلما تخلف الناس عن العمل بكل ما يعلمون سموا علماء فقط وسلبوهم اسم الولي والا فالعلماء حقيقتهم الاولياء فعلى ما عليه الناس اليوم كل ولي عالم عامل بلا شك وليس كل عالم وليا لانه قد يتخلف عن مقام العمل بما علم فالفقهاء على الحقيقة هم الاولياء لزيادتهم بعلم الاحوال على علم المقال (فان قلت) فما الفرق بين الوارث المحمدي والوارث لغيره من الانبياء عليهم السلام (فالجواب) ان الفرق بينهما ان ورثة الانبياء آياتهم في الآفاق من خرق العوائد وغيرها وآية الوارث المحمدي في قلبه فلذلك كان الوارث المحمدي مجهولا في العموم معروفا في الخصوص لا غير لان خرق العادة انما هو حال وعلم في قلبه فهو في كل نفس يزداد علما بربه علم حال وذوق لا يزال كذلك كما مرت الاشارة اليه أول مبحث المعجزات * وقال في الباب التاسع والثلاثين وأربعمائة من علامة الوارث المحمدي ان يشهد نفسه خلف كل نبي ولو كانوا مائة ألف نبي لرأى نفسه في أماكن على عددهم فان جميع الانبياء والرسل قد جمعت حقائقهم وشرائعهم في محمد صلى الله عليه وسلم فمن آمن به وصدقه فكأنه آمن بجميع الانبياء حقيقة ثم انه اذا تعددت صورته خلف جميع الانبياء يصير يعلم انه هو وليس غيره في كل صورة وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والسبعين في الجواب الثامن والخمسين اعلم ان هذه الدولة المحمدية جامعة لاقدام النبيين والمرسلين فأي ولي رأى قدما أمامه في حضرة الحق فذلك قدم النبي الذي هو له وارث وأما قدم محمد صلى الله عليه وسلم فلا يطأ أثره أحد كما لا يكون أحد على قلبه وكما لا يكون أحد وارثه على الكمال أبدا لانه لو ورثه على الكمال

حيث مرتبتها الجامعة على صورتها حصورا أي منقطعا عن مباشرة النساء وهو العنين عندنا كما كانت مريم منقطعة عن مباشرة الرجال قال وانما يحسنه وسريم اقب لها * وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة في قوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار اعلم ان الحق تعالى ختم على كل قلب أن تدخله ربوبية الحق تعالى فلا أحد قط من الخلق يجد في نفسه انه رب الله بل كل أحد منهم يعلم من نفسه انه عبد ذليل مفتقر محتاج فاذلك طبع الله على كل قلب متكبر جبار أن لا يدخله كبرياء أبدا لختمه على باطن كل عبد أن يدخله تأله وأما الالسنة فلم تعصم من التلفظ بدعوى الالوهية كما لم تعصم الانفس ان تعتقد الالوهية في غيرها فعصمت ان تعتقدها في نفسها دون أمثالها وأطال في ذلك * وقال من أراد الدخول الى فهم كلام ربه فليترك عقله ويقدم بين يديه شرعه ويقول لعقله أنت عبد مثلي كيف أترك ما نصبه الحق الى نفسه لعجزك عن تعقله مع انك قاصر عن معرفة ربك ولو الزمت نفسك الانصاف لالزمت حكم الايمان والتلقي وجعلت النظر والاستدلال في غير ما لم يرد عن ربك وأطال في ذلك * ثم قال في قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث اعلم انه لا يلزم من حدوث الامر عندك أن يكون حادثا في نفسه لا عقلا ولا عرفا ولا شرعا فانك تقول حدث عندنا اليوم ضيف وهو صحيح حدوثه عندك لا حدوثه في نفسه ذلك الوقت بل كانت عينه لكان موجودة من قبل بنحو سبعين سنة وأكثر وأطال في ذلك وقد ذكرنا ذلك أيضا في أجوبة شيخنا والله أعلم * وقال في قوله تعالى منه آيات

لكان رسولا مثله أو نبيا بشريعة تخصه يأخذها عن أخذ منه محمد صلى الله عليه وسلم ولا قائل بذلك فنعوذ بالله من التلبيس اه (فان قلت) فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء هل هم المحدثون أو مطلق العلماء (فالجواب) المراد بهم كل من كان علمه لا تستقل به العقول ولا الحواس بل تحيله العقول من حيث نظرها وليس المراد بهم ما يستقل العقول والحواس بادراك علمهم فان ذلك لا يكون وارثه فافهم * واعلم انه لا يصح ميراث لاحد الا بعد انتقال الموروث الى البرزخ لان كل ما حصل للعبد بغير انتقال لا يسمى ارثا وانما يسمى هبة وعطية ومنحة يكون العبد فيهما نائبا او خليفة لا وارثا * قال في الباب الثمانين والثلثمائة ولا يخفى ان الارث كله يرجع الى نوعين معنوى ومحسوس فالمحسوس هو الاخبار المتعلقة بافعاله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأحواله وأما المعنوى فهو تطهير النفس من مذام الاخلاق وتحليتها بمكارمها او كثرة ذكر الله عز وجل على كل حال بحضور ومراقبة (فان قلت) فمن هو أعظم الورثة للانبياء عليهم الصلاة والسلام (فالجواب) كما قاله الشيخ في الجواب الثالث عشر من الباب الثالث والسبعين ان أعظم الورثة الختمان وأحدهما أعظم من الآخر فواحد يختم الله به الولاية على الاطلاق وواحد يختم الله به الولاية المحمدية فأما خاتم الولاية على الاطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو الولى بالنبوة المطلقة فى زمان هذه الامة وقد حيل بينه وبين التشريع والرسالة فينزل آخر الزمان وارثا وخاتما لا ولى بعده بنبوة مطلقة كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة لا نبوة تشريع بعده فعلم أن عيسى عليه السلام وان كان بعده ومن أولى العزم وخواص الرسل فقد زال حكمه من هذا المقام بحكم الزمان عليه الذى هو لغيره فيرسل وليا ذا نبوة مطلقة ويلهم بشرع محمد صلى الله عليه وسلم ويفهمه على وجهه كالاولياء المحمديين فهو منا وهو سيدنا فكان آخر الامر نبيا كما كان آدم أول الامر نبيا فختمت النبوة بمحمد والولاية بعيسى * قال الشيخ وأما خاتم الولاية المحمدية فهو رجل من العرب من أكرمها أصلا ويدا وهو فى زماننا اليوم موجود وقد اجتمعت به فى سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التى أخفاها الحق تعالى فيه عن عيون عباده وكشفها الى بمدينة فاس حتى رأيت خاتم الولاية المحمدية منه ورأيته مبتلى بالانكار عليه فيما يتحقق به فى سره من العلوم الربانية وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم أن الاولياء كثيرا ما يتكلمون بالخوارق فينبغى التسليم لهم ما لم يخرج أحدهم عن الشرع كأن زعم أحدهم ان الله تعالى كلمه كما كلم موسى عليه السلام فان ذلك يبطل اختصاص موسى واصطفاءه على الناس بالكلام وفى القرآن العظيم وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب الآية (فان قلت) فلم سمى الانسان بشرا (فالجواب) سمى بشرا لمباشرته للامور التى لا تعوقه عن اللحوق بدرجة الروح فلو أنه خلص من العوائق لكلمه الله تعالى من حيث كلم الارواح وارتفاع بشريته محال لان جزأه باق ولا ينقطع فلا يصح مكالمة الله تعالى كفاحا لاحد من الامة ولو ارتفعت رتبته (فان قلت) فما الفرق بين الكلام والمحادثة والمناجاة فان أهل الله يمنعون المكالمة دون المحادثة والمناجاة (فالجواب) الفرق بينهما ان مقام الكلام لا بد أن يسمع صاحبه كلام الحق والمحادثة والمناجاة ليس فيهما سماع كلام الحق فهم كالمجتهدين فى الاسحار يناجون الحق ويسامرونه ويلهمهم الفهم عنه وبعض أهل الله يمنع المحادثة مع الحق أيضا لاحد من الاولياء ويقول المراد بحديث ان يكن من أمتى محدثون فمراده المناجاة (فان قلت) فما الفرق بين المحدثين من الاولياء والنبيين (فالجواب) الفرق بينهما التكليف وذلك ان النبوة لا بد فيها من علم التكليف وحديث المحدثين لا تكليف فيه جملة واحدة وانما يقع لهم الحديث فيما تنتجه الاحوال والمقامات وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب الثالث والسبعين (فان قلت) فما المراد بحديث ان لله عبادا ليسوا بانبياء يغبطهم النبيون بمقامهم وقربهم من ربهم (فالجواب) المراد بهم أرباب العلوم وأرباب السلوك الذين اهتدوا بهدى أنبيائهم ولكن ليس لهم أتباع

محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات اعلم ان المحكم من الآيات كله عربى والمتشابه كل (٢٣٧) موسوى لانه أعجمى والعجمية عند أهل العجمية عربية والعربية عند الاعاجم عجمية وما ثم عجمة الا فى الاصطلاح والالفاظ والصور الظاهرة وأما المعانى فلا عجمة فيها بل كلها عربية فمن ادعى علم المعانى وقال بالتشابه فلا علم له أصلا فما ادعى انه علمه من ذلك فان المعانى كالنصوص عند أهل الالفاظ لانها بسائط لا تركيب فيها والعجمة من شرطها التركيب فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة فى الوجود * وقال فى الباب الثالث والستين وثلثمائة معنى قوله صلى الله عليه وسلم لبلال بم سبقتنى الى الجنة مع انه صلى الله عليه وسلم يعلم أن السبق له هو أى بم صرت مطرقا بين يدى فى الجنة كالمطرقين فى الدنيا بين يدى الملوك قال فأفهمنا صلى الله عليه وسلم أن من فعل مثل بلال من أنه كلما أحدث توضأ وصلى ركعتين كان كذلك مطرقا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبلال الاولية وغيره تبع له * وقال فى الباب الخامس والثمانين وثلثمائة فى قوله صلى الله عليه وسلم للسوداء أين الله اعلم أنه قد دل الدليل العقلى على استحالة حصر الحق فى أينية ولكن الشارع صلى الله عليه وسلم لما علم أن الجارية المذكورة ليس فى قوتها ان تعقل موجدها الا على ما تصورته فى نفسها خاطبها بذلك ولو انه خاطبها بغير ما تصورته فى نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول فكان من حكمته صلى الله عليه وسلم ان سأل مثل هذه الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك لما أشارت الى السماء قال فيها انها مؤمنة يعنى

اولوقفناهم فهم مستريحون يوم القيامة لايحزنهم الفزع الاكبر ولايخافون على أنفسهم لما عندهم من الاستقامة ولا على غيرهم لانهم ليس لهم أتباع ذكره الشيخ في الباب المذكور وأيضا (فان قلت) فقد رأينا في كلام بعضهم تكفير الاولياء لمحدثين بفتح الدال المهملة لكونهم يصححون الاحاديث التي قال الحفاظ بضعفها (فالجواب) تكفير الناس للمحدثين المذكورين عدم انصاف منهم لان حكم المحدثين حكم المجتهدين فكما يحرم على كل واحد من المجتهدين أن يخالف ماثبت عنده فكذلك المحدثون بفتح الدال وكلاهما شرع بتقرير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الجواب السابع والخمسين وقد وقع لنا التكفير مع علماء عصرنا لما صححنا بعض أحاديث قالوا بضعفها قال ونحن نعذرهم في ذلك لانه ماقام عندهم دليل على صدق كل واحد من هذه الطائفة وهم مخاطبون بغلبة الظن ولو أنهم وفوا النظر مهم حقه لعلموا الهم حالهم كما يسلم الشافعي للحنفي حكمه ولا ينقض حكم من حكم به من الحكام ومع الاعتذار وابقوا اهم لوصدقت القوم في كل مايدعونه من نحو ذلك لدخل الخلل في الشريعة لعدم العصمة فيهم فلذلك سددنا الباب وقلنا ان الصادق من هؤلاء لايضره سدنا هذا الباب قال الشيخ محيي الدين ونعم مافعلوه ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالاجر التام على ذلك ولكن اذالم يقطعوا بأن ذلك الولي مخطئ في مخالفتهم فان قطعوا بخطئه فلا عذر لهم فان أقل الاحوال أن ينزلوا الاولياء المذكورين منزلة أهل الكتاب لايصدقونهم ولايكذبونهم اه وكذلك قال الشيخ أيضا في أواخر الباب الثالث والستين وثلثمائة وافقنا اعلم ان من عدم الانصاف من الناس ايمانهم بماجاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم ايمانهم بها اذا أتى بها أحد من خواص أتباعهم من العلماء والاولياء فان البحر واحد ويا ليتهم اذلم يؤمنوا بها اذا جاءت على يد الاولياء يأخذونها على وجه الحكاية فان الانبياء كما جاؤا بما تحيله العقول وآمن الناس به كذلك ينبغي الايمان به اذا جاء على لسان الاولياء فكثيرا ماتهب نفحة من نفحات الانبياء على قلوب أتباعهم تؤديهم الى الموافقة في الالفاظ التي جاءت بها الرسل من صفات البارى جل وعلا فكما سلمنا في الاصل فكذلك نسلم في الفرع بجامع الموافقة فاياك والكفران فانه خسران اه * وقال أيضا في الباب الاحد وثلثمائة كثيرا مايرد على أهل الكشف من الاولياء أمور ولاتقبلها العقول وترمى بها واذا قالها النبي صلى الله عليه وسلم قبلت ايمانا وتأويلا ولاتقبل من غيره وهذا من عدم الانصاف من الاولياء اذا عملوا بماشرع لهم هبت عليهم من تلك الحضرة نفحات جود الهي تكشف لهم عماشاء الله من أعيان تلك الامور الالهية التي قبلت من الانبياء فاذا جاءهم اولى كفر ومع انهم يؤمنون بها عينها اذا جاءهم بها النبي فما أعمى بصيرة هؤلاء المكفرين وأقل الامور أن يقولوا ان كان ماتقول حقا والذى خوطبت به أو كشف لك عنه فتأويله كذا وكذا ان كان ذلك من أهل التأويل وان كان ظاهريا يقول قد وردفى الخبر النبوى مايشبه هذا فان ذلك ليس هو من شرط النبوة ولاحجره الشارع في كتاب ولاسنة اه (فان قلت) فان سلمنا الاولياء ماجاؤا به فما حكمه اذا خالف ماجاءت به الرسل (فالجواب) حكمه الرد فان الولى اذا أتى في كشفه بمايخالف ماكشف للرسل وجب علينا الرجوع الى كشف الرسل وعلمنا ان ذلك الولى قد طرأ عليه في كشفه خلل لكونه زاد على كشفه نوعا من التأويل بفكره فلم يقوم كشفه فهو كصاحب الرؤيا يخبر عمارأى وكشفه صحيح ولكن أخطأ في التعبير فان الكشف لايخطئ أبدا وانما المتكلم في مدلوله ذلك يخطئ ويصيب الا ان كان يخبر عن الله تعالى في ذلك اه قال الشيخ أبو تراب النخشبي رحمه الله اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله قال ولما علم العارفون من الجادلين بغير علم أنهم لابد لهم من الانكار على الطائفة عدلوا الى الاشارات كما عدلت مريم عليها السلام من أجل أهل الافك والالحاد الى الاشارة فكل آية أوحديث له عندهم وجهان وجه يرونه في نفوسهم ووجه

مصدقة بوجود الله ولم يقل انها عالمة لانها صدقت قول الله تعالى وهو الله في السموات ولو كانت عالمة لم تقيده بالسماء فعلم ان العالم أن يصحب الجاهل في جهله تنزلا لعقله والجاهل لايقدر على صحبة العالم بغير تنزل قال وايضاح ماقررناه في الاينية ان الشرائع كلها تنازلات بحسب ماوقع عليه التواطؤ في ألسنة الامم قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم ثم ان التواطؤ قد يكون على صورة ماهى الحقائق عليه وقد لايكون والحق تعالى تابع لهم في ذلك ليفهم عنه ما أنزله من أحكامه وماوعدبه وأوعد عليه فماجاء الشارع بلفظ الاينية في حق الحق الامن أجل التواطؤ الذى عليه لسان المرسل اليهم قال ولو أن غير الرسول قالها لشهد الدليل العقلي بجهل القائل فانه لااينية لله تعالى فلما قالها الرسول بانت حكمته وعلمه علمنا انه تنزل للجارية والله أعلم * وقال في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلاة ليس المراد به المناجاة وانما المراد به شهود من ناجاه فيها قال ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الله في قبلة أحدكم وقال اعبد الله كانك تراه خطابا لمن ليس في مقامه صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم كان يراه في عبادته ما كان كانه يراه وأطال في ذلك * وقال في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة سألت شيخنا عن هذه الزيادة فقال ملايخطر بالبال * وقال تعالى فلاتعلم نفس ماأخفي لهم من قرة أعين فجعلنا على الاجمال انه أمر مشاهد لكونه قرنه بالاعين ولم يقرنه بالاذن ولابشئ من الادراكات وفي الحديث

يرونه فيما اخرج عنهم قال تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم فيسمون ما يرونه فى نفوسهم اشارة ليؤنسوا بذلك المنكرين عليهم ولا يسمونه تفسيرا وقاية لشرهم وتشنيعهم عليهم وذلك لجهلهم بمواقع خطابات الحق تعالى واقتدوا فى ذلك بسنن من قبلهم فان الله تعالى كان قادرا على ان ينص ما تأوله أهل الله وغيرهم فى كتابه ومع ذلك فما فعل بل أدرج فى تلك الكلمات الالهية التى نزلت على لسان العامة علوم معانى الاختصاص الخاص فهمها الخاص قال ولو أن هؤلاء المنكرين ينصفون لاعتبروا فى نفوسهم اذا نظروا فى الآية بالعين الظاهرة التى يسلمونها فيما بينهم فيرون انهم يتفاضلون فى ذلك ويعلو بعضهم على بعض فى الكلام فى معنى تلك الآية مثلا ويقر الفاضل منهم بفضل الافضل والقاصر بفضل غير القاصر فيها وكلهم فى مجرى واحد ومع هذا الفضل المشهود لهم فيما بينهم ينكرون على أهل الله اذا جاؤا بشئ مما يغمض عن ادراكهم وذلك لانهم يعتقدون فيهم انهم ليسوا بعلماء وأن العلم لا يحصل الا على يد المعلم المعتاد فى عرفهم وصدقوا فان أصحابنا ما حصل لهم العلم الا بالاعلام الروحانى الربانى فهم عاكفون على حضرته ينتظرون ما يفتح الله به على قلوبهم قال تعالى خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى علم الانسان مالم يعلم وقال فى حق الخضر وعلمناه من لدنا علما فصدق المنكرون فيما قالوا ان العلم لا يكون الا بالتعلم وأخطؤا فى اعتقادهم أن الله تعالى لا يعلم من ليس بنبى ولا رسول قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء والحكمة هى العلم وجاء بمن وهى نكرة ولكن لما آثر هؤلاء المنكرون الدنيا على الآخرة وآثروا ما يتعلق بجناب الخلق على ما يتعلق بجناب الحق وتعودوا أخذ العلم من الكتب وأفواه الرجال الذين من جنسهم ورأوا فى زعمهم أنهم من أهل الله تعالى بما علموا وامتازوا عن العامة حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى تعليمهم فى سرائرهم على يد ملك الالهام فعلمهم معانى كلامه وكلام رسله وهو تعالى المعلم الحقيقى وأطال فى ذلك * ثم قال فالهذا صان أهل الله تعالى نفوسهم بتسميتهم الحقائق اشارات فان المنكرين لا يرون الاشارات وأين هؤلاء المنكرون من قول على بن أبى طالب رضى الله عنه لو تكلمت لكم فى تفسير الفاتحة لحملت لكم سبعين وقرا فهل هذا العلم الا من العلم اللدنى الذى أعطاه الله تعالى فى القرآن اذ الفكر لا يصل الى ذلك وقد كان أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه يقول خطابا للمنكرين عليه فى زمانه قد أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت وكان الشيخ أبو مدين اذا سمع أحدا يقول نقل فلان عن فلان لا تطعمونا القديد أطعمونا اللحم الطرى يرفع بذلك همة أصحابه كأنه يقول لا تحدثونا بفتوح غيركم وحدثونا بفتوحكم الجديد فى فهمكم لكلام الله أو كلام رسوله فعلم ان أهل الله تعالى ما وضعوا الاشارات التى اصطلحوا عليها فيما بينهم لانفسهم فانهم يعلمون الحق الصريح فى ذلك وانما وضعوها للدخيل بينهم حتى انه لا يعرف ما هم فيه شفقة عليه أن يسمع منهم شيأ لا يصل الى عقله القاصر فينكر عليهم فيحرم ذلك العلم فانه قد جرب أن ما أحد أنكر شيأ على أحد من العارفين الا وحرم ذلك الشئ عقوبة له وأطال فى ذلك ثم قال وأصل الانكار كله الحسد المشتمل عليه النوع البشرى ولو أن الناس تركوا الحسد لنارت قلوبهم وأدركوا علوم أهل الله تعالى وقد بسطنا الكلام على ذلك فى المقدمة أول هذا الكتاب وأطال الشيخ محيى الدين الكلام على ذلك فى الباب الثلاثين من الفتوحات المكية والله أعلم

(المبحث الثامن والاربعون فى بيان ان جميع أئمة الصوفية على هدى من ربهم وأن طريقة الامام أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه أقوم طرق القوم كلها لتحريرها على الشريعة تحرير الجوهر)

اعلم رحمك الله ان حقيقة الولى من يقيمه عمل بعلمه لا غير فأورثه الله تعالى بعلمه الاطلاع على دقائق الشريعة وأسرارها حتى صار أحدهم مجتهدا فى الطريق والاسرار كهو شأن الائمة المجتهدين فى الفروع الشرعية

ان فى الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلابد أن يكون غير معلوم للبشر ولابد أن يكون للبشر صفة غير معلومة ولا معينة ليحصل لذلك الشخص الجزاء الذى لم يخطر على قلب بشر وازنة مجهول لمجهول * وقال كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلا من جهته فهو تعبد محض والعبادة مع عدم معرفة العلة أطهر من العمل المعلل فان العمل اذا علل ربما يكون الباعث للعبد على ذلك العمل حكمة تلك العلة واذا لم يعلل لم يقمه الى ذلك العمل الا العبادة المحضة امتثالا لامر الله لا غير (وقال) ثم مقام للانبياء يطلب منهم أن يطلبوا رؤية الحق تعالى ولذلك طلبه موسى الرؤية وأطال فى ذلك والله أعلم * وقال فى الباب التاسع والثمانين وثلثمائة من أراد فهم المعانى الغامضة فى الشريعة فليعمل فى تكثير النوافل فى الفرائض وان أمكنه ان يكثر من نوافل النكاح فهو أولى اذ هو أعظم نوافل الخيرات فائدة لما فيه من الازدواج والانتاج فيجمع بين المعقول والمحسوس فلا يفوته شئ من العلم بالعالم الصادر عن الاسم الظاهر والباطن فيكون اشتغاله بمثل هذه النافلة أتم وأقرب لتحصيل ما يرومه فانه اذا فعل ذلك أحبه الحق واذا أحبه صار من أهل الله كأهل القرآن واذا صار من أهل القرآن كان محلا لالقائه وعرشا لاستوائه وسماء لتنزله وكرسيا لامره ونهيه فيظهر له منه مالم يره فيه مع كونه كان فيه وأطال فى ذلك * وقال فى قوله تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا اعلم ان الانبياء لا تنهزم ولا تقتل فى مصاف وقد وصف الحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانهزام وقول الله صدق لكن لم يكن

ولذلك شرعوا في الطريق واجبات ومحرمات ومندوبات ومكروهات وخلاف الاولى زائدا على ما صرحت به الشريعة كما استنبط المجتهدون نظير ذلك وأبطلوا أى مجتهدو القوم العبادات والعقود بالاخلال بها أو بجزء أو شرط أو بارتكاب محرم وهذا شأنهم رضي الله عنهم فما من أحد منهم حوله قدم الولاية الا وهو مجتهد في الطريق ليس عنده تقليد الا لما صرحت به الشريعة أو أجمع عليه الامة فقط فمن ادعى مقام الكمال وهو مقلد لعالم فهو غير صادق وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا لا يكمل الرجل عندنا في الطريق حتى يأخذ العلم من حيث أخذه المجتهدون اه * ثم مما اختص به الصوفية عن غيرهم علمهم بالطريق الموصلة لهم الى العمل بالكتاب والسنة فاذا قلت لهم ان مقصودى أن أزهد في الدنيا بحيث لا يبقى عندى ميل عادى اليها قولون لك أكثر من ذكر الله تعالى ليلا ونهارا حتى يرق حجابك فتدرك الآخرة ببصيرتك وتنظر ما لمن يزهد في الدنيا من الدرجات والنعيم كما وقع لابراهيم بن أدهم رضي الله عنه فاذا رأيت ذلك زهدت لا محالة في الدنيا ولو قال لك جمهور الناس ارغب في الدنيا لا تصغى لهم ولو انك يا أخى قلت ذلك لعالم لقال لك ان الله تعالى أمرك أن تزهد لا غير ولا يهتدى لطريق لى ذلك فحكمه حكم طبيب يحفظ كتابا في الطب ولا يعرف علاج المرض فعلم ان سبب انكار بعض الناس على الصوفية انما هو لدقة مداركهم ولو أن المنكر لزم الادب وسلم للقوم كل ما خالف فهمه مما لم يعارض كتابا ولا سنة ولا اجماعا وقد رأيت في كتاب الرعاية للشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء يعمر في عصره ما نصه كل الناس قعدوا على رسوم الشريعة وقعدت الصوفية على قواعدها التى لا تتزلزل * قال ويؤيد ذلك ما يقع على يديهم من الكرامات والخوارق ولا يقع ذلك قط على يد عالم ولو بلغ في العلم ما بلغ الا ان سلك طريقهم انتهى وقد بلغنا أنه كان يقول قبل ذلك وهل ثم طريق للشريعة غير ما بأيدينا من النقول ثم يقول من زعم أن ثم علما باطنا للشريعة غير ما بأيدينا فهو باطل يقرب الزنديق فلما اجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي بمصر المحروسة وأخذ عنه صار يمدح طريق القوم كل المدح و يقول انها طريق جمعت أخلاق المرسلين وكان يقول حجة الاسلام الغزالى رحمه الله مثل ما كان يقول الشيخ عز الدين قولا فلما اجتمع بالصوفية وذاق طريقهم صار يقول ضيعنا عمرنا في البطالة أى لما في الاشتغال بالعلم على طريق أهل الجدال من غلبة القول على العمل والحق ان الاشتغال بالفقه ليس هو بطالة تماما وأساس للطريق فان من شأن أهل الطريق أن يكون جميع حركاتهم وسكناتهم محررة على الكتاب والسنة ولا يعرف ذلك الا بالتبحر في علم الحديث والفقه والتفسير فقول الغزالى ان الاشتغال بالفقه بطالة انما هو كلام صدر حال عشقه في طريق القوم والعاشق حكمه حكم السكران ولو أنه تأمل في صحته لعرف ما قلناه من أن الفقه أساس الطريق وأن غاية الصوفى انه عالم عمل بعلمه لا غير (وقد كان) سيدى ابراهيم الدسوقى رحمه الله يقول لو أن الفقيه أتى العبادات والمأمورات الشرعية بغير علة كما أمره الله تعالى لاستغنى عن الشيخ ولكنه أتى العبادات بعلل وأمراض فلذلك احتاج الى طبيب يداويه حتى يحصل له الشفاء ومن هنا استغنى التابعون عن الخلوة والرياضة كما عليه تلامذة الاشياخ ولم ينقل عن أحد منهم انه دون شيأ في علاج الامراض الباطنة لعدمها في عصرهم أو قلتها جدا حتى لا تكاد توجد وكان معظم اجتهادهم انما هو في جمع أحاديث الشريعة والمطابقة بينها وبين الكتاب العزيز وهذا أهم بيقين من اشتغالهم بعلاج أمراض لها الا توجد وقد حصل بذلك الجواب عن قول من قال لاى شئ لم يدون الائمة المجتهدون شيأ في علم التصوف أو يشتغلوا بالذكر لتجلى قلوبهم كما فعل الصوفية فانه لا يقول عاقل قط عن أحد يعنى من الائمة انه يعلم من نفسه عجبا أو رياء أو غلا أو حقدا أو مكرا أو خديعة ولا يجاهد نفسه أبدا ولو انهم علموا أن فيهم شيأ من ذلك لقدموا علاجه على سائر الاعمال من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة فانهم فقد

قوله لرؤية أجسامهم لانهم اناس مثله وانما قوله من شهود أمر يهوله مما قام بهم قال وقد رأيناهم في سياحتنا وما ملئنا منهم رعبا لانا ما شهدنا منهم الامور أجسامهم فرأيناهم أمثالنا مع انه صلى الله عليه وسلم رأى ليلة الاسراء أمورا مهولة ولم يتأثر مثل ما كان يتأثر لو اطلع على أهل الكهف وروى البيهقى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما تدلى لنا الرفرف ليلة عرج بي غشى على جبريل ولم يغش على من ذلك فعلمت فضل جبريل على في العلم بذلك قال وهذا نكتة وهى ان الله تعالى ما ذكر الارؤية عينهم بذكر الاطلاع عليهم فهم أسفل منه بالمقام ومع ذلك خاف أن يلحق بهم فينزل عن مقامه فامتلأ بذلك رعبا لئلا يؤثر وافيه تأثير الادنى في الاعلى الرضاعة والسخط عليه فلذلك كان حقيقا أن يولى منهم فرارا كما يفر الانسان من الوقوف على مهواة خوف السقوط وأطال في ذلك فراجعه * وقال في الباب التسعين وثلثمائة لقد طفت بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فانشدونى بيتين حفظت واحدا ونسيت الآخر

لقد طفنا كما طفتم سنينا بهذا البيت طرا أجمعينا

وقال لى واحد منهم أما تعرفنى فقلت لا قال أنا من أجدادك الاول قلت له كم لك منذ مت قال لى بضع وأربعون ألف سنة فقلت له ليس لآدم عليه السلام هذا القدر من السنين فقال لى عن أى آدم تقول عن هذا الاقرب اليك أو عن غيره فتذكرت حديثا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد خلق مائة ألف آدم فقلت قد يكون ذلك الجد الذى نسبنى اليه من أولئك والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم باث

بان لك أن سائر أئمة الصوفية على هدى من ربهم كالائمة المجتهدين وانه لا ينبغى لاحد أن ينكر عليهم كلامهم الا بعد ان يدخل طريقهم ويعرف مصطلحهم ونجيب من شطح عن ظاهر الشريعة انما هو دخيل فيهم أو غلب عليه حال أو كان مبتدئا نافيا للطريق وأما الكاملون كالجنيد واضرابه فطريقهم محررة على الادب محررة الذهب اذهم حماة الدين رضى الله عنهم أجمعين وانما خصصنا كغيرنا طريق الشيخ أبى القاسم الجنيد بمزيد التقويم وان كل من سلكها نجا لانها كما قال الجلال المحلى وغيره طريق خال عن البدع دائر على التسليم والتفويض لله تعالى والتبرى من حظوظ النفس وهذا من أصح الطرق فهى كطريق الشيخ أبى الحسن الاشعرى فى العقائد الدينية ولذلك قالوا ونعتقد أن طريق الشيخ أبى الحسن الاشعرى فى العقائد الدينية طريق مثلى لكونه ابن التفريط والافراط قال الجلال المحلى ولا التفات الى من تكلم فى الشيخ أبى الحسن من أهل الزيغ ويكفينا فى امامته وجلالته كتاب علماء الاسلام من أهل التفسير والحديث والفقه والاصول على الاعتماد على قوله فى العقائد وكذلك يكفينا فى امامة أبى القاسم الجنيد رحمه الله اجماع الناس كلهم على جلالته وقولهم انه سيد الطائفة كلها علما وعملا وهو جدير بذلك وقد كان يقول علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة انتهى وانما لم يذكر القياس والاجماع لان القياس والاجماع انما تعلم دلالتهما اذا وافقا قواعد الكتاب والسنة فاستغنى الجنيد عن القياس والاجماع بذكر الكتاب والسنة وكان يقول أيضا اذا رأيتم شخصا متربعا فى الهواء فلا تلتفتوا اليه الا ان رأيتموه مقيدا بالكتاب والسنة وكان يقول الطرق كلها مسدودة على الخلق الا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول لو كنت حاكما لضربت عنق من سمعته يقول لا موجود الا الله أو ليس لى فعل مع الله لان ظاهر كلامه نفى غير الله وهدم أحكام التكاليف كلها قال الجلال المحلى وغيره ولا التفات الى من رمى الشيخ الجنيد فى جملة من رمى بالزندقة من الصوفية عند الخليفة جعفر المقتدر بالله تعالى حتى انه أمر بضرب أعناقهم وقد بلغنا أنهم كلهم أمسكوا الا الجنيد مع انه شيخ الجماعة وذلك لانه كان يستر كلام أهل الطريق عمن ليس منهم وكان يتستر بالفقه والافتاء على مذهب أبى ثور وكان اذا تكلم فى علوم القوم أغلق باب داره وجعل مفتاحه تحت وركه وكذلك بلغنا عن الحسن البصرى رضى الله عنه وكانا يقولان أتحبون ان يرمى أولياء الله بالزندقة زورا وبهتانا عند من لا يعرف اصطلاحهم ولم يبلغنا قط عن الجنيد انه تكلم بشئ من الشطح كما نقل عن أبى يزيد وغيره كل ذلك لكماله قال الجلال المحلى ولما بسط النطع لضرب أعناق الصوفية الذين أمسكوا تقدم من آخرهم الشيخ أبو الحسن النورى وقال للسياف اضرب عنقى قبل أصحابى فقال له السياف لم ذلك فقال لاوثر أصحابى بحياة ساعة فبهت السياف وأنهى الامر الى الخليفة فردهم الى القاضى اسماعيل بن اسحق المالكى فسأل النورى عن مسائل فقهية فأجابه عنها ثم قال وبعد فان لله عبادا اذا قاموا قاموا بالله واذا نطقوا نطقوا بالله فقبل القاضى قوله وأرسل يقول للخليفة ان كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الارض مسلم فخلى الخليفة سبيلهم رضى الله عنهم أجمعين * وحكى ابن أعين فى رسالته عن الامام أحمد رضى الله عنه انه كان فى أول أمره ينهى ولده عن مجالسة الصوفية حتى نزل عليه جماعة منهم فى الليل من الهواء فسألوه عن مسائل فى الشريعة حتى أعجز وثم صعدوا فى الهواء فمن ذلك الوقت وهو يقول لولده عليك بمجالسة الصوفية فانهم أدركوا من خشية الله وأسرار شريعته ما لم ندركه وكان اذا عجز عن جواب مسئلة يقول للشيخ أبى حمزة البغدادى ما تقول فى هذا يا صوفى فاذا أجابه بشئ أخذ به * وحكى القشيرى عن ابن سريج أنه كان ينكر على الجنيد فتنكر يوما وحضر مجلس الجنيد وهو لا يشعر فلما انصرف الجنيد قالوا لابن سريج ماذا رأيت فى كلام هذا الرجل فقال لم أفهم من كلامه شيأ الا ان صولة الكلام ليست بصولة مبطل فعلم ان الانكار لم يزل فى العلماء على الصوفية فى كل عصر لدقة مداركهم لا لخروجهم عن الشريعة فى نفس الامر معاذ الله ان تقع الاولياء فى ذلك ومن جاز ذلك فى حقهم وقد بسطنا الكلام على ذلك فى

بلاشك فان العالم لا يصح له مرتبة الاولية لانه مفعول الله تعالى * وقال فى الباب الاحد والتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اعلم ان فى هذه الآية اثبات القتل والرمى لمن نفاه عنه ثم انه لم يثبت على الاثبات بل أعقب الاثبات نفيا كما أعقب النفى اثباتا بقوله ولكن الله قتلهم وبقوله ولكن الله رمى فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت الا فى واحدة قال وايضاح ذلك أن الله تعالى قال قاتلوهم فأظهر أمرا وآمرا ومأمورا فى هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات قال ما أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فانتم انما بمنزلة السيف لكم أو أى آلة كانت للقتل فكما ان القتل وقع فى المقتول بالآلة ولم يقل فيها انها القاتلة بل الضارب هو القاتل كذلك الضارب بالنسبة الينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة اليه فافهم * وقال فى الباب الثانى والتسعين وثلثمائة فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الآية اعلم أن كل من غضب من العالم وانتقم فقد رحم نفسه بذلك الانتقام لكونه شفا له مما يجده من ألم الغضب وصدقة الانسان على نفسه من أفضل الصدقات ثم اذا رحم نفسه وزال الغضب لابد أن تعقبه الرحمة وهو الندم الذى يجده الانسان فى نفسه اذا عاقب أحدا ويقول لو شاء الله لكان العفو عنه أحسن لابد أن يقول ذلك اما دنيا أو أخرى يعنى فى انتقامه لنفسه لئلا يتخيل أن اقامة الحدود من هذا القبيل فان اقامة الحدود شرع من عند الله ما للانسان فيها تعمل وأطال فى ذلك ثم قال واعلم أنه لم يات

مقدمة الطبقات الكبرى والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع والاربعون في بيان ان جميع الائمة المجتهدين على هدى من ربهم من حيث وجوب العمل بكل ما أدى اليه اجتهادهم واثبات الاجر لهم من الشارع وان أخطؤا)

على ما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى واعلم يا أخي ان مبحث الجواب عن الائمة يكتفى فيه بأي وجه كان وأما التحقيق فله مكان آخر فلا ينبغي الاعتراض علينا اذا بنينا هذا المبحث على القول المرجوح بان كل مجتهد مصيب (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول انما لم أعول على الجمع بين أقوال العلماء جهدكم فان اعمال القولين أولى من الغاء أحدهما وبذلك يقل تناقض أقوال العلماء ومن وصل الى مقام الكشف وجد جميع الائمة المجتهدين لم يخرجوا عن الكتاب والسنة في شئ من أقوالهم وشهدها كلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة لانهم على آثار الرسل سلكوا فكما انه يجب عليك يا أخي الايمان والتصديق بصحة كل ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام مما يخالف شريعتك ظاهرا فكذلك يجب عليك الايمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون وان خالف مذهب امامك انتهى وقد تتبعت بحمد الله أدلة المجتهدين فلم أجد فرعا من فروع مذاهبهم الا وهو مستند الى دليل اما آية أو حديث أو أثر أو قياس صحيح على أصل صحيح لكن من أقوالهم ما هو مأخوذ من صريح الحديث أو الآية أو الاثر مثلا ومنها ما هو مأخوذ من المفهوم أو مأخوذ من ذلك المأخوذ وهكذا فن أقوالهم قريب وأقرب وبعيد وأبعد وكلها مقتبسة من شعاع نور الشريعة التي هي الاصل ومحال أن يوجد فرع من غير أصل (وايضاح ذلك) ان نور الشريعة المطهرة هو النور الوضاح ولكن كلما قرب الشخص منه يجده أضوأ من غيره وكلما بعد عنه في سلسلة التقليد يجده أقل نورا بالنسبة لما هو أقرب من عين الشريعة وهذا هو سبب تفاوت أقوال علماء المذاهب وتضعيف بعضهم كلام بعض الى عصرنا هذا فان بيننا الآن وبين الشارع نحو خمسة عشر دورا وأين من يخرق بصره هذه الادوار كلها حتى يشهد اتصال أقوال جميع الادوار بعين الشريعة وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول مثال عين الشريعة المطهرة التي يتفرع منها كل قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم مثال العين الاولى من شبكة الصياد ومثال أقوال علمائها مثال العيون المنتشرة منها في سائر الادوار فمن كشف الله تعالى عن بصيرته وأدرك العين الاولى وما تفرع منها أقر جميع أقوال علماء الاسلام بحق وشاهدها كلها مرتبطة بالعين الاولى من العيون كارتباط الظل بالشاخص أو كارتباط الاصابع بالكف ومن لم يكشف الله تعالى عن بصيرته أخطأ ضرورة كل ما زاد عن مطمح بصره وأخرجه عن الشريعة قال وعلى ما قررناه ينزل القولان من أن كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد والباقي مخطئ وبالاول قال جماعة من الاصوليين ومن المالكية أبو بكر بن العربي وغيره وبالثاني قال الجمهور اه وقد كنت وضعت بحمد الله تعالى ميزانا أوضحت فيها أدلة هذين القولين ثم لما رأيت الغالب على أهل المذاهب الاكباب على قول امامهم وعدم التدين بأقوال غيره الا لضرورة رجعت عنه (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول ما ثم لنا قول الا وأصله مجمل في الكتاب والسنة ولولا ذلك ما قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم لتبين للناس ما نزل اليهم بل كان يكتفي بتبليغه للقرآن من غير بيان قال ولما كان من المعلوم انه لا يفصل العبارة الا العبارة نابت الرسل عليهم الصلاة والسلام عن الحق تعالى في تفصيل ما أجمله تعالى في كتابه العزيز وناب المجتهدون مناب الرسل عليهم الصلاة والسلام في تفصيل ما أجملوه في كلامهم وناب اتباع المجتهدين مناب المجتهدين فيما أجملوه من كلامهم وهكذا القول في كلام أهل كل دور ممن بعدهم الى وقتنا هذا يفصل أهل كل دور ما أجمله الدور الذي قبلهم ولولا ان حقيقة هذا الاجمال سارية في العالم ما شرحت الكتب ولا ترجمت من لسان الى لسان ولا وضع الناس على تفسير بعضهم وشرح وحواشي

في القرآن قط أن الله خير الآخذين ولا خير الباطشين ولا المعذبين ولا المنتقمين وانما خير الراحمين خير الفاصلين (م) خير الشاكرين خير الغافرين وأما خير الماكرين فلحكمة لا ينبغي أن تذكر الا بين أهل الله تعالى فتأمل ما تحته * وقال في الباب الثالث والتسعين وثلثمائة في قول الله تعالى وان منها أى الحجارة لما يهبط من خشية الله هذا دليل سمعي شهد للحجارة بالخشية ولا تخشى الا حى دراك قال وقد أخذ الله بأبصار الانس والجان عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله تعالى كنحن واضرابنا فانا لا نحتاج الى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عينا وأسمعنا تسبيحها ونطقها قال وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلى انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل فلولا ما عنده من العظمة ما اندك لان الذوات لا تؤثر في أمثالها ذلك وانما يؤثر في الاشياء معرفتها بقدر من تجلى لها ومنزلته لا غير فالعلم بالمنزلة هو الذى أثر لا الذات التى لها المنزلة الكامنة فيها قال وانظر الملك اذا دخل السوق في صورة العامة ومشى بينهم وهم لا يعرفون أنه الملك كيف لا يقوم له وزن في نفوسهم ثم اذا القيه في تلك الحالة من يعرفه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتأدب وخضع له فاذا رأى الناس الذين يعرفون قرب ذلك الخاضع من الملك ومنزلته عنده علموا أنه لا يظهر منه مثل هذا الفعل الا مع الملك حارت اليه أبصارهم بل وحشت له أصواتهم وأوسعوا له وتبادروا الى رؤيته واحترامه فهل أثر فيهم الا ما قام بهم من العلم فاحترموه وحينئذ أصورته لانها كانت مشهودة

بل ربما أوضحوا على الحواشي حواشي والسر في ذلك أن غير الشارع صلى الله عليه وسلم إذا تكلم على حكم شرعي لا يمكنه أن يستحضر جميع ما يرد على تلك العبارة من الأسئلة والأحكام حتى يفصح عنها في تلك العبارة بل ينسى أكثر الأحكام بخلاف الشارع صلى الله عليه وسلم فإنه لا يتكلم إلا بوحي من ربه عز وجل معصوم من الخطأ ونقص المعاني وصحة الإيرادات عليه وما كان ربك نسيا وغير الشارع بالعكس قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فعلم أن أهل كل دور رحمة على من بعدهم كما أن للتابع من الخلق المنة على متبوعه من السلف من حيث علمه بعلم متبوعه وكتابة ثواب ذلك في صحائفهم فعلوم جميع الأمة المحمدية وعلمهم في صحائف سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن من غير منة عليه صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من المجتهدين وغيرهم فافهم فالمنة له صلى الله عليه وسلم المنة على المجتهدين ومقلديهم إلى يوم القيامة بإعطائهم المادة التي يستنبطون منها الأحكام وليس للمجتهدين منة عليه صلى الله عليه وسلم إنما لهم المنة على من قلدهم إلى يوم القيامة فلولا التابع ما ظهر كمال المتبوع من الخلق في كل دور بحسبه فافهم وكذلك لولا بيان الشارع صلى الله عليه وسلم ما أجمل في القرآن بأحاديث الشريعة لبقي القرآن على إجماله إلى وقتنا هذا وما كنا عرفنا كيفية تأدية الصلاة ولا الطهارة ولا عرفنا نواقض الطهارة ولا عرفنا أنصبة الزكاة ولا شروطها ولا واجبات الصوم والحج ولا مفسدهما ولا كيفية العقود ولا المعاملات ولا غير ذلك مما هو معلوم وكذلك لولا بيان المجتهدين ما أجمل في الشريعة لمقلديهم لبقيت السنة على إجمالها وهكذا الكلام في كل دور بعدهم إلى يوم القيامة يفصل كل دور ما أجمل في كلام من قبله ومن زعم أن المجتهدين عرفوا المجمل من القرآن بلا واسطة بيان السنة له فليأتنا بمثال لذلك ولعله لا يجده (وإيضاح ذلك) أنه ليس لتابع علم من غير دائرة علم متبوعه أبدا كما أن كشف الأولياء لا يتعدى كتاب نبيهم وسنته أبدا وبتقدير أنه يأتينا بعلم من طريق كشفه لا يجوز لنا العمل به إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة وموافقته لهما وفي سنن البيهقي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما ولى شريحا القضاء قال له انظر فما تبين لك في كتاب الله عز وجل صريحا فلا تسأل عنه أحدا وما لم يتبين لك في كتاب الله تعالى فاتبع فيه سنة محمد صلى الله عليه وسلم وما لم يتبين لك في السنة فاجتهد فيه رأيك وإن شئت فآمرني ولا أرى مؤامرتك إياي إلا أسلم لك اه وقد تبرأ المجتهدون كلهم من القول في دين الله بالرأي كما أوضحنا ذلك في مقدمة كتابنا المسمى بالمنهج المبين في بيان أدلة المجتهدين وهو كتاب ما صنف في الإسلام مثله فراجعه * وملخص أقوالهم في ذلك أن البيهقي روى بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول إذا أفتى الناس هذا رأي عمر فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمن عمر ويقول أستغفر الله وروى البيهقي أيضا عن عبد الله بن عباس وعطاء ومجاهد ومالك بن أنس رضي الله عنهم أنهم كانوا يقولون ما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه كان يقول لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي وكان رضي الله عنه إذا أفتى يقول هذا رأي النعمان بن ثابت يعني نفسه وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب وكان الإمام مالك يقول ما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم والبيهقي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه كان يقول إذا صح الحديث فهو مذهبي وفي رواية إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وقال يوما للمزني يا إبراهيم لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين وكان رضي الله عنه يقول لا حجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كثروا ولا في قياس ولا في شيء وما ثم إلا طاعة الله ورسوله بالتسليم وقد نقلنا جميع ما نقل عنهم من التبري من الرأي في كراسة وكان الإمام أحمد رضي الله عنه يقول ليس لأحد مع الله تعالى ورسوله كلام (قلت) ولذلك لم يدون له كتابا أبدا في الفقه وجميع مذهبه الآن إنما هو ما فهم من

لهم حين لم يعلموا أنه الملك فإن كونه ملكا ليس هو عين صورته وإنما هي رتبة نسبة أعطته التحكم في العالم الذي تحت يديه فتأمل ذلك فإنه نفيس * وقال في الباب السادس والتسعين وثلثمائة مراد الحق تعالى من عباده بجميع ما خلق وأنزل من العلوم أن يجمعهم بذلك عليه ومن أتعب نفسه في جمع العلوم من غير أن ينظر في دلالتها على الحق تعالى فاته المقصود الأعظم وحجب عن موضع الدلالة التي فيها على الحق حتى علوم الحساب والهندسة والمنطق ونحوها فما منها علم إلا وهو طريق للعلم بالله تعالى ولكن أكثر الناس لا ينظر فيه من حيث ذلك الوجه الدال على الله فوقع الذم من العارفين على أصحاب هذه العلوم حيث حجبتهم عما فيها من الدلالة وأطال في ذلك * وقال في الباب السابع والتسعين وثلثمائة إنما ظهر الشيخ عبد القادر الجيلي بالتصريف في الوجود والتأثير والدعاوى العريضة لأن مشهده من الحق تعالى كان حضرة الاسم الظاهر فأعطاه مقام الصولة والهمة والشطح وإظهار العلو على أمثاله وأشكاله بل على من هو أعلى منه في مقامه قال وهذا المقام وإن كان رفيعا فثم ما هو أرفع منه وهو مقام الأدب وإظهار الذل والمسكنة قال ومن شطح على أحكام الله أكثر أدبا ممن شطح على عباد الله لأن الله تعالى يقبل الشطح لوسعه بخلاف المخلوق لضيقه قال وثم أقوام يشطحون على أهل الله من شهود في حضرة خيالية فهؤلاء لا كلام لنا معهم لأنهم مطرودون عن باب الله وعلامتهم أنهم لا يرفعون بالأحكام الشرعية رأسا ولا يقفون عند حدود الله تعالى مع وجود عقل التكليف عندهم

صدور الرجال رضي الله عنه وبلغنا انه وضع في الصلاة ثلاثين ألف مسئلة وسأله رجل مرة عن مسئلة فقال لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا الاوزعي ولا النخعي ولا غيرهم وخذ الاحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة اه وهو محمول على من أعطى قوة الاجتهاد أما الضعيف فيجب عليه التقليد لاحد من الائمة والا هلك وضل (فان قلت) فما دليل المجتهدين في استنباطهم الاحكام وهلا وقفوا على حد صريح ما ورد (فالجواب) دليلهم في الاجتهاد ما وقع من اجتهاده صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في شأن الصلوات من المراجعة بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل فان الله تعالى لما فرض على أمة محمد الخمسين صلاة نزل بها الى موسى ولم يقل شيأ ولا اعترض ولا قال هذا كثير فلما قال له موسى عليه السلام راجع ربك بقي صلى الله عليه وسلم متحيرا من حيث ان شفقته على أمته تطالبه بالتخفيف عنهم اثلا يقعوا في الضجر والسآمة والكراهية من ثقل تلك التكاليف فلما بقي حائرا أخذ طالب الترجيح أي الحالين أولى وهذا هو الاجتهاد فلما رجع عنده انه يراجع ربه رجع الى قول موسى وأمضى ذلك في أمته باذن من ربه عز وجل وكان في تشريع أمته الاحكام باذن الله تأنيس لمحمد صلى الله عليه وسلم بما جرى منه لئلا يستوحش مع ان ما جرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من التشريع فيه جبر لقلب موسى عليه السلام أيضا فان موسى لا بد اذا رجع الى نفسه وخف عنه الحال الذي كان عليه من وفور الشفقة يجد الله تعالى الذي كلف أمة محمد بالخمسين صلاة أرحم بهم من موسى ويرى ان الخمسين كانت من أقل ما ينبغي لجلال الله عز وجل في العبادة ولم يستكثر بها على العبيد وعلم أيضا أن الله تعالى لو أمضى عليهم الخمسين صلاة فلا بد انه كان يقويهم على فعلها فان القوة بيد الله ولا يكلف نفسا الا وسعها ثم ان موسى عليه السلام لما ندم على قوله في شأن المراجعة جبر الله تعالى قلبه بقوله تعالى ما يبدل القول لدي في آخر رجعة وآنسه باطلاعه على ان القول قبل ذلك كان معرضا يقبل التبديل ولذلك سر بهذا القول وعلم أن من القول الالهي ما يقبل التبديل ومنه ما لا يقبله وعلم ان كلامه الذي كان ندم عليه من حيث معارضته لما فرضه الحق تعالى العليم الخبير ما وقع منه الا حين كان القول معرضا لا حين حق القول منه تعالى فعلم ان في تشريع الاجتهاد للائمة المجتهدين جبر القلب محمد صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فصار له اسوة بهم وصار لهم اسوة به فهذا كان منشأ الاجتهاد للمجتهدين (قلت) ومما أجرأ الائمة على استنباط الاحكام قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فافهم (فان قلت) فهل يجوز لاحد الطعن في قول مجتهد (فالجواب) لا يجوز لاحد الطعن في حكم المجتهد لان الشارع قد قرر حكم المجتهد فصار شرعا لتقرير الله اياه فمن خطأ مجتهدا بعينه فكأنه خطأ الشارع فيما قرره حكما وهذه مسئلة يقع في محذورها كثير من أصحاب المذاهب لعدم استحضارهم لما نبهناهم عليه مع كونهم عالمين به ذكره الشيخ في باب مسح الخف من الفتوحات * وقال في باب الوصايا اياكم والطعن على أحد من المجتهدين وتقولون انهم محجوبون عن المعارف والاسرار كما يقع فيه جهلة المتصوفة فان ذلك تجهيل مقام الائمة فان للمجتهدين القدم الراسخ في علم الغيب بذوقهم وان كانوا يحكمون بالظن فالظن علم وما بينهم وبين أهل الكشف الا اختلاف الطريق وهم في مقامات الرسل من حيث تشريعهم للامة باجتهادهم كما شرعت الرسل لاممهم اه * وقال في الباب التاسع والستين وثلثمائة بعد كلام طويل في مدح المجتهدين فعلم ان المجتهدين هم الذين ورثوا الانبياء حقيقة لانهم في منازل الانبياء والرسل من حيث الاجتهاد وذلك لانه صلى الله عليه وسلم أباح لهم الاجتهاد في الاحكام وذلك تشريع عن أمر الشارع فكل مجتهد مصيب من حيث تشريعه بالاجتهاد كما ان كل نبي معصوم قال وانما تعبد الله المجتهدين بذلك ليحصل لهم نصيب من التشريع ويثبت لهم فيه القدم الراسخة ولا يتقدم عليهم في الآخرة سوى نبيهم صلى الله عليه وسلم فتحشر علماء هذه الامة حفاظ الشريعة المحمدية في صفوف الانبياء والرسل لا في صفوف الامم فما من رسول الا

وأطال في ذلك * وقال في الباب (٢٤٤) الثامن والتسعين وثلثمائة في قوله تعالى قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى الواحدة أن يقوم الواعظ من أجل الله اما غيرة واما تعظيما وقوله مثنى أي بالله ورسوله فانه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا عن هوى نفس ولا تعظيم كوني ولا غيرة نفسية وقوله وفرادى أي بالله خاصة أو رسوله خاصة * وقال لا يجوز لاحد المبادرة الى الانكار اذا رأى رجلا ينظر الى امرأة في الطريق مثلا فربما يكون قاصدا خطبتها أو طبيبا فلا ينبغي المبادرة للانكار الا فيما لا يتطرق اليه احتمال قال وهذا يغلط فيه كثير من المتدينين لا من أصحاب الدين لان صاحب الدين أول ما يحتاط على نفسه ولا سيما في الانكار خاصة وقد ندبنا الحق تعالى الى حسن الظن بالناس لا الى سوء الظن بهم فصاحب الدين لا ينكر قط مع الظن لانه يعلم ان بعض الظن اثم ويقول لعل هذا من ذلك البعض واثمه أن ينطق به وان وافق العلم في نفس الامر وذلك انه ظن وما علم فنطق فيه بأمر محتمل وما كان له ذلك قال ومعلوم ان سوء الظن بنفس الانسان أولى من سوء ظنه بالغير وذلك لانه من نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة فلا يقال في حقه ان فلانا أساء الظن بنفسه لانه عالم بنفسه وانما عبرنا بسوء الظن بنفسه اتباعا للتعبير بنابه وظنه بغيره فهو من تناسب الكلام وبجانبه قال والى الآن ما رأيت أحدا من العلماء استبرأ لدينه هذا الاستبراء فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله * وقال في قوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل

صبار شكور يعني في حق راكب البحر اذا اشتد عليه الريح ويرد فيه الى ذلك من النعمة يطالب (٢٤٥) منه الشكر وبما في ذلك من الشدة

و بجانبه عالم من علماء هذه الامة أو اثنان أو ثلاثة أو أكثر وكل عالم منهم له درجة الاستاذية في علم الاحكام والاحوال والمقامات والمنازلات الى أن ينتهي الامر في ذلك لختم الائمة المجتهدين المحمديين الذي هو المهدي عليه السلام اهـ * وقال أيضا في باب الجنائز من الفتوحات انما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم بالصلاة على آله العلماء بقوله لنا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ليكون لآله الذين هم المجتهدون من الوحي مثل ما كان لآل ابراهيم الذين هم اسحق ويعقوب ويوسف من التشريع بالاجتهاد وان تفاوتت المقامات قال وقد حقق الله تعالى له رجاءه صلى الله عليه وسلم وجعل وحي المجتهدين في اجتهادهم اذ المجتهد لم يحكم الا بما أراه الله تعالى في اجتهاده ولذلك حرم الله على المجتهد أن يخالف ما أدى اليه الاجتهاد كما حرم على الرسل أن تخالف ما أوحي به اليهم فعلم أن الاجتهاد نفحة من نفحات التشريع ما هو عين التشريع وان معنى اللهم صل على آل محمد كما صليت على آل ابراهيم أي كما جعلت آل ابراهيم أنبياء ورسلا في المرتبة عندك بما أعطيتهم من التشريع والوحي فارحم آل محمد ومن رحمتك أن تجعل خواص أمتي مشرعين بالاجتهاد وقد وقع ذلك ولله الحمد فقد أشبه المجتهدون الانبياء من حيث تقرير الشارع لهم كل ما اجتهدوا فيه وجعله حكما شرعيا اهـ *وقال في الباب الحادي والستين ومائة اعلم أن جميع المجتهدين لهم في مقام الارث النبوي القدم الراسخة لكنهم لا يعرفون انهم في ذلك المقام ولذلك ناظر بعضهم بعضا المسر بان الامداد الالهية بالعلوم اليهم من هذا المقام فطالب كل واحد من صاحبه أن يرجع الى ما ظهر له من الادلة من وجوب أو تحريم أو ندب أو كراهة وكانهم لا يعرفون انهم في ذلك المقام كذلك لا يعرفون ممن يستمدون كشفا ومشاهدة وانما يعرفون ذلك بواسطة الادلة فكل مجتهد على حق لاستمدادهم كلهم من عين الشريعة كما كان كل نبي تقدم على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم على حق والايمان بذلك واجب فعلم أن المجتهدين من هذه الامة ورثة الانبياء في التشريع لكن لا يستقلون بشرع لانه لولا المادة التي أعطاها لهم الشارع من شرعه ما قدروا على التشريع المذكور فقد قامت لهم أدلتهم مقام الوحي للانبياء وكان اختلاف اجتهادهم كاختلاف شرائع الرسل الا انهم لا يلحقون بالرسل لعدم الكشف اليقيني فان أحدهم يحكم بحكم ثم يبدو له خلافه فيرجع عنه بخلاف الانبياء لا يتركون الحكم الاول الا بأمر جديد يرد عليهم من الله تعالى ينسخ حكمه فهم في حال علمهم وفي حال تركهم تابعون لامر الشارع خارجون عن رأي نفوسهم كما أشار اليه قوله تعالى لتحكم بين الناس بما أراك الله وقال في خلافة داود ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فخص سبحانه وتعالى حكم محمد وغيره بما أراه الله تعالى لنبيه ولم يقل له احكم بما رأيت بل عتبه لما حرم باليمين ما حرم على نفسه في قصة عائشة وحفصة تشريعا لنا فقال يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك فكان هذا من جملة ما أرته نفسه الشريفة وتبين أن المراد بقوله بما أراك الله أي ما أوحى به اليك لا ما رآه من رأيك فلو كان الدين بالرأي لكان رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من كل رأي وأطال الشيخ محيي الدين في ذلك في الباب الثمانين وثلثمائة ثم قال واذا كان العتب وقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أرته نفسه فكيف برأي من ليس بمعصوم والخطأ أقرب اليه من الاصابة وأطال في ذلك ثم قال وقد دل هذا على ان المراد بالاجتهاد الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاجتهاد في طلب الدليل على نفس الحكم في المسئلة الواقعة لا في تشريع حكم في النازلة من قبل نفس المجتهد فان ذلك شرع لم يأذن به الله (فان قلت) فما اشتق الاجتهاد (فالجواب) انه مأخوذ من الجهد وهو بذل الوسع لا يكلف الله نفسا الا وسعها ومن هنا عم بعضهم الحكم في حصول الاجر للمجتهد اذا أخطأ ولو في الاصول ولكن الجمهور خصصوا الاجر بمن أخطأ في الفروع دون الاصول مع ان تخصيص الخطأ بالفروع هو من الاجتهاد أيضا وقد قرر الشارع كل علم حصل بواسطة الاجتهاد وجعله حكما شرعيا في حق المجتهد يحرم عليه مخالفته

والخوف يطلب منه الصبر قال ومما يغفل عنه كثير من الناس عدم شهودهم ما في النعم من البلايا وما في البلايا من النعم وذلك انه ما من نعمة ينعم بها الله على عباده الا وهي محتفة ببلاء وذلك ان الله يطالبه بالقيام بحقها من الشكر عليها واضافتها الى من يستحقها بالاعتقاد وصرفها في الموضع الذي أمره الحق أن يصرفها فيه ومن كان مكلفا بفعل هذه الامور متى يتفرغ للالتذاذ بها حتى تكون في حقه نعمة خالصة وكذلك القول في البلايا والرزايا هي في نفسها مصائب وبلايا وهي محتفة بطلب الصبر عليها ورجوعه الى الحق في رفعها عنه ووجوب تلقيها بالرضا أو بالصبر الذي هو حبس النفس عن الشكوى لغير الله مطلقا ووجه النعمة في المصائب ما فيها من الاجر في الآخرة وتواضع النفس في الدنيا للخاص والعام فان البلايا تذل نفوس الجبابرة * وقال في الباب السادس عشر وأربعمائة اعلم أن كل من تكلف دليلا على كون الصفات الالهية عينا أو غيرا فدليله مدخول هكذا كان شيخنا أبو عبد الله الكناني امام المتكلمين بالمغرب يقول *وقال في الباب السابع عشر وأربعمائة في قوله تعالى عن نوح عليه السلام ان أجري الا على الله انما كان أجرهم على الله لانه تعالى هو الذي استخدمهم في التبليغ وأطال في ذلك ثم قال ولا يخفى ان أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم ولا يعلم ذلك الا الله فصح طلب الاجر

(فان قلت) فهل تقرير الشارع حكم المجتهد باق بعده الى يوم القيامة (فالجواب) نعم لا يجوز لاحد نقضه وقد أرسل الامام الليث بن سعد يسأل الامام مالكا يطلب جوابه فكتب اليه الامام مالك أما بعد فانك يا أخي امام هدى وحكم الله في هذه المسئلة ما أدى اليه الاجتهاد انتهى (فان قلت) فاذا كان كل مجتهد مصيبا عندكم فما الجواب عن حديث اذا اجتهد الحاكم وأخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران (فالجواب) أن المراد بالخطأ في هذا الحديث عدم مصادفة المجتهد الدليل الوارد في تلك المسئلة من الكتاب أو السنة فهذا له أجر واحد وهو أجر التتبع ولو أنه كان وجد الدليل لكان له أجران أجر التتبع وأجر مصادفة الدليل هكذا أجاب ابن حزم الظاهري وغيره * وقد قال الشيخ محيي الدين في الكلام على صلاة الكسوف من الفتوحات اعلم أن الخطأ الواقع للمجتهد بمنزلة الكسوف الواقع للشمس ليلا أو للقمر نهارا فكما لا اعتبار بذلك كذلك لا وزر على المجتهد اذا أخطأ في الحكم بل هو مأجور وهذا على ان المراد بخطأ المجتهد خطؤه في نفس الحكم كما هو المتبادر الى الاذهان اما على ما قاله ابن حزم الظاهري فلا يصح خطأ المجتهدين في الحكم لانه لو صح خطؤه في الحكم لخرج عن الشرع واذا خرج عن الشرع فلا أجر فهم (فان قلت) فهل الاجتهاد خاص بهذه الامة المحمدية أم هو فيها وفي غيرها وهل هو باق الى يوم القيامة أم لا (فالجواب) هو خاص بهذه الامة كما صرح به الشيخ في الفتوحات وهو باق الى يوم القيامة حتى يخرج المهدي عليه السلام فله أجر مجتهد قال الشيخ محيي الدين في كتاب الجنائز من الفتوحات واذا بلغ المريد مرتبة الاجتهاد المطلق حرم عليه الرجوع الى قول شيخه الا أن يكون دليل شيخه أوضح من دليله (فان قلت) فهل الاولى ان يسمى ما شرعه المجتهد سنة أو يقال بدعة حسنة (فالجواب) الاولى ان يقال سنة حسنة وأما قول عمر بن الخطاب في التراويح نعمت البدعة فلا يقدح في ذلك فان قوله ونعمت البدعة هي مدح لها فرجعت الى انها حسنة (فان قلت) ما قررتموه من ان الاجتهاد خاص بهذه الامة يشكل عليه قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فانه كالصريح في ان الاجتهاد كان في الامم قبلنا لانه من جملة ما نفس الله به عن عباده وذلك يقتضي العموم (فالجواب) ليس اجتهاد الامم كاجتهادنا لعدم تقرير نبيهم لهم على ذلك بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه أقرنا على ذلك فصار اجتهادنا من شرعه بتقريره فلم يشبه اجتهادنا اجتهادهم لان اجتهادهم من باب القوانين العقلية بخلاف اجتهادنا وقال بعضهم لا فرق بين اجتهادنا واجتهاد الامم قبلنا الا ان ما ابتدعوا تلك الرهبانية الا باجتهاد منهم وطلب مصلحة عامة أو خاصة يقتضيها أدلة شريعتهم ويؤيد ذلك كون الحق تعالى أثنى على من رعاها حق رعايتها وما أثنى عليه الا لحسن القصد والنية في ذلك مع انهم انما شرعوها لانفسهم لا للناس قال وعلى هذا في الآية تقديم وتأخير تقديره فما رعوها حق رعايتها الا ابتغاء رضوان الله فما ذموا الا من حيث لم يراعوا ما ابتدعوه ولا غير اه وذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والتسعين ومائة فليتأمل ويحرر (فان قلت) فما حكم من قلد مجتهدا من علماء الامة هل يكون بذلك معدودا من ورثة الانبياء أم هو وارث لذلك المجتهد فقط (فالجواب) هو وارث لذلك العالم فقط وهو مع ذلك معدود من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أيضا لان ذلك من جملة شرعه وكلامنا فيما لم يكن فيه نص عن الشارع أما ما فيه نص فلا يدخله الاجتهاد أبدا كما اذا نص الشارع على تحريم شئ أو وجوبه أو استحبابه أو كراهيته فلا سبيل لاحد الى مخالفته انما هو السمع والطاعة والتسليم فلو قدر أن مجتهدا خالف النص باجتهاده حرم علينا العمل بقوله وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم لما خطب في قصة تزويج علي على فاطمة ابنة أبي جهل ان فاطمة بضعة مني يسوءني ما يسوءها ويسرني ما يسرها وانه ليس لي تحريم ما أحل الله ولا تحليل ما حرم الله ولكن ان أراد ابن أبي طالب ذلك فليطلق ابنتي فوالله ما تجتمع بنت عدو الله مع بنت رسول الله تحت رجل واحد أبدا فخاطب صلى الله عليه وسلم مع معرفته بالوجه الالهي الا ابقاء ما هو محرم على

المجهول عند الرسول من الله لان الله

تعالى يعلمه بخلاف طلب الاجر المجهول من الخلق لا بد من تقديره قبل الطلب قال فمثل من رد رسالة نبي ولم يؤمن به أصلا فان لذلك النبي أجر المصيبة وللمصاب أجر على الله بعدد من رد رسالته من أمته بلغوا ما بلغوا فله أجر الهداية وأجر المصيبة وعلى هذا فلا يكون أحد أكثر أجرا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبي من الانبياء ما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كثرة طائعي امته اجابته ولا في كثرة عصاة أمته دعوته فخار حين عن الاجابة وأطال في ذلك *وقال في قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله المراد بالاصلاح هنا أن يحسن الى من كان أساء عليه زيادة على العفو عنه ولو علم الناس قدر أجرهم عند الله اذا عفوا ما جازى أحد أحدا باساءة وما كان في العالم الا عفو واصلاح ولكن الحجب التي على أعين بصائر غالب الناس كثيفة وليس سوى الاغراض واستعجال التشفي والمؤاخذة ومن أحسن الى من أساء عليه فقد أزال ما قام به من الموجب للاساءة ولا شك ان ذلك محبوب والله يحب المحسنين ولو لم يكن في احسانه المعبر عنه بالاصلاح سوى حصول حب الله له الذي لا يعدله شئ لكان فيه كفاية في الترغيب فيه لكنه شديد ما كل أحد يقدر على فعله كما أشار اليه قوله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أي حبسوا نفوسهم عن مجازاة المسئ باساءته اساءة وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الملائكة الكتاب لا يكتبون على العبد من فعل السوء الا ما يتكلم به وهو قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وهو الكاتب فهم وان كانوا يعلمون تحريمه

نحريمه وماهو محال على تحليله فلم يحرم على على نكاح ابنة أبي جهل اذا كان ذلك حلالاله وانما قال ان أراد ابن أبي طالب ذلك الى آخره فرجع ابن أبي طالب عن ذلك فلوانه كان لاحد من المجتهدين أن يحرم ما أحل الله باجتهاده لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بذلك وما فعل مع انه له الكشف الاتم والحكم الاعم صلى الله عليه وسلم ذكره الشيخ في الباب الثاني والسبعين من الفتوحات (فان قلت) فما المراد بحديث العلماء ورثة الانبياء هل هم الاولياء أم الفقهاء (فالجواب) المراد بهم العلماء العاملون لجمعهم في الارث بين القال والحال كما كان عليه علماء السلف في الزمن الماضي فان حقيقة الصوفية هم علماء عملوا بعلمهم وتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق فلما تخلف غالب الناس عن العمل سماهم الناس فقهاء لاصوفية وانما قال ورثة الانبياء ولم يقل ورثة نبي مخصص لان كل عالم على قدم نبي ممن تقدم محمدا ومن ورث محمدا صلى الله عليه وسلم نال الحظ الاوفر من ارث جميع الانبياء ودليل ماقلناه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فانه ذكر أن الارث على قسمين وزادهم قسما ثالثا وهو الظالم لنفسه والمراد به من ظلم نفسه لمصلحة دينه وطلبا للثواب فحملها مشاق التكاليف التي لم يوجبها الله تعالى عليه حتى يسعدها في الآخرة وذلك كحال أبي الدرداء وأمثاله من الرجال الذين صاموا فلم يفطروا وقاموا الليل فلم يناموا وأخذوا بالعزائم دون الرخص فعلم ان الشريعة تشمل هذا القسم الثالث لتقرير الشارع لصاحبه على فعله وان كان ثم فوقه مقاما أكمل منه كما أشار اليه حديث ان لنفسك عليك حقا الى آخره فان من ذكر في الآية ما ظلم نفسه الا ابتغاء مرضاة الله باحتقارها في جانب ما عليه من حقوق الربوبية وكذلك تشمل الشريعة الظالم لنفسه بالمعاصي اذا مات على الاسلام لانه مصطفى في العموم بالنسبة للكفار فالمصطفى في الخصوص ومصطفى في العموم فافهم انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول أكمل الورثة للانبياء هم المجتهدون رضي الله عنهم لظهور قيامهم بالارث بتعليم شريعته للناس والفتوى بها بخلاف الصوفية عرفا فانهم معدودون لتعليم الاخلاق الباطنة في الغالب اه (وسمعته) أيضا يقول المجتهد المطلق هو الوارث الحقيقي للشارع لكون الشارع أمره أن يعمل بكل ما أدى اليه اجتهاده (وسمعته) أيضا يقول الاجتهاد وان كان مبناه على الظن فقد يكون منتهاه الى علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين (فان قلت) فما حقيقة هذه العلوم الثلاثة (فالجواب) حقيقة علم اليقين انه هو الذي أعطاه الدليل الصحيح الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة وحقيقة عين اليقين هو ما أعطته المشاهدة والكشف وحقيقة حق اليقين هو كل ما حصل في القلب من العلم بباطن ذلك الامر المشهود مثال علم اليقين علم العبد بأن لله تعالى بيتا يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس اليه في كل سنة ويطوفون به فاذا وصل العبد اليه وشاهده فهو عين اليقين الذي كان قبل الشهود علم يقين لانه حصل في النفس عند رؤيته مالم يكن عنده قبل رؤيته ذوقا ثم ان الله تعالى لما فتح عين بصيرة هذا العبد حتى شهد وجه اضافة ذلك البيت لله وخصوصيته على غيره من البيوت علم باعلام الله تعالى تلك الخصوصية فكان علمه حق اليقين لكن ذلك ليس هو بنظره واجتهاده فان حق اليقين هو الذي حق استقراره في القلب فلم يكن يزول بعد ذلك بدليل آخر فما كل علم يقين أو عين يقين يحق له هذا الاستقرار والا فان يقين الانبياء من يقين آحاد الامة يقال يقن الماء في الحوض اذا استقر (فان قلت) فهل يقدح في علم اليقين وجود اضطراب من قبل الاسباب (فالجواب) ان كان الاضطراب من الوقوف مع الاسباب دون الله قدح ذلك في علم اليقين وان كان هروب النفس في ازالة ذلك الاضطراب الى جناب الحق دون الاسباب فلا يقدح ذلك في علمه لاعتقاده أن الحق تعالى هو الفاعل فان شاء أزال ذلك الامر بالاسباب أي عندها وان شاء أزاله بغير ذلك فصار متعلق اليقين الاعتماد على الجناب الالهي دون الاعتماد على الاسباب ذكره الشيخ في الباب الثاني والعشرين ومائة * فقد بان لك بهذا التقرير ان أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد والسفيانين والاوزاعي

مايعملون لايكتبونه (قلت) يرد على كلامه رضي الله تعالى عنه قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون الا أن يكون الشيخ حمل الاستنساخ على خلاف الكتابة والله أعلم انتهى فليتأمل ويحرر (وقال في الباب الثامن عشر وأربعمائة في قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر وفي قوله كلا بل ران على قلوبهم وقوله تعالى أم على قلوب أقفالها ونحو ذلك اعلم ان المراد بالكن ان يكون العبد في بيت الطبيعة مشغولا بامه ما عنده خبر من أبيه الذي هو الروح فلا يزال هذا في ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار اليه بقوله ومن بيننا وبينك حجاب ومن كان في حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام دعاة الشرع ولا يفهم واما الوقر فهو ثقل الاسباب الدنياوية التي تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه في الآخرة واما الران فهو صدأ وطخاء في مرآة القلب يحدث من النظر الى مالم يأمر الله بالنظر اليه وجلاؤه يكون بذكر الله وتلاوة كلامه واما القفل فهو لاهل الاعتذار يوم القيامة من الموحدين فانهم يقولون يا ربنا انك لم تقفل على قلوبنا وانما وجدناها مقفلا عليها ولم نعرف من قفلها فرمنا الخروج منها من قفل الختم والطبع فبقينا ننظر الذي قفل عليها حتى يكون هو الذي يتولى فتحها فلم يكن بأيدينا من ذلك شيء قال وكان عمر بن الخطاب واضرابه ممن أسلم من الصحابة من أهل تلك الاقفال فلما تولى الله فتحه وأسلم شد الله به الاسلام وعضده رضي الله عنه (وقال) من أوتي الفهم في القرآن فقد أوتي الحكمة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا انما كثرها الله فيها من الوجوه

وداود وسائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم وأن مذاهب الأئمة كلها منسوجة من الكتاب او السنة سداها ولحمتها منهما او وجب عليك حينئذ أن تعتقد جزما أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم اما كشفا او يقينا واما نظرا واستدلالا واما أدبا وتسليما وما بقي لك عذر في تخلفك عن هذا الاعتقاد فان بعض الناس يقول ذلك بلسانه فقط دون قلبه ومصداق ذلك انه اذا اضطر الى العمل بقول أحد غير امام مذهبه يلحقه بذلك حصر وضيق حتى كانه قد خرج عن الشريعة فأين دعواه انه يعتقد ان سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم فان من فعل الرخصة بشرطها فهو على هدى من ربه فيها أيضا وبالجملة فلا يصل الى اعتقاد أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم جزما ويقينا الا من سلك طريق القوم وقطع منازلها حتى وقف على العين التي يستمد منها جميع المجتهدين وقد وضعت في تقرير مذاهب جميع المجتهدين ميزانا عظيمة تعلمتها من مولانا أبي العباس الخضر عليه السلام فمن شاء فليراجعها والله عليم حكيم

(المبحث الخمسون في ان كرامات الأولياء حق اذ هي نتيجة العمل على وفق الكتاب والسنة فهي فرع المعجزات وان من لا حال له لا كرامة له وان كل من لم يخرق العادة في العلوم والمعارف والاسرار واللطائف والمجاهدات وكثرة العبادات لم تخرق له العادات)

اعلم انه قد تقدم في مبحث المعجزات ان كرامات الأولياء ثابتة متفق عليها بين أهل السنة والجماعة وانما أنكرها أكثر المعتزلة لعدم وقوعها بينهم وذلك من أدل دليل على انهم أهل بدعة كما تقدم بسطه في المبحث المذكور ومن شبه المعتزلة في انكارها قولهم لو جوزنا وقوعها على يد الأولياء لعجز الناس عن الفرق بينها وبين المعجزة (والجواب) لا تعجيز لان المعجزة هي التي تظهر وقت الدعوى بخلاف الكرامة فان صاحبها لا يتحدى بها ولو أظهرها وقت الدعوى كانت شعبذة ثم ان ذلك يؤدي الى انكار كرامة السيدة مريم ونقل عرش بلقيس ونحوهما مما ثبت في الكتاب والسنة وكان أبو منصور الماتريدي رحمه الله يقول من الفرق بين المعجزة والكرامة أن صاحب المعجزة مأمون من الاستدراج وصاحب الكرامة لا يأمن ان يكون حاله كحال بلعام ابن باعوراء قال وانما أنكرت المعتزلة الكرامة بناء منهم على ان الفعل انما يكون معجزة لخرق العادة فحسب وليس كذلك بل ينضم الى خرق العادة التحدي بالنبوة والاقتران بدعوة النبي ألا ترى ان آيات الساعة خارقة للعادة وليست بمعجزة انتهى (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول الكمل يخافون من وقوع الكرامات على أيديهم ويزدادون بها وجلا وخوفا لاحتمال ان تكون استدراجا ومعجزات الانبياء تزيد قلوبهم تثبيتا لعصمتهم عن وقوع الاستدراج لهم وأيضا فان الانبياء يتحدون بالمعجزات على المشركين والأولياء يتحدون بالكرامات على نفوسهم لتصلح ولنفوسهم لتطمئن واجمع القوم على ان كل من خرق العادة بكثرة العبادات والمجاهدات لا بد له أن يخرق له العادة اذا شاء هاو كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله يقول من أصدق دليل على صحة طريق القوم وفيه واخلاصهم في أعمالهم ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق قال ومن أدل دليل على اثبات جواز وقوع الكرامات كونها أفعالا خارقة للعادة فاذا لم تؤد الى سد باب النبوة جاز ظهورها على أيدي الأولياء كجريان النيل بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورؤيته جيشه وهو أي الجيش بنهاوند العجم وهو على المنبر بالمدينة المشرفة حتى قال لأمير الجيش ياسارية الجبل محذرا له ممن وراء الجبل لمكر العدو به هناك وفي ذلك كرامتان احداهما رؤيته سارية مع بعد المسافة والثانية اسماع سارية كلامه كذلك وكشرب خالد بن الوليد السم من غير تضرر به وكقلب العصا ثعبانا واحياء الموتى باذن الله ونحو ذلك من الخوارق * وقال الاستاذ أبو اسحق القشيري رحمه الله ولا ينتهون الى نحو ولد دون والد ولا الى قلب جماد بهيمة قال ابن السبكي وهذا حق فخصص به قول غيره ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي أي فلا فارق بينهما الا التحدي فقط وتقدم في مبحث المعجزات تقييد قولهم ما كان معجزة لنبي جاز

قال وإيضاح ذلك ان الفهم في الكلام على قسمين قسم مكتسب من مادة وقسم مكتسب من غير مادة فالذي يكتسب من غير مادة لا يقال فيه فهم وانما يقال فيه علم واما المكتسب من المادة فهو الذي يقال فيه فهم وهو تعلق خاص في العلم فاذا علم السامع اللفظة من الالفاظ بها أو رأى الكتابة ففيه تفصيل فان علم مراد المتكلم من تلك الكلمة مع تضمنها في الاصطلاح معاني كثيرة خلاف مراد المتكلم بها فهو الفهم وان لم يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل واحتمل عنده فيها وجوه كثيرة مما تدل عليه الكلمة ولا علم مراد المتكلم من تلك الوجوه هل أرادها كلها أو أراد بعضها فمثل هذا لا يقال فيه انه أعطى الفهم في القرآن وانما أعطى العلم بمدلولات تلك الالفاظ بالاصطلاح الذي عرفه وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان كلام الله تعالى قد أنزل بلسان العرب فاذا اختلفوا في الفهم عن الله ماذا أراد بكلامه مع اختلاف مدلولات تلك الكلمة أو الكلمات كان كلام الله يقبل جميع الوجوه التي فهموها وذلك لان الله تعالى عالم بجميع تلك الوجوه فما من وجه منها الا وهو مقصود لله تعالى من تلك الكلمة بالنظر الى من يفهم منه ذلك الوجه المقصود ومقصود أيضا لذلك الشخص المتكلم ما لم يخرج عن اللسان فان خرج عن لسان العرب فلا فهم ولا علم قال وليس هذا الحكم الذي قررناه الكلام أحد من المخلوقين فقد يكون بعض الوجوه ان غير مقصود لصاحب ذلك الكلام فليتأمل ويحرر والله تعالى أعلم * وقال في الباب التاسع عشر وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم من رآني في

ان يكون كرامة لولى بما اذا أظهر الولى الكرامة بحكم التبع لا بحكم الاستقلال من غير اتباع للشرع و بما اذا لم يقل النبى هذه المعجزة لا تكون لاحد بعدى فراجعه و بالجملة فمن عاشر الصالحين بالصدق وخالطهم رأى كراماتهم عيانا وعرف صدقهم (فان قلت) فهل يجب على الانسان الايمان بالكرامة اذا وقعت على يده كما يجب عليه الايمان اذا وقعت على يد غيره (فالجواب) نعم كما صرح به اليافعى رحمه الله وقال لا فرق بين وقوعها على يده أو يد غيره (فان قلت) فهل يستحب للولى أن يخفى نفسه وأصحابه بالحال والكرامة (فالجواب) نعم يستحب له ذلك كما صرح به سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله عنه وقال ان كان ذلك نقصا فى المقام فهو كمال فى العلم انتهى (فان قلت) فاذا ادعى شخص غريب لا يعرف له أب انه خلق من تراب كما وقع لآدم عليه السلام هل لنا تصديقه (فالجواب) نعم نصدقه لان غايته أنه ادعى ممكنا لم يرد لنا نفى وقوعه ولا انه خاص بآدم عليه السلام هكذا أجاب بعضهم فليتأمل (فان قلت) ان الكرامات قد تشبه السحر فما الفارق بينهما (فالجواب) كما قاله الشيخ اليافعى رحمه الله وغيره من المحققين الفارق بينهما كون السحر يظهر على يد الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة وأما الكرامة فلا تقع الا على يد من بالغ فى الاتباع للشريعة حتى بلغ الغاية فهذا هو الفارق بينهما قال اليافعى والناس فى انكار الكرامات على أقسام فمنهم من ينكرها مطلقا وهم أهل مذهب مشهور ومنهم من يصدق بكرامات من مضى و يكذب بكرامات أهل زمانه فهؤلاء كبنى اسرائيل فانهم صدقوا بموسى حيث لم يروه وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث رأوه حسدا وعدوانا ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء فى عصره ولكن لا يصدق بأحد معين فهذا محروم من جميع الامداد فى عصره و بعضهم اذا رأى أحدا من أولياء زمانه متربعا فى الهواء قال هذا استخدام للجن لا ولاية وأطال اليافعى فى ذلك ثم قال و بالجملة فلا ينبغى لاحد التوقف فى الايمان بكرامات الاولياء لانها جائزة عقلا وواقعة نقلا أما جوازها عقلا فلانها من جملة الممكنات التى لا تستحيل على القدرة الالهية و بذلك قال أهل السنة والجماعة من المشايخ العارفين والنظار والاصوليين والفقهاء والمحدثين رضى الله عنهم أجمعين * وأما وقوعها نقلا فمن ذلك قصة مريم عليها السلام فى قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا الآية وفى قوله تعالى لها أيضا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكان ذلك فى غير أوان الرطب * ومن ذلك كلام كلب أهل الكهف معهم وقصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام فى عرش بلقيس واتيانه به قبل أن يرتد الطرف وكل هؤلاء ليسوا بأنبياء * ومن ذلك كلام الطفل لجريج الراهب حين قال من أبوك قال فلان الراعى * ومن ذلك قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين دعوا الله عز وجل بصالح أعمالهم فانفرجت عنهم الصخرة التى لا يستطيع الجم الغفير أن يزحزحوها عن فم الغار * ومن ذلك كلام البقرة التى حمل عليها صاحبها المتاع وقولها انى لم أخلق لهذا وانما خلقت للحرث كما فى الصحيحين * ومن ذلك أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أكل مع ضيفه فكان كلما أكل لقمة من تلك القصعة ربو من أسفلها أكثر منها حتى شبع الضيوف وهى أكثر مما كانت قبل الاكل بثلاث مرات * ومن ذلك استجابة دعوة سعد بن أبى وقاص فى الرجل الذى كذب عليه كما فى الصحيحين وكان يقول أصابتنى دعوة سعد * ومن ذلك ما رواه أبو نعيم فى الحلية ان عون بن عبد الله بن عتبة كان اذا نام فى الشمس أظلته الغمام * ومن ذلك حديث البخارى فى قصة خبيب حين كان أسيرا موثقا بالحديد وكانوا يجدون عنده العنب وما بأرض مكة حينئذ عنب ومن ذلك قصة الرجل الذى سمع صوتا فى السحابة يقول اسق حديقة فلان كما فى الصحيح ومن ذلك قصة العلاء بن الحضرمى حين أرسله النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة وحال بين الجيش و بين عدوهم قطعة من البحر فدعا الله تعالى ومشوا كلهم بخيلهم ودوابهم على الماء ومن ذلك تسبيح القصعة التى أكل منها سلمان الفارسى وأبو الدرداء حتى سمع تسبيحها الحاضرون روى هذا والذى قبله الحافظ أبو نعيم وغيره * ومن ذلك ان عمران بن الحصين

فى المنام فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى اعلم ان من التوفيقات الالهية المبشرات وهى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال وله العمل بما فهمه من الحكم فى حق نفسه فقط بشرط ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصورة الجسدية التى كان عليها فى دار الدنيا كما نقل اليه من الوجه الذى صح عنده حتى انه يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكسور الثنية العليا فان لم يره بهذه العلامة فليحذر ذلك وان تحقق انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رؤيا لكن رآه شيخا أو شابا مغاير الصورة التى كان عليها فى الدنيا ومات عليها أو رآه فى حسن أزيد مما وصف له أو فى أقبح صورة أو وقع منه سوء أدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك راجع الى الرائى لا اليه صلى الله عليه وسلم فلا يجوز له الحكم بصحة ما رآه ولا يجوز له العمل بما أخبره به لاسيما ان خالف نصا صريحا فى الشريعة أو اقتضى نسخ حكم ثابت ونحو ذلك قال وقد رأيناه على الصورة التى كان عليها وسألناه عن عدة أحاديث قيل بضعفها فأخبرنا صلى الله عليه وسلم بصحتها فعملنا بها وقد ذكر الامام مسلم فى صدر كتابه عن شخص انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فعرض عليه ألف حديث كان فى ذهنه انها صحيحة فأثبت له صلى الله عليه وسلم من الالف ستة أحاديث وأنكر صلى الله عليه وسلم ما بقى فعلم أن من رآه صلى الله عليه وسلم فى المنام فقد رآه فى اليقظة ما لم تتغير عليه الصورة فان الشيطان لا يتمثل على صورته أصلا فهو معصوم الصورة حيا وميتا فمن رآه فقد رآه فى أى صورة

كان يسمع تسليم الملائكة عليه * ومن ذلك ما رواه أبو نعيم عن عبد الله بن شقيق انه كان اذا مرت عليه سحابة يقول لها أقسمت عليك بالله الا أمطرت علينا فتمطر في الحال * ومن ذلك ان عامر بن عبد قيس كان يعطي عطاءه فيضعه في حجره و يصير يقبض منه و يعطي الناس حتى يصل الى داره فيعده فيجده لم ينقص منه شئ * ومن ذلك ان عبد الرحمن بن أبي نعيم بلغ الحجاج انه يمكث خمسة عشر يوما لا يأكل ولا يشرب فحبسه الحجاج خمسة عشر يوما ثم فتح الباب فوجده قائما يصلي بالوضوء الذي دخل به الحبس * ومن ذلك ان حارثة بن النعمان الصحابي كان يقول لعياله في كل شئ احتاجوا اليه ارفعوا الفراش تجدوا حاجتكم فيرفعونه فيجدونها ولم يكن تحت الفراش شئ قبل ذلك * و بالجملة فقد ورد عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الكرامات ما يبلغ حد الاستفاضة * وقد سئل الامام أحمد رضي الله عنه لم لم يشتهر عن الصحابة من كثرة الكرامات كما وقع لمن بعدهم من الاولياء فقال انما لم يشتهر عن الصحابة كثرة كرامات لان ايمانهم كان في غاية القوة بخلاف ايمان من بعدهم فكلما ضعف ايمان قوم كثرت كرامات أولياء عصرهم تقوية ليقين الضعفاء منهم و يؤيد ذلك قول أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ان مريم عليها السلام كان يتعرف اليها في بدايتها بخرق العوائد بغير سبب تقوية لايمانها او تكميلا ليقينها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما قوي ايمانها او يقينها ردت الى السبب لعدم وقوفها معه فقيل لها وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا اهـ (فان قيل) اذا كان الحق تعالى خلاقا على الدوام يوجد كوائن بعد كوائن فما ثم عوائد تنخرق انما هو خلق جديد (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة نعم والامر كذلك ونقله عن المحققين من أهل الكشف ولفظه اعلم انه ليس عند المحققين عوائد تنخرق أبدا وانما هو ايجاد كوائن وما ثم في نفس الامر عوائد تنخرق لعدم التكرار في الوجود فما ثم هناك ما يعود وانما هي خرق العوائد في أبصار العامة فقط والى ذلك الاشارة بقوله تعالى بل هم في لبس من خلق جديد أي في الصفات لا في الذوات فافهم اهـ * وقال في الباب الثاني والخمسين وثلثمائة اعلم ان أكابر الاولياء يشهدون كونهم في حال خرق العادة في عين العادة فلا يشهدهم الناس الا وهم آخذون من الاسباب ولا يفرقون بينهم و بين العامة وليس لاصحاب خرق العوائد الظاهرة من هذا المقام شمة لانهم آخذون من الاسباب مع الوقوف معها فما زالت الاسباب عنهم وانما خفيت عليهم لانه لا بد لصاحب خرق العادة الظاهرة من حركة حسية هي سبب عين وجود ذلك المطلوب فيغرف أو يقبض بيده من الهواء ذهبا أو سكرا ونحوهما فلم يكن الا عن سبب من حركة يده وقبض وفتح فما خرج عن سبب لكنه غير معتاد فسمي خرق عادة اهـ (فان قلت) فهل كرامة كل ولي تكون تبعا لمعجزة من هو وارثه من الانبياء أم هي غير متوقفة على ارث (فالجواب) لا يكون قط كرامة لولي الا تبعا لمن هو وارثه من الانبياء ولذلك كان خواص هذه الامة يمشون في الهواء وخواص قوم عيسى يمشون على الماء دون الهواء فكل وارث لا يتعدى كرامة مورثه فلا يقال كيف قال صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى على الهواء مع ان عيسى عليه السلام أقوى يقينا من خواص هذه الامة الذين مشوا على الهواء بما لا يتقارب لانا نقول ان الخواص منا ما مشوا على الهواء الا بحكم التبعية لنبيهم صلى الله عليه وسلم فانه أسري به محمولا في الهواء فما كان مشي الخواص منا على الهواء لزيادة يقينهم على يقين عيسى عليه السلام وانما كان لصدق التبعية لمحمد صلى الله عليه وسلم فنحن مع الرسل في خرق العوائد التي اختصوا بها و ورثناهم فيها بحكم صدق التبعية لا غير ألا ترى ان المماليك الذين يكونون نعال أساتيذهم من الامراء يدخلون مع أساتيذهم على السلطان وغيرهم من الامراء واقف على الباب حتى يؤذن لهم بالدخول ومعلوم ان الامراء أرفع مقاما عند السلطان من المماليك فما دخل المماليك الا بحكم التبعية لاساتيذهم لا لشرفهم على الامراء انتهى ذكره الشيخ في الباب السادس والثلاثين من الفتوحات (فان قلت) فما المراد بقولكم في

لكن منها ما هو أوضح وقد تقدم الكلام على الرؤية في الباب الثامن والثمانين ومائة فراجعه (قلت) وكان شيخنا سيدي محمد المغربي الشاذلي رحمه الله يقول في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة كما يقول به بعضهم المراد باليقظة هنا يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية وذلك لان من بالغ في كمال الاستعداد والتقرب صار محبوبا للحق واذا أحبه كان نومه من كثرة اليقظة القلبية كحالة اليقظة لغيره قال وحينئذ فما رآه صلى الله عليه وسلم الا روحه المتشكلة بشكل الاشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ الى مكان هذا الرائي لكرامتها وتنزيهها عن كلفة المجيء والرواح هذا هو الحق الصراح انتهى والله أعلم (وقال) في الباب الحادي والعشرين وأربعمائة في قوله تعالى لا تدركه الابصار يعني من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب فان القلوب ما ترى الا بالبصر وأعين الوجوه لا ترى الا بالبصر فالبصر حيث كان هو الذي يقع به الادراك لكن يسمى البصر في العقل عين البصيرة و يسمى في الظاهر بصر العين اذ العين في الظاهر محل البصر كما ان البصيرة في الباطن محل لبصر العين التي في الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو في نفسه فكما لا تدركه العيون بابصارها كذلك لا تدركه البصائر باعينها (قلت) وقد أخبر واسيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ان شخصا زعم انه رأى ربه بعين بصره فقال هذا شخص ملبس عليه وهو انه خرق من عين بصيرته خرق الى باصره عين وجهه فرأى ربه حينئذ فظن انه رآه بعين بصره انتهى ففي هذه الحكاية اشارة الى صحة الرؤية ترجمة

زجة البحث ان الكرامات فرع المعجزات (فالجواب) مرادنا انها فرع الحال النبوى فلا تقع كرامة لولى الا ان كان صحيح الحال والحال هو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب ومن علامته تغير صفات صاحبه فهو الى الوهب أقرب من الكسب ولذلك يقتل صاحب الحال بالهمة و يعزل و يولى كما عليه بعض الطوائف بأفريقية (فان قلت) فهل هذا الحال خاص بأهل الاسلام (فالجواب) نعم هو خاص بأهل الاسلام وان وقع لبعض المشركين انه مشى فى الهواء أوقتل بالهمة فذلك باستعمال عقاقير على أوزان معلومة فيفعل بها ما أرادوه وهذا بخلاف حال أهل الله عز وجل والفارق بين الحالين هو ان أهل الله عز وجل لا يحصل لهم هذا الحال الا بعد المبالغة فى اتباع الشريعة بخلاف الكفار فان حكم حالهم حكم من شرب الدواء المسهل فيفعل ما وضع له بالخاصية لا بالمكانة عند الله عز وجل فلا يسمى بالكرامة الا من كان صاحبه على شرع الاسلام (فان قلت) فهل القتل بالهمة والولاية والعزل الذى يقع من بعض الاولياء كمال فيهم أم نقص (فالجواب) هو نقص بالنسبة لما فوقه من المقامات وقد أعطى الشيخ أبو السعود بن الشبل مقام التصريف فى الوجود فتركه وقال نحن قوم تركنا الحق تعالى يتصرف لنا فكان أكمل من الشيخ عبد القادر الكيلانى مع انه تلميذه كذا ذكره الشيخ فى الباب الثانى والتسعين ومائة وأيضا فان الكامل لا يجد فى الوجود شيئا حقيرا حتى يرسل تصريفه عليه أو ينفذ همته فيه ومن شرط نفوذ الهمة أن تكون على حقير فيرى صاحب الحال نفسه كبيرا وغيره حقيرا فيجمع حقارته فى قلبه ثم يتوجه بقلبه اليه فيؤثر فيه القتل أو المرض ونحو ذلك (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول الكامل من الاولياء هو من مات عن التصريف والتدبير اكتفاء بفعل الله تعالى له فيسرق الناس ماله حال حياته و يسرقون ستره وشمعه بعد مماته فلا يقابل أحدا بسوء بخلاف الولى الناقص كل من تعرض له عطبه وذلك علامة على بقايا بخل عنده ومن شرط الكامل الكرم حيا وميتا اه (فان قلت) فما الفرق بين الكرامة والمعجزة (فالجواب) الفرق بينهما ان الرسول يجب عليه اظهار المعجزة من أجل دعواه اذا توقف ايمان قومه عليها بخلاف الولى لا يجب عليه اظهار الكرامة انما الواجب عليه سترها هذا اما لم يعلم الحاجة وذلك الولى تابع والتابع غير مشرع فهو يدعو الى شرع قد ثبت وتقرر على يد رسوله فلا يحتاج الى اظهار كرامة على ان يتبعه الناس على ما دعاهم اليه * وقال الشيخ فى الباب الحادى والثلاثين ومائتين انما كان الاولياء يجب عليهم ستر الكرامات دون الرسل عليهم الصلاة والسلام لان الولى متبع فهو يدعو الى الله بحكاية دعوة الرسول الذى ثبت عنده رسالته بلسانه لا بلسان يحدثه من قبل نفسه وقد صار الشرع كله مقررا عند العلماء فلا يحتاج ولى الى آية ولا بينة على صدقه بل لو فرض انه قال ما يخالف شرع رسوله لم يتبع عليه بخلاف الرسول يحتاج الى آية لانه ينشئ التشريع و يريد نسخ بعض الشرائع المقررة على يد غيره من الرسل فلذلك كان لا بد له من اظهار آية تدل على صدقه وانه يخبر عن الله تعالى اه وكان يقول قد وضع الله تعالى ميزان الشرع بيد العلماء أهل التقوى فهم أرباب التعديل والتجريح فما وقع على يد من ظهرت أمارات اتباعه للشرع سموه كرامة وما وقع على يد غيره سموه سحرا وشعبذة وغير ذلك ذكره الشيخ فى الباب الخامس والثمانين ومائة قال ولا يخفى ان الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس الا ان كانت لنصرة دين أو جلب مصلحة لان الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم هذا مشهدهم وليس وجه الخصوصية الا وقوع ذلك الفعل الخارق على يدهم دون غيرهم فاذا أحيى كبشا مثلا أو دجاجة فانما ذلك بقدرة الله لا بقدرته واذا رجع الامر الى القدرة فلا تعجب فتأمل (فان قلت) فهل التطور الذى يقع للاولياء كمال أم نقص (فالجواب) هو كمال يدل على فناء بشريتهم وقوة أرواحهم حتى صاروا كأهل الجنة يلبسون من الصور ما شاؤا فان من غلبت بشريته على روحانيته فهو كثيف لا يصح له تطور اذ التطور من خصائص الارواح * وقد ذكر الشيخ محيى الدين فى الباب الثالث والستين

بالبصيرة فى دار الدنيا فليتأمل مع كلام الشيخ محيى الدين فانى حاولت جمعا فلم يحصل لى سوى أن المنفى عليه جواز الرؤية بنفس البصيرة لا بعين البصيرة ولا بعين الوجه ولا بعين القلب فتكون البصيرة على هذا قدرا زائدا عن الجميع وفى الجمع انما يتأتى اذا قررنا الكلام على رؤيته تعالى فى دار الدنيا واخبره صلى الله عليه وسلم أما رؤيته فى الآخرة ورؤيته فى الدنيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمن بان ذلك بعين الرأس قطعا والله أعلم * وقال فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة قد عفا الله عن جميع الخواطر التى لا تستقر عندنا الا بمكة كما أوضحه فى الباب التاسع والستين وثلثمائة * وقال فى قوله تعالى فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية اعلم أن الميزان يوم القيامة يظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون و ينشرون فى الاجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد فان الحسنة بعشر أمثالها الى مائة ألف فما فوق ذلك وقد تعمل هذا حسنا فى ظاهر بدنه وأراد حسنا فى باطنه وأما الذى خفت موازينه وهو الشقى فلانه تعمل سيأ والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد قال ولم يعتبر الحق تعالى فى الوزن الا كفة الخير لا كفة الشر فهى الثقيلة فى حق السعيد الخفيفة فى حق الشقى مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فالكفة الثقيلة للسعيد هى بعينها الخفيفة للشقى لقلة ما فيها من الخير او عدمه بالكلية مثل الذى يخرجه الله من النار وما عمل خيرا قط فميزان هذا ليس فى كفة اليمين منه شئ أصلا

وأربعمائة ان الحلاج كان يدخل بيتا عنده يسمى بيت العظمة وكان اذا دخله ملأه كله بذاته فى عين الناظرين حتى ان بعض الناس نسبه الى علم السيمياء لجهله بأحوال الفقراء فى تطوراتهم ولما دخلوا عليه ليأخذوه للصلب كان فى ذلك البيت فما قدر أحد يخرجه من ذلك البيت لان الباب يضيق عنه فجاءه الجنيد وقال سلم لله تعالى واخرج لما قضاه وقدره فرجع الى حالته المعهودة وخرج فصلبوه وكان ينشد وهو يرفل فى قيوده حال ذهابهم به الى الصلب

حبيبي غير منسوب * الى شيء من الحيف
سقانى ثم حيانى * كفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكاسات * دعا بالنطع والسيف
وذا جزاء من يشرب * مع التنين فى الصيف

(فان قلت) فما دليل القوم فى تسميتهم ما وقع على يد المتبعين للشرع كرامة دون المخالفين (فالجواب) دليلهم فى ذلك ان الكرامة صادرة من حضرة اسمه تعالى البر فلا يكون الا للابرار من عباده جزاء وفاقا اذ المناسبة تطلبها وان لم يطلبها صاحبها ذكره الشيخ فى الباب الرابع والثمانين ومائة وأطال فى ذلك ثم قال واعلم ان الكرامة على قسمين حسية ومعنوية ولا تعرف العامة الا الحسية مثل الكلام على الخاطر والاخبار بالمغيبات الآتية والاخذ من الكون والمشى على الماء واختراق الهواء وطى الارض والاحتجاب عن الابصار واجابة الدعوة فى الحال ونحو ذلك فهذا عند العامة هو الولى (وأما) الكرامة المعنوية فهى التى بين الخواص من أهل الله تعالى وأجلها وأشرفها أن يحفظ الله على العبد آداب الشريعة فيوفق لفعل مكارم الاخلاق واجتناب سفسافها وان يحافظ على أداء الواجبات والسنن فى أوقاتها مطلقا والمسارعة الى الخيرات وازالة الغل والحقد والحسد وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالمراقبة مع الانفاس ومراعاة حقوق الله تعالى فى نفسه وفى الاشياء ومراعاة أنفاسه فى دخولها وخروجها فيتلقاها بالادب ويخرجها وعليها حلة الحضور مع الله تعالى لانه ارسل الله اليه فترجع شاكرة من صنيعه معها فهذه عند المحققين هى الكرامات التى لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف الكرامات التى يعرفها العامة فانه يمكن أن يدخلها المكر والاستدراج فالكامل من قدر على الكرامة وكتمها ثم اذا فرضنا كرامة فلا بد أن تكون نتيجة عن استقامة فلا يبعد أن يجعلها الله عز وجل هى حظ جزاء أعمال ذلك الولى فيذهب الى الآخرة صفر اليدين من الخير وانما قلنا ان الكرامات المعنوية لا يدخلها مكر ولا استدراج لان العلم يصحبها والحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الالهى بل هى عين الطريق الواضحة الى نيل السعادة (وسمعت) سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول اذا وقع على يد الكامل شيء من الكرامات المحسوسة خاف وضج الى الله تعالى وسأل الله ستره بالعوائد وأن لا يتميز عن العامة بأمر يشار اليه فيه ما عدا العلم فان العلم هو المطلوب وبه تقع المنفعة ولو لم يعمل أحد به فهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (وسمعته) أيضا يقول أسنى ما أكرم الله تعالى به العلماء هو العلم خاصة فهو الكرامة التى لا يعادلها كرامة اذا عمل به وذلك لان موطن الدنيا انما هو للعلم والعمل وأما النتائج من خرق العوائد ونحو ذلك فانما موطنه الدار الآخرة انتهى * وقد ذكر الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائة ان أعظم الكرامات ان يصل العبد الى حد لو غفل العالم كله عن الله عز وجل لقام ذكر ذلك الولى مقام ذكر الجميع فاذا قال سبحان الله مثلا انتقش فى جوهر نفسه جميع ما كان يقوله ذلك العالم كله لو ذكر الله تعالى وذلك لان الله تعالى اذا جازى ذلك الولى أعطاه مثل ثواب جميع العالم انتهى (فان قلت) فما الذى يحفظ الولى من المكر الخفى الذى فى الكرامات الحسية (فالجواب) يحفظه من ذلك عدم رمى ميزان الشريعة من يده ليزن بها حاله فى كل نفس لان فى الكرامات مكرا خفيا لا يشعر به الا العارفون قال تعالى سنستدرجهم من حيث

وليس عنده الا ما فى قلبه من التوحيد (٢٥٢) الحاصل من العلم الضرورى وليس له فى ذلك تعمل مثل سائر الضروريات فلو اعتبرا لحق فى الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان يزيد بيانا فى ذلك فان احدى الكفتين اذا ثقلت خفت الاخرى بلا شك خيرا كان أو شرا هذا حكم وزن الخير والشر وأما اذا وقع الوزن للعبد فيكون هو فى احدى الكفتين وعمله فى الاخرى فذلك وزن آخر فمن ثقل ميزانه نزل عمله الى أسفل وذلك لان الاعمال فى الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار فتنزل كفة عمله تطلب النار وترتفع الكفة التى هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لانها العلو والشقى تثقل كفة الميزان التى هو فيها وتخف كفة عمله فيهوى فى النار وهو قوله فأمه هاوية فكفة ميزان العمل هى المعتبرة فى هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل فى السعيد لرفعه صاحبها والموصوفة بالخفة فى حق الشقى لثقل صاحبها وهو قوله يحملون أوزارهم على ظهورهم وليس الا ما تعطيهم من الثقل الذى يهوون به فى نار جهنم وحاصل ذلك ان وزن الاعمال بعضها ببعض يعتبر فيه كفة الحسنات ووزن الاعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل انتهى فليتأمل ويحرر * وقال فى الباب الرابع والعشرين وأربعمائة العبد المسلم محب لله ومحبوب لله ولكن الابتلاء لا يكون الا من وجه كونه محبا لله لا من وجه كونه محبوبا وذلك ليظهر بالابتلاء الصادق فى المحبة من الكاذب لا وأطال فى ذلك * ولا يرد على الشيخ قوله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا ابتلاه لانا نقول محبة العبد لله عز وجل من لازم محبة الله العبد حيث

لايعلمون قال الشيخ في الباب الحادي والثلاثين ومائتين وأكثر ما يقع المكر الخفي للمتأولين آيات الصفات وأخبارها وفيهم من يبقى على حاله مع وقوعه في المخالفات وفيهم من يرزق العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الاخلاص فيه فاذا رأيت يا أخي هذا الحال من نفسك او من غيرك فاعلم ان المتصف بذلك ممكور به وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان الله تعالى ما أخفى المكر الاعن الممكور به خاصة دون غير الممكور به فان الله تعالى ما أعاد الضمير في يعلمون الا على الضمير في سنستدرجهم * وقال أيضا ومكروا ومكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون فضمير قوله هم هو المضمر في مكروا فكان مكر الله تعالى بهؤلاء هو عين مكرهم الذي اتصفوا به وهم لايشعرون وأطال في ذلك ثم قال وكل من لايدعو الى الله على بصيرة وعلم يقيني فهو غير محفوظ من المكر وان كان هو صاحب اتباع والله تعالى أعلم

(المبحث الحادي والخمسون في بيان الاسلام والايمان و بيان انهما متلازمان الا فيمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ فان الايمان وجد هنا دون الاسلام كما سيأتي ايضاحه ان شاء الله تعالى)

واعلم ان الاسلام الشرعي هو أعمال الجوارح من الطاعات كالتلفظ بالشهادتين والصلاة والزكاة وغير ذلك كما بينه حديث الشيخين بقوله الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا ثم ان هذه الاعمال الاسلامية لا تخرج الانسان بها عن عهدة التكليف بالاسلام الا مع الايمان وحقيقته تصديق القلب بما علم بمجيء الرسول به من عند الله ضرورة كما بينه سؤال جبريل في حديث الصحيحين السابق بقوله فيه الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره والمراد بتصديق القلب بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذعان لما جاءت به الرسل والقبول له * قال أئمة الاصول والتكليف بذلك تكليف بأسبابه كالقاء الذهن وصرف النظر وتوجيه الحواس وصرف الموانع والا فذلك ليس من الافعال الاختيارية التي هي مناط التكليف وانما هو من الكيفيات النفسانية وأشاروا بقولهم والتكليف بذلك تكليف بأسبابه الى سؤال وجوابه تقرير السؤال ان التصديق أحد قسمي العلم وهو من الكيفيات النفسانية دون الافعال الاختيارية فكيف يتعلق التكليف بتحصيله وتقرير الجواب أن تحصيل تلك الكيفية اختيارا يكون باختيار مباشرة الاسباب وصرف النظر وما ذكر معهما والتكليف بها معناه التكليف بذلك لا يقال وانشراح الصدر الذي هو أول المبادي في النظر ليس هو باختيار العبد أيضا الا انه ولما رقى فوق ذلك فهو من علم سر القدر الذي نهى العلماء عن افشائه والايضاح عنه (فان قلت) فهل الايمان مخلوق أو غير مخلوق (فالجواب) الايمان من حيث هو هداية من الله تعالى غير مخلوق لان الهداية صفة من صفاته تعالى وصفات الله قديمة وأما من حيث هو اقرار من العبد واذعان فهو مخلوق لانه معدود حينئذ من أعمال العبد والله خلقكم وما تعملون قال أئمتنا ولا يعتبر التصديق المذكور في خروج العبد به عن عهدة التكليف بالايمان الا مع التلفظ بالشهادتين للقادر عليه وذلك لان الشارع جعل التلفظ بالشهادتين علامة لنا على التصديق الخفي عنا حتى يكون المنافق مؤمنا فيما بيننا كافرا عند الله تعالى قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته وحاصل هذه المسئلة كما قاله بعضهم ان جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج ذهبوا الى أن الايمان ليس هو التصديق فقط بما علم بمجيء الرسول به في أحكام الدنيا والبرزخ والآخرة وانما هو مجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالاقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة و رأيت على حاشية الحاشية

كان ذلك فقد صح كلام الشيخ * وقال في الباب الرابع والثلاثين وأربعمائة في قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم نفيه نفي تعلق العلم لا نفي العلم مع ان نفي العلم علم لمن فهم * وقال في الباب الخامس والثلاثين وأربعمائة في حديث من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير انما عوقب هذا بالكفارة لان فيه حثا على فعل مكارم الاخلاق واليمين على ترك فعل الخير من مذام الاخلاق فعوقب بالكفارة وفي هذا اشارة الى ان لنا اخلاف الوعيد اذا لم يكن حدا مشروعا وكان لنا الخيار فيه وعلمنا ان تركه أولى من فعله عند الله فلنا ان لا نفي به وان نتصف بالخلف فيه وأطال في ذلك * ثم قال وهنا دقيقة وهو ان من اساء الينا قد أعطانا من خير الآخرة ما نحن محتاجون اليه حتى لو كشف الغطاء لقلنا انه لم يحسن الينا أحد مثل ما أحسن الينا ذلك المسيء ومن كان هذا مشهده فلا ينبغي ان يكون جزاء المسيء اليه الحرمان بل يعفو عنه ولا يجزيه و يكفيه قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله أو يحسن اليه بما عنده من الفضل على قدر ما تسمح به نفسه كما أشار اليه قوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين الآية فتأمل ذلك والله أعلم * وقال في الباب السادس والثلاثين وأربعمائة للعبد أن يدعو على من آذاه بحصول العقوبات والانكاد والموت بقصد أن لا يريد التشفي فيه وانما يكون ذلك خوفا عليه ان يزداد طغيانا وكفرا فيزداد من الله مقتا ولكن الدعاء لمن آذاه بالاصلاح أولى من ان يدعو عليه بالهلاك والله سبحانه اعلم * وقال في الباب

بخلافه أيضا فانه حاصل الكلام في هذه المسئلة أن الايمان شرط للاعتداد بالعبادات فلا ينفك الاسلام المعتبر عن الايمان وان كان الايمان قد ينفك عنه فلا يوجد اسلام معتبر بدون الايمان وقد يوجد الايمان المعتبر بدون الاسلام كمن صدق ثم اخترمته المنية قبل اتساع وقت التلفظ ومن قال ان الايمان والاسلام واحد فسر الاسلام بالاستسلام والانقياد الباطن بمعنى قبول الاحكام فمن حقق النظر ظهر له ان الخلاف في أنهما مترادفان أم لا خلاف في مفهوم الاسلام وقد قال بالترادف كثير من الحنفية و بعض الشافعية انتهى * قال الشيخ تاج الدين بن السبكي وهنا سؤال وهو انه هل التلفظ بالايمان الذي هو الشهادة شرط للايمان أو شطر منه فيه تردد للعلماء قال الجلال المحلي وكلام الغزالي يقتضي انه ليس بشرط ولا شطر وانما هو واجب من واجباته قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع وايضاح ذلك ان يقال في التلفظ هل هو شرط لاجراء أحكام المؤمنين في الدنيا من التوارث والمناكحة وغيرهما ويكون غير داخل في مسمى الايمان أو هو شطر منه أي جزء من مسماه قال والذي عليه جمهور المحققين الاول وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من الاقرار كان مؤمنا عند الله تعالى قال وهذا أوفق باللغة والعرف وذهب شمس الائمة السرخسي وفخر الاسلام البزدوي من الحنفية وكثير من الفقهاء الى الثاني وألزمهم القائلون بالاول بان من صدق بقلبه فاخترمته المنية قبل اتساع وقت الاقرار كان كافرا وهو خلاف الاجماع على ما نقله الامام الرازي وغيره (فان قلت) فهل الايمان يتجزأ أي يتبعض (فالجواب) أن الايمان واحد لا يتبعض حتى يكون جزء منه في مكان في البدن وجزء منه في مكان آخر بل نوره منتشر في جميع الاعضاء حتى انه اذا قطع عضو منه ذهب الايمان في القلب لكونه لا يتجزأ والله أعلم هذا ملخص ما وجدته عن أئمة الاصول * وأما عبارات الشيخ محيي الدين فقال في الباب الستين وأربعمائة من الفتوحات المكية اعلم ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية أو كالرؤية قال الاسلام انقياد والايمان اعتقاد والاحسان اشهاد فمن جمع هذه النعوت لم ينكر شيأ من تجليات الحق تعالى حيث يتجلى في الآخرة وينكره بعضهم كما في حديث مسلم فكان الحق تعالى تجلى له في سائر التجليات وحده ومن لم يجمع في اعتقاده بين هذه النعوت أنكر مضرور نفي كل ما لم يذقه في دار الدنيا اه * وقال أيضا في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة اعلم أن الصدق محله الخبر والخبر محله الصادق وليس هو بصفة لاصحاب الادلة وانما هو نور يظهر على قلب العبد يصدق به المخبر عن الله تعالى أو عن غيره ويكشف له ذلك النور عن صدق المخبر ويرجع عنه برجوع المخبر لان نور الصدق تابع للمخبر حيث مشى والمصدق بالدليل ليس هذا حكمه ان رجع المخبر لم يرجع لرجوعه فهذا هو الفارق بين الرجلين قال وهذه المسئلة من أشكل المسائل في الوجود فان الاحكام المشروعة أخبار الهية يدخلها النسخ والتصديق تبع الحكم فيثبته ما دام المخبر يثبته ويرفعه ما دام المخبر يرفعه ولا يتصف الحق تعالى بالبداء في ذلك وهذا هو الذي جعل بعض الطوائف ينكرون النسخ للاحكام وأما الصادق فما أكذب نفسه في الخبر الاول وانما هو أخبر بثبوته وأخبر برفعه وهو صادق في الحالين فعلم أن صدق الايمان نور كشفي لا يقبل صاحبه دخول الشبه عليه أصلا اه (فان قلت) فهل ثم فرق بين الصدق والحق أم هما بمعنى واحد (فالجواب) أنهما شيآن لان الحق ما وجب فعله والصدق ما أخبر به على الوجه الحق الذي هو عليه وقد يجب فيكون حقا وقد لا يجب فيكون صدقا لا حقا فلهذا قال تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم يعني فان كان وجب عليهم فعله نجوا وان لم يجب عليهم بل منعوا منه هلكوا * ذكره الشيخ في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة وأطال في ذلك ثم قال واعلم أن من الحق فيما يقتضي الثناء الجميل على من لا يقيمه كالجرم المستحق للعقاب باجرامه يعفى عنه فهذا حق قد أبطل ره وهو محمود كما أن الغيبة والنميمة وافشاء سر الزوجة صدق وهو مذموم فكل حق صدق وما كل صدق حقا لان الصادق يسأل عن صدقه ولا يسئل ذو الحق اذا قام به عنه فالغيبة وأشباهها صدق لا حق والسلام (فان قلت) فكم يتقسم نور

الثامن والثلاثين وأربعمائة في قوله (٢٥٤) تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية الآية كانت السكينة في بني اسرائيل خارجة عنهم وجعلها الله في هذه الامة في قلوبهم فلم تكن في قلوب بني اسرائيل والسكينة هي الطمأنينة كما قال تعالى ألا بذكر الله تطمئن القلوب فعلوم هذه الامة كلها وأسرارهم في قلوبهم لا يكاد يظهر للناس منها الا ما كان فيه اقامة حجة أو فتح باب للاتباع والاقتداء ولذلك كان الناس ينكرون على أهل الله كل ما لم يظهر عليهم فيه أثر وتأمل قصة الاسراء لما خرج صلى الله عليه وسلم بكرة تلك الليلة وذكر لاصحابه ما وقع له في تلك الليلة كيف أنكر عليه بعضهم لكونهم لم يروا لذلك أثرا في الظاهر وموسى عليه السلام لما جاء من عند ربه كساه نورا على وجهه يعرف الناس به صدق ما ادعاه فما رآه أحد الا عمي فكان يمسح الرائي اليه وجهه بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى بذلك الرائي له عند رؤية وجهه قال الشيخ وكان شيخنا أبو يعزى بالمغرب موسوي المقام فكان لا يرى أحد وجهه الا عمي وممن رآه شيخنا أبو مدين فعمي فمسح أبو مدين عينيه بالثوب الذي على أبي يعزى فرد الله عليه بصره قال وكان أبو يعزى في زماني وما اجتمعت به لما كنت عليه من الشغل وأطال في ذلك ثم قال فمن جعل الله نوره في قلبه تقدمه لا يديه من الخبر فتأمل والله أعلم * وقال في الباب التاسع والثلاثين وأربعمائة ما تولى الله عز وجل عبدا من عبيده الا وأسمعه كلامه من قلبه نثرا ونظما كما أشار اليه قوله

الايمان

الايمان على قسم (فالجواب) هو على قسمين كان أهله على قسمين (القسم الاول) من آمن عن نظر واستدلال و برهان فهذا لا يوثق بثبات ايمانه لدورانه مع الدليل ومثل هذا لا يخالط بشاشة نور ايمانه القلوب لانه لا ينظر الا من خلف حجاب دليله وما من دليل من أدلة أصحاب النظر الا وهو معرض لحصول الدخل فيه والقدح ولو بعد حين فلهذا كان لا يمكن صاحب البرهان أن يخالط الايمان بشاشة قلبه للحجاب الذي بينه وبينه (القسم الثاني) من كان برهانه حين حصول الايمان في قلبه لامر آخر ضروري وهذا هو الايمان الذي يخالط بشاشة القلوب ولا ينتصور في حق صاحبه شك لان الشك لا يجد محلا يعمره فان محله الدليل وما ثم دليل فما ثم ما يرد عليه الدخل ولا الشك ذكره الشيخ في الباب الثالث والسبعين * وقال قبله في الباب الخامس من الفتوحات اعلم ان الايمان على خمسة أقسام ايمان عن تقليد وايمان عن علم وايمان عن عيان وايمان عن حق وايمان عن حقيقة فالتقليد للعوام والعلم لاصحاب الادلة والعيان لاهل المشاهدة والحق للعارفين والحقيقة للواقفين وأما حقيقة الحقيقة الزائدة على الخمسة أقسام فهي للمرسلين وقد منعنا الحق تعالى من كشفها فلا سبيل الى بيانها انتهى وتقدم في المقدمة أول الكتاب ان من أخذ ايمانه تقليدا جزما للشارع فهو أعصم وأوثق ممن يأخذ ايمانه عن الادلة وذلك لما يتطرق اليها من الدخل والحيرة (فان قلت) فأي الناس بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام أعلى ايمانا (فالجواب) أعلى الناس ايمانا وتصديقا الصحابة على اختلاف طبقاتهم ثم من يؤمن بالغيب على الكمال كأهل زماننا رأينا سوادا في بياض فآمنا به وصدقناه ولم نقل كما قال غيرنا هذا أساطير الاولين فالحمد لله رب العالمين (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قول بعضهم الايمان لا يزيد ولا ينقص و بين قول الجمهور انه يزيد وينقص (فالجواب) الوجه الجامع بينهما ان يحمل قول من قال انه لا يزيد ولا ينقص على ايمان الفطرة و يحمل قول من قال انه يزيد و ينقص على ما بين الفطرة الى طلوع الروح فان كل انسان لا يموت الا على ما فطر عليه وايضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الاحد وثمانين وماتتين ان يقال الايمان الاصلي الذي لا يزيد ولا ينقص هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها وشهادتهم له تعالى بالوحدانية في الاخذ للميثاق فكل مولود يولد على ذلك الميثاق ولكنه لما حصل في حصر الطبيعة في هذا الجسم الذي هو محل النسيان جهل الحالة التي كان عليها مع ربه ونسيها فافتقر الى النظر في الادلة على وحدانية خالقه اذا بلغ الى الحال التي يعطيها النظر وان لم يبلغ الى هذا الحد كان حكمه حكم والديه فالنظر العبد في الادلة الا ليرجع الى الحالة التي كان عليها عند أخذ الميثاق كالذي يكون مسافرا والسماء مصحية وهو يعرف جهة القبلة وصوب مقصده فحصل لها سحاب وغيم حتى صار لا يعرف جهة مقصده ولا القبلة ومثل هذا يجب عليه الاجتهاد فافهم وسيأتي قريبا ايضاح ذلك (فان قلت) فما حكم من تقدم ايمانه بتوحيد الله شرك ورثه عن أبويه أو عن نظره أو عن الامة التي هو فيها (فالجواب) حكمه حكم من لم يغير ولم يبدل لان التوبة تجب ما قبلها فكان ذلك الايمان هو عين ايمانه الميثاقي لا غيره فان المشرك مقر بوجود الله لكنه أشرك به حين حال بينه و بين توحيده الحجاب فلما ارتفع الحجاب رجع لحالته عند الميثاق (فان قلت) فأيهما أقرب الى الايمان المشرك أو المعطل (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر القزويني المعطل أقرب الى الايمان من المشرك فانه لا بد لكل انسان أن يجد في نفسه مستندا في وجوده الى أمر ما لا يدري ما هو فيقال له ذلك الذي لا تدري ما هو هو الله الذي خلقك ورزقك فربما آمن به وصدق فان حدث له بعد ذلك هل هو واحد او أكثر كان في محل النظر الذي في ذلك أو يقلد من يعتقده من الموحدين فما ثم على هذا ايمان محدث بل هو مكتوب في قلب كل مؤمن على ما هو التفصيل أوائل المبحث (فان قلت) فاذن بالتوحيد تتعلق السعادة وبنفيه يتعلق الشقاء المؤبد (فالجواب) نعم والى ذلك الاشارة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا يعني في العهد الميثاقي آمنوا أي لقول رسولنا لكم آمنوا فلولا ان الايمان كان موقورا عندهم ما وصفوا به فقد

صلى الله عليه وسلم لحسان لما أراد أن يهجو قريشا انصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل باحسان فان روح القدس يؤيدك ما دمت تنافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجعل صلى الله عليه وسلم للشيطان على حسان سبيلا وأطال في ذلك * وقال نشأة الآخرة تشبه في بعض الاحكام النشأة البرزخية فترى نفسها وهي واحدة في صور كثيرة وفي أماكن مختلفة في الآن الواحد فيدخل الانسان من أبواب الجنة الثمانية في آن واحد من غير تقدم ولا تأخر ويجد الانسان نفسه داخلا من كل باب كما قال أبو بكر فما على من يدخل منها كلها يا رسول الله بأس الحديث قال ولذلك يطلب الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطن القيامة فيجدونه من حيث طلبهم في كل موطن يقتضيه ذلك الطلب في الوقت الذي يجده الطالب الآخر فيه وأطال في ذلك * وقال في الباب الحادي والاربعين وأربعمائة اعلم ان العلم والمعرفة والفهم في الاصطلاح بمعنى واحد لكن بينها تمييز معقول في الدلالة كالتمييز الواقع في ألفاظهم فيقال في الحق انه عالم ولا يقال فيه عارف ولا فهيم ويقال هذه الثلاثة ألقاب في الانسان قال ولما أثنى تعالى على من اختصه من عباده بالعلم أكثر مما أثنى به على من أعطاه المعرفة علمنا ان اختصاصه بمن شاركه في الصفة أعظم عنده وأطال في ذلك * وقال في الباب الثالث والاربعين وأربعمائة في قول الصديق رضي الله عنه ما رأيت شيئا الا رأيت الله قبله أثبت رضي الله عنه أنه يرى انفعال الاكوان عن الحق وحده ليس للكون فيه أثر البتة وليس هذا المشهد

بان لك بهذا التقرير أن ايمان الفطرة هو الذي يموت عليه العبد وهذا لا يزيد ولا ينقص وان المراد بزيادته ونقصه هو فيما طرأ في العمر والله أعلم * وقال في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات اعلم ان المراتب التي تعطى السعادة للانسان أربعة الايمان والولاية والنبوة والرسالة ثم ان العلم من شرائط الولاية وليس من شرط الولاية الايمان لان متعلق الايمان الخبر وقد يوجد ولى لله تعالى من غير ايمان كقس بن ساعدة فانه موحد لا مؤمن وهو سعيد بلا شك فأول مرتبة للعلماء بالله تعالى توحيدهم ثم ايمانهم ثم علمهم وما اتخذ الله من ولى جاهل به أبدا وقد تقدم في مبحث أهل الفترات أنه يصح ان يلغز فيقال لنا شخص يدخل الجنة وهو غير مؤمن وهو من وحد الله تعالى بنور وجده في قلبه ولم يكن في زمنه شرع يؤمن به وهي مسئلة عظيمة أغفلها العلماء فانه يدخل تحت ذلك الولاية كل موحد لله بأي طريق كان توحيده (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون وكيف صح الايمان مع الشرك (فالجواب) ما قاله الشيخ في الباب السابع والتسعين وأربعمائة ان المراد بهذا الشرك هو شرك النفس فان المؤمن الكامل هو من آمن بالله لا بنفسه ويؤيد ذلك قوله تعالى وليؤمنوا بي أي لا بنفوسهم فيرون انهم ما دخلاق الايمان بل الواجب ان يروا حصول الايمان محض فضل من الله تعالى وأطال في ذلك ثم قال وهذه الآية لا تعطى الايمان بتوحيد الله وانما تعطى مشاهدة ميثاق الذرية حين أشهدنا الحق تعالى على أنفسنا بقوله ألست بربكم وقلنا بلى ولم يكن هناك الا التصديق بالملك والوجود لا بالايمان والتوحيد وان كان هناك توحيد فهو توحيد الملك فمعنى قوله تعالى الا وهم مشركون أي حين خرجوا الى الدنيا لان الفطرة انما كانت على ايمانهم بوجود الحق والملك كما مر فلما احتجب التوحيد عن الفطر ظهر الشرك في الاكثر ممن يزعم أنه موحد وما أداهم الى ذلك الا التكليف فانه لما كلفهم تحقق أكثرهم ان الله ما كلفهم الا وقد علم ان لهم اقتدارا انفسيا على ايجاد ما كلفهم به من الافعال فلم يخلص لهم توحيد ولو أنهم علموا أن الله تعالى ما كلفهم الا ليلبسهم من الدعوى في نسبة الافعال اليهم لكانوا تجردوا عنها بنفوسهم كما فعل أهل الشهود فعلم انه لو كان المراد بالايمان في الآية التوحيد لم يصح قوله الا وهم مشركون فدل على انه تعالى لم يرد الايمان بالتوحيد وانما أراد الايمان بالوجود اه (فان قلت) فمن أين شقى الكفار (فالجواب) شقوا بحكم القضاء الذي لا مرد له فلم يرجعوا الى حالة الميثاق أبد الآبدين ودهر الداهرين وأيضا فان الربوبية لله تعالى فلم ينكرها أحد مطلقا وانما أشركوا معها ربوبية أخرى وزادوا على ذلك تكذيب الرسل فشقوا واشقاء الابد نسأل الله حسن الخاتمة من فضله واحسانه * وقال الشيخ في الباب الرابع والأربعين وأربعمائة في قوله تعالى ألا لله الدين الخالص المراد بهذا الدين هو الدين الذي خلص لنفسه في وفاء العهد به وليس المراد به ما استخلصه العبد من الشيطان أو من الباعث عليه من خوف من نار أو رغبة في جنة فانه قد يكون الباعث للمكلف على اخلاصه مثل هذه الامور فيكون العبد من المخلصين ويكون الدين بهذا الحكم مستخلصا من يد من يعطى المشاركة فيه فيميل العبد به عن الشريك ولهذا قال تعالى حنفاء لله أي غير مائلين به الى جانب الحق الذي شرعه وأخذه على المكلفين من جانب الباطل اذ قد سماهم الحق تعالى مؤمنين في كتابه فقال في طائفة انهم آمنوا بالباطل وكفروا بالله فكساهم خلعة الايمان فعلى هذا ليس اسم الايمان خاصا بالسعداء ولا الكفر خاصا بالاشقياء من حيث الالفاظ وانما ذلك من حيث المعاني فان قرائن الاحوال هي التي تميز فالمهد الخالص هو الذي أخذه الله من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم ثم ان كل بني آدم ولدوا على الفطرة وهذا هو الميثاق الخالص لنفسه الذي ما ملكه أحد غيره باستخلاص منه بل لم يزل خالصا لنفسه في نفس الامر ظاهرا وباطنا ومن هنا كان أبو يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري واضرابهما يقولون مانقضنا من منذ قال الحق تعالى شيأ بل عهده باق عندنا الى الآن وهذا هو الدين الخالص لا المخلص بفتح اللام لشدة دلالته فانه في العبد من غير استخلاص

لغير المقام الصديقي فافهم * وقال وأنا أول المؤمنين اعلم ان مراده بقوله تبت اليك أي لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها أولا فاني علمت عند دك الجبل ما لم أكن اعلمه منك يارب وأنا أول المؤمنين أي بقولك لن تراني لانك ما قلت ذلك الالي وهو خبر فلذلك ألحقه بالايمان لا بالعلم ولولا أن المراد بالايمان الايمان بقوله لن تراني ما صحت الاولية فان المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن وأطال في ذلك والله أعلم * وقال في الباب السادس والخمسين وأربعمائة لا ينبغي للاشياخ أن يسلموا للمريد حركة الوجد الذي يبقى معه الاحساس بمن في المجلس ولا تسلم له حركته الا ان غاب وهما أحس بمن في المجلس تعين عليه أن يجلس الا أن يعرف الحاضرين انه متواجد لا صاحب وجد فيسلم له ذلك على ان هذه الحالة غير محمودة بالنظر الى ما فوقها * وقال في الباب الموفي ستين وأربعمائة في حديث مسلم في تجلي الحق يوم القيامة في الصور وحين يقع الانكار من قوم اعلم ان صاحب مقام الاحسان هو الذي لا ينكره تعالى في تجل من التجليات لانه جاوز مقام الاسلام والايمان وصاحب مقام الايمان ينكره في تجليه في مقام الاحسان وصاحب مقام الاسلام ينكره في تجلي مقام الايمان والاحسان فان كل انسان انما ينكر ما لم يذقه في دار الدنيا ولا يخفى ان الاسلام عمل والايمان تصديق والاحسان رؤية أو كالرؤية فشرط الاسلام الانقياد وشرط الايمان الاعتقاد وشرط الاحسان ولم

ولم يزل محفوظا من النقص قبل تكليف صاحبه وبعده فمثل هؤلاء لم يؤمروا بأن يعبدوا الله مخلصين له الدين اذلا دخل لهم في الاستخلاص هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في بعض نسخ الفتوحات والذي يظهر لي ان لسان الامر بالاخلاص عام في كل مقام بحسبه حتى مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فاعبد الله مخلصا له الدين وقال تعالى وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وعلى ماقرره الشيخ محيي الدين يكون المخاطب بالاخلاص للدين حقيقة أمته صلى الله عليه وسلم لا هو فهو المخاطب بالاخلاص والمراد به غيره لانه اذا كان خواص أمته لا يصح منهم تغيير للعهد الميثاقي فكيف به صلى الله عليه وسلم الذي هو صاحب جميع المقامات فتأمل والله أعلم (فان قلت) فهل يقدح في الايمان عدم ايماننا بحياة الجماد (فالجواب) نعم يقدح ذلك في ايمان كل مؤمن وقد ذكر الشيخ في الباب السابع والخمسين وثلثمائة انه يجب على كل مؤمن حفظا ايمانه مما ينقصه كان لا يؤمن بحياة كل شئ أخبر الحق تعالى انه يسبح بحمده فان الله تعالى ماأثبت حياة كل شئ وانما نفى كوننا نفقه تسبيحه لا غير فأهل الكشف يشهدون ذلك عيانا وأهل الايمان الكامل يقبلون ذلك ايمانا وعبادة قال وانما عقب ذلك بقوله انه كان حليما غفورا لان هما اسما الحجاب والستر وتأخير المؤاخذة الى الاجل وعدم حكمها في العاجل لما علم ان في عباده من حرم الكشف والايمان الكامل وهم عبيد الافكار من العقلاء وأطال في ذلك * ثم قال فأهل الكشف يقولون سمعنا نطق الجمادات ورأيناه وأهل الايمان يقولون آمنا بذلك وصدقنا وعبيد الافكار من المحجوبين يقولون ماسمعنا ولا رأينا قال وتأمل في قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم كيف عقبها بقوله ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون لما علم ان طائفة من الناس لا يؤمنون بذلك ويخرجونه بالتأويل عن آخره ومعنى لا يوقنون أي لا يستقر الايمان بالآيات التي هذه الآية منها في قلوبهم بل يقبلون ذلك على غير وجهه الذي قصد له فالله يرزق جميع اخواننا الايمان ان لم يكونوا من أهل العيان آمين وسيأتي في مبحث عذاب القبر وسؤال منكر ونكير بيان أدلة تسبيح الجمادات بلسان المقال فراجعه (فان قلت) فهل يجب العفو علينا من قبول هدية من أمرنا الله تعالى بمعاداته (فالجواب) نعم يجب علينا ذلك فان في الحديث تهادوا تحابوا وللعطاء أثر قادح في الايمان اذ المحسن محبوب للنفس قهرا عليها وهذه مسئلة خطرة في حق كل محجوب عن شهود العطاء من الله عز وجل فكيف يطالب من يرى العطاء من الخلق أن لا يحب الكفار والظلمة المصرين على المعاصي اذا قبل برهم واحسانهم هذا أمر عسر على غالب الخلق الا من شاء الله لانه خروج عن الطبع فهو وان لم يكن له أثر في الظاهر فله أثر في الباطن اه (فان قلت) فأوضح لنا ما نعرف به المؤمن الكامل (فالجواب) المؤمن الكامل من صار الغيب عنده كالشهادة في عدم الريب وتولاه الله تعالى بالايمان الذي هو القول والعمل والاعتقاد الصحيح فكان قوله وفعله مطابقا الاعتقاده في ذلك الفعل ولهذا قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يريد ماقدموه من الاعمال الصالحة عند الله قال صلى الله عليه وسلم المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم وفي رواية المؤمن من أمن جاره بوائقه (وسمعت) أخي أفضل الدين رحمه الله يقول من شرط كمال الايمان ان يصير الغيب عند المؤمن كالشهادة سواء ويسري منه الامان في نفس العالم كله فيأمنه المؤمنون الكاملون على القطع على أنفسهم وأموالهم وأهاليهم من غير ان يتخلل ذلك الامان تهمة في أنفسهم من هذا الشخص فمن لم يكن فيه هاتان العلامتان فلا يغالط ولا يدخل نفسه في كمل المؤمنين (وسمعت) سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من ادعى كمال الايمان بما وعده الله عليه فليمتحن نفسه فيما وعده الله به من مضاعفة الصدقة مثلا الى سبعين ضعفا أو أكثر فان وجدها لا تتوقف في اعطاء أحد من المحتاجين شيأ ولو أنفقت جميع ما بيدها فليعلم ان ايمانه بذلك كامل فيجب عليه الشكر لله عز وجل وان توقفت عن العطاء مع وجود قوت يومها وليلتها فليعلم انه ناقص الايمان بما وعده الله تعالى

الاشهاد (قلت) رأيت في كلام سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه ان وراء مقام الاحسان مقام الايقان ولم أر ذلك في كلام أحد غيره والله أعلم * وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة اعلم انه لا ذوق لنا في مقامات الرسل لنتكلم عليها وانما غاية ذوقنا في الوراثة خاصة فلا نتكلم في الرسل الا رسول ولا في الانبياء الا نبي ولا في الاولياء الا ولي هذا هو الادب الالهي * وقال لابد في كل اقليم أو بلد أو قرية من ولي لله عز وجل به يحفظ الله تلك الجهة سواء كان أهل تلك الجهة مؤمنين أو كفارا * وقال في الباب الثالث والستين وأربعمائة ماورد في تفضيل بعض السور أو الآيات على بعض هو راجع الى التالي لا الى المتلو لان المتلو لا تفاضل فيه لانه كله كلام الله تعالى فالتفاضل راجع الى ماهي الآية عليه من حيث كونها متكلما بها لا في الكلام فليتأمل ويحرر * وقال في قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى بشيخ يوم القيامة بين يدي الله عز وجل فيقول له ماذا عملت من الحسنات فيقول يارب فعلت كذا وكذا والله يعلم أنه كاذب فيأمر الله به الى الجنة فتقول الملائكة يارب انه كاذب فيقول الله تبارك وتعالى قد علمت ذلك ولكني استحييت منه أن أكذب شيبته اعلم ان في هذا الحديث حثا لنا أن نظهر لمن كذب علينا بصورة من نصدقه من غير أن نتركه يلحق بنا فان الشارع ما أخبرنا بذلك الا لنكون بهذه الصفة مع الناس

* وقال سأل بعض الاقطاب ربه عز وجل أن يعطي مقامه لولده فقال له الحق تعالى في سره مقام الخلافة لا يكون بالوراثة انما ذلك في العلوم

ولو أن يهوديا جاء بشكارة ذهب وقال كل من أعطى فقيرا نصفا أعطيته دينارا لتزاحم الناس على العطاء وأعطوا الفقراء كل ما بأيديهم من الفضة نسأل الله تعالى اللطف (ومعنى) يقول أيضا في قوله تعالى وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين اذا رأيت يا أخي من يدعي كمال الايمان ويذكره الناس فلا تنفعه الذكرى فاعلم أنه في ذلك الحال ناقص الايمان بمرة فان شهادة الله حق وهو صادق وقد أعلمنا ان المؤمن ينتفع بالذكرى وقد رأيناه لم ينتفع بالذكرى فلا بد أن تقول ان ايمانه توارى عنه تصديقا لله ولا معنى للنفع الا وجود العمل منه وبالجملة فلا ترى أحدا يتوقف عن العمل بما أمر به الا وفي نفسه احتمال ومن قام له في شئ أخبره الصادق به احتمال فليس هو بكامل الايمان مع انك لو سألته لقال لا أشك في صدق ما أخبرنا الله به ورسوله فتنبه يا أخي لنفسك فانك لأن تأتي الله تعالى وأنت كامل الايمان من غير كثير عمل خير لك من أن تأتيه بأعمال الثقلين وفي ايمانك ثلمة ونقص فعلم كما قاله الشيخ في الباب التاسع والخمسين ومائة ان الايمان علم ضروري يجده المؤمن في قلبه لا يقدر على دفعه وكل من آمن عن دليل فلا وثوق بايمانه كما ذكرناه في مقدمة هذا الكتاب وذلك لأن صاحب الدليل معرض للشبه القادحة في ايمانه اذ هو ايمان نظري لا ضروري والنظري صاحبه أسير الدليل فكل شئ ترجح عنده في وقت ترك ما كان عليه قبل ذلك ولهذا لا يشترط في وجود الرسالة اقامة الدليل للمرسل اليه ولذلك لم نجد مع وجود الدليل وقوع الايمان من كل أحد بل من بعضهم فقط فلو كان لنفس الدليل لعم ورأينا أيضا وجود من لم ير دليلا فدل على ان الايمان انما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده لا بدليل ولذلك قال لا يشترط فيه وجود الدليل وقد ذكر نحو ذلك الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والخمسين ومائة قال وقد نبهتك على سر غامض لا يعرفه كل أحد فاحتفظ به والله تعالى أعلم * (خاتمة) * قال الشيخ في الباب الرابع والستين وثلثمائة اعلم انه لا يموت أحد من أهل التكليف الا مؤمنا عن عيان وتحقيق لا مرية فيه ولا شك لكن من العلم بالله والايمان به خاصة وما بقي الا هل ينفعه ذلك الايمان أم لا وفي القرآن العظيم فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا قال وقد حكى الله تعالى عن فرعون أنه قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فلم ينفعه هذا الايمان وأطال في أدلة أنه لم ينفعه ايمانه (قلت) فكذب والله وافترى من نسب الى الشيخ محيي الدين أنه يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل على أنه قال بقبول ايمان فرعون جماعة منهم القاضي أبو بكر الباقلاني وبعض الحنابلة قالوا لأن الله حكى عنه الايمان آخر عهده بالدنيا اه وجمهور العلماء قاطبة على عدم قبول ايمانه وايمان جميع من آمن في البأس لأن من شرط الايمان الاختيار وصاحب ايمان البأس كالملجأ الى الايمان والايمان لا ينفع صاحبه الا عند القدرة على خلافه حتى يكون المرء مختارا ولأن متعلق الايمان هو الغيب وأما من يشاهد نزول الملائكة لعذابه فهو خارج عن موضوع الايمان والله تعالى أعلم

* (المبحث الثاني والخمسون في بيان حقيقة الاحسان) *

اعلم ان حقيقة الاحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه كما صرح به في حديث سؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان والاحسان وقال الجلال المحلي رحمه الله حقيقة الاحسان مراقبة الله تعالى في جميع العبادات الشاملة للايمان والاسلام أيضا حتى تقع عبادات العبد كلها في حال الكمال من الاخلاص وغيره انتهى وتقدم في مبحث مسئلة خلق الافعال والكسب ان علم العبد بان الله تعالى يراه أكمل في التنزيه من شهوده هو للحق لأنه لا يشهده الا بقدر دائرة عقله هو فقط وتعالى الله عن ذلك بخلاف علمه بان الله يراه وتقدم فيه أيضا ان في الحديث اشارة لطيفة وهو أن صاحب مقام الاحسان اذا عبد الله كأنه يراه لم يجد العمل الا لله وحده وليس للعبد فيه أثر وانما له حكم فيه لكونه محلا لبروزه من الجوارح لا غير ومن شهد هذا المشهد

فهو

أولا وال * وقال قد يفتح الله تعالى على الطالب على لسان شيخه بعلوم لم تكن عند الشيخ لحسن أدبه مع الله ومع شيخه قال وقد وقع لي ذلك وأفدت الطالب علوما لم تخطر لي قط على بال قبل قوله (وقال) من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم في اليقظة فقد رأى جميع المقربين لانطوائهم فيه ومن اهتدى بهديه فقد اهتدى بهدى جميع النبيين * وقال قد أجمعنا على أنه لا موجد الا الله وانه حكيم يضع الامور كلها في مواضعها ومن شهد هذا علم يقينا ان كل ما ظهر في العالم فهو حكمه وضعه في محله لكن مع هذا المشهد لا بد من الانكار لما أنكره الشارع فإياك والغلط * وقال كنت من أبغض خلق الله تعالى للنساء وللجماع في أول دخولي الطريق وبقيت على ذلك نحو ثمان عشرة سنة حتى خفت على نفسي المقت لمخالفة ما حبب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفهمني الله معنى حبب علمت ان المراد أن لا يحبهن طبعا وانما يحبهن بتحبيب الله عز وجل فزالت تلك الكراهة عني وانا الآن من أعظم الخلق شفقة على النساء لأني في ذلك على بصيرة لا عن حب طبيعي وأطال في ذكر قوله تعالى وان تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل الآية (قلت) وتقدم الكلام على هذه الآية أيضا في الباب الثاني والعشرين من الفتوحات فراجعه ترى العجب والله أعلم * وقال انما نسب الحق تعالى الخلق الى عباده في قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين فانه أثبت ان ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقا وذلك أنه تعالى اذا خلق شيأ يخلقه عن شهود في علمه فيكسوه الخلق حلة الوجود

فهو الذي أخلص عمله لله ولم يشرك فيه نفسه مع الله وتقدم أيضا في المباحث السابقة ان من كمل العبد أن يراخي بين العيان والايمان فيكون مؤمنا عيانا ومشاهدة من غير حجاب وذلك حتى لا يفوته ثواب الايمان بالغيب حال الشهود والمعاينة وان ذلك مقام عزيز * قال الشيخ محيي الدين في باب الاسرار من الفتوحات ولا يخفى أن الايمان والاسلام مقدمة الاحسان لان الايمان له التقدم والاسلام تال والاليقبل فهذا شفع قد ظهر والختام للوتر فأوتره الاحسان لانه أول الافراد الثلاثة لا الواحد فافهم * وقال فيه أيضا اعلم ان الايمان تصديق فلا يكون الاعن مشاهدة الخبر في التخيل فلابد من الاحسان والاسلام انقياد والانقياد لا يكون الا ان رأى يد الحق كما يليق بجلاله وهي آخذة بناصيته فانقاد طوعا فان لم ير يد الحق التي هي تأييده له ولا تخيلها فما انقاد الا كرها والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (قلت) قد رأيت في كلام سيدي علي بن وفا رضي الله عنه أن وراء مقام الاحسان مقاما آخر يسمى مقام الايقان ولم أر ذلك في كلام غيره فليتأمل وقد تقدم في مبحث الاجوبة عن الانبياء ان أهل مقام الاحسان لا يتصور منهم معصية ماداموا في حضرة الاحسان وان من هنا عصم الانبياء وحفظ غيرهم من الاولياء لعكوف الانبياء والاولياء في حضرة الاحسان أما الانبياء فهم فيها على الدوام وأما الاولياء فهم فيها في أغلب أحوالهم وغاية معصية أهل حضرة الاحسان أن يقعوا في خلاف الاولى لا في حرام ولا مكروه كما مر في الجواب عن آدم عليه السلام والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والخمسون في بيان أنه يجوز للمؤمن أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله خوفا من الخاتمة المجهولة لا شكا في الحال)

قال الجلال المحلي رحمه الله ومنع الامام أبو حنيفة رضي الله عنه ذلك * وحكى في المقاصد المنع عن الاكثرين وعبارة النسفي في عقائده ولا ينبغي أن يقول العبد أنا مؤمن ان شاء الله وقد حملها المولى سعد الدين على أن الاولى تركه لا على المنع بمعنى عدم الجواز ثم ذكر المولى سعد الدين أنه لا خلاف بين الفريقين حقيقة في المعنى لانه ان أريد بالايمان مجرد حصول المعنى فهو حاصل في الحال وان أريد ما يترتب عليه النجاة والثواب في الآخرة فهو تحت مشيئة الله تعالى ولا قطع بحصوله في الحال فمن قطع بالحصول أراد الاول ومن فوض الى المشيئة أراد الثاني اه وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذا سئل عن ذلك يقول قول العبد أنا مؤمن ان شاء الله تعالى أولى من الجزم لا يقال ان قول العبد ان شاء الله يوهم الشك في الحال في ايمانه لانا نقول كل مؤمن متحقق بالايمان في الحال جازم باستمراره عليه الى الخاتمة التي يرجو حسنها أو يسأل من فضل ربه تحقيقها انتهى ودليل الامام أبي حنيفة ومن تبعه في عدم جواز الاستثناء في الايمان قول الله تعالى في السحرة قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولم يستثنوا وقوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا ولم يستثنوا وأيضا فان الايمان عقد فالاستثناء يقطعه ويحله وأجاب الشافعية بانا لم نوجب الاستثناء وانما جوزناه ومعلوم أن من يستثني منا لا يريد ابطال الاول ولا التردد فيه بالاجماع *(خاتمة)* اذا أشرك المؤمن في عمله رياء وسمعة فلا أجر له واختاره ابن عبد السلام والزركشي وقال انه الظاهر وأما الامام الغزالي فاعتبر الباعث على العمل فان كان الاغلب الباعث الدنيوي فلا أجر له وان كان الاغلب هو باعثه الديني فله أجر بقدره وان تساويا تساقطا والله أعلم

(المبحث الرابع والخمسون في بيان أن الفسق بارتكاب الكبائر الاسلامية لا يزيل الايمان)

خلافا للمعتزلة في زعمهم انه يزيله يعني انه واسطة بين الايمان والكفر بناء على قولهم ان الاعمال جزء من الايمان قاله الجلال المحلي وقد استند المعتزلة الى ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن

بعد أن كان معدوما الى شهود الخلق بخلاف العبد اذا خلق الله على يديه شيأ لا يخلقه الا عن تقدم تصور رأى تصور من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها فحصل الفرق بين خلق الله وخلق العباد وأكثر من هذا الايضاح * وقال في الباب الخامس والستين وأربعمائة أعل هبل أعل هبل هو صنم كان يعبد في الجاهلية وهو الحجر الذي يطؤه الناس في العتبة السفلى من باب بني شيبة وهو الآن مكبوب على وجهه وباطه الملوك بوقه البلاط * وقال في الباب السابع والستين وأربعمائة أعلى الحمد عندنا بلا خلاف عقلا وشرعا قولنا ليس كمثله شيء لانه لا يصح ان يثني على الله تعالى بما لا يعقله العبد فلا يبقى الا أن يثني عليه بما يتعقله والحق تعالى وراء كل ثناء للعبد فيه شرف فمتى علمت شيأ أو عقلته كان صفتك ولا بد فحقيقة التسبيح هي التسبيح عن التسبيح مثل قولهم التوبة هي التوبة من التوبة اذ التسبيح تنزيه ومعلوم انه لا نقص في جانب الحق قال واذا كان كل شيء يسبح بحمده فسبح بعد ذلك أو لا تسبح فانك مسبح شئت أم أبيت علمت أو جهلت وأطال في ذلك ثم قال واعلم انا لا نحمد الله الا بما علمنا أن نحمده به فان حمده مبناه على التوقيف اذ التلفظ بالحمد على جهة القربة لا يصح الا من جهة الشرع ومن هنا كان لا ينبغي للعبد ان يثني على الله تعالى بخلقه المحقرات عرفا والمستقذرات طبعا وان كان ذلك داخلا في قول العبد الحمد لله خالق كل شيء ولكن لا ينبغي في الادب التعيين للمحقرات لئلا ينسب العبد الى سوء العقيدة مع ان ذلك صحيح لو قاله العبد قال ولا أمثل به لاني استحيي ان يقرأ في كتابي مع اني ما أرى

ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن الحديث وظواهر الحديث نفي الايمان * قال الشيخ نجم الدين البكري والحق الذي نعتقده ان المراد بقوله وهو مؤمن أي بأن الله يراه أي حاضر القلب مع الله تعالى اذ لو كان حاضر القلب مع الله تعالى لم يستطع ان يعصي حياء من الله عز وجل فلا بد للعاصي من سدل الحجاب عليه حتى يقع في المعصية وأقل الحجاب ان يقع في تأويل أو تزيين من النفس كأن تقول له نفسه ربك غفور رحيم ولا يكون غفورا رحيما الا لمذنبين وقال النبي صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي و بعيد أن الله تعالى يؤاخذك مادمت تستغفر الله وتقول له نفسه أيضا افعل ماقدر عليك فانك لاتستطيع أن ترد ماقدره الله عليك وتفتح له نفسه باب الرجاء الواسع حتى تهون عليه الذنب * وقد أجمع أهل الكشف على انه لايصح لعارف ان يعصي الله تعالى على الكشف والشهود أبدا فان علمه بان الله تعالى يراه يمنعه من الوقوع ثم لو فرض ان العاصي يشهد أن الله تعالى يراه حال المعصية فلا بد ان يشهده غير راض عنه في تلك المعصية * وفي حديث الطبراني وغيره مرفوعا اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم والمراد بهذه العقول التي تسلب العقول التي تشهد نظر الحق تعالى اليها حال معصيتها لاعقول التكليف اذ لو كان المراد بها ذلك ما آخذ الله تعالى أحدا لعدم التكليف وقد ثبتت المؤاخذة بالنصوص القاطعة فافهم فان هذا موضع غلط فيه جماعة من المتصوفة فعلم انه لايلزم من كون العبد يحجب عنه الايمان بان الله تعالى يراه حال المعصية أن ينتفي عنه الايمان بوجود الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره كما توهمه بعضهم بل هو مؤمن بذلك كله لم يحجب عنه ماعدا كون الله تعالى يراه فانه لابد من حجابه فيه لئلا يمضي الله أمرا كان مفعولا والا كان ذلك في غاية قلة الحياء مع الله تعالى فاذا فهمت ذلك علمت ان الايمان يتخصص في كل موطن بما يناسبه بحسب السياق الذي هو فيه وذلك كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين أي باني أنصرهم فاني عند ظن عبدي بي وقس على ذلك هكذا قرره الشيخ نجم الدين البكري في تفسيره (فان قلت) فما معنى حديث نعم العبد صهيب لولم يخف الله تعالى لم يعصه (فالجواب) معناه كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة ان الاسباب المانعة للعبد من الوقوع في المعاصي أربعة أشياء لاخامس لها وهي الحياء من الله تعالى والخوف من عقابه والرجاء في ثوابه وعدم التقدير في علم الله تعالى فمعنى الحديث ان صهيبا لولم يخف الله تعالى لم يعصه أي لان معه من الاسباب المانعة من الوقوع في المعصية ثلاثة أشياء وهي الحياء من الله والرجاء لثواب الله وعدم التقدير في علم الله وكذلك القول في الثلاثة الباقية كما لو قال صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لولم يستح من الله لم يعصه أو لو لم يرج ثواب الله لم يعصه فان معناه كما قلنا في الخوف سواء انتهى * وقال في الباب الثامن والستين اعلم ان الحكمة في ان الايمان يخرج من صاحبه حال الزنا والسرقة وشرب الخمر مثلا انه يخرج عن صاحبه حتى يحميه من وقوع العذاب الذي عرض نفسه له بالزنا مثلا فان الايمان لايقاومه شئ وقد أشار الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنى العبد خرج عنه الايمان حتى يصير عليه كالظلة فاذا أقلع رجع اليه الايمان * قال وما بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان فعلم ان خروج الايمان ليس هو لدخول صاحبه في الكفر وانما خرج ليمنع عنه وقوع العذاب عناية بصاحبه وأطال الشيخ في ذلك ثم قال وهنا نكتة جليلة خفية وهي ان العبد المؤمن لايخلص له قط معصية محضة فلا بد ان يشوبها طاعة وتلك الطاعة هي ايمانه بأنها معصية تسخط الله تعالى عليه فهو من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم أي يرجع عليهم بالرحمة * قال العلماء وعسى من الله واجبة الوقوع من حيث ان رحمته بالمسلمين سبقت غضبه عليهم * وقال في الباب الرابع والخمسين وثلثمائة أيضا في معنى حديث لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن أي مصدق بالعقاب عليه اذ لو كان معه تصديق بالعقاب ماوقع في الذنب كما اذا أوقدنا نارا عظيمة وقلنا له ازن بهذه المرأة لنحرقك بالنار لايزني بها قط ولو مكثنا نأمره مدى الدهر وذلك لشهوده العقاب فافهم * وقال في الباب الرابع

شيأ في الوجود خيرا من حيث ان الله تعالى اعتنى به وابرزه في الوجود والله أعلم * وقال في الباب الحادي والسبعين وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل ماتقرب المتقربون الي بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه الحديث اعلم ان عبادة الفرض عبادة اضطرار وعبادة النفل عبادة اختيار فهما رائحة دعوى لانهما كالتواضع ومعلوم ان التواضع تعمل لايقوم الامن له حكم في الرفعة والعبد ليس له حكم في السيادة ولهذا قالوا العبد من لاعبد له فنقص النفل عن درجة الفرض وايضاح ذلك ان علم العبد بربه ينقص بقدر ما اعتقده من النفل بل من أول قدم يضعه في النفل يتصف بالنقص في العلم بما هو الامر عليه وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن حب الله لصاحب الفرائض أكمل من حبه لصاحب النوافل كما أشار اليه حديث اذا قال العبد لاخيه أنا أحبك فأحبه الآخر فانه لايلحقه في درجته في الحب أبدا لان حب الاول ابتداء وحب الثاني جزاء فلن يكافئه أبدا كما أن حب العناية من الله للانبياء أعلى من حب الكرامة للاولياء (قلت) ومن هنا كان الملامتية الذين هم أكابر القوم لايصلون مع الفرائض الامالابد منه من مؤكدات النوافل خوفا أن يقوم بهم دعوى انهم أتوا بالفرائض على وجه الكمال الممكن وزادوا على ذلك فانه لانفل الا عن كمال فرض ونعم مافهموا ولكن تممها واعلى وهو ان يكثر من النوافل توطئة لمحبة الله لهم ثم يرون ذلك جبرا لبعض مافي فرائضهم من النقص والله أعلم * وقال في الباب الثاني والسبعين وأربعمائة في قوله

والثلاثين ومائتين أيضا اعلم ان من لازم المؤمن الكامل انه لا يأتي معصية فيما توعد الله عليها بالعقوبة الا وعنده
في نفسه الندم عند الفراغ منها وفي الحديث الندم توبة وقد قام بهذا الندم فهو تائب أي من جهة حقوق الله
تعالى لا من جهة حقوق الآدميين فسقط حكم الوعيد بهذا الندم فانه لابد للمؤمن الكامل ان يكره المخالفة
ولا يرضى بها في حال عمله بها فهو من حيث كونه كارها لها نادم على وقوعه فيها ومؤمن بأنها معصية ذو عمل
صالح من ثلاثة وجوه وهو من حيث كونه فاعلا لها شر عاذ وعمل سيئ من وجه واحد وهو ارتكابه اياها ومن
تأمل في قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره عثر على ما قلناه فانه تعالى لم يتعرض للمؤاخذة بذلك الشر
وانما ذكر انه يراه فقط ثم لا يكون من الكريم الا الكرم انتهى هكذا رأيته في كلام بعضهم وعليه فتكون
الحكمة في الطائفة التي تدخل النار من الموحدين انما هو لبيان اظهار فضله على الذين لم يؤاخذهم كما يؤدب
السلطان من شاء أدبه من الغلمان ولا تقبل فيه شفاعة ليعرف الناس مقدار نعمه عليهم والله تعالى أعلم * وقال
الشيخ في الباب السابع والتسعين ومائتين في معنى حديث لو لم تذنبوا وتستغفروا الله لذهب الله بكم وجاء بقوم
يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اعلم ان من رحمة الله تعالى بخلقه انه أوجد فيهم النسيان والحجاب حال
عصيانهم في دار التكليف فان المعاصي والمخالفات قد سبق تقديرها على العباد في هذه الدار فلا بد من وقوعها
منهم ولو انها وقعت منهم على الكشف والتجلي لكان ذلك مبالغة في قلة الحياء مع الله تعالى حيث انه يشهده
ويراه فلولا الحجاب لعظم الامر وشق والقدر حاكم بالوقوع فلذلك حجب الله تعالى العاصي عن ذلك المشهد
لعظم المصاب انتهى * وقال في أواخر باب الحج من الفتوحات اعلم ان بعض الناس قد ينفعه ذنبه فيرد ابليس
خاسئا وذلك كما اذا كان عند العبد عجب باعماله وكبر على اخوانه ونحو ذلك فيقع في معصية فيحصل له ذل
وانكسار وندم فيزول مرضه ويكتب من التوابين وأطال في ذلك اه وفي كلام ابن عطاء الله رب معصية
أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا اه وسيأتي في المبحث عقبه زيادة على
ما ذكرناه هنا والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والخمسون في بيان أن المؤمن اذا مات فاسقا بان لم يتب قبل الغرغرة تحت المشيئة الالهية)

فاما ان يعاقب بادخاله النار ثم يخرج منها لموته على الاسلام واما ان يسامح بان لا يدخل النار فضلا من الله من
غير شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم أو مع شفاعته أو شفاعة من شاء الله تعالى وتردد الامام النووي في الاخير
وهو كلام القاضي عياض قال الشيخ تقي الدين السبكي وانما تردد النووي في شفاعة من شاء الله لانه لم يرد
في السنة تصريح بذلك ولا بنفيه ثم قال وهي في اجازة الصراط بعد نصبه ويلزم منها النجاة من النار قال تعالى
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وقال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وزعمت
المعتزلة ان من مات مصرا على كبيرة يخلد في النار ولا يجوز العفو عنه ولا الشفاعة فيه ونقل ذلك عن ابن
عباس رضي الله عنهما استنادا الى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية فانها
نزلت بعد قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فهي محكمة غير منسوخة هكذا
رأيته في تفسير الامام سند بن عبد الله الازدي من أقران الامام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه وأجاب
الجمهور مع تقدير عدم النسخ بأنه لا يلزم من الوعيد بالشر وقوعه كما يقول السيد لعبده اذا خالفه ما جزاؤك
الا ان أضربك وأحبسك ثم لا يضربه ولا يحبسه هذا كلام أهل الاصول * وأما قول الشيخ محيي الدين
فقال في الباب السابع والاربعين ومائة اعلم ان من قتل انسانا ولم يقتل به في الدنيا فامر القاتل الى الله ان شاء
عفا عنه وان شاء عذبه قال وأما قوله في الحديث القدسي فيمن قتل نفسه بادرني عبدي حرمت عليه الجنة
فالمراد به انه لا يدخل الجنة مع الرعيل الاول كما في نظائره من الاحاديث الواردة في عذاب الشيخ الزاني ومدمن

تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول في هذه الآية نفي للمحبة أن يكون متعلقها الجهر بالسوء من القول مع أن الجهر بالسوء
قد يكون قولا وقد يكون فعلا فيكون المراد بهذا السوء القولي وأما السوء الفعلي فقد وقع التصريح بالنهي عنه في آيات أخر وربما كان ذلك يؤخذ من هذه الآية بطريق الاولى والمراد بالجهر به ظهور الفحشاء من العبد كما في حديث من بلي منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر يعني لا يجاهر بها وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن السوء على نوعين سوء شرعي وسوء يسوءك وان حمده الشرع ولم يذمه فهذا السوء هو سوء من حيث كونه يسوءك لا أن السوء فيه حكم الله كما في السيئة الثانية في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فان السيئة الاولى في الآية شرعية لان صاحبها تعدى حد الله والسيئة الثانية التي هي جزاء ليست بشرعية وانما سميت سيئة لانها تسوء المجازى بها فان الله لا يشرع البداءة بالسوء ولكن لما أطلق في الاصطلاح في اللسان على السيئ والحسن نزل الشرع من عند الله بحسب التواطؤ فانهم سموا سوأ وقولوا انتم سوأ فأخبرنا الله تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول الا من ظلم أي لا يحب السوء الذي سميتموه أنتم سوأ لكونه لا يوافق أغراضكم فانه الاحسن بالنسبة الي
بالنسبة في الحقيقة ولكن كل ما وافق الاغراض منا نقول فهو حسن كما أن كل شيء من الله حسن ساء ذلك أم سر فليتأمل ويحرر * وقال في
قوله تعالى ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون اعلم ان من الادب أن تمشي حيث مشى بك الشرع وتقف حيث وقف بك فتعقل فيما قال لك فيه

الخمر وقاطع الرحم والمسبل ازاره خيلاء ونحو ذلك يوافق النصوص الصحيحة نحو قوله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق * وقال أيضا في باب صلاة الجنائز من الفتوحات اعلم أن الاخبار الصحيحة والاصول الصريحة تقضي بخروج قاتل نفسه من النار وان النص لو ورد بتأبيد الخلود خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار لانه لم يقيده في الحديث بالمؤمنين فتطرق الاحتمال واذا تطرق الاحتمال رجعنا الى الاصول واذا رجعنا الى الاصول رأينا الايمان قوي السلطان لا يتمكن معه الخلود على التأبيد الى غير نهاية فتعين قطعا ان الشارع انما أخبر بذلك في حق الكفار لكونه لم يخص في الحديث صنفا دون صنف بعينه والادلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة يضم بعضها الى بعض ليقوي بعضها بعضا وكما أن المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا فكذلك الايمان بكذا يشد الايمان بكذا فيتقوى بعضه ببعض وأطال في ذلك ثم قال والمراد بقوله فيمن قتل نفسه حرمت عليه الجنة أي حرمت عليه الجنة قبل رؤيتي لا سيما ان كان الحامل له على قتل نفسه الشوق الى لقاء الله من العشاق ممن كتم عشقه وعف فمات وهذا هو اللائق ان يحمل عليه لفظ الخبر الا ان يأتي لنا نص صريح بخلاف هذا التأويل وأطال في ذلك ثم قال وان ظهر للناظر بعد فيما قررناه فانما هو لبعد الناظر في نظره من الاصول المقررة التي تناقض هذا التأويل بالشقاء المؤبد فاذا استحضرها ووزن الامر بميزان الشريعة عرف ما قلناه وفي الصحيح أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى من مثقال حبة خردل من ايمان فلم يبق الا ما أولناه اه (قلت) وفي هذا الكلام وما بعده رد عن الشيخ وتكذيب لمن افترى عليه انه يقول بخروج أهل النار من الكفار والله أعلم * وقال في باب الجنائز أيضا بعد كلام طويل اعلم ان الله تعالى انما أوجب علينا الصلاة على الميت لانه يريد أن يقبل شفاعتنا فيه واعلاما لنا بأن سؤالنا فيه مقبول وانه تعالى يرضى منا ذلك فان الامر بالشيء يقتضي رضا الشارع به فمن قال من المعتزلة ان قاتل نفسه مخلد في النار فهو محمول على كافر مات على كفره أو على الميت الذي لم يصل عليه فلهذا قلنا بوجوب الصلاة على من قتل نفسه وان صلاتنا عليه تنفعه وتمنعه من تأبيد الخلود في النار على زعمهم واما على قول أهل السنة والجماعة فلا خلود في النار لمؤمن ولا موحد وفي الحديث أيضا صلوا على من قال لا اله الا الله فدخل فيه أهل الكبائر وجميع أهل الاهواء والبدع الذين لا يكفرون باهوائهم وبدعهم لانه صلى الله عليه وسلم ما فصل ولا خص بل عم بقوله من وهي نكرة تعم وما أمرنا الشارع بالصلاة على من قال لا اله الا الله الا وهو يريد أن يرحمه اما بعدم دخوله النار أصلا واما باخراجه منها بعد ان أخذت العقوبة حدها * وقال في الباب الخامس والخمسين وثلثمائة في قوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا ساء ما يحكمون اعلم أن في هذه الآية ردا على من يقول بانفاذ الوعيد فيمن مات على غير توبة من الموحدين وفيها بيان لشمول الرحمة لكل موحد وذلك لان المؤمن اذا عصى فقد تعرض للانتقام والبلاء فهو جار في شأن الانتقام بما وقع منه والحق تعالى يسابقه في هذه الحالة من حيث ما هو غفار وعفو ومتجاوز رؤف ورحيم فالعبد يسابق ربه بفعل السيآت الى الانتقام والرب سبحانه وتعالى أسبق منه الى الرحمة والمغفرة بالاسم الرحيم أو الغفار مثلا فاذا جاء الاسم المنتقم وجد الاسم الغفار واخوانه قد حالوا بينه وبين ذلك العبد العاصي * قال ومعنى الآية أم حسب الذين يعملون السيآت أن يسبقونا بسيآتهم مغفرتي وشمول رحمتي ساء ما يحكمون بل السبق لي بالرحمة لهم ولكل موحد وذا غاية الكرم * قال وهذا لا يكون الا فيمن مات على غير توبة من عصاة الموحدين فان العاصي منهم اذا مات تلقته رحمة الله في الموطن الذي يشاء الله ان يلقاه فيه وأما حديث ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فذلك في حق الكافر وأما في حق عصاة الموحدين ممن لم يحق عليه كلمة العذاب فينبغي تأويله على من كره لقاء الله من كثرة مخالفته فما كره لقاء الله من حيث اللقاء مطلقا وانما هو لما علمه من المخالفات فخاف أن يؤاخذ اه فليتأمل

اعقل وتؤمن فيما قال لك فيه آمن وتنظر فيما قال لك فيه انظر يعني تفكر وتسلم فيما قال لك فيه سلم وذلك لان الآيات وردت في القرآن متنوعة آيات لقوم يعقلون وآيات لقوم يؤمنون وآيات لقوم يتفكرون وآيات لقوم يسمعون وآيات للعالمين وآيات للمؤمنين وآيات للموقنين وآيات لاولي النهى وآيات لاولي الالباب وآيات لاولي الابصار ففصل كما فصل لك الحق ولا تتعدى الى غير ما ذكر لك ونزل كل آية وعبرة موضعها وانظر فيمن خاطبهم بها واجعل نفسك مخاطبا بها انك المجموع ما ذكر فانك منعوت بالعقل والايمان والتفكر والتقوى والعلم والسمع واللب والابصار وغير ذلك فانظر بما خاطبك في تلك الصفة التي نعتهم بها فاظفر بها ان كنت ممن جمع له القرآن وأعطي الفرقان * وقال في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به اعلم أن الشريك عدم لا وجود له هذا يشهده المؤمن بايمانه واذا كان عدما فالاشراك عدم واذا كان الاشراك عدما فلا يغفره الله اذ الغفر الستر ولا يستر الا من له وجود والشريك عدم فما ثم من يستر فهي كلمة تحقيق فمعنى قوله ان الله لا يغفر أن يشرك به انه لا وجود له ولو وجد لصح وكان للمغفرة عين تتعلق بها وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله اعلم أن شعائر الله أعلامه وأعلامه الدلائل عليه الموصلة الى معرفته ويا عجبا كيف يصل اليه من هو عنده قال ولما كانت البدن من شعائر الله لهذا كانت تشعر أي تجرح ليعلم انها من شعائر الله وما وهب لله وقال

* وقال في الباب السابع والاربعين وثلثمائة لولا ان رحمة الحق تعالى بالمؤمن عمّ وحمته بغضبه لم يبق للعاصي أثر على وجه الارض فالمؤمن حال مؤاخذات الحق له كالمذنب المرحوم لكونه لا يقع في معصية الا وهو مؤمن بأنها معصية خائف من عاقبتها ولا يخلد في النار الا كافر والسلام

*(المبحث السادس والخمسون في بيان وجوب التوبة على كل عاص وبيان
انها تصح ولو بعد نقضها وانها تصح من ذنب دون ذنب)*

أي تصح من ذنب ولو كان صغيرا مع الاصرار على ذنب آخر ولو كان كبيرا كما قاله الجلال المحلي قال واذا تاب ثم عاود الذنب لم تبطل توبته السابقة بل ذلك ذنب يوجب توبة أخرى هذا ما عليه جمهور العلماء ونقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني انها لا تصح بعد نقضها وعوده الى المتوب منه وقيل انها لا تصح عن ذنب صغير لتكفيره باجتناب الكبير وقيل لا تصح من ذنب مع الاصرار على ذنب كبير قالوا ومن المساعد للعبد على حصول التوبة أن يستحضر ما فيها من المحاسن والوصلة بأهل الله تعالى من الانبياء والاولياء وصالحي المؤمنين وانه اذا لم يتب اتصل بأعداء الله تعالى من الفسقة والشياطين ثم ان من الواجب الاتيان بشرائط التوبة كلها ولا يكفي الاستغفار باللسان فقط كما هو شأن أكثر الناس ومعظم شروطها الندم على المعصية أي من حيث انها معصية ليخرج ما لو ندم على شربه الخمر مثلا من حيث اضراره بالبدن فان ذلك ليس بتوبة وعرف بعضهم الندم بأنه تحزن وتوجع لما فعل وتمن لكونه لم يفعل قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع ولا يجب عندنا استدامة الندم في جميع الازمنة بل يكفي استصحاب الندم حكما بأن لا يصدر منه ما ينافيه لان الشارع أقام الامر الثابت حكما مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الايمان فان النائم مؤمن بالاتفاق وأيضا فلما في التكليف بتذكر الندم في جميع الازمنة من الحرج المنفي في الدين قال الجمهور وتحقق التوبة بالاقلاع عن المعصية وعزم أن لا يعود اليها وتدارك ممكن التدارك من الحقوق الناشئة عنها كحد القذف مثلا فيتدارك بتمكين مستحقه من المقذوف أو وارثه ليستوفيه أو يبرئ منه فان لم يمكن تدارك الحق كان لم يكن مستحقه موجودا سقط هذا الشرط كما يسقط أيضا في توبة العبد عن معصية لا ينشأ عنها حق لآدمي قال العلماء وكذلك يسقط شرط الاقلاع في توبة العبد عن معصية بعد الفراغ منها كشرب الخمر مثلا قال الجلال المحلي فالمراد بتحقق التوبة بهذه الامور انها لا تخرج عما يتحقق به عنها لا انه لا بد منها في كل توبة اهـ قال الكمال في حاشيته وقولهم وتدارك ممكن التدارك الى آخره هو المشهور عند أصحابنا والذي جرى عليه الآمدي وصاحب المواقف والمقاصد أن التدارك واجب برأسه فمن قتل وظلم أو ضرب فعليه أمران التوبة والخروج من المظلمة وهو تسليم نفسه مع الامكان ليقتص منه ومن أتى بأحد الواجبين لم تكن صحة ما أتى به متوقفة على الاتيان بالواجب الآخر وقال في المقاصد انه التحقيق الا انه قد لا يصح الندم بدونه كرد المغصوب اهـ قال ابن السبكي وغيره واذا أحس الانسان من نفسه عدم الصدق في الاستغفار أتى به وان احتاج الى استغفار آخر لأن اللسان اذا ألف ذكرا يوشك أن يألفه القلب فيوافقه فيه وكان الامام السهروردي يقول اعمل وان خفت العجب مستغفرا قال العلماء ويجب على كل مؤمن مجاهدة نفسه الامارة بالسوء اذا لم تطاوعه على فعل المأمورات واجتناب المنهيات قالوا وهي اوجب عليك من مجاهدة عدوك الظاهر لان النفس تريد هلاكك الابدي باستدراجك من معصية الى معصية أخرى وفي الحديث المعاصي بريد الكفر أي مقدمته فان غلبتك نفسك الامارة بالسوء على فعل مذموم فتب وجوبا على الفور وارتفع عنك أثر فعله بالتوبة ان شاء الله تعالى فان لم تقلع نفسك عن فعل ذلك المذموم لكسل يعوقك عن الخروج منه أولا ستلذاذ به فتذكر هاذم اللذات وهو الموت وفجأته فربما أخذك على غير توبة كما هو مشاهد في كثير من الناس فتخسر مع الخاسرين وان كان عدم اقلاعك لقنوط من رحمة الله تعالى وعفوه عنك لشدة الذنب

ينهار بين الناس ولايأ كل منها شيأ قال واعلم ان الشعائر جمع شعيرة وكل شعيرة دليل على الله وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس والسبعين وأربعمائة من العلوم علم يعلم ولا يعتقد ولا ينطق به ولا يجري على لسان عبد مختص الا في مضايق الاحوال لا غير * وقال في الباب الثامن والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها اعلم ان الحق تعالى لا بد أن يوصل لكل مخلوق رزقه الذي قسمه له قال وليس ذلك من اهانته عليه ولا كرامته فانه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف وغاية اعتنائه تعالى بالعبد ان يقسم له حلالا لا شبهة فيه قال تعالى بقية الله خير لكم أي ما أحل لكم تناوله من الشيء الذي تقوون به على طاعة ربكم قال وليس رزق العبد الا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه وأطال في ذلك * وقال في الباب الثمانين وأربعمائة في قوله صلى الله عليه وسلم في الغيث انه حديث عهد بربه أي قريب التكوين وكذلك عيسى عليه السلام لما لم يكن عن أب عنصري لم يحل بينه وبين ادراك قربه من الله حائل لبعده عن عالم الاركان في نشأته فلم يكن ثم ما يغيبه عمن صدر عنه فقال وهو صبي في المهد مخبرا عما شاهده من الحال ما قال من جهة براءة أمه ورد ما الله بنطقه عما كانوا افتروا عليها فكان نطقه أحد الشاهدين وتحنين الجذع اليه هو الشاهد الثاني وقد اكتفي بالشاهدين العدلين في الحكم ولو لا عدل من هذين قال

وكان نطقه أن قال انى عبد الله فحكم (٢٦٤) على نفسه بالعبودية لله وما قال ابن فلان لانه لا بن لك ثم آتانى الكتاب فجعل له الحكمة قبل بعثه

فكان على بينة من ربه وجعلنى نبيا فحكم بان النبوة بالجعل وجعلنى مباركا أى خصنى بزيادة لم تحصل لغيرى وتلك الزيادة هى ختمه لدورة الولاية ونزوله آخر الزمان وحكمه بشرع محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ليرى ربه يوم القيامة فى المرآة المحمدية التى هى أكمل المرايا أينما كنت دنيا وأخرى وأوصانى بالصلاة يعنى المفروضة فى أمة محمد ان أقيمها اذ نزلت لانه جاء بالالف واللام فيها والزكاة كذلك مادمت حيا زمان التكليف وهو الحياة الدنيا وبرا بوالدتى لانه اثبت تكوينه ولم يجعلنى جبارا شقيا وذلك لايكون الا من الجهل والانبياء تنزه عن ذلك والسلام على يوم ولدت ومعناه السلامة من ابليس الموكل بطعن الاطفال عند الولادة حين يصرخ الولد اذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى بل وقع ساجدا لله حين خرج ويوم أموت تكذيبا لمن افترى عليه انه قتل لانه لم يقتل ويوم أقتل ويوم أبعث حيا فى القيامة الكبرى فكان فى اتيانه الحكم صبيا رضيعا فى المهد بيان تمام وصلته بربه وأنه أتم من يحيى ابن خالته لان عيسى سلم على نفسه بسلام ربه ولهذا ادعى فيه أنه اله ويحيى سلم عليه ربه تعالى وأطال فى ذلك ثم قال

واعلم أن الناس انما كانوا يستغربون الحكمة من الصبى الصغير دون الكبير لانهم ماعهدوا الا الحكمة الحاصلة عن الفكر لانها والروية وليس الصبى فى العادة بمحل لذلك فيقولون انه منطق بها اقتطاعا عناية الله بهذا المحل الطاهر فزاد يحيى وعيسى بانهما على علم بما نطقا به

الذى سبق منك أولا ستحضار عظمة من عصيت فخف عقاب ربك على هذا فانه لا يقنط من رحمة الله الا القوم الخاسرون واستحضر سعة رحمة الله تعالى التى لا يحيط بها الا هو ولترجع عن قنوطك فان جانب رحمته تعالى لعصاة الموحدين أرجح من جانب عقوبته لهم هذا آخر كلام ابن السبكى رحمه الله فى مبحث التوبة واعلم يا أخى ان التوبة من أعظم ما من الله تعالى به على عباده فان لم يقع لنا توبة فالواجب علينا التوبة من ترك التوبة فان لم يصح لنا التوبة من ترك التوبة وجب علينا التوبة من الاصرار على ترك التوبة من الاصرار وهكذا أبدا ماعشنا وما ثم لنا داء بلا دواء أبدا فان لم يصح لنا شئ من ذلك كله فثم رحمة خاصة بمن مات على من مات مصرا من أهل الاسلام واعلم أن حقيقة التوبة هى الرجوع الى شهود أن الله تعالى هو المقدر على العبد ذلك الذنب قبل أن يخلق وفى حديث اذا أذنب العبد فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به يقول الله عز وجل له فى الثانية أو الثالثة افعل ماشئت فقد غفرت لك أى افعل ماشئت من المعاصى واندم واستغفرنى أغفر لك فلا يكفيه العلم بأن له ربا يغفر الذنب من غير ندم فافهم * قال الشيخ محيى الدين فى الباب الرابع والسبعين من الفتوحات ومن أعظم دليل على وجوب التوبة فورا قوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون فأمر الله تعالى عباده بالتوبة ثم لقنهم الحجة اذا خالفوا باعلامهم بمضمون قوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ليقولوا اذا سئلوا عن ذلك يوم القيامة لو تبت علينا يا ربنا لتبنا مثل قوله تعالى يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم ليقول غرنى كرمك يارب فهذا من باب تعليم الكريم الخصم الحجة ليحاجهم بها اذا كان محجوبا وليس هذا التعليم الا للسعداء خاصة فافهم قال واعلم ان توبة الله على العبد مقارنة معها وتوبة العبد فى محل الامكان لما فيها من العلل وعدم العلم باستيفاء حدودها وشروطها والجهل بعلم الله تعالى فيها فكل عارف يسأل ربه أن يتوب عليه وحظه هو من التوبة الاعتراف والسؤال لاغير فمعنى قوله وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون أى ارجعوا الى الاعتراف والدعاء كما فعل أبوكم آدم عليه السلام تعليما لكم بالفعل والصورة لا بالمعنى لانه لم يكن قربه من الشجرة عن ميل ولا انتهاك حرمة وانما كان محض نفوذ أقدار لاغير قال وأما الرجوع الى الله تعالى بطريق المعاهدة وهو لا يعلم مافى علم الله تعالى ففيه خطر عظيم فانه ان كان بقى عليه شئ من المخالفات فلابد من نقضه ذلك العهد فيدخل فى سلك من قال الله تعالى فيهم الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ولم يكن أحد أكمل معرفة بمقام التوبة من آدم عليه السلام حتى اعترف بذنبه ودعا ربه وما نقل انه عاهد الله تعالى على انه لا يعود كما اشترطه بعضهم فى صحة التوبة فالناصح لنفسه من سلك طريق أبيه آدم عليه السلام فان فى العزم المصمم عند أهل الكشف مالا يخفى من ادعاء القوة ومقاومة الاقدار الالهية الا أن يقصد بذلك انه لا يعود ان وكل الامر اليه استقلالا وذلك محال اهـ فليتأمل ويحرر وقد وقع لبعض الاكابر من عباد بنى اسرائيل انه قال يارب لو فرغتنى لعبادتك ووكلتنى الى نفسى لاريتك من العبادة مالم يفعله أحد من العبيد ففتح التنور ذلك اليوم وأمر أن لا يدخل عليه أحد يشغله عن ربه فما انتصف العصر حتى وقع فى الخطيئة وماقص الله تعالى علينا وقائع الاكابر الا لنتأدب بما أدبهم الله به فعلم ان العبد لم يكلف الا بوزن أعماله البارزة على يديه على وفق الكتاب والسنة ويعطى كل فعل حظه فما كان من طاعة فليشكر الله وما كان من معصية فليستغفر الله وما كان من مباح فهو فيه بحسب مقامه فان كان عارفا قلب المباح بالنية الى شئ محمود وفى بعض الهواتف الربانية ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه فى المستقبل وانما عليه أن يعطى ما أبرزناه على يديه حقه فان كان طاعة حمدنا على قسمتها له واستغفرنا من تقصيره فيها وان كان معصية حمدنا على تقديرنا عليه واستغفرنا من ارتكابه مخالفة أمرنا وان كان غفلة وسهوا افعل ماهو اللائق بمقامه انتهى وقوله ليس للعبد أن يشغل قلبه بالاختيار لفعل شئ أو تركه فى المستقبل لا ينافى مجاهدة النفس وردها وطردها لان ذلك فى الحالة الراهنة لا فى مستقبل الزمان

علم ذوقا لانظهور مثـل ذلك فى ذلك الزمان والسن لا يسمع الا ذوقا فان الله آتانا الحكم صبيا (٢٦٥) وهو حكم النبوة لذى لا يكون الا ذوقا

لانه او جدت وكذلك لا ينافى الاستغفار افعـل شئ فى المستقبل لان الاستغفار مأمور به او فس عـلى ذلك كل مأمور والله أعـلم * وقال الشيخ محيي الدين فى الفتوحات بعد كلام طويل و بالجملة فلا يخلو العبـد الذى يعاهد ربه على ترك شئ أو فعله فى المستقبل اما أن يكون ممن أطلعه الله تعالى على انه لا يقع منه زلة فى المستقبل أم لا فان كان ممن أعلمه الحق تعالى بذلك عـلى لسان ملك الالهام الصحيح فلا فائدة للمعاهـدة عـلى عزم أن لا يعود بعـد علمه انه لا يعود وان كان لم يطلعه الله تعالى على ذلك وعاهد الله على انه لا يعود فقد يكون ممن قضى الله تعالى عليه أن يعود فيصير ناقضا عهد الله وميثاقه وان كان أطلعه الله على انه يعود فعزمـه على أن لا يعود مكابرة ومعارضة للاقدار فعلى كل حال لا فائدة للمعاهدة على ترك الفعل فى المستقبل لا الذى علم ولا الذى جهل وليست التوبة التى طلبها الحق تعالى من عباده الا أن يفعلوا ما فعـل أبوهم آدم عليـه السـلام وما بقى على العاصى أمر بعد الوقوع يكلف به الا عـدم الاصرار على الذنب والتوبة منـه لاشعاره بالتهاون باوامر الله عز وجل وحد بعضهم الاصرار على الذنب بان يدخـل عليه وقت صلاة أخرى وهو لم يتب وقال بعضهم من لم يتب عقب الذنب فورا فهو مصر ماعـدا ما هو أقـل من مـدة انتظار الملائكة الكرام الكاتبين فانه ورد انهم ينتظرون العاصى ساعة وما عرفنا مقدار هذه السـاعـة هل هى الفلكية أو غيرها ومما يؤيد عـدم وجوب المعاهـدة على العزم أن لا يعود ما ورد فى حـديث اذا أذنب العبـد فعلم ان له ربا يغفر الذنب و يأخـذ به الى آخره فانه لم يذكر فيه العزم على أن لا يعود ولعل من شرطه رأى أنه من لازم صحة التوبة المشروعـة فافرده بالشرطية كما أفردوا الاقلاع عن الذنب بالشرطيـة مع انه من لازم وقوع النـدم وكذلك افرادهم رد المظالم الى أهلها والله أعلم (فان قلت) فهل التوبة من المقامات المستصحبة الى الموت (فالجواب) نعم هى باقيـة مادام العبد مخاطبا بها حتى تطلع الشمس من مغربها فحينئذ يسد باب التوبة و يغلق فلا ينفع نفسا ايمانها ولا ما تكسبه من خير بذلك الايمان قال الشيخ محيي الدين ولا يخفى ان المؤمن لا يغلق له باب عنه من التوبة وانما يغلق عليـه الباب حتى لا يخرج ايمانه من قلبـه وكيف يغلق دونه وقـد جاوزه وتركه وراء ظهره باستقرار الايمان فى قلبه فكان من سعادته غلق هذا الباب على ايمانه حتى لا يخرج منه بعد ما دخل فلا يرتد بعـد ذلك مؤمن أبدا اذ ليس هنالك للايمان باب يخرج منه فعلم أن غلق باب التوبة رحمـة بالمؤمن ونقمة بالكافر ذكره الشيخ فى الجواب السادس والثلاثين ومائة من الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكيـة * وقال فى الباب السبعين فى الزكاة فى حديث مسلم تصدقوا فيوشك الرجل يمشى بصدقتـه فلا يجد من يقبلها الحـديث فيه الامر بالمسارعة بالصـدقة مبادرة للتوبة فان التوبة من الفرائض الواجبـة حال التكليف فان أخرها الى الاحتضار لم تقبل ولهـذا لم يقبل ايمان فرعون اه (قلت) فكذب والله وافترى من قال ان الشيخ محيي الدين يقول بقبول ايمان فرعون وهذا نصه يكذب الناقل والله أعلم (فان قلت) فمتى يصح من العبد التوبة النصوح التى ما بعدها ذنب (فالجواب) اذا استوفى جميع ما قدره الله تعالى عليه من المعاصى فهناك يتوب العبـد لا محالة توبة نصوحا حتى لو أراد أن يعصى ربه لم يجـد ما به يعصى وما دام الحق تعالى يخلق المعصـية للعبد فهو واقع لا محالة ولكن ما ترك الحق تعالى سدى بل أمره بالتوبة * وقد قال الشيخ فى الباب الخامس والخمسين وثلثمائة لا يصح لعبد قط عصيان الارادة الالهيـة وانما يصح له عصيان الامر فقوة سلطان الارادة عليه فمن أطاع الامر أطاع الارادة ولا يلزم من طاعة الارادة طاعة الامر والسعادة منوطة بفعل الاوامر لا بموافقـة الارادة واياك والتفريط فى التوبة وتقول هذا مقدر على لا أستطيع رده وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب التاسع والستين وثلثمائة فراجعه * وكان الشيخ محيي الدين رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اعلم أن من علامة من قبل الله توبته و بدل الله سيئاته حسنات أن لا يصير يتذكر شيأ من ذنوبه لكونها محيت وكل ذنب تذكره العبد فليعلم انه لم يبدل اه ويؤيده حديث الطبرانى

* قال الشيخ وقد قلت مرة لبنتى زينب وهى فى سن الرضاعة قريبا عمرها من سنة ما تقول فى الرجل يجامع حليلته ولم ينزل فقالت يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك ثم انى فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة فى مكة وكنت أذنت والدتها فى الحج فجاءت مع الحاج الشامى فلما خرجت الا قاتها رأتنى من فوق الجمل وهى ترضع فقالت بصوت فصيح قبل أن ترانى أمها هـذا أبى وضحكت ورمت بنفسـها الى قال وقد رأيت من أجاب أمه بالتشميت وهو فى بطنها وكان اسمه الشيخ عبد القادر بدمشق وكذلك ذكره أيضا فى الباب الثالث وثلثمائة وقال شـهد على الثقات بذلك ولم يذكر انه سمعه وهو فى بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها (قلت) وقد تقدم فى الباب الثانى والخمسين نحو ذلك فتزاد هذه القصة على ما نظمه الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله بقوله
تكلم فى المهد النبى محمد
ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف
وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى
يقال لها تزنى ولا تتكلم

وماشطة فى عهـد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم وبنت لمحيى الدين قدس سره * وعم بناجه أو ذلك متمم * وقال فى الباب الاحد والثمانين وثلثمائة الاحسان هو العمل على استحضار ما أمكنه من عظمة الله وجلاله حتى يصير

اذا تاب الله على عبد أنسى حفظته ذنبه وأنسى جوارحه ومعالمه من الارض أن تشهد عليه وهى فاصحة لظاهر فليتأمل ويحرر والله أعلم (فان قلت) ان من رجال الله من يقع فى المعاصى ولا يهتدى لكونها معصية كالمجاذيب وأرباب الاحوال فما حكم هؤلاء فى التوبة (فالجواب) حكمهم حكم من تصرف فى مباح لزوال التكليف وقد فصل الشيخ الكلام على ذلك فى الباب العشرين ومائتين ثم قال وحاصل الامر ان أهل الله عز وجل فى وقوعهم فى المعاصى على قسمين رجال لا تخطر المعاصى لهم ببال لعدم تقديرها عليهم فهؤلاء معصومون أو محفوظون ورجال أطلعهم الله تعالى على ما قدره عليهم من المعاصى لكن من حيث انها افعال لا من حيث كونها معاصى فيبادر والى فعل ما رأوه مقدرا عليهم مع فنائهم عن شهودها يقرب ويبعد من حضرة الله تعالى من الطاعات والمعاصى فهؤلاء لسان الشريعة المطهرة يقضى عليهم بعصيانهم ووجوب التوبة عليهم وربما يكون حكم هؤلاء عند الله فى الآخرة حكم من فعل أمرا لا يدرى أطاعة هو أم معصية * قال الشيخ وهذا فناء غريب أطلعنى الله تعالى عليه بمدينة فاس ولم أر من رجاله أحدا مع علمى بان من رجال الله من ذاقه انتهى (فان قلت) فاذا اطلع الولى على ما قدره الله تعالى عليه فى اللوح المحفوظ وأن ذلك لا تغيير فيه فهل له المبادرة الى فعله ليستريح من شهوده فانه دور المعاصى فيجعة بين العبد وبين ربه (فالجواب) لا يجوز له ذلك بل يصبر حتى يأتى وقتها ويقع بحكم القضاء والقدر كما انه لا يجوز لمن أطلعه الله على انه يمرض فى يوم من رمضان انه يصبح مفطرا انما يجب عليه الامساك حتى يوجد المرض المبيح للفطر (فان قلت) فما مراد بعضهم بقوله شرط التوبة التوبة من التوبة (فالجواب) مراده أنه لا بد من مراقبة الله تعالى حتى يكون محفوظا من الوقوع فيما يسخط الله عليه باطنا وظاهرا فلا يكون له سريرة يفتضح بها وقتا ولا يتوب منها وقد يريدون بقولهم التوبة من التوبة أن لا يرى توبته هل تقبل لعدم خلوصها التام ما القسمة فلا يقال ان مراد هذا القائل ان التوبة يجب تركها فان ذلك ظن فاحش بالقوم وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك فى الباب الثالث والسبعين من الفتوحات *(خاتمة)* ذكر الشيخ فى الباب السبعين فى الزكاة ما نصه وهنا مسئلة دقيقة قل من عثر عليها من أصحابنا وهى ان العارف بالله تعالى قد لا يوصف بتوبة فى بعض الاحوال وذلك اذا كشف الله تعالى له انه هو الفاعل وحده فلا يجد العارف لنفسه حركة لا ظاهرة ولا باطنة ولا عملا ولا نية ولا شيأ من الامر ويجد الامر كله لله تعالى فهل يتوب ومن مثل هذا توبة أم لا فانه يرى نفسه مسلوب الاحوال ثم انه اذا تاب فهل تقبل توبته مع هذا الكشف أو يكون بمنزلة من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها فان شمس الحقيقة قد طلعت له من مغرب قلبه فسلب جميع أفعاله وهو أصعب الاحوال فان قبول التوبة ونحوها من العمل الصالح انما يكون ممن هو خلف حجاب اضافة الفعل للعبد وهنا لم يخرج شئ عن الحق فى هذا الكشف عند العبد حتى يوصف بان الله تعالى يتقبله منه بل هو فى يد الحق تعالى وتصريفه وحده فلم يخرج وموضوع القبول انما هو ممن يأتى بشئ ليس فى مشهده انه فى ملك الحق قال الشيخ والذى أقول به تصور التوبة مع هذا الكشف ويكون الله تعالى هناه والتواب على العبد لا العبد انتهى (قلت) والذى ظهر لى ان الجزء البشرى المنوط به التكليف يدق ولا ينقطع فلا بد من شهود العبد نسبة الفعل اليه من ذلك الوجه وبه صحت مؤاخذته فان الله لا يؤاخذ العبد الا بحسب دعواه من جزء بشريته والله أعلم

(المبحث السابع والخمسون فى بيان ميزان الخواطر الواردة على القلب)

* قال فى جمع الجوامع لابن السبكى رحمه الله واذا أتى فى قلبك يا أخى أمر فزنه بميزان الشرع ولا يخلو ذلك من ثلاثة أحوال اما أن يكون مأمورا به أو منهيا عنه أو مشكوكا فيه قال ويعبر عن هذا الذى أتى فى القلب بالخاطر فى اصطلاح العلماء فالحال الاول وهو أن يكون مأمورا به فلا ينبغى التأخير فيه بل يبادر العبد الى فعله لانه من الرحمن تبارك وتعالى رحم العبد به ان أراد به الخير حيث أخطره بباله ليفعله فان خشى العبد

كأنه فى حضرة الحق ومشاهدته فى العبادة وفى ذلك تنبيه عجيب فانه بتلك الرؤية يبصر أن العامل هو الله لا هو وان العبد انما هو محل لظهور ذلك العمل لا غير * وقال فى الباب السادس والثمانين وأربعمائة فى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله اعلم انه لم يرد من يعص الرسول فقد عصى الله وذلك لان طاعة المخلوق لله ذاتية ومعصيته عارضة لانها بالواسطة فلو نزل هنا الرسول كما نزله فى الطاعة لم يكن تعالى الهاوهواله فما عصى من عصى منا الا الحجاب وليس الحجاب سوى الواسطة بيننا وبين الله قال فنحن اليوم أبعد فى معصية الرسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه الى من دونهم الى الآن لانا ما عصينا الا أولى أمرنا وفقهاؤهم العلماء منا بما أمر الله به ونهى عنه فنحن أقل مؤاخذة وأعظم أجرا لان للواحد منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة كما فى الحديث للواحد منهم أجر خمسين يعملون مثل عملكم فاجعل بالك لكونه لم يقل منكم * وقال فى الباب السابع والثمانين وأربعمائة فى قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة من الحياة الطيبة ان يبدل الله سيآت العبد حسنات حتى انه يود أن لو كان تجبسائر المعاصى الواقعة من الخلق حين شاهد التبديل قال ورأيت من أهل هذا المقام فى عمرى كه رجلين أحدهما شيخنا أبو العباس العريبى بغرب الاندلس والثانى بجبل بمكة * وقال فى الباب الثامن والثمانين وأربعمائة فى قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى اعلم ان رزق ربك هو ما أعطاك مما أنت عليه فى وقتك وما لم يعطك فان كان لك فلا بد من وصوله اليك وما ليس لك فلا يصل

ووقوعه منه على صفة منهية كعجب ورياء فلا بأس عليه في وقوع ذلك العمل على تلك الصفة لان افتتاح هذا العمل أولا على الاخلاص لكن لا تكون تلك الصفة المذمومة مقصودة له فان أوقعها قاصدا للرياء مثلا كان عليه اثم ذلك فليستغفر منه وجوبا والحال الثاني وهو أن يكون الخاطر منهيا عنه فلا تنبغي المبادرة الى فعله بل يجب على العبد أن يرده المرة بعد المرة فانه من الشيطان فان مال العبد الى فعله ولكن لم يقع فليستغفر الله من هذا الميل والحال الثالث أن يكون ما ألقي في القلب مشكوكا فيه بان لم يظهر للعبد أهو مأمور به أو منهي عنه فمن الادب الامساك عن العمل به حذرا من الوقوع في المنهي ومن ثم قال الشيخ أبو محمد الجويني رحمه الله اذا شك المتوضئ أيغسل ثالثة فيكون مأمورا بها أم رابعة فيكون منهيا عنها فلا يغسل خوف الوقوع في المنهي عنه قال الكمال في حاشيته والمعتمد انه يغسل لان التثليث مأمور به ولم يتحقق قبل هذه الغسلة فيأتي بها انتهى كلام شرح جمع الجوامع وحاشيته * وأما كلام الشيخ محيي الدين في الخواطر فقال في الباب الرابع والستين ومائتين اعلم ان لله تعالى سفراء الى قلب عبده يسمون الخواطر لا اقامة لهم في قلب العبد الازمان مرورهم عليه فيؤدون ما أرسلوا به الى ذلك العبد من غير اقامة بذوانهم وهم سبعون ألف خاطر في اليوم والليلة على عدد من يدخل البيت المعمور كل يوم لا يزيدون ولا ينقصون فلا تغفل يا أخي عن هؤلاء السفراء فانهم يمرون بساحتك ضيوفا ولا يبيتون فان وجدوك متصفا باليقظة فهو المقصود وان وجدوك متصفا بالغفلة نفروا في مرورهم على بابك لتتيقظ فان تيقظت فانهم لا يفوتونك وان لم تتيقظ لنفرهم تركوك ورجعوا الى ربهم وأطال في ذلك ثم قال وعدة الخواطر خمسة جعلها الحق تعالى لك لتمشي عليها على القلب وتمشي على الطريق الواحد وجوبا والثاني ندبا والثالث حظرا والرابع كراهة والخامس اباحة وجعل الله تعالى في كل طريق من هذه الطرق ملكا يقابل الشيطان يأمر العبد بضد ما يأمره به الشيطان ما عدا طريق الاباحة انتهى (فان قلت) فهل عفو الله تعالى عن هذه الخواطر في حق كل الناس أم العفو خاص ببعضهم (فالجواب) هو خاص ببعضهم عند من يقول ان قوله تعالى وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله غير منسوخة أو منسوخة في حق العامة دون الخاصة أما عند من يقول انها منسوخة فهي عامة في حق كل الامة ولكن كتب القوم مشحونة بالمؤاخذة لهم بالخواطر في هذه الدار وذكر الشيخ في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة ما نصه اعلم ان الله تعالى قد عفا عن الخواطر التي لا تستقر عندنا الا بمكة شرفها الله تعالى لان الشرع ورد ان الحق تعالى يؤاخذ من أراد الظلم فيها قال وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطا لنفسه رضي الله عنه فان الانسان ليس في قدرته أن يمنع قلبه عن الخواطر التي تناقض مقامه الا أن يكون معصوما أو محفوظا وانما نكر في الآية قوله بظلم ليجتنب الساكن بالحرم كل ظلم انتهى * وقال في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان حديث النفس انما كان مغفورا اذا لم يعمل أو يتكلم والكلام عمل فيؤاخذ به العبد من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة فان العبد يؤاخذ بذلك ويسئل عنه من حيث لسانه ولا يدخل الهم بالشيء في حديث النفس لان الهم بالشيء له حكم آخر في الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن كمن يريد في الحرم المكي الالحاد بظلم فان الله أخبر انه يذيقه من عذاب أليم سواء أوقع منه ذلك الظلم الذي أراده أم لم يقع وأما في غير المسجد الحرام المكي فانه غير مؤاخذ بالهم فان لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة اذا ترك ذلك لله خاصة فان لم يتركها من أجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا هو الفرق بين حديث النفس والارادة التي هي الهم انتهى (فان قلت) فما حكم من كثرت عليه وسوسة الشيطان في الصلاة (فالجواب) كما قاله الشيخ في باب صلاة شدة الخوف من الفتوحات ان حكمه حكم المصلي صلاة شدة الخوف فهو أي الشيطان مع المصلي في حرب عظيم فيصلي من هذه حالته ولو قطع الصلاة كلها في محاربة الشيطان فيؤدي الاركان

اليك ذما فلا تتعب نفسك في غير مطمع قال والمراد بقولنا ان كان لك أن تأخذه على الحد الالهي الذي أباحه الشارع لك فان ما أخذ من حرام لا ينبغي اضافته الى الله أدبا وانما يضاف الى الطبع وأطال في ذلك * وقال في الباب التاسع والثمانين وأربعمائة في حديث اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له المراد بهذا العلم المذكور في الحديث هو ما سنه من السنن الحسنة كما عليه الائمة المجتهدون والمراد بالصالح المسلم والصدقة الجارية مثل حفر الآبار ونحو ذلك * وقال في الباب التسعين وأربعمائة في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الآية اعلم ان للمقت درجات بعضها أكبر من بعض ومن قال قولا ولم يفعل هو به مقت نفسه عند الله أكبر المقت اذا اطلع على ما حرمه من الخير بترك الفعل ولا سيما اذا رأى غيره قد انتفع به عملا قال والناس يأخذون في هذه الآية غير مأخذها فيقولون ان الله مقتهم وما يحققون قوله تعالى عند الله أي تمقتون أنفسكم أكبر المقت عند الله اذا رجعتم اليه في الدنيا أو الآخرة وأطال في ذلك ثم قال وملخص القول ان الحق تعالى كأنه يقول يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ان الفعل لكم وما هو كذلك فانه لي فكيف تضيفون الى أنفسكم ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا أي يقاتلون من ينازع الحق في اضافة الاعمال ويقول ان الفعل للخلق كالمعتزلة حتى يرجع عن نزاعه ويضيف الافعال كلها الى الله قال فالمراد بالعبد هنا هو شهود الحق فاعلا وحده ومقته نفسه هو

الظاهرة كما شرعت بالقدر الذى له من الحضور فيه فى الصلاة فى باطنه كما تؤدى الجماد الصلاة حال المسابقة بباطنه كما شرعت بالقدر الذى له من الصلاة فى ظاهره من الاعياء بعينيه والتكبير باطنه فى جهاد عدوه الظاهر فان وسوس له الشيطان فى ذلك لم يضره وسوسته فى صلاته فان كان قد جعل المصلى فى نفسه انه يصلى رياء وسمعة وكان قد أخلص فى أول شروعه فى الصلاة فلا يبالى فان الاصل صحيح فى أول نشأة صورة الصلاة فلا يبطل عمله وغرض الشيطان بذلك الخاطر انما هو ان يترك العبد العمل الذى شرع فيه العبد على صحته ليخالف قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم بسبب تلك الشبهة التى يلقيها الى قلب العبد انتهى (فان قلت) فما محل مخالفة النفس من الاحكام (فالجواب) محل مخالفتها فى ثلاثة أمور فى المباح والمكروه والمحظور لا غير كما ذكره الشيخ فى الباب الثانى عشر ومائة قال وأما اذا اوقعت لها اللذة فلينه فى طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهنالك علة خفية فتخالفها بطاعة أخرى وعمل مقرب فان استوى عندها جميع التصرفات فى فنون من العبادات سلمنا لها تلك اللذة فى تلك الطاعة الخاصة وان وجدت المشقة فى العمل المقرب الآخر الذى هو خلاف هذا العمل فالعدول الى الشاق واجب لازم الا ان اعتادت المساعدة فى مثل هذا انتقلت الى المساعدة فى المحظور والمكروه والمباح قال واذا فكر خبيث السريرة انه يفعل سوأ اذا فرغ من الصلاة مع كونه مؤمنا فله لا صحيحة وهو ممن حدث نفسه بسوء وقد عفا الله عنه ما لم يعمله انتهى (فان قلت) فكم ينقسم الخاطر الشيطانى الى قسم (فالجواب) ينقسم الى قسمين حسى ومعنوى ثم الحسى ينقسم الى قسمين لان الشياطين قسمان شيطان انسى وشيطان جنى قال تعالى شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون فجعلهم أهل افتراء على الله وحدث بين هذين الشيطانين فى الانسان شيطان آخر معنوى وذلك ان شيطان الانس والجن اذا ألقى فى قلب الانسان أمرا عاما يعتقده بذلك عن الله فقد يلقى أمرا خاصا أو مخصوصا منه بعينها وقد يلقى أمرا عاما ويتركه فان كان أمرا عاما تمله فى ذلك طريقا الى أمور لا يتفطن لها الجنى ولا الانسى يتفقه فيه ويستنبط من تلك الشبهة أمورا اذا تكلم بها يعلم ابليس الغواية منه بما فى تلك الوجوه التى تنفتح له فى ذلك الاسلوب العام الذى ألقاه اليه أولا شيطان الانس أو شيطان الجن تسمى الشياطين المعنوية اذ كل واحد من شياطين الانس والجن يجهل ذلك ولم يقصدوه على التعيين وانما أرادوا بالقصد الاول فتح هذا الباب على الانسان لانهم علموا أن فى قوته وفطنته ان يدقق النظر فيه فينقدح له من المعانى المهلكة ما لا يقدر على ردها بعد ذلك وسببه الاصل الاول فانه اتخذه أصلا صحيحا وعول عليه فلم يزل التفقه فيه يرقيه حتى خرج به عن ذلك الاصل قال وعلى هذا جرى أهل البدع والاهواء فان الشياطين ألقت اليهم أولا أصلا صحيحا لا يشكون فيه ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا فنسبت ذلك الى الشيطان بحكم الاصل وما علموا ان الشيطان فى تلك المسئلة تلميذ لهم يتعلم منهم قالوا وأكثر ما ظهر ذلك فى الشيعة ولا سيما فى الامامية منهم فادخلت عليهم الشياطين أولا حب أهل البيت واستفراغ الحب فيهم ورأوا أن ذلك من أسنى القربات الى الله تعالى والى رسوله وكذلك هو لو وقفوا ولم يزيدوا عليه بغض الصحابة وسبهم وأطال فى ذلك ثم قال وبالجملة فكل شخص لا يفرق بين الخواطر لا يفلح فى طريق أهل الله أبدا فانه ليس غرض الشيطان من الصالحين الا أن يجهلوا فى الخواطر المذمومة فيأخذوا عنه ما يلقيه اليهم من الضلالات والشبه انتهى وتقدم فى المبحث الثالث والعشرين فى اثبات الجن زيادة على ذلك وكذلك فى مبحث الولاية فراجعه والله أعلم

*(المبحث الثامن والخمسون فى بيان عدم تكفير أحد من أهل القبلة بذنبه أو ببدعته وبيان ان ما ورد فى تكفيرهم منسوخ أو مؤول أو تغليظ وتشديد كقوله تعالى

الرجوع عن اضافة الفعل لنفسه (٢٦٨) الاعلى وجه ما يذلك بعد ويلحق بالعلماء فليتأمل ويحرر * وقال فى الباب الثانى والتسعين وأربعمائة العلم المأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة أو غيرها أوثق من العلم الذى يأخذه العبد من الله بلا واسطة من الوجه الخاص الذى هو الالهام على انه ليس لنا علم الآن يؤخذ عن الله الا وهو من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم لقوله فعلمت علم الاولين والآخرين وأنت يا أخى من الآخرين بلا شك فلا تقل قد حجرت واسعا لانى ما حجرت عليك العلم مطلقا وانما حجرت عليك ان لا يأتيك الا بواسطة وهذا ليس بتحجير فتأمل قال وقد وافقنا على ما قلناه أبو القاسم ابن قسى وما رأيت هذا النفس لغيره * وقال فى الباب الخامس والتسعين وأربعمائة فى قوله تعالى لكل جعلنا منكم أى أيها الانبياء شرعة ومنهاجا فالضمير فى منكم للانبياء عليهم السلام لا للامم اذ لو كان المراد به الامم لم يبعث قط رسول فى أمة قد بعث فيها رسول الا ان يكون مؤيدا لمن قبله فقط لا يزيد ولا ينقص وما وقع الامر كذلك قال وقد تكلف فى التأويل شططا من جعل الضمير فى منكم للامم والرسل جميعا فكون الضمير راجعا الى الرسل أقرب الى الفهم وأوصل الى العلم وأطال فى ذلك * وقال فى الباب السابع والتسعين وأربعمائة فى قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أى يشركون نفوسهم فى الايمان فيرون انهم آمنوا بنظرهم ومن واستدلالهم ولم يروا ان الله تعالى هو الذى من عليهم بالايمان هذا والمراد بالشرك هنا فهم فان المراد بالايمان هنا هو الايمان بالوجود

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) *
قال ابن عباس وغيره هو كفر لا ينقل عن الاسلام ومن أمثلة ما ورد التكفير به من الذنوب شرب الخمر واتيان الساحر والكاهن ومن أمثلة ما قيل التكفير به من البدع انكار صفات الله تعالى أو خلقه أعمال عباده أو عدم جواز رؤيته يوم القيامة فان من العلماء من كفر هؤلاء * أما من خرج ببدعته من أهل القبلة كمنكري حدوث العالم ومنكري البعث للنشر والحشر للاجسام والعلم بالجزئيات على ما مر في مبحث اسمه تعالى العالم فلا نزاع في كفرهم لانكارهم بعض ما علم مجيء الرسول به ضرورة * قال الكمال في حاشيته على شرح جمع الجوامع وقد عزى القول بكفر أهل البدع والذنوب من أهل القبلة الى الاشعري * وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره قد رجع الشيخ أبو الحسن الاشعري قبل موته عن تكفير أحد من أهل القبلة قال لان الجهل بالصفات ليس جهلا بالموصوف * قال وقد اختلفنا في عبارات كثيرة والمشار اليه واحد قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف ومن قال منا بأن لازم المذهب مذهب كفر المبتدعة الذين يلزم مذهبهم ما هو كفر فان المجسمة مثلا عبدوا جسما وهو غير الله تعالى يقينا ومن عبد غير الله كفر قال وأما المعتزلة فانهم وان اعترفوا بأحكام الصفات فقد أنكروا الصفات ويلزم من انكار الصفات انكار أحكامها فهم كفار بذلك قال الكمال والصحيح ان لازم المذهب ليس بمذهب وانه لا كفر بمجرد اللزوم لان اللزوم غير الالتزام وقد وقع في المواقف ما يقتضي تقييده بما اذا لم يعلم ذو المذهب اللزوم وبان اللازم كفر فانه قال من يلزمه الكفر ولا يعلم به ليس بكافر انتهى ومفهومه ان علمه كفر لالتزامه اياه والله أعلم انتهى وقد ذكر الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول انه روى في بعض طرق حديث ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة ما نصه كلها في الجنة الا واحدة رواها ابن النجار * قال العلماء والمراد بهذه الواحدة التي هي في النار هم الزنادقة قال القزويني وعلى هذه الرواية فيكون معنى الرواية المشهورة كلها في النار الا واحدة أي في النار ورودهم وذلك في مرورهم على الصراط ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا والظالمون هم الكافرون فلا ينبغي لمتدين أن يكفر أحدا من أهل الفرق الخارجة عن طريق الاستقامة ما داموا مسلمين يتدينون بأحكام أهل الاسلام * قال وأمهات هذه الفرق الواردة في الحديث المتقدم ستة مشبهة معطلة جبرية قدرية رافضة خوارج وكل طائفة من هذه الستة قد تشعبت اثنتي عشرة فرقة فاضرب الستة في اثني عشر فالخارج فهو العدد الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ثم لا يخفى ان الكفر هو ضد الايمان قال تعالى فمنهم من آمن ومنهم من كفر والايمان هو التصديق بالرسول وبما جاء به والكفر هو التكذيب لانه مخالفة نص مقطوع به أو مخالفة الاجماع وفيهما جميعا تكذيب الرسول ثم ان التكذيب ينقسم الى أربعة أقسام * الاول تكذيب اليهود والنصارى وذلك كفر لا شك فيه * الثاني تكذيب المنكرين لاصل النبوة وتكفيرهم يكون على الطريق الاولى لانهم كذبوا جميع الانبياء ومن أهل هذا القسم الدهرية لانهم كذبوا بالله وبالرسل جميعا ومنهم أيضا الملاحدة لانهم لبسوا التكذيب في صورة التصديق فعلة واممعرفة الله بمعرفة الرسل وقد علم قطعا ان معرفة الرسول معلقة بمعرفة المرسل فتكون المسئلة دورية لا يمكن اثبات واحد منهما ففي ضمن دعواهم هذه نفي الرسول والمرسل جميعا وتبعهم أقوام على هذا الاعتقاد فأنكروا الشرائع وأباحوا نكاح الامهات والبنات وقالوا ما ثم الا فرج تدفع وأرض تبلع فالتحقوا بالمجوس والدهرية * القسم الثالث قوم صدقوا الرسل ولكن اعتقدوا ان جميع ما أخبر به الرسل من الشرائع ومنكر ونكير والحشر والنشر ونحوه وذلك انما هو على طريق المصالح للخلق وهم الفلاسفة وكفرهم من حيث تجويزهم الكذب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي ذلك سد باب النبوة أصلا اذ يبطل الثقة بقولهم فيجب تكفيرهم بالطريق الاولى ويقرب من أهل هذا القسم الحلولية الذين يزعمون أن روح الاله حلت

لا التوحيد اذ لو كان المراد به التوحيد لم يصح قوله الا وهم مشركون مع ثبوت الايمان (قال) وقال بعضهم المراد بالشرك هنا هو الاعتماد على الاسباب انتهى فتأمل وحرره وقال في الباب الموفي خمسمائة في قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم اعلم ان من جعل نفسه الها فقد ادعى جعل نفسه في غاية القرب فلذلك أخبر ان جزاء هذا القائل ان يكون في غاية الشقاوة التي هي غاية البعد عن طريق السعادة الذي هو رد الى أصله فلذلك كان جزاؤه جهنم فينزل في قعرها لكونه طغى الى مقام الالوهية التي لها الاستواء على العرش يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر قال واعلم انه لم يبلغنا ان أحدا وقع في هذا القول سوى فرعون حين استخف عقل قومه فقال يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري ثم انه جعل ذلك ظنا بدليل قوله لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وأطال في ذلك * وقال في الباب السادس وخمسمائة في قوله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون اعلم ان كل من شعر بالمكر فليس بممكور به الا في حال واحد وهو ان يشعر بمكر الله في أمر أقامه فيه ثم انه ان داوم عليه بعد علمه بانه مكر من الله فهذه المداومة مكر من الله فهو كقوله تعالى وأضله الله على علم وأطال في ذلك بكلام نفيس * وقال في الباب السابع والعشرين وخمسمائة في قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الآيات اعلم أن كل خطاب خاطب الله تعالى به نبيه صلى الله عليه وسلم مؤدبا له فلنا فيه اشتراك لابد من ذلك

فيهم وان الله تعالى أعضاء على صورة حروف الهجاء وكذلك يقرب منهم الخطابية التي ادعت الالوهية لجعفر بن محمد الصادق وكذلك الصابئة ادعوها لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فأمر علي بن أبي طالب باحراقهم بالنار فصاروا يصرخون في النار الآن تحققنا انك اله فلما اطلع ائمة الشريعة على هذه الفضائح الشنيعة الحقوا القدرية بالمجوس والحلولية بأهل الردة والمجسمة بعبدة الاوثان فيستتابون وينبهون على ان ذلك كفر فان اصروا ولم يرجعوا عقد السلطان لهم مجلسا وفعل بهم ما اتفق رأي العلماء عليه من قتل أو عقوبة وليس ذلك لاتحاد الرعية باجماع الامة * القسم الرابع قوم صدقوا الرسول في قوله ولكنهم اخطؤا في التأويل مع كونهم من أهل القبلة كالمعتزلة والنجارية والروافض والخوارج والمشبهة ونحوهم وقد اختلف الائمة هل الخطأ في التأويل يبلغ حد التكفير فيلحقوا بالتكفير أم لا فصاروا في ذلك فرقتين الفرقة الاولى زعمت ان من خالف الرسول في شيء أخبر به فقد كذبه سواء كان بمجرد الانكار أو الخطأ في التأويل وأجروا عليهم بذلك أحكام الكفرة ولم يميزوا بين الغلاة منهم و بين المقتصدين وهؤلاء مع ما ضيقوا من رحمة الله التي وسعت كل شيء لم يتابعهم الجمهور من العلماء والخلفاء ولم يهدروا دماء القوم بقولهم ولا استباحوا أموالهم ولا حريمهم بقتالهم بل أجروا عليهم أحكام المسلمين الى عصرنا هذا لدخولهم في صدق اسم المسلمين عليهم وهم من أمة الاجابة بلا شك فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى وانما يقال فيهم فسقة ضالة مبتدعة مخطئة ونحو ذلك ومن سماهم كفرة فانما ذلك على سبيل التشديد والتغليظ لما هم عليه من الخطأ الفاحش والبدع الشنيعة فشبه ذلك بالكفر لمقاربته كما ورد في الحديث المراء في القرآن كفر وكما ورد بين العبد و بين الكفر ترك الصلاة ومن ترك الصلاة متعمدا فقد كفر واذا قال المسلم للمسلم يا كافر فقد كفر لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ونحو ذلك فانه كله ورد على وجه التغليظ والزجر فان الشيء قد يطلق على الشيء الآخر بنوع شبه ولا يقتضي حقيقة الحكم عند التفصيل كما يقول الشخص لاجنبي أنت أخي أو ولدي على طريق التقريب والاكرام ثم لا يرثه اذا مات ولا يحرم عليه بناته وأخواته وكما يقول الرجل لآخر أنا عبدك على معنى التواضع والطاعة فلا يجوز له بذلك القول بيعه ولا امتلاكه انتهى (قلت) لكن في فتاوى الامام الكردي في آخر الفاظ التكفير بعد ما قاله أئمة الحنفية من المكفرات ما نصه ويحكى عن بعض من لا سلف له أنه كان يقول ما ذكر في الفتاوى أن فلانا يكفر بكذا انما هو للتخويف والتهويل لا لحقيقة الكفر قال وهذا كلام باطل وحاشى أن يلعب أمناء الله أعني علماء الاحكام بالحلال والحرام والكفر والاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام محمد صلى الله عليه وسلم أو ما أدى اجتهاد الامام آخذا من نص القرآن أنزله الملك العلام وشرعه سيد الرسل العظام أو قاله الصحب الكرام قال وهذا الذي حررته هو كلام المشايخ السابقين العظام بوأهم الله بفضله دار السلام * انتهى كلامه وما عليه الجمهور أولى فان منازع الفرق دقيقة على غالب الناس وكيف يقتل رجل يقول ربي الله ومحمد نبيي و يؤمن بالحشر والحساب والله تعالى أعلم * الفرقة الثانية من الائمة قد أمسكت عن القول بتكفير المؤولين ولم يجعلوا أحدا منهم كافرا ولا مكذبا بالرسل وقالوا لو كان المؤولون مكذبين للرسل كالكفرة لم يعتنوا بتأويل كلامه صلى الله عليه وسلم ولم يشتغلوا به بل كانوا يضربون عنه صفحا فاشعر عدولهم الى تأويله بأنهم قبلوه وصدقوا به غير أنهم لم يوفقوا للصواب في تأويله فأخطؤا فيه فكان حكمهم حكم من فر من الكفر فوقع في البدعة بغلطه قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله وأول ما وقع مفارقة أهل السنة في زمن الامام علي رضي الله عنه وكان هؤلاء المخالفون هم الذين أخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية * قال وقد سئل الامام علي رضي الله عنه عنهم أكفار هم فقال لا انهم من الكفر فروا فقيل أمنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فقيل أي شيء هم فقال قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا وقال الخطابي وانما

فهو صلى الله عليه وسلم المقصود لله تعالى بالادب اصالة ونحن المقصودون بالتأسي به قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقد كان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية اذا لقي أحدا من أهل الصفة أو قعد في مجلس يكونون فيه لا يزال يحبس نفسه معهم ما داموا جلوسا حتى يكونوا هم الذين ينصرفون وحينئذ ينصرف صلى الله عليه وسلم ولما عرفوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يخففون الجلوس والحديث معه صلى الله عليه وسلم قال وانما قيد تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لانه زمان تحصيل الرزق في المرزوقين وهو الصبوح والغبوق عند العرب وأطال في ذلك (قلت) انما أمر صلى الله عليه وسلم بالصبر مع من ذكر لان الكامل تصير عباداته روحانية لا جثمانية فرجوعه الى الكثائف من أصعب الامور عليه الا ان يؤمر بذلك هكذا شأن المقربين والى ذلك الاشارة بقوله لي وقت لا يسعني فيه غير ربي أي لا يسعني فيه الالتفات لغيره من ذكر أو غيره والله أعلم * وقال في الباب التاسع والعشرين وخمسمائة لابد من الفترة لكل داخل طريق أهل الله عز وجل ثم اذا حصلت فاما ان يعقبها رجوع الى الحال الاول من العبادة والاجتهاد وهم أهل العناية الالهية واما أن لا يعقبه رجوع فلا يفلح بعد ذلك أبدا فيصير من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل * وقال للدنيا ابناء وللآخرة ابناء وللمجموع لم
أبناء فالكامل من جمع بينهما فكان ابنا للدنيا والآخرة انتهى ولا يخفى ان من طلب الدنيا للآخرة فهو ابن لمجموعهما وهو أكمل ممن يريد

الا آخرة فقط كأهل الصفة والله أعلم * وقال فى الباب السابع والثلاثين وخمسمائة فى قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه اعلم ان الرجل الكامل واقف مع ما تسلك عليه المروءة العرفية حتى يأتيه أمر الله الحتم فيمتثله قال وكان وقوع ما ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم مكان قوله لو كنت موضع يوسف لاجبت الداعى يعنى داعى الملك لما دعاه الى الخروج من السجن فلم يخرج يوسف حتى قال ارجع الى ربك يعنى العزيز الذى حبسه فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ليثبت عنده براءته فلا تصح له المنة عليه فى اخراجه من السجن والرسول طلب ثبوت عدالته عند أمته ومن هنا كانت خشية رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس حتى لا يرد الناس دعوته لما وقع فى نكاح زوجة من تبناه اذ كان ذلك مما يقدح فى المروءة عند العرب فلذلك أبان الله عن العلة فى ذلك بقوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم الآية فرفع الحرج عن المؤمنين فى هذا الفعل فكان من الله تعالى فى حق رسوله ما كان من يوسف حين لم يجب الداعى سواء أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أى فلو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكان يوسف ما أجاب الداعى ولقال مثل ما قال يوسف فعلم انه ليس مراده صلى الله عليه وسلم بقوله لو كنت مكان يوسف لاجبت الداعى الا تعظيم يوسف كما قال نحن أولى بالشك من ابراهيم وقد تقدم بسطه فى الكتاب فليتأمل ويحرر (قلت) ويحتمل أن يكون المراد من قوله عليه السلام لاجبت الداعى ولم أراع الناس على حد مراعاة يوسف عليه السلام وان ندبت الى مراعاتهم من وجه آخر كما يعرفه أهل الله

لم يجعلهم كفارا لانهم تعلقوا بضرب من التأويل والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين أى الطاعة كما قال تعالى ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك أى طاعته قال وحجة من قال بعدم تكفير المتأولين أنه قد ثبت عصمة دمائهم وأموالهم بقولهم لا اله الا الله محمد رسول الله ولم يثبت لنا أن الخطأ فى التأويل كفر والا فلابد من دليل على ذلك من نص أو اجماع أو قياس صحيح على أصل صحيح من نص أو اجماع ولم نجد من ذلك شيأ فبقى القوم على الاسلام فان اتفق فى زمان وجود مجتهد تكاملت فيه شروط الاجتهاد كالائمة الاربعة وبان له دليل قاطع ان الخطأ فى التأويل موجب للكفر كفرناهم بقوله وهيهات أن يوجد مثل ذلك فى مثل هذه الازمان انتهى وقد سئل الامام المزنى رحمه الله عن مسئلة فى علم العقائد فقال حتى أنظر وأتثبت فانه دين الله وكان ينكر على من يبادر الى تكفير أهل الاهواء والبدع ويقول ان المسائل التى يقعون فيها لطاف تدق عن النظار العقلى وكان امام الحرمين رحمه الله يقول لو قيل لنا فصلوا ما يقتضى التكفير من العبارات مما لا يقتضيه لقلنا هذا الجسم طمع فى غير مطمع فان هذا بعيد المدرك وعر المسالك يستمد من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهايات الحقائق لم يتحصل من دلائل التكفير على وثائق وكان أبو المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة يقولون لا يكفر أحد من أهل المذاهب الاسلامية لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا انتهى (قلت) وقد رأيت سؤالا بخط الشيخ شهاب الدين الاذرعى صاحب القوت قدمه الى شيخ الاسلام الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله وصورته ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الاسلام فى تكفير أهل الاهواء والبدع * فكتب اليه اعلم يا أخى وفقنى الله واياك ان الاقدام على تكفير المؤمنين عسر جدا وكل من فى قلبه ايمان يستعظم القول بتكفير أهل الاهواء والبدع مع قولهم لا اله الا الله محمد رسول الله فان التكفير أمر هائل عظيم الخطر ومن كفر انسانا فكأنه اخبر عن ذلك الانسان بأن عاقبته فى الآخرة العقوبة الدائمة أبد الآبدين وأنه فى الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجرى عليه أحكام أهل الاسلام فى حياته ولا بعد مماته والخطأ فى قتل مسلم أرجح فى الاثم من ترك قتل ألف كافر ثم ان تلك المسائل التى يحكم فيها بتكفير هؤلاء المبتدعة فى غاية الدقة والغموض لكثرة شبهها ودقة مداركها واختلاف قرائنها وتفاوت دواعى أهلها ويحتاج من يحيط بالحق فيها الى الاستقصاء فى معرفة الخطأ بسائر صنوف وجوهه والى الاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه فى الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة وذلك يستدعى معرفة جميع طرف أهل اللسان من سائر قبائل العرب فى حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق الامور فى علم التوحيد الى غير ذلك مما هو متعذر جدا على غالب العلماء فضلا عن غيرهم وأطال فى ذلك ثم قال فعلم أن القول بتكفير أهل الاهواء والبدع يحتاج الى أمرين عزيزين أحدهما تحرير المعتقد وهو صعب من جهة عدم الاطلاع على ما فى القلب وتخليصه مما يشوبه مع تعذر أن الشخص ينطق عند حاكم بما يعرف أن به يكون قتله هذا أمر أعز من الكبريت الاحمر وكذلك البينة على ما فى قلب الشخص يتعذر اقامتها * الثانى أن الحكم بأن ذلك كفر صعب من جهة صعوبة علم الكلام ومواطن الاستنباط وتمييز الحق فيه من غيره وانما يحصل ذلك لرجل جمع صحة الذهن ورياضة النفس حتى خرج عن الهوى والتعصب بالكلية مع امتلائه من علوم الشريعة والاطلاع على أسرارها ومنازع الائمة المجتهدين فيها وهذا قل أن يوجد الآن عند شخص واذا كان الانسان يعجز عن تحرير اعتقاد نفسه فى عبارة فكيف يقدر على تحرير اعتقاد غيره فى عبارة فلا بد من كل مؤمن أن لا يكفر أحدا من أهل الاهواء والبدع لا سيما وغالب أهل الاهواء انما هم عوام مقلدون لبعضهم بعضا لا يعرفون دليلا يناقض اعتقادهم اللهم الا أن يخالفوا النصوص الصريحة التى لا تحتمل التأويل عنادا وجحدا فللعلماء فى ذلك النظر اهـ كلام الشيخ تقى الدين السبكى ومن خطه نقلت

رحمه الله وهو كلام في غاية الجودة والنفاسة * وكان الامام أحمد بن زاهر السرخسي أخص أصحاب الشيخ أبي الحسن الاشعري يقول لما حضرت الوفاة أبا الحسن الاشعري في داري ببغداد أمر بجمع أصحابه ثم قال اشهدوا على انني لا أكفر أحدا من أهل القبلة بذنب لاني رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد والاسلام يشملهم ويعمهم اه فانظر كيف جعلهم مسلمين والله تعالى أعلم *(خاتمة)* أخبرني شيخنا الامام العالم المحدث الشيخ أمين الدين امام جامع الغمري بمصر المحروسة ان شخصا وقع في عبارة في التوحيد ظاهرها مخالف للشريعة فعقد واله مجلسا بحضرة السلطان بمصر وأفتى العلماء بكفره وكان الشيخ جلال الدين المحلى غائبا عن المجلس فلما حضر قال من أفتى بقتل هذا فقال شيخ الاسلام صالح البلقيني وجماعة نحن أفتينا بذلك فقال لهم ما دليلكم في ذلك فقال الشيخ صالح أفتى بذلك والدي شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني في نظير هذه الواقعة فقال تقتلون رجلا مسلما موحدا يقول ربي الله ومحمد رسول الله نبينا بفتوى والدك ثم أخذ بيد الرجل ونزل به من القلعة فما تجرأ أحد يتبعه رضي الله عنه * وقال شيخ الاسلام بالشام سراج الدين المخزومي أفتيت مرة بقتل يهودي انتقص رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاتبني على ذلك شيخ الاسلام جلال الدين البلقيني وقال هلا كنت بعثت به الى المالكية ليتقلدوا أمره وأرحت نفسك من تبعته قال المخزومي رحمه الله وقد أفتى شيخنا شيخ الاسلام شهاب الدين الزهري رحمه الله بقتل رجل سب أمنا عائشة وكان قد تم له فلم يثبته فلما أخرجوا به يجرونه للقتل قال بأعلى صوته يا زهري ما حجتك عند الله أتقتلون رجلا يقول ربي الله ومحمد رسول الله نبي فكان الزهري بعد ذلك لا يزال يذكر قوله ويبكي ويقول اني أخاف من قتل ذلك الرجل ان يؤاخذني الله به يوم القيامة اه هذا الخوف في حق من سب من صرح القرآن ببراءتها فكيف بمن يتجرأ على الافتاء بقتل أحد من أولياء الله تعالى بعبارة لم يفهمها على وجهها الغافلة حجابه * وكان الامام الغزالي رحمه الله يقول من أكبر الآثام تخطئة العلماء من غير اطلاع على مرادهم وحمل كلامهم على حال قد لا يرتضونها * وقال في كتابه المنقذ من الضلال انما يجب على العلماء بيان ما تبين لهم انه الحق لا ما لا يتبين لهم * وقال شيخ الاسلام المخزومي قد نص الامام الشافعي على عدم تكفير أهل الاهواء في رسالته فقال لا أكفر أهل الاهواء بذنب وفي رواية عنه ولا أكفر أحدا من أهل القبلة بذنب وفي رواية أخرى عنه ولا أكفر أهل التأويل المخالف للظاهر بذنب قال المخزومي رحمه الله أراد الامام الشافعي رحمه الله بأهل الاهواء أصحاب التأويل المحتمل كالمعتزلة والمرجئة وأراد بأهل القبلة أهل التوحيد اه فقد علمت يا أخي مما قررناه لك في هذا المبحث ان جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لاحد من أهل القبلة بذنب فبهداهم اقتده والله تعالى أعلم

(المبحث التاسع والخمسون في بيان ان جميع ملاذ الكفار في الدنيا من أكل وشرب وجماع وغير ذلك كله استدراج من الله تعالى)

حيث لم يعلم الله باصراره على الكفر الى الموت فهي نقمة عليه يعذب بها عذابا زائدا على عذاب الكفر وقالت المعتزلة انها نعمة يترتب عليها الشكر * وقال بعض المحققين جميع ما رزقه الله للكافر ليس لكرامة ولا اهانة وانما ذلك لسبق العلم بأنه يرزقه ما به قوام بدنه حتى يفعل جميع ما كتب له أو عليه اه قالوا وجميع ما يفعله الكافر من الخيرات يجازى به الله عليه في دار الدنيا من صحة في البدن وتوسعة في الرزق وغير ذلك وليس له في الآخرة من نصيب فانه تعالى أخبر انه لا يضيع أجر من أحسن عملا لوسع كرمه ثم ان ختم الله لذلك الكافر بالاسلام أثيب على كل عمل لا يشترط فيه النية كفر الآبار لاعطاش واطعام الجائع وقرى الضيف وصلة الرحم والعتق زيادة على ثواب الاعمال الاسلامية كما قال صلى الله عليه وسلم لحكيم بن حزام حين أسلم أسلمت على ما سلف لك من خير وكان قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الامور وانه تبرر

تعالى لاسيما وقد ورد أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض ويكون قوله عليه السلام نحن أولى بالشك من ابراهيم حيث يمشي على ما يتبادر الى الاذهان ومعاتبة الله تعالى له عليه السلام في الآية المذكورة قبل ان يرقيه الله من مقامه الشريف على ما هو الارفع والله أعلم * وقال في الباب الرابع والاربعين وخمسمائة في قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ليس المراد بهؤلاء الملائكة الحفظة وانما المراد بهم ملائكة التسخير وهم ملائكة يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه يحفظونه عن أن يعرض عليه أمر خلاف ما هو مسخر له فيهم تبع له وأطال في ذلك * وقال في الباب الخامس والخمسين وخمسمائة قد أطلعني الله على جميع الاولياء المتقدمين والمتأخرين الى يوم القيامة وما منعني أن أعين للناس الاقطاب والابدال وغيرهم من أهل زماننا الا خوف الانكار عليهم وعدم التصديق لهم فأكون بذلك سببا في مقتهم على ان الله لم يكلفنا باظهار مثل هذا حتى نكون عصاة لو تركناه وبسط الرحمة على كافة المسلمين أولى من اختصاصها قال وقد فعل مثل هذا القشيري رحمه الله في رسالته فانه ذكر الاوائل من الرجال في أول الرسالة وما ذكر فيهم الحلاج للخلاف الذي وقع فيه حتى لا تتطرق التهمة لمن ذكره من رجال الرسالة ثم انه لما ذكر عقائد الرجال على الكتاب والسنة بها ذكر عقيدة الحلاج أولا وصدرها الكلام ليزيل بذلك ما في نفوس بعض الناس منه من سوء الطوية رضي الله عنهم وقال في الباب السادس

بما في الجاهلية وهذا ما عليه الجمهور * وقال الآمدي في الابكار لا نعلم خلافا بين أصحابنا انه تعالى ليس له على من علم اصراره على الكفر نعمة دينية أبدا وأما النعمة الدنيوية فللاشعري فيها قولان ومال القاضي ابي بكر الى الاثبات ثم أشار الى أن الخلاف لفظي فمن نفى النعم لا ينكر الملاذ في الدنيا وتحقيق أسباب الهداية غير انه لا يسميها نعما لما يعقبها من الهلاك ومن أثبت كونها نعما لا ينازع في تعقيب الهلاك لها غير انه سماها نعما للصورة وكان أبو العباس السارى رضي الله عنه يقول عطاء الحق للمؤمن على نوعين كرامة واستدراج فما أبقاه عليك فهو كرامة وما أزاله عنك تبين انه استدراج قالوا والألم يقابل اللذة واختلفوا فيه هل هو وجودي أو عدمي ولكل منهما وجه قالوا وأعلى اللذات اللذة العقلية وهي الحاصلة بسبب معرفة الاشياء والوقوف على حقائقها وهي اللذة على الحقيقة وعلى هذا فاللذة محصورة في المعارف * وقال أبو زكريا الطبيب ان اللذة أمر عدمي وهو الخلاص من الالم وضعف هذا القول بأن الانسان قد يلتذ بالشيء من غير سبق ألم كما اذا وقع بصره على صورة حسنة فانه يلتذ بابصارها مع انه لم يكن له شعور بها حتى تجعل تلك اللذة خلاصة من ألم الشوق اليها وكذلك من وقف على مسئلة علم أو كنز مال فجاءة من غير خطور ذلك بالبال ولا ألم الشوق اليها وقال السمرقندي في الصحائف الحق أن الادراك ليس هو نفس اللذة بل ملزومها وفي المحصول ان الصواب انه لا تحد لانها من الامور الوجدانية وعليه مشى في الطوالع وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام هذا مخصوص بدار الجنة وأما دار الكرامة التي هي الجنة فان اللذة تحصل فيها من غير ألم يتقدمها أو يقترن بها لان العادات خرقت فيها فيجد أهل الجنة لذة الشرب من غير عطش ولذة الطعام من غير جوع وكذلك القول في العقوبات فان أهل عقوبات الآخرة لا يبقى معها في هذه الدار حياة وأما الدار الآخرة فيأتي أحدهم أسباب الموت من كل مكان وما هو بميت والله تعالى أعلم

*(المبحث الستون في بيان وجوب نصب الامام الاعظم ونوابه ووجوب طاعته
وانه لا يجوز الخروج عليه وان وجوب نصبه علينا لا على الله عز وجل
وانه لا يشترط كون الامام أفضل أهل الزمان بل يجب علينا
نصبه ولو مفضولا وذلك لفوة مصالح المسلمين)*

كسد الثغور وتجهيز الجيوش وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق وقطع المنازعات الواقعة بين الخصوم وحفظ جميع مصالح الناس الدينية والدنيوية فلولا الامام الاعظم ما انزجر الناس عما يضرهم ولا انفذت أحكامهم ولا أقيمت حدودهم ولا قسمت غنائمهم وقد أجمع الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصبه حتى جعلوه أهم الواجبات وقدموه على دفنه صلى الله عليه وسلم ولم تزل الناس في كل عصر على ذلك ويؤيد ذلك أيضا عدة أحاديث منها حديث مسلم من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية * وقال الكمال في حاشيته نصب الامام واجب سمعا أي شرعا لا عقلا وقال أصحاب الجاحظ والبلخي والبصري من المعتزلة بوجوب نصب الامام على الحق تعالى عقلا لانهم يقولون الضرر مع عدم الامام متوقع من الظلمة على الضعفاء ودفع الضرر المظنون واجب عقلا وذلك انما يندفع بنصب امام يقوم بأحكام الشرع وهم موافقون لاهل السنة في تعيين الائمة وأما أهل السنة فذهبوا الى أن الامام يعرف بأمور اما بنصب من يجب أن يقبل قوله كنبي أو امام أو باجماع المسلمين وكان الامام بعد النبي صلى الله عليه وسلم بالاجماع أبا بكر الصديق ثم عمر الفاروق بنص أبي بكر عليه ثم عثمان بنص عمر على جماعة جعل أمر الخلافة شورى بينهم فانه لم يستخلف أحدا فاجتمع الناس على امامة عثمان ثم علي المرتضى وأجمع المعتبرون من الصحابة على ذلك وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون ثم وقعت المخالفة بين الحسن ومعاوية وصالحه الحسن واستقرت الخلافة عليه ثم على من بعده من بني أمية وبني مروان حتى انتقلت الخلافة الى بني

والخمسين وخمسمائة كان شيخنا أبو مدين أحد الامامين ثم قطب بعد ذلك الى ان مات سنة تسع (٢٧٣) وثمانين وخمسمائة ويدل على امامته انه كان يقول سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك وهي مختصة بالامام الواحد من الامامين والله أعلم * وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة وهو باب جمع فيه أسرار الفتوحات كلها من أولها الى آخرها اعلم أن التنزيه يرجع الى التحديد المنزه والتشبيه يرجع الى تثنية المشبه والكمال الجمع بين المرتبتين كما ورد * وقال معاين العالم علامة بدؤه ومن هو علامة على من ما ثم الا الله جهله ومالا يسع جهله * وقال ما نشأ الخلاف الا من عدم الانصاف * وقال كل علم أنتجه الفكر فلا يعول عليه لان التكبر يسارع اليه * وقال لاضلال الابعد هداية كما انه لا عزل الابعد ولاية * وقال لا يشترط في المجاورة الجنس لانه علم في ليس فالله جار عبده بالمعية وان انتفت المثلية * وقال لولا الشبه ما كان الشبه * وقال من أعجب ما ورد انه لم يلد وعنه ظهر العدد فله تعالى أحدية العدد وما بالدار من أحد * وقال من تعددت له الاضافات فهو صاحب آفات * وقال لو كانت العلة مساوية للمعلول لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شيء من محدثاته * الكثرة معقولة وما ثم علة الا وهي معلولة * وقال من الاسم الكبير تخوف النار بالنار لان الشيطان المرجوم محروق بذات النجوم * وقال علوم النظر أوهام عند علوم الالهام * وقال الزمان ظرف المظروف كالمعاني مع الحروف وليس المكان بظرف فلا يشبه الحرف وقال في التنزيه عن التشبيه وان

الراحة التي أعطتها المعرفة وأين الوجود من هذه الصفة *وقال اذا استقصيت الحقوق حوسب الانسان على ما اختزنه في الصندوق

العباس وأجمع أكثر أهل الحل والعقد عليهم وانساقت الخلافة منهم الى أن جرى ما جرى * وأما قول بعض الروافض ان أبا بكر غصب الخلافة وتقدم على علي رضي الله عنه ظلما فهو باطل يلزم منه اجتماع الصحابة على الظلم حيث مكنوا أبا بكر من الخلافة وحاشاهم من ذلك فانهم حماة للدين * وقالت الخوارج والاصم من المعتزلة لا يجب على الناس نصب امام ومنهم من قال بوجوب نصبه عند ظهور الفتن دون زمن الامن وبعضهم عكس الامر * وقالت الشيعة المسمون بالامامية بوجوب نصب الامام على الله تعالى والحق انه لا يجب على الله تعالى شيء ولو أوجبه على نفسه أو حرمه كما في قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وكما في قوله تعالى في الحديث القدسي اني حرمت الظلم على نفسي وذلك لان حضرته سبحانه وتعالى لا تقبل التحجير وبذلك بان خلافه اذ التحجير لا يكون الا من أعلى على أدنى فافهم * وقالت المعتزلة يجب على الله تعالى أشياء يترتب الذم بتركها منها الجزاء أي الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ومنها اللطف بان يفعل بعباده ما يقربهم على الطاعة ويقربهم منها ويبعدهم عن المعصية بحيث لا ينتهون الى حد الالجاء ومنها فعل الاصلح لهم في الدنيا من حيث الحكمة وقولنا في ترجمة المبحث لا يجوز الخروج على السلطان قد خالفنا فيه المعتزلة فجوزوا الخروج على السلطان الجائر بناء على انعزاله بالجور عندهم وقولنا يجب نصب الامام ولو مفضولا قد خالفنا قوم في ذلك فقالوا لا يكفي نصب الامام المفضول مع وجود الفاضل بل يتعين نصب الفاضل ونقل ذلك عن الاسماعيلية وهم قوم منسوبون الى اسمعيل بن الامام جعفر الصادق المدفون بالقرب من البقيع ويسمون بالباطنية وبالملاحدة أما الباطنية فلكونهم يقولون لكل ظاهر باطن وأما تلقيبهم بالملاحدة فلعدولهم عن ظواهر الشريعة الى بواطنها في بعض الاحوال * واعلم ان بعضهم جعل كلام بعض الصوفية في دقائق العلوم كمذهب الباطنية سواء والحق ان بينهما فرقا فان الصوفية لا يعتمدون قط على باطن الا ان وافق ظاهر الشريعة والا رموا به وكتبهم مشحونة بذلك بخلاف الباطنية يعتمدون ما تقوله أكابرهم سواء وافق الشريعة أو خالفها فافهم وقد تقدم في مبحث الكلام على القطب والافراد انه قد يكون من الافراد من هو أكمل من القطب لان القطب لم ينل هذا المقام بفضله على الكافة من الاولياء وانما هو لسبق العلم بانه لا بد في العالم من واحد يرجع اليه أمر الناس فتعين لذلك طينة لا بأولوية فكذلك القول في مبحث الامامة هنا لا يشترط أن يكون الامام أفضل الرعية والله أعلم * واعلم أنه لا يشترط في الامام العصمة ولا كونه هاشميا ولا علويا خلافا للرافضة وذهب الجمهور الى ان الامام الاعظم لا ينعزل بالفسق وفي كتب أصحاب امامنا الشافعي رضي الله عنه يشترط أن يكون الامام بالغا عاقلا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا رأي وكفاية قرشيا سميعا بصيرا ناطقا سليم الاعضاء من نقص يمنع استيفاء الحركة وسرعة النهوض فان لم يوجد قرشي اجتمعت فيه الشروط فكناني فان لم يوجد فغيره والجاهل العادل أولى من الجاهل الفاسق كما هو مقرر في كتب الفقه هذا ما رأيته في كتب المتكلمين * وأما عبارة الشيخ محيي الدين رحمه الله فقال في الباب الثاني والعشرين وثلثمائة من الفتوحات (فان قلت) ان الشارع لم ينص على الامر باتخاذ الامام فمن أين يكون واجبا (فالجواب) ان الله تعالى أمرنا باقامة الدين ولا سبيل الى اقامته الا بوجود الامان على أنفس الناس وأهليهم وأموالهم ومنع تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يصح لهم الا مع وجود امام يخافون سطوته ويرجون رحمته ويرجعون اليه ويجتمعون عليه فما لم يأمنوا على أنفسهم لا يتفرغون لاقامة الدين الذي أوجب الحق تعالى عليهم اقامته وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام واجب علينا لا على الله تعالى قال ويجب أن يكون واحدا لئلا تختلف فيؤدي الى الفساد في الكون كما ان الاله العالم واحد وكما ان القطب الغوث في العالم واحد فنصب الامام واحدا واجب شرعا انتهى (فان قلت) اذا صحت امامة شخص فبماذا ينعزل منها (فالجواب) ينعزل بعجزه عن القيام بحفظها من منع بغي الرعية على بعض ونحو ذلك مما تقدم في شروط الامامة كما هو مقرر في كتب

*وقال في قوله تعالى كل من عليها فان اعلم أن ما كل كل في كل موضع ترد فيه تكون للحصر لانها قد تأتي ويراد بها القصر مثل قوله في الريح العقيم تدمر كل شيء بأمر ربها وفي آية أخرى ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم وقد مرت على الارض وما جعلتها كالرميم وقال الشهيد يشبه الميت فيما اتصف به من الفوت ولذلك يورث ماله وتنكح عياله فهو لا فيه شبه تعليق الحاكم على الغائب وان كان حيا فقد أبعد في المذاهب وقد ثبت عن سيد البشر لا ضرار ولا ضرر وقد علم أن الشهيد بدار الخلود لا سبيل الى رجعته ولا الى انزاله من رفعته مع كونه حيا يرزق وما هو عند أهله ولا طلاق وهذه حالة الاموات وان كانوا أحياء عند ربهم فعلاهم عندنا رفات وما له الامارات ولا تحكم الايما شهدناه فاستمع تنتفع *وقال الاشتراك بالاجسام من الاوهام لان الكامل مع الله على كل حال في أهل ومال *وقال المال مالك وصاحبه هالك ان أمسكه أهلكه البخل وان منحه أضر به البذل وقد جبل بخلقه من نطفة أمشاج على الفاقة والاحتياج *لا تحسن الا صاحب دعوى فمن ادعى فقد تعرض للبلوى *وقال ليس الوقوف خلف الباب بحجاب اذا كان يستحيل على من حلفه الوصول فاذن الباب عين المطلوب
*وقال من اتقى الله في موطن التكليف على كل حال حاز درجة الكمال عند الارتحال *وقال انما العالم يحب الخامل الاسفل لانه رآه طالب السافل

وهمته كانت فى الدولصاحب العلو * وقال اذا حققت الاصول فلا زهد الا فى الفضول وأما ما تدعو الحاجة اليه فذلك المعول عليه

كتب الفقه وقد قال الشيخ محيي الدين فى الباب الستين من الفتوحات كل امام لا ينظر فى أحوال رعيته ولا يعتنى فيهم بالعدل والاحسان فقد عزل نفسه من الامامة فى نفس الامر دون الظاهر قال وعندى ان الحاكم اذا جار أو فسق انعزل فيما فسق فيه خاصة لانه لم يحكم بما أمره الله أن يحكم به وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم للولاة اسم الامامة ولو جاروا فقال فان عدلوا فلكم ولهم وان جاروا فلكم وعليهم ونهانا ان نخرج يدا من طاعة ولا نخص بذلك البادون آخر ومن هنا قلنا انه انعزل فى نفس الامر دون الظاهر انتهى فعلم انه ليس للامام مخالفة الشريعة أبدا لكن رأيت فى الباب التاسع والستين وثلثمائة فى الكلام على علم السياسة أن للملوك ان يعفوا عن كل شئ الا عن ثلاثة أشياء وهى التعرض للحرم وافشاء السر والقدح فى ملكهم انتهى * ورأيت فى تاريخ الخلفاء للجلال السيوطى ان ذلك من كلام أبى جعفر المنصور وكذلك رأيت فى الاحكام السلطانية ان للوالى أن يضرب المجرم حتى يقر وليس ذلك للقاضى فليتأمل ذلك * وقال فى علوم الباب الرابع والستين وثلثمائة من الفتوحات من طعن فى الولاة فقد نسب من نصبهم الى السفه وقصور النظر وهو باب خطر جدا قال ولهذا نهى الحق تعالى عن الطعن فى الملوك والخلفاء وأخبر أن قلوبهم بيد الله تعالى ان شاء قبضها عنا وان شاء عطفها علينا وأمرنا ان ندعو لهم لان وقوع المصلحة بهم فى العامة أعظم من جورهم مع انهم باب الله تعالى فى قضاء الحوائج فى أهل الارض سواء كانوا فاسقين أو صالحين عادلين أو جائرين فلا يخرجهم ذلك عن اطلاق اسم النيابة عليهم انتهى * وقال فى الكلام على الامامة من صلاة الجماعة فى أبواب الصلاة من الفتوحات فى قوله صلى الله عليه وسلم صلوا خلف كل بر وفاجر المراد بالفاجر هنا هو العاصى المسلم لا الكافر فما دام الامام فيه ربقة الاسلام فالصلاة خلفه وان كان ذلك مكروها لكن لا يخفى ان الكراهة خاصة بما اذا كان فسق الامام بامر متيقن لا مظنون لانه يبعد من المؤمن الكامل اعتقاد الفسق فى أحد باطنا انتهى * وقال فى الكلام على الطواف من باب الحج من الفتوحات انما جوزنا امامة الفاسق مع الكراهة ولم تبطل الصلاة خلفه لانه لا يدخل الصلاة الا حتى يتوضأ الوضوء المشروع ثم انه يحرم بالصلاة فلا يزال فى خير وعبادة ما دام بين قراءة وذكر وخضوع حتى يسلم من الصلاة ولا يوصف اذ ذاك بفسوق بل هو فى طاعة الله عز وجل وقد صلى عبد الله بن عمر خلف الحجاج وكفى به فاسقا وأيضا فانه ما من معصية تقع من المسلم الا والايمان بانها معصية يصحبه فالحاج ونحوه فى حال صلاته وان كان فاسقا خارجها مؤمن مطيع لله تعالى بايمانه والايمان لا يقاومه شئ فضعف جانب المعصية فلذلك قلنا ان امامته مكروهة لا باطلة انتهى كلامه وفيه نظر فان الكراهة ليست من حيث عدم وصفه بالمعصية فى الصلاة وانما هى من حيث استصحابه الظلم والجور ولو خارج الصلاة فلذلك كانت امامته مكروهة (فان قلت) فما شبهة الامامية فى قولهم يشترط أن يكون الامام معصوما (فالجواب) شبهتهم قولهم ان الامام اذا صلى لا يناجى الا صفته الاحدية خاصة فيجب عصمته فى الصلاة حتى يسلم منها وهم قائلون بعدم عصمته خارج الصلاة فلو أنصفوا لقالوا ان هذا المقام انما هو خاص بالانبياء ولكن من قدم للامامة من غيرهم يجب علينا القول بعصمته حتى يفرغ من الصلاة انتهى والحق الواضح بل الواقع عدم وجوب عصمة الائمة فانه ما من امام الا ويقع له السهو فى صلاته وان لم يسه عن صلاته فان بين المقامين فرقا فانه يلزم من السهو عن الصلاة عدم فعلها بالكلية بخلاف الساهى فيها وأطال فى ذلك فى الباب السابع والاربعين وثلثمائة ومما يؤيد عدم القول بعصمة الائمة أيضا ما قاله الشيخ فى الباب السادس والثلاثين وثلثمائة من قوله اعلم ان الحق تعالى لا ينظر الى القطب الذى هو السلطان الباطن الا بعين الاهلية ولو أنه تعالى نظر الى السلطان الظاهر بهذه العين ما جار امام قط كما تقول الامامية فان العصمة ليست من شرط الامام الظاهر ولو كانت الامامة غير مخلوقة ثم أمره الله تعالى ان يقوم بها لعصمه الله بلا شك كما وقع للانبياء عليهم الصلاة

* وقال لو تعطلت الاجور لالتبست الامور * وقال المباح أتم شرع شرع للانسان وعليه جميع الحيوان ألا ترى أن اهل الكشف اتتهم فى اليقظة والمنام واهل الكتم فيما يرونه من عذاب القبر الحتم * وقال كل جزء فى العالم فقير الى العظيم والحقير فالكل عبيد النعم ومن النعم الامان من حلول النقم والامراض فى وسى والامان حال قوله صلى الله عليه وسلم نورانى أراه وقوله انكم سترون ربكم فاثبتها انا ونفاها عنه لما علم منه * وقال ليس من شرط البيان حركة اللسان فان لسان الاحوال أفصح ومترجمها فى الابانة عن نفس صاحبها أرجح ومن سكت ربما زى بالخرس وقام له مقام الجرس فظهر سره وان جهل أمره وكثرت فيه المقالات وتطرقت اليه الاحتمالات ففتح بصمته أبواب الالسنة وعمر بالازمنة بيته جميع الامكنة * ما شرف موسى عليه السلام الا بما نسب اليه من الكلام و بالكلام وجد العالم وظهر على أتم نظام وكل قول برزخ هو بحسب حقيقة القائل فمنه الدائم ومنه الزائل ومنه ما لكون الا بحرف وهو لمعنى ما يقول كظرف ومنه ما لا حرف فيه فيزول وقد أثبت ذلك عن الاصول * وقال ان أردت ان تكون من اهل الدوام فالتزم الادب التزام الالف واللام (وقال) صاحب علم سر القدر لا يقول قط أنا الله وحاشاه من هذا القول حاشاه بل يقول أنا العبد الذليل فى المسير والمقيل * وقال الايمان برزخ بين اسلام واحسان فله من الاسلام ما يطلبه عالم الاجسام

والسلام والى ذلك الاشارة بحديث من أعطيها يعني الامارة بغير مسئلة وكل الله تعالى به ملكا يسدده قال وهذا هو معنى العصمة لكن الادب أن يقال انه محفوظ لا معصوم وأما قوله تعالى في حق داود عليه الصلاة والسلام ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فالمراد به هذا الهوى عدم اتباع اثار من أشار عليك بما يخالف ما أوحينا به اليك من فعل الاولى لا المنكر ولا الحرام لان مقام الانبياء يجل عن ذلك كما بسطه الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلثمائة وأنشد في ذلك يقول

عجبت لمعصوم يقال له اتبع * ولا تبتدع واحكم بما أنزل الله

وكيف يرى المعصوم يحكم بالهوى * مع الوحي والتحقيق مانم الا هو

الى آخر ما قال وكذلك بسط الشيخ الكلام في ذلك أيضا في الباب الخامس عشر وخمسمائة فراجعه (فان قلت) فهل بين الخلافة والملك فرق فان في الحديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ومن أقرب الى صفات الحق تعالى الخليفة أو الملك (فالجواب) بين الخلافة والملك فرق ظاهر كما صرح به الحديث وكما تقدم في مبحث النبوة والرسالة وقد قال الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائة الفرق بين الخليفة والملك أن الخليفة يعلم الاسماء ومصارفها بخلاف الملك لا يلزم منه انه يعرف علم الاسماء ولا مصارفها وليس هو بخليفة في العالم * وقال في الباب الستين ومائتين لا يكون القرب الصوري من الله تعالى الا للخلفاء خاصة سواء أكانوا رسلا أم غير رسل قال ثم ان قربهم على نوعين الاول الخلافة عن التعريف الالهي بمنشور والثاني خلافة لا عن تعريف الهي مع نفوذ الاحكام منه ومثل هذا لا يسمى بلسان الادباء خليفة وفي الحقيقة هو خليفة (فان قلت) فأيهما أتم (فالجواب) الخلافة بغير تعريف الهي أتم في القرب المعنوي فان الخليفة بالتعريف والامر الظاهر بعد من المستخلف في الصورة فان حكمه في العالم يكن عن أمر من غيره بل هو حاكم لنفسه فهو أقرب الى الصفة الالهية ممن عقدت له الخلافة بتعريف ومنشور لكن هذا أقرب الى السعادة المطلوبة ممن لم تقترن بخلافته أمر الهي اذ القرب من السعادة هو المطلوب عند العلماء بالله تعالى * وقال في الباب السابع والسبعين ومائة (فان قلت) فهل الاولى للخليفة التحكم في العالم أو التسليم (فالجواب) هو مخير في ذلك فان شاء تحكم وظهر كالشيخ عبد القادر الجيلي وان شاء سلم وترك التصريف لربه في عباده مع التمكن منه كأبي السعود بن الشبل تلميذ الشيخ عبد القادر الا ان يقترن بذلك أمر الهي كداود عليه السلام فلا سبيل الى رد أمر الله فانه من الهوى الذي نهى الخليفة عن اتباعه وكعثمان بن عفان رضي الله عنه أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يخلع ثوب الخلافة فلم يخلعه من عنقه حتى قتل اعلامه بما للحق تعالى في ذلك وأما ان لم يقترن بحكمه أمر الهي فهو مخير ان شاء ظهر به بحق وان شاء لم يظهر به فاستتر بحق مع ان ترك الظهور أولى عند كل عاقل فعلم ان الاولياء قد يلحقون بالانبياء في الخلافة وأما الرسالة والنبوة فلا لان ذلك باب مسدود بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فللرسول الحكم ثم ان استخلف فله التحكم أيضا فان كان رسولا فتحكمه بما شرع وان لم يكن رسولا فتحكمه عن أمر الله بحكم وقته الذي هو شرع زمنه وبذلك الحكم ينسب الى العدل والجور (فان قلت) فهل رتبة التحكم للانسان ابتلاء أو تشريف (فالجواب) هو ابتلاء له اذ لو كانت تشريفا لبقيت معه في الآخرة في دار السعداء ولما كان يقال للخليفة ولا تتبع الهوى فان التحجير مؤذن بالابتلاء بلا شك بخلاف التشريف فانه اطلاق لا تحجير فيه وأيضا لو كانت تشريفا لما ناسب في التحكم الى عدل ولا الى جور ولما كان يتولى الخلافة في العالم الا أهل الخاصة وقد ولى الله تعالى بعض الفسقة وأمرنا بالسمع والطاعة لهم وان جاروا وهذه حالة ابتلاء لا حالة تشريف (فان قلت) فأيهما أكمل خلافة هل هو آدم عليه السلام أم داود عليه السلام (فالجواب) كل منهما فاضل من وجه مفضول من وجه آخر كما قاله الشيخ في الباب السادس والاربعين وثلثمائة وقال اعلم ان الحق تعالى

وله من الاحسان ما يشهد به الجنان فمن آمن فقد أسلم وأحسن ومن جمع الطرفين فقد فاز بالحسنيين * الاسلام صراط قويم والايمان خلق كريم والاحسان شهود القديم اذا صح الانقياد كان ملامته خرق المعتاد * المسلم لا يحتاج الى تأويل فهو معرس في أحسن مقيل وقال من مال الى الآمال اخترمته الآجال ليس بالموافق من اشتغل بالماضي والآتي والعالم الاواه من كان مشتغلا بالله ومن كان عبدا لغير الله فما عبد الا هواه لان العدو أخذ به عن طريق هداه * وقال في قوله تعالى حتى نعلم من علم الشيء قبل كونه فعلمه من حيث كونه العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم الا بالعلم فقولوا لنا كيف الحكم هذه مسئلة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول * وقال لا تقل نحن اياه لقوله فأجره حتى يسمع كلام الله فانت الترجمان والمتكلم الرحمن فقيده كلام الله بالامكنة بكونه في المصاحف والالسنة يقول القارئ قال الله ثم انه يتلوه الحروف ظروف والصفة غير الموصوف عند أهل الكشف والشهود وهو عين المقصود فاذا انطلقت فاشهد بمن تنطق التنزيه تحديد فلا تقل بالتجريد وقال في حديث شتمني ابن آدم من اشتكى الى غيره مشتكى فقد حاد عن الطريق وعرج من مناهج التحقيق ولولا اقتدار العبد على دفع الاذى ما اشتكا الخلق اليه فاذا خلق شتكى الخلق والحق مشتكى الخلق ومن شكا الى جنسه فما شكا الا الى نفسه * وقال من ذل لله لما نقد أشبه الفروع ومن تكبر فقد أشبه الاصول فالرجوع الى الفروع أولى من الوصول الى الاصول * وقال اذا أراد الحق تعالى بعبده أن

لما شرح صدر آدم عليه الصلاة والسلام لان يهب ابنه داود من عمره ستين سنة ثم نسي آدم ذلك عند الوفاة وجحد ما أعطاه من عمره حصل لداود انكسار ناب عند ذلك فجبره الله بذكر لم يعطه آدم عليه السلام وذلك انه تعالى قال في آدم اني جاعل في الارض خليفة وما عينه باسمه ولا جمع له بين أداة المخاطب وبين ما شرفه به فلم يقل له وعلمتك الاسماء كلها وقال في داود انا جعلناك خليفة في الارض فسماه فاما علم الله تعالى في سابق علمه ان مثل هذا المقام والاعتناء قد يورثه النفاسة على أبيه من وجه بشرية تصحب النشأة قال ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فحذره فاشتغل بذلك الحذر عن الفرح بما حصل له من تعيين الله تعالى له باسمه وأمره بمراقبة السبيل ثم ان الحق تعالى سلك مع داود مسلك الادب حيث قال له ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ولم يقل له انك ان ضللت عن سبيل الله لك عذاب شديد وأطال الشيخ في ذلك *(خاتمة)* ذكر الشيخ في الباب الستين من الفتوحات ان الله تعالى جعل في السموات نقباء من الملائكة وجعل لكل ملك نجما هو مركبه الذي يسبح فيه وجعل الافلاك تدور بهم كل يوم دورة فلا يفوتهم شئ من مملكة السموات والارض فكل سلطان لا ينظر في أحوال رعيته فقد عزل نفسه في نفس الامر قال وقد جعل الله تعالى بين ولاة السموات وولاة الارض مناسبات ورقائق تمتد الى أهل الارض من الولاة بالعدل مطهرة من الشوائب مطهرة من العيوب فتقبل أرواح هؤلاء الولاة الارضيين من أرواحهم بحسب استعدادهم حسنا أو قبحا فلا يلومن الوالي الا نفسه قال وقد بسطنا الكلام على ذلك في التنزلات الموصلية والله تعالى أعلم

(المبحث الحادي والستون في بيان انه لا يموت أحد الا بعد انتهاء أجله وهو الوقت الذي كتب الله في الازل انتهاء حياته فيه بقتل أو غيره وبيان معنى قوله ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده وانه يتجلى لكل ميت عند موته اثنا عشر صورة)

اعلم ان كثيرا من المعتزلة زعموا ان المقتول لم يمت باجله وانما القاتل قطع بقتله أجل المقتول وانه لو لم يقتله لعاش أكثر من ذلك ويحتاج القائل بهذا القول أن يعرف مقدار عمر ذلك المقتول في علم الله تعالى حتى يحكم بنقصه بالقتل ولا سبيل له الى ذلك ثم بتقدير اطلاعه على ذلك لا يجد أجله ينقضي الا بقتله بالسيف فان للحق تعالى أن يأخذ روح العبد بآلة وبلا آلة وكلاهما هو الاجل المضروب له في علم الله تعالى فان الحق تعالى اذا كتب قتل عبد بسيف عند انتهاء أجله فلا بد من السيف ولو ان السيف فقد لعاش لا محالة الى وجود السيف قال بعضهم والاولى حمل كلام المعتزلة على هذا لانهم أهل اسلام بلا شك ولا ينبغي حمله على اعتقاد ان الله تعالى أراد حياة هذا المقتول بالسيف والقاتل لم يرده فغلب بقتله الارادة الالهية فان ذلك بعيد عن ان يريده مثل الزمخشري واضرابه بخلاف عامة المعتزلة من المقلدين فانهم ربما فهموا أن القاتل قطع عمر المقتول فهما من نحو حديث بادرني عبدي فيمن قتل نفسه وهو فهم خطأ لا يصلح أن يكون دليلا لان قاتل نفسه لم يبادر بقتل نفسه مستقلا بغير قضاء الله وانما هو بارادة الله ومشيئته فما بقي اللوم على قاتل نفسه الا من حيث انه قتل نفسه بغير أمر من الله تعالى فكأنه هدم ملك الغير بغير اذنه وذلك حرام والاحكام الشرعية دائرة مع الاحتجاج بالامر دون الاحتجاج بالارادة ومن هنا قالوا نؤمن بالقدر ولا نحتج به * قال الشيخ كمال الدين بن أبي شريف في حاشيته ومن مشهور أدلة أهل السنة قوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ومن متمسكات المعتزلة أحاديث في الصحيحين وغيرهما صرحت بان بعض الطاعات تزيد في العمر كحديث من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه * قال وعن ذلك أجوبة أصحها ان هذه الزيادة مؤولة بالبركة في أوقات العمر بان يصرف عمره في الطاعات اذ لا يحسب له من عمره الا ما كان في طاعة وهذا جمع بين الادلة قال وأما نحو حديث الطبراني ان المقتول يتعلق

يقطع أمله أشهده أجله واذا بدل الله سيآت عبده حسنات يود أنه لو كان أتى بقراب الارض خطايا أو حمل ذنوب جميع البرايا لما يراه من حسن التحويل وجميل صور التبديل فهذا هذا في الدنيا باتباع الهوى وفي الآخرة بجنة المأوى وعلى هذا جزاء بعض المذنبين أعظم من جزاء بعض المحسنين فيود المذنبين من الجرائم لم يكونوا يحتسبون وأكثر الناس في الدنيا بهذا لا يشعرون فخذوا يا اخواني حظكم بربكم تفوزوا بغير بكم * وقال الاخذ بالعزائم نعت لرجل الحزم وأولوا العزم من الرسل هم الذين اتوا الشدائد في تمهيد السبل * ما جنح الى الرخص الا من يقع في العصص من سلك هنا ما توعر تيسر له في آخرته ما تعسر فما أثقل ظهرك سوى وزرك فهنا تحط الاثقال اثقل الاعمال والاقوال فاحذر من الابتداع في حال الاتباع * وقال التخلق بالاسماء الالهية على الاطلاق من أصعب الاخلاق لما دونها من الخلاف والوفاق فاياك أن تظهر مثل هذا عنك قبل ان تشهد مشهد من قال أعوذ بك منك فمن استعاذ الى من لاذ افار * وقال موافقة الامثال من شأن الرجال ومن ألزم نفسه محال فهو شديد المحال فان الرباط ملازمة والملازمة في الالهيات مقاومة * وقال جنة النعيم لاصحاب العلوم وجنة الفردوس لاصحاب الفهوم وجنة المأوى لاهل التقوى وجنة عدن للقائمين بالوزن وجنة الخلد للمقيمين على الود وجنة المقامة لاهل الكرامة * وقال الاعتدال وبال لا يكون مع الاعتدال الا دوام الحال الناظر في وجود الخلق يجده عن ارادة الحق والارادة انحراف بلا خلاف فأين الاعتدال والاصل ميال فما ثم الا ميل عن ميل اطلب النيل لو كان

ثم اعتدال ماهوى انسان ولا مال التنزيه (٢٧٨) ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وهذا لا يصح فى العين لو كان ثم اعتدال لكان

بقاتله يوم القيامة و يقول يارب انه ظلمنى وقتلنى وقطع أجلى فقد تكلم الحفاظ فى اسناده و بتقدير صحته فهو محمول على مقتول سبق فى علم الله انه لولم يقتل لكان يعطى أجلا زائدا الا ان معنى قولنا المقتول ميت باجله ان قتله لم يتولد من فعل القاتل وانما ذلك من فعل الله تعالى وانه لولم يقتل لم يقطع بموته ولا بحياته على ماذكره فى شرح المقاصد اه * (قلت) وهذا هو الاعتقاد الصحيح المعتمد واما نقص العمر فى نحو قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب فليس المراد به النقص من ذلك العمر لان المراد وما ينقص من عمر معمر آخر والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه والموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى لاصنع فيه للعبد لا كسبا ولا خلقا ومبنى هذا على ان الموت وجودى بدليل قوله تعالى خلق الموت والحياة وفى الحديث أيضا يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فينظر اليه أهل الجنة وأهل النار فيعرفونه فيضعه الروح الامين و يأتى يحيى عليه السلام ومعه الشفرة فيذبحه والاكثرون على انه عدمى ومعنى خلق الموت قدره والنفس باقية بعد موت الجسد منعمة أو معذبة هذا هو مذهب المسلمين بل وغيرهم ويخالف فى ذلك الفلاسفة بناء على انكارهم المعاد الجسمانى والكتاب والسنة مشحونان بالدلالة على بقاء النفس قال تعالى كل نفس ذائقة الموت والذائق لابد أن يبقى بعد المذوق * وقال تعالى كلا اذا بلغت التراقى وهى نص فى بقاء الارواح وسوقها الى الله تعالى يومئذ وقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يزور الموتى و يقول ما أنتم بأسمع منهم فتأمل وأما من أماتهم الله تعالى عقوبة لهم أو اعتبارا كقوم موسى حين قالوا أرنا الله جهرة وكالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت وكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها فليس موت هؤلاء بانتهاء آجالهم ولذلك بعثهم الله تعالى ليكملوا بقية آجالهم المقدرة فى علم الله تعالى فتقيد بذلك أنه لا يموت أحد الا بأجله وان معنى حديث بادرنى عبدى أى لكونه قتل نفسه بغير أمرى فهو عاص للامر مطيع للارادة كسائر المعاصى الواقعة فى هذا الوجود والله أعلم * وأما معنى قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون فالمراد بقوله ثم قضى أجلا هو الاجل المقضى لكل حى بقبل الموت وأما قوله تعالى بعد ذلك وأجل مسمى عنده فالمراد به أجل الروحانية الذى هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت فى حياته الاولى المعبر عنه بالبعث ولذلك عقبه بقوله تعالى ثم أنتم تمترون يعنى فى البعث فان الموت لا يمترون فيه لانه مشهود لهم فى كل حيوان فما وقعت المرية الا فى البعث الذى هو الاجل المسمى عنده تعالى وأطال الشيخ محيى الدين فى ذلك فى الباب الرابع والسبعين ومائتين ثم قال وانما لم يجعل أجل الموت مسمى عنده لانه اذا نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله يبقى طائفة لا يصعقون فاما أن يكونوا على حقائق لا تقبل الموت فيكون الاستثناء منقطعا و يكون معنى قوله لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد ممن صعق واما أن يكونوا على مزاج يقبل الموت لكن لم يصل اليهم النفخ فلم يصعقوا فيكون الاستثناء متصلا اه (فان قلت) فمن آخر الناس يقبض روحه من بنى آدم (فالجواب) آخر من يقبض روحه الانسان الموحد الذى يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم المشار اليه بحديث لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله (فان قلت) فما مذهب الشيخ محيى الدين فى الموت هل هو عدمى أو وجودى (فالجواب) هو عنده عدمى وعبارته فى الباب السابع عشر وثلثمائة اعلم ان الموت حقيقته انما هو للسلب وأما الحياة فهى دائمة للاعيان من حيث كونها مسبحة بحمد الله تعالى ولا يسبح الا حى ولكن لما أعرض الروح عن الجسد بالكلية وزال بزواله جميع القوى عبر عنه بالموت فهو كالليل بغيب الشمس وأما النوم فليس اعراض الروح عن الجسم فيه اعراضا بالكلية وانما هو حجب أبخرة تحول بين القوى و بين مدركاته الحسية مع وجود الحياة فى النائم كالشمس اذا حال السحاب دونها او دونه موضع خاص من الارض يكون الضوء موجودا كالحياة وان لم يقع

فى لوقفة ولم يكن يميل من الميزان كفه من قال بالاستواء والزوال قال بالانحراف والاعتدال وله ماسكن فى الليل والنهار وما ثم ساكن فى الاغيار لا فى البصائر ولا فى الابصار الا ترامحه له عبرة لاولى الابصار فتظروا عتبر * وقال الحق فى الاعتدال فمن جار أو عدل فقد مال لكن ان مال لك فقد أفضل وان مال عليك فقد أبخس * وقال انما اشترك الزوجان فى الالتحام لانه تناء التسو والدفاتم والافلا رلى التباعد اذا التباعد فيه التنزيه والانتظام فيه التشبيه وانما مجدناه فيمن تولد عنه وقد بناه من قال انه وحده فقد ألحد اذ الاحدية لله لا تكون بتوحيد أحد ولم يكن له كفوا أحد يجيء بالتنزيه عن الصاحبة والولد حتى لا يكون معه أحد وعنه وجد ما وجد من العالم من ذى روح وجسم وجسد ثم ان ولادة البراهين الصحاح عن نكاح عقول وشرائع ما فيه جناح وأما ما تولد عن نكاح الشبه فى العقول والاشباح فهو سفاح وهذا الباب مقفل وقد رميت اليك بالمفتاح * وقال لما دعا الله تعالى الارواح من هياكلها عشاكلها احتنت لى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة لوعاء فكان لها الانفتاح بالسراح من هذه الاشباح ثم اذا رجعت الى عادة عادت الى ماكانت عليه روحا وجسما اهذا معنى الرجوع * وقال اسوداد الوجوه من الحق المكروه كالغيبة والنميمة ادرك وافشاء السر فهو مذموم وان كان صدقا فلذلك قال الله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم أى هل أذن لهم فى افشائه أم لا فما كل صدق حق

ادراك الشمس لذلك الذى حال بينه وبين السماء ذلك السحاب المتراكم انتهى (فان قلت) فما معنى قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (فالجواب) المراد به ان البصر يحتد عند الموت فيعاين العبد جميع ما ينتهي أمره اليه وهو اليقين المشار اليه بقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * قال الشيخ في الباب السادس والسبعين ومائة واعلم ان كل محتضر يرد عليه اثنتا عشرة صورة يشهدها كلها أو بعضها لابد له من ذلك وهى صورة علمه وصورة عمله وصورة اعتقاده وصورة مقامه وصورة حاله وصورة رسوله وصورة الملك وصورة اسم من أسماء الافعال وصورة اسم من أسماء الصفات وصورة اسم من أسماء النعوت وصورة اسم من أسماء التنزيه وصورة اسم من أسماء الذات * فأما الذى يتجلى له علمه عند الموت فقد قال الشيخ محيى الدين المراد به علمه بالله تعالى والعلماء بالله تعالى رجلان رجل أخذ علمه بالله تعالى عن نظر واستدلال ورجل أخذ علمه به عن كشف ومعلوم أن صورة علم الكشف أتم وأكمل وأجمل فى التجلى من صورة النظر والاستدلال لما يطرقهما من الشبه وكلا الصورتين لابد أن يفرح بهما العبد فان صحبه فى علمه دعوى نفسه كان صورة علمه دون صورة علم من لم يصحبه دعوى فتفاوت الناس فى جمال صورة التجلى يكون على قدر نياتهم * وأما الذى يتجلى له عمله عند الموت فيكون فى صورة حسنة أو قبيحة لابد له من ذلك والحسن والقبح على قدر ما أنشأه العامل من الكمال والنقص فان كان أتم عمله كما أمر ولم ينقص شيأ من أركانه وشروطه وآدابه رآه فى أحسن صورة وكان براقا وحمله يسرى به عليه الى أعلى عليين وان كان انتقص شيأ من أركانه وشروطه وآدابه رآه فى أقبح صورة وهوى به الى سجين وعباد الله على طبقات فى العمل فمنهم من عمله حسن ومنهم من عمله أحسن ومنهم من عمله جميل ومنهم من عمله أجمل * وأما الذى يتجلى له صورة اعتقاده فهو بحسب ما كان عليه فى دار الدنيا فينظره من خارج كما يرى جبريل فى صورة دحية وتزيد صورة اعتقاده حسنا وجمالا بحسب دلوله المشاهد * وأما الذى يتجلى له صورة مقامه فهو الذى لحق بدرجة الارواح النورية فيظهر له مقامه فيعرفه معرفة لا يدخلها شك ولا ريب فهو اما حزين واما فرح مسرور والغالب على كل من مات مسلما الفرح والسرور * وأما من يتجلى له حاله فهو اما منقبض واما منبسط فاذا مات على حاله كان بحسب ميزان الشرع فان كان انبسط فى محل كان الادب به فيه القبض قضاه فى البرزخ فلا يزال مقبوضا بقدر ما فرط * وأما من يتجلى له رسوله فهو خاص بورثة الرسل فان العلماء ورثة الانبياء فتارة يرى هذا عيسى عند احتضاره وتارة يرى موسى أو ابراهيم أو محمدا أو أى نبى كان على جميعهم أفضل الصلاة والسلام فمن الناس من ينطق باسم ذلك النبى الذى ورثه عندما يأتيه فرحا به لكون الرسل كلهم سعداء فيستبشر عند رؤية ذلك النبى بالسعادة فيقول عند الاحتضار عيسى أو المسيح وهو الاغلب فيسمع الحاضر ون ذلك فيسيؤن به الظن ويعتقدون انه تنصر عند الموت وسلب دين الاسلام وكذلك يظنون من نطق باسم موسى انه تهود وليس كذلك انما ذلك الناطق من أكبر السعداء عند الله تعالى وهذا أمر لا يعرفه الا أهل الكشف وأما من يتجلى له الملك فهذا الملك هو ملكه الذى شاركه فى المقام فان فيهم الصافين والمسبحين والتالين الى غير ذلك من المقامات فينزل الى ذلك الشخص صاحب هذا المقام مؤنسا وجليسا فربما يسميه عند الموت باسمه وينال وجهه لكن هذا لا يكون للعامة وانما ذلك لاهل الاختصاص الخارجين عن دائرة التلبيس وأما العامة فتسفر وجوههم عند رؤية ذلك الملك وتسود وذلك لغلبة الاحوال النفسانية عليهم فى أعمالهم وأحوالهم وعلومهم * وأما من يتجلى له اسم فهو الاسم الذى كان غالبا عليه من أسماء الافعال كالخالق بمعنى الموجد والبارى والمصور والرازق والمحيى وكل اسم يطلب فعلا فان كان بذل جهده فى أعمال حضرة ذلك الاسم تجلى له فى أحسن صورة وكان من لازمه السرور والفرح وان كان دخله فى تلك الاعمال كسل أو غفلة أو فتور كان فى صورة متهمة وكل صورة تخاطب العبد بحسب حاله

واعلم انه لو كان نسبتنا اليه حقا ما ذم أحد خلقا ولو ذمه لكفر ولو كان ما استقر فهو تعالى المعروف بأنه غير معروف والحق الذى يقال ما قبح وذم فمنا وما حسن وحمد فمنا خرج عنا * وقال العارف مسود الوجه فى الدنيا والآخرة لكن اسوداد السيادة لما كان عليه من العبادة فان وجه الشئ كونه وذاته وعينه * وقال فى قوله وقل رب زدنى علما الانسان مجبول على الطمع فلا يقال فيه يوما انه قنع فان قنع فقد جهل وأساء الادب ومن هنا كان العارف لا زهد قط فى الطلب وما أراد منك ذلك الادوام الافتقار فى الليل والنهار فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب ولا يتقبل الحق من العباد الا عبادة عليهم جاء فيه بدا الجود واليه يعود فيامن يطلب القديم أنت عديم يقل لربك انما نحن بك ولك خلقتنا لنعبدك وفى عباد تنا نشهدك ثم على قدر ما سألنا من الشهادة تنقصنا من العبادة * وقال لا يؤثر الحرص فى القدر الا اذا كان من القدر وكم من حريص لم يحصل على طائل لعدم الامر من القائل من قصرت همته عن طلب المزيد فليس من كمل العبيد لا تستكثر ما وهبك الحق فانه لو وهبك كل ما دخل فى الوجود لكان قليلا بالنظر الى ما دخل فى خزائن الجود فاياك والزهد فى المواهب فانه سوء أدب مع الواهب فانه ما وهبك الا ما خلق لك * وقال لما علم الا كابر ان الامور كلها فى يديه اعتمدوا منه عليه فعلموا ان الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ولو ارتفعت الحاجات وزالت الفاقات لبطلت الحكمة وتراكمت الظلمة ولاحت الاسرار وزال كل شئ عنده بمقدار وذهب الاعتبار وهذا لا يرتفع فلا بد من الاعتماد

فان كان عمله كاملا خاطبته تلك الصورة وهي في غاية الحسن وتقول له انا ذكرك فيسر وان كان عمله ناقصا خاطبته صورته وهي في أقبح صورة فتقول له أنا ذكرك فيحزن ويقاس على ذلك بقية الاعمال اه (فان قلت) فما معنى قول الامام على بن أبي طالب رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا هل المراد بالغطاء الذي ينكشف غطاؤه رضي الله عنه أو غطاء غيره فانه رضي الله عنه كان كامل الايمان بلا شك وكامل الايمان الغائب عنده كالحاضر على حد سواء (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الستين وثلثمائة ان المراد بذلك الغطاء الذي ينكشف هو غطاؤه واذا لا بد من مزيد كشف غطاء لكل طائفة عند الموت لانه رضي الله عنه أثبت ان ثم غطاء ينكشف وقوله ما ازددت يقينا يعني في علم اليقين ان كان ذا علم أو في عينه ان كان ذا علم عين أو في حقه ان كان ذا علم حق لانه لا بد ينكشف الغطاء أمر لم يكن عنده اذ لو كان كذلك لكان كشف الغطاء في حق من هذه صفته عبثا معرى عن الفائدة فلم يكن الغطاء وراءه أمر عدمي وانما هو وجودي وبالجملة فجميع الاغطية تنكشف عند الموت ويتبين الحق لكل أحد ولكن ذلك الانكشاف لا يعطي صاحبه سعادة فهو كايمان أهل البأس لا ينفع صاحبه ولكن هذا في حق العامة اما الخاصة من أهل الكشف والشهود فينتقلون من عين اليقين الى حق اليقين كما ان أهل العلم ينتقلون من علم اليقين الى عين اليقين وما سوى هذين الرجلين فينتقلون من العمى الى الابصار فيشاهدون الامر عند كشف غطاء العمى عنهم لا عن علم تقدم اه وتصريح الشيخ بأن ايمان أهل البأس لا ينفع صاحبه فيه ايماء الى انه لا يقول بقبول ايمان فرعون لانه انما آمن عند البأس والله أعلم *(خاتمة)* (ان قلت) ما المراد بقولهم العارفون لا يموتون وانما ينقلون من دار الى دار (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة ان المراد به ان من مات الموت المعنوي بمخالفة نفسه حتى لم يبق له مع الله تعالى اختيار ولا ارادة لا يعظم تألمه عند طلوع روحه لانه عجل بموت نفسه حين قتلها بسيف المجاهدة وأما من وافق نفسه في هواها وشهواتها فيشتد عليه الالم عند الموت لاجتماع تلك الآلام التي فاتته حين لم يجاهد وايضاح ذلك ان أهل الله تعالى لما علموا ان لقاء الله لا يكون الا بالموت وعلموا معنى الموت استعجلوه في الحياة الدنيا فماتوا في حين حياتهم عن جميع حركاتهم وارادتهم فلما ظهر عليهم الموت في حياتهم التي لا زوال لهم عنها حين رد عليهم حيث كانوا لقوا الله تعالى فاتهم وكان لهم حكم من يلقاه محبا للقائه فاذا جاءهم الموت المعروف في العامة وانكشف عنهم غطاء هذا الجسم لم يتغير عليهم حال ولا ازدادوا يقينا عما كانوا عليه فما ذاقوا الا الموتة الاولى وهي التي ماتوا في حياتهم فوقاهم ربهم عذاب الجحيم فضلا من ربهم والى هذا الموت المعنوي الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى ميت يمشي على وجه الارض فلينظر الى أبي بكر رضي الله عنه أي لانه رضي الله عنه كان ميتا في حياته عن حركاته وسكناته النفسانية كلها لمذهب تحقق التسليم لله تعالى جميع ما عنده مما فيه رائحة اعتراض ما نفساني فكان مع الله تعالى في حال حياته كحاله معه في حال عدمه اه وقال في الباب الثاني والثمانين ومائتين اعلم أن من صار حكمه حكم الميت في عدم التصرف فهو في مقام الكمال حقه فان الميت لا يتصور منه منع ولا اباية ولا جحد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم لله تعالى فهو حي في الاعمال الظاهرة ليقوم بالامر والنهي ميت بالتسليم لموارد القضاء راض بالقضاء لا بالمقضي والله تعالى أعلم

(المبحث الثاني والستون في بيان ان النفس باقية بعد موت جسدها منعمة كانت أو معذبة وفي فنائها عند القيامة تردد للعلماء وبيان ان أجساد الانبياء والشهداء لا تبلى)

اعلم أن العلماء اختلفوا في فناء النفس عند القيامة واتفقوا على بقائها بعد موت جسدها وكان الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله يقول الاظهر أن الروح لا تفنى أبدا لان الاصل في بقائها بعد الموت استمراره أي

في العبادات العبودية تطلب بذاتها الربوبية حقيقة وخليقة * وقال ما عجب الرجال الا وجود الامثال ولهذا نفى الحق المثلية عن نفسه تنزيها لقدسه وكل ما تصورته أو مثلته أو خيلته فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك هذا عقد الجماعة الى قيام الساعة * وقال كيف يصح المزيد بالتحميد والتمجيد والله تعالى قد أعطى كل شيء خلقه ووفاه حقه فعين الشكر هو عين النعم والناس في غفلة معرضون وأكثرهم لا يشكرون * وقال الدنيا متاع قليل وكل من فيها أبناء سبيل فما من جليل ولا قليل الا وهو ملك للقطمير والنقير والفتيل فأكثر الناس تاهوا واهتدوا بالتاهه ليس في الكثرة زيادة الا في عالم الشهادة وأما في عالم الغيب فما في التساوي ريب من رضي بالقليل عاش في ظل ظليل وكل ما في الوجود قليل ومن لم يأته غرضه طال في الدنيا مرضه * قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه فالرضا متلازمة * وقال لا يرضى بالقليل الا من لا يعرف دبيرا من قبيل اعتناء الحق بالحقير يدل على أنه كبير لا يخفى عن ذي عينين ان لله عناية بكل ما في الكونين واخراج الشيء من العدم الى الوجود برهان على أنه في منازل السعود من طلب من الحق الوفاء فقد ناط به تعالى الجفاء وليس برب جاف بلا خلاف واذا كان الكل منه فما معنى رضي الله عنهم ورضوا عنه كل ما في العالم لديه وحاضر بين يديه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول وما كل فريضة تقتضي العول كما البقاء لا ينكح الامة الا من لم يجد الطول * وقال ما حال بينك وبين حقك الا عجلتك بنعاتك فان الرزق مقسوم لا ينقص ولا يزيد بسؤال أحد من العبيد

البقاء فيكون من المستثنى بقوله الا من شاء الله كما أولا ذلك في الحور والعين * وقال بعضهم انما اتفق عند النفخة الاولى كغيرها توقيفية لقوله تعالى كل من عليها فان ورجحه الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور ولكنه قال المراد بفنائها عند الصعق الاخروي خمودها فقط قال وذلك هو حظها من الموت والفناء اللازم لصفة الحدوث فمن رآها في كشفه الصوري حال خمودها قال انها ماتت ومن أعطاه الله علم حقيقتها قال انها نائمة * قال والذي كشف لي أيضا ان الطائفة الذين لا يصعقون عند النفخة يموتون أيضا بعد ذلك بأمر الله تعالى تحقيقا للوعد وتمييز الصفة القدم من الحدوث وعليه يحمل قوله تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد لانه ما ثم حي ينطق فيقول الله تعالى رادا بنفسه لنفسه لله الواحد القهار قال وذهب قوم الى ان الطائفة الذين لم يصعقوا عند النفخة الاولى لا يموتون أيضا لان الله تعالى أنشأهم على حقائق لا تقبل الموت كالمخلوقات التي خلقها الله تعالى للبقاء وعلى هذا تخصيص عدم الاجابة المذكورة بمن صعق أي فلا يجيبه أحد ممن صعق أو ممن خمد اه (فان قلت) فما الصحيح في عجب الذنب (فالجواب) المشهور من القولين انه لا يبلى لحديث الشيخين ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية لمسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية للامام أحمد وابن حبان قيل وما هو يا رسول الله قال مثل حبة خردل منه ينشؤن قال العلماء وهو في أسفل الصلب عند رأس العصعص يشبه في المحل محل أصل الذنب من ذوات الاربع * وقال المزني رحمه الله الصحيح انه يبلى كغيره قال تعالى كل شئ هالك الا وجهه وتأول الحديث بأنه لا يبلى بأكل التراب له وانما يبلى بلا تراب كما يميت الله ملك الموت بلا ملك موت اه ووافق المزني على ذلك ابن قتيبة وقال انه آخر ما يبلى من الميت ولم يتعرضا لوقت فنائه هل هو عند فناء العالم أو قبل ذلك وهو محتمل وروى الطبراني وغيره مرفوعا المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه فان مات لم يدود أي لم يأكله الدود قال في النهاية وكان الشيخ محيي الدين رحمه الله يقول في قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه المراد بالوجه هنا حقيقة الشئ الثابتة في علم الله عز وجل وهذه لا يصح فناؤها في العلم الالهي لانها معلوم علم الله عز وجل وكان سيدي علي بن وفا رحمه الله يقول في قوله تعالى ويبقى وجه ربك المراد به العمل الصالح كما اذا عمل العبد عملا صالحا ولم يخالط معه نوعا من الرياء فوجه الحق تعالى هو الشق الخالص ووجه غير الرب هو ما أريد به غير الله فما كان لله فهو باق وما كان لغيره فهو فان اه * (خاتمة) * يستثنى من بلاء الاجساد أجساد الانبياء والشهداء في قتال الكفار بشرطه ويلحق بهم من خالطت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشاشته حتى سرت في جسمه سريان الماء في العود وكذلك من يأكل الحلال الصرف الذي لا يخالطه شبهة كما شاهدنا ذلك في الشيخ نور الدين الشوني شيخ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي جدي الشيخ علي رحمه الله أما الشيخ نور الدين الشوني فنزلت بعد سنة وتسعة أشهر فوجدته طريا كما وضعناه وكنت رأيت له رؤيا قبل أن يموت وذلك أني سمعت قائلا يقول من أراد أن يزور النبي صلى الله عليه وسلم فليزره في المدرسة السيوفية عند الشيخ نور الدين الشوني فمضيت اليه فوجدت على بابها الاول أبا هريرة وعلى الباب الثاني المقداد بن الاسود وعلى الباب الثالث الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فقلت للامام علي رضي الله عنه أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ها هو جالس على التخت داخل تلك الخلوة فوقفت على بابها فوجدت الشيخ نور الدين هو الجالس فقلت له أين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبسم وصرت أطالب النبي صلى الله عليه وسلم فظهر لي وجهه في وجه الشيخ نور الدين فما زال النور ينتشر من جهة جبهة الشيخ نور الدين الى أصابع رجليه فخفي الشوني وظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقصصت هذه الرؤيا على الشيخ فقال يا ولدي ما سررت في عمري كله بشئ مثل هذه الرؤيا وان

مع ان طلب المزيد مركوز في الجبلة في كل علة ومعلول وما جعل القضاء تأخر الا القضاء المقدر لو كانت علة في الازل لكان المعلول لم يزل فلا معلول ولا علة وقد تظهر الشبه في صورة الادلة البراهين لا تخفى فانما اقوية السلطان وانما الخطأ راجع الى المبرهن واذا كان الدليل لا يعرف الا بالدليل فما الى علمه من سبيل من علمته به معلوما وجهلته فما علمته لانك ما علمته به فانتبه (وقال) الموت للمؤمن تحفة والنعش له محفة لانه ينقله من الدنيا الى محل لا فتنة فيه ولا بلوى فليس بخاسر ولا مغبون من كان أمله المنون فان فيه اللقاء الالهي والبقاء الكوني * وقال الحصاد في القبر والبيدر في الحشر والاختزان في الدار الحيوان ذبح الموت وان كان حسرة ففيه بشرى بانقطاع الكرة أي الردة في الحافرة من قوله وننشئكم فيما لا تعلمون ذبح الموت علامة للخلود في النحوس والسعود وفي ذبحه ثبوت عزله وانتقاض غزله * وقال ان لله تعالى رجالا يساقون الى الجنة بالسلاسل لعناية سبقت وكلمة حقت وصدقت فدخلوا الجنة بلا تعب ولا نصب ولا جدال ولا شغب * وقال من أعجب ما في البلاء من الفتن قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم وهو العالم بما يكون منهم فافهم واذا فهمت فاكتم وان سئلت فقل الله أعلم العالم في أوقات يتجاهل وعن الجاهل يتغافل والله ليس بغافل وهو محكم في جميع المحافل فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين * وقال اذا ربط تعالى مشيئته بلو فهو تو لو شاء الله كذا وما شاء ولو شاء اصح المشاء ولو حرف امتناع لامتناع فكيف يستطاع ما لا يستطاع اذا تنوع الواحد فليس بواحد ولا بد من أمر زائد وليس العجب عند العلم الا تنوع ارادة القديم * وقال دليل

صح منامك ياولدى لا يبلى لى جسد فكان الامر كما ذكرناه وأما جدى رضى الله عنه فكان يبالغ فى الورع ويقول من أحكم أكل الحلال الصرف لم يبل له جسد وكان لا يأكل قط طعام أحد من مشايخ البلاد ولا طعام قاض ولا طعام مباشر ولا طعام أحد لا يتورع وكان لا يأكل فراخ حمام الابراج لانه كلها من زرع الناس وترك آخر عمره أكل العسل النحل لما أخبره أهل برشوم الصغرى ان نحل بلده يتعدى البحر ويأكل زهر فواكههم فلما مات دفنوا والدى بجانبه بعد احدى وعشرين سنة فوجدوه طريا كما وضعوه هكذا أخبرنى الذى دفنه ودفن الوالد والله تعالى أعلم

(المبحث الثالث والستون فى بيان ان الارواح مخلوقة وانها من أمر الله تعالى كما ورد وكل من خاض فى معرفة كنهها بعقله فليس هو على يقين من ذلك وانما هو حدس بالظن)

ولم يبلغنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم على حقيقتها مع انه سئل عنها فنمسك عنها أدبا ولا نعبر عنها بأكثر من موجود كما قاله أبو القاسم الجنيد وغيره وعبارة الجنيد رحمه الله الروح شئ استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا يجوز لاحد البحث عنه بأكثر من أنه موجود واليه ذهب أكثر المفسرين كالثعلبى وابن عطية وقال جمهور المتكلمين انه جسم لطيف مشتبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر وقال كثير منهم انها عرض وهى الحياة التى صار البدن بوجودها حيا واليه مال القاضى أبو بكر الباقلانى ويدل للاول وصفها فى الاخبار بالهبوط والعروج والتردد فى البرزخ قاله السهروردى وهذا شأن الاجساد لا الاعراض اذ العرض لا يوصف بهذه الاوصاف وقال كثير من الصوفية انها ليست بجسم ولا عرض بل هو جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز وله تعلق خاص بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فى البدن ولا خارج عنه وهذا رأى الفلاسفة وهو كلام ساقط والذى ظهر لى أن العبد يقدر أنه يطلع على كنه الروح لا يستطيع أن يعبر عنها بعبارة تؤدى السامع الى معرفة كنهها الا ان الحق تعالى جعلها رتبة تعجيز لنا ليقول أحدنا لنفسه اذا كنا نعجز عن معرفة حقيقة ذاتنا فنحن بذاته تعالى أعجز وأعجز حتى لا نخوض بالفكر فى الذات فاننا اذا كنا نعجز عن معرفتها وحدها مع كونها مخلوقة ومن أقرب الاشياء الينا فكيف نعرف خالقنا فافهم وفى كلام الامام على رضى الله تعالى عنه من عرف نفسه عرف ربه قال بعضهم أى لانه لا يمكن لاحد معرفة نفسه فلان الحق تعالى جعل النفس رتبة تعجيز لنا بيننا وبين معرفة ذاته كانه تعالى يقول اذا عجز الانسان عن معرفة نفسه مع كونها مخلوقة ومن أقرب الاشياء اليه فكيف يعرف من لا شبيه له ولا نظير ولا يجتمع مع عباده فى حد ولا حقيقة اهـ قال الكمال بن أبى شريف فى حاشيته فان قيل كيف خاض الناس فى معنى معرفة الروح وهو باب أمسك عنه الشارع فالجواب من وجهين * الاول انه انما ترك الجواب تفصيلا لاجل قول اليهود فيما بينهم ان لم يجب عنها فهو صادق لان ذلك عندهم من علامات نبوته فكان تركه صلى الله عليه وسلم الجواب عن الروح تصديقا لما تقدم فى كتبهم من وصفه بذلك * الثانى ان السؤال كان سؤال تعجيز وتغليط وتعنت واذا كان السؤال على هذا الوجه فلا يجب الجواب عنه فان الروح أمر مشترك بين روح الانسان وبين جبريل وملك آخر يقال له الروح ويقال أيضا لصنف من الملائكة وللقرآن ولعيسى بن مريم فلو انه صلى الله عليه وسلم كان أجاب بواحد منها لقالت اليهود لم نرد هذا تعنتا منهم وأذى له صلى الله عليه وسلم فلذلك جاء الجواب مجملا على وجه يصدق على كل من معانى الروح اهـ كلام الاصوليين * وقال الشيخ محيى الدين فى لواقح الانوار انما كانت الروح من أمر الله لانها وجدت عن خطاب الحق تعالى بغير واسطة قال لها كونى فكانت كما قال فى عيسى عليه السلام انه روح الله لانه وجد عن نفخ الحق تعالى كما يليق بجلاله من غير

المعقول فدع خلاف ما صح عنده من المنقول اياك واتباع المتشابه أيها الواله فما يتبعه الا الزائغ وما يترك تأويله الا العاقل البالغ فان جاءه من ربه فى ذلك الشفا فهو المعبر عنه بالاصطفى (٢٨٢) *وقال لو راقب الناس مولاهم فى دنياهم لامنوه فى أخراهم ومن ارتفع فى هذه الدار سقط وهذا وقع الغلط * وقال ذبح النفوس أعظم فى الالم من الذبح المحسوس ومخالفة الآراء أعظم فى الشدة من مقابلة الاعداء ومجانبة الاغراض غاية الامراض ومن فاز بمخالفة نفسه سكن حضرة قدسه * وقال السيد خادم فهو فى طاعة عبده قائم السيد أحق باسم الخادم من الغير لان بيده جميع الخير يحكم فى عبده لعبده فهو يحكم عبده لو حكم لنفسه لبقى فى قدسه لا تمكن من الملوك لان الالام لولا من صحت سيادته مع تعبه وكبر والله نصيبهم لازم وغم دائم وانه لو ترك خدمة عبده انعزل وكان ممن عصى المرتبة فزل كالحاكم راع ومسؤل عن رعيته * وقال اذا مزحت فقل ولا تعال ومازح العجوز وذا النغير ولا تقل الا الخير كما قال الشارع يا أبا عمير ما فعل النغير وقال العجوز لا تدخل الجنة لرده تعالى عليها شبابها وان لم يكن المزح هكذا فهو أذى والاذاية من الكريم محال ولولا صلابة الدين ما كان من المازحين لانه يذهب بالهيبة والوقار عند المطموسين الابصار ألا تنظر الحرب العباد فى قصة هناد حين أخرجه واستدرجه الى ان قال له أتهزأ بى وأنت رب العالمين فانحكه وهذا القول كان المقصود من الله به ولهذا مزاح أهلكه بل أعماه وخوله وما ملكه فسر بهذا الحقيقة فى كل طريقة ولو لم يصح بها واسطة النعيم ما اتصف به النبى الكريم * وقال لا تفرط فى الرخاوة تكن غشاوة وهى مذمومة كالقساوة مع ان الرخاوة فى الدين من الدين وانما امتن الله

واسطة قال تعالى انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه قال وقد ذهب الغزالى الى أن معنى قوله تعالى قل الروح من أمر ربى أى من غيبه فان عالم الامر هو عالم الغيب وعالم الخلق هو عالم الشهادة قال والامر عندنا بخلاف ماقاله الغزالى رحمه الله وذلك انا نقول كل ما أوجده الحق تعالى بلا واسطة فهو من عالم الامر أى قال له الحق كن فكان وله وجه واحد الى الحق وكل ما أوجده بواسطة فهو من عالم الخلق وله وجهان وجه الى الحق ووجه الى سببه الذى وجد عنه فتارة يدعوه الحق من الوجه الخاص وتارة يدعوه من وجه سببه لتفاصيل وحكم بالغة اهـ وقال فى الباب الرابع والستين ومائتين من الفتوحات اعلم أن اليهود لما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم لم يسألوه عن ماهية الروح وانما سألوه عن الروح من أين ظهر وفهم بعض المفسرين ان ذلك سؤال عن الماهية وليس كذلك فان اليهود لم يقولوا له صلى الله عليه وسلم ما الروح وان كان السؤال بهذه الصيغة محتملا لكن قد قوى الوجه الذى ذهبنا اليه ماجاء فى الجواب من قوله من أمر ربى ولم يقل هو كذا وكذا وقد سمى الله تعالى الوحى روحا فى قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا اهـ (فان قلت) فما المراد بحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجسام بألفى عام (فالجواب) مراده بالخلق هنا التقدير والتعيين أى قدر الارواح وعين لكل جسم وصورة روحها المدبر لها الموجود بالقوة فى الروح الكل المضاف اليه فيظهر ذلك بالتفصيل عند النفخ ومثال ذلك صاحب الكشف يرى فى المداد الذى فى الدواة جميع مافيه من الحروف على صورة مايصوره الكاتب أو الرسام فيقول فى هذا المداد من الصور كذا وكذا صورة فاذا جاء وقت الكتابة أو الرسم وكتب من ذلك المداد لم يزد حرفا عما قاله المكاشف ولم ينقص ذكره الشيخ فى الباب الثالث والسبعين وثلثمائة * وقال فى الباب الثانى والسبعين من الفتوحات انما كان الروح من أمر الرب جل وعلا لانه لم يوجد عن خلق وانما أوجده الله تعالى بلا واسطة ولا يطلع على كنه ذلك الا من شاء الله من الاصفياء اهـ * وقال فى الباب السابع والستين ومائتين انما تفاضلت النفوس من حيث القوابل والا فهى من حيث النفخ الالهى غير متفاضلة فلها وجه الى الطبيعة ووجه الى الروحية المحضة فلذلك قلنا مرارا انها من عالم البرزخ كالافعال المعلولة سواء فانها من حيث نسبتها الى العبد مذمومة ومن حيث كون الحق تعالى خالقها لايقال مذمومة فان أفعاله كلها محمودة اهـ وقال فى الباب الثامن والستين ومائتين انما قال تعالى فى آدم ونفخت فيه من روحى بياء الاضافة الى نفسه لينبه على مقام التشريف لآدم وفيه من الاعتبار كأن الحق تعالى يقول لآدم انك شريف الاصل فاياك أن تفعل مايخالف أصلك من أفعال الاراذل اهـ وقال فى الباب الثامن والسبعين ومائتين اعلم انه لا رياسة عند الارواح ولا تذوق لها طعما وانما هى خاضعة لبارئها على الدوام اهـ * وقال فى الباب التاسع والتسعين ومائتين ليس للروح كمية فيقبل الزيادة فى جوهر ذاته وانما هو فرد ولولا ماهو عاقل بذاته ماأقر بربوبية خالقه عند أخذ الميثاق منه اذ لا يخاطب الحق تعالى الا من يعقل عنه خطابه وهذا هو حقيقة الانسان فى نفسه وأطال فى ذلك ثم قال فعلم ان الله تعالى خلق الروح كاملا بالغا عاقلا عارفا بتوحيد الله مقرا بربوبيته وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها كما أشار اليه خبر كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فذكر الاغلب وهو وجود الابوين والذى يربيه هو له بمنزلة أبويه * وقال الشيخ فى الباب السادس والعشرين وثلثمائة اعلم أن كل مقيد بصورة من جميع العالم روحا الهيا ملازما له وبه كان مسبحا لله عز وجل فمن الارواح مايكون مدبرا لتلك الصورة لكونها تقبل تدبير الارواح لها وهى كل صورة تتصف بالحياة الظاهرة وبالموت فان لم تتصف بالحياة الظاهرة والموت فروحها روح تسبيح لا روح تدبير وأطال فى ذلك ثم قال وماثم أعرف بالله تعالى من أرواح الصور التى لاحظ لها فى التدبير

تعالى على نبيه بجعله من أهل اللين فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقوله لانفضوا من حوله واذا كانوا مع العفو واللين لا يقبلون فكيف مع الشدة والفظاظة لا ينفرون الا نفى يتقى ضيرها مع أنه يرجى (٢٨٣) خيرها اذ هى من جملة عقاقير الترياق الذى يرد النفس اذا بلغت التراق ومع ذلك فما أمام خيرها بشرها فاعتبروا يا أولى الابصار * وقال من استحيا أمات وأحيا من لا يكون لامر يدلا يستحى من العبد وان استحيا فى حال ماذا طالب الاسم المسمى لولا التكليف ماظهر فضل العفيف واذا كانت القوة مخصوصة باللطيف فكيف يحجبه الكثيف * وقال الرفيق رفيق وصحبة الرفيق الاعلى أولى وقد اختار هذا الرفيق من أبان الطريق فانه خير فاختار ورحل عنا ومار وذلك ليلحق بالمتقدم السابق ويلحق به المتأخر اللاحق ولعله انه لابد من الاجتماع اختار الخروج من الضيق الى الاتساع ألا ترى يونس لما نادى ربه نجاه من الغم وكان فى بطن الحوت فقذفه على ساحل اليم وأنبت عليه اليقطين لنعومته ونفرة الذباب عن حومته فهذا الغزل الدقيق من اشفاق الرفيق * وقال الحادث لايخلو عن الحوادث لو حل بالحادث الذكر القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لايحل ولا يكون محلا ذكر القرآن أمان وبه يجب الايمان أنه كلام الرحمن مع تقطع حروفه فى اللسان ونظمها فى مارقه بالبراع البيان فحدثت الالواح والاقلام وما حدث الكلام وحكمت على العقول الاوهام بما عجزت عن ادراكه الاحلام * وقال الذكر القديم هو ذكر الحق وان نطق به الخلق كما ان الذكر الحادث مانطق به لسان الخلق وان كان هو كلام الحق اذا كان الحق تعالى لسان العبد فالذكر قديم ومزاحمه بالعدمن

وهى أرواح الجماد ودونها فى الرتبة أرواح النبات ودونها فى الرتبة أرواح الحيوان ودونهم أرواح المتمردين من الانس أما الصالحون فانهم اعلى من معرفة أرواحهم على اختلاف طبقاتهم من أنبياء وأولياء ومؤمنين اختصاصا الهيا انتهى * وقال فى الباب الثامن والخمسين وثلثمائة اعلم انه لاحظ للروح السعيد فى الشقاء فى الدنيا والآخرة وأطال فى ذلك * وقال فى الباب السادس والاربعين وثلثمائة مما غلط فيه جماعة قولهم ان الروح احدى العين فى أشخاص نوع الانسان وان روح زيد هى روح عمرو وهؤلاء لم يحققوا النظر على ماهو الامر عليه وشبهتهم فى ذلك كونهم رأوا ان الحق تعالى لما سوى جسم العالم وهو الجسم الكلى الصورى فى جوهر الهباء المعقول قبل قبض الروح الالهى الذى كان منتشرا غير معين اذ لم يكن ثم من يعينه وهى جسم العالم به ضمن جميع أجسام شخصياته فقاس على ذلك انه تعالى ضمن روحه أرواح شخصياته وربما استند الى قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وغاب عن هؤلاء أنه كما لم يكن صورة جسم آدم صورة جسم كل شخص من ذريته وانما كانوا متفرعين عنه فكذلك لم يكن كل روح فى العالم هى عين الروح الاخرى وأطال فى ذلك ثم قال ولا يخفى أن من قال بتناسخ الارواح فهو كافر عندنا والله اعلم *(خاتمة)* فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف اعلم انه لا يعرف معنى هذا الحديث حقيقة الا من شهد من طريق كشفه أخذ الذرية من ظهر آدم وذلك مشهد أقدس قل من يشهده لانه خاص بالافراد كسهل ابن عبد الله التسترى وأبى يزيد البسطامى واضرابهما فكانوا يقولون لم نزل نشهد تلامذتنا وهم نطف فى الظهور ومن أخذ الله الميثاق على الذرية وهم فى صلب آدم قالوا ولم نزل نراعى تلامذتنا حتى وصلوا الينا ونعرف ذلك اليوم من كان عن يميننا ومن كان عن شمالنا قالوا ولما جمع الله تعالى الذرية فى تلك الحضرة على وجه التمثيل فما كان وجها لوجه هنالك تعارفوا هنا وائتلفوا وما كان ظهرا لظهر تناكروا وتعادوا واختلفوا وما كان وجها لظهر فصاحب الوجه يحب وصاحب الظهر لا يحب وكذا الحكم فيما كان جنبا لجنب أوجنبا لوجه أوجنبا لظهر يكونون فى هذه الدار بحكم ما كانوا هنالك والله تعالى أعلم

(المبحث الرابع والستون فى بيان ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه وجميع ماورد فيه حق خلافا لبعض المعتزلة والروافض)

فاما سؤال منكر ونكير فقال أهل السنة انه يكون لكل ميت سواء كان فى قبره أوفى بطون الوحوش أوالطيور أومهاب الريح بعد أن أحرق وذرى فى الريح قال الجلال المحلى رحمه الله ويكون عذاب الله تعالى للكافرين ولمن شاء الله تعذيبه من الفاسقين فقط فترد روح المعذب الى جسده كله أومابقى منه فانه لا يمتنع احياء بعض الجسد وان كان ذلك خلاف العادة لان خرق العادة غير ممتنع فى مقدور الله عز وجل قال الكمال فى حاشيته وقول أهل الاصول ان سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونعيمه حق جرى على الغالب والا فالحق ان ذلك لا يختص بالقبر المعروف فيحس بالعذاب من أكله السمك والسباع وغير ذلك فقولهم لكل مقبور لا مفهوم له ومما أوقعهم فى التعبير بالقبر قوله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الميت فى قبره أتاه ملكان الحديث قالوا ويجوز اعادة الحياة لجزء واحد ووقوع السؤال على وجه لا يشاهد لان أحوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا كما ان روح النائم تشاهد أشياء لا يشاهدها اليقظان الذى هو فى جانبه قالوا ويستثنى من فتنة القبر الشهيد لحديث مسلم فى ذلك وافقه كفى ببارقة السيوف على رأسه شاهدا قال الجلال المحلى رحمه الله ولعل سكوت بعضهم عن استثنائه كون المسئلة قطعية ودليل استثنائها

قسمين ان الله تعالى قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده فافهم * وقال لولا الحواس ما ثبت القياس ولا شك أن الامور كلها معلولة والكيفية من الله مجهولة انفرد بعلم العلل فاصله الابد من الازلـيات المثلات باهل التفكر فى المحدثات لانه لابد من وجه جامع بين الدليل والمدلول فى قضايا العقول والحق لا يدرك بالدليل فليس الى معرفته سبيل وقد دعانا الى معرفته وما دعانا الا صفته فلابد من صفة تتعلق بها المعرفة وما ثم فى العقل الا صفة تنزيه والنقل ضم معها صفة التشبيه فعلى ماهو المعول الآخر أو الاول * وقال الفتى لا يقول قط متى بل يبادر الوقت خوف الفوت لانه الولى والولى الفتى من كان على قدم حذيفة فى علم السر * وقال ما فتى من زعم انه فتى الفتى هو الكليم ولكن أين رتبة كلام الحق له من اتباعه الخضر طالبا للتعليم الفتى من لا يزال طالبا ومن الجهل هاربا * وقال الغيور سريع النفور فيخطئ أكثر مما يصيب والحق أغير منه فكيف لا تأخذ عنه فرق تعالى بين النكاح والسفاح حتى تميز الارواح والزنا لابد فى الوجود منه وقد قال لصاحبه استتر منه وصنه هذا مع انه يعلم به ويراه وقدره وامضاه ثم مع ذلك نهاه فهو وان استتر عن أبناء جنسه فما استتر عن هو أقرب اليه من نفسه * وقال الامر بين قرنين وما جعل الله لرجل فى جوفه من قلبين لكن جعل لكل قلب وجهين لانه تعالى خالق من كل زوجين اثنين فبنى الجمع على الشفع وما ثم الاوتر به الحق وهذا اسرار ما عليها غبار وان عميت عنها الابصار والهالاشارة بنعم عقبى الدار وأنت الدار وعليك المدار * وقال القرآن أحق بالتعظيم من السلطان لان القرآن لا يجور والسلطان قد يجور فلا يحجبك عما قلناه ان الله يزع بالسلطان

ظني لانه خبر آحاد انتهى وقول الجلال المحلي السابق فترد روح المعذب الى جسده كله أو ما بقي منه اشارة للخلاف في ذلك فان الحليمي يقول ترد الروح الى جسده كله وابن جرير الطبري وامام الحرمين يقولون ترد الروح الى ما بقي منه وقولنا أول المبحث خلافا لبعض المعتزلة والروافض المراد بالروافض الجهمية وحجتهم في انكار عذاب القبر عدم مشاهدتهم لتألم الميت وقالوا لو وضع على بطن الميت شيء زمانا لم يقع فلو انه تحرك للعذاب أو غيره لتحرك ذلك الشيء عن مكانه فكيف يقال ان الملكين يجلسانه ويسألانه ومن هنا أنكروا تسبيح الجمادات أيضا (والجواب) ان العقل عاجز عن ادراك هذه الاشياء بمجرده وقد ورد تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الخالق يعني لضعف العقول عن ذلك واذا قصرت عقولكم أيها المعتزلة والجهمية عن ادراك هذه الاشياء فلا تنكروه وصدقوا الاخبار الصادقة الواردة في ذلك ومن الدليل على عذاب القبر قوله تعالى سنعذبهم مرتين أي مرة في القبر ومرة في القيامة وقوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر وهو العذاب في الحياة والعذاب في القبر وقوله في الآية لعلهم يرجعون محمول على عذاب الحياة لانهم بعد الموت لا يمكن رجوعهم وكذلك من الدليل قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا أي في البرزخ بدليل قوله ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب ومن الدليل على عذاب القبر من السنة حديث نزل قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في عذاب القبر وما ثبت من استعاذته صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وفي حديث القبرين ان هذين يعذبان وما يعذبان في كبير وقد صح مرفوعا تنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه وقال بعض المعتزلة التعذيب للروح دون البدن وعذابها تألمها على هلاك البدن كما يتألم السلطان على عسكره اذا أفناه عدوه لان الروح ملكية اه وقال بعضهم يعذب بلا اعادة روح فاذا اعادت اليه الروح يوم القيامة ظهر عليه الالم وهذا ليس بشيء لما صح في أبي داود وغيره مرفوعا ان الروح تعود الى الجسد وأما انكار الجهمية وبعض المعتزلة تسبيح الجماد فمردود بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وان تأتي نافية ومنه قوله تعالى ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم وان منكم الا واردها ان أردنا الا الحسنى ان يدعون من دونه الا اناثا ان يقولون الا كذبا فالتسبيح من الجمادات ثابت لان الاستثناء من النفي اثبات وهذا منه وقد ثبت تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وقد اتفق من يعتد باتفاقه على تسبيح العالم كله بلسان الحال واختلفوا في تسبيحه بلسان المقال فقال الشيخ عبد الوهاب بن السبكي في شرحه لعقيدة الامام الماتريدي أبي منصور رحمه الله المختار ان كل شيء يسبح ربه نطقا وانه ليس في العقل ما يمنعه وقد دل على ذلك قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وفي صحيح البخاري أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل عند النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم مرفوعا اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان أبعث وخبر حنين الجذع ثابت مشهور فاذا ثبت ان هذه الاشياء تتكلم ثبت جواز التسبيح بالقال كما دلت عليه الآية فلتحمل على ظاهرها وذهب الفخر الرازي وأكثر المعتزلة الى ان الجمادات وغير المكلف من الاحياء لا يسبح الا بلسان الحال وهو مذهب مردود * وقال بعضهم ان كل حي ونام يسبح الله دون الميت واليابس واستدلوا لذلك بما ثبت في حديث القبرين من قوله صلى الله عليه وسلم في الجريدتين اللتين شقهما او وضعهما على القبر لعله يخفف عنهما ما داما رطبتين اشارة الى انهما يسبحان ما داما رطبتين دون ما اذا يبستا ونقل هذا المذهب عن الحسن وعكرمة وسبق في مبحث الايمان مزيد كلام في حياة الجماد فراجعه والله أعلم اه كلام المتكلمين وكان الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور يقول اذا جاء الانسان منكر ونكير لا يحيثان الا متشكلين لكل انسان بشاكلة عمله وعلمه واعتقاده فهما بوابان للبرزخ لا يدخل أحد البرزخ الا بمرعليهما أو يمران عليه فيسألان العبد

مالا يزع بالقرآن فان ذلك اتماه ومن حيث ان السلطان ناطق والقرآن صامت فاعلم الفرقان تفهم القرآن * وقال الاخبار يعرب عن الاسرار والاخبار كما يشهد للمؤمن بالايمان كذلك يشهد عليه بالبهتان والدليل على ذلك خبر الهدهد (٢٨٥) فيما أخبر به سليمان قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين فان شهد له العيان أو الضرورة من الجنان وقع الايمان والا لحق بالبهتان لو كان مطلق الايمان يعطي السعادة لكان المؤمن بالباطل في أكبر عبادة ومن آمن بالباطل أنه باطل فحاله غير عاطل * وقال قسم الشارع سبله الى ثلاثة أقسام اسلام وايمان واحسان فبدأ بالاسلام وقرن به عمل الاجسام من تلفظ شهادتين وصلاة وزكاة وحج وصيام وثنى بالايمان وهو ما يشهد به الجنان من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره حلوه ومره والبعث الآخر الى الدار الحيوان وثلث بالاحسان وهو انزال المعنى منزلة المحسوس في العيان وليس الاعلام الخيال * وقال الترك وان كانت عدما فهي نعوت فالزم السكوت الامر بالشيء نهي عن ضده فهو ترك وهذا شرك لا يترك الاغيار الا الاغيار ولو ترك الحق تعالى الخلق من كان يحفظه ويقوم به ويلحظه فمن كمال التخلق باسماء الحق الاشتغال بالله وبالخلق لو تركت الاغيار لتركت التكاليف التي جاءت بها الاخبار ولو انك تركت التكاليف لكنت معاندا عاصيا أو جاحدا * وقال نصرة القوي محال فكيف الحال في قوله ان تنصروا الله ينصركم وان لم تنصروه يخذلكم واذا خذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فنصرته من جملة ما أخذ عليكم في عهده فيا أهل العهود أوفوا بالعقود ما أمركم الله بنصره الا وأعطاكم الاشتراك في أمره فمن قال لا قدرة لي يعني الاقتدار فقد رد

بعد رد روحه اليه كله أو ما بقى منه عن ربه وعن دينه وعن نبيه فيجيبه ما بما وافق ما مات عليه من ايمان أو كفر أو شك نسأل الله العافية * قال الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله وانما كان الملكان يقولان للميت ما تقول فى هذا الرجل من غير افنا تعظيم وتفخيم لان مراد الملكين الفتنة ليتميز الصادق فى الايمان من المرتاب اذ المرتاب يقول لو كان لهذا الرجل القدر الذى كان يدعيه فى رسالته عند الله لم يكن هذا الملك يكنى عنه بمثل هذه الكناية وعند ذلك يقول المرتاب لا أدرى فيشقى شقاء الابد قال وهل يكون كلام الملكين للميت وكلامه لهما بصوت وحرف أم لا الذى أعطاه الكشف ان الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التى يرى الميت نفسه فيها وان اقتضت الحرف والصوت كان الكلام بحرف وصوت وان اقتضت الاشارة والرمز أو ما كان فهو ذاك وان اقتضت الذات أن تكون هى عين الكلام كان ذلك فان حضرة البرزخ تقتضى ذلك كله * قال واذا رأى الميت نفسه فى صورة انسان حاز جميع المراتب فى الكلام فانه المقام الجامع لاحكام الصور كلها قال وقد جعل الله تعالى لنا النوم فى هذه الدار لنا أنموذجا لحالنا فى البرزخ بعد الموت فان حال الميت كحال النائم فى الصورة الظاهرة الا ان علاقة تدبير الهيكل باقية فى النوم بخلاف الموت فانه لا علاقة له فى التدبير مع احساس الجسم بالنعيم والعذاب كما يرى النائم فى نومه أنه فى عذاب وشر ورأو فى نعيم وسرور (فان قلت) فلم حجب الثقلان عن سماع كلام الميت وشهود عذابه أو نعيمه دون البهائم (فالجواب) انما حجب الثقلان دون غيرهما لانهما من عالم التعبير بخلاف غيرهما فان الناس لو أبصروا شيأ من أحوال الموتى لاخبروا بعضهم بعضا كما أشار اليه خبر لولا تمزع فى قلوبكم وتزيد كم فى الحديث لدعوت الله تعالى ان يسمعكم عذاب القبر وفى رواية أخرى لولا أن تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم عذاب القبر فعلم كما قال الشيخ فى الباب الثامن والسبعين وثلثمائة أن كل من رزقه الله تعالى الامانة من الاولياء سمع عذاب القبر وسمع كلام الشياطين حين يوحون الى أوليائهم ليجادلونا وان الله تعالى ما أخذ باسماع الجن والانس وأبصارهم الا طلبا للستر فان المكاشف لو أفشى ذلك لابطل حكمة الوضع الالهى من وجوب الايمان بالغيب فانه كان يصير شهادة (فان قلت) كيف استعاذة الانبياء من فتنة الممات مع عصمتهم (فالجواب) انما استعاذوا من ذلك اعلاما بسعة الاطلاق وان الله تعالى يفعل ما يريد فقاموا بواجب عبوديتهم واظهار عجزهم وفاقتهم وسألوه من باب الافتقار ان لا يفتنهم اذا سألهم الملكان عمن أرسل اليهم وهو جبريل عليه السلام فانهم يسئلون عنه تكريما كما نسئل نحن عمن أرسل الينا امتحانا والا فالانبياء معصومون لا يحزنهم الفزع الاكبر فضلا عن الاصغر لحضرتهم الاعتراف بانكسار بين يدى ربهم على الدوام (فان قلت) فما حقيقة البرزخ الذى ينتقل اليه بعد الموت (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثالث والستين من الفتوحات ان حقيقة البرزخ هو صور اسرافيل الذى ينفخ فيه وهو يسمى بالناقور ويسمى بالقرن فلا شئ أوسع من هذا القرن وجميع ما يقع للميت فى قبره من العذاب والنعيم يدركه صاحبه ادراكا حقيقيا بالحس لا فى الحس كما ان جميع ما يدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من نعيم وعذاب انما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن فان الله تعالى اذا قبض الارواح من الاجسام الطبيعية أودعها صورا جسدية فى حضرة البرزخ الذى هو صور اسرافيل ثم ان من الصور ما يكون هنالك مقيدا ومنها ما يكون مطلقا كارواح الانبياء كلهم وأرواح الشهداء وبعض الاولياء لان كل من حبس نفسه أيام تكليفه فى قفص الشريعة وحجر عليها ما حجره الشرع جازاه الله تعالى بالاطلاق فى البرزخ وفى الجنة يتبوأ منها حيث يشاء قال ومن الارواح ما يكون له نظر الى عالم الدنيا ومنها ما يتجلى للنائم فى حضرة الخيال قال وأما قوم فرعون فيعرضون على النار فى تلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها لانهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس

الاخبار وكان ممن نكث وألحق تكاليف الحق بالعبث * وقال أصدق الاخبار ما كان بالحال من أثنى على نفسه بالكرم توقف السامع فيه حتى يتكرم فاذا كان العطاء ارتفع الغطاء * وقال ان الله عند لسان كل قائل وما تكلم الا اللسان والقائل فى الشاهد هو الانسان وفى الايمان الرحمن لقوله كنت سمعه الذى يسمع به ولسانه الذى يتكلم به الحديث فمن كذب العيان كان قوى الايمان ومن تردد فى الايمان تردد فى العيان فلا ايمان عنده ولا عيان ومن صدق العيان وسلم الايمان كان فى أمان اللسان ترجمان الجنان وما وسع الرب الا القلب وأنت ترجمان الحق الى الخلق فأين الكذب عند هذا الشاهد وما ثم ناطق الا الحق الصمد الواحد * وقال الروح واسطة وهو بين الرسول البشرى والملك رابطة يوحى به اليه اذا نزل بالوحى عليه وقد أمر بالادب معه حتى يجمعه لانه ما عجل به حتى كشفه وما نطق به حتى عرفه فقيل له اكتم السر حتى لا يعلمه الملك عالك وقال اذا كان الرسول حسن الصورة فذلك اشارة الى جمال المرسل اليه وقد حصل ادراك البغية بنزول جبريل فى صورة دحية أين صورة مالك من صورة رضوان أين النار من الجنان * وقال النفث فى الروع من وحى القدوس وهو عين الالهام لكن ما هو مثل وحى الكلام ولا وحى الاشارة والعبارة وما ثم الا الالهام وهو الخاطر الخاطر من السحاب الماطر ويسمى الخاطر الاول لان النفث لا يكون له مكث فلوله انتقاله وور ودمز واله * وقال من احتج عليك بما سبق فقد حاجك بالحق ومع هذا فهى حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت وقبلها وان عدل الشرع عن مذهبها فانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ولكن أكثر

المحسوس لا المتخيل الذى كان لهم حال موتهم بالعرض عليه ومنهم من يحرق بالنار المحسوسة أيضا انتهى

* وقال الشيخ محيي الدين فى كتابه لواقح الانوار ان من أهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همته من يعمل فى قبره بعمله الذى كان يعمله فى دار الدنيا كما صح ذلك عن ثابت البنانى التابعى الجليل انهم فتحوا قبره فوجدوه قائما يصلى وشهده خلائق قال ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل الى أن يخرج من البرزخ ويؤيد ذلك رجحان ميزان أهل الاعراف بالسجدة التى يسجدونها يوم القيامة ويدخلون بها الجنة فلولا ان البرزخ له وجه الى أحكام الدنيا ما نفعتهم تلك السجدة ولا رجحت بها ميزانهم فهى آخر ما بقى من أعمال أهل التكليف قال واما جميع من يرى فى المنام أو اليقظة من الاموات فكله مثالات متخيلة وليس منه شئ محقق الا ارواح الانبياء فقط فانها مشرفة على جميع وجود الدنيا والآخرة والبرزخ بخلاف أرواح من سواهم الا من شاء الله فانه ليس لها خروج من البرزخ فان رىء أحدهم فهو امامثال خلقه الله تعالى من همة ذلك الولى واما مثال اقامه الله تعالى على صورته لتنفيذ ما يشاء من حكمه وأطال فى ذلك نحو ورقة ثم قال فعلم ان المكاشفين الكمل يرون حياة الجسم بعد مفارقة الروح وذلك ان للجسد عندهم حقائق وعوالم تقبل بها الادراك من غير واسطة الروح واذا انتقلت الروح الى محلها بعد المفارقة وبقى الجسم كان له الادراك بتلك الحقائق التى تخصه ولولا ذلك لما كان مسبحا لمدبره اذ التسبيح فرع عن المعرفة قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده تقديره وان من شئ يعرفه لانه لا يمكن ان ينزه البارى جل وعلا عما لا يجوز عليه الا من عرفه قال وبتلك الحقائق نطقوا وشهدوا قال تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ انتهى وتقدم فى مبحث الاعيان ماله تعلق بحياة الجماد فراجعه وقد بان لك يا أخى مما قررناه انه لا يقدح فى صحة نعيم القبر وعذابه كون أبصار أهل الدنيا لا تدركه قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار * قال الشيخ فى الباب السادس والعشرين ومائة من الفتوحات المكية والمراد بهذه الجنة وهذه النار جنة البرزخ وناره لا الجنة والنار الكبيرتان اللتان يدخلهما الناس بعد الحساب والمرور على الصراط قال وهذا مما غلط فيه بعض أهل الله فى كشفهم فانهم اذا طولعوا بشئ من أحوال الآخرة يظنون ان ذلك صحيح وانهم شاهدوا الآخرة على الحقيقة وليس كذلك وانما هى الدنيا أظهرها الله تعالى لهم فى عالم البرزخ بعين الكشف أو النوم فى صورة ما جهلوه من أحكام الدنيا فى اليقظة فيقولون رأينا الجنة والنار والقيامة وأين الدار من الدار وأين الاتساع من الاتساع ومعلوم ان القيامة ما هى الآن موجودة واذا رؤيت فى الحياة الدنيا فما هى الا قيامة الدنيا ونار الدنيا وفى الحديث الصحيح رأيت الجنة والنار فى مقامى هذا وما قال رأيت جنة الآخرة ولا نار الآخرة بل قال فى عرض هذا الحائط من الدار الدنيا وذكر انه رأى فى النار صاحبة الهرة التى حبستها وعمرو بن لحى الذى سيب السوائب وكان ذلك كله فى صلاة الكسوف فى اليقظة وفى حديث آخر مثلت لى الجنة فى عرض هذا الحائط وتمثل الشئ ما هو عين الشئ بل هو شبهه فقط ولا معنى لقول من قال ان أهل النار اليوم فى النار الكبرى فاذا كان يوم القيامة رجعوا الى القبر ثم بعثوا وحشروا وحوسبوا ثم يدخلون النار ثانيا (قلت) ويكفى أحدنا الايمان بعذاب القبر ولا يحتاج الى بيان كيفية الحقيقة فان العقول تعجز عن مثل ذلك وسيأتى فى مبحث خلق الجنة والنار مزيد كلام فراجعه والله تعالى أعلم

(المبحث الخامس والستون فى بيان ان جميع أشراط الساعة التى أخبرنا بها الشارع حق لابد أن تقع كلها قبل قيام الساعة)

وذلك كخروج المهدى ثم الدجال ثم نزول عيسى وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن

الناس لا يشعرون ومثل هذه المسئلة لا يكون جهارا ولا يتكلم بها الا اشعارا مع أنه لو جهر بها كانت علما ونقمت فهما وأورثت فى الفؤاد كلما دونه تعجز الفهم لما يؤدى اليه من دروس الطريق الامم الذى عليه جميع الامم وان كان كل دابة مأخوذ بناصيتها * وقال انما ذهب بعض أهل الكلام الى انعدام العرض لنفسه لا الاجسام ليكون الخالق خلافا على الدوام والعالم مفتقر اليه ومعول فى وجوده عليه وأما أهل الحسبان فقالوا بتعدد جميع الاعيان فى كل زمان وما خصوا أعيانا من عين ولا كونا من كون وأما من يعلم أن المتحيز وكل ما قام من الاعراض فهو جامع بين المذاهب والاغراض * وقال العالم من الادب لانه تعالى ما أوجدك الا لتسأل فانك الفقير الاول فاسأل من كريم ولا تبخل فانه ذو فضل عميم ومن اتبع هواه لم يبلغ مناه * وقال معنى قول العارفين من وحد فقد ألحد أى مال الى الحق لان الملحد هو المائل فى اللغة كل مائل * وقال الالحاد لابد منه ولا محيص لمخلوق عنه ألا ترى أصحاب الاعراف لما تساوت كفتا ميزانهم كيف وقفوا بين الجنة والنار فلاهم مع الاشرار ولا مع المصطفين الاخيار فلولا ما تفضل الحق عليهم من السجود اليه ما رجحوا عليه فلما سجدوا انفكوا من أسر السور والتحقوا بدار السرور * وقال الحال المرتحل من يكرر تلاوته وما أنزل فانتهاؤه عين ابتدائه ولكن من تكرر عنده المعنى فى تلاوته فما تلاه حق تلاوته وكان ذلك دليلا على جهالته ومن زادته تلاوته فى كل مرة علما أو أفادته حكما فهو التالى لمن هو فى وجوده تال * وقال من استدان من غير حاجة مهمة فهو ناقص الهمة وانما كان من عرف نفسه عرف ربه لان علم قلبه وسع ربه لا تعلم الذات الا مقيدة وان أطلقت هكذا عرفت الاشباه وحققت

ونقض سد يأجوج ومأجوج حتى لو لم يبق من الدنيا الا مقدار يوم واحد لوقع ذلك كله قال الشيخ تقي الدين بن أبي المنصور في عقيدته وكل هذه الآيات تقع في المائة الاخيرة من اليوم الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بقوله ان صلحت أمتي فلها يوم وان فسدت فلها نصف يوم يعني من أيام الرب المشار اليها بقوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون * قال بعض العارفين وأول الالف محسوب من وفاة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه آخر الخلفاء فان تلك المدة كانت من جملة أيام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته فمهد الله تعالى بالخلفاء الاربعة البلاد ومراده صلى الله عليه وسلم أن بالالف قوة سلطان شريعته الى انتهاء الالف ثم تأخذ في ابتداء الاضمحلال الى ان يصير الدين غريبا كما بدا وذلك الاضمحلال يكون بدايته من مضي ثلاثين سنة في القرن الحادي عشر فهنالك يترقب خروج المهدي عليه السلام وهو من أولاد الامام حسن العسكري ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق الى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام فيكون عمره الى وقتنا هذا وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة سبعمائة سنة وست سنين هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطلي بمصر المحروسة عن الامام المهدي حين اجتمع به ووافقه على ذلك شيخنا سيدي علي الخواص رحمهما الله تعالى * وعبارة الشيخ محيي الدين في الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات واعلموا انه لا بد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلئ الارض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا ولو لم يكن من الدنيا الا يوم واحد طول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضي الله عنها جده الحسين بن علي بن أبي طالب ووالده حسن العسكري ابن الامام علي النقي بالنون ابن محمد التقي بالتاء ابن الامام علي الرضا ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين علي ابن الامام الحسين ابن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه يواطئ اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه المسلمون بين الركن والمقام يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخلق بفتح الخاء وينزل عنه في الخلق بضمها اذ لا يكون أحد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاقه والله تعالى يقول وانك لعلى خلق عظيم هو أجلى الجبهة أقنى الانف أسعد الناس به أهل الكوفة يقسم المال بالسوية ويعدل في الرعية يأتيه الرجل فيقول يا مهدي أعطني وبين يديه المال فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله يخرج على فترة من الدين يزع الله به ما لا يزع بالقرآن يمسي الرجل جاهلا وجبانا وبخيلا فيصبح عالما شجاعا كريما يمشي النصر بين يديه يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ له ملك يسدده من حيث لا يراه يحمل الكل ويعين الضعيف ويساعد على نوائب الحق يفعل ما يقول ويقول ما يفعل ويعلم ما يشهد يصلحه الله في ليلة يفتح المدينة الرومية بالتكبير مع سبعين ألفا من المسلمين من ولد اسحق يشهد الملحمة العظمى مأدبة الله بمرج عكا يبيد الظلم وأهله يقيم الدين وينفخ الروح في الاسلام يعز الله به الاسلام بعد ذله ويحييه بعد موته يضع الجزية ويدعو الى الله بالسيف فمن أبى قتل ومن نازعه خذل يظهر من الدين ما هو عليه الدين في نفسه حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا لحكم به فلا يبقى في زمانه الا الدين الخالص عن الرأي يخالف في غالب أحكامه مذاهب العلماء فينقبضون منه لذلك لظنهم ان الله تعالى ما بقي يحدث بعد أئمتهم مجتهدا وأطال في ذكر وقائعه معهم ثم قال واعلم ان المهدي اذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال الهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون أثقال المملكة ويعينونه على ما قلده الله تعالى له ينزل عليه عيسى بن مريم عليه السلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متكئا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس في صلاة

فالاطلاق تقييد في حق السادات والعبيد فان الخلق مع الانفاس في خلع ولباس ولا يشعر بذلك الا القليل من الناس الناس المثاني مع به وله فلا هي علة ولا معلولة ولا الدليل مدلوله فان وجه الدليل يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط ولا تختلط * وقال الاحباب أرباب والمحبون خلف الباب وانما كان المحب صاحب بلوى لانه رب دعوى ولذلك اختبر بخلاف المحبوب * وقال في قوله اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم أين هذا من قوله أنا سيد ولد آدم فداخل الخليل كان لآدم السجود ولمحمد المقام المحمود فيا ليت شعري هل تقوم الخلة مقام كون رسالة محمد تم كماله محمد صاحب الوسيلة في جنته ما نالها الا بدعاء أمته أين أمته منه في الفضيلة ومع هذا بدعائهم كانت له الوسيلة المدعو له ارفع بيقين من الداعي فلتكن اقوالنا كما صليت على ابراهيم الحافظ الواعي * وقال الشوق يزول باللقاء والاشتياق يزيد بالالتقاء لا يعرف الاشتياق الا العشاق من سكن باللقاء قلقه فما هو عاشق عند أرباب الحقائق * وقال من قام بالخدمة عند طرح الحرمة والحشمة فقد خاب وما نجح وخسر وما ربح الخادم في مقام الاذلال فما له وللدلال وما له وللسؤال ان لم يكن الخادم كالميت بين يدي الغاسل لم يحظ من مخدومه بطائل اذا دخل الخادم على مخدومه واعترض ففي قلبه مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وهم لا يشعرون فبالحرمة تنال الرغائب في جميع المذاهب * وقال اذا كانت حركة المتواجد نفسية فليست بقدسية وعلامتها الاشارة بالاكمام والمشي الى خلف والى قدام العصر والتمايل من جانب الى جانب والتقريب بين راحتيه وذاهب وقد أجمع الشيوخ على ان مثل هذا معصر ومطرود والسماع لا يتقيد بالنغمات

العصر فيتنحى له الامام عن مكانه فيتقدم فيصلي بالناس يأمر الناس بسنة محمد صلى الله عليه وسلم يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله المهدي اليه طاهرا مطهرا وفي زمانه يقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه في البيداء فمن كان مجبورا من ذلك الجيش مكرها يحشر على نيته وقد جاءكم زمانه وأظلكم أوانه وقد ظهر في القرن الرابع اللاحق بالقرون الثلاثة الماضية قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قرن الصحابة ثم الذي يليه ثم الذي يلي الثاني ثم جاء بينهما فترات وحدثت أمور وانتشرت أهواء وسفكت دماء فاختفى الى أن يجيء الوقت الموعود فشهداؤه خير الشهداء وامناؤه أفضل الامناء قال الشيخ محيي الدين وقد استوزر الله تعالى له طائفة خبأهم الله له في مكنون غيبه أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وما هو أمر الله عليه في عباده وهم على أقدام رجال من الصحابة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهم من الاعاجم ليس فيهم عربي لكن لا يتكلمون الا بالعربية لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى الله قط وهو أخص الوزراء واعلم ان المهدي لا يفعل شيأ قط برأيه وانما يشاور هؤلاء الوزراء فانهم هم العارفون بما هنالك وأما هو عليه السلام في نفسه فهو صاحب سيف حق وسياسة ومن شأن هؤلاء الوزراء ان أحدهم لا ينهزم قط من قتال وانما يثبت حتى ينصر أو ينصرف من غير هزيمة الاتراهم يفتحون مدينة الروم بالتكبير فيكبرون التكبيرة الاولى فيسقط ثلثها ويكبرون الثانية فيسقط الثلث الثاني من السور ويكبرون الثالثة فيسقط الثالث فيفتحونها من غير سيف وهذا هو عين الصدق الذي هو والنصر أخوان * قال الشيخ وهؤلاء الوزراء دون العشرة وفوق الخمسة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شك في مدة اقامة خليفة من خمس الى تسع للشك الذي وقع في وزرائه فلكل وزير معه اقامة سنة فان كانوا خمسة عاش خمسة وان كانوا سبعة عاش سبعة وان كانوا تسعة عاش تسعة أعوام ولكل عام منها أحوال مخصوصة وعلم يختص به ذلك الوزير فما هم أقل من خمسة ولا أكثر من تسعة * قال الشيخ ويقتلون كلهم الا واحدا منهم في مرج عكا في المأدبة الالهية التي جعلها الله تعالى مائدة للسباع والطيور والهوام * قال الشيخ وذلك الواحد الذي يبقى لا أدري هل هو ممن استثنى الله في قوله ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الامن شاء الله أو هو يموت في تلك النفخة * قال الشيخ محيي الدين وانما شككت في مدة اقامة المهدي اماما في الدنيا ولم أقطع في ذلك بشئ لاني ما طلبت من الله تحقيق ذلك أدبا معه تعالى ان أسأله في شئ من ذات نفسي قال ولما سلكت معه هذا الادب قيض الله تعالى لي واحدا من أهل الله عز وجل فدخل علي وذكر لي عدد هؤلاء الوزراء ابتداء وقال لي هم تسعة فقلت له ان كانوا تسعة فان بقاء المهدي لابد أن يكون تسع سنين فاني علمت بما يحتاج اليه وزيره فان كان واحدا اجتمع في ذلك الواحد جميع ما يحتاج اليه وزراؤهم وان كانوا أكثر من واحد فما يكون أكثر من تسعة فانه اليه انتهى الشك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله خمسا أو سبعا أو تسعا يعني في اقامة المهدي تشجيعا لخواص أصحابه لطلب العلم ولا يقنعوا بالتقليد فانه قال ما يعلمهم الا قليل فافهم قال وجميع ما يحتاج اليه وزراء المهدي في قيامهم تسعة أمور لا عاشر لها ولا تنقص عن ذلك وهي نفوذ البصر ومعرفة الخطاب الالهي عند الالقاء وعلم الترجمة عن الله ومرتبة تعيين المراتب لولاة الامر والرحمة في الغضب وما يحتاج اليه الملك من الارزاق الحسية وغيرها وعلم تداخل الامور بعضها على بعض والمبالغة والاستقصاء في قضاء حوائج الناس والوقوف على علم الغيب الذي يحتاج اليه في الكون في مدته خاصة * فهذه تسعة أمور ولابد أن تكون في وزراء المهدي من واحد فأكثر وأطال الشيخ في شرح هذه الامور بنحو عشرة أوراق ثم قال واعلم أن ظهور المهدي عليه السلام من اشراط قرب الساعة كذلك خروج الدجال فيخرج من خراسان من أرض الشرق موضع الفتن يتبعه الاتراك واليهود ويخرج اليه من اصبهان وحدها سبعون ألفا

المعهودة في العرف اذ في ذلك الجهل الصرف فان الكون كله سماع عند صاحب الاستماع والايقاع أوزان والله تعالى وضع الميزان فالوجود كله موزون فلا تكن الحر وم الغبون ما أشبه الآلة بالجارحة عند صاحب السماع بالقلب والجارحة * وقال كل كرامة لا تتصل بالقيامة فليس هي كرامة فاحذر من الاستدراج في المزاج القرآن كله قال الله وما فيه قط تكلم الله فلو جاء فيه تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد ألا ترى قوله وكلم الله موسى تكليما كيف سلك به نم ما أوقعنا فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فاذا أثر القول فما هو لذاته فافهم وفرق بين القول والكلام تكن من أهل الجلال والاكرام كما تفرق بين الوحي والالهام في اليقظة والمنام * وقال لو تكرر شئ في الوجود لضاق النطاق ولم يصح الاسم الواحد بالاتفاق وبطل كون الممكنات لا تتناهى ولم يثبت ما كان به بينهما حسن قال بالرجعة بعد ما طلق فما طلق وكان صاحب شبهة وما تحقق لطلاق الرجعي رحمة بالجاهل الغبي لو تلطف الرجال برجعة الطلاق لما وقع عليه الاتفاق فانه نكاح جديد فمذهب أهل الاسرار أن لا تكرار مع ثبوت العادة والايمان بالاعادة * وقال ما من آية في القرآن الالهي أكبر من اختها وان تولدت عنها وقامت لها مقام بنتها فقد يكون الولد أعظم في القدر من الوالد ولكن في الشاهد لا في الغائب الا في موضع واحد وهو ما تولد عندك من العلم بربك عن معرفتك بنفسك وان كان ليس من جنسك فذلك العلم لهذا العلم كالولد وهذا الولد أعظم من هذا الوالد عند كل أحد وما سوى هذا في الغائب فليس بصائب فلا تقس الغائب على الشاهد فانه مذهب فاسد

مطلسين وهو رجل كهل أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية مكتوب بين عينيه كاف فارا * قال الشيخ محيي الدين فلا أدري هل المراد بهذا الهجاء كفر من الافعال الماضية أو أراد به كفر من الاسماء الا أن الالف حذفت كما حذفها العرب في خط المصحف في مواضع مثل ألف الرحمن بين الميم والنون (فان قلت) فما صورة ما يحكم به المهدي اذا خرج هل يحكم بالنصوص أو بالاجتهاد أو بهما (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين أنه يحكم بما ألقى اليه ملك الالهام من الشرع وذلك أنه يلهمه الشرع المحمدي فيحكم به كما أشار اليه حديث المهدي انه يقفو أثري لا يخطئ فعرفنا صلى الله عليه وسلم أنه متبع لا مبتدع وانه معصوم في حكمه اذ لا معنى للمعصوم في الحكم الا انه لا يخطئ وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئ فانه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد أخبر عن المهدي أنه لا يخطئ وجعله ملحقا بالانبياء في ذلك الحكم قال الشيخ فعلم أنه يحرم على المهدي القياس مع وجود النصوص التي منحه الله اياها على لسان ملك الالهام بل حرم بعض المحققين على جميع أهل الله القياس لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهودا لهم فاذا شكوا في صحة حديث أو حكم رجعوا اليه في ذلك وأخبرهم بالامر الحق يقظة ومشافهة وصاحب هذا المشهد لا يحتاج الى تقليد أحد من الائمة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وأطال في ذلك ثم قال فللامام المهدي أيضا الاطلاع من جانب الحق على ما يريد الحق تعالى أن يحدثه من الشؤن قبل وقوعها في الوجود ليستعد لذلك قبل وقوعها فان كان ذلك مما فيه منفعة الرعية شكر الله عز وجل وسكت عنه وان كان مما فيه عقوبة بنزول بلاء عام أو على أشخاص معينين سأل الله تعالى فيهم وشفع وتضرع اليه فصرف الله عنهم ذلك البلاء بفضله ورحمته وأجاب دعاءه وسؤاله (فان قلت) فاذا عمي الله تعالى عليه حكما في نازلة ماذا يفعل (فالجواب) اذا عمي الله تعالى عليه حكما في نازلة ولم يقع له بها تعريف ولا كشف ألحقها في الحكم بالمباحات فيعلم بعدم التعريف ان ذلك حكم الشرع فيها فانه معصوم من الرأي والقياس في الدين اذ القياس ممن ليس بنبي حكم على الله في دينه بما لا يعلم فانه طرد علة وما يدري العبد ان الله لا يريد طرد تلك العلة ولو أنه كان أرادها لابانها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وأبان بطردها وأطال في ذلك ثم قال واعلم أنه لم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم نص على أحد من الائمة بعده أن يقفو أثره لا يخطئ الا المهدي خاصة فقد شهد له بعصمته في خلافته وأحكامه كما شهد الدليل العقلي بعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه من الحكم المشروع له في عباده (فان قلت) فاذا نزل عيسى عليه السلام فمتى يموت وكيف يموت (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة أنه يموت اذا قتل الدجال وذلك انه يموت هو وأصحابه في نفس واحد فيأتيهم ريح طيبة تأخذهم من تحت آباطهم يجدون لها لذة كلذة لوسنان الذي قد جهده السهر وأتاه في السحر العسيلة سميت بذلك لحلاوتها فيجد ورالموت لذة لا يقدر قدرها ثم يبقى بعدهم رعاع كغثاء السيل أشباه البهائم فعليهم تقوم الساعة انتهى * وأما طلوع الشمس من مغربها فقد ورد في الصحيح مرفوعا لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل وطلوع الشمس من مغربها جائز في العقل لا استحالة فيه فان الله قادر على ذلك والجهات بالنسبة الى قدرته متساوية وفي ذلك رد على نمرود لما قال له ابراهيم عليه السلام فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الآية * قال الشيخ أبو طاهر القزويني وأصحاب الهيئة والنجوم يحيلون طلوعها من المغرب فيقال لهم أليس الله تعالى قد أجرى العادة بأن كل دوارة من رحى ودولاب اذا انتهى دورها رجع منعكسة ثم تقف فيم تنكرون أن الله تعالى يعكس دوران الشمس عند انتهاء أدوارها قال تعالى والشمس تجري لمستقر لها والمستقر مصدر بمعنى الاستقرار واللام

فرحم الله أبا حنيفة وقاه كل خيفة حيث لم يحكم على الغائب * وقال حكم وحي النائم المحفوظ حكم اليقظان بالدليل والبرهان وهو بمنزلة الصاحب في الاستماع عند أهل الاتباع لكن لا ينبغي له أن يتخذ ذلك شرعا يتعبد وان كان يحمده وهذه فائدة مرجهامة وقد تمن شجرة مباركة من تشاجر الاسماء ويكفيك هذا الايماء * وقال السفر قطعة من العذاب لما يتضمنه من فراق الاحباب * وقال انما كان المسافر فردا شيطانا لبعده عن الجماعة والاثنان شيطانان لعدم الناصر وتوقع ما تقوم به الشفاعة والثلاثة ركب محفوظ وهو بعين الله ملحوظ فهم أهل الامان غالبا في السفر لما علم من الخفر المثلث من أجل الحدث والمحدث والحديث ما كفر القائل بالثلاثة وانما كفر بقوله ثالث ثلاثة فلو قال ثالث اثنين لاصاب الحق وقال المبين ما ظنك باثنين الله ثالثهما يريد أن الله تعالى حافظهما يعني في الغار في زمان هجرة الدار * وقال البقاء لا يصح على شأن واحد لما في المحدثات من طلب الزائد اذ الامر شؤن فلا يزال يقول للاشياء كن فتكون الوجود كله نصب وتعب ولهذا قال فاذا فرغت فانصب فما فرغ الا اشتغل ولا فني منه عمل الا استعمل وقد كان في العمل صاحب راحة لانه استراحة اذا كان الرحمن كل يوم في شأن فما ظنك بالاكوان فما قال بأن العدم شر الا من جهل الامر فليس الشر الا العدم الذي ما فيه عين ولا يجوز على المتصف به كون وليس هذا الا المحال الذي هو شر محض على كل حال بخلاف العدم الذي يتضمن الاعيان * وقال الشطح فخ بمنى فمن شطح بحق فما شطح وهذا من أعظم الملح الا أنه يلتبس على السامع فلا يعرف الجامع من غير الجامع ولهذا الالتباس جعله نقصا بعض الناس

يعني الى كما قال تعالى بأن ربك أوحى لها أى اليها قال وعند وقوف الشمس في وسط السماء تنشق السماء وتنكدر النجوم ويقولون في المثل السائر الدولاب اذا انعطل تكسر وهنالك يظهر الشمس والقمر في وسط السماء كالقرارتين وفي رواية أخرى كالثورين الاسودين فاذا طلعا الى وسط السماء رجعا فازاين الى المغرب لانهما يغربان في المشرق كما توهمه بعضهم وفي الحديث أنهما يطلعان من المغرب مكورتين كالقرارتين فلا ضوء للشمس ولا نور للقمر وما بين طلوع الشمس من مغربها الى نفخ الصور أقل من أن يركب الرجل المهر بعد النتاج (فان قيل) قد ورد في الحديث أنهما يطلعان ذلك اليوم من المشرق الى نفخ الصور (فالجواب) لا اعتبار بذلك الطلوع اذ هو طلوع اضطراب للوقوف والانتهاء لا طلوع دؤبهما بحساب وكذلك يكون حال كل دوارة اذا انتهى دورها تنعكس مرة وترجع أخرى ثم تقف هكذا سنة الله في الخلق ولن تجد لسنة الله تحويلا وتقدم في مبحث الايمان ان الشمس اذا طلعت من مغربها أغلق باب التوبة فمن كان مؤمنا لا يدخل قلبه بعد ذلك كفر ومن كان كافرا لا يدخل قلبه بعد ذلك ايمان فراجعه (فان قيل) فما الدليل على نزول عيسى عليه السلام من القرآن (فالجواب) الدليل على نزوله قوله تعالى وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أى حين ينزل ويجتمعون عليه وأنكرت المعتزلة والفلاسفة واليهود والنصارى عروجه بجسده الى السماء وقال تعالى في عيسى عليه السلام وانه لعلم للساعة قرئ لعلم بفتح اللام والعين والضمير في انه راجع الى عيسى عليه السلام لقوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا ومعناه ان نزوله علامة القيامة وفي الحديث في صفة الدجال فبينما هم في الصلاة اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين يديه مهرذبتان واضعا كفه على أجنحة ملكين والمهرذبتان بالذال المعجمة والمهملة ملحفتان مصبوغتان بالورس فقد ثبت نزوله عليه السلام بالكتاب والسنة وزعمت النصارى ان ناسوته صلب ولاهوته رفع والحق أنه رفع بجسده الى السماء والايمان بذلك واجب قال تعالى بل رفعه الله اليه قال أبو طاهر القزويني واعلم ان كيفية رفعه ونزوله وكيفية مكثه في السماء الى أن ينزل من غير طعام ولا شراب مما يتقاصر عن دركه العقل ولا سبيل لنا الا أن نؤمن بذلك تسليما لسعة قدرة الله تعالى وأطال في ذكر شبه الفلاسفة وغيرهم في انكار الرفع (فان قيل) فما الجواب عن استغنائه عن الطعام والشراب مدة رفعه فان الله تعالى قال وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام (فالجواب) أن الطعام انما جعل قوتا لمن يعيش في الارض لانه مسلط عليه الهواء الحار والبارد فينحل بدنه فاذا انحل عوضه الله تعالى بالغذاء اجراء لعادته في هذه الخطة الغبراء وأما من رفعه الله الى السماء فانه يلطفه بقدرته ويغنيه عن الطعام والشراب كما أغنى الملائكة عنهما فيكون حينئذ طعامه التسبيح وشرابه التهليل كما قال صلى الله عليه وسلم اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني وفي الحديث مرفوعا ان بين يدي الدجال ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث قطرها والارض ثلث نباتها وفي السنة الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها وفي السنة الثالثة تمسك السماء قطرها كله فقالت له أسماء بنت زيد يا رسول الله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ فقال يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس * قال الشيخ أبو طاهر وقد شاهدنا رجلا اسمه خليفة الخراط كان مقيما بأبهر من بلاد المشرق مكث لا يطعم طعاما منذ ثلاث وعشرين سنة وكان يعبد الله ليلا ونهارا من غير ضعف فاذا علمت ذلك فلا يبعد أن يكون قوت عيسى عليه السلام التسبيح والتهليل والله أعلم بجميع ذلك * وأما خروج الدابة التي يقال لها الجساسة فقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب السابع والخمسين وثلثمائة في قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ما نصه اعلم ان هذه الدابة تخرج من اجياد وهي دابة كثيرة الشعر

من باب سد الذريعة لما فيه من تعلق المخلوق بالفاظ شنيعة لا تجيزها الشريعة فمن تقوى في فتح الفضل لم يظهر عليه شيء من الشطح ألا ترى ما قال صاحب القوة والتمكين في انفاذ الامر أنا سيد ولد آدم ولا فخر فانظر الى أدبه في تحليه كيف تأدب (٢٩١) مع أبيه وما ذكر غير اخوته * وقال ما أصعق الكليم الا الذي دك الجبل العظيم وما أفاق الكليم من صعقته الا لما بقي عليه من أداء نبوته ولا يلزم من كون خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس أن يكون أقوى من الناس فسلم تسلم واعرف الامر واكتم * وقال من كان جميع أمرك بيديه فانت لديه ما برحت منه حتى تسأل عنه لم يرد خبر بالصفات الا فيها من الآفات بخلاف الاسماء ألا ترى من جعله موصوفا كيف يقول ان لم يكن كذلك كان. فما وافظ المؤف شنيع عند أهل التشريع وما علم من جعله موصوفا أن الذات اذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف ومن لم يكن كماله لذاته افتقر كماله الى صفاته والحق باجماع كل واجد ليس بامر زائد * وقال لولا الاغيار ما كانت الاسرار السر ما كان بينك وبينه واخفى من السر ما ستر عنك عينه * وقال ما أعجب ما يعتقده أهل التوحيد وصفه بالقريب البعيد قريب ممن بعد عمن هو أقرب من حبل الوريد الى جميع العبيد * وقال الاتصال ليس من مقامات الرجال كيف يتصل به أجنبي لا يقول بهذا الا غبي في الكتاب المنزل المثاني وانما الاعمال بالنية * وقال ما كان بالحلول فهو معلول وهو مرض لا دواء لدائه ولا طبيب يسعى في شفائه من فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله كنت سمعه الذي يسمع به فنبهك باعادة الضمير اليك ليدل عليك ومن قال بالاتحاد الا أهل الالحاد وأما

لا يعرف قبلها من دبرها فتنفخ في وجوه الناس شرقا وغربا برا وبحرا جنوبا وشمالا فيرتقم بنفخها في جبين كل شخص ما هو عليه في علم الله تعالى من ايمان وكفر فيقول من سمته مؤمنا لمن سمته كافرا يا كافر أعطني كذا وكذا فيغضب من ذلك لاسم اعلامه بانه مكتوب في جبينه كتابة لا يمكنه ازالتها فيقول الكافر لاه ومن ثم أولا في قضاء ما طلب منه فليس كلامها المنسوب اليها في العموم سوى ما وسمت به الوجوه بنفخها وان كان لها كلام مع من يجالسها في سائر أصحاب اللسان فهي تكلمه بلسانه عربيا كان أو عجميا على اختلاف اللغات * وقد ورد حديثها في صحيح مسلم في حديث الدجال حيث دلت تميما الداري عليه وقالت له انه الى حديثك بالاشواق * قال الشيخ وهي الآن في جزيرة من البحر الذي يلي جهة الشمال وهي الجزيرة التي فيها الدجال قال وانما سمى الله تعالى رقمها في وجوه الناس كلاما لانه أفاد ما تفيده الكلام ألا ترى العاقل من أهل النظر اذا أراد أن يوصل الى الغير ما في نفسه لم يقتصر في ذلك التوصل على العبارة بنظم حروف ولا بد فان غرضه منك افهامه وايصاله لأملك بالأمر الذي في نفسه فوقتا بالعبارة اللفظية المسماة في العرف قولا وكلاما ووقتا بالاشارة بيد أو رأس أو عين كان ووقتا بكتابة ورقوم ووقتا بما يريد الحق افهامك به فيوجد فيك أثرا تعرف منه ما في نفسه ويسمى هذا كلاما فعبر عن رقم الدابة يطلق عليه كلام والله أعلم وأطال في ذلك في الباب السابع والخمسين وثلثمائة بذكر فوائد عظيمة فراجعها * وأما رفع القرآن فروى البيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يغزى عليهم ليلا فيرفع من صدورهم فيصبحون فيقولون لكنا كنا نعلم شيئا ثم يقعون في الشعر * قال القرطبي وهذا انما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وبعد هدم الحبشة الكعبة * وأما خروج يأجوج ومأجوج فهو ثابت بالنصوص القطعية وهو سد عليهم يصل اليه السواح * وأخبرني الشيخ عبد القادر الدشطوطي رحمه الله ان سيدي ابراهيم المتبولي كل سنة يساط عده فوق هذا السد فيحضره جميع الاولياء والصحابة الاحياء والاموات * قال وقد حضرت معهم مرات فقلت له وهل يسع السد هؤلاء الناس كلهم فقال نعم طوله سبعون ميلا وعرضه خمسون ميلا اه وأحوال مقدمات الساعة صنف الناس فيها كتبا كثيرة وانما قصدنا في العقائد الاشارة بذكر طرف منها لاجل الايمان بها لا غير والله أعلم * (خاتمة) * ذكر الشيخ في الباب التاسع والخمسين من الفتوحات في معنى حديث الدجال يوم كجمعة ويوم كشهر ويوم كسنة وسائر أيامه كايامكم معنى يوم كجمعة أن الغيوم تكثر في ذلك الزمان فلا ترى الشمس الا بعد سبعة أيام فتطلع الشمس وتغرب ولا يعلم ذلك الا أرباب الكشف وكذلك القول في الشهر والسنة وليس المراد أن اليوم الواحد يمتد مقدار سنة مثلا لانه لو امتد لم يكن يلزمنا فيه الا خمس صلوات فقط في كل يوم وليلة فلما تواترت الغيوم وتوالت تساوى في رأى العين وجود الليل والنهار فظن الناس ان الشمس لم تغرب في نفس الامر وهو من الاشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان فاذا حال الغيم المتراكم بيننا وبين السماء كانت الحركات التي عليها أهل الهيئة باقية كما هي لم تختل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقدروا لها أي للصلوات فامر الشارع أوقات الصلاة بالتقدير عرفنا ان حركات الافلاك على حالها لم تختل نظامها اه ولو أن ذلك اليوم الذي كسنة يوم واحد ممتد لوجب علينا ان لا نصلي الظهر حتى تزول الشمس وما لم تزل الشمس لا نصلي الظهر ولو كثنا أكثر من سنة فحصل من هذا ان المعنى اقدروا والهاء من يوم واحد مثلا أي في رأي العين لا في نفس الامر فانه في نفس الامر مضى اليوم ولم يشهد به أحد وان اليوم الذي كسنة تطلع فيه الشمس وتغرب ثلثمائة وستين يوما وكذلك القول في الشهر والجمعة تمكث الشمس فيه لا ترى شهرا أو سبعة أيام * (قلت) وهذا الذي ذكره الشيخ محيي الدين خلاف

القائلون بالحلول فهم أهل الجهل والفضول فانهم أثبتوا حالا ومحلا وعينا واحدا واحدا لان فصل فتم ما فصل ومن وصل فقد شهد على نفسه بانه فصل والشيء الواحد لا يتصل بنفسه الا اذ تجزأ والواحد لا يصح فيه انقسام الا بامر زائد على ذاته وما ثم الا مصنوعاته (قلت) فكذب والله من افترى على الشيخ رحمه الله بانه يقول بالحلول والاتحاد فتأمل والله أعلم * وقال لو انقطع الاصل لانقطع النسل التواصل سبب التناسل سواء كان من نكاح أو من سفاح * وقال ان نظرت بغير عينه فقد فزت بعلم بينه وبينه هو فضله ووصله على هذا وقع الاصطلاح عند الشراح فهو من أسماء الاضداد كالقرء في الطهر والحيض المعتاد * وقال ليس من الملة القول بالعلة اذ الحق عند أهل الملة لا يصح أن يكون علة لانه تعالى قد كان ولا أنا فلما اذا العلة ان كان علة لم يفارق معلوله كما لا يفارق الدليل مدلوله لو فارقه ما كان دليلا ولا كان الآخر عليلا ما قال بالعلة الا من جهل ما تعطيه الادلة القول بالعلة معلول بواضح الدليل وليس الى مخالفته سبيل فان أحكام الحق في عباده لا تعلل وهو المقصود المؤمل * وقال ما أظهر الشتاء والقيظ الا تنفس جهنم من الغيب فعندنا حلينا في العاجل دليل على الآجل أكل بعضها بعضا فأقرضها الله فينا فأقرضناها نرجو أن يكون ما يصيبنا منها من حرورها وزمهريرها يحول في القيامة بينه وبين سعيرها وقد جازت من اقترضها في الدنيا بالجود عنه في الاخرى فتقول جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي فالادباء الاعلام يعتقدون القضاء ويحاسبون نفوسهم على ما مضى * وقال لا يلزم من الايمان بالفوقية للحق تعالى الجهة ولا لزوم التشبيه الجهة ما وردت والفوقية قد ثبتت فانظر ما ذا ترى وكن مع

ما يدل عليه ظاهر قوله في الحديث فاقدروا له فليتأمل فان غالب الافهام على ان اليوم الواحد بطول المدة التي ذكرها في الحديث من جمعة أو شهر أو سنة والله أعلم بحقيقة الحال

*(المبحث السادس والستون في وجوب اعتقاد ان الله تعالى يعيدنا كما بدأنا أول مرة
وبيان كيفية تهيئة الاجساد لقبول الارواح وبيان صورة الصور واحيائه
من في القبور وبيان شبه المنكرين للبعث)*

ولنبدأ بعبارة شرح جمع الجوامع وحاشيته ثم نذكر نقول المحققين من الصوفية فنقول وبالله التوفيق اعلم أن عود الجسم بعد الاعدام بجميع اجزائه الاصلية وعوارضه حق كما كان قبل الموت قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وقال تعالى كما بدأكم تعودون وقال تعالى بعثر ما في القبور ومع ما قد ورد في الكتاب والسنة من العبارات التي لا تقبل التأويل حتى ان ذلك صار معلوما من الدين بالضرورة وقد انعقد الاجماع على كفر من أنكر البعث جوازا أو وقوعا وقد أنكرت الفلاسفة اعادة الاجسام وقالوا انما تعاد الارواح بمعنى انها بعد موت البدن تعاد الى ما كانت عليه ملتذة بالكمال أو متألمة بالنقصان قال الكمال في حاشيته ومرادهم بقولهم ان الجسم يعاد بجميع أجزائه الاصلية أي الباقية من أول العمر الى آخره لان الاجزاء مطلقا تعاد وذلك ليندفع بذلك الشبهة المشهورة وهي ما اذا أكل انسان انسانا بحيث صار المأكول جزأ من الآكل فاذا أعاد الله تعالى ذينك الانسانين بعينهما فتلك الاجزاء التي كانت للمأكول ثم صارت للآكل اما ان تعاد في كل واحد منهما وهو محال لاستحالة أن يكون جزء واحد بعينه في آن واحد في شخصين متباينين أو يعاد في أحدهما وحده فلا يكون الآخر معادا بعينه والفرض خلافه ووجه الاندفاع ان المعاد هو الاجزاء الاصلية الباقية من أول العمر الى آخره دون الاجزاء الفضلية والاجزاء الاصلية التي كانت للمأكول هي فضلة في الآكل فانا نعلم ان الانسان باق مدة عمره واجزاء الغذاء تتوارد عليه وتزول عنه واذا كانت فضلة لم يجب اعادتها في الآكل بل في المأكول اه والله أعلم وعبارة الشيخ محيي الدين اعلم أن من أنكر البعث والاعادة في الاجسام كفر وصورة الاعادة ان الله تعالى ينزل من السماء مطرا يشبه مني الرجال تمخض منه الارض فينشئ الله تعالى منه الخلق النشأة الآخرة قائمة على عجب الذنب الذي بقي من نشأة الدنيا وهو أصلها الذي لا يقبل البلاء كما مر في مبحث الارواح ثم اذا أنشأها الله تعالى النشأة الآخرة وسواها وعدلها استعدت لقبول الارواح كاستعداد الشجر بالنارية التي فيه لقبول الاشتعال وكانت الصور البرزخية كالسرج المشتعلة بالارواح التي فيها فاذا نفخ اسرافيل في الصور الذي هو الحضرة البرزخية التي ينتقل اليها بعد الموت مرت تلك النفخة على جميع تلك الصور البرزخية التي احتوى عليها الصور فأطفأتها كلها فيقول الله عز وجل لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فاذا نفخ الثانية اشتعلت تلك الصور المستعدة للاشتعال بأرواحها فاذا هم قيام ينظرون في كل صورة قائمة حية ناطقة بما ينطقها الله عز وجل به فمنهم من ينطق بالحمد لله ومنهم من ينطق بقوله سبحان من أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور ومنهم من ينطق بقوله من بعثنا من مرقدنا وهكذا ينطق كل انسان بما كان عليه عند موته واعلم ان كل واحد ينسى حاله الذي كان عليه في البرزخ ويتخيل أن كل ما كان فيه منام كما يتخيله المستيقظ من منامه * وقال في باب الاسرار في قوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده المراد بالخلق هو الفعل الصادر منه تعالى لا المخلوق فان عين المخلوق ما زالت من الوجود وان اختلفت عليها الاطوار في الدنيا والبرزخ والجنة والنار فان عين المخلوق واحدة من حيث جوهرها فلم تنعدم حتى يقال انها توجد وانما هو انتقال في علم الله تعالى من وجود الى وجود ولذلك كان نعيم القبر وعذابه حقا وايضاح ذلك ان نشأة الآخرة ابتداء لا اعادة حقيقة اذ لو كانت اعادة حقيقة لعد

أهل العصمة من الورى * وقال التلوين دليل على التمكين نزل في سورة الرحمن كل يوم هو في شأن انما كان الثالث الآخر من الليل فيه البركة لان فيه الحركة فلا يه في لقول من قال كل يوم تتلون * غيره ذا بك أحسن * وقال جميع ما في الوجود فعاله مع أنه حرم الفواحش فلم ولا تناقش * وقال ان الله لا يمل حتى تملوا فرتحلوا وحلوا قيد نفسه تعالى في عقدكم فقال أوفوا بعهدي أوف بعهدكم تنبيها لكم على الادب وخروجا لكم عن الريب * وقال من نظر الى خلقه علم أن حكمه في الحركة والسكوت من أصله فتحرك بحركته لا بتحريكه فاياك والابتداع * وقال من قام بالحق صدق في كل ما نطق من قومه بالسيف وان عدل صاحب حيف واذا كان الاصل معلول فصاحبه مخذول لانه أصل فاسد يحرم العبد الفوائد * وقال الطريق سابقة وقائدة الى الشقاوة أو سعادة فاعرف الطريق وتخير الرفيق تنج من عذاب الحريق * وقال لا تكثر لو راد الاعلى باب الاجواد فان البخيل بابه مغلق والجواد جواده مطلق اذا فني الكريم عن شهود جوده في حال جوده فهو الدليل على صحة وجده وجوده فانه ما أعطى للخلق الا ما كان لهم في خزائن الحق ومع هذا فله الاجر في استعماله في هذا الامر ومن تكرم وجاد وتخيل أن له فضلا على العباد فما جاد اذ المنة ذي قاعلم ذا * وقال لا يتعدى قط حكيم مارتبه العليم فما حكم به الولي في الخلق بعضبه الحق وان رده الحاكم الجائر فلا يلتفت الى رده فانه مرصد لقوعده وحدوده ولا يخاف المعاد فلابد من رد أهل الالحاد * وقال قد كان الحق ولا شئ معه فهو السابق وهو الذي يصلي علينا فهو اللاحق تارة يتجلى في اسمه الاول وتارة في اسمه الآخر * وقال من كان هل الفساد خيف عليه الفساد ولكنه

حكمها فهو امن التشكيك فكل جوهر لا ينعدم من حين خلقه الله تعالى وانما هي أطوار تتوارد عليه وأطال
فى ذلك ثم قال فعلم ان الحق تعالى أبدع الارواح من هياكلها احتاجت الى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوعاء
فكان لها الانفساخ بالسراح من هذه الاشباح ثم انه اذا وقت الاعادة عادت الى ما كانت عليه رجوعا وجهها هذا
معنى الرجوع اه فليتأمل وقال الباب الثانى والسبعين وثلثمائة ان لم تكن الاعادة على صورة
الابتداء فما هى اعادة اه * وقال فى الباب السبعين من الفتوحات فى قوله تعالى كما بدأكم تعودون اعلم
ان الحق تعالى قد بدأنا على غير مثال سبق وكذلك يكون انشاؤه لنا فى الآخرة على غير مثال سبق فمن علم ذلك
لم يستبعد وقوع المحالات من حيث العقل والافليس ذلك بمحال من حيث القدرة الالهية اه فليحرر
وسيأتى أيضا عن الغزالى فى جواب السؤال الثانى من شبه المنكرين للبعث فراجعه * وقال فى الباب
الحادى والسبعين وثلثمائة فى قوله تعالى اذا بعثر ما فى القبور واعلم انه اذا بعثر ما فى القبور وأخرجت الارض
أثقالها لم يبق فى بطنها سوى عينها اذا أخرج ما كان فيها اخراج الانبات وذلك ليفرق بين نشأة الدنيا الظاهرة وبين
نشأة الآخرة فان الدنيا أنبتنا فيها من الارض نباتا كما ينبت النبات شيأ بعد شئ على التدريج وقبول الزيادة
فى الجرم طولا وعرضا وأما نشأة الآخرة فهى اخراج من الارض على الصورة التى يشاء الحق تعالى
ان يخرجنا عليها قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون فاذا أخرجت الارض أثقالها وحدثت بأنه لم يبق فيها
مما اختزنته شئ جئ بالعالم الى الظلمة التى دون الحشر فألقى الخلائق فيها حتى لا ينظر بعضهم بعضا ولا يبصرون
كيفية التبديل فى السماء والارض حين يقع فتمد الارض أو لامد الاديم وتبسط فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا
وهى الساهرة اذ لا نوم فيها الكون ثم ابعد الدنيا ولا نوم لاحد بعدها اه وقال فى الباب الثالث وثلثمائة اعلم ان
الناس قد اختلفوا فى صفة الاعادة بناء على اختلافهم فى الموت هل هو طلاق رجعى أو بائن وفرعوا على ذلك ما اذا
ماتت امرأة هل يغسلها زوجها فقال بعضهم حكمها بعد موتها كالاجنبية تماما فليس له ان يكشف عليها وقال
قوم حرمة الزوجية باقية فله ان يغسلها ويراه معها كحاله حال حياتها فان كان رجعيا فان الارواح ترد الى أعيان
هذه الاجسام من حيث جواهرها فى البعث وان كان بائنا فقد ترد اليها او يختلف التأليف وقد ينشأ لها
أجسام أخر لاهل النعيم أصفى وأحسن ولاهل العذاب بالعكس قال والحق انها ترد الى أعيان هذه الاجسام
التى كانت مكلفة حتى تنعم أو تعذب وحتى تشهد على صاحبها حين تستشهد اه * وقال فى الباب الستين
ومائتين اعلم ان الجوارح اذا استشهدت يوم القيامة على النفس المدبرة لها والجلود لا تشهد بوقوع معصية
ولا طاعة لانه لا خبر لها بما تنويه النفس فى الاعمال ولا تدرى هل ذلك العمل مشروع أو غير مشروع
وانما تشهد بما عملته والله تعالى يعلم حكمه فى ذلك العمل ولهذا قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم
وأرجلهم بما كانوا يعملون ولم يشهدوا بكون ذلك العمل طاعة أو معصية فان مرتبة الجوارح لا تقتضى ذلك
انما تقتضى ان الفرج مثلا يقول أنا دخلت فى فرج فلانة ويقول الفم أنا شربت خمرا ولا علم لهما بكون ذلك
حراما أم لا وسيأتى عبارة الشيخ أبى طاهر فى بيان شبهة المنكرين للبعث ان شاء الله تعالى * وقال الشيخ
محيى الدين فى علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة اعلم ان العمل حق للجارحة والنية حق للروح ولا خبر
للجارحة بما تنويه النفس من ذلك فاذا شهدت الجلود من هذه النشأة والاسماع والابصار والايدى والارجل
وجميع الجوارح لا تشهد الا بما جرى منها الا علم لها بكون صاحبها تعدى حدود الله أم لا * قال الشيخ
وليس فى العلوم أصعب تصورا من هذه المسئلة فان الارواح طاهرة بحكم الاصل والاجسام وقواها كذلك
طاهرة بما فطرت عليه من تسبيح خالقها وتوحيده ثم باجتماع الجسم والروح حدث اسم الانسان وتعلق به
التكليف وظهرت منه الطاعات والمخالفات فالارواح لا تنالها فى الشقاء لطهارتها والنفوس الحيوانية

أين من المنقاد ما بعد المنقاد الا بحكم الاتفاق فليس مطلق الانقياد من مكارم الاخلاق فمن حكم العلم سلم وغنم * وقال من كانت همته عالية
لم يظهر لهمته تأثير فى هذه الدار الفانية فانما تفنى بفنائها او ترحل عن فنائها * وقال الشكر قيد عكربه فات من أوصل حقا الى
مستحقه فقد أدى الواجب حقه فلا موقع الشكر ولا بذل ولا فضل وقد قرن الله الزيادة بالشكر لما علم فيها من المكر * وقال عطاء الله كله بذل وان كان منعا ومن آثر على نفسه من المؤمنين فهو الخاسر وان عفا فان المؤمن قد باع نفسه من الله والمبيع لمن اشتراه وحق الله أحق لكن الدعوى أوقعت العبد فى البلوى ابدأ بنفسك مقدما لها على أبناء جنسك * وقال من رأى الكون عينا مستقلة فهو صاحب علة ما قال بالعلل الا القائل بان العالم لم يزل وأنى للعالم بالقدم وماله فى الوجود الوجوبى قدم لو ثبت للعالم القدم لاستحال عليه العدم والعدم ممكن بل واقع عند العالم الجامع لكن أكثر العبيد فى لبس من خلق جديد فعارف تجدد الاعيان الا أهل الحسبان وأثبت ذلك الاشعرى فى العرض وتخيل الفيلسوف فيه انه صاحب مرض لجهله بسواد الزنجى وصفرة الذهب * وقال الوقت سيف ومنه الحرف كل الحرف زمانك حالك وفى اقامتك ارتحالك فسيرك بهذا كسير سفينة بقوم جلوس والقلوع تطير وقال لو كتم العبد سر الماقيل له لقد جئت شيأ امرا ولا
نكرا ولو ترك السر مخزونا ما كان الكليم مغلوبا بان هى الا فتنتك من شدة الشوق عن ذوق * وقال العذاب الحاضر تعلق الخاطر تجرى
من نفس استراح وخرج من القيد وراح الانس لا يكون الا بالمشاكل والمثل ضد والضدية بعد الانس بالانس لا يكون الا

تجري بحكم طبعها في الاشياء ليس عليها بمجردها تكليف والجوارح كلها ناطقة مسبحة بحمده فمن المخالف والعاصي المتوجه عليه الذم والعقوبة فان كان قد حدث بالمجموع الهيئة القائمة بالانسان أمر آخر كما حدث له اسم الانسان فما هو ذلك الحادث الذي حدث وما هو حقيقته اه وقد أجاب بعضهم بأن الله تعالى ما كلف الا البالغ العاقل ولا يكون مكلفا الا من جمع بين الروح والجسم ومتى فارقت الروح الجسم أو عكسه انتفى التكليف فانتفى المدح والذم والعقوبة فليتأمل وأما بيان تهيئة الاجساد لقبول الارواح فقال الامام أبو طاهر في كتابه معراج العقول اعلم ان المنكرين للمعاد ورد الارواح الى الاجساد زعموا ان تعلق الارواح اللطيفة بالتراب الجامي الغليظ الجافي مستبعد مستحيل للتنافر بينهما طبعا وان قدر ذلك فلا يتصور الا بعد أن ينقلب التراب نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينتهي الى التسوية وهيهات وقالوا انكم تدعون ان الرفات والتراب يحيا بالروح وذلك رجع بعيد فنقول لهم اعتبروا بالنشأة الاولى فان القدرة الازلية لم تقصر عما كانت عليه في الخلق الاول من التراب اذ قال له كن فكان ثم ان هؤلاء انما يقيسون الاحياء في الآخرة على ما عهدوه في الدنيا من اجراء الله العادة في خلق الجنين ولو لم يشاهدوا ذلك في الابتداء وأخبروا به لكانوا أشد انكارا على أنا نقول لعل الله تعالى ينقل تراب القبور في تغييرات نوازل الساعة واستحالاته طورا بعد طور حتى يبلغ حالة التسوية ثم يأمر بنفخ الروح فيه كما كان ذلك في تخمير طينة آدم عليه السلام حين سواه ونفخ فيه من روحه وذلك ان الاطوار المتعارفة في خلق الجنين هي كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما كما دلت عليه الآية وكانت تلك الاطوار في حق آدم عليه السلام هو قوله خلقكم من تراب خلقكم من طين من حمأ مسنون من صلصال كالفخار فاستوى مراتب خلق آدم وخلق الجنين ثم عدل أعضاء آدم هنالك وأعضاء بنيه ههنا بالتصوير فخلق آدم على صورته الخاصة به كما شاء فتم ذلك في حق آدم في أربعين صباحا التي هي مدة التخمير وتم ذلك في خلق الجنين من أولاده في مائة وعشرين يوما من ثلاث أربعينات وفي هذا المقام تساوى الاب والولد في استتمام الخلقة غير أن صورة الاب طين وصورة الابن لحم ودم وعظم فسوى الله تعالى جسم آدم مع جسد الجنين بقوله كن فكان وكان الطين لحما ودما وعصبا وعظما وذلك قوله تعالى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فاخبر أن تكوينه بعد خلقه اذ تقدم قوله خلقه من تراب وهذا الطور هو التسوية في قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقال في الجنين ثم أنشأناه خلقا آخر وهذا يشهد له اشارات الآيات والاحاديث بتلويحات خفية وجلية مبينة بأن هذه الاطوار أيضا تتعاور على التراب عند النشأة الاخرى وايضاح ذلك ان الارض كفات أودعت ذرات الاموات بعد انحلالها وتفرقها في جهات الارض بكرور الدهور ومرور الايام والشهور فاذا اقتربت الساعة وقربت الحاقة وأراد الله تعالى أن يبعثهم من القبور ويعيد اليهم الارواح بعد النشور غشاها من نوازل الساعة وزلازلها العظام والدواهي الهائلة والجوائح المتواترة ما يبلغها الى هيئة تلك التسوية القابلة للروح من النفخ في الصور ألا ترى انه تعالى أخبر أولا بالزلزال ونسف الجبال فقال اذا زلزلت الارض زلزالها ان زلزلة الساعة شيء عظيم كلا اذا دكت الارض دكا دكا فقل ينسفها ربي نسفا اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا ثم سيرها في مشارق الارض ومغاربها كما قال تعالى ويوم نسير الجبال وتكون الجبال كالعهن المنفوش هكذا يفعل بها حتى تتساحق أجزاء الارض والجبال فتصير كالرمال كما قال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ثم لا يزال ينسحق بعضها بالبعض من الجبال والارض تحت هذه القوارع والوقائع حتى يصير جميع أجزائها هباء كما قال تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا فلعله تعالى يصير ذرات الارض في هذه المدة كذلك والاهوال صفوا من الكدورات ويزيل عنها جميع الشوائب والخبث حتى تبدي جواهرها التي هي متهيئة لقبول الارواح وهي معنى قوله اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فتبقى بعد

العنون والكتاب المكنون لا يمسه الا المطهرون * وقال انما حرمت الخمرة في هذه الدار لانها تبدي الاسرار وترفع الاستار فحرمت في الدنيا لقوة سلطانها وهي لذة للشاربين حيث كانت لكم في الدنيا محرمة وفي الآخرة مكرمة وهي ألذ (٢٩٥) أنهار الجنان ولها مقام الاحسان * وقال لا يتعاظم العبد على ربه بأمر لانه يفعل ما يريد وما عصى الا بعلمه وما خرج الا بحكمه وكذلك حكم من أطاعه الى قيام الساعة * وقال ليس لاهل الجنان عقل يعرف انما هو شهوة وهوى يتصرف العقل في أهل النار قبله وبه يكثر حزن الساكنين بها وعويله العقل من صفات الخلق ولهذا لم يتصف به الحق العقل آلة التكليف فاذا زال التكليف تأخر العقل * وقال الحق نزوله سرى الى السماء التي تلي الورى فيسامرهم بالسؤال والنوال ويسامرونه بالاذكار والاستغفار ويقول ويقولون ويسمع ويسمعون هذا معنى النزول عند أرباب العقول المخلوق ضعيف ولولا المصالح ما نزل التكليف فخذ منه ما استطعت ولا يلزمك العمل بكل ما جمعت فان الله ما كلف نفسا الا ما آتاها وجعل لها بعد العسر يسرا حين تولاها وشرع في أحكامه المباح وجعله سببا للنفوس الى السراح والاستراح ما قال في الدين برفع الحرج الا من على منهج الشارع درج دين الله يسر فما عازه عسر ومن شدد على هذه الامة بعث يوم القيامة في ظلمة * وقال ما العجب الا من قوله الله يرجع الامر كله كيف قيل يرجع اليه وهو ومابرح لديه ولم تزل في يديه ستور مسدلة وأبواب مقفلة وعبارات موهمة وهي شبهات من أكثر الجهات * وقال اذا لمح القلب شهود الحق فهو حينئذ ضيف نازل يتعين على المؤمن القيام بحقه والكرامة تكون على قدر القلب لا النازل

عليه وفي العموم على النازل لا المنزل عليه فلا يعجبنك أقوال الناس منازلهم لا نزالو عاملنا الحق بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه مواصلة * وقال حق على الخلق أن لا يعبدوا الا ما اعتقدوه من الحق أوفوا بعهدي أوف بعهدكم قال كل من عندكم دليل على الله أكبر الى عدوه يوم القيامة

في الصور * وقال لا تسكن الا الى الله ان أردت أن تكون من الاهل لا تدخل بين الله وبين عباده ولا تسع عنده في خراب بلاده دم على كل حال عباده وذلو بهم بلاده ماوسعه سمواته وما حوته ولا حواها ولكنها انكت تسمع وعلوم مفرقة تجمع وقل كما قال العبد الصالح ان تعذبهم فانهم عبادك الآية * وقال ذهب بعض الاماثل ان الله لم يعامله ابدا النازل يطالب بنزوله من أوجده والحق تعالى لا ينتهي اليه فكان ينبغي من أول حركة أن يعتمد عليه لانه جل وعز أن تنقطع دونه الفازات الحال يحيل العلم به فأين تذهبون يقول العارف لابي يزيد الذي تطلبه تركته ببسطام فدل على هذا المقام * وقال كلما خبثت السريرة عميت البصيرة وبرفع الالتباس بتفاضل الناس * وقال ما من شخص الا ويخاطبه الحق من قلبه ويحدثه من لبه وهو لا يعرفه انما يقول خطر لي كذا وكذا ولا يدري ذلك من أين لجهله بالمعين فما فاز أهل الله الا بشهوده لا بوجوده مع ان شهود الحق لا ينضبط وهو مع العالم مرتبط ارتباط عبد بسيد ومملوك بمالك ومقهور بقاهر * وقال الجنين في كبد الام يولد وفي ظلمة ثم ما دام في بطن أمه ولما علم أنه في أمر مريج أراد الخروج والعروج فأخرجه على الفطرة التي كان عليها أول مرة في
فالشقي هو الشقي في بطن أمه لما هو عليه من عمله والسعيد سعيد في بطن أمه لما خصه به من علمه فلقد رأيت من شمت أمه وهو في بطنها حين عطست

ذلك في غاية الصفاء والرقة والنعومة والدقة كالهواء وما سواها من أجزاء الارض الغريبة يتلاشى وينعدم الاثر ى الى قوله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا ولا شك ان جرم الجبال اشد من جرم الارض فاذا صارت الجبال سرابا فما حال التراب والسراب هيئة كالجبال بتلاشى في الحال حتى اذا جاءه الشخص لم يجده شيأ لطافته وهذا اشارة الى اعدام الله جميع أجزاء الارض سوى ذرات بني آدم واليه الاشارة بقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وما أشبه تلك الذرات بذرات الذهب في المعدن حين تطير عليها الامطار وتغسلها من تراب المعدن حتى تصير تبرق وفي الحديث ينزل الله تعالى أمطارا متوالية كمني الرجال فينبتون من الارض كما ينبت البقل وفي رواية كما تنبت الحبة في حميل السيل أمثاراً وثم انخرج صفراء ملتوية وقد شبه الله تعالى في القرآن احياء الموتى باحياء الارض بعد موتها في مواضع كقوله تعالى ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى وأطال الشيخ أبو طاهر في ذلك ثم قال فهذه التغييرات والتبديلات لذرات الاموات بمنزلة تغاير التراب في أيام تخمير طينة آدم وتغاير النطف في تخليق الاجنة في الارحام فاذا أخرجت الى الارض لا يبقى للتراب حلاوة ولا طلاوة تنافي الارواح في اطافتها بل تصير من تغايرهم بما منها في لطافتها وصفائها كالمتانة الى أرواحها احنين الابل الى مراحها بل كحنين الالف اذا فارقها الفه دليل على ان الله تعالى اذا أراد أمرا لم يحتج الى آلات ووسائط وأصول وروابط وانما يقول له كن فيكون وقد أرى الله تعالى موسى بن عمران في قصة البقرة واحيائها مثل هذه الحالة حتى رآها عيانا قال تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى فصار الحشر والنشر له معاينة بما اختص به من ذلك العلم عنده اه وأما بيان صورة الصور واحياء من في القبور فاعلم رحمك الله انه قد ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وأصغى سمعه وحنى جبهته وشخص ببصره الى ذي العرش ينتظر متى يؤمر بنفخ فينفخ فيه قالوا يا رسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفي الحديث مرفوعا أيضا الصور قرن ينفخ فيه وفي حديث آخر أنه ذو ثقب بعدد كل انسان ثقبة هي دار روحه وينفخ اسرافيل في الصور مرتين الاولى نفخة الصعق والثانية نفخة الاحياء تسمى احداهما الراجفة والاخرى الرادفة وبينهما أربعون عاما على الاصح وقيل أربعون يوما وقد يسمى الصور أيضا الناقور قال تعالى فاذا نقر في الناقور وفي الحديث انه يقول فيه أيتها الاعضاء المتهشمة والعظام البالية والاجسام المتفرقة والجلود المتمزقة والاوصال المتقطعة والشعور المتطايرة قوموا الى العرض على الله تعالى فتخرج حينئذ أرواحهم من ثقب الصور ولها دوي كدوي النحل ورب العزة يقول وعزتي وجلالي لاعيدنكم كما خلقتكم أول مرة قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فهذه الاحاديث وما شاكلها دلت بمجموعها على ان الصور شئ على هيئة القرن وله تدوير اذ قد جاء في الخبر ان دور رأس الصور كعرض السموات والارض واسرافيل تحت العرش واضع فمه عليه نافذ بجميع أطباق السموات الى تخوم الارضين وفيه ثقوب بعدد أرواح الخلق في كل ثقب روح محتبسة فاذا نفخ في الصور النفخة الاولى صعق كل من في السموات ومن في الارض من كل ذي روح لشدة الفزع الا من شاء الله قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور العين وقيل موسى عليه السلام لانه صعق في الدنيا مرة فعوض بها ثم بين النفختين يأمر الله تعالى عزرائيل ان يقبض روح جبريل وميكائيل واسرافيل ثم يقول الله له مت فيموت فحينئذ يعم الهمود والخمود أربعين سنة فلا يبقى في الكون حي الا الحي الذي لا يموت ثم يحيي الله تعالى اسرافيل فينفخ النفخة الثانية كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فأشعرت هذه الآية والاحاديث بان الصور ثقبة حبس الله تعالى فيها أرواح الموتى وهو البرزخ الاكبر رأسه الى عليين وأسفله الى سجين وما ورد في الاحاديث من مواضع الارواح مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الانبياء في جنات عدن تصعد مرة وتصدر أخرى وتكون

فى اللحد مؤنسة لاجسادهم ساجدة لله تعالى وأرواح السعداء فى الفردوس وأرواح الشهداء فى حواصل طير خضر فى قناديل معلقة تحت العرش وأرواح أطفال المسلمين فى حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وأرواح ولدان المشركين فى الجنان وليس لها مأوى يخدمون أهل الجنة وأرواح المسلمين الذين لهم تبعات معلقة فى الهواء لا تصل الى الجنة ولا الى السماء حتى يرضى الخصماء وأرواح الفساق المصرين تعذب فى القبر مع الجسد وأرواح المنافقين فى بئر برهوت وأرواح الكفار فى سجين تعرض على النار غدوا وعشيا قال العلماء وشعب الصور تلاقى هذه الارواح كلها فى أماكنها من العرش الى السموات الى الارض لعظمها فالارواح فى الصور فى هذه المواضع التى ورد الحديث بها وهى فى المعنى محبوسة فى الصور فانه يضبطها الى يوم القيامة وهذا من علوم الاولياء وهم يشاهدون ذلك عيانا فى عصرنا هذا ومثاله أن يقال فلان بالمشرق وفلان بالمغرب وفلان ببغداد وفلان بمكة وفلان بالمدينة وفلان باصبهان وفلان بمصر الى غير ذلك من البلدان وكلهم فى ضوء النهار يضمهم شعاع الشمس فعلى هذا المعنى لا تناقض فى الاحاديث فكل من تأمل ذلك علم ان للاموات برزخين برزخ فى القبور الى يوم يبعثون وبرزخ فى الصور فبرزخ القبور محتبس اجسادهم وبرزخ الصور محتبس أرواحهم وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وانما البرزخ معرب لان أصله برزه وهو المكان المرتفع وسمى به القبر لارتفاعه عن الارض ولذلك سمى به الصور لارتفاعه الى العرش * قال الشيخ أبو طاهر رحمه الله وانما سمى الصور صورا والصورة أى ميله وانعطافه والصور فى اللغة الميل وكذلك القرن يكون مميلا فكأن الصور بانعطافه تعلق بالعالم كله وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة كالكور جمع كورة وهو معنى لطيف وذلك ان اسرافيل لما كان وكل بحفظ كل روح بصورتها فكان صورة مكمن الصور والارواح على ما هى عليها فى الدنيا كما ذكرنا انها صورة الانسان * قال الشيخ ومعنى النفخ هو ان الارواح الطائف كالرياح وانما تدخل فى تجاويف الاجسام بالنفخ كما دخلتها أولا قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى أى نفخ جبريل روحه فيه باذنى قالت الدهرية النفخ شئ واحد فكيف يميت مرة ويحيى أخرى قلنا لهم ان النفخة الاولى نفخة قهر فهى تطم الاجساد وتصم الآذان بقرعها وهى الطامة الكبرى والصاخة العظمى والقارعة لهذه الاجساد تهدمها وتفارقها الارواح بشدتها وأما النفخة الثانية فنفخة رحمة وعطف واصلاح فالاولى بها يميت الخلق وبالاخرى يحييهم مثاله النفخة القوية فانها تطفئ النار العظيمة والنفخة اللطيفة تحييها كما قال الشاعر

منك صلاحى وفسادى معا * كالنفخ يطفى النار والمذكى

فاذا عرفت يا أخى صفة الصور والارواح المحتبسة فيه وعرفت أن ذرات الاجساد المصفاة من الاوساخ والكدورات الارضية انما كان تصفيتها عناية لطفها الله به من قوارع الارض وحوادثها كما قيل * ان الحوادث صيقل الاحرار * وانها صارت اذ ذاك أرض فضة وحبرة بقيت متهيئة لقبول أرواحها كالارض الطيبة المهيأة لقبول الزرع فيها وكانت كل ذرة منها ناظرة الى روحها الخاصة بها وكذلك روحها ناظرة اليها سعيدة كانت أم شقية وعرفانها ذلك فطرة والهام من الله تبارك وتعالى كما قال فى مثل ذلك قد علم كل أناس مشربهم فاذا تمت الاربعون من النفخة الاولى ولم يبق فى الدار ديار أتى الله الروح الى اسرافيل أولا فيحييه كما ورد وذلك قوله تعالى يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون ثم أمره أن ينفخ نفخة ثانية وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا ونفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون أى يخرجون من الارض متخلصين عما ليس من ذراتهم من غرائب أجزاء

وجدت فهذا واحد خصه الله بعلمه وهو فى بطن أمه فلا يعجبك قوله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ فان ذلك مثل من رد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ فلا يلزم من العالم حضوره دائما مع علمه وهكذا حال الجنين اذا خرج من بطن أمه * وقال العجب كل العجب من رؤية الحق فى القدم أعيانا لعيانها العدم ثم اذا أبرزهم الى وجودهم تميزوا فى الاعيان عند وجودهم انكار وحقق ما انهلك عليه واستتر أوجد الله فى عالم الدنيا الكشف والرؤيا فيرى الامور التى لا وجود لها فى عينها قبل كونها ويرى الساعة فى تجليها والحق يحكم فيها بين عباده حين تجليها وما تمثلت ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت فتوجد بعد ذلك فى مرآها كما رآها فان تفطنت فقد رميت بك على الطريق وهذا منهج التحقيق * وقال فى قوله يا أيها النبى اتق الله اعلم ان من علم الخبير تأديب الصغير بالكبير أدب الامة بتأديب رسولها لتبلغ باستعمال ذلك الادب الى تحصيل مأمولها فالمخاطب الرسول والمراد من أرسل اليه فابحث عليه * وقال قال تعالى ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا فاخبر تعالى أن ذلك جزاء ما هو ابتداء فما ابتليت البرية وهى بريئة هذه مسئلة صعبة المرتقى لا تنال الا بالله قد اختلفت فيها طائفتان كبيرتان فنعت واحدة ما أجازت الاخرى والرسل بما اختلفوا فيه تترى وما تحقق أحد منهم ما جاءت به الرسل ولا سلك فيه سواء السبيل بل كل واحد ينصر ما قام فى غرضه وهو عين مرضه الا الطبقة العليا فانهم علموا الامور فى الدنيا والبرزخ والأخرى فى الدنيا فما الامر هو جزاء ما هو ابتداء يقول

الارض قال أهل العقو والنسل المسل اذا ذاب وفارق الشمع قال الشيخ أبو طاهر فيحتمل أن يكون انجذاب كل ذرة الى روحها وتمايزها من سائر أجزاء الارض كانجذاب كل ذرة من برادة الحديد متميزة من ذرات سائر الاجساد الى حجر المغناطيس الاتراها كيف تختص به خاصة من غيرها وكيف وهي في علم الله تعالى كل روح مع جسده حاضران مجتمعان وان كانا في الصورة عندنا متفرقين قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ وقال بلى قادرين على أن نسوي بنانه وقال قل يحييها الذي أنشأها أول مرة قال الشيخ أبو طاهر وانما بسطنا الكلام في هذه لكثرة ما يعتري النفوس التي غفلت عن ذكر ربها حتى طال عليها الامد فقست قلوبها وجهلت أمور معادها حتى كأنها حسبت وفرعت نسأل الله أن يحسن ظننا به عند الممات انه كريم جواد آمين انتهت عبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في كتابه سراج العقول * وأما عبارة الشيخ محيي الدين في الفتوحات فهي قريبة من عبارة الشيخ أبي طاهر فانه ذكر في الباب الثالث والستين ما نصه اعلم ان الصور والناقور اللذين ذكرهما الله تعالى في القرآن هما واحد وهو الحضرة البرزخية التي ننتقل اليها بعد الموت ونشهد نفوسنا فيها قال والصور جمع صورة بالصاد فينفخ في الصور وينقر في الناقور وهو هو بعينه وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصور ما هو قال قرن من نور ألقمه اسرافيل فأخبره ان شكله شكل القرن فوصفه بالسعة والضيق فان القرن واسع ضيق فهو في غاية الوسع لا شيء في الاكوان أوسع منه وذلك انه يحكم بحقيقته على كل شيء وعلى ما ليس بشيء ويصور العدم المحض والمحال والواجب والممكن ويجعل الوجود عدما والعدم وجودا وفيه يقول النبي صلى الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه وقوله ان الله في قبلة أحدكم فلا يبصق تجاه وجهه فأمر العبد ان يتخيل ربه في قبلته مواجها له ليراقبه ويستحي منه ويلزم الادب معه في صلاته مع انه تعالى لا يقبل من حيث ذاته الجهة أبدا ومن لم يتخيل هذا التخيل في صلاته فقد أساء الادب فلولا علم الشارع صلى الله عليه وسلم ان عند العبد حقيقة تسمى الخيال لها هذا الحكم ما قال له اعبد الله كأنك تراه أي تبصره قال الشيخ ومعلوم أن الدليل العقلي يمنع من كأنه تخيل بدليله التشبيه وأما البصر فما أدرك شيئا سوى الجدار فعلمنا أن الشارع ما أراد الا حصر الحق تعالى في جهة القبلة وانما العبد هو الذي يحصره لكونه ذا جهة ومعلوم أن الحق تعالى لا تحويه الجهات فقد صور الخيال من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتحويل ولهذا كان الخيال أوسع الحضرات قال الشيخ ولا يخفى أن سعة القرن انما هي في الطرف الاعلى لا الاسفل خلاف ما يتخيله أهل النظر فانهم جعلوا أضيق ما فيه المركز وأعلاه الافلاك الاعلى الذي لا فلك فوقه وان الصور يحوي صور العالم كلها فجعلوا الواسع هو الاعلى كما هو في الحيوان وليس الامر كذلك وانما لما كان الخيال كما ذكرنا يصور الحق فما دونه من العالم حتى العدم كان أعلاه الضيق وأسفله الواسع هكذا خلقه الله وشهدناه من طريق كشفنا فأول ما خلق الله منه الضيق وآخر ما خلق الله منه ما اتسع وهو الذي يلي رأس الحيوان ولا شك ان حضرة التكوين والافعال أوسع الحضرات قال ولهذا لا يكون للعارف اتساع في العلم الا بقدر ما يعلمه من العالم ثم انه اذا أراد أن ينتقل الى العلم بأحدية الله تعالى لا يزال يرقى من السعة الى الضيق قليلا قليلا وعلومه تنقص فاذا تم علمه ولم يبق له معلوم الا الحق تعالى وحده كان ذلك أضيق ما في القرن ضيقه والاعلى على الحقيقة وفيه الشرف التام وهو الاول الذي يظهر منه في رأس الحيوان اذا أنبته الله تعالى فلا يزال يمد على صورته من الضيق وأسفله يتسع وهو لا يتغير عن حاله فهو المخلوق الاول الا ترى الحق تعالى أول ما خلق القلم المعبر عنه بالعقل فما خلق الله الا واحدا ثم نشأ الخلق من ذلك الواحد فاتسع العالم وكذلك العدد منشؤه من الواحد قال ولا يخفى أيضا ان الله تعالى اذا قبض الارواح من هذه الاجساد أودعها صورا جسدية في مجموع هذا القرن النوري فجميع

الطبيب اذا تألم المريض مما أوجدت الانفعال بما أمرته به من الادوية المؤلمة وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب اذا مرض ولم يدر من أي باب دخل عليه المرض ألم الذهد الغماء وجزاه لما آلمت به المريض تغذ جزاء مافعلته * وقال أصدق القول ما جاء في الكتب المنزلة والصحف المطهرة ومع تنزيهها الذي لا يماثله تنزيه نزلت الى التشبيه الذي لا يماثله تشبيه فنزلت آياته بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الملك هل هو أمر ثالث ليس مثلهما أو مشترك وعلى كل حال فالمسئلة فيها اشكال لأن العبارات لفظنا والقرآن كلام الله لا كلامنا فالتنزل والمعاني لا تتنزل ان كانت العبارات فيها والقول الالهي وان كان القول فيها واللفظ الكياني وهو اللفظ بلا ريب فأين الشهادة والغيب ان كان دليلا فكيف هو وأقوم قيلا وما ثم قيل الا من هذا القبيل وهو معلوم عند علماء الرسوم فحقق ولا تتملق * وقال لما أقام الشارع العصمة مقام الحرس لم يحتج صلى الله عليه وسلم الى الحرس وقال لما كان يقول من يحرسنا الليلة مع علمه بان القدر كائن والحارس ليس بمانع ما قدر ولا صائن لكن المعبود طالب بذل المجهود وهو يفعل ما يشاء وهذا مما يشاء وما يشاء الا ما علم وما علم الا ما هو ثم فلله الحجة البالغة فافهم * وقال كيف للخلق ان يردوا دعوة الحق لولا ان صنعته ردت عليه وبضاعته ردت اليه ما أشبه ذلك بالصدى اذا ظهر بذا يتخيل المصوت انه غيره وما ثم الا أمر الحق واحد والاعتقادات تنوعه وتفرقه وتجمعه وهو في نفسه لا يتبدل وهو في عينه لا يتحول ما كأنه يحصره الاين ويحده الانقلاب من عين الى عين فلا يعلم فيه الا التنبيه ولا يتفطن الى هذا التنبيه الا من آمن بما ورد من التنزيه والتشبيه وأما

مابدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من الامور انما يدركه بعين الصورة التى هو فيها فى القرن وبنورها يدرك فهو ادراك حقيقى قال ومن الصور هنالك ماهى مقيدة ومنها ماهى مطلقة كارواح الانبياء كلهم وأرواح الشهداء ومنها مايكون له نظر الى عالم الدنيا من هذه الدار ومنها مايتجلى للنائم فى حضرة الخيال قال وأما نحو قوم فرعون فهم يعرضون على النار فى ذلك الصور غدوا وعشيا ولا يدخلونها لانهم محبوسون فى ذلك القرن وفى تلك الصورة ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المتخيل الذى كان لهم فى البرزخ بالعرض على النار فانه عذاب محسوس فى الخيال لا بالحس فافهم فانه محل غلط فيه من لا كشف عنده فان الحس لا يغلط أبدا وانما يغلط الحاكم عليه كصاحب المرة الصفراء يدرك العسل مرا فعلم أن كل من فى البرزخ محبوس فى صور أعماله مرهون بكسبه الى يوم يبعث من تلك الصورة فى النشأة الاخرى اه * وأما بيان شبه المنكرين للبعث فقال الشيخ أبو طاهر رحمه الله فاعلم رحمك الله أن الفلاسفة أنكروا البعث للاجساد وتعلقوا بشبه ضلوا فيها وأضلوا كثيرا من الناس ومعظم شبههم سؤالان الاول قولهم ان الانسان ليس انسانا بمادته بل بصورته وانما تكون الاعمال الانسانية صادرة عنه لوجود صورته فاذا بطلت صورته عن مادته وعادت المادة الى أصولها من العناصر فقد بطل الانسان بعينه ثم اذا خلقت فى تلك المادة بعينها صورة انسان جديد يحدث منها انسان آخر لا ذلك الانسان الاول فان الموجود فى الثانى من ذلك الاول هو مادته لا صورته فلا يكون هو محمودا ولا مذموما ولا مستحقا لثواب أو عقاب بمادته بل بصورته وبانه انسان من تراب فيكون الانسان المثاب والمعاقب ليس هو الانسان المحسن المسىء بل انسان آخر مشارك فى مادته ور بما استشهد الفلاسفة على ذلك بقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وقوله تعالى قادر على أن يخلق مثلهم وقالوا ومثل الشىء لا يكون عين ذلك الشىء هذا ما أورده ابن سينا فى كتابه فى المعاد وقد أجاب عن ذلك الشيخ أبو طاهر رحمه الله بقوله أما قولهم ليس الانسان انسانا بمادته بل بصورته يريدون بالمادة جوهريته المركبة من الاخلاط ويسمونه الهيولى ويريدون بالصورة معانيه المودعة فيه وهذا منهم دعوى لا برهان عليها بل الانسان عند أهل البصائر هذا المجموع من الجسد والروح بما فيه من المعانى فاذا بطلت صورة جسده بالموت وزالت عنه المعانى بقبض روحه لا يسمى انسانا فاذا جمعت هذه الاشياء اليه بالاعادة ثانيا كان هو ذلك الانسان بعينه الا ترى ان الجسد الفارغ من الروح والمعانى يسمى شبحا وجثة ولا يسمى انسانا وكذلك الروح المجرد لا يسمى انسانا وكذلك المعانى المختصة به من العلم والقدرة والارادة والسمع والبصر لا يسمى انسانا بمجموعها ولا بتفاريقها على الانفراد لا عقلا ولا عرفا فعلى هذا قولهم الانسان انسان بصورته فقط كلام باطل بل الانسان بجسده وروحه ومعانيه المختصة به انسان ألا ترى أنه يضاف بعضه الى بعض فى الخطاب فيقال له نفسك وروحك وجسدك قلبك عاملك قدرتك وكذلك يضاف اليه جميع أعضائه فيقال رأسك يدك رجلك الى آخرها فلولا ان الانسان مجموعها والا فمن كان المخاطب بكاف الخطاب من جميعها وقد أضيف الجميع اليه فعلى هذا الاصل يكون تبديل الصفات بالموت والاعادة اليه غير مخرج له عن أن يكون ذلك الانسان الاول بل هو هو بعينه ان كان محمودا فمحمود وان كان مذموما فمذموم واستحق الثواب والعقاب لانه هو الاول وأما قولهم ان مثل الشىء لا يكون حقيقة ذلك الشىء كما فى قوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم فمعناه على أن نبدلكم والمثل قد يزاد فى الكلام تأكيدا كقوله ليس كمثله شىء والعرب تقول مثل الامير لا يقول هذا يعنون الامير لا يقول هذا وقد صرح بذلك أبو الطيب فى شعره

مثلك يثنى الحزن عن صوبه * ويسترد الدمع عن غربه

ولم أقل مثلك أعنى به * سواك يافردا بلا مشبه

من تزوقفا أو شبه فقط فهو صاحب غلط لان التشبيه تنزل للعقول وتمهيد للقبول * وقال السيد يستخدم العبد بعقله والعبد يستخدم سيده بحاله ولسان الحال أفصح من لسان المقال اذ الاحكام التى تتضمنها الاقوال انما تعرف بقرائن الاحوال والاصطلاح قد لا يكون له فى كل باب مفتاح * وقال مقاومة الاقدار للعقوق والاصرار نتيجة النزاع للاقدار فالعبد من العبيد من كان مع الله كما يريد فان أراد منه النزاع نازع لكن هو نزاع بحكم الشرع لا بحكم الطبع لولا الفرح الالهى ما تاب التائب ولولا التبشبش الربانى ما تصف آتى المسجد بالذهب * وقال لما أراد الحق تعالى المناجات فى مسجد الجماعات أمر باعلان الاذان لاصحاب الآذان فمن أجاب الداعى فهو صاحب السمع الواعى وما للاحدية فى النداء أثر ولا فى تحريمها أثر فالله أكبر مفاصلة ولا اله الا الله مفاصلة والشهادة بالرسالة مفاصلة عن مواصلة والحيعلتان مقابلة والنداء مؤذن بالبعد والاذان لنا دليل على عدم عموم الرشد فان رعاة الاوقات عارفون بالميقات فالاذان لا يكون الا لمن هو مشغول بالاكوان ونائم لا مشتغل لانه بالاصالة منفعل وان كان الفاعل منفعلا للمنفعل فهو فضل منه ومنه ادعونى أستجب لكم * وقال على قدر دعوى الايمان يكون الامتحان فالمؤمن ليس فى أمان الا فى أكدار الحيوان * وقال الايثار ليس هو من صفة علماء الاسرار لان ماهو لك لا تقدر على دفعه وما هو لغيرك فلا تقدر على منعه فأين الايثار فالامر امانة فأدها والا سلب عنك اسمها * وقال ليس العجب ممن سار بلا انما العجب ممن اتخذ مستغاثه وكيلا ولولا ورد بذلك الامر الربانى لرده الادب الكيانى ما أجهل أكثر الناس ببواطن الادب وهو الذى أداهم الى

وهذا المعنى شائع في العربية لا يخفى على من شم رائحتها والله أعلم (السؤال الثاني) وهو العظيم الذي ضل فيه كثير من الناس وهو الذي نقلناه أوائل المبحث عن الجلال المحلي وعن الكمال في حاشيته على سبيل الاختصار وبسط ذلك هو انهم قالوا المعاد من الانسان ما هو ان قلتم اجزاؤه الحاضرة عند الموت فيجب أن يبعث المجذوع والمقطوع على صورتهما تلك وهذا لم يرد به شرع وان أعيد اليه جميع اجزائه التي كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب ان يكون جزء واحد بعينه يدا ورأسا وقلبا وكبدا لان الاجزاء العضوية المركبة من الدم وسائر الاخلاط سيالة تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذاء وكذلك اذا أكل الانسان انسانا فصار بالاغتذاء واحدا فكيف يتعاوران وحان بانسان واحد وكذلك اذا قطعت يد كافر فأسلم فكيف تكون يده في النار وهو في الجنة اقطع وعلى عكسه لو قطعت يد مسلم فكفر وأيضا فان الغالب على ظاهر الارض اجزاء جثث الموتى القديمة وقد زرع فيها زروع كثيرة وغرس فيها أشجار وكروم واغتذى منها الناس وانعقد في أبدانهم ذلك لحما ودما فكيف يكون مادة واحدة واصل واحد حاملة لصور وأناسي كثيرة هذه شبهتهم الهائلة المتضمنة لهذا السؤال المنسوب الى ابن سينا وقد حكى الغزالي هذا السؤال وكأنه قد سلم المسئلة وصرح في فتاويه وغيرها بانه لا يجب ان يكون المعاد بعينه هو الجسد الاول بل أي جسد كان جائز وأهمل هذا السؤال جماعات كثيرة (والجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله وقال انه معتقد السلف والخلف ان المعاد هو هذا الجسم بعينه وبيانه ان تعلم يا أخي ان الذرة التي قبضها عزرائيل عليه السلام من الارض أولا في كل انسان باقية لا تتبدل البتة وهي الجزء القائم منه الذي أخذ عليه الميثاق ويتوجه عليه في القبر سؤال الملكين ويتولى جوابهما برد الروح اليه والحياة له وسائر أجزائه تبع وهو الذي يتعلق به الروح عند النفخ في الصور على ما دلت عليه الاخبار ثم ينضم اليه سائر الاجزاء حيث كانت بقدرة الله تعالى حتى يقوم الشخص تاما كما كان في الدنيا هذا الذي لا يخالفه عقل ولا شرع (وأما قولهم) المعاد من الانسان ما هو وهل هو أجزاؤه عند الموت أم الاجزاء التي فارقته (فالجواب) المعاد انما يكون أكمل أجزاء جميع حالاته في أيام حياته كما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله يحشر الناس عراة غرلا يعني قلفا والاغرل الاقلف الذي لم يختتن ثم انه يجوز أن يزيد في أجساد أهل النعيم لتتوفر عليهم اللذات ويزاد في أجساد أهل الجحيم تغليظا للعقوبات وفي الحديث أهل الجنة مرد جرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام طولهم سبعون ذراعا في عرض سبعة أذرع وقد جاء في صفة أهل النار ان سن أحدهم مثل جبل أحد وهذا كله جائز في العقل وورد به الشرع وأما قولهم ان كانت اجزاؤه الحاضرة عند الموت هي المعادة يجب ان يبعث المجذوع والمقطوع يده على صورتهما وهذا لم يرد به شرع (فالجواب) انا قد ذكرنا في الجواب قبله ان المعاد أكمل حالة كان عليها في عمره أجزاؤه لقوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فكل جزء أنشأه الله أول مرة في أيام عمره يعيده اليه بخلاف المبدلات بعد الهزال والانحلال فانها بالاضافة الى ما تحللت به وفنيت كانت منشأة ثاني مرة فلو أعيدت هي أيضا في الآخرة لقال تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وثاني مرة وعلى هذا صح ان المعادات في الآخرة هي المنشأة في الدنيا أول مرة وهي أكمل الاجزاء المبدعة التي خص بها كل شخص هذا الذي دل عليه مضمون الآية (وأما قولهم) ان أعيد اليه جميع أجزائه التي كانت له مدة عمره ثم زالت وتبدلت وجب أن يكون جزء ذلك بعينه يدا ورأسا وكبدا وذلك لان الاجزاء العضوية المركبة من الاخلاط سيالة تنتقل من عضو الى عضو عند الاغتذاء (فالجواب) قد ذكرنا فيما تقدم ما هو المعاد وما ذكروه من سيلان الاخلاط من عضو الى عضو عند الاغتذاء لا يلزم ان يصير القلب كبدا ولا لرأس يدا لان الذرة التي هي الاصل وأخذ الميثاق عليها كانت هيئة الانسان مقدرة فيها بجميع أشكال

المطلب وقد يكون ترك الادب أدبا كما يكون ترك السبب سببا ومن قال برفع الاسباب فلا بد له من الابتلاء فاعتبروا يا أولي الالباب * وقال لاتباع الاعاجم مع اعتلائهم في معانيهم ابلغ (٣٠٠) الاعراب دليلنا الخبل العراب الاعجام ابهام والاعراب ابانة الكلام اختص الاعجاز بالقرآن وان كانت جميع الكتب كلام الرحمن * وقال المنزلة الرفيعة في التزام الشريعة فلا تشرع من عند نفسك قط حكما وقل رب زدني علما * وقال المشاورة وان نبهت على ضعف الرأي فهي من الرأي لا يطلع على مراتب العقول الا أصحاب المشاورة فانها أجمع للهم والفكر * وقال لا تقل وصلت فانها نهاية ولا تقل لم أصل فان ذلك عماية ليس وراء الله مرمى وهنالك يستوي البصير والاعمى * وقال باب التشريع قد ضاع مفتاحه وقيد سراجه فصباحه لا ينبلج وبابه لا ينفرج وان خوطب به الكامل فهو تعريف بما ثبت واعلام بما عنه سكت عليك بالصفوف الاول فانها تشاهد الازل واياك أن تتأخر فتؤخر وأنت ذو ورا فما ترى * وقال اذا خاطبك الحق بلسان لا تعرفه فقف وقل رب زدني علما ولا تمش فيه بالفكر وعليك بالعمل بالقرآن تطلع على الفرقان والقرآن المطلق يعطي ما لا يعطي القرآن المقيد وقيد الله قرآنه بالعظمة والمجد والكرم * وقال لا تعجب ممن وصف الجواد بالعطاء ولكن اعجب ممن وصفه بالامساك وأعجب منه من وصف الحق بما لا يليق به مع انه ما أطلق الألسنة عليه بذلك الا هو * وقال اياك وخضراء الدمن وهي الجارية الحسناء في منبت السوء فان الله تعالى أعطانه يقول يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وما زينه الشيطان من الاعمال فان كان ام اوجه الى الحق فانعدن خبيث جاء ابليس الى

أعضاؤه في علم الله تعالى وانما سماها ذرة تشبيها بالذرة التي هي النملة الصغيرة وهي مع صغرها لها أعضاء مخصوصة محسوسة فلا يستحيل أن يكون لتلك الذرة أعضاء مقدرة ثم اذا خلقها الله تعالى انسانا تنبسط تلك الاعضاء على قدر الجثة وتنضم اليه الاجزاء السيالة من الاخلاط فتتشكل على هيئة الشكل المقدر في الذرة الاولى فعلى هذا المنتقل من عضو الى عضو هو تلك الاجزاء السيالة الغذائية دون اجزاء الذرة الاولى التي شكل الانسان فيها ما قدر في علم الله بجميع اعضائه وهي بعينها باقية منبسطة في جميع البدن اذ هو حافظ لشكلها وصورها ولا تبلى قط لقوله تعالى وتقلبك في الساجدين والاجزاء الغذائية تارة تنضم اليها وتارة تفارقها فعلى هذا المعنى الرأس رأس واليد يد والقلب قلب والكبد كبد باعتبار اجزائها الاصلية التي هي على غاية اللطافة والاجزاء الغذائية التي هي الدم وغيره تجري من عضو الى عضو وتستحيل وتلك الاصلية باقية على حالها ومما يقرب من مثالها المحسوس هو راية الثعبان المخيط من الحرير يدخل الريح من جوفها وينتقل من عضو الى عضو فتنتفخ الراية على هيئة الثعبان ثم يخرج منها وهي تبقى على ما كانت وقريب منه أيضا الاسفنجة وهي شئ كالغيم هش متخلخل لطيف خفيف اذا طرح في الماء يشرب الماء بتجاويفه فيربو ويعظم ويتثاقل ثم اذا جف عاد الى الاصل فعلم من هذين المثالين ان أجزاء الذرة في كل شخص باقية على هيئاتها بالنص الوارد في قوله وتقلبك في الساجدين والاجزاء الملتحقة بها تستحيل وتزيد وتنقص وأصل تلك الاجزاء الاصلية في الخلقة هو العجب وهو أصل الذنب وسمي به للتعجب من بقائه عند بلى سائر الجسد كما ورد عليه يتركب الجسد عند الاحياء في الحشر (وأما قولهم) اذا أكل الانسان انسانا فصارا بالاغتذاء واحدا فكيف تتعلق روحان بجسد واحد (فالجواب) ان الذرة الاصلية للآكل والمأكول باقيتان كما كانتا والدليل عليه اجراء الله العادة كما أخبر في قوله وتقلبك في الساجدين فعلى هذا الروحان يتعلقان بذرتي الآكل والمأكول ثم سائر الاجزاء تلتحق بهما أينما كانت فانها وان استحالت في رأي العين وتفرقت فهي في علم الله تعالى موجودة حاضرة سواء امتزجت بالارض أم بالهواء كما قال تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم الآية والقدر الذي نقص منه يرده اليه كما رده في الدنيا عند الهزال ومحل الحياة ثم افيصير الشخصان متكاملين كما كانا في الدنيا (وأما قولهم) اذا قطعت يد كافر فأسلم كيف تكون يده في النار وهو في الجنة أقطع وكذلك القول في عكسه (فالجواب) أما اليد المقطوعة فحكمها تابع للجملة في الايمان والكفر اعتبارا بالذريات فانهن كابعاض الآباء حكما قال تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني فعلى هذا يد الكافر ما دامت متصلة به حكمها الكفر فان قطعت وآمن الكافر صار حكمها حيث كانت حكم الايمان اتباعا للجملة وكذا الثواب والعقاب عليها فانه تبعا لايمان الجملة وكفرها وهذا ظاهر لا استحالة فيه (وأما قولهم) غذاء الانسان مستحيل من تراب أجساد الموتى القديمة اذا صارت أجسادهم الرميمة ترابا والتراب زرعا والزرع غذاء (فالجواب) أن ذلك غير مسلم وان سلم فلا نسلم استحالة الذرة الاصلية التي هي علم امداد البدن كله كما بيناه من قبل فان سائر الاجزاء تابع لتلك الذرة وهي في علم الله تعالى مجتمعة وان تفرقت في رأي العين وتاتيه وان استحالت والدليل على ان المعاد من الانسان هي الاجزاء التي كانت في الدنيا بعينها قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فلو كانت غيرها كما ذكروا كانت شهادتهم زورا (فان قيل) يد الكافر اذا قطعت وآمن هو لو ردت لكانت تشهد عليه بالكفر وهو مؤمن (فالجواب) ان شهادة الاعضاء في القيامة بالمعاصي والطاعات لا بالكفر والايمان لقوله تعالى في الآية بما كانوا يكسبون اذ الايمان يتعلق بالقلب لا بالاعضاء الظاهرة فلم يقل بما كانوا يعتقدون وهذا جواب الشيخ أبي طاهر القزويني رحمه الله وتقدم كلام الشيخ محيي

عيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فهذه كلمة طيبة من معدن خبيث فقال أقولها لا لقولك فما قال لا اله الا الله التي أمرهم ابليس فهذه جار بحسناء في منبت سوء * وقال ما عصى آدم الا بالاخذ بالتأويل ولا عصى ابليس الا بالاخذ بالظاهر فما كل قياس يصيب ولا كل ظاهر يخفى فان قست تعديت الحد وان وقفت مع الظاهر فاتك علم كثير فقس مع الظاهر في التكليف وقس ما عداه تحصل على فائدة عظمى وتخفف عن هذه الامة فان ذلك مقصود نبيها صلى الله عليه وسلم * وقال لو أخذوا بالظاهر في كتابهم ما نبذوه وراء ظهورهم فما أضرهم الا التأويل فاحذروا من غائلته فان المكلف مخاطب بألسنة فصاح ولكن العيب والسقم من الفهم * وقال اذا نبهك الله بك في يا أيها الذين آمنوا فكن أنت ذلك المؤمن به فان أخبرك فافهم واعتبر وان أمرك أو نهاك فامتثل وما ثم قسم رابع انما هو خبر أو أمر او نهي * وقال أنزله تعالى في خطابه اياك منزلة الام من الشفقة ان لم يمكنك الترقي الى أعلى من أمك فانه أشفق عليك منها بيقين وتلق منه بالقبول ما يورده عليك فانه ما خاطبك الا لينفعك * وقال لا تجعل زمامك الا بيدك اختيارا لا اضطرارا فان ناصيتك بيده شئت أم أبيت وذلك لان ثمرة الاختيار أرجح من ثمرة الاضطرار * وقال عليك بنسب التقوى فمن اتقى الله فقد صح نسبه واياك والنسب الطيني فانه غير معتبر كما أشار اليه علي بن أبي طالب القيرواني بقوله

الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوهم آدم والام حواء
ما الفضل الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء

الى آخر ما قال * وقال خشية الناس وهيبتهم منك على قدر خشيتك لله بظهر الغيب سواء فاياك ان تطلب من

الدين فيه أوائل البعث * قال الشيخ أبو طاهر والعجب كل العجب من انكار الفلاسفة الحشر والنشر وهل الحشر الا اعادة أجزائه في الآخرة على مثل ما كان الله تعالى يعيدها في الدنيا حالا بعد حال ألبس الشيخ الكبير في الدنيا هو الذي كان كهلا وقبل الكهولة كان شابا وقبل الشبيبة كان صبيا وطفلا وقبله جنينا وهو في هذه الاطوار انسان واحد بعينه بلا شك ولا اعتبار بتلك الاجزاء المتبددة هنالك كلا اعتبار بها ههنا بل تكون الاجزاء قليلة كانت أو كثيرة تابعة للذرة التي خلق منها أولا وأيضا فلا يبعد عن قدرة الله تعالى أن نرد جميع الاجزاء التي تعاورت على تلك الذرة أيام عمره ولكنه سبحانه يلزمها فلا يكون الشخص متجاوزا عن الحد والقدرة متسعة والامكان كائن ولكن الظاهر ما بيناه هذا غاية الكلام في هذه المسئلة (فان قيل) فما الحكمة في أن الله تعالى يقبض أرواح العباد ثم يردها اليهم يوم المعاد وقد خلقهم لابد الآباد فهلا استدام حياتهم أبدا من غير موت (فالجواب) لو أنه فعل ذلك كان خارجا عن الحكمة وهو تعالى أحكم الحاكمين ولكنه أماتهم في دار الفناء ليبقيهم بقاء الابد في دار البقاء من وجوه منها ان رقعة هذه الحياة الغبراء التي هي الربع المسكون من الارض بالنسبة الى أجساد بني آدم جميعا صغيرة لا تسع القدر المعمور منها وكانت لا تسعهم ولا تفي زروعها وأثمارها بأقواتهم التي هي سبب معاشهم وفي الحديث ان الله تعالى لما استخرج الذر من صلب آدم امتلأ وجه الارض منهم فقالت الملائكة الهنا قد امتلأت الارض منهم وهم ذرات فكيف تسعهم اذا تممت خلقهم فقال تعالى اني كما آتي بقوم أميت آخرين ومنها أن القبور برزخ الاجساد والصور برزخ الارواح كأمره تعالى في البرزخين انشاءت خفية لاجسادهم وأرواحهم يصيرهم بها أهلا للبقاء الابدي ولا يعلم كيفية ذلك الا الله تعالى كما قال تعالى وننشئكم فيما لا تعلمون ومنها أنه تعالى فرق بين الارواح والاجساد ليعرف الخلق بالقطيعة قدر الوصال فان الوصال اذا استدام خفي وعند الفراق يكون التحنن والاشتياق وبه ما يعرف قدر الوصال * قال الشيخ أبو طاهر وسمعت بعض الصالحين بهمذان يقول نظرت من ربوة الى بعض المقابر فرأيت امد البصر فخطر بقلبي ما هذه الاطلال والاحجار فهتف بي هاتف يقول

قشور وبيض طار عنها فراخها * وهل ترجع الاطيار يوما الى البيض

فسمعت على اثره قائلا يقول

بل يجعل الله القشور ودوائحا * من الذر بيضا لا كرامة القيض
فترجع عنها الطائرات أوامنا * من الصيد لا يبرحن من أرج الروض

قال وبالجملة فمعقول علم البدء والاعادة أن يعلم أن الارض التي خلق منها آدم قد قدر الله تعالى لكل ذرة منها من ذرات ذريته ورحاجة صقيها وهو قوله تعالى خلقه فقدره ثم السبيل يسره قيل معناه فقدره ورحاجة لما أخرجها من صلب آدم قرن كل ذرة بروحها وأخذ الميثاق عليها ثم ردهم الى ظهره وردّ أرواحهم الى خزانة الغيب ثم أخرج تلك الذرات كلها من ظهر آدم ممتزجة بأمشاج النطفة الى رحم حواء ثم من أصلاب بنيه قرنا بعد قرن الى الارحام ثم انه ينشئها بالاغذية كما يشاء وينقلها في أطوارها كما شرحناه فيما مضى ثم يخرجها من الارحام الى فضاء الدنيا ثم بعد انقضاء آجالهم يقبض أرواحهم ويردهم الى بطون الارض ثم انه يردها اليهم في القبور أرواحهم عند سؤال الملكين فكانت تلك الذرة فاهمة من الجملة تفهم الخطاب وترد الجواب وسائر الاجزاء أموات ومن هنا غلطت المعتزلة فأنكروا السؤال وربما يتحرك جميع الجسد ويتكلم تبعا لتلك الذرة الاصلية لقوتها وذلك يكون للانبياء والاولياء كما جاء في الاخبار ثم ان الانسان ما دام في البرزخ فبين هذه الارواح وتلك الذرات المقبورة تواصل معنوي وتزاور والهامي وان

الناس ان يهابوك مع وقوعك في الرذائل بينك وبينه وأنت أعرف بنفسك * وقال لا تجعل لبيتك الذي هو قلبك سقفا فيحول بينك وبين السماء فضره الرؤية ولا يصل اليك من غيث (٣٠٢) السماء شيء والغيث رحمة من الله رحم بها عباده ولا تسكن من البيوت الا أضعفها جدارا وذلك لان الخراب يسرع اليها فتبقى في حفظ الله لا في حفظ البيت * وقال مجالسة الرسل بالاتباع ومجالسة الحق بالاصغاء اليه ما يقول فكن سامعا لا متكلما (قلت) وقد من الله علي في هذا المقام بلذة لا يقدر قدرها حين أكون سامعا واما اذا كنت أنا التالي فلا أجد تلك اللذة وما ثم عندي الآن نعيم قط في دار الدنيا ألذ عندي من سماع القرآن فالحمد لله على كل حال * وقال كل ما سوى الله معلول والمعلول مع مراض ضرورة فلازمته الطبيب فرض لازم * وقال كل عمل عملته من أعمال أهل النار فشفعه بالتوحيد يأخذ بيدك يوم القيامة لان التوحيد يرجع على كل عمل ولو بعد وقوع العقوبات * وقال احذر ان تقول كما قال العاشق

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

فانك أنت أنت وهو هو وانظر هل قدر من قال ذلك أن يجعل العين واحدة لا والله ما قدر لانه جهل والجهل لا يستطاع ولا بد لكل عارف من غطاء ينكشف فلا تغالط نفسك * وقال اذا سمعت القرآن فاسمعه بسمع نفسك لا بسمع الحق في مقام المحبة لان قابل الحق لا يأمر نفسه ولا ينهاها وهذا من مزلات الاقدام لمن صار الحق سمعه من المحبوبين * وقال لا سجود الا عن قيام ولا قيام للكون فان القيومية لله وحده قال وما عرفنا صارت نقصان مقام سهل بن عبد الله الا من قوله بسجود قلبه وما أخبر أنه رآه ساجدا كما هو الامر عليه وانما أخبر انه يسجد ولا سجود الا عن شهود

صارت هي في الصورة فرقانا فالاخبار وردت بان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وكذا يكون الامر الى حين دنا ميعاد المعاد في النشأة الاخرى بعد القيامة الكبرى فيتقدمها الزلازل والرجفات والرياح المؤتفكات ويعقبها الامطار الشبيهة بمني الرجال كما جاء في الاخبار فتهيأت حينئذ لقبول أرواحها وكانت أرواحها مائلة اليها حنين الغريب الى وطنه فاذا نفخ في الصور النفخة الاخرى طارت الارواح من مكامنها الى أجسادها التي فارقتها بالنزع أسرع من طيران الحمامة الى الفرخ وهو قوله تعالى كما بدأكم تعودون قال وتسميتهم في هذه المنازل ذرية آدم يدل على انهم كانوا جميعا من تلك الذرات والصحيح ان الذرية فعلية من الذر كالمريقة من المر وهو النكاح وهذا القدر كاف في مبحث البعث والنشور والله تعالى أعلم

(المبحث السابع والستون في بيان ان الحشر بعد البعث حق وكذلك تبديل الارض غير الارض والسموات)

فاما الحشر فهو جمع الخلق للعرض على الله والحساب بين يديه وهو عام في سائر الخلق من خاص وعام فيحشر جميع المتقين من رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنين الى حضرة الاسم الرحمن قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وأما المجرمون فيحشرون على اختلاف طبقاتهم الى حضرة الاسم الجبار والمنتقم قال الشيخ محيي الدين والحكمة في ذلك ان المتقي كان جليسه في دار الدنيا أسماء الجلال والهيبة والخوف ولذلك اتقى الله تعالى وخاف عقابه فيحشر يوم القيامة الى الاسم الذي يعطي الرحمة والانس والامان والامان مما كان يخاف منه ويتقي ولا يجمع الله على عبد خوفين وقد سمع أبو يزيد البسطامي قارئا يقرأ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا فصاح صيحة طار الدم من أنفه وقال يا عجبا كيف يحشر اليه من هو جليسه * قال الشيخ محيي الدين في الباب الخمسين وثلثمائة وانما صاح أبو يزيد لانه كان جليسه الاسماء من حيث ماهي دالة على الذات ولم يكن مع الاسم من حيث ما يطلبه حقيقة من غير دلالة على الذات فلذلك أنكر مالم يعطه مشهده فهو شبيه الانكار وليس بانكار كما قال الخليل في طلبه علم الكيفية في احياء الموتى فان الخليل لم يكن ينكر احياء الموتى وانما كان يعلم أن للاحياء طرقا كثيرة وهو مجبول على طلب العلم فطلب ان يعرف بأي طريق يحيي الله الموتى فافهم ولو ان أبا يزيد كان يعلم أن المتقي لم يكن جليسا للاسم الرحمن في أيام التكليف وانما كان جليس الاسم الجبار ما تعجب من ذلك فحشر المتقي الى الرحمن ليزول عنه الخوف الذي كان عليه في دار التكليف من مجالسته الاسم الجبار والمنتقم فان الرحمن لا يخاف منه ولا يتقي انما هو محل الطمع والدلال والانس لكن الاولياء رضي الله عنهم صادقون لا يتعدون ذوقهم في كل حال بخلاف العامة من أهل الله فانهم ربما يتكلمون بأحوال غيرهم اه (فان قلت) فهل يحشر الناس مرة من ابتداء أمرهم الى انتهائه (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والثمانين ومائتين ان صور الحشر لا تنحصر ولكن نذكر منه اطرافا * فأول حشر كان لهم في الدنيا وحشرهم في الصورة التي اخذ عليهم الميثاق فيها * الثاني حشرهم من تلك الصورة الى هذه الصورة الجسمية الدنيوية * الثالث حشرهم في الصورة التي تنتقل الروح اليها بعد الموت الرابع حشرهم في الصورة التي يسئلون فيها في قبورهم وهي الصورة التي انتقلوا اليها بعد الموت الى الجسد الموصوف بالموت ولكنه يؤخذ بابصار الخلائق واسماعهم الامن شاء الله عن حياة الميت وماهو فيه سمعنا وسماعا * الخامس حشرهم من الصورة التي سئلوا فيها الى الصورة التي يمكثون فيها في البرزخ فيكون أحدهم فيها كالنائم الى نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة ويحشر الى الصورة التي كان فارقها في دار الدنيا ان كان بقي عليه سؤال لاجل جسده الموصوف بالتكليف فان لم يكن عليه سؤال حشر في الصورة التي يدخل بها الجنة أو النار فان الناس اذا دخلوا الجنة أو النار حشروا في صور لا تشابه لها قال وأهل النار كلهم مسؤلون بخلاف أهل الجنة فان منهم من

تمام قبل ذلك كامر وقال انما كان كل حزب بما لديهم فرحون لجهلهم بما لهم ولو علموا ما لهم لحزن من ينبغي له ان يحزن * وقال كلام الحادث حادث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة لان له الاحاطة وحدوثه وروده علينا كما

يقال حدث عندنا اليوم ضيف ولو كان عمره ألف سنة * وقال لا يضاف الحدوث الى كلام الله الا اذا كتبه الحادث أو تلاه ولا يضاف القدم الى كلام الحادث الا اذا تكلم به الله عند من أسمعه كلامه كموسى عليه السلام ومن شاء الله من عباده في الدنيا والآخرة * وقال في حديث أين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه الى آخره ان كان العماء كالعرش فالسؤال باق من السائل واذا قصد بالخلق كل ماسوى الله فما هو العماء قال وهي مسئلة في غاية الخفاء * وقال باستوائه تعالى على العرش صح نزوله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا ومع هذا فهو مع عباده أينما كانوا * وقال لآدم على النساء درجة ولمريم على عيسى درجة لا على الرجال فالدرجة لم تزل باقية فافهم مساواة * وقال الدنيا والآخرة اختان وقد نهى الله تعالى عن الجمع بين الاختين وجوز الجمع بين الضرتين وماهما ضرتان حقيقة ولكن لما كان في الاحسان الى احدى الاختين بالنكاح اضرار بالاخرى لذلك قيل فيهما ضرتان فافهم * وقال من علامة العلم المكتسب دخوله في ميزان العقول وعلامة العلم الموهوب ان لا يقبله ميزان الا في النادر وترده العقول من حيث أفكارها * وقال خزائن الله تعالى صدور المقربين وأبواب تلك الخزائن ألسنتهم فاذا نطقوا أغنوا السامعين ان كانت أعين افهامهم غير مطموسة * وقال في الكلام بعد الموت هل هو بحرف أو صوت اعلم ان الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التي

لا يسئل اذا دخل أهل الجنة الجنة الكبرى واستقروا فيها انهم دعوا الى الرؤية حشروا في صور لا تصلح الرؤية فاذا عادوا حشروا في صور تصلح للجنة * واعلم ان في كل صورة ينسى الانسان الصورة التي كان عليها او يرجع أمره الى حكم الصورة التي انتقل اليها وحشر فيها ثم انه اذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور فاذا رأى صورة أعجبته دخل فيها أو ذهب بها الى داره والصورة في السوق ما برحت ولا تزال أهل الجنة ينتقلون من صورة الى صورة أحسن مما قبلها وأهل النار بالعكس أبد الآبدين ودهر الداهرين نسأل الله الموت على الايمان آمين (فان قيل) فما حكمة حشر الدواب والوحوش (فالجواب) الحكمة في ذلك كما قاله الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة ان الله تعالى انما يحشر الوحوش انعاما منه تعالى عليها وكذلك سائر الدواب ثم انها تكون ترابا ما عدا الغزلان وما استعمل من الحيوان في سبيل الله فانهم يدخلون الجنة على صور يقتضيها ذلك الموطن وكل حيوان تغذى به أهل الجنة خاصة في الدنيا انتهى (فان قيل) فكم اجتمع الناس في موطن (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب التاسع والثلاثين وثلثمائة انهم يجتمعون في ثلاثة مواطن في أخذ الميثاق وفي البرزخ بين الدنيا والآخرة وفي البعث بعد الموت وما ثم بعد هذه الثلاثة مواطن جمعتهم أبدا انما يجتمع بعض دون بعض وبعد يوم القيامة تشتغل كل دار بأهلها فلا يجتمع عالم الجن والانس بعد ذلك أبدا ومن هنا قال تعالى مالك يوم الدين أي لان الاولين والآخرين تجتمع في ذلك اليوم لا يتخلف أحد منهم في الارض ولا في الاصلاب فيكون ملكه تعالى في ذلك اليوم أعظم وأظهر من غيره من الايام التي حضر فيها بعض دون بعض فهذا سبب تخصيص يوم الدين والا فهو سبحانه وتعالى لم يزل مالك الملك فافهم والله تعالى أعلم * واما بيان ان الله تعالى يبدل الارض غير الارض والسموات فقد جاءت به النصوص الالهية القاطعة * قال الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة واذا وقع التبديل في السموات والارض يوم القيامة فهو في الصور لا في الاعيان وان كانت الاعيان أيضا صورا قال ويكون النشر والحشر والحساب والعرش الذي يقع التجلي عليه للفصل والقضاء في جوف الفلك المكوكب ثم يستحيل جميع ما في جوفه الى الآخرة لكن في صور غير هذه الصور قال وقد خلق الله تعالى الفلك المكوكب في جوف الفلك الاطلس وكذلك الجنات بما فيها مخلوقة بينهما فالفلك المكوكب أرضها والاطلس سماؤها وبينهما أي الفلكين فضاء واسع لا يعلمه الا الله فهما فيه كحلقة في فلاة فيحاء قال ومقعر هذا الفلك هو الدار الدنيا فانه من هنالك الى ما تحته يكون استحالة جميع ما يراه الى الارض فينتقل من ينتقل من الدنيا الى الجنة من انسان وغير انسان ويبقى ما يبقى فيها من انسان وغير انسان وكل من يبقى بعد ذلك فهو من أهل النار الذين هم أهلها * قال الشيخ واعلم انه ما دام الانسان الكامل موجودا في الارض فالسماء على حالها فاذا زال الانسان الكامل الى البرزخ هوت السماء لانه هو عمدها الذي يمسكها الله تعالى به حتى لا تقع على الارض وهو قوله تعالى وانشقت السماء فهي يومئذ واهية أي ساقطة الى الارض والسماء جسم شفاف صلب فاذا هوت السماء حلل جسمها حر النار فصارت دخانا أحمر كالدهان السائل مثل شعلة نار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور الا ان سماتها لا تزول في النار بل تنتثر فتكون على غير النظام التي كانت عليه في الدنيا اطال سترها او أطال في ذلك (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى واذا الارض مدت ما صورة مدها (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابع والسبعين وثلثمائة ان المراد بمدها اعدام امتداد الجبال وتصييرها أرضا فانه في يوم القيامة تصير الجبال كلها دكا من تجلي الحق تعالى اذ كانت كالعهن المنفوش فما كان عاليا منها في الجو اذا انبسط زاد في وسع الارض ولهذا جاء في الخبر ان الله تعالى يمد الارض يوم القيامة مد الاديم فشبه مدها بمد الاديم لان الانسان اذا مد الاديم طال من غير أن يزاد فيه شئ لم يكن في

ترى نفسك فيهما فان اقتضت الحرف والصوت كان الكلام كذلك وان اقتضت الصوت بلا حرف كان وان اقتضت الاشارة أو النظرة أو ما كان فهو ذلك وان اقتضت الذات أن تكون (٣٠٤) عين الكلام كان فان جميع ذلك تقتضيه حضرة البرزخ قال وان رأيت نفسك في صورة انسان حزت جميع المراتب في الكلام فانه المقام الجامع لاحكام الصور * وقال انما جعل الله لنا النوم في هذه الدار لنألف حالنا في البرزخ بعد الموت فان حال الميت كحال النائم الا أن علاقة تدبير الهيكل باقية في النوم والموت لا علاقة له في التدبير * وقال اذا رأيت من يتبرأ من نفسه فلا تطمع في صحبته فانه منك أشد تبرأ * وقال اذا كنا نجهل ما سبق لنا في علم الله فلا ثقة لنا بحال فيا لها من مصيبة * وقال اياك والتأويل فيما أنت به مؤمن فانك ما تظفر بطائل ومنطق الايمان انما هو ما أنزل الله لا ما أوّله عقلك آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الآية * وقال اذا قرأت مثل ما أوتي رسل الله فان انقطع نفسك على الجلالة كان والا فاقصد ذلك ثم ابتدئ الله أعلم حيث يجعل رسالاته * وقال احذر ان تفي بعهدك ليفي الحق تعالى لك بعهده بل أوف أنت بعهدك ودع الحق يفعل ما يريد فان من وفى بعهده ليفي الحق له بعهده لم يزده على ميزانه شيأ فاعمل على وفائك بعهدك من غير مزيد * وقال اذا ناجيت ربك فلا تناجه الا بكلامه واحذر أن تخترع من عند نفسك كلاما فتناجيه به فلا يسمعه منك ولا تسمع له اجابة فتعدها من ذلك فانه مزلة قدم (قلت) فلا يليق وضع الاحزاب التي يقرؤها المريدون الا من عند الكمل الذين يأخذون عن الحق أو الرسول صلى الله عليه وسلم من الوجه الخاص كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أخذت حزب

عينه وانما كان فيه تقبض وتنوّفلمامدانبسط عن قبضه وفرش ذلك النتوّ الذى كان فيه فزاد فى سعة الارض ورفع المنخفض منها حتى بسطه فزادمنها ما كان من طول من سطحها الى القاع منها كما يكون فى الجلد نتوء فلذلك لاترى فى الارض عوجا ولا أمتا فيأخذ البصر من المبصر جميع ما فى الموقف بلا حجاب لعدم الارتفاع والانخفاض فيرى كل من الخلق بعضهم بعضا فيشهدون حكم الله تعالى بالفصل والقضاء بين عباده وأطال فى ذلك (فان قلت) فكم مدة يوم القيامة (فالجواب) مدته من خروج الناس من قبورهم الى أن ينزلوا منازلهم من الجنة أو النار ذكره الشيخ فى الباب العشرين وثلثمائة * وقال فى الباب الثامن والاربعين وثلثمائة اعلم ان يوم هذه الامة متصل بيوم الآخرة ليس بين اليومين الا ليل البرزخ خاصة وفى فجر هذه الليلة يكون نفخة البعث وفى طلوع شمس يومه يكون اتيان الحق جل وعلا كما يليق بجلاله للفصل والقضاء وفى قدر ركعتى الاشراق ينقضى الحكم فتعمر الداران باهلهما وذلك يكون فى يوم السبت فيكون نهاره أبديا لاهل الجنة ويكون ليله أبديا لاهل النار وأطال فى ذلك * ثم قال واعلم ان النيل والفرات يخرجان من أصل سدرة المنتهى فيمشيان الى الجنة ثم يخرجان الى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر والفرات من أرض الروم وهما فى غاية الحلاوة وانما أثر فيهما امتزاج الارض فتغير طعمهما عما كانا عليه فى الجنة فاذا كانت القيامة عادا الى الجنة وكذلك يعود سيحون وجيحون والله تعالى أعلم

(المبحث الثامن والستون فى بيان أن الحوض والصراط والميزان حق)

قال الشيخ كمال الدين بن أبى شريف وانما ذكر أهل الكلام ان الحوض والصراط والميزان حق بيانا لاعتقاد أهل الزيغ وهو مشهور عن أكثر المعتزلة فانهم قالوا ان العبور على الصراط مع كونه أدق من الشعرة وأحد من السيف ممتنع عادة وقال اهم أهل السنة لاامتناع فان الذى أقدر الطير على السير فى الهواء قادر على أن يمشى الانسان على الصراط قال وقد أجرى أهل السنة الحديث على ظاهره وأوله بعضهم بان كونه أدق من الشعرة انما هو ضرب مثل للامر الخفى الغامض والمعنى ان يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والنهوض لها والمعاصى وكثرة الوقوع فيها وقلته ودقة كل واحد من القسمين لا يعلم حده الا الله قال وأول بعضهم أيضا كونه أحد من السيف بسرعة انفاذ الملائكة أمر الله باجازة الناس عليه قال وانما قلنا هذا التأويل ليوافق الحديث الآخر فى قيام الناس والملائكة على جنبى الصراط وكون الكلاليب والحسك فيه واعطاء المار عليه قدر موضع قدميه ونحو ذلك انتهى * ولنبسط الكلام على ذلك بعض البسط فنقول اعلم ان الحوض والصراط ثابتان بالنصوص قالوا ويتشكلان يشا كلة الاعمال والعلوم اذ الشريعة علم وعمل فالحوض علومها والصراط أعمالها فعلى مقدار الشرب من علم الشريعة يكون الشرب من الحوض وعلى مقدار اتباع الشريعة فى الافعال والاقوال والعقائد يكون المشى على الصراط هنالك فمن زاغ عن الشريعة هنا زلت به قدمه هنالك ونقص شربه من الحوض فالمشى حقيقة على الصراط انما هو هنا لا هنالك فان الصراط المنصوب المشروع هنا معنى هو الذى ينصب هنالك حسا وما ثم طريق الى الجنة الا عليه قال تعالى وان منكم الا واردها قال الشيخ محيى الدين والحوض فى عطفة من الصراط وضرب له مثالا على الهامش وهذه صورته ٧ قال واعلم أن نور كل انسان على الصراط لا يتعدى نفسه الى غيره فلا يمشى أحد فى نور أحد ويتسع الصراط ويدق بحسب انتشار النور وضيقه فعرض صراط كل انسان بقدر انتشار نوره ومن هنا كان دقيقا فى حق قوم وعريضا فى حق آخرين وهو واحد فى نفسه قال وانما قال تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم دون شمائلهم لان المؤمن السعيد كلتا يديه يمين فلا شمال له انتهى *

الحجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفا بعد حرف والله أعلم * وقال الزم ذكر الاسم المركب وهو الرحمن الرحيم فانه كبعلبك ورام هرمز وقال خطاب الله بضمير المواجهة تحديد وبضمير الغائب تحديد ولا بد منهما * وقال ما أخبرنا الحق تعالى انه ينزل الى سماء الدنيا الا ليفتح لنا باب التواضع بالنزول الى من هو دوننا فى زعمنا * وقال انظر بعقلك فى سجود الملائكة لآدم ما صرفت وجوهها الى الجهة الا وهى مشاهدة للحق تعالى فيه مشاهدة عين * وقال لو وقفت النفوس مع ما عرفته من الحق لعرفت الامر على ما هو عليه لكنها أبدا تطالب أمرا غاب عنها فكان طلبها عين حجابها فلذلك قال تعالى وما قدروا الله حق قدره لشغلها بطلب الباطن الذى غاب عنها والله ما بطن عنها الا لما ليس لها قدم فى معرفته فلما خاطبنا تعالى بانه الاول والآخر والظاهر والباطن الا ليعلمنا ان الذى نطلبه فى الباطن هو الظاهر فلا نتعب نفوسنا فى التفكر فيه * وقال اذا أخبرك الحق تعالى فى أمور فانظر الى ما قدم منها فى الذكر فاعمل به فانه ما قدمه حتى تهتم به فكانه نبهك على الاخذ به ابدأ بما بدأ الله به لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة * وقال عطايا الحق كلها نعم وان أعطانا المنع وخصها العامة بما وافق الغرض وذلك مرض ثبت بالشرع المطهر حكم الحاكم بالشاهد واليمين وقد تكون اليمين فاجرة والشهادة زورا فلا علم مع ثبوت الحكم مع ان الحاكم مصيب للحكم فهو صاحب علم لان الله ما حكم الا بما علم وقد شرع للحاكم أن يحكم بما غلب على ظنه فهو عنده غلبة ظن وعند الله علم فافهم * وقال الخلافة حكم زائد على الرسالة فان الرسالة تبليغ والخلافة حكم بقهر * وقال اذا ابتلاك

الحق تعالى بضر فاسأله فى رفعه عنك ولا تقاوم قهره بالصبر تغلب وما يماثل صابرا الامن حيث حبس الشكوى عن الخلق لا عن الحق فانهم
وما قص الله عليك قول أيوب مسنى الضر الالتهتدى به داء واذا كان يقال لسيد البشر فبهداهم اقتده فما ظنك بغيره * وقال لا تقل قط

وقال فى الباب الثامن وثلثمائة اعلم ان الصراط الذى تسلك عليه و يثبت الله تعالى أقدامك عليه حتى يوصلك الى الجنة صراط الهدى الذى أنشأته لنفسك فى دار الدنيا من الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة فهو فى هذه الدار بحكم المعنى لا يشاهد له صورة حسية فيمد لك يوم القيامة جسرا محسوسا على ظهر جهنم أوله فى الموقف وآخره فى المرج الذى على باب الجنة فتعرف أول ماتشاهده انه صنعتك و بناؤك بجوارحك وتعلم انه قد كان فى الدنيا ممدودا على متن جهنم طبيعتك فى طولك وعرضك وعمقك ذو ثلاث شعب اذ كان ظل حقيقتك وهو ظل غير ظليل لا يغنيها من اللهب بل هو الذى يقودها الى لهب الجهالة و يضرم فيها نارها اه وقال فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة * اعلم انه اذا وضع الصراط يكون من الارض علوا على استقامة الى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه الى المرج الذى هو خارج سور الجنة التى يدخلها الناس أولا وتسمى جنة النعيم والمادبة تكون فى المرج وهى درمكة بيضاء نقية يأكل منها جميع أهل المادبة و يقوم بعضهم فيقطف من الثمار المدلاة من فروع وأغصان الجنة على السور اه وقال فى الباب الرابع والستين اذا مر الخلائق الى الصراط ينتهون اليه وقد ضربت عليه جسور على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف وقد غابت الجسور فى جهنم مقدار أربعين ألف عام واهب جهنم بجانبها يلتهب وعليها حسك وكلاليب وخطاطيف وهى سبعة جسور يحشر العباد كلهم عليها وعلى كل جسر منها عقبة مسيرة ثلاثة آلاف عام ألف عام صعودا وألف عام استواء وألف عام هبوطا وذلك قول الله عز وجل ان ربك لبالمرصاد يعنى على تلك الجسور وغيرها قال والملائكة يرصدون الخلق على هذه الجسور فيسئل العبد عن الايمان الكامل بالله تعالى فان جاء به مؤمنا مخلصا صدوقا لاشك فيه ولا زيغ جاز الى الجسر الثانى فيسئل عن كمال الصلاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الجسر الرابع فيسئل عن الصيام فان جاء به تاما جاز الى الجسر الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى الجسر السادس فيسئل عن الطهر من الحدث فان جاء به تاما جاز الى الجسر السابع فيسئل عن المظالم فان كان لم يظلم أحدا جاز الى الجنة وان كان قصر فى واحدة من هذه الخصال حبس على كل جسر منها ألف سنة حتى يقضى الله فيه بما يشاء * وقال أيضا فى الباب الرابع والستين مانصه اعلم ان الكلاليب والخطاطيف والحسك التى على جنبى الصراط انما هى صور أعمال بنى آدم فتمسكهم أعمالهم تلك على الصراط فلا ينهضون الى الجنة ولا يقعون فى النار حتى تدركهم الشفاعة والعناية الربانية وانما هى أعمالكم ترد عليكم اه وكان الشيخ أبو طاهر القزوينى رحمه الله يقول الصراط صراطان أحدهما فى الدنيا وهو الاسلام فهو على وانكن ينقلب فى الآخرة جسرا حسيا وهو المعنى بقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وهو فى الحقيقة جسر ممدود على متن الكفر والشرك والبدع والاهواء قال تعالى وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الآية وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ يوما والصافات صفا فلما بلغ قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون بكى حتى تحادرت الدموع على لحيته فقال بعض الوفد انك تبكى خوفا ممن بعثك قال اى ورب انه بعثنى على طريق كحد السيف ان زغت هلكت وهذا الصراط كالخط العاريل الممتد بين العبد و بين الله فى عين الاستقامة فى الرتبة الوسطى بين التشبيه والتعطيل والجبر والقدر و بين السخاء والبخل و بين الشجاعة والجبن كالتواضع بين الكبر والخساسة وكالعفة بين الشهوة والخمود واهذه الخصال وأمثالها طرفان مذمومان والمحمود الوسط فالمواظبة على هذا الوسط هى المعبر عنها بالدقة والحدو اليها الاشارة بقوله تعالى فاستقم كما أمرت وأما الصراط الثانى فهو الاخروى الحسى وهو فى الحقيقة صورة الصراط الاول وهو طريق المسلمين الى الجنة ثم لا يخفى ان كل من اعتاد المرور فى الدنيا على صراط الاسلام هان عليه المرور على صراط الآخرة ومن لم يتعود ذلك فى

ان الحق تعالى وصف نفسه بما هو لنا بما لا يجوز عليه كالنزول والاتيان والضحك ونحو ذلك هذا سوء أدب وتكذيب للحق فيما وصف به نفسه دونك بل هو تعالى صاحب تلك الصفة من غير تكييف فالكل صفات الحق وان اتصف بها الخلق بحكم الاستعارة اذ الممنوع انما هو نسبتها الى الحق على حد نسبتها الى العبد * وقال لا يلزم من الفوق اثبات الجهة كذلك لا يلزم من الاستواء اثبات المكان كما مر * وقال فى حديث ان أحدكم لا يرى ربه حتى يموت أى يراه بعد موته لا فى حال موته كما توهمه بعضهم فنفى الشارع الا رؤية الله فى الحياة الدنيا لا غير * وقال انما قال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولم يقل اذا قرأت الفرقان فاستعذ لان القرآن جمع فهو يدعو ابليس الى الحضور بخلاف الفرقان فانه يطارده * وقال من استفهمك فقد أقر لك بانك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من فى قلبه ريب فيمتاز من يعلم ربه ممن لا يعلمه تنا سيره يا أيها الذين آمنوا آمنوا فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن * وقال فى حديث والله أغير

منى ومن غيرته حرم الفواحش أى جعلها احراما حراما كحرم مكة وغيرها فمن وقع فيها فقد اثم من جهة انه انتهك حرمتها قال الدنيا
وقد تخيل الناس ان ذلك اهانة بالفواحش وليس كذلك وانما هو تعظيم لها من حيث انها شعائر الله وحرماته ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند

ربه فتحريم الوقوع في المحرمات مثل تحريم التفكر في ذات الله فان تحريم التفكر دليل على التعظيم انتهى فليتأمل في معناه * وقال في قول علي رضي الله تعالى عنه مامن آية الا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع اعلم ان الظاهر من (٣٠٧) الآية ما أعطاك صورته والباطن منها ما أعطاك ما تحمل عليه الصورة والحد منها ما يميزها عن غيرها والمطلع منها ما أعطاك الوصول اليه وأهل الكشف يميزون بين هذه المراتب * وقال من ليس كمثله شئ ما هو ذو حياة ولا موت فان من خلق الموت والحياة لا ينعت بهما فقد كان ولا هما فهو الحي ما هو ذو حياة قال وكذلك له تعالى الاسماء ما له الصفات فتسمى الصفات أسماء لورودها في الكتاب والسنة قال تعالى ولله الاسماء الحسنى وقال تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون فتنزه عن الصفة لا عن الاسم * وقال الملائكة حجبة بين الله ورسله والرسل حجبة بين الملك والرعايا فبعد بذلك والله اسنادنا والمقصود من الرواية علو الاسناد وكلما قل رجاله علا وقد عرفنا الشارع بذلك فقال أدعو الى الله على بصيرة فنزل جبريل أنا ومن اتبعني فنزل الرسول ومنه قال أبو يزيد حدثني قلبي عن ربي ومنه أخذ هذا قوله يا أيها المنكر * وقال الاحكام تختلف باختلاف الاسماء فان قلت في سمكة انها خنزير البحر حرمت هذا حكم الاسم * وقال كرم الكرم هو أن يتكرم العبد على الصفح والعفو بالوجود فيعطي ويصطلح لان العفو والصفح كرم واستعمالهما اكرم الكرم وكذلك يقال في اساءة الاساءة فان المسيء من أتى بما يسوء وان كان جزاء الا ان هذا الاسم مقصور حكمه على الخلق فلا يجوز على الحق تعالى أدبا أدبنا به الحق * وقال الاسلام والايمان متقدمتا الاحسان مع أن الايمان

الدنيا صعب عليه وزلت قدمه وطال ندمه وهل هذا الصراط الامثال محسوس لذلك الصراط المعنوي وبالجملة فسرعة مرور الناس على صراط الآخرة وبطؤهم يكون على حسب سرعة مبادرتهم الى مرضاة الله تعالى وبطئهم عنها قال وما جاء من الكلاليب والخطاطيف فهو عبارة عن علائق الدنيا المتعلقات بالقلب فكما تجذب صاحبها الى الدنيا كذلك تجذبه الى الهاوية كما ان شوك السعدان والحسك يكون بقدر ذنوب كل انسان وخطاياه فكما كانت تؤذيه في دينه بالعكوف عليها فكذلك تؤذيه يوم القيامة بالمرور عليها وأما ما جاء في الحبو والزحف على الصراط انما هو اشارة الى تثاقل ظهور الناس بالمظالم والتبعات وأما الزالون والزالات فهم الناكبون في الدنيا عن الصراط المستقيم والدين القويم نسأل الله اللطف بنا أجمعين * وأما الميزان فاثبته جمهور أهل السنة وأنكرته المعتزلة قال الغزالي والقرطبي ولا يكون الميزان في حق كل أحد لحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان وان كان المعنى من غير أن يكون دخولهم في حسابهم قالوا والمراد بالميزان هو الميزان الكل الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق فترفع رفعة واحدة فترفع موازين جميع الخلائق كلها رفعة واحدة وكل أحد يشهد ميزانه قد رفع وأعماله مودعة في كفته الى ان ينقضي حكم المحاسبات والموازنات * قال الشيخ محيي الدين ويكون ميزان كل شخص بشا كلة ما كان الشخص عليه في دار الدنيا فان الله تعالى قد خلق جسد الانسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لأي جانب مال قال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان يعني بالميل الى المعاصي والوقوع فيها قال وقد قرن الله السعادة بالكفة اليمين والشقاء بالكفة اليسار فالاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك ثم لا يخفى ان موازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا ولكنها ممثلة لا محسوسة عكس الدنيا فهي كتمثل الاعمال سواء فانها في الدنيا أعراض وفي الآخرة تكون أشخاصا كما قال صلى الله عليه وسلم في الموت انه يؤتى به في صورة كبش فما قال يؤتى به كبشا لان الحقائق لا تتبدل ثم انه اذا وضعت الموازين لوزن الاعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم الظاهرة لا الباطنة اذ الاعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس أبدا لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكمي المعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى كل شئ بمثله انتهى وعبارة الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في عقيدته * اعلم انه اذا وقعت الشفاعة العظمى لمحمد صلى الله عليه وسلم وضع الرب سبحانه وتعالى كتابه المتضمن علم جميع مخلوقاته الجامع لتفاصيل كتب جميع الخلائق فاذا وضع جملة كلية وضعت سائر الكتب التفصيلية وضعة واحدة فيجد كل انسان كتابه في وجود دائرته قد وضع دفعة واحدة وكل أحد لا يرى وضع الكتاب والحساب الا له وكذلك الميزان الكلي الجامع لتفاصيل موازين جميع الخلائق يرفع رفعة واحدة فترفع سائر موازين الخلائق كلها دفعة واحدة كل واحد يشهد ميزانه قد رفع وأعماله مودعة في كفته الى أن ينقضي حكم الموازنات والمحاسبات فان نظرت الى الميزان الكلي قلت انه واحد وان نظرت الى تفاصيل ذلك قلت انه كثير قالوا وكل ميزان له لسان وكفتان يعرف بهما مقادير الاعمال بأن توزن صحفها * قال الشيخ محيي الدين وآخر ما يوضع في الميزان قول العبد الحمد لله ولذلك ورد والحمد لله تملأ الميزان (فان قلت) فلم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله (فالجواب) انما لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله لان كل عمل من أعمال الخير لا بد له من عمل آخر من ضده يقابله ليجعل هذا الخير في موازنته ولا يقابل لا اله الا الله الا الشرك اذ هو ضده ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان أبدا بخلاف التوحيد مع معاصي أهل الاسلام وايضاح ذلك ان العبد ان كان يقول لا اله الا الله معتقدا فما أشرك وان أشرك فما اعتقد لا اله الا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا اله الا الله الميزان لعدم ما يقابلها أو يعادلها في

له التقدم والاسلام تال والالم يقبل * وقال أيضا الايمان تصديق فلا يكون الا عن مشاهدة الخبر فى التخيل فلابد من الاحسان والاسلام انقياد والانقياد لا يكون الا لمن انقاد طوعا ولبس ذلك الا لمن أحس بان الحق آخذ بناصيته فان لم يحس فما انقاد الا كرها والاحسان ان ترى انه يراك ع‍لى المشاهدة * وقال ما أجهل من قال ان الله لا يخلق بالآلة وهو يقرأ وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فكيف يجاهد به مؤمن هذا هو العجب العجاب وقد تقدم قولنا ان السيف آلة لك وأنت والسيف آلة له * وقال الاولى ان يقال الخلق يكون عند وجود الآلة حقيقة لا بالآلة والله أعلم * وقال التسبيح تجريح لان المنزه لا يتنزه الا على سبيل الحكاية ونظير ذلك عدم العدم فانه وجود فليس فى الحق نقص حقيقة ينزه عنه وايضاح ذلك أن التقديس الذاتى يطلب التبرى من تنزيه المنزهين فانهم ما نزهوا حتى تخيلوا وتوهموا وما ثم متخيل ولا متوهم يتعلق به أو يجوز أن يتعلق به فينزه عنه بل هو القدوس لذاته وأطال فى ذلك * وقال من قتله أعداء الله ما مات بل جمع له بين الحياتين فان الله تعالى اعتنى بيحيى صغيرا وسلط عليه الجبار فقتله كبيرا وما حاد منه ولا يضره ذلك لان الصغير انما اعتنى به رحمة به لضعفه فاذا كبر وكل الى نفسه فان بقى فى كبره بحكم صغره من الضعف صحبته الرحمة وان ادعى القوة المجعولة ونسى ضعفه الذى كان له فى صغره اضاعه الله فى كبره برد الضعف اليه وتأمل الصغير كيف يقبل ويضم الى الصدر مع استقذار بدنه وثيابه ويشتهى والده حمله والكبير والسمين يستقذر ولا يقبل ويتمنى أهله موته * وقال فى قوله تعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا والتمنى من العمل فمن تمنى أنه لو كان له مال تصدق

الكفة الاخرى * قال الشيخ محيى الدين وأما صاحب السجلات التسعة والتسعين فانما دخلت لا اله الا الله ميزانه لانه كان يقول لا اله الا الله معتقدا الهاكما لم يعمل معها خيرا قط وانما عمل معها سيآت فتوضع لا اله الا الله فى مقابلة التسعة والتسعين سجلا من السيآت فترجح كفة لا اله الا الله بالجميع وتطيش السجلات فلا يثقل مع اسم الله تعالى شئ اه * قال الشيخ فى الباب الثانى والعشرين وأربعمائة من الفتوحات فى معنى قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون اعلم أن ميزان يوم القيامة تظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لانهم انما يحشرون وينشرون فى الاجسام الطبيعية فمن ثقلت موازينه فهو السعيد وذلك لان الحسنة بعشر أمثالها الى مائة ألف فما فوق ذلك وقد فعل هذا السعيد حسنا فى ظاهره وأراد حسنا فى باطنه وأما الذى خفت موازينه فهو الشقى وذلك لانه فعل سيأ والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة الى ثقل ميزان السعيد ولم يعتبر الحق تعالى فى الوزن الا كفة الخير دون كفة الشر فهى الثقيلة فى حق السعيد الخفيفة فى حق الشقى مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره فعلم أن الكفة الثقيلة للسعيد هى بعينها الخفيفة للشقى لقلة ما فيها من الخير أو عدمه بالكلية مثل صاحب السجلات أو الذى يخرجه الله تعالى من النار وما عمل خيرا قط سوى التوحيد من أهل الفترات فان هذا ليس فى كفة اليمنى شئ له وانما عنده التوحيد لله فقط الحاصل من العلم الضرورى الذى ليس له فيه تعمل * قال الشيخ ولو أن الله تعالى اعتبر فى الثقل والخفة الكفتين معا كفة الخير وكفة الشر لكان يزيدنا فى ذلك فان احدى الكفتين اذا ثقلت خفت الاخرى بلا شك خيرا كان أو شرا هذا حكم وزن الاعمال وأما اذا وقع الوزن بالعبد نفسه بأن يكون هو فى احدى الكفتين وعمله فى الكفة الاخرى كما أشار اليه حديث يؤتى بالرجل السمين العظيم يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة فذلك وزن آخر غير هذا فمن ثقل ميزانه نزل عمله الى أسفل وذلك لان الاعمال فى دار الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار ولذلك كره الشارع العمل الشاق لامته وقال اكلفوا من العمل ما تطيقون فلهذا كانت كفة عمل هذا الذى ذكرناه تنزل تطلب النار وترتفع الكفة التى هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لان الجنة لها العلو كما ان الشقى تثقل كفة الميزان التى هو فيها وتخف كفة عمله فيهوى فى النار وهو قوله تعالى فأمه هاوية فعلم ان كفة ميزان العمل هى المعتبرة فى هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل فى السعيد لرفعة صاحبها وهى الموصوفة بالخفة فى حق الشقى لثقل صاحبها وهو قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وليست الا ما تعطيهم أوزارهم من الثقل الذى يهوون به فى نار جهنم * وحاصل ذلك ان وزن الاعمال بعضها يعتبر فيه كفة الحسنات وان وزن الاعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل اه وقال فى الباب الاحد وثلثمائة فى قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان انما وضع الله تعالى الميزان ليوزن به الثقلان وقوله أن لا تطغوا فى الميزان أى بالافراط والتفريط من أجل الخسران وأقيموا الوزن بالقسط أى مثل اعتدال نشأة الانسان اذ الانسان لسان الميزان ولا تخسروا الميزان أى لا تفرطوا بترجيح احدى الكفتين الا بالفضل * ثم لا يخفى أن الميزان الذى يوزن به الاعمال على شكل القبان ولهذا وصفه بالخفة والثقل ليجمع بين الميزان العددى وهو قوله تعالى بحسبان وبين ما يوزن بالرجال وذلك لا يكون الا فى القبان ولذلك لم يعين الكفتين بل قال فأما من ثقلت موازينه فى حق السعداء وأما من خفت موازينه فى حق الاشقياء ولو كان المراد به ميزان الكفتين لقال وأما من ثقلت كفة حسناته فهو كذا وأما من خفت كفة سيآته فهو كذا فعلم انه لولا ميزان الثقل هو عين ميزان الخفة وانه كالقبان لكان ذا كفتين ولو كان ذا كفتين لوصف كفة السيآت بالثقل أيضا اذا رجحت على الحسنات فلما لم يصفها الا بالخفة فقط عرفنا ان هذا الميزان على شكل القبان اه وقال فى الباب التاسع

والتسعين من الفتوحات مما يقرب لعقلك كون الحق تعالى يأتي يوم القيامة بأعمال بني آدم صورا مع كونها اعراضا كون الحق تعالى قادرا على ايجاد المحال وكون الانسان يشهد من نفسه قدرة خياله على ايجاد المحال فيرى العبد ربه عز وجل في المنام في صورة مع ان ذلك محال في جهة الحق تعالى فقد جعل الخيال ما لا تعلم له صورة صورة ورد المحال ممكنا فاذا كان الخيال رتبته هذا مع انه مخلوق فكيف بالخالق فقد بان لك صحة وضع الاعمال في الميزان مع كونها اعراضا وذلك لاقامة القسط وكذلك مما يقرب لعقلك وزن الاعمال تصور الموت مع كونه نسبة في صورة كبش أملح أي في غاية الوضوح اذ الاملح الابيض وذلك ليعرف جميع الناس فهذا مثال مقدورة أين حكم العقل وفساد تأويله وأطال في ذلك * وعبارة الشيخ أبي طاهر القزويني في الباب الثلاثين من كتابه سراج العقول اعلم انه لما كانت الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء وكان الله تعالى هو الملك العدل الذي لا يظلم الناس شيأ ولا يضيع أجر من أحسن عملا بل يجازي كل امرئ بما كسب نصب تعالى ميزانا في القيامة عدلا يوزن به سيآت عبيده وحسناتهم اظهارا لعدله قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها أي وان كان وزن حبة خردل ومن دخلت للتبيين كقوله تعالى ما لكم من اله غيره وقيل انها للتبعيض ومعناه وان كان وزن حبة من خردل كأنه قسم الخردلة ثمانية وأربعين جزأ مثلا هي حباتها كما ان الدرهم ثمانية وأربعون حبة والمعنى وان كان وزن جزء من ثمانية وأربعين جزأ من خردلة واحدة وفي الحديث مرفوعا حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا الاعمال قبل ان توزنوا يعني ان توزن أعمالكم كقوله تعالى واذا كالوهم أو وزنوهم أي كالوا لهم أو وزنوا لهم ومعنى وزنوا الاعمال تعرفوا مقاديرها بالمقايسة الى أوقاتكم وعن ابن عباس قال توزن الحسنات والسيآت في ميزان له لسان وكفتان كل كفة كاطباق الدنيا كفة من نور وكفة من ظلمة قال حذيفة رضي الله عنه وصاحب الميزان يومئذ هو جبريل عليه السلام فاما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان وهو الحق فتثقل كفة الحسنات على سيآته فتنقل الى الجنة ويعرف بذلك وهو المفلح في قوله فأولئك هم المفلحون واما الكافر فيؤتى بعمله في أقبح صورة فيوضع في ميزانه وهو الباطل فيخف وزنه فيقع في النار فيقال له الحق بعملك وفي الحديث مرفوعا ان لله تعالى ملكا موكلا بالميزان فيجاء بابن آدم حتى يوقف بين كفتي الميزان فيوزن عمله فان ثقل الميزان نادى الملك بارفع صوته ألا ان فلانا سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفي الحديث ثلاثة مواطن تشغل المرء عن والده وولده عند الصراط حتى ينظر أينجو أم يزل وعند تطاير الكتب في الأيمان والشمائل وعند الميزان حتى ينظر أيثقل أم يخف فهذه وأمثالها من الآيات والاخبار تدل على صحة الوزن بالميزان وانما يتلجلج في صدور المنكرين له كيفية وزن الاعمال لكونها اعراضا عرضت وفنيت والثقل والخفة معنيان أيضا ولا يقوم المعنى بالمعنى والاعمال صفات أصحابها وقد خبط الناس في هذه المسئلة عشواء * وخلاصة المسئلة أن يعرف الانسان ان المقصود بوزن الاشياء انما هو ظهور مقاديرها وقد جعل لذلك آلات مختلفة كالميزان والقبان لمعرفة أثقال الاحمال والاسطرلاب لمعرفة مقادير حركات الشمس والكواكب فكذلك ههنا المقصود بوزن الاعمال في القيامة هو ظهور مقاديرها للتقابل بامثالها من الجزاء ثوابا كان أم عقابا ونحن نرى في الدنيا آلات وضعت لعرفان مقادير المعاني في الاشياء كالعروض جعل ميزانا يعرف به صحيح الشعر من منزحفه ومنكسره وكالنحو يعرف به فصيح الكلام من ملحونه وكالجر الذي يرفعه الاقوياء من الاحداث ليعرفوا به مقادير قواهم التي خلقها الله تعالى في أعضائهم وليست هي بمنفصلة عنهم كذلك لا يبعد ان يجعل الله تعالى الميزان القسط ليوم القيامة آلة محسوسة صالحة لوزن الاعمال التي هي أعراض فيعرف بها مقادير الحسنات والسيآت

به أعطاه الله ثوابا من أنفق ذلك المال من غير كد ولا نصب * وقال لولا عرف طيب أنفاس الاحبة ما فاح المسك لمستنشق وما عرف مقدار طيب الانفاس وما اعطيه من المعارف الالهية الا البهائم ألا تراها تشم بعضها بعضا عند اللقاء ولا (٣٠٩) تمر بشئ الا وتجعل برؤيتها اليه تشمه * وقال اذا رأيتم العارف يثبت عند واردات الحق ولا يصعق ولا يغنى ولا يندك جبل هيكله فاعلموا انه محجوب ولكن له علامة وهو أنه اذا كان حاله لا يراه خلق الاصعق الا أن يكون مثله فانه ثبت لتجلي الحق تعالى الا من أيده الحق وأما من يغشى عليه في حاله ويتغير عن هيئته التي كان عليها أو يصعق أو يصيح أو يضطرب أو يغنى فاعلموا انه غير محجوب وما عنده من الحق شمة (قلت) المراد بالواردات الاحوال الباطنة لا المحسوسة لقوله تعالى وخر موسى صعقا مع انه محجوب باجماع فافهم * وقال في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار اعلم ان المراد باطراف النهار الصباح والمساء فالمساء ابتداء الليل والصباح انتهاء الليل والنهار هو ما بين الابتداء والانتهاء كما ان الليل كذلك ما بين الانتهاء والابتداء وقد أمرنا الحق تعالى بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار وما تعرض لذكر النهار في هذا الحكم لانه قال ان لك في النهار سبحا طويلا أي فراغا فالنهار لك والليل وأطراف النهار لي ومن كان مشتغلا بالله في الليل وأطراف النهار كان الله له في النهار لانه استعداد للتفرغ للحق في الليل والاطراف * وقال الشريعة لب العقل والحقيقة لب الشريعة فهي كالدهن في اللب الذي يحفظه القشر فاللب يحفظ الدهن والقشر يحفظ اللب كذلك العقل يحفظ الشريعة والشريعة تحفظ الحقيقة ومن ادعى شرعا بغير عقل لم تصح دعواه كما ان من ادعى حقيقة بغير شرع لا يقبل

لاصحابها فيجازون بمقادرها من غير عدوان كما قال تعالى ولا تظلمون فتيلا وقد علمت ان ذلك جائز في العقل وورد به الشرع فوجب الايمان به ومن عجز عن تعقل ذلك ومعرفة كيفيته فليكل علم ذلك الى الله عز وجل كنظائره والله تعالى أعلم * فعلم انه ينبغي لكل من خاف من يوم الحساب ان يكثر من الاعمال الصالحة ولا عمل وذلك ليعطي منها لخصامه يوم القيامة فان الظالم اذا لم يكن معه شيء يعطيه لاخصامه طرح على ظهره من سيآت خصمه ثم قذف به في النار فوالله ما دهمنا الا الامر عظيم ونحن غافلون عن ذلك كالبهائم السارحة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول لا ينبغي لاحد أن يستكثر قط أعماله في عينه فان أعمال أمثالنا ولو صارت كالجبال فربما لا يحصل منها في الميزان الاخروي مثقال ذرة لعدم الاخلاص لله فيها نسأل الله اللطف بنا في الحياة الدنيا وفي الآخرة آمين آمين آمين

(خاتمة) في بيان عجز العقول عن ادراك كثير مما غاب عنها من أمور الآخرة من حين تبدل الارض غير الارض والسموات الى استقرار الخلق في الجنة والنار وبعد ذلك مما قصه الله تعالى علينا الى ما لا نهاية له وليس مع الخلق الآن الا الايمان بذلك على علم الله فيه اللهم الا أن يؤيد الله عز وجل بعض خواصه بنور الكشف * قال الشيخ أبو طاهر القزويني رضي الله عنه واعلم رحمك الله أن تصور العقل لاحوال القيامة وما غاب منها عسر جدا ولكن ينبغي للعاقل ان يعلم ان الله تعالى جعل آدم وذريته خلائف في الارض وعمرها بهم قال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض وقال تعالى هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها ثم انه سبحانه وتعالى لما رشحهم للخلافة آتاهم من كل آلة يدبرون بها معاشهم وقد خلقهم الله تعالى في الدنيا للآخرة فاعطاهم الله تعالى العقل والنطق فضيلة لهم فكان العقل والنطق لهم آلتين يتوصلون بهما الى تدبير معاشهم في الدنيا وتهيئة أسباب معادهم حسب ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام فكما ان العقول عاجزة عن معرفة الله عز وجل حق المعرفة لكونه تعالى غيب عنها فكذلك ما غاب عنها من أحوال الآخرة وما يتقدمها من سؤال الملكين في القبر وجوابهما وكيفية البعث والحشر والنشر والصراط والميزان وقراءة الكتب وكيفية الحوض والشفاعة وأوصاف الجنة والنار بحقائقها ورؤية الله عز وجل في غير جهة وسماع كلامه تعالى من غير صوت ولا حرف وغير ذلك من تفاصيل لذات الثواب والآلام التي تستغرق فيها النفوس لا سيما لذة النظر الى وجه الله الكريم وألم الفزع الاكبر نعوذ بالله منه فان العقل بمجرده لا يستقل بدركه اذ العقل انما هو آلة للعبد يدرك بها تفاصيل الاوامر والنواهي في دار التكليف ويعرف بها مصالح المعاش ومفاسده وكان بعض العارفين يقول الالسنة عن ذلك وعن حقائق الذات المقدس والامور الاخروية محتبسة والعقول عن درك معانيها محتبسة ولم يخبرنا الشارع صلى الله عليه وسلم عن الله وعن أمور الآخرة الا على طريق الاجمال والارسال بما يقرب معناه من الافهام فكان غاية النطق انه أخبرنا بها على الجملة اعجابا للايمان بها وغاية العقل البحث عن تجويز ذلك أو استحالته فاذا أخبرنا بها الصادق مجملة واستجازها العقل مرسلة وجب الايمان بها تصديقا والاعتقاد لها حقا ثم انه يجب علينا كف الفكر عن البحث عن كيفيتها وردعه عن أن يتشوف للطمع في درك حقائقها فان الفكر عن ذلك مصدود كما ان البصر عن سماع الصوت مردود اللهم الا ان يكاشف بعض الاولياء من أحوال الآخرة بشيء في حال غيبته عن الخلق وشهوده الحق فانه في ذلك الوقت يكون مسلوب النطق مغلوب العقل لانه حينئذ يشاهد أمورا لا تتسع لها ظروف الحروف ولا تنتهي اليها العقول كما قال الشاعر

وان قميصا خيط من نسج تسعة * وعشرين حرفا عن معانيه قاصر

قال الشيخ أبو طاهر ومن تأمل هذا المعنى انكشف له كثير من الغوامض التي درج عليها المتقدمون مكافين

* وقال جمالك وصورتك في الآخرة يكون على قدر حسن طرقك المحمودة في الشريعة هنا وقبح صورتك في الآخرة يكون على قدر قبح طرقك المذمومة فاجتهد في نفسك قبل أن لا ينفعك الندم * وقال مرتبتك عند الله في النعظيم على قدر تعظيمه في قلبك وحيائك منه فان اعتنيت به اعتنى بك وان استحييت منه استحيا منك وان لم تبال به لم يبال بك فميزانك بيدك فان شئت أرجح وان شئت أخسر لا تلم الا نفسك * وقال العلم يقتضي العمل فمن قال ان العلم يوجد بغير عمل فدعواه باطلة ومنزع ذلك دقيق جدا من أجل مخالفة المتعدين حدود الله من المؤمنين فربما يقال لو كانوا عالمين ما خالفوا وهم عالمون بلا شك بان الله تعالى حد لهم حدودا معينة حرم الله عليهم تعديها فعلمهم بذلك عمل بالعلم ضرورة وهم عالمون بمؤاخذة الله تعالى من عصاه على التعيين فما عصى الا من ليس بعالم بالمؤاخذة فعلم أنه ما خالف عالم علمه قط بل هو تحت تسخير علمه فتأمله فانه دقيق * وقال الامر الالهي لا يخالف الارادة الالهية أبدا لانها داخلة في حده وحقيقته وانما جاء الالتباس في تسميتهم صيغة الامر أمرا وليست بأمر لمن تأمل فان الصيغة مرادة بلا شك وهذه الصيغ هي التي وردت على ألسنة المبلغين وعصيت فما عصى أحد قط أمر الله الا بهذا الاعتبار قال وبهذا علمنا ان النهي لآدم عن قرب الشجرة انما كان بصيغة الملك الذي أوحى اليه به فما وقع العصيان الا لصيغة المترجم عن أمر الله بالغة نفسه لا لحقيقة أمر الله فتأمل ذلك فانه دقيق * وقال أخسر الاخسرين عقولهم شاهد يشهد على نفسه كما ان أسعد السعداء من شهد لنفسه فهو في الطرفين مقدم على مرتبة من شهد عليه غيره وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا

عقولهم ماليس فى وسعها طمعا فى أن ينالوا مالا ينال فكان عاقبتهم الحيرة والضلال وان من هذا القبيل قراءة أهل العرصات الكتب المكتوبة بخط الملائكة الكرام ولا شك أنها بخلاف كتابة أهل الدنيا ولهذا يقال للكتابة التى لا تقرأ كأنها خط الملائكة ومن ذلك أيضا ما يخلق الله تعالى من ادراك لذات كثيرة من نعيم الجنة مطعومها ومشروبها ومشمومها وملبوسها ومنكوحها على حالة لا توجد فى الدنيا كما وردت به الاخبار الصحيحة فى ثواب الاعمال وتلك الادراكات بلذاتها لا تضاهى شيأ من الادراكات التى تدرك بها اللذات الدنيوية فانها وان كانت تشاكلها فى الجنسية والتسمية فان لها اختصاصات عجيبة تكل العقول عن دركها وقول ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى الجنة شئ يشبه ما فى الدنيا الا بالاسماء أصل كبير فى هذا الباب قال الشيخ أبو طاهر فاعدم تلك الادراكات فى الدنيا لا تجد فى أنفسنا لذة النظر الى وجه الله الكريم ولا غير ذلك من اللذات الموعودة فى الجنة كما لا يجد الصبى فى صباه لذة الجماع لانه لم يخلق له ادراك ذلك قال والدليل على هذه الجملة قوله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة جل وعلا أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه ثم قرأ قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وهذه خطة ضلت فيها الفلاسفة فأنكروا أمور الآخرة واذ قد صح لك ان العقل لا يطلع على كنه حقائق الاشياء الغيبية ولا يبلغ منتهى أسرارها علمت ان غايته انه يقيس مالم يره على ما رآه بأدنى شبه يكون بينهما وقد جاءت الشرائع بأشياء يعجز العقل عن معرفة عللها وكيفياتها ولكن اذا حكم العقل بجوازها وجب علينا الايمان بها كالحشر والنشر فى الآخرة وكالوجه والقدم فى صفات الله تعالى وكذلك القول فى معرفة مقادير الشرائع والعبادات وقد درج السلف الصالح والتابعون لهم على التصديق بها جزما ومنعوا أصحابهم عن البحث عن حقائقها وردها الى علم سر القدر المنهى عن الخوض فيه وقالوا اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولم يجد التشبيه الى عقائدهم سبيلا لقوة اتصالهم بها وذلك لغضاضة الاسلام وقرب العهد من أزمانه صلى الله عليه وسلم التى هى زمان الوحى ومشاهدة التنزيل ومهبط جبريل فاما أن درج القرن الاول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهم خير القرون انبعثت الاهواء من كل صقع وباض الشيطان بكل قطر ونفث فى عقد القلوب وجال فى الخواطر بخطراته فتزلزلت لذلك العقائد واضطربت الآراء وكثرت مقالات أهل الاهواء كالقرامطة والزنادقة والمعتزلة والرافضة خذلهم الله تعالى اذ ألفوا الكتب فى الضلالات وبثوها فى الامصار ودعوا اليها الاغبياء من الناس فشاعت البدع وفشا البهتان وانحلت عقد العقائد وذلك لبعد الناس عن زمان البعثة كما قال تعالى فى حق قوم فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ولهذا قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه طوبى لمن مات فى نأنأة الاسلام يعنى فى أوله ثم لا يخفى عليك يا أخى أن المتقدين اليوم وان صحت عقائدهم وراجت نقودهم فكثيرا ما يختلج فى ضمائرهم خواطر الشكوك من كثرة ما يقرع مسامعهم من شبه أهل الاباطيل ولا يجدون أحدا من الائمة المحققين يبين لهم مصادر الامور ومواردها وربما يموت أحدهم على رجز بين ضلوعه من تجسيم وتشبيه وتعطيل وأمور منكرة ولا يجسر أن يسأل أحدا عنها ولا يجد أحدا يشفى الغليل بجوابه فلا يزال يخفى عقيدته عن نفسه فكيف عن غيره فهذا الذى دعا المحققين من المتكلمين الى ايراد أمثلة كثيرة فى مضايق المشكلات وكشف ما أمكنهم من المعضلات وتكرير العبارات فى جميع مباحث الكلام وهذه الخاتمة يحتاج اليها من يطالع مثل هذا الكتاب فأمعن يا أخى النظر فيها يسهل عليك فهم كثير من آيات الصفات وتعقل أشياء كثيرة من محالات العقول

* (المبحث التاسع والستون فى بيان أن تطاير الصحف والعرض على الله تعالى يوم القيامة حق) *

كافرين فأشقوا نفوسهم بشهادتهم ولو أنهم علموا الامر على ما هو عليه لنزعوا عن نفوسهم وشهدوا عليها بالفعل لا بالحكم الذى هو المعصية فان الجوارح لا تعرف اذا شهدت الا الفعل خاصة وأما الحكم فلا فلو شهدوا بالفعل فقط لكان أقل فضيحة واستر ممن شهد على نفسه بصريح المخالفة والكفر فافهم * وقال فى حديث ان أصحاب الجد محبوسون انما حبسوا عن الجنة لخروجهم بالمال عن أصلهم الذى هو الفقر مع أن العبد كلما انفق أخلف الله عليه أضعاف ما أنفق فزاده حجابا ولو أنهم وقفوا مع صفة فقرهم ولم يطلبوا الغذاء بمضاعفة الحق لهم ما انفقوه ما كان الحق تعالى يعطيهم الاما فيه قوامهم لا غير * وقال لما انتقل العلم من الكون اليه بظاهر قوله حتى نعلم سكت العارف على ما قيل وما تكلم وتأول عالم النظر هذا القول حذرا مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وسربه العالم بالله ولكنه تكتم فقال مثل قول الطاهرى الله أعلم فالاله حى علم والمحدث سلم فاحمد الله الذى علمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وأطال فى ذلك ثم قال نعلم أن العلم المستفاد للعليم بهم الحديث على هذا والقديم وان عاندت فانهم قوله ولنبلونكم حتى نعلم وبما حكم على نفسه فاحكم كذا ترد من آيات الصفات وان سئلت عن كيف ذلك فقل الله أعلم * وقال الذى يظهر لى أن الحق تعالى انما قال مثل ذلك امتحانا لعباده ليتبين لهم مقامهم والايمان هل يغلب ايمانهم على عقلهم فيؤمنوا بذلك من غير توقف أم يغلب حكم عقلهم على ايمانهم فيخسروا والله أعلم * وقال الدنيا حكم ليس لاخرتها والام لا تنكح على بنتها ومن اتبع المتشابه فقد ضل وزاغ وما على الرسول الا البلاغ والله أعلم * وقال فى الباب الموفى ستين وخمسمائة وهو آخر

الابواب اعلم أن يدالله التى هى القوة مع الجماعة وما غلبت قط جماعة الا عند افتراقهم وكذلك جماعة القائمين بالدين لا يغلبون قط فى أمر قاموا فيه وكل من عارضهم خذل فاذا تفرقوا غلبوا وكذلك جماعة أعضاء الانسان اذا اجتمعت لا يغلبها قط شيطان فاذا تفرقت غلبت

* وقال اذا أثمرت خلبك ذكر الله دائما فى كل حال فلا بد أن يستنير قلبك بنور الذكر فيرزقك ذلك النور الكشف واذا جاءك الكشف جاء الحياء يصحبه دليلنا على ذلك استحياؤك ممن جارك وممن ترى له حقا وأطال فى ذلك * وقال فى حديث من هم بحسنة فلم يعملها فأنا اكتبها له حسنة ثم مالم يعملها اماهنا نظر فيه فكل زمان يمر على العبد وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فان الله يكتب له حسنة بلغت تلك الازمنة من العدد ما بلغت فله بكل زمان حدث نفسه بعمل تلك الحسنة حسنة قال وكذلك القول اذا حدث نفسه بعمل سيئة فان مافيه نظر فيه كما قلنا فى الحسنة سواء من أنه يكتب عليه سيئة مادام يحدث نفسه بعملها بالغا ذلك الزمان ما بلغ ثم ان العبد اذا عمل الحسنة التى حدث بها نفسه أو السيئة التى حدث بها نفسه فان الله يكتب الحسنة بعشر والسيئة بواحدة عملا بالعدل فى الثانية والفضل فى الاولى * وقال أعلى المشاهد فى السماع من الحق بالقلب ان تحضر بقلبك مع روح محمد صلى الله عليه وسلم فتسمع ما يخاطب به الحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فان خطابه

لنبيه ليس كخطابه اياك وحدك لان حضرة الربوبية تعطى ما يسمع العبد فيها مالا ينقال فتكون فى ذلك تبعا لنبيك فان قال فقل وان كنتم فاكتم وماذا حضرة يكون فيها شخص أكبر من نبى أو ولى الا وكانت الحضرة مصروفة اليه * وقال أكابر الرجال أغناهم العيان عن الايمان

لورود النصوص به لكن لا يخفى ان الناس يتفاوتون فى ذلك فأما تطاير الصحف فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذ كتابه بشماله ومنهم من يأخذ كتابه من وراء ظهره فأما الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم فهم المؤمنون على اختلاف طبقاتهم وأما الذين يعطون كتبهم بشمائلهم فهم المنافقون لا المشركون كما قاله الشيخ محيي الدين قال لان المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا لانه كان يعلم ما انطوت عليه نفسه من الكفر خلاف ما كان يظهر للناس ولذلك عقب الله تعالى الذى يأخذ كتابه بشماله بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم فسلب عنه الايمان دون الاسلام لانه كان منقادا للاسلام فى ظاهره ليحقن دمه وأهله وماله وهو فى باطنه اما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الايمان فانه من أعمال القلوب لا يطلع عليه أحد الا الله * وأما الذين يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فاذا كان يوم القيامة قيل لاحدهم خذ كتابك من وراء ظهرك أى من الموضع الذى نبذته فيه فى حياتك الدنيا بترك العمل به فهو كتابهم المنزل عليهم لا كتاب الاعمال كما توهمه بعضهم فان هذا حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أى تيقن انه لن يرجع وهذا هو الذى يقول الله تعالى له يوم القيامة حين يعاتبه ويقرره أظننت انك ملاقى الحديث قال وليس أولئك الا الائمة المضلين الذين ضلوا وأضلوا فافهم * قال الشيخ محيي الدين ثم لا يخفى ان هذه الكتب التى كتبتها الحفظة فى الدنيا خاصة بأعمال المكلفين وأقوالهم وليس فيها شئ من عقائدهم الا ما شهدوا به على أنفسهم من تلفظهم به فان الملائكة لا تكتب من أقوالهم الا ما تلفظوا به اه * وقال الامام الغزالى رحمه الله فى قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون اعلم ان الملكين يوكلان بالشخص اذا قارب البلوغ قال تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال تعالى بلى ورسلنا لديهم يكتبون ثم اذا اتصف العبد بالعقل كان أحد الملكين يهديه والآخر يغويه ورتبة الهادى أعلى من رتبة المغوى وهما من الملائكة السفرة الكرام البررة الذين هم أعوان الملك الاعظم الذى هو صاحب القلم عند أكثر المحققين قال ثم ان الملكين يكتبان الحسنات والسيآت كتابة لا تشبه كتابة أهل الدنيا لانهما انما يكتبان فى صحف مطهرة مطوية فى سر القلب لا يطلع على ذلك أحد من أهل الدنيا اذ الملكان وكتابتهما وصحفهما وجميع ما يتعلق بهما من عالم الملكوت وذلك لا يدركه أبصارنا فى عالمنا هذا ثم ان تلك الصحف المطوية تنشر مرتين مرة عند النزع لقوله فكشفنا عنك غطاءك ومرة فى القيامة على رؤس الاشهاد قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وذلك عند وضع الميزان القسط فيرى الكتب هنالك طائرة من الهواء وهو قوله طائره فى عنقه على أحد التفاسير ثم اذا قرأ كل أحد كتابه يجد حروف كتابه نيرة أو مظلمة بحسب أعماله الحسنة أو القبيحة فصاحب الحسنات يجد كتابه خطا وطابيضا وصاحب السيآت يجد كتابه خطا وطاسودا * قال الشيخ أبو طاهر القزوينى وأصحاب الكتب يومئذ اذا عرضت عليهم كتبهم مضطرون الى قراءتها من غير تعليم من أحد بل بالهام من الله تعالى فنسألك اللهم أن تؤتينا كتابنا بأيماننا وتدخلنا جنتك بأيماننا ولا تفضحنا يا أرحم الراحمين * وأما العرض على الله يوم القيامة فهو مثل عرض العساكر على الملك فيوقف العبد بين يدى الله عز وجل كما يليق بجلاله ويقع السؤال بحسب ما يريد الله عز وجل بذلك العبد فياله من موقف يتساقط فيه لحم الوجوه من شدة الخجل والحياء من الله عز وجل وفى الحديث من نوقش الحساب عذب * قال الشيخ محيي الدين فى الباب التاسع والستين وثلثمائة والمراد بالمناقشة هو السؤال عن علل الاعمال فيعرض تعالى على العبد عمله قال وهذا السؤال عام فى حق كل الخلق حتى الرسل عليهم الصلاة والسلام قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول

ماذا اجبتم الآية قال ولكن فرق عظيم بين سؤاله للانبياء وسؤاله لغيرهم فان سؤاله للرسل يكون على تقرير النعم على طريق المباسطة وأما سؤاله لغيرهم فيكون فى أمور قبيحة نسأل الله اللطف وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل هو وأصحابه رطبا وبسرا وشربوا بعده الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة مع أن هذا كان عقب الجوع كما يدل عليه سياق الحديث فقد شارك هؤلاء الانبياء فى سؤال تقرير النعيم فى هذه القصة وفارقوهم فى سؤال التوبيخ والتقريع (فان قيل) فما سبب شهادة الاعضاء على صاحبها ولم لم يكن يشهد على نفسه بلسانه (فالجواب) كما قال الشيخ فى الباب السبعين من الفتوحات أن سبب شهادة الاعضاء قبح تلك الذنوب فيستحى العبد بين يدى الله عز وجل أن ينطق بها أو ينكرها أصلا وهو تعالى أسرع الحاسبين فلا ينتظر زوال الاستحياء فلذلك تستشهد أعضاؤه ثم يقبل الله شهادتها لعدالتها الاصلية من أصل الفطرة والاصل العدالة والجرح طارئ وينقدح من هذا سؤال وهو اذا كانت الاعضاء كلها تشهد وهى عدول من كان فما ثم الأعضاء فمن المعذب انتظار يحتاج ذلك الى جواب ولعل تعذيب الاعضاء انما هو لالتذاذها بفعل مانهيت عنه فى دار الدنيا وكان بعضهم يقول فى حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد انه لم يكن فى حسابهم أن الله تعالى يدخلهم الجنة لسوء ما تعاطوه قال وليس المراد ان الحق تعالى لا يحاسبهم على أعمالهم انتهى فليتأمل * وقال فى الباب الثامن وتسعين ومائة من الفتوحات اذا أخبر الحق تعالى عباده بما فعلوه من الجرائم يوم القيامة فيما بينه وبينهم كقوله يا عبدى فعلت كذا وكذا فى وقت كذا وكذا لا يكون ذلك منه على وجه التوبيخ وانما يكون ذلك من باب اعلامه بسعة رحمته تعالى وهذا خاص بالموحدين فافهم * وقال فى الباب الحادى والخمسين وثلثمائة اعلم أن كل مسلم استحيا من الله تعالى فى الدار الدنيا ومن لقائه يوم القيامة فلابد أن يؤنسه الحق تعالى يوم القيامة ويزيل خجله وأصل الاستحياء يكون من المخالفة أو التقصير فى خدمة الله تعالى وما ثم غيرهذين الطريقين قال وصورة تأنيس الحق تعالى لعبده المؤمن أن يقول له عبدى ما كان الذى وقع منك فى دار الدنيا الا بقضائى وقدرى لانك موضع جريان أحكامى فيأنس العبد بهذا القول أشد الانس ولو أن العبد قال هذا القول لله تعالى ابتداء لاساء الادب مع الله تعالى ولم يسمع منه وبهذا بعينه يؤنسه الحق تعالى فهو من جانب الحق تعالى فى غاية الحسن ومن جانب العبد فى غاية القبح فليس له أن يقول يارب كيف تقدر على المعاصى ثم تؤاخذنى وأما الحق تعالى فاذا قال للعبد أنت موضع جريان أحكامى فهو فى غاية الفضل والاحسان لان فيه اقامة العذر للعبد وتأنيسه ومباسطته وازالة خجله ورفع وجله * قال الشيخ محيى الدين ولما ورد على هذا التعريف الالهى فى واقعة من الوقائع الشريفة لم يسعنى وجودى من الفرح حيث أطلعنى على مثل ذلك انتهى * وقال فى آخر الباب الثامن والثمانين وثلثمائة انما كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب أى معين علمه عندنا لان الصبر يعم جميع الاعمال اذ هو حبس النفس على فعل الاعمال المكروهة فلهذا لم يأخذه المقدار بخلاف بقية الاعمال تأخذها انتهى (خاتمة) * قال فى الباب التسعين من الفتوحات فى قوله تعالى وأقرضوا الله قرضا حسنا اعلم أنه لا ينبغى للعبد أن يقرض الله عز وجل لاجل مضاعفة الاجر يوم القيامة وانما ينبغى له أن يقرض ربه عز وجل امتثالا لامره تعالى حيث أمره بالاحسان الى عباده وهذا هو معنى وصف القرض بالحسن * وايضاح ذلك ان الحق تعالى لا يعاملنا الا بما شرعه لنا ألا تراه تعالى قد سأل نبيه أن يسأله يوم القيامة أن يحكم بالحق أى الذى بعثه به لعباده اذ الالف واللام فى الحق للعهد أى رب احكم بالحق المعهود الذى بعثتنى به وعلى هذا تجرى أحوال الخلائق يوم القيامة فمن أراد ان يرى حكم الله تعالى يوم القيامة فلينظر الى حكم الشرائع فى الدنيا من غير

اقومهم على تحمل الامانة ولوضعفوا والجبوا بالايمان عن العيان ومن هنا كفر الناس من افشى أسرار الحضرة ونم مافعلوا * وقال من كمل فى مقام العرفان شاهد الاسم الذى بيده الختم الالهى الذى يختم به على قلوب أصحاب النبوات والرسالات (٣١٢) والولاية أن يدخلها كون بعد أن شهدت جمال الحق الاعلى وجه الخدمة والامر ثم يخرج ذلك الكون بسرعة من القلب ثم ان ماوقع بعد ذلك الختم من تعلق الخاطر بحب جارية مثلا فانما ذلك بحكم الطبع لا بمنزلة السر الربانى المختوم عليه الذى هو بيت * قال وأما أسرار العامة فقد ختم عليها والظلمة والعمى فيها فلا تخلص لمحبة الله فهى تخبط عشواء * وقال عليك بالبحث عن منازع الاعتقادات لتعرف مواطن تنكرات الحق اذا تجلى بخلاف معتقدك فى الآخرة فان كل من لا معرفة له بمراتب التنكرات والتجليات يخشى عليه من الفضيحة فيرجع يقر بما كان ينكره أولا وهذه الحقيقة هى التى تعد المنافقين فى نفاقهم والمرائين فى ريائهم ومن جرى مجراهم * وقال فى قوله تعالى ومكر الله والله خير الماكرين المراد بمكر الله هو مكر الله تعالى بهم فى مكرهم فهو العائد عليهم فالمكر ما لك يخرج عليها فافهم * وقال فى قوله صلى الله عليه وسلم أصدق بيت قالته العرب

ألا كل شئ ما خلا الله باطل

اعلم ان الموجودات كلها وان وصفت بالباطل فهى حق من حيث الوجود ولكن سلطان

المقام اذا غلب على صاحبه يرى ان ماسوى الله باطل من حيث انه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم قال وهذا من بعض الوجوه التى يمتاز الحق تعالى به من كونه موجودا عن وجود خلقه مع انه على الحقيقة ليس بينه وبين خلقه

زيادة ولا نقصان فكن يا أخي على بصيرة من شرعك فإنه عين الحق الذي اليه مآلك يوم الدين انتهى * وقال في الباب الاحد وخمسين وخمسمائة في قوله تعالى فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون اعلم أن الحق تعالى اذا حكم يوم القيامة في الامور بنفسه يكون حكمه على أنواع بحسب المواطن فموطن يحكم فيه سبحانه وتعالى بنفسه بعلمه دون رسوله والمؤمنين على حسب ما راه في العمل وموطن يحكم فيه تعالى بما رآه رسوله صلى الله عليه وسلم في العمل على اختلاف الطبقات وموطن يحكم فيه بما رآه المؤمنون يعني الائمة المجتهدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين وموطن يحكم فيه بالمجموع هذا وقد جمع الرسول والمؤمنين معه تعالى في الحكم بما رأوه مع أن كل ما رآه عباده تعالى فهو حكمه وتقديره بالاصالة وقد قال بعض المحققين اذا كان الحق تعالى هو الحاكم الحقيقي في جميع أحكام الدنيا فكيف يصح وصف بعض أحكام القضاة بالبطلان انظر انتهى * قلت انما صح لنا وصف بعض الاحكام بالبطلان عملا بالشريعة التي تعبدنا الله تعالى بالعمل بها في هذه الدار دون الحقيقة فان الحق تعالى لم يأمرنا بالحكم بها في هذه الدار لخفاء وجه مطابقتها للشريعة لا لمخالفتها لها في نفس الامر كما قاله المحققون والله أعلم

(المبحث السبعون في بيان ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أول شافع يوم القيامة وأول مشفع وأولاه فلا أحد يتقدم عليه)

قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع زاد في رواية ولا فخر قال العلماء وانما خص يوم القيامة بالسيادة لانه يوم ظهور ذلك لكل أحد كقوله تعالى لمن الملك اليوم بخلاف شرفه في الدنيا وسيادته فانه لا يخلو من منازع * قال الشيخ محيي الدين وانما أخبرنا صلى الله عليه وسلم بانه أول شافع وأول مشفع شفقة علينا لنستريح من التعب الحاصل بالذهاب الى نبي بعد نبي في ذلك اليوم العظيم وكل منهم يقول نفسي نفسي فأراد عليه الصلاة والسلام اعلامنا بمقامه يوم القيامة لنصبر في مكاننا مستريحين حتى تأتي نوبته صلى الله عليه وسلم ويقول أنا لها أنا لها فكل من لم يبلغه هذا الحديث أو بلغه ونسيه لا بد من تعبه وذهابه الى نبي بعد نبي بخلاف من بلغه ذلك ودام معه الى يوم القيامة فصلى الله عليه وسلم ما أكثر شفقته على الامة وأما قوله في آخر الحديث ولا فخر أي لا أفتخر بكوني سيد ولد آدم من الانبياء فمن دونهم وانما قصدت بذلك اراحتكم من التعب يوم القيامة بحكم الوعد السابق لي من الله عز وجل أن أكون أول شافع وأول مشفع فما زكى صلى الله عليه وسلم نفسه الا لغرض صحيح وكذلك تزكية جميع الائمة لانفسهم لا يكون الا لغرض صحيح فانهم منزهون من رؤية فخرهم نفوسهم على أحد من الخلق بل كان بعض العارفين يقول لا يبلغ أحد مقام الكمال حتى يرى نفسه انها ليست بأهل ان تنالها رحمة الله عز وجل * قال الجلال السيوطي وغيره وله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ثمان شفاعات * أولها وأعظمها شفاعته صلى الله عليه وسلم في تعجيل حساب الخلائق وإراحتهم من طول ذلك الموقف وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم * ثانيها في ادخال قوم الجنة بغير حساب قال النووي وهي مختصة به وتردد في ذلك الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والشيخ تقي الدين السبكي وقال لم يرد في ذلك شيء وكان الشيخ محيي الدين يقول في معنى ان قوما يدخلون الجنة بغير حساب ان المراد انه لم يكن في حسابهم وفكرهم ان الله يدخلهم الجنة أبد الشهود هم قبيح زلاتهم وقد مر ذلك عن غيره أيضا * ثالثها فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها وتردد النووي في كون هذه مختصة به قال السبكي لانه لم يرد في ذلك نص لا بنفيه ولا باثباته * رابعها في اخراج من أدخل النار من الموحدين حتى لا يبقى فيها أحد منهم وتخرج طبقتهم وينبت فيها الجرجير كما ورد وهذه الشفاعة يشاركه صلى الله عليه وسلم فيها الانبياء والملائكة والمؤمنون وقد حكى القاضي عياض في ذلك تفصيلا فقال ان كانت هذه الشفاعة لاخراج من في قلبه مثقال

الاشتراك بوجه من الوجوه * وقال لما كان الانسان نسخة جامعة للموجودات كلها كان فيه من كل موجود حقيقة بتلك الحقيقة ينظر الى ذلك الموجود وبه تقع المناسبة فتى ما أوقفك (٣١٤) الحق تعالى على عالم من العوالم أو موجود من الموجودات فقل لذلك الموجود بلسان تلك الحقيقة أنا منك بكليتي ليس أنا غيرك وأنا منك بالذات فاذا سمع ذلك اصطفاك وأعطاك جميع ما في قوته من الخواص والاسرار وهذا لا يتحقق به الا من ذاق تجلي معية الحق مع كل شيء * وقال ما استكبر مخلوق على آخر الا لحجابه عن معية الحق تعالى مع ذلك المخلوق الآخر ولو شهدها لذل وخضع * وقال كل من قيده الفارق فهو محصور في قيد الاين محبوس في ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا من عنده فما له من نور من ذاته * وقال اذا عرفت الحق تعالى فلا يمانك الا من حيث العلم والمعتقد والله أجل وأعز من أن يشهد على وجه الاحاطة * وقال احذر ان تدعي الوصلة وجمع الشمل فاني أخاف عليك ان يكون جعلك بالاينية فتكون في عين الفصل والفراق فلا تغالط نفسك قال وعلامة صحة الوصلة بمشاهدة الحق أنك اذا عكست مرآة قلبك الى الكون عرفت جميع ما في ضمائر الخلق وصدقك الناس على ذلك الكشف * وقال من كان يأخذ معرفته للحق من الحروف فهو جاهل به فان الحروف التي أخذ عنها معرفته تعبه قال وهذا من الدين يعبدون الله على حرف وليس له رائحة من نفحات الجود بل أحدهم من الحرف فهو من الكون درة الى الكون يتردد بدايته ونهايته وان كان لهذا أجر الاجتهاد والدرس والاجر كون أيضا فاخرج هذا من رق الكون ووثاق الحرف * وقال

ذرة من ايمان فهي خاصة به ليست لاحد من الانبياء ولا الملائكة ولا المؤمنين وان كانت لغير من ذكر فقد يشاركه في ذلك غيره * خامسها في زيادة الدرجات في الجنة لاهلها وجوزالامام النووي رحمه الله اختصاص هذه به صلى الله عليه وسلم * سادسها في جماعة من صلحاء أمته ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات كما ذكره القزويني في العروة الوثقى * سابعها فيمن خلد من الكفار في النار ان يخفف عنهم العذاب في أوقات مخصوصة جمعا بين هذا وبين قوله تعالى لا يفتر عنهم كما ورد ذلك في الصحيحين في حق أبي طالب وكما ذكره ابن دحية في حق أبي لهب من أنه يخفف عنه العذاب في كل يوم اثنين لسروره بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتاقه ثويبة حين بشرته به * قال الجلال السيوطي ولا يرد علينا شفاعته صلى الله عليه وسلم لبعضهم أن يخفف عنه عذاب القبر لان هذه شفاعة في المؤمنين وفي البرزخ وكلامنا انما هو في شفاعاته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على وجه فيه عموم لسائر الموحدين واغيرهم على وجه التخفيف فقط كما مر * ثامنها في أطفال المشركين أن لا يعذبوا وهذه الثلاث الاخيرة ذكرها بعضهم وأضاف اليها من دفن بالمدينة رواه الترمذي وصححه قال الشيخ محيي الدين في الباب الاحد وسبعين وثلثمائة واعلم أن الشفاعة الاولى من محمد صلى الله عليه وسلم تكون في فتح باب الشفاعة للناس فيشفع في كل شافع أن يشفع فاذا شفع الشافعون قبل الحق تعالى من شفاعاتهم ما شاء ورد منها ما شاء قال ويبسط الله تعالى الرحمة ذلك اليوم في قلوب الشفعاء فمن رد الله تعالى شفاعته من الشافعين في ذلك اليوم لا يردها انتقاصا له ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وانما أراد تعالى بذلك اظهار المنة الالهية على بعض عبيده فيتولى الله تعالى سعادتهم ويرفع الشقاء عنهم باخراجهم من النار الى الجنان بشفاعة الاسم أرحم الراحمين عند الاسم المنتقم والجبار فهي أي شفاعة الحق مراتب أسماء الهية لا شفاعة محققة لان الله تعالى يقول سبقت رحمتي غضبي شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين فدل بالمفهوم انه لم يشفع فيتولى بنفسه اخراج من شاء من عصاة الموحدين من النار الى الجنة ويملأ الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه كما يملأ الله الجنة برضاه ورحمته * وقال في الباب الرابع والسبعين وثلثمائة ما نصه اعلم ان لكل من أرحم الراحمين والملائكة والنبيين والمؤمنين جماعة مخصوصة يشفع فيهم فشفاعة أرحم الراحمين خاصة بمن لم يعمل خيرا قط غير توحيدهم لله عز وجل فقط قال وهؤلاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة انه لا اله الا هو وشفاعة الملائكة خاصة بمن كان على مكارم الاخلاق من العصاة قال وتكون شفاعة الملائكة على الترتيب الذي جعله الله لهم وآخرهم شفاعة التسعة عشر التي على جهنم وأما شفاعة النبيين فتكون في المؤمنين خاصة والمؤمنون قسمان مؤمن عن نظر وتحصيل دليل فلشافع فيه النبيون فان الانبياء جاؤا بالخبر الى الامم والخبر هو متعلق الايمان والقسم الثاني مؤمن مقلد لما أعطاه أبواه وأهل الدار التي نشأ فيها فالشافع في هذا المؤمنون الذين هم فوقه في الدرجة بعد أن خلص هؤلاء الشافعون بأنفسهم ونجوا بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الشفعاء كلهم لا يشفعون الا اذا انتهت مدة المؤاخذة لعصاة الموحدين اهـ * وقال في الباب السابع والسبعين وثلثمائة في قوله صلى الله عليه وسلم سحقا سحقا في حق قوم ارتدوا على أدبارهم بعده صلى الله عليه وسلم انما قال صلى الله عليه وسلم ذلك طلبا لموافقة الحق تعالى في غضبه عليهم اذ العالم بالامر لا يزيد على حكم ما يقضي به الوقت فلهذا قال صلى الله عليه وسلم مع شفقته ورحمته سحقا سحقا ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد زوال ذلك الحال يتلطف في المشيئة ويشفع فيمن كادت تهوي به الريح في مكان سحيق فهي شفاعة فيمن ارتد عن فعل شيء من فروض الاسلام لا فيمن ارتد عن أصل الدين اهـ * وقال في الباب الثالث والسبعين انما كان صلى الله عليه وسلم صاحب المقام المحمود في الشفاعة يوم القيامة بين يدي الله عز وجل لانه أوتي جوامع الكلم فيحمد في ذلك المقام الاولين

من كان من أهل الكمال فهو محجوب عن غيب الاكوان حتى انه لا يعرف ما في جيبه ولا يفرق بين المحسوسات مع كونه ابين يديه جهلا لا غفلة عنها ولا نسيانا وذلك لما حققه الحق به من حقائق الوصال قال سيدي هذا المقام أنتم أعرف بمصالح دنياكم * وقال اياكم ان تعترضوا على المجتهدين وتجعلوهم محجوبين على الاطلاق فان لهم القدم الراسخ في الغيوب وان كانوا يحكمون بالظنون فظنونهم علوم وما بينهم وبين أهل الكشف الا اختلاف الطريق لكن أهل الكشف يدعون الى الله على بصيرة لصدقهم في الاتباع ووقوفهم على حد ما ورد وأهل الاجتهاد يحكمون اليوم بحكم ثم يرجعون عنه غدا فليسوا على بصيرة اذ البصيرة لا يرتفع حكمها لا بورود أمر جديد من الشارع * وقال من الاولياء من يتكلم على الخاطر وما هو مع الخاطر ومنهم من يطلع على الاقدار قبل نزولها الى الارض فان القضاء يدور في الجو من مقعر فلك القمر الى الارض ثلاث سنين وحينئذ ينزل وهذا المقام يسميه القوم فهم الفهم * وقال الكامل لا يقول اللهم لا تفضح سرائرنا لاستواء سريرته وعلانيته وانما يقول ذلك من لم يبلغ مقام الكمال قال ولقد بلغني عن الشيخ أبي الربيع المالقي الكفيف الاندلسي أنه سمع تلميذه أبا عبد الله القرشي ليتلي يقول اللهم لا تفضح لنا سريرة فقال له الشيخ يا محمد ولاي شيء تظهر للحق ما لا تظهر للخلق هلا استوى سرك وعلانيتك فسمع الله فتنبه القرشي واعترف واستعمل ما دله عليه الشيخ وأنصف فرضي الله عنهما من شيخ وتلميذ * وقال اذا جمعك الحق به فرقك عنك فكنت صاحب تأثير في الوجود واذا جمعك بك فرقك عنه فقمت في مقام العبودية فهذا مقام الولاية وذلك مقام الخلافة حتى في الجمعين شئت قال ولا

والآخرون ويرجع الى مقامه ذلك جميع مقامات الخلائق وكما كانت بعثته صلى الله عليه وسلم عامة وشريعته جامعة لجميع الشرائع كانت شفاعته كذلك عامة فكما لا يخرج عن شريعته محل يصح أن يشرع كذا لا يصح أن يخرج عن شفاعته أحد وأطال فى ذلك ثم قال فى الجواب الثامن والسبعين من الباب السابق انما سجد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بين يدى الله عز وجل من غير أن يتقدمه اذن من الله عز وجل فى ذلك السجود لان السجود فى ذلك اليوم هو المأمور بالسكون فى عين جسم محمد صلى الله عليه وسلم اذ هو طريق الى فتح باب الشفاعة التى ليست لاحد غيره فلذلك يتقدم محمد صلى الله عليه وسلم بين يدى الرب جل وعلا كما يليق بجلاله فى ذلك اليوم الاعظم ويسجد من غير أمر ورد عليه بالسجود فيقال له ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع صلى الله عليه وسلم *(خاتمة)* ذكر الشيخ فى الباب الحادى والسبعين فى أسرار الصوم ثم اعلم ان فتوة أولياء الله تعالى اذا أذن لهم فى الشفاعة أن يبدؤا بالشفاعة فيمن آذاهم فى دار الدنيا ورماهم بالكفر والزندقة والرياء والنقائص وذلك ليزيلوا عنه الخجل حين يرى مقام أولياء الله تعالى فى الآخرة عند الله تعالى من التقريب واجابة السؤال وقد كان فى دار الدنيا يجهل ذلك وهنالك تطمئن نفوس المنكرين ويزول منهم الخوف الذى حصل لهم من أولياء الله تعالى فى ذلك اليوم العظيم قال وانما لم يبدأ الاولياء بالشفاعة فيمن أحسن اليهم واعتقدهم فى دار الدنيا لان المحسن مطمئن بما قدم من الاحسان فعين احسانه يكفيه ويكون شفيعا له عند الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان اهـ (وكان) سيدى على الخواص رحمه الله يقول لا يكمل الفقير حتى يسأل الله العفو والصفح فى دار الدنيا عن كل من سبه أو ذمه أو أنكر عليه ليوافى القيامة مغفورا له ولا يحصل له خجل ولا خوف ممن سبهم أو أنكر عليهم من أهل الله عز وجل ولهذا المقام حلاوة يجدها العبد وانشراح عكس من ينتقم ممن آذاه أو أنكر عليه والله تعالى أعلم

(المبحث الحادى والسبعون فى بيان أن الجنة والنار حق وانهما مخلوقتان قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام)

كما تقدم بسطه فى المبحث الثانى من الكتاب فى حدوث العالم وذكرنا هناك ان خلق الجنة والنار متأخر عن خلق الدنيا بتسعة آلاف سنة ولذلك سميت الجنة بالآخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا المدة المذكورة على ما تقدم فيه فهما مخلوقتان مهيأتان لاصحابهما قبل خلقهم ثم ان أعمال كل مكلف تأتى على حسب ما سبق له فى دار الجنة أو النار وزعم أكثر المعتزلة انهما يخلقان يوم الجزاء ودليلنا عليهم النصوص الصريحة الصحيحة الدالة على أنهما مخلوقتان قبل يوم الجزاء نحو قوله تعالى أعدت للمتقين أعدت للكافرين وقصة آدم وحواء واسكانهما الجنة وأخراجهما منها بالزلة ونحو ذلك كحديث يفتح للمؤمن فى قبره كوة فينظر منها الى الجنة ويدخل عليه من روحها ونعيمها ويفتح للكافر كوة الى النار فيدخل عليه من حرها وسمومها وكحديث لما خلق الله تعالى جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون رواهما البخارى وغيره وقوله صلى الله عليه وسلم رأيت الجنة والنار فى عدة أحاديث وكان الشيخ محيى الدين رحمه الله يقول الجنة والنار مخلوقتان لكنهما لا يكمل بناؤهما الا بانتهاء الدنيا وانقضاء زمن التكليف فهما بمثابة سور الدار الذى بناه المالك ثم بعد ذلك يشق الجدران ويبنى حتى ينتهى البناء لانهما انما يبنيان من أعمال المكلفين من خير أو شر فمن نظر الى السور من خارج قال انهما فرغ من بنائهما ومن دخل السور وجدهما ناقصتين من البناء بقدر ما بقى من أعمال المكلفين فى هذه الدار ويدل لذلك حديث ان الجنة عذبة الماء طيبة التربة وانها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله الحديث فان القيعان هى التى لا بناء فيها ولا شجر وفى الحديث أيضا من صلى كل يوم اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة ومن قال سبحان الله مثلا غرس له شجرة فى الجنة اهـ

يخفى ان جمعك بك أعلى من جمعك به لان جمعك بك يكون الحق مشهودك وفى جمعك به غيبتك عنك باشتغالك به عن مقام عبوديتك فافهم * وقال احذر من لذة الاحوال فانها سموم قاتلة وحجب مانعة فانها أى الاحوال تستبدل على أبناء الجنس فيستعبدهم لك قهرا الحال فذلك اطلاعهم بنعوت الربوبية وأين أنت فى ذلك الوقت مما خلقت له فعليك بالعلم فانه أشرف مقام لانه لا يزيدك الا معرفة بنقائصك قال والاحوال كالبروق فكما لا تتفوتك فكذلك لا تقف ونها أنت فانها نتائج الاوراد وكل من طلب ما لا بد له منه فهو جاهل وما اتخذ الله من ولى جاهل * وقال العارف لا يأمن مكر الله طرفة عين وقد يكون ممن صار يسمع نداء الحق فيرجع من ذلك المقام ويحجب عن سماع الحق بشهود الكون فيتولد عنده صمم عن سماع نداء الحق فاذا نودى من الكون سمع فضل وأضل نعوذ بالله من ذلك * وقال اياك ان تدعى معرفة ذات خالقك فانك فى المرتبة الثانية من الوجود وان فنيت فما عرف الواحد تعالى الا هو فعلم معنى التوحيد عن الذوق وما النا منه سوى التجريد وهو المعبر عنه عند القوم بالتوحيد * وقال لو كان الحق تعالى علة لارتبط والمرتبط لا يصح له الكمال فهو تعالى خالق العلل * وقال اجتمعت روحى بالحلاج فقلت له لم تركت بيتك يخرب فتبسم وقال لما استطالت عليه أيدى الاكوان حين أخليته وخلفت هرون فى قومى استضعفوه لغيبتى فاجمعوا على تخريبه فلما هدموا من قواعده ما هدموا كنت قد فنيت رددنا اليه بعد الفناء فاشرفت عليه وقد حلت به المثلات فانفته نفسى وقلت لا أعمر بيتا تحكمت فيه يد الاكوان فانقبضت عن دخوله فقيل مات الحلاج والحلاج ما مات ولكن وقال

وقال الخبر يعني ليست الجنة التي أخرج منها آدم هي الجنة الكبرى المدخرة في علم الله تعالى فان تلك لا يعصى فيها معصية لا آدم ولا ابلیس ولا ابلیس لكونها حضرة الله تعالى الخاصة التي لا حجاب فيها ومعلوم ان المعصية لا تقع حتى يحجب صاحبها وانما هي جنة البرزخ التي هي فوق جبل الياقوت فالجنة الكبرى لا يدخلها الناس الا بعد انتهاء الحساب والمرور على الصراط قال وجنة البرزخ هي التي ترى في دار الدنيا وكذلك نار البرزخ فانه صلى الله عليه وسلم لما قال رأيت الجنة والنار في مقامي هذا ذكر أنه رأى عمرو بن لحي الذي سيب السوائب وذكر انه رأى المرأة التي حبست الهرة حتى ماتت جوعا ومعلوم ان هؤلاء لم يدخلوا النار الكبرى الى الآن وانما هم محبوسون في البرزخ هكذا فليتأمل ويحرر وقد حبب لي أن أبسط الكلام على هاتين الدارين بعض البسط لانهما محل حط رحال الاولين والآخرين فاقول وبالله التوفيق قال الشيخ محيي الدين في الباب السادس والعشرين ومائة اعلم ان الدنيا أكمل نشأة من الآخرة لان الدنيا دار تمييز واختلاط وتكليف والآخرة دار تمييز فقط ولا يكون فيها تشريع قط كما في الدنيا الا في موطن واحد وذلك حين يدعى أهل الاعراف الى السجود فيسجد دون فترجح بتلك السجدة ميزانهم وأطال في ذلك ثم قال واعلم ان الله تعالى قد أمرنا بالاحسان الى أمهاتنا وعدم عقوقهن فما قام بذلك الادب الا قليل من الناس ومعلوم ان الدنيا هي أمنا التي ولدتنا فاذا قال الواحد منا لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه عز وجل كما ورد في الحديث ومن لعن أمه فهو عاق لها بلا شك وليتأمل الشخص شدة أدبها وحنوها على أولادها في قولها لعن الله أعصانا لربه فما قدرت أن تلعن من لعنها بالحكم التعيين ولا على أن تسميه باسمه وهذا من حنو الوالدة وشفقتها على ولدها وفي الحديث الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فوصفها بأنها من شدة حنوها على أولادها تذكرهم بالشرور وتهرب بهم منها وتزين لهم الخير وتسوقهم اليه فهي تسافر بهم وتحملهم من موطن الشر الى موطن الخير كل ذلك لشدة مراقبتها الى ما أنزل الله تعالى فيها من الاوامر الالهية المسماة شرائع فيجب أن يقوم بها أبناؤها البعداء وافوا عجبا منا كيف لم نتبع اخلاق أمنا ولا وقفنا عند حدود ربنا كما وقفت أمنا فينبغي لكل عبد أن يراقب حال أمه فان الطفل لا يفتح عينه الا على أمه ولا يبصر الا هي ولذلك كان يحبها ويميل اليها طبعا ومن أخلاق الدنيا انه لا يهون عليها نسبة أحد من أبنائها الى الآخرة لانها ما ولدتهم ولا تعبت في تربيتهم ومن عقوقنا لها اننا ننسب الشرور والانكاد اليها والحال انها أحوالنا ما هي أحوالها والشر انما هو فعل المكلف لا فعلها هي ومن أشد ما عليها هي أيضا نسبة أولادها كل ما يفعلونه من الخير الى الآخرة مع انهم ما عملوا ذلك الا في الدنيا وأطال في ذلك ثم قال فعلم ان للدنيا أجر المصيبة التي في أولادها ومن أولادها اه * ولنبدأ بالكلام على النار أعاذنا الله منها فنقول اعلم يا أخي ان جهنم من أعظم المخلوقات وهي سجن الله تعالى في الآخرة يسجن فيها المعطلة والمشركين والكافرين والمنافقين أبدالآبدين ودهر الداهرين قال تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا وأما أهل الكبائر من المؤمنين فيسجنون ما شاء الله ثم يخرجون وسميت جهنم لبعد قعرها يقال بئر جهنام اذا كانت بعيدة القعر وهي مشتملة على حرور وزمهرير ففيها البرد على أقصى درجاته والحر على أقصى درجاته وبين أعلاها وأسفلها خمس وسبعمائة من السنين ولا يخفى أن حرورها انما هو هواء محرق لا جمرة لها سوى بني آدم والاحجار المتخذة آلهة من دون الله قال تعالى وقودها الناس والحجارة وقال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقال تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون فأثبت أن الجن فيها * قال الشيخ محيي الدين في الباب الحادي والستين من الفتوحات اعلم ان الله تعالى يحدث في جهنم آلات على حسب حدوث أعمال الجن والانس الذين يدخلونها قال وقد أوجدها الله تعالى بطالع الثور ولذلك كان خلقها في الصورة على صورة

البيت خرب والساكن ارتحل * وقال ولما ماتت رجل جل ابن عطاء قال ابن عطاء جل الله فقال الجل جل الله عن احلالك عذافانه كما يطلبه الرأس من فوق كذلك تطلبه الرجل من أسفل وفي الحديث لو دليتم بحبل لهبط على الله قال فكان الجل أعرف بالله من ابن عطاء وكان من مشايخه * وقال التوحيد الذي يستحقه الحق لا يعرفه الا الحق فاذا وحدناه فانما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فان توحيد الاستحقاق لا يكون معه علم ولا هم ولا اختيار ولا شئ والعاقل لا يدخل دارا لا يعرفها فربما كان فيها مهاوي ومهالك فيهلك لا يعرف الدار الا بانيها وقد بنا لك الحق تعالى دارا له لتعمرها به ما أنت بنيتها أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون فقف عند باب دارك حتى يأخذ الحق بيدك ويدخلك فيك * وقال كم ماش على الارض والارض تلعنه وكم ساجد عليها وهي لا تقبله وكم داع لا يتعدى دعاؤه لسانه ولا خاطره محله وكم من ولي حبيب في البيع والكنائس وكم من عدو بغيض في الصلوات والمساجد حقت الكلمة ووقفت الحكمة ونفذ الامر فلا زيادة ولا نقصان لارادة لامر مولا معقب لحكمه انقطعت الرقاب وسقط في الايدي وتلاشت الاعمال وطاحت المعارف وقصمت الظهور بقوارع الدهور واهلاك الكون السابق والخلع يسلخ من هذا ويخلع على هذا * وقال أكثر من قول لا اله الا الله فانها كلمة الاسلام وهي أفضل الذكر لما تحتوي عليه من زيادة العلم لجمعها بين النفي والاثبات * وقال اياك ومعاداة أهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة فهم أولياء الله وان أخطؤا وجاؤا بقراب الارض خطيئة لا يشركون بالله شيئا فان الله يتلقاهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وكل من لم يطلعك الله على

الجاموس قال وهكذا رأيتها في كشفي ونزلت فيها خمس دركات ورأيت الجن يصطفون فيها المقامع قال وكذلك رآها أبو الحكم بن برجان من طريق كشفه وقد غلبت لبعضهم صورة حية فتخيل أن تلك الصورة هي التي خلقها الله تعالى عليها وليس كذلك قال الشيخ محيي الدين ولما خلقها الله تعالى كان زحل في الثور وكان الشمس والقمر في القوس وكان سائر الدراري في الجدي فكان فيها لاجل ذلك الحر والبرد وانما كان فيها الجوع لان الله تعالى خلقها من تجلي قوله في صحيح مسلم جعت فلم تطعمني ومرضت فلم تعدني وظمئت فلم تسقني فمن ذلك خلقت جهنم أعاذنا الله منها قال الشيخ ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين وجميع ما يخلق الله فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها من صفة الغضب ولا يكون ذلك فيها الا عند دخول الخلق فيها من الجن والانس متى دخلوها وأما اذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبانيتها في رحمة الله متنعمون ملتذون يسبحون الله لا يفترون وأطال في ذلك ثم قال ومن أعجب ما رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان قاعدا يوما في المسجد مع أصحابه فسمعوا هدة عظيمة فارتاعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعرفون ما هذه الهدة قالوا الله ورسوله أعلم قال حجر ألقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل الى قعرها فكان وصوله الى قعرها وسقوطه فيها هذه الهدة فما فرغ صلى الله عليه وسلم من كلامه الا والصراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فعلم كبراء الصحابة أن ذلك الحجر هو ذلك المنافق وانه من حين ولد يهوي في نار جهنم بأعماله في علم الله وان لم يكن مكلفا الا بعد البلوغ فلما بلغ عمره سبعين سنة مات فحصل في قعرها قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار فكان سماعهم لتلك الهدة التي أسمعهم الله اياها ليعتبروا فانظروا ما أعجب كلام النبوة وما ألطف تعريفه وما أحسن اشارته وما أعذب كلامه صلى الله عليه وسلم قال الشيخ محيي الدين ولقد سألت الله تعالى أن يطلعني على جهنم وأهلها فأطلعني على ذلك فعرفتها وعرفت مكانها ولولا أنه صلى الله عليه وسلم قال في علم الله لما سئل عنها لعينت مكانها ولكن الادب منعنا أن نتعدى مقام الادب معه صلى الله عليه وسلم قال ورأيت أهلها يتخاصمون مع أئمة الضلال الذين أضلوهم ومع أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ورأيت صورة خصامهم صورة خصام أرباب المذاهب الشرعية مع أهل المذاهب الزائغة في طلب ادحاض حجج بعضهم بعضا فأنا كلما أرى خصام أرباب المذاهب عندنا مع أهل الزيغ أتذكر خصام أهل النار ورأيت الرحمة كلها في التسليم والتلقي من النبوة والوقوف عند حدود الشريعة والتأدب عند قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة كلام الائمة المجتهدين والعلماء العاملين وعدم رفع الصوت عند قراءة كلامهم * قال ولما أطلعني الله عليها رأيت من دركات النار من حيث كونها دارا ما شاء الله أن يطلعني ورأيت فيها موضعا يسمى المظلمة نزلت فيه ما شاء الله أن أنزل فعلمت من ذلك الوقت كل عمل يتطور نارا وكل عمل يتطور نعيما وعلمت أن عذاب أهل جهنم ما هو من جهنم حقيقة وانما هو من أعمال الداخلين وأنشدت في ذلك

النار منك وبالاعمال توقدها * كما تأججها في الحال تطفيها

فأنت بالطبع منها هارب أبدا * وأنت في كل حال منك تنشيها

الى آخر ما قال اهـ قلت هكذا قال الشيخ رحمه الله ولكن قال علماء الشريعة من قال دخلت الجنة كفر وقياسه أن يكون الحكم كذلك في دخول النار فليتأمل ويحرر ولعل قوله نزلت أي اطلعت كشفا كما يفسره ما تقدم والله أعلم فعلم ان جهنم انما هي دار سكنى لاهلها وسجن لهم والله تعالى يخلق فيهم أنواع العذاب متى شاء فعذابهم من الله وهم محل له قال الشيخ محيي الدين ولجهنم سبعة أبواب مفتحة ليس فيها باب مغلق الا الباب

عداوته لله فلا تتخذه عدوا وأقل أحوالك اذا جهلته أن تهمل أمره فاذا تحققت انه عدو لله وليس الا المشرك فتبرأ فلا تعاد عباد الله بالامكان ولا بما ظهر على اللسان وانما تعاديهم (٣١٨) بالعلم وأنى لك به وأطال في ذلك ثم قال وعليك بالشفقة والرحمة لجميع خلق الله من حيوان ونبات وجماد ولا تقل هؤلاء ما عندهم خبر بما تفعله معهم ثم معهم الخبر وأنت الذي ما عندك خبر * وقال احذر ان تحتقر شيئا من عملك فان الله ما احتقره حين خلقه وأوجده وما كلفك بفعل أمر الا وله بذلك الامر اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك أعظم في الرتبة عنده من حيث كونك محلا لما كلفك به من الفعل وسببا لوجوده فلولاك ما ظهر للعمل صورة وعليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فان قولك معدود من جملة أعمالك وفي الحديث ان الله عند لسان كل قائل فما نهاك الله ان تتلفظ به فلا تتلفظ به وان لم تعتقده فان الله سائلك عنه وعليك بمراعاة الحق فيما أعطاك وفيما منعك فانه ما منعك الا لتصبر فيحبك فانه يحب الصابرين وما أعطاك الا لتشكر فيحبك فانه يحب الشاكرين * وقال في حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم انما قال ولجاء بقوم وما اكتفى باذهابهم لئلا تتعطل الاحكام الالهية فانه تعالى ما قضى على عباده بالوقوع في الذنوب الا ليستغفروه فيغفر لهم * وقال الاتباع في ترك تسنين ما سكت عنه الشارع صلى الله عليه وسلم أولى من التسنين وأكثر أجرا وان كان ذلك بدعة حسنة فان من سن فقد كلف الامة ما يشق عليها ولو كان ذلك محمودا الثامن لكان صلى الله عليه وسلم أولى به فاجعل بالك لما ذكرته لك فعلم ان كل من لم يكلف الامة بأكثر مما ورد فهو حكيم الزمان فانه لا أعلى مما وضعه

الثامن الذى هو باب الحجاب عن رؤية الله عز وجل فلا يفتح لاهل النار أبدا قال وجميع الكواكب التى فى جهنم مظلمة الاجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما فى جهنم دائما فشمس جهنم شارقة لا مشرقة والتكوينات عن سيرها بحسب ما يليق بتلك الدار (فان قلت) فما حد جهنم (فالجواب) ان حدها بعد الفراغ من الحساب من مقعر فلك الكواكب الثابتة الى أسفل سافلين وذلك كله يزيد فى جهنم اتساعا عما هى الآن عليه حيث لامخلوق فيها وكل مكان لم يذكر الشارع انه يعود الى الجنة فانه يعود كله نارا قال تعالى واذا البحار سجرت أى أججت نارا من سجرت التنور اذا أوقدته قال ومن هنا كره ابن عمر وغيره الوضوء بماء البحر مع قولهم بجواز الطهارة منه وكان بعضهم يقول التيمم أحب الى من البحر قال الشيخ محيي الدين وأهل الكشف كلهم يرون بحر الملح الآن يتأجج نارا (فان قلت) فمن أشد الخلق كلهم عذابا فى النار (فالجواب) أشدهم عذابا ابليس لانه هو الذى سن الشرك وكل معصية (فان قلت) ان ابليس مخلوق من النار فكيف يجعل الله تعالى عذابه بما خلق منه (فالجواب) ان الله تعالى على كل شئ قدير ألا ترى النفس يكون به حياة الجسم الحساس فاذا امتنع بالشنق أو الخنق انعكس راجعا الى القلب فأحرقه من ساعته فهلك من حينه فبالنفس كان حياته وبه كانت وفاته (فان قلت) فقد ورد انه يعذب بالزمهرير المناقض لنشأته فهل يعذب بذلك من خارجه أم من داخله (فالجواب) لا يأتيه الزمهرير الا من ذاته لانه أحد أركانها فيغلب جزء الزمهرير بقية الاركان فيعذب بذلك كما يغلب بعض الاخلاط على الانسان فى دار الدنيا فيتألم بها فيأمره الطبيب بالقصد فلولا انه قصد لزيادة تألمه وبالجملة فكل من دخل النار عذب بكل ركن من أركانه حتى الماء والهواء (فان قلت) فكم عدد دركات النار (فالجواب) عددها مائة درك لانها فى مقابلة درج الجنة ولكل درك منها قوم مخصوصون ولهم من الغضب الالهى الحال بهم آلام مخصوصة (فان قلت) فكم أقسام أهل النار الذين هم أهلها (فالجواب) هم أربعة أقسام كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين من الفتوحات ترجع الاربعة أقسام الى المجرمين خاصة قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون أى المستحقون لان يكونوا أهلا لسكنى جهنم لا يخرجون منها الى الجنة أبدا القسم الاول المتكبرون عن أمر الله كفرعون والنمرود وأبى لهب وأضرابهم الثانى المشركون وهم الذين يجعلون مع الله الها آخر الثالث المعطلون وهم الذين نفوا الاله جملة فلم يثبتوا للعالم الها ولا من العالم الرابع المنافقون وهم الذين أظهروا الاسلام من أهل هذه الاقسام الثلاثة للقهر الذى حكم عليهم فخافوا على دمائهم وأموالهم وذراريهم وهم فى أنفسهم على ما هم عليه من اعتقاد ما عليه هذه الطوائف الثلاث فهؤلاء الاربعة هم الذين لا يخرجون من النار من جن وانس اهـ (قلت) فكذب والله وافترى من نسب الى الشيخ محيي الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون ولو انه كان يقول به ما صرح هنا بانه من أهل النار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين فاما انه مدسوس عليه كما مرت الاشارة الى ذلك فى الخطبة واما انه كان تبع فيه القاضى أبا بكر الباقلانى فانه قائل بقبول ايمان فرعون لان الله تعالى حكى عنه انه قال لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين ولم يحك عنه ما يناقضه بعد ذلك وقد انعقد اجماع الائمة كلهم على عدم قبول ايمانه فاياك ان تنقل عن الشيخ محيي الدين انه يقول بقبول ايمان فرعون وتخرق الاجماع لاسيما والفتوحات من أواخر مؤلفاته لانه فرغ منها قبل موته بنحو خمس سنين والله تعالى أعلم (فان قلت) فهل فى النار دركات اختصاص نظير ما فى الجنة من درجات الاختصاص التى ليست هى فى مقابلة عمل (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والستين من الفتوحات ليس فى النار دركات اختصاص الهى ولا عذاب اختصاص كالجنة لان الله تعالى ما عرفنا انه يختص بنقمته من يشاء كما أخبر انه يختص برحمته من يشاء فلا يعذب أهل النار فيها الا

الكامل المكمل * وقال قم فى الاسباب من غير اعتماد عليها امانة الله مانهاك عن القيام فى الاسباب وانما نهاك عن الركون اليها والاعتماد عليها كما أشار اليه قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون يعنى هذا الشرك الخفى الذى (٣١٩) هو الاعتماد على الاسباب فان رأيت نفسك يا أخى تسكن الى الاعتماد على الاسباب فاتهم ايمانك وان رأيت نفسك يتساوى عندها فقد السبب المعين وحالة وجود السبب فاعلم انك مؤمن حقا وهناك يرزقك الله من حيث لا تحتسب فمن ادعى كمال التوكل ورزق من حيث يحتسب فما هو ذلك الرجل قال ومن الرزق الذى لا يحتسبه العبد ان يأكل مما فى خزائنه وتحت تصرفه وهو غير معتمد عليه لانه ليس فى حسابه ان الله يرزقه ولابد من الذى هو حاصل عنده فما رزق هذا الا من حيث لا يحتسب قال وهذا أمر دقيق لا يشعر به الا أهل الله عز وجل فاعلم ذلك * وقال احذر أن تريد فى الارض علوا أو فسادا والزم الذل والانكسار والخمول فان أعلى الله تعالى كلمتك فما أعلاها الا الحق وذلك بان يرزقك الرفعة فى قلوب الخلق وايضاح ما قلناه ان الله تعالى ما أنشأك الا من الارض فلا ينبغى لك أن تعلو على امك واحذر ان تتزهد وتتعبد وتتكرم وفى نفسك استعلاء ذلك لكونه يرفعك على اقرانك فان ذلك من ارادة العلو فى الارض * وقال انما رغب الشارع أمته فى ترك الجدال والمراء وان كان محقا خوفا ان يسمع ذلك من لا فهم له فيعمل بذلك المذهب الباطل مثلا حين ترك صاحبه ظاهر الحجة والمغالبة على خصمه ثم ان النفس ربما تخدع صاحبها وتقول له انما تجادل لنصرة الحق أو لتنقيح الذهن لا لنصرة الاقوال الواهية التى قال بها امام مذهبه وما علم هذا ان الله عند لسان كل قائل بل المجادل فى عين حضرة الحق وان

بأعمالهم التي عملوها فقط بخلاف أهل الجنة فانهم ينعمون فيها بأعمالهم وبغير أعمالهم في جنات الاختصاص اذ الجنات ثلاثة جنة أعمال وجنة اختصاص وجنة ميراث كما سيأتي بيانها في الكلام على الجنة ان شاء الله تعالى فكان من كرم الله تعالى وفضله انه ما أنزل أهل النار الا على أعمالهم خاصة وأما قوله تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فذلك لطائفة مخصوصة وهم الائمة المضلون المشار اليهم بقول الله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فانهم هم الذين أضلوا العباد وأدخلوا عليهم الشبه المضلة فحادوا بها عن سواء السبيل فما أنزلوا من النار الا منازل استحقاق اذ الاضلال معدود من جملة أعمالهم بخلاف أهل الجنة فانهم ينزلون فيها منازل استحقاق بأعمالهم كما في الكفار ويزيدون عليهم منازل وراثة ومنازل اختصاص (فان قلت) فمن أين جاء تقسيم أهل النار الى أربعة أقسام (فالجواب) لان الله تعالى ذكر عن ابليس انه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار الا بواسطته فهو يأتي المشرك من بين يديه ويأتي المتكبر من عن يمينه ويأتي المنافق من عن شماله ويأتي المعطل من خلفه (فان قلت) فما الحكمة في الاتيان من هذه الجهات المخصوصة (فالجواب) الحكمة فيه ظاهرة أما المشرك فانما جاءه من بين يديه لان المشرك رأى بين عينيه جهة غيبته فأثبت وجود الله ولم يقدر على انكاره فجعل له ابليس يشرك بالله في الوهيته شيأ يراه ويشاهده وأما المتكبر فانما جاءه من جهة اليمين لان اليمين محل القوة فلذلك تكبر للقوة التي اختص بها من نفسه وأما المنافق فانما جاءه من جهة شماله التي هي الجانب الاضعف لان المنافق أضعف الطوائف كما ان الشمال في العادة أضعف من اليمين ولذلك كان في الدرك الاسفل من النار وكان يعطى كتابه بشماله وأما المعطل فانما جاءه من خلفه لان الخلف ما هو محل نظر فقال له ما ثم شئ فهذا وجه حكمة تخصيص اتيان ابليس من هذه الجهات * قال الشيخ ولهذه الطوائف الاربعة من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم وهي منازل عذابهم لانك اذا ضربت الاربعة أقسام التي هي المراتب في السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وحدود ثمانية وعشرين حرفا بها ألف الله تعالى الكلمات وبها أظهر الكفر والايمان في العالم فترجم بها كل شخص عما أضمره في نفسه من ايمان أو كفر أو كذب أو صدق لتقوم حجة الله تعالى على عباده بما تلفظوا به (فان قلت) فما أسماء أبواب جهنم وما الطوائف الذين يدخلون منها (فالجواب) أما أسماؤها فباب الجحيم وباب سقر وباب السعير وباب الحطمة وباب لظى وباب الحامية وباب الهاوية سميت هذه الابواب بصفات ما وراءها مما أعدت له وأما تعين الطوائف الداخلين من كل باب فهي مبينة في القرآن قال تعالى في أهل الجحيم الذين يكذبون بيوم الدين وقال في أهل سقر ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين وقال في أهل السعير وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وقال في أهل الحطمة ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده الى آخر النسق وقال في أهل لظى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى وقال في أهل جهنم وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وقال في أهل الهاوية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وقد نظم هذه الابواب على الترتيب سيدي الشيخ عبد العزيز الديريني رحمه الله فقال

جهنم ولظى والحطم بينهما * ثم السعير وكل الهون في سقر

وبعد ذاك جحيم ثم هاوية * ثم سوى بهم أبدا بحقا لمنحدر

(فان قلت) فأين تكون جهنم اذا أتى الحق تعالى يوم القيامة في ظل من الغمام كما يليق بجلاله (فالجواب)

لم يشعر واذا كنا نهينا عن رفع أصواتنا بحضرة الا كابر فكيف بحضرة الحق تعالى فافهم * وقال لما رأى أهل الله أن العبد لا يقدر أن يأتي بخلق كريم يوافق مزاج كل الناس (٣٢٠) أشغلوا نفوسهم بما يرضي الله عز وجل فقط فالمؤمن يرضيه ما يرضي به الله والمنافق لا يبالي اذا سخط علينا في ذلك لانه عدو الله * وقال عليك بمشاركة جميع أصحاب الهموم والرزايا في أنفسهم وأموالهم وأولادهم واخوانهم ان أردت أن تثبت لك اخوة الايمان فان الله قد واخى بين المؤمنين كما واخى بين أعضاء الانسان الواحد واحذر من الاكتراث بما يصيبك من الرزايا في هذه الدار فان الله ما ابتلاك بها الا تمحيصا للذنوب حتى تلقاه طاهرا مطهرا من الذنوب فاشكر الله على ذلك * وقال عليك بتلاوة القرآن ولو ثلاثة أحزاب كل يوم ولا تهجره كما يفعل ذلك طلبة العلم وبعض المتصوفة زاعمين انهم قد اشتغلوا بما هو أهم من ذلك وهو كذب وزور فان القرآن مادة كل علم في الدنيا فلا تكن ممن يهجر تلاوته بل اتله ان استطعت آناء الليل وأطراف النهار واستنبط منه ما شئت من العلوم كما كان عليه الائمة المجتهدون وانظر في تلاوتك يا أخي الى كل صفة مدح الله بها عباده فاعملها أو اعزم على فعلها وكل صفة ذم الله تعالى عباده على فعلها فاتركها أو اعزم على تركها فان الله ما ذكر لك ذلك وأنزله في كتابه الا لتعمل به فاذا حفظت القرآن عن تضييع العمل به كما حفظته تلاوة فأنت الرجل الكامل * وقال حياة الذاكرين لله عز وجل متصلة دائمة كما لا تنقطع بالموت فهو حي وان مات كانت حياته أحيى وأتم من حياة الشهيد في سبيل الله الا أن يكون الشهيد من الذاكرين الله كثيرا فان له

كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين من الفتوحات ان جهنم تكون على المجنبة اليسرى لان اتيانه تعالى انكشاف حجاب كما يقال أتى الملك وخرج على عسكره فشاهدوه وقد سمى الله تعالى نفسه ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم الذى يجتمع فيه الخلائق أجمعون فياله من يوم ثم ان الملائكة الذين نزلوا من السموات تصطف سبع صفوف محيطة بالخلائق أجمعين فاذا أبصر الناس جهنم ولها فوران وتغيظ يفرون بأجمعهم منها لعظيم ما يرونه خوفا وفزعا وهو الفزع الاكبر لانه ما ثم جمع أكبر منه قط ولا يسلم من ذلك الفزع الا طائفة الذين قال تعالى فيهم لا يحزنهم الفزع الاكبر فهؤلاء هم الآمنون على أنفسهم غير ان النبيين منهم يفزعون على أممهم خوفا عليهم للشفقة التى جبلهم الله تعالى عليها وكذلك كل داع الى الله تعالى من كل ورثتهم فيقولون كلهم فى ذلك اليوم اللهم سلم سلم قال وينصب الله تعالى للآمنين منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم فى الموقف فيجلسون عليها آمنين مستبشرين وذلك قبل مجىء الرب جل وعلا كما يليق بجلاله فاذا فر الناس خوفا من جهنم يجدون ملائكة السموات صفوفا لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة ودعت الملل الى المحشر وتناديهم أنبياؤهم ارجعوا ارجعوا فينادى بعضهم بعضا وذلك قوله تعالى انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ثم يقع النداء من قبل الحق جل وعلا * قال الشيخ محيى الدين رحمه الله فلا أدرى أذلك من نداء الحق تعالى بنفسه أو هو نداء عن أمره يقول فى ذلك النداء يا أهل الموقف ستعلمون اليوم من أولى بالكرم ثم ينادى أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليلون ثم ينادى ثانيا أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادى ثالثا أين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاذا أسرع هذه الطوائف الثلاث الى الجنة خرج عنق من النار له عينان ولسان بليغ فصيح فاذا أشرف على الخلائق الذين فى الموقف قال يا أهل الموقف انى وكلت اليوم منكم بثلاث كما قال فى النداء الاول بالنسبة الى أهل الجنة كما مر * قال الشيخ وهذا كله قبل الحساب والناس وقوف قد ألجمهم العرق واشتد الخوف حتى تصدعت القلوب لهول ذلك المقام قال ثم اذا أشرف ذلك العنق من النار على الناس قال انى وكلت بكل جبار عنيد فيلتقط الجبابرة من بين الصفوف فاذا لم يترك منهم أحدا نادى ثانيا انى وكلت بكل من آذى الله ورسوله فيلتقطهم كذلك ثم انه ينادى ثالثا انى وكلت بكل من ذهب يخلق كخلق الله عز وجل فيلتقط أهل التصاوير كلهم وهم الذين يصورون الصور فى الكنائس لتعبد من دون الله عز وجل كما قال أتعبدون ما تنحتون فانهم كانوا ينحتون لهم الاحجار والاشجار ليعبدوها من دون الله عز وجل فهؤلاء هم المراد بالمصورين فى الحديث فيلتقطهم من بين الصفوف فاذا أخذهم الله تعالى عن آخرهم وبقى الناس وفيهم المصورون الذين لا يقصدون بتصويرهم ما قصد أولئك من عبادتها يسألون عنها لينفخوا فيها أرواحا تحييها أوليسوا بنافخين كما فى البخارى انتهى (قلت) ولا يخفى حرمة التصوير للحيوانات وان لم تعبد والله اعلم وقد ذكرنا حديث مواقف القيامة الخمسين موقفا كل موقف منها ألف عام فى أواخر كتابنا المنهج المبين فراجعه ترى ما تشيب منه الرؤس وتذوب منه الاكباد ثم انحن فى غفلة عنه الآن فنسئل الله الموت على الاسلام آمين (فان قلت) ان طعام أهل الجنة فى مأدبتهم التى فى المرج زيادة كبد الحوت فما طعام أهل النار قبل دخولها النار (فالجواب) ما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين ان طعامهم فى مأدبتهم المذكورة طحال الثور الذى هو بيت الاوساخ المجتمعة من سائر البدن وهو ما يعطيه الكبد من الدم الفاسد فيعطى ذلك الطحال لاهل النار فيأكلونه ومعلوم ان الثور حيوان ترابى طبعه البرد واليبس وجهنم على صورة الجاموس كما مر فيناسب الطحال المذكور أهل النار أشد مناسبة فهو فى الطحال من الدمية لا يموت أهل النار وبما فيه من أوساخ البدن والدم الفاسد المؤلم لا يحيون ولا ينعمون انما يورثهم الاكل منه سقما ومرضا بخلاف مأدبة أهل الجنة فانها زيادة كبد الحوت وهو حيوان بحرى مائى من عنصر الحياة المناسبة للجنة والكبد بيت الدم وهو بيت الحياة والحياة حارة رطبة وبخار ذلك الدم هو

أرض الموقف
الصراط
درجات الجنة
الحوض
ماء الحوض
مرج الجنة
درجات الجنة
منتهى الصراط

حينئذ حياتان حياة الشهادة وحياة الذكر فالذاكر لله حي وان مات وتارك الذكر ميت وان كان في الدنيا حيا بحياته الحيوانية وفي الحديث مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت فيخرج من ذلك ان حياة الذاكر خير من حياة الشهيد اذا لم يكن من الذاكرين وفي الحديث ألا انبئكم بخير اعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضرب رقابكم وتضربوا رقابهم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله فذكر ضرب الرقاب وهو الشهادة (٣٢٢) * وقال عليك بعلم الشريعة فان الشريعة هي سفينتك التي اذا انحرفت هلكت وهلك جميع من فيها وأنت مسؤل عن اقامة حدود الله في رعيتك الخارجة عنك والداخلة فيك ولا تعرف اقامة الحدود عليها الا بمعرفة شرع ربك * وقال أخلف ايعادك لا وعدك وسم اخلاف ايعادك تجاوزا حتى لا تسمى أنك تخلف ما أوعدت به ولو كان شرا فان الاحكام تتبع الاسماء كما سئل مالك رحمه الله عن خنزير البحر فقال هو حرام فقيل له انه سمك من حيوان البحر فقال أنتم سميتموه خنزيرا قلتم ما تقول في سمك البحر قال وهذا الذي قررناه كان سبب وقوع المعتزلة فيما وقعوا فيه من القول بانفاذ الوعيد قالوا لاستحالة الكذب على الله في خبره وما علمت المعتزلة ان مثل ذلك لا يسمى كذبا في العرف الذي نزل به الشرع فحجبهم دليلهم العقلي عن علم الوضع الحكمي وهذا من قصور العقول ووقوفها في كل موطن مع أدلتها ولا ينبغي لها ذلك بل الذي كان ينبغي لها النظر الى المقاصد الشرعية في الخطاب ومن خاطب وبأي لسان خاطب وبأي عرف أوقع المعاملة في تلك الامة الخصوصة قال بعض الاعراب في مكارم أخلاقه

وانى اذا أوعدته أو وعدته وأنجار
لخلف ايعادي ومنجز موعدي

لكن لا ينبغي أن يقال في حق الحق تعالى انه مخلف بل يقال انه غفور متجاوز عن عبده والله أعلم بالصواب

(ولنختم الكتاب بجملة صالحة في الكلام على يوم القيامة وما يقع فيه وعلى الجنة والنار أعاذنا الله تعالى منها بفضله وكرمه آمين ملخصا من أبواب الفتوحات المكية مشيدا بكلام بعض مشايخنا) اعلم أن الله تعالى اذا أمر اسرافيل أن ينفخ في الصور بعثر ما في القبور ثم حشر الخلق من

النفس المعبر عنه بالروح الحيواني الذي به حياة البدن فهو بشارة لاهل الجنة ببقاء الحياة عليهم في النعيم المقيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء انتهى (فان قلت) فما سبب اماتة الله تعالى العصاة الموحدين في جهنم دون الكفار (فالجواب) سببها اكرام الله تعالى للجوارح التي كانت تسبح بحمده وتطيعه وانما وقعت في المخالفات من حيث انها كالمجبورة تحت قهر النفس المدبرة لسوء فلوقوعها في المعاصي عذبت ولتوحيدها لله تعالى أخرجت لان النار بذاتها لا تقبل خلود موحد فيها أبدا ثم ان جوارح العصاة اذا ماتت فلا تحس بعد ذلك بألم حتى تخرج بالشفاعة فضلا من الله تعالى عليها بخلاف الكفار لا تموت لهم جوارح أبدا ليذوقوا العذاب وذلك لان معصيتهم بالكفر مستصحبة لاتفاقهم ولو انهم كانوا بقوا أبد الآبدين لكانوا كفارا فلذلك خلدوا في النار من حيث نيتهم * وأما عصاة الموحدين فلهم زاجر من أنفسهم اذا عصوا يعقبهم الندم * وايضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الموفي ثلثمائة من الفتوحات ان جسد الانسان كله من حيث طبيعته طائع لله خائف من عذابه وما من جارحة يرسلها العبد في معصية الا وهي تناديه لا تفعل لا ترسلني فيما حرمه الله عليك فاني شاهدة عليك وتتبرأ الى الله تعالى من ذلك الفعل وكل قوة وجارحة في العبد بهذه المثابة تنادي اخوانها الا تفعلوا معصية انتهى (فان قلت) ان الله تعالى قد جعل الكي بالنار في هذه الدار وقاية ودفعا الالم أشد من النار فهل يكون احراق الموحدين في النار كذلك دفعا لما هو أشد من الحرق (فالجواب) نعم احراق الموحدين في النار دفع لما هو أشد منه وهو غضب الله السرمدي فما سكن الغضب الالهي الا بحرقهم بالنار نظير ما يضرب الانسان غلامه أو عبده ثم يرضى عنه وهذا من رحمة الله تعالى بالموحدين ومن هنا قال بعضهم مت مسلما ولا تبالي بخلاف المشركين فان عذابهم لا ينقطع فكانت النار لاصحاب الكبائر من الموحدين الذين ماتوا على غير توبة مقبولة كالكي بالنار في الدنيا ولذلك ورد أنهم يخرجون من النار قد امتحشوا فيلقون في نهر على باب الجنة نظير ما يخرج صاحب الكي بالنار الى العافية ذكره الشيخ في الباب الثامن والثمانين من الفتوحات وقال هذا كله على جعل النار وقاية كالحدود الدنيوية فان الله تعالى جعلها وقاية من عذاب الآخرة ولهذا سميت كفارات والكفر الستر فهو يستر العاصي عن عذاب الآخرة ولهذا قلنا في قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الى آخره ان المراد بهم الكفار لا الموحدون لان الله تعالى لما عاقبهم في الدنيا بالقتل والصلب وتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف لم يجعل تلك العقوبات كفارة مثل ما جعلها في الحدود في حق الموحدين بل قال ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهذا لا يكون الا للكفار اذ العذاب العظيم هو الذي يعم الظاهر والباطن بخلاف أهل الكبائر من الموحدين كما مر فان الله تعالى يميتهم في النار اماتة حتى يعودوا حما شبه الفحم فاذا لم يحسوا بالعذاب في وقتهم ليس لهم حظ في العذاب العظيم لانهم يحرقون بالنار مثل الجمرات ثم ان النار تفعل بواسطة الجمرات التي ظهرت فيها أمرا آخر فيه منفعة كما تنفع النار تحت القدر في انضاج ما فيه ولولا انضاجه ما ساغ أكله اذا فهمت ذلك علمت حكمة تأثير النار التي هي تحت أرض الجنة وانها بالانضاجات التي تعرف فواكه الجنة النضج والاصلاح فان مقعر أرض الجنة هو سقف النار والشمس والقمر والنجوم كلها في النار فتفعل في الاشياء هنالك على ما كانت تفعله هنا فلا ترى ان أرض الجنة كلها مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النار

الناس والوحوش بعد أن أخرجت الارض أثقالها ولم يبق في بطنها سوى عينها حيا بالعالم كله الى الظلمة التي دون الحشر فاذا وافيها حتى لا يرى بعضهم بعضا ولا يبصرون كيفية التبديل في السماء والارض حين تقع فتمد الارض مد الاديم وتبسط حتى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وحيث ساهرة لانه لا نوم فيها اذ لا نوم لاحد بعد زوال الدنيا ثم يوضع الصراط من الارض علوا على استقامة الى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه الى المرج الذي هو خارج سور الجنة قال وأول جنة يدخلها الناس جنة النعيم وأما المأدبة (٣٢٣) فتكون في المرج وهي درمكة بيضاء نقية فيأكل منها أهل المأدبة ثم يقوم بعضهم فيقطف من الثمار المدلاة من فروع أشجار الجنة على السور وتوضع الموازين في أرض الحشر لكل مكلف ميزان تخصه ويضرب سور الاعراف بين الجنة والنار وقد جعله الله مكانا لمن اعتدلت كفتا ميزانه فلم ترجح احداهما على الاخرى واعلم ان معنى قولنا ان لكل مكلف ميزانا تخصه ان كل واحد يتلون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه في دار الدنيا وهو واحد في نفسه لا موازين متعددة هكذا أطلعنا الله عليه في واقعة من الوقائع وقد خلق الله تعالى جسد الانسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لأي جانب مال قال تعالى وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان يعني بالميل الى المعاصي والوقوع فيها وقد قرن الله تعالى السعادة بالكفة اليمين والشقاء بالكفة اليسار فالاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك قال وموازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا ولكنها مثله على عكس الدنيا فهي كتمثل الاعمال سواء ثم اذا وضعت الموازين لوزن الاعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم لكن الظاهرة فقط دون الباطنة لان الاعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس أبدا لكن يقام فيها العدل وهي الميزان الحكمي المعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى يقابل كل شئ بمثله قال وآخر ما يوضع في الميزان الحمد لله ولهذا ورد والحمد لله تملأ الميزان قال وانما لم تكن لا اله الا الله تملأ الميزان كالحمد لله لان كل عمل من أعمال الخير يقابله عمل آخر من جنسه ليجعل هذا الخير

وأشجار الجنة كلها مغروسة في تلك التربة المسكية كما يقتضي نبات هذه الدار الدنيا جعل الزبل تحته لما فيه من الحرارة الطبيعية لانه معفن والحرارة تعطي التعفين في الاجسام القابلة للتعفين اهـ (فان قلت) فهل لاهل النار ان يتبوؤا من النار حيث شاؤا كاهل الجنة أم هم محبوسون في أماكنهم لا يبرحون (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث وأربعين وثلثمائة أن أهل النار لا يتبوؤن وانما هم محبوسون في أماكنهم لا يبرحون وايضاح ذلك انهم لو كان لهم التبوؤ حيث شاؤا ما استقروا حتى تنضج جلودهم فكان من رحمة الله تعالى الخفية بهم من حيث لا يشعرون عدم تبوئهم فان العذاب المستصحب أهون من العذاب الجديد فلو كانوا ينتقلون من مكان الى مكان لكانوا يذوقون في كل مكان ينتقلون اليه عذابا جديدا الى حصول الانضاج وذلك أشد العذاب (فان قلت) فما الدليل على عدم تبوؤ أهل النار من القرآن (فالجواب) الدليل على ذلك قوله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أي سجنا لان المحصور ممنوع من التصرف فرحم الله الكفار من حيث لا يشعرون بعدم التبوؤ في النار كما مكر بهم في دار الدنيا من حيث لا يشعرون ونظير ذلك المضروب في بيت الوالي مثلا يحس بالالم أولا فاذا تخدرت أعضاؤه غاب عن الاحساس بالالم فهذا الجزء اليسير من عدم الاحساس هو من الرحمة التي سبقت الغضب في أهل النار في بعض الاوقات (فان قلت) فهل تتزاور أهل النار كما تتزاور أهل الجنة (فالجواب) نعم يتزاورون لكن لا يتزاور الا أهل كل طبقة مع بعضها فقط فيتزاور المحرورون مثلا لبعضهم بعضا والمقرورون لبعضهم بعضا فلا يزور مقرور محرورا ولا عكسه وأطال في عذاب أهل الثنوية والتثليث في الباب الثالث وأربعين وثلثمائة (فان قلت) فما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث البيهقي أمتي أمة مرحومة ليس عليها في الآخرة عذاب وانما عذابها في الدنيا الزلازل والفتن والبلايا والمحن الحديث بمعناه وفي رواية أخرى عذاب أمتي في دنياها واذا كانوا كذلك فأين العصابة الذين يدخلون النار من الموحدين (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والاربعين وثلثمائة أن المراد بقوله ليس عليها في الآخرة عذاب أي مستمر بدليل الاحاديث الصحيحة الواردة في دخول طائفة من هذه الامة النار من الموحدين ولكن من رحمة الله تعالى بهم اماتتهم في النار كما مر آنفا حتى لا يحسوا بما نالت النار منهم وذلك لان النفوس المتألمة هي الموحدة المؤمنة والايمان والتوحيد يمنعان قيام الآلام والعذاب الى غير نهاية فاحترقوا وصاروا حمما لانهم أموات والميت لا يحس بما يفعل به ولو تصور علمه بالحرق لم يحس به اذ ليس كل ما يعلمه العبد يحس به فلذلك كان لا بد من رفع العذاب عن الموحدين وانهم ان دخلوا النار فانما ذلك تحقيق للكلمة الالهية فلا يبقى في النار من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ولو مرة واحدة في عمره ومات على ذلك اهـ (فان قلت) فما معنى قوله تعالى في أهل النار حين ذاقوا العذاب ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه مع انهم قالوا في محل يصدق به الكذوب ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل (فالجواب) انما قالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل بلسان الحالة التي هي حاكمة بهم لظنهم انه ساندوم معهم اذا رجعوا الى الدنيا وهي لا تدوم فانهم اذا رجعوا الى الدنيا رجعوا لحكم القبضتين وهو عماهم بعمل الاشقياء فلا يمكنهم أن يعملوا بعمل السعداء * وايضاح ذلك كما قاله الشيخ في الباب الرابع والخمسين وثلثمائة ان الله تعالى خلق الانسان على مزاج يقبل النسيان والغفلة ويقبل أيضا ضد ذلك على حسب ما يقام

فيه فهو تعالى علم من نشأة هؤلاء الذين لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه أنهم لا يرجعون الى الدنيا الا بتلك النشأة فينسون ما ذاقوه من عذاب النار وما قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين الا بتلك النشأة التي هم فيها فتعلمهم ان ذلك العلم والذوق الذي حصل عندهم في النار يبقى عليهم ولو أنه بقي معهم لما كانوا يعودون لما نهوا عنه اذا ردوا الى الدنيا ألا ترى الى قوله صلى الله عليه وسلم يؤتى في القيامة بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة فيقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا والله ومعلوم أنه رأى في الدنيا نعيما ولكن حجبه شاهد الحال عن هذا النعيم فنسيه وكذلك ورد في صاحب البؤس اذا غمس في الجنة غمسة فيقال له هل رأيت يوما بؤسا قط فيقول لا والله ما رأيت بؤسا قط وأطال في ذلك ثم قال فعلم أن جميع المؤمنين يعلمون بانفاذ الوعيد في حق طائفة منهم ولكن غير معينة لأنه لو تعينت العقوبة لواحد منهم في دار الدنيا وأنه هو الذي ينفذ فيه الوعيد لما أقدم على سببها أبدا اهـ (فان قلت) فما أكثر عصاة الموحدين مكثا في النار (فالجواب) قد ذكر الشيخ في علوم الباب التاسع والستين وثلثمائة ما نصه ان الله تعالى لم يطلعني على مدة أكثر العصاة مكثا في جهنم قال وانما استروحنا من قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أن آخرهم مكثا من يمكث فيها هذا القدر قال وما نحن من كل الخمسين ألفا على يقين فهذه هي مدة اقامة الحدود على الموحدين من أهل الكبائر قال وكل ذلك في يوم القيامة وليس السرمد الا لأهل النار الذين هم أهلها فاذا انقضى يوم القيامة لم يبق أحد من عصاة الموحدين في النار أبدا فرحم الله عبدا أطلعه الله على مدة اقامة العصاة في النار على التحديد فألحقه بهذا الكتاب فاني انما علمت ذلك مجملا من غير تفصيل (فان قلت) فما معنى قوله تعالى وجيء يومئذ بجهنم لم لم تأت بنفسها الا لها عند الميقات (فالجواب) انما لم يصفها الحق تعالى بالمجيء من ذاتها مع علمها بما هي عليه من أسباب الانتقام من العباد لما جبلها الله تعالى عليه من العلم برحمة الله التي وسعت كل شيء فمنعتها الرحمة الكامنة فيها من المبادرة للاتيان فانها ما وقعت عينها الا على مسبح لله تعالى بحمده مطيع لارادته فلذلك جيء بها ليعلم الذي لا يدخلها اما أنعم الله تعالى عليه مما لم يكن يعلمه وليعلم الداخل بدخولها أنه بالاستحقاق يدخلها فتجذبه بالخاصية اليها جذب المغناطيس للحديد وهو قوله عليه الصلاة والسلام انا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها تقحم الفراش اهـ (فان قلت) فهل لأهل النار حظ من النعيم في وقت من الاوقات (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب العشرين من الفتوحات نعم لأهل النار حظ من النعيم ولكن صورة نعيمهم عدم توهمهم وقوع العذاب بهم كان حظهم من شدة العذاب توقعه لأنه لا أمان لهم بطريق الاخبار عن الله تعالى فلا يفتر عنهم العذاب فلم يزالوا في غشية من العذاب بعد غشية وافاقة بعد افاقة ففي حال الغشية يعذبون بالعذاب المتخيل وفي حال الافاقة يعذبون بالعذاب المحسوس وقد يطول زمن الغشية نحو عشرة آلاف سنة وقد يطول زمن الافاقة فيعذبون خمسة عشر ألف سنة وهكذا أبد الآبدين ودهر الداهرين فعلم ان أشد العذاب على أهل النار ما يقع في نفوسهم من التوهمات فانهم لا يتوهمون قط عذابا أشد مما هم فيه الا تكون في نفوسهم لوقته (فان قلت) فهل عند أهل النار الذين هم أهلها نوم (فالجواب) ليس عندهم نوم وانما النوم خاص بعصاة هذه الامة من الموحدين فقط وذلك هو القدر الذي يتنعمون به في النار ويستريحون به في بعض الاوقات ثم ان عصاة الموحدين اذا ناموا يكون نعيمهم في منامهم الرؤيا الحسنة فيرى

في موازنته ولا يقابل لا اله الا الله الا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان واحد من الخلق أبدا بخلاف غير الشرك من سائر المعاصي فان الانسان ان كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها فما أشرك وان أشرك فما اعتقد لا اله الا الله فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا اله الا الله الميزان لعدم ما يعادلها في الكفة الاخرى قال وأما صاحب السجلات فانما دخلت لا اله الا الله ميزانه لانه كان يقول لا اله الا الله معتقدا لها لكنه لم يعمل معها خيرا قط انما عمل معها سيئات فتوضع (٣٢٤) لا اله الا الله في مقابلة التسعة وتسعين سجلا من السيئات فترجح كفة لا اله الا الله بالجميع وتطيش السجلات فلم يثقل مع اسم الله شيء فاذا فرغ الناس من الموازين وقفت الحفظة بأيديهم الكتب التي كتبوها في الدنيا من أعمال المكلفين وأقوالهم ليس فيها شيء من اعتقادات قلوبهم الا ما شهدوا به على أنفسهم بما تلفظوا به من ذلك فعلقوها في أعناقهم بأيديهم فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذه بشماله ومنهم من يأخذه من وراء ظهره وهم الذين نبذوا الكتاب وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وليس أولئك الا الائمة المضلين الضلال الذين ضلوا وأضلوا قال واعلم ان الذي يعطى كتابه بيمينه هو المؤمن وأما الذي يعطى كتابه بشماله هو المنافق لان المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقد عقب الله عز وجل الذي يأخذ كتابه بشماله بقوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم فسلب عنه الايمان دون الاسلام لانه كان منقادا للاسلام في ظاهره ليحفظ أهله ودمه وماله وهو في باطنه اما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الايمان فانه من أعمال القلوب لا يطلع عليه أحد قال وأما الذين يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم فاذا كان يوم القيامة قيل للواحد منهم خذ كتابك من وراء ظهرك أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا فهو كتابهم المنزل اليهم لا كتاب الاعمال فانه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أي تيقن أن لن يرجع وهذا هو الذي يقول الله عز وجل له يوم القيامة حين يعاتبه ويقرره أظننت أنك ملاقي في الحديث ثم جيء بالحوض يتدفق ماؤه عليه من الاواني على عدد

نفسه مثلاأنه خرج من النار ودخل الجنة فصار فى فرح وسرور وأكل وشرب وجماع بين أهله واخوانه ثم اذا استيقظ لا يرى شيأ كما يقع لاهل الدنيا اذا ناموا وبعض أهل النار من الموحدين قد يرى فى منامه أيضا ما يسوءه فيعذب فى منامه أيضا فيرى انه فى بؤس وضر وعقوبة وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل الله العافية (فان قلت) قد بلغنا ان ابليس يكون فى الطبقة الوسطى من النار التى هى الرابعة فهل ذلك تخفيف لعذابه (فالجواب) ليس ذلك تخفيفا للعذاب وانما ذلك للاحاطة والشمول فهو ملء النار فلا يعذب أحد فيها الا وابليس مشارك له فى عذابه لانه كان سببا فى تعذيبه وفى الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فبهذا الاعتبار كان ملء النار بحقيقته فكونه لا يدخل أحد النار الا بواسطته هو سر مستقره فى النار فى الطبقة الرابعة فليس ذلك تخفيفا عنه بالنسبة للدركات السفلية كما مر (فان قلت) فهل تكون أقسام أهل النار الاربعة السابقة أول المبحث أيضا فى الجن كما هى فى الانس (فالجواب) ليس فى الجن مشرك ولا منافق ولا معطل وانما هم كفار فقط ويؤيد ذلك قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فألحق الله تعالى الشيطان بالكفار ولم يلحقه بالمشركين وان كان هو الذى يوسوس للخلق بالشرك حتى يشركوا فكل مشرك كافر ضمنا وليس كل كافر مشركا لان من قال ان الله تعالى هو المسيح بن مريم كافر وليس بمشرك (فان قلت) فهل قول ابليس انى أخاف الله رب العالمين توحيد فان كان توحيدا فلم يسعده (فالجواب) هو توحيد ولكن كتوحيد المنافق بلسانه فقط دون قلبه فكان الحكم عليه بالكفر والشرك والنفاق والتعطيل فى هذه الدار كحكمنا على أهل هذه الصفات فى الآخرة سواء وقد انعقد اجماع الملل كلها على كفره وانه لا يصح أن يسلم قط حقيقة لانه لو تصور اسلامه حقيقة لم يجد الكفار والعصاة من يوسوس لهم بالوقوع فى الكفر والمعاصى ولا بد لكل عاص من واسطة فهو أول من سن الشرك والكفر وسائر المعاصى ثم بتقدير ان قوله انى أخاف الله رب العالمين توحيد فما نحن على يقين من استدامة ذلك الى الممات لان الله تعالى أخبر عنه انه يخطب لاهل النار فى النار * وقد سئل الشيخ محيي الدين عن قول ابليس انى أخاف الله هل هو توحيد فقال ليس ذلك بتوحيد لان ابليس أشقى الاشقياء وهو أول شقى من الجن فهو ولو وحد بلسانه فليس ذلك بتوحيد شرعى يقبل منه اه ذكره فى الباب التاسع من الفتوحات وذكر فى الباب الرابع والستين ان النار بذاتها لا تقبل خلوده وحده فيها بأى وجه كان توحيده وابليس مخلد فى النار بالاجماع وفى صحيح مسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله دخل الجنة فلم يقل وهو مؤمن ولا قال من مات وهو يقول بل أفرد العلم فلا يبقى بعد الشفاعات فى النار أحد ممن عمل عملا مشروعا من حيث هو مشروع بلسان نبى ولو كان مثقال حبة من خردل فما فوق ذلك فى الصغر فيخرجون كلهم بشفاعة أرحم الراحمين (فان قلت) فلم خص الله تعالى الجباه والجنوب والظهور بالحرق لمن كنز الذهب والفضة ولم ينفقها فى سبيل الله (فالجواب) كما قال الشيخ فى الباب السبعين انما خص الله تعالى الكى بهذه الاعضاء الثلاثة لان صاحب المال اذا رأى السائل مقبلا اليه انقبضت أسارير جبهته لعلمه بانه يسأله من ماله فتكوى جبهته بما منعه ثم ان الغنى يتغافل عن السائل ويعطيه جانبه كأنه ما عنده منه خبر فيكوى بها جنبه فاذا عرف من السائل انه يطلب منه ولا بد أعطاه ظهره وانصرف فيكوى بها ظهره هذا حكم

الشار بين منه لا تزيد ولا تنقص يرى فيه انبوبان أنبوب ذهب وانبوب فضة وهو لزيق بالسور ومن السور ينبعث الانبوبان ليشرب منه المؤمنون واعلم ان الحوض والصراط يتلونان لتلونات العلم والعمل وهما حقيقتا الشريعة وعلومها فالحوض علومها والصراط أعمالها فعلى مقدار الاحاطة بعلم الشريعة يكون الشرب من الحوض وعلى مقدار اتباع الشريعة يكون المشى والاستقامة على الصراط فكل من ضيق على نفسه بالورع عن كل ما كرهه الله اتسع عليه الصراط وكل من ترك الورع هنا ضاق عليه (٣٢٥) الصراط هناك بقدر ما فرط فالصراط حقيقة انما هو هنا الا هناك لانه لا يمشى العبد هناك الا على الصراط الذى أنشأه بأعماله فى دار الدنيا من الاعمال الصالحة أو غيرها فهو فى دار الدنيا باطن لا يشهد له صورة حسية فيمد للعبد يوم القيامة جسرا ممدودا على جسر جهنم محسوسا أوله فى الموقف وآخره على باب الجنة كما يعرف كل عبد اذا شاهده انه بناؤه بجوارحه وصنعته بيده قال ولا يمشى كل انسان على الصراط الا فى نور نفسه فقط لان الصراط لا نور له فى نفسه ولا يمشى أحد عليه فى نور أحد نسأل الله اللطف ثم يؤتى بمنابر من نور مختلفة فى الاضاءة واللون فتنصب فى تلك الارض ويؤتى بالانبياء يقومون فيقعدون عليها قد غشيتهم الانوار لا يعرفهم أحد فى رحمة الى الابد عليهم من الخلع الالهية ما تقربه أعينهم ويأتى كل انسان معه قرينه من الشياطين والملائكة وتنشر الالوية ذلك اليوم للسعداء والاشقياء بايدى أئمتهم الذين كانوا يدعونهم الى الحق أو الباطل وتجتمع كل أمة الى رسولها من آمن منهم ومن كفر وتحشر الافراد والانبياء بمعزل من الناس بخلاف الرسل فانهم أصحاب العساكر فلهم مقام يخصهم وقد عين الله عز وجل فى هذه الارض بين يدى عرض الفصل والقضاء مرتبة عظمى امتدت من الوسيلة التى فى الجنة تسمى المقام المحمود وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ويأتى ملائكة كل سماء على حدة متميزة عن غيرها فتكون سبع صفوف أهل كل سماء صف والروح قائم مقدم الجماعة وهو الملك الذى نزل بالشرائع على الرسل ثم يؤتى بالكتب المنزلة والصحف المكرمة وخلف كل كتاب من نزل من أجلهم فيمتازون عن أصحاب الفترات وعمن

تعبد نفسه بكتاب لم ينزل من أجله وانما دخل فيه وترك ناموسه لكونه من عند الله وكان ناموسه عن نظر فكرى من عاقل مهدى ثم يأتى الله عز وجل على عرشه والملائكة الثمانية تحمله فيضعونه فى تلك الارض والجنة عن يمين العرش والنار من الجانب الآخر وقد عمت الهيبة الالهية قلوب أهل الموقف من انسان وملك وجان ووحش فلا يتكلمون الا همسا باشارة عين وخفى صوت ثم ترفع الحجب بين الله وبين عباده وهو كشف الساق ويأمرهم داعى الحق (٣٢٦) بالسجود المعهود فلا يبقى أحد سجد لله خالصا الا سجد ولا سجد رياء واتقاء الا خر على قفاه وبهذه السجدة ترجح ميزان أهل الاعراف لانها سجدة تكليف فيسعدون ويدخلون الجنة ويشرع الحق تعالى فى الفصل والحكم بين عباده فيما كان بينهم وأما ما كان بينهم وبين الله فان الكرم الالهى قد أسقطه فلا يؤاخذ الله أحدا من عباده بذلك ذلك الوقت فهنيأ لمن لم يشهد مخاصمة بينه وبين أحد من الخلق ولم يقع له ذنب الا بينه وبين الله أو لم يقع له ذنب مطلقا ويختلف ذلك باختلاف المشاهد فى التوحيد ثم تقع الشفاعة الاولى من محمد صلى الله عليه وسلم فى كل شافع أن يشفع فيشفع الشافعون ويقبل الله تعالى من شفاعتهم ما شاء ويرد من شفاعتهم ما شاء وقد بسط الله الرحمة فى قلوب الشفعاء فى ذلك اليوم ومن رد الله شفاعته من الشافعين فليس ذلك انتقاصا ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وانما ذلك اظهارا للمنة الالهية على عباده فيتولى الله سعادتهم ورفع الشقاوة عنهم * واعلم ان الشافعين فى ذلك اليوم واحد وثلاثة ولواحد أرحم الراحمين والثلاثة هم الملائكة والنبيون والمؤمنون يقول الله تعالى فى ذلك اليوم شفعت الملائكة والنبيون والمؤمنون وبقى أرحم النار

الراحمين فلكل شافع طائفة تخص حضرته فأرحم الراحمين يشفع فى الذين لم يعملوا خيرا قط غير توحيدهم لله فقط فهم كصاحب السجلات قال وهؤلاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة انه لا اله الا هو وأما الملائكة فتشفع فيمن كان على مكارم الاخلاق وشفاعتهم تكون على الترتيب وآخرهم شفاعة التسعة عشر فان الملائكة اذا شفعت لم تشفع هذه التسعة عشر بل تتأخر الى ان تنقضى مدة المؤاخذات كلها و ينصفون

مانعى زكاة الفضة والذهب فى النار اه (فان قلت) فلم كانت أبواب جهنم سبعة (فالجواب) لانها على عدد أعضاء التكليف الظاهرة سواء وباب القلب مطبوع عليه لا يفتح من حين طبع الله عليه وما ذكر سبحانه وتعالى من أبواب النار الا السبعة التى يدخل منها الناس الجنان وأما الباب المغلق الذى لا يدخل منه أحد فهو فى السور باطنه فيه الرحمة لاقرار العبد بوجود الله وباعترافه بعبوديته له وظاهره من قبله العذاب بالنار التى تطلع على الافئدة (فان قلت) فلم كانت النار تحرق جوارح المكلفين الظاهرة فقط دون الباطنة (فالجواب) انما لم تحرق الاعضاء الباطنة لان ايمان عصاة الموحدين يمنع من خلاص النار الى قلوبهم فانظر يا أخى عناية التوحيد والايمان بأهله فان الجوارح اذا احترقت غابت فلا تحس بعد ذلك بألم فصاحب هذا العذاب كالنائم سواء حتى تأتيه الشفاعة واذا بعثه الله من تلك النومة وجد ايمانه على باب النار ينتظره فاذا غمس فى نهر الحياة الذى على باب الجنة دخل الجنة فلا يبقى فى النار من علم أن الله اله واحد جملة واحدة (فان قلت) ان النار جاءت فى القرآن مطلقة ومقيدة يعنى مضافة فهل فى ذلك خصوصية (فالجواب) نعم لذلك خصوصية وهى ان نار جهنم لها نضج الجلود وحرق الاجسام لانها نتائج أعمال حسية ظاهرة فيجمع لمن هذه صفته بين العذابين كما فعل باهل الجزية من تعذيبهم باخراج أموالهم من يدهم قهرا وصغارا وفى ذلك عذاب نفوسهم أيضا وأما نار الله فهى مجسدة لانها نتائج أعمال معنوية باطنة وهو قوله تعالى نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ومعلوم ان الافئدة هى باطن الانسان فهى تظهر فى فؤاد الانسان وعن هذه النار الباطنة ظهرت النار الظاهرة والعبد منشئ النار فى الحالين فما عذبه سوى ما أنشأه بأعماله وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب التاسع والستين وثلثمائة فراجعه (فان قلت) فما حكم أرض الموقف اذا لم يبق فيها أحد هل تصير من الجنة أو من النار (فالجواب) كما قال الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة ان أرض الموقف اذا خلت ولم يبق فيها أحد تعود كلها فى جهنم وان كان فيها زمهرير وذلك لان حد جهنم من مقعر فلك الكواكب الى أسفل سافلين كما مر فهى تحتوى على السموات والارض على صورتهما كانتا عليه اذ كانتا رتقا فرجعت الى صفتها من الرتق والكواكب كلها فيها طالعة وغاربة على أهل النار بالحرور والزمهرير فبالحرور على المحرورين وبالزمهرير على المقرورين (فان قلت) اذا كانت الكواكب كلها طالعة وغاربة فى النار فأين نورها وجهنم سوداء مظلمة (فالجواب) أن نور الكواكب موجود ولكن أهل النار لا يشهدون نورها لا حال شروقها ولا حال غروبها لما فى دخان جهنم من الكدورة وكانوا فى الدنيا عميا عن ادراك الحق الذى جاءت به الشرائع كذلك صاروا عميا فى النار عن ادراك الانوار فليل أهل النار لا صباح له كما ان نهار أهل الجنة لا ليل له ولا يزال أهل الجنة وأهل النار على ما وصفنا أبد الآبدين ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لانه لا يوم بعده قال وهو يوم السبت (فان قلت) قد بلغنا ان منازل أهل النار ودركاتها وخوخاتها على عدد منازل الجنة ودرجاتها وخوخاتها فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين نعم لا تزيد على منازل الجنة ودرجاتها ولا تنقص لكن ليس فى النار ميراث ولا نار اختصاص كما مر أوائل المبحث وانما ذلك خاص بالجنة فنار جهنم نار أعمال لا غير ولقد بسطنا الكلام على النار فى رسالة الكلام على الدارين فراجعها والله أعلم (فان قلت) فهل يتوالد أهل

النار كله وشأن أهل الجنة (فالجواب) لا توالد في النار والله أعلم *(خاتمة)* ذكر الشيخ في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة من الفتوحات ما نصه اعلم انه اذا ذبح الموت بعد مجيئه في صورة كبش ونادى المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ارتفع الامكان من قلوب أهل الجنة وأيسوا من الخروج منها وكذلك يرتفع من قلوب أهل النار فيا لها من حسرة ما أعظمها قال وتغلق أبواب النار غلقا لا فتح بعده أبدا لكن لا يخفى ان عين غلق أبواب النار هو عين فتح باب الجنة لانها على شكل الباب الذي اذا فتحته سددت به موضعا آخر فعين غلقه لمنزل هو عين فتحه منزلا آخر وتقدم أن الباب الثامن الذي لا يفتح في النار هو باب الحجاب عن رؤية ربهم عز وجل فلا يفتح أبدا * قال الشيخ محيي الدين واعلم انه اذا أغلقت أبواب جهنم فارت وغلت وصار أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وصار الخلق فيها كقطع اللحم في القدر الذي على نار شديدة وأطال في صفة عذاب أهل النار انتهى (قلت) فكذب والله وافترى من أشاع عن الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله انه كان يقول ان أهل النار الذين هم أهلها يخرجون منها بعد مدة تعذيبهم وكذلك كذب من دس في كتاب الفصوص والفتوحات المكية ان الشيخ قائل بان أهل النار يتلذذون بالنار وانهم لو أخرجوا منها لاستغاثوا وطلبوا الرجوع اليها كما رأيت ذلك في هذين الكتابين وقد حذفت ذلك من الفتوحات حال اختصاري لها حتى ورد على الشيخ شمس الدين الشريف المدني فأخبرني بأنهم دسوا على الشيخ في كتبه كثيرا من العقائد الزائغة التي نقلت عن غير الشيخ كما مرت الاشارة اليه في الخطبة فان الشيخ من كمل العارفين باجماع أهل الطريق وكان جليس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الدوام فكيف يتكلم بما يهدم شيأ من أركان شريعته ويساوي بين دينه وبين جميع الاديان الباطلة ويجعل أهل الدارين سواء هذا لا يعتقد في الشيخ الا من عزل عنه عقله فاياك يا أخي أن تصدق من يضيف شيأ من العقائد الزائغة الى الشيخ واحم سمعك وبصرك وقلبك وقد نصحتك والسلام وقد رأيت في عقائد الشيخ الوسطى ما نصه ونعتقد ان أهل الجنة وأهل النار مخلدون في داريهم لا يخرج أحد منهم من داره أبد الآبدين ودهر الداهرين قال ومرادنا بأهل النار الذين هم أهلها من الكفار والمشركين والمنافقين والمعطلين لا عصاة الموحدين فانهم يخرجون من النار بالنصوص قال لان النار كما لا تقبل بطبعها خلود موحد فيها كذلك لا تقبل بطبعها خروج أهلها منها أبدا لانها خلقت من الغضب السرمدي قال وهذا اعتقاد الجماعة الى قيام الساعة انتهى * وفي لواقح الانوار التي جمعها محمد بن سويدكين من مجالس الشيخ وتقريراته اعلم يا أخي ان جميع ما وجدته من قولنا بخروج أهل النار منها في سائر كتبنا وتقريراتنا فمرادنا بهم عصاة الموحدين انتهى وقد نبه على ذلك أيضا الشيخ الكامل عبد الكريم الجيلي في شرحه لباب الاسرار من الفتوحات فقال اياك والغلط فتفهم من كلام الشيخ انه يريد بخروج أهل النار غير الموحدين من الكفار فان ذلك خطأ انتهى وقد رجع بحمد الله تعالى على يدي جماعات كثيرة من صوفية الزمان الذين لا غوص لهم في الشريعة في اعتقاد خروج أهل النار الذين هم أهلها تقليدا لما أشيع عن الشيخ محيي الدين وتابوا الى الله تعالى بعد أن كانوا يتسارون بذلك فيما بينهم فالحمد لله رب العالمين (وأما الكلام على الجنة وأهلها) فنذكر لك يا أخي منه نبذة صالحة ان شاء الله تعالى فنقول وبالله التوفيق * قال الامام أبو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول في الباب

بالرحمة وذلك عندما يرون ان غضب الله قد ارتفع عن عصاة الموحدين وأما النبيون فيشفعون في المؤمنين خاصة والمؤمنون طائفتان مؤمن عن نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبيون فان الانبياء جاؤا بالخبر الى اممهم وذلك هو متعلق الايمان ومؤمن مقلد بما أعطاه أبواه أو أهل الدار التي نشأ فيها فالشافع في هذا المؤمنون الذين فوقه في الدرجة بعد ان خلصوا وشفعا عقرسول الله فيهم يعني في الشافعين قال ويرد شفاعة أرحم الراحمين ان تشفع أسماء الحنان والرحمة والالطاف عند الاسم الشديد العقاب والمنتقم والجبار (٣٢٧) فهي مراتب أسماء الهية لا شفاعة محققة فيتولى الحق تعالى بنفسه اخراج من شاء من النار الى الجنة وملأ الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه والجنة برضاه تعالى ورحمته وقد اختلف الناس في الجنة والنار هل خلقتا الآن أم لا والخلاف مشهور وأقام كل طائفة الدليل على قوله بما رآه حجة عنده وأطال الشيخ محيي الدين رحمه الله الكلام على ذلك في الباب الحادي والستين من الفتوحات ثم قال وأما عندنا وعند أصحابنا من أهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين فأما قولنا غير مخلوقتين فكرجل أراد أن يبني دارا فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال قد بنى دارا فاذا دخلها أحد لم ير الا سورا دائرا على فضاء وساحة ثم بعد ذلك يبني بيوتها على أغراض الساكنين فيها بتفاوت مراتبهم ودرجاتهم أو دركاتهم من قصور وغرف وسراديب ومهالك ومخازن وما ينبغي أن يكون فيها مما يريده الساكن من الآلات التي تستعمل فيها وأطال في ذلك ثم قال فقوله تعالى أعدت للمتقين أعدت للكافرين اشارة الى تعيين أماكن كل انسان في الجنة أو النار كما يعلم المهندس جدران البناء بالجص قبل بناء الاساسات ثم يشرع بعد ذلك في بناء السور ثم الدهاليز ثم أشجار الفواكه ثم القصور أو الدركات قال فان كانت الدار هي الجنة بني سورها من التوحيد وان كانت الدار هي النار بني سورها من الشرك أو الكفر أو النفاق أو التكبر ونحو ذلك على حسب دركات سكانها في طبقاتها فلا ينتهي بناء جنة كل انسان الا بآخر أعماله في دار الدنيا فاذا انتهى البناء فما بقي الا السكنى فيقال له اخرج الى دارك فقد كملت بنوها فاذا طاعت

روحه محبس في البرزخ حتى يتكامل عدد السكان وتنتهي مددهم فينادي المنادي اخرجوا جميعا الى مساكنكم فمعنى اعدت على هذا التقرير أي أعدت لهم قبل دخولهم لها الا قبل خلقهم وايجادهم ما عدا السور المتقدم ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا بنى الله له بيتا في الجنة فعلق وجود ذلك البيت على فعل ذلك الامر فدل على انه لم يكن مبنيا قبل ذلك وكذلك يؤيده أيضا قوله صلى الله عليه وسلم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان (٣٢٨) وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ونحو ذلك قال وأما ما ورد في الصحيح ان الله عز وجل خلق جنة عدن بيده وشق فيها أنهارها ودلى فيها ثمارها فهو صحيح لان حضرة الحق لا ماضي فيها ولا آتي ولا صباح ولا مساء فهو كقوله تعالى أتى أمر الله فله تعالى أن يخبر عن حضرته المذكورة بما شاء لانها لا تتقيد بزمان كالخلق في مصطلحهم في الالفاظ والله أعلم (قلت) ويحتمل ان الله تعالى خلق الجنان على ما شاء من الاوصاف التي تسمى بها جنانا من أشجار وأنهار وأتراب ثم أبقى فيها أماكن خالية قابلة لما يبنى فيها ويغرس من تناهي أعمال المكلفين غير ما ينعم الله تعالى به عليهم لا في مقابلة أعمالهم والله أعلم * قال الشيخ واعلم ان خواص المؤمنين ليس لهم بناء من أعمالهم الا في الجنة وأما غير الخواص فيبنون بأعمالهم في الجنة تارة وفي النار أخرى على حسب طاعاتهم ومعاصيهم * قال الشيخ في الباب التاسع والثمانين ومائتين ما نصه روينا عن الشيخ أبي مدين امام الجماعة رضي الله عنه انه كان يقول يدخل السعداء الجنة بفضل الله والاشقياء النار بعدل الله وكل منهم ينزل في داره بالاعمال ويخلد فيها بالنيات التي مات مصرا عليها يعني انه لو مات وهو عازم على ارتكاب ذنب سنة مثلا خلد في النار قدر سنة أو وهو عازم على عدم التوبة منه الى أن يموت خلد في النار قدر عمره وكل ذلك ان شاء الله تعالى ثم ان شاء غير ذلك فعفوه أوسع والله أعلم غير ان الذي وصل الي ان أطول الناس مكثا في جهنم من عصاة الموحدين من يمكث سبعة آلاف سنة ولعله كان بفرض انه لو عاش الى القدر المذكور لبقي على معصيته ثم الا أني ما علمت أحدا يرد منهم على ذلك

الخامس والثمانين منه اعلم ان الجنة أوسع من السموات والارض وذلك قوله تعالى وجنة عرضها السموات والارض ذكر المفسرون في معنى عرضها وجوها وفسروها بالعرض الذي هو ضد الطول ثم أشكل عليهم ان الجنة بعرضها الذي هو مثل عرض السموات والارض كيف تسعها السماء وزادوا في بيان ذلك بما يزيد اشكالا ولا يحل اشكالا والذي أراه ان معنى عرضها الظاهر الا اهلها بسعتها وأرضها كما عرضت هذه الدنيا بسعتها وأرضها على أهلها وانه من عرضت المتاع للبيع ومثاله وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا فكما عرض الله جهنم للكافرين فكذلك عرض الجنة للمؤمنين وهذا أمر ظاهر لا اشكال فيه وروى الحاكم وصححه ان اعرابيا قال يا رسول الله أرأيت قوله تعالى جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الليل اذا جاء فأين يكون النهار قال الله أعلم فقال كذلك الله يفعل ما يشاء (فان قيل) فما معنى قوله عرضها السموات والارض جعل السموات والارض عرضها (فالجواب) هذا جائز في اللغة كما قال الشاعر * ووجه نوره البدر التمام * أي كنور البدر فيكون المعنى هنا كعرض السماء والارض تصديقه ما في سورة الحديد من قوله وجنة عرضها كعرض السماء والارض (فان قيل) فما وجه من منع حمل العرض على العرض الذي هو ضد الطول (فالجواب) وجهه انه جعل حكم ذلك حكم من نظر منا الى هذه السماء أليس يرى قدر وسعها بعينه ومعلوم ان محل الادراك من العين هو تلك اللعبة الصغيرة التي هي مقدار عدسة فعلى هذا يكون نسبة عرض الجنة الى عرض السموات نسبة هذا الربع مثلا من السماء الى لعبة عينك وان الذي قدر على بناء الجبال والفيلة العظام على قوائمهن الصغار وقدر على بناء طال الانسان على قدميه الصغيرين لا يعجز عن بناء الجنة بسعتها على السماء التي تصغر في جنبها اذ السماء كالعمود وتحت سقف بيت واسع * قال الشيخ أبو طاهر القزويني واعلم ان سموات الجنة عدد درجها وهي مائة وأعلاها وما دلت عليه الاخبار وهو ساق العرش ففي الحديث مرفوعا الجنة مائة درجة ما بين كل درجة والاخرى ما بين السماء والارض والفردوس أعلاها ومنها تتفجر أنهار الجنة وعليها يوضع العرش يوم القيامة وأما أرضها فتنتهي الى سدرة المنتهى لقوله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى وسدرة المنتهى فوق السموات السبع على ما جاء في الاحاديث وفي بعض الروايات عن ابن عباس ان الجنة في جوف الكرسي هذا ما بلغنا من سماء الجنة وأرضها والله أعلم * قال ولا يكون في الجنة شمس ولا قمر كما قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قيل معناه ولا قمرا وقيل حرا ولا بردا وانما يكون بدل الشمس والقمر أنوار طالعة من سرادقات العرش وهي الانوار التي يكسى بعضها شمسنا هذه كل ليلة فتطلع مضيئة علينا وفي الحديث عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أين تذهب الشمس اذا غربت قال تذهب حتى تسجد لله تعالى تحت العرش فتستأذن فيكسى عليها سبعون حلة من نور العرش ويؤذن لها الحديث فعلمنا بهذا الحديث وغيره ان للجنة سموات وأرضا باقيات خالدات أبد الآبدين لا تفنى ولا تبيد ومن توقف فيما قلناه فانما هو لعكوفه على المألوفات في هذه الدار كما لو قيل لمن ليس في بلادهم زيت ان أناسا في بلاد شيئا يوضع في شيء اسم أحدهما زيت والآخر فتيلة قطن فينور على الناس طول ليلتهم فانه يستبعد ذلك أشد البعد ولا يصدقه الا ان رآه ولكن من رزقه الله قوة الايمان لا يتوقف فيما أخبر الله ورسوله

أبداً الابيض قال وهو كشف صحيح وكلام محرر عليه حشمة انتهى * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وأصناف أهل الجنة أربعة الاول الانبياء
والرسل * الثاني أتباعهم بشرط أن يكونوا على بصيرة وبينة من ربهم وهم الاولياء والعلماء العاملون * الثالث المؤمنون أي المصدقون
بالانبياء وبما جاؤا به من الشرائع * الرابع العلماء بتوحيد الله من انه لا اله الا هو بالادلة العقلية قال وقام كل صنف متميز عن الآخر هنالك
بالنزول وان كان نازلا في الدرجة وبالعلو ان كان عاليا ولا حسد بين الادنى والاعلى هنالك بخلاف الدنيا قال واذا وقع التجلي الالهي

أبدا * قال الشيخ أبو طاهر والآية التي أشكلت على الائمة الماضين دالة على هذا المعنى وهي قوله وأما
الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فبين أن
السعداء يكونون في الجنة خالدين دوام خلود سموات الجنة وأرضها الا ماشاء ربك زيادة على الملك الدائم
من النعم السنية والالطاف الخفية مما أعده الله فيها كما في حديث في الجنة مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر قال وأعلى نعيمها الرضا والنظر الى وجهه الكريم فتلك هذه هي العطايا الجسام المستثناة
من نعمة الخلود وتصديق هذا التفسير قوله تعالى في آخر الآية عطاء غير مجذوذ أي غير مقطوع وأما قوله
في صفة أهل النار خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد فهي
دالة أيضا على ان للكفار أرضا وسموات اذ السماء في اللغة هو كل ما علاك وأظلك والارض كل ما تحت
قدمك فأرض النار الدرك الاسفل وسمواتها أطباق دركاتها الطبقة فوق طبق الى أن ينتهي الى الصخرة
التي فوقها النظير العرش فوق الجنة كما مر والله أعلم بحقيقة الحال * فعلم أيضا ان أرض النار وسمواتها
باقيات خالدات ومعنى الا ماشاء ربك يعني الا ماشاء الله بعد خلودهم فيها من أنواع الآلام والعقوبات
المتلونة الزائدة لهم على عقوبة الحبس الدائم * قال الشيخ أبو طاهر وهذا الذي استنبطته من تطاوي
في معنى هاتين الآيتين رأيته بعد ذلك منقولا في تفسير الحسين بن الفضل وكان ذلك مثل وقع الحافر على
الحافر وهو أصح ما قيل في الآيتين فان فيهما نيفا وعشرين قولا كلها ضعيف * قال ومثال تفسيرنا
هذا مثال ملك استخلص بعض رعيته لنفسه وأسكنه معه في داره وكان يفيض عليه من مباره وخيره وحبس
بعض رعيته في سجنه وصار يأمر كل يوم مع ذلك بأنواع العقوبات لهم ثم صار الملك يخبر الناس عن حال
الفريقين ويقول أما فلان ففي رعايتي وجواري يتبوأ معي في داري ما عشت الا ماشئت له زيادة على
جواري واحساني وتخلي عليه وأما فلان ففي سجني ما عشت الا ماشئت له من أنواع المثلات والآلام
بصنوف العقوبات زيادة له على الحبس الدائم قال وهو كلام سديد فتأمله فانه نفيس (فان قيل) كيف
يتصور الخلود الدائم والنعيم الابدي وكذلك العذاب السرمدي في العقل (فالجواب) يتصور ذلك في العقل
بتجدد حالات بعد حالات على الدوام وأما عدم تناهي ذلك فيما لا يزال فيدركه العقل المجرد ويتقاعس عنه
الوهم والخيال فلا يكاد يتخيل ذلك لعجزه عن التصور مع كونه يدرك ذلك بالدليل * وقد قرب الامام الغزالي
رحمه الله ذلك بقوله من عجز عن تخيل العدد الغير المتناهي فليقدر ان الله تعالى خلق مثل هذه الدنيا ألف ألف
مدينة وملأها كلها من الحب ثم خلق طيرا يلتقط في كل ألف ألف سنة حبة واحدة فانه تنفد تلك الحبات
من المدائن كلها ويبقى الابد كما كان وقد ورد في الحديث نحو ذلك (فان قيل) فهل اللذات الاخروية
حسية أم عقلية أم خيالية فان هذا سؤال ضل فيه كثير من الناس (فالجواب) عن ذلك هو أن تعلم يا أخي
ان الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا والآخرة خير وأبقى فلا يجوز أن تتقاصر لذاتها عن لذات النفس
في الدنيا ولذات الدنيا من ثلاثة أوجه حسي خيالي عقلي فيمكن أن يخلق الله تعالى لاهل الجنة ادراكات أخر
زائدة على هذه المدارك يدركون نعيما أخفي لهم من قرة أعين فضلا من الله ونعمة (فان قيل) فما هي اللذة
الحسية أي التي تدرك بالحس والخيالية أي التي تدرك بالخيال والعقلية أي التي تدرك بالعقل (فالجواب)

للرؤية يكونون جلوسا على مراتبهم فالانبياء على المنابر والاولياء على الاسرة والعلماء بالله على الكراسي والمؤمنون المقلدون في توحيدهم على مراتب وذلك الجلوس كله يكون في جنة عدن على الكثيب الابيض قال وأما من كان موحدا من طريق النظر في الادلة فيكون جالسا على الارض وانما نزل هذا عن الرتبة التي للمقلد في التوحيد لانه يطرقه الشبه من تعارض الادلة والمقالات في الله وصفاته فمن كان تقليده جزما فهو أوثق ايمانا ممن يأخذ توحيده من النظر في الادلة يؤولها قال وانما كانت ضيافة أهل الجنة زيادة كبد الحوت اذا دخلوها بشرى لاهل الجنة ببقاء الحياة لهم فيها لان الحوت حيوان بحري مائي من عنصر الحياة المناسب للجنة بخلاف ضيافة أهل النار تكون بطحال الثور الذي هو بيت الغم ويجمع أوساخ البدن قال وخلق الله تعالى الجنة بطالع الاسد الذي هو الاقليد لانه برج ثابت فالجنات الدوام والاسد القهر ولذلك يقول أهلها
للشيء كن فلا يتخلف عن التكوين وليس في البروج من له السطوة مثل الاسد قال وأما الجنة
المعنوية التي هي كالروح للجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح والسرور والابتهاج فأجسام أهل الجنة تتلذذ بالامور الجسمانيات
وأرواحهم تتلذذ بالامور المعنويات كالروائح والنغمات الطيبة والصور الحسان وغير ذلك قال ولو كانت الاجسام تتلذذ بذاتها لكان كل
حيوان من البهائم يتلذذ برؤيته كل وجه جميل وليس الامر كذلك فما كل نعيم أهل الجنة الا بتلذذهم به احساسا ومعنى لانها دار الحيوان بل نقول

هى أشد تنعما بأهلها الداخلين فيها كما ورد أنها تقول يارب ائتنى بأهلى فقد كثر حليى وعبقريى الحديث قال والناس فى الشوق على أقسام فعصاة المؤمنين يشتاقون الى الجنة وهى لا تشتاق اليهم وأرباب الاحوال من الاولياء تشتاق اليهم الجنة وهم لا يشتاقون اليها لسكرهم بحالهم والمكذبون بيوم الدين والقائلون بنفى الجنة المحسوسة لا تشتاق اليهم الجنة ولا يشتاقون اليها وقد بسط الشيخ الكلام على أحوال الجنة فى الباب الخامس والستين من الفتوحات قال ومن أعظم (٣٣٠) نعيم لاهل الجنة تنعمهم بالتمنى فما يتوهم أحد منهم نعيما فوق نعيمه ويتمناه الا حصل ووجد نفسه فيه بحسب ما توهمه ان توهمه معنى كان معنى وان توهمه حسا كان محسوسا فهو تمن محقق لوجود ما يتمناه قال وما جاءهم هذا النعيم المقيم والجزاء العظيم الزائد على مدة طاعاتهم فى دار الدنيا الامن حيث نيتهم الصالحة التى كانوا نووها فى دار الدنيا وهو أن أحدهم كان يتمنى أن لو فسح الله تعالى له جميع الطاعات حتى فعلها وداوم عليها مدى الدهر فلما قصرت به العناية فى دار التكليف أعطاه الله تعالى نظير هذا التمنى فى الجنة فيكون له فيها ما تمناه فلحق بأصحاب تلك الاعمال فى الدرجات الاخروية مع راحته فى دار الدنيا من التعب كما ورد أنه من نام على نية انه يقوم من الليل فأخذ الله بروحه الى الصباح كتب له قيام ليلة الحديث بمعناه قال وللجنة برزخية أشار اليها القرآن العظيم فى قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى قال وانما كانت برزخية لانها لاهى محسوسة كقوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة ولا روحانية كقوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس قال وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومأنا اليه من النعيم الروحانى فقال لحواريين حين أوصاهم وفرغ من وصيته فاذا فعلتم ما أمرتكم به كنتم غدا معى فى ملكوت السماء عند ربى وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه وأنتم هنالك متلذذون بجميع اللذات من غير أكل ولا شرب قال وانما صرح المسيح بذلك ولم

أما الحسية فهى كلذة الطعام والشراب بالذوق وكلذة النكاح وسائر الملموسات باللمس وكلذة الالوان والصور الحسان بالعين وكلذة المشمومات بالشم وكلذة الاصوات والالحان بالسمع فمن تلذذ بالحواس الخمس فهو الذى كمل عيشه * قال وأما اللذة الخيالية وهى مطلوبة فى الدنيا أيضا فان الرجل ربما يتخيل أشياء يتمناها فيلتذ بها بل ربما رأى الشئ الذى يهواه فى المنام فيلتذ به وقال بعضهم لا تكون اللذة الخيالية فى الجنة أبدا لان الجنة دار صدق واللذة الخيالية من قضايا الوهم الكاذب فهى أكاذيب وغرور والدار الآخرة دار الحقائق ولذلك سميت الحاقة قال تعالى الحاقة ما الحاقة قال المفسرون سميت الحاقة لان فيها حواق الامور وليس فيها أباطيل ولا أكاذيب بدليل قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا واذا كانت اللذة الخيالية بالتمنى والامنية فى الجنة من حيث ان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فذلك يدل على ان اللذة الخيالية فيها معدومة قال وهذا القول عندى صحيح اذ اللذات الخيالية أمانى والامانى أكاذيب وأباطيل فلا يكون ذلك فى الآخرة فان كل ما يشتهيه أهل الجنة يجدونه فى الحال عيانا نقدا فلا يكون لهم أمنية التذاذهم يكون بالموجود المشاهد لا بالمفقود والمتمنى المتخيل فافهم ذلك فانه من غرائب أمور الآخرة وأما اللذة العقلية فلا خلاف فى أنها ألذ الاشياء وأقواها وأسرها للنفس وأشهاها وأبسطها للروح وأحلاها اعتبر ذلك بلذة الفهم والعلم فانك اذا أدركت مسئلة كانت تشكل عليك رأيت تجد فى قلبك وفى نفسك لذة لا يعادلها شئ من لذات الدنيا كما قال الامام أبو حنيفة لو يعلم الملوك ما نحن فيه من لذة العلم لحاربونا عليه بالسيوف وناهيك بلذة الامر والولاية والامر والنهى والابتهاج بالاشياء الموافقة للطبع والغرض ولذة الوجدان كما وقع لبعض الاعراب انه ضاع له بعير فكان يقول الامن يبشرنى بوجدانه وهو له فقالوا له فما احتظك اذن من ذلك فقال لذة الوجدان ومثل ذلك لذة الولد ولذة محادثة الاخوان الصادقين قال الامام الشافعى رضى الله عنه لولا محادثة الاخوان والتهجد عند السحر ما أحببت البقاء فى هذه الدار وقس على ذلك سائر اللذات العقلية وان كان فيها تفاوت ولها مراتب فهى لذات غير منكرة فى الدنيا فيجب اثباتها فى الآخرة لقوله تعالى وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا وقوله تعالى ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون الى غير ذلك من الآيات والاخبار قال وعلى هذا الاصل تكون الآلام الحاصلة فى الحس والعقل فى جهنم لاهلها ثابتة نعوذ بالله تعالى منها قال تعالى ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ولا يخفى شدة العمى على من ابتلى به فى الدنيا فقد بان لك يا أخى صحة اللذات الحسية والعقلية جميعا وكذلك الآلام مثلها فى الآخرة وقد سبق بسط القول فى صحة اعادة الاجسام بأرواحها وأجسامها على ما هى عليه فاذا ثبت عند الانسان على ما هو عليه اليوم فى العقل جوازا وفى الشرع وجوبا وجود اللذة والالم وصحتها فى الآخرة أيضا من غير شك ولا ريب (فان قيل) فاذا أكل أهل الجنة وشربوا فأين يذهب ثقل الطعام والشراب (فالجواب) قد ثبت فى الحديث ان الطعام يكون جشاء والشراب يكون رشحا كرشح المسك وهو حديث حسن كما قاله القزوينى * قال ولقد جربنا ان من تغذى باللبن والعسل لا يحتاج الى استفراغ * قال الشيخ أبو طاهر ولولا خوف التطويل لاتممنا الكلام فى بيان استحالة طعامهم وشرابهم الى الرشح والعرق وقد شاهدنا امرأة تسمى عائشة من ناحية لنور ولم تحتج الى المستراح منذ ثلاثين سنة وتواردت الاخبار أيضا بان تركمانا أقام واعتمد الملك

برمز ولان خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة وكتب الانبياء وكانوا متهيئين لتصورها وفهمها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اتفق بعثه في قوم أميين أهل براري غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا فضلا عن نعيم ملوك الجنة فلذلك جاء أكثر أوصاف الجنان في كتابهم جسمانية تقريبا لفهم القوم وترغيبا لنفوسهم قال ولما كانت أنهار الجنة أربعة أنهار لا غير علمنا منه ان التجلي العلمي لا يقع الا في أربع صور ماء ولبن وخمر وعسل فأنهار الماء لاصحاب العلوم التي (٣٣١) تدخلها الآراء وأما أنهار اللبن الحليب

مسعود سنين ولم يدخلوا الكنيف قط مع انهم كانوا يأكلون أكلا ما فاذا كان هذا موجودا في الدنيا مشاهدا مع طعامها الكثيف الثقيل وشرابها الوبيل وهوائها العفن ومائها الآجن فكيف ينكر أحد ما أخبر به الانبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أطعمة الجنة وفواكهها مما يتخيرون ومما يشتهون من شرابها العسل المصفى والماء الغير آسن واللبن الذي لم يتغير طعمه والشراب الذي لا يتصدع عنه شاربه ولا ينزف وايضاح ذلك ان أطعمة الجنة وفواكهها وأشربتها العلية رقيقة خالصة صافية لا يعتورها الاستحالات ولا يكون لها أثقال منكرات ولا روائح مكروهات * قال الشيخ أبو طاهر واعلم ان الله تعالى ما وصف الجنة بالاشياء الحاضرة عندنا كالعسل والزنجبيل والمسك والكافور والسندس والحرير والذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والنخل والرمان والخيرات الحسان وغير ذلك الا لتهتدي بذلك القلوب وتستأنس به النفوس أما تصور ذلك في العقل فمستحيل لان التصور والادراك الوهم خيال ما أدركه الحس والذي لم يدركه الحس يعجز الوهم عن تصوره ولو كان للخلق طريق الى معرفة ذلك لما قال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ولا قال صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر * قال ابن عباس ومقاتل بن سليمان ليس شيء مما يكون في الجنة من ثمرة وشراب وحلي وحلل يشبه ما في الدنيا شيء سوى ان الله تعالى وصف ما عنده بما عندنا فسمى لنا الذهب والحرير والثياب والفواكه ولا نعلم نحن حقائق ذلك الذي عنده اهـ (فان قيل) فاذا سماها الله بأسماء عندنا وهي على خلاف ذلك حقيقة فهو خلف وتعالى الله عن ذلك (فالجواب) ان تسميتها بأسماء عندنا لا بد أن يكون ذلك بأدنى مناسبة ليقع في افهامنا تمثيله وأصل ذلك قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح وأين المشكاة من نوره تعالى واذا كان فيه أدنى مناسبة فلا خلف ولا كذب وقد قال العلماء بالله تعالى كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شيء في الآخرة عيانه أعظم من سماعه والله تعالى أعلم (فان قيل) فما للذوق رغبة في الطلح المنضود والسدر المخضود (فالجواب) قد أخبر الله تعالى ان في الجنة ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين على العموم وشهوات نفوس الخلق مختلفة ولعل نفوس بعض أهلها تشتهي ذلك كما تشتهي السمك القديد وتستطيب أكله في دنياها لاسيما أهل البوادي من الاعراب وكيف وطلح الجنة وسدرها انما يشبه ما في الدنيا في الاسم فقط كما مر فلعل الله تعالى يخص ذلك بلذة في ذلك الموطن تفوق اللذات قال الشيخ أبو طاهر ونفي المكروه عن النفوس دليل على ما ذكرناه لان الله تعالى يقول وسدر مخضود فنفى الشوك ونفى احتمال الاذية في قطعها وفي ذلك دلالة على وجود نفي مكروهات النفوس هناك عكس الدنيا وفي بعض التفاسير ان الطلح في القرآن هو الموز (فان قيل) فهل في الجنة نكاح (فالجواب) نعم ثبتت به الاحاديث الصحيحة وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نعم دحاما دحاما أي كثيرا وانما أراد به استغراقهم بذلك في لذة عظيمة ينالونها لاختلاف لذة الوقاع في الدنيا فقد قيل انها وهمية لا حقيقة لها (فان قيل) هل يولد لاحد في الجنة (فالجواب) نعم روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظ الحديث المؤمن اذا اشتهى الولد كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي وفي رواية ولكنه لا يشتهي قال الشيخ أبو طاهر وأصل هذه المسائل واشباهها نكتة واحدة وهي ان تعلم بأن أخي ان

الذي لم يتغير طعمه لمعقد أو مخضه أو تربيه فهي لاصحاب العلم بأسرار الشرع من الائمة المجتهدين وأما أنهار الخمر فهي للامناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه السلام وأما أنهار العسل المصفى فهي لاهل العلم بطريق الوحي والايمان وصفاء الالهام وأطال الشيخ في ذلك في الباب التاسع والاربعين ومائة قال واعلم ان أهل الجنة يعملون في الجنة التكوين فكل ما خطر له تكوينه كونه أسرع من لمح البصر فلا يزال أهل الجنة خلاقين دائما بارادة الله تعالى وذلك لارتفاع الافتقار والذلة هنالك اذا الجنة ليست بمحل لذلك وانما محله الدنيا أو النار وأطال في ذلك * قال وفاكهة الجنة كما وصف الله تعالى لا مقطوعة ولا ممنوعة أي تؤكل من غير قطع فيقطف الانسان ويأكل من غير قطع فالاكل موجود والعين باقية في غصن الشجرة وليس المراد بأنها كونها غير مقطوعة في شتاء ولا صيف أو بخلف مكان قطعها أخرى على الفور كما فهمه بعضهم

فعين ما يأكله العبد هو عين ما يشهده ونظير ذلك سوق الجنة يظهر فيه صور حسان فاذا نظر اليها أهل الجنان فكل صورة اشتهاها أحدهم دخل فيها وظهر بها في ملكه وعينه وهو يراها في السوق ما انفصلت ولا انفقدت ولو اشتهاها كل من في الجنة دخل فيها وهي على حالها في السوق ما برحت ذكره الشيخ في الباب التاسع والتسعين من الفتوحات قال وأقرب شيء شبها بذلك في الدنيا تصور الولي أي وجوده في عدة أماكن وهو ذات واحدة حقيقية في مظاهر متعددة في رأي العين ويليه بقرب الشبه صورة ما تراها في المرآة المقابلة لك فقد تكون في يدك تفاحة فتراها

فى المرآة لاتتشكل انها صورة وانما فى بدنك الا أن الاول أشبه والله أعلم * وقال فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة منها اعلم أن الصور التى فى سوق الجنة واحدة فكل من اشتهى صورة دخل فيها وينصرف بها الى أهله كما ينصرف بالحاجة مشتريها من السوق وقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق يشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخلها ويلبسها فيحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها لا يراها وانقلب بنا الى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل فى تلك الصورة وانصرف بها الى أهله والصورة كما هى فى السوق ما خرجت منه ولا يعلم حقيقة هذا الامر الا من أطلعه الله من طريق كشفه على نشأة الدار الآخرة والله أعلم قال والذى أعطاه الكشف الصحيح ان أجسام أهل الجنة تنطوى فى أرواحهم فتكون الارواح ظروفا للاجسام عكس ما كانت فى الدنيا فيكون الظهور والحكم فى الدار الآخرة للروح لا للجسم قال ولهذا يتحولون فى أى صورة شاؤا كما هم اليوم عندنا الملائكة وعالم الارواح قال وتتجوهر أبدان أهل الجنة بحسب صفاء أعمالهم الصالحة فى دار الدنيا من الشوائب فكل من كان أكثر اخلاصا فى علمه وعمله ما كان بدنه أشف وأنور قال واذا اشتهى أهل الجنة التناسل حصل فيجامع الرجل زوجته الآدمية أو الحوراء فيوجد الله تعالى عن كل دفعة ولدا وذلك لان الله تعالى قد جعل هذا النوع الانسانى غير متناهى الاشخاص لشرفه عنده قال ولذة الجماع هناك تضاعف على لذة جماع أهل الدنيا أضعافا مضاعفة فيجد كل من الرجل والمرأة لذة لا يقدر قدرها لو وجداها فى الدنيا غشى عليهما من شدة حلاوتها لكن تلك اللذة انما تكون بخروج ريح اذ لا منى هناك كالدنيا كما صرحت به الاحاديث قلت فيخرج من كل من الزوجين ريح مثيرة كرائحة المسك فيلتقيان فى الرحم فيتكون من حينه فيها ولدا وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج ولدا مصورا مع النفس الخارج مع المرأة ولا يزال هذا الامر اليهم دائما كلما شاؤا قال ويشاهد هذان الابوان كل من تولد عنهما من ذلك النكاح فى كل دفعة ثم ان الاولاد يذهبون فلا يعودون اليهم أبدا كالملائكة المتطورين من أنفاس بنى آدم فى دار الدنيا لا يعودون اليهم وكالملائكة السبعين

شهوات النفوس فى الدنيا تابعة لمشتهياتها ومشتهيات أهل الجنة تابعة لشهواتهم فيها قال تعالى ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولم يقل أنفسكم تشتهى كل ما فيها فاعرف قدر هذه النكتة فانها غريبة اه كلام الشيخ أبى طاهر رحمه الله * وأما كلام الشيخ محيى الدين رحمه الله تعالى فقال (ان قيل) كم أقسام أهل الجنة (فالجواب) هى أربعة أقسام الرسل والاولياء والمؤمنون والعلماء بالله تعالى من طريق الادلة العقلية (فان قيل) فهل يتميز بعض هذه الاقسام عن بعضهم وبماذا يكون تميزهم (فالجواب) نعم يتميزون وذلك عند رؤية الحق جل وعلا فى جنة عدن فى الكثيب الابيض ويتميز كل قسم يكون بماهو جالس عليه فالرسل والانبياء يكونون على منابر والاولياء على أسرة والعلماء بالله من طريق البرهان والنظر العقلى يكونون على كراسى والمؤمنون المقلدون فى توحيدهم يكونون على مراتب دون الاسرة اه (فان قيل) فما المراد بحديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب هل المراد لم يكن ذلك فى حسابهم وظنهم أم المراد أنهم لا يحاسبون كغيرهم (فالجواب) المراد به كما مر فى مبحث الحساب ان دخول الجنة لم يكن فى حسابهم ولا فى ظنهم ولا تخيلوه وقتا فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وليس المراد به الحساب بين يدى الله عز وجل ذكره الشيخ فى الباب الثامن والاربعين وثلثمائة وقال فى الباب السبعين من الفتوحات فى معنى حديث البخارى من كان من أهل الصلاة دعى يعنى يوم القيامة من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ما على هذا الذى يدخل من تلك الابواب كلها من بأس فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله فقال نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر معنى الحديث أن دعاء الله تعالى الناس الى الدخول دعاء واحد فمنهم من يدخل من باب واحد ومنهم من يدخل من بابين ومنهم من يدخل من ثلاثة وأعمهم دخولا من دخل من الابواب الثمانية فى آن واحد وايضاح ذلك ان أعضاء التكليف ثمانية لكل عضو منها باب فاياك يا أخى ان تنكر ذلك فى الثواب الاخروى فى الآن الواحد وأنت تشهد ذلك فى العمل من قبل وترك كغاض بصره فى حال استماعه وعناية فى حال تلاوة فى حال صيام فى حال تصدق فى حال ورع فى حال تحصين فرج كل ذلك بنية التقرب الى الله تعالى قال وهذه المسئلة من جملة مسائل ذى النون المشهورة التى تحيلها العقول وهو ان الواحد يكون بجسمه الواحد فى أماكن مختلفة فى الآن الواحد فأهل الكشف يعرفون هذه المسائل وأهل العقل ينكرونها فمن تحقق بمعرفة ما قلناه لم يتوقف فى دخول الواحد الجنة من أبوابها الثمانية فى آن واحد اذ النشأة الاخروية تعطى هذه الامور كما ان نشأة الدنيا تعطى جميع شعب الايمان فى الانسان فى الزمان الواحد من غير استحالة اه (فان قيل) هل لنا جنة معنوية أيضا كالحسية أم ما ثم لنا جنة سوى الحسية (فالجواب) نعم ان الجنة على نوعين جنة معنوية وجنة حسية والعقل يعقل هاتين الجنتين معا كما انه يعقل العالمين العالم اللطيف والعالم الكثيف ويعقل علم الغيب وعالم الشهادة وايضاح ذلك ان النفس الناطقة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وما وصلت اليه من ذلك بالادلة العقلية ولها أيضا نعيم بما تحمله من اللذات والشهوات بما تناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونغمات طيبة وصور حسان وغير ذلك (فان

ألفا الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم قال ولا حظ لهؤلاء الاولاد فى النعيم المحسوس ولا المعنوى انما نعيمهم برزخى كنعيم صاحب الرؤيا قال وقد يقع مثل ذلك لبعض الاولياء فى دار الدنيا فينكح الولى من حيث روحه زوجته من حيث روحها فيتولد بينهما أولاد روحانيون بأجسام وصور محسوسات قال وقد وقع لنا ذلك مرات وأطال فى ذلك فى الباب التاسع والستين وثلثمائة (قلت) وليس لاهل الجنة أدبار مطلقا لان الدبر انما خلق فى الدنيا مخرجا للغائط ولا غائط هنالك ولولا أن ذكر الرجل أو فرج المرأة يحتاج (٣٣٣) اليه فى جماعهم وفى ولادتهما ان وقعت لما كان وجد فى الجنة فرج لعدم البول فيها والله أعلم قال ونعيم أهل الجنة مطلق والراحة فيها مطلقة الا راحة النوم فليس عندهم من نعيم راحته شئ لانهم لا ينامون ولا يعرف شئ الا بذوق ضده قال وأما أهل النار فينامون فى أوقات ببركة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك هو القدر الذى ينالهم من النعيم نسأل الله العافية آمين * قال الشيخ محيي الدين وهذا يدلك على ان النار محسوسة بلا شك كما أشار اليه قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا فان النار ما تتصف بهذا الوصف الا من كون قيامها بالاجسام لان حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة وانما الجسم المحرق بالنار هو الذى يسجر بالنار ذكره فى آخر الباب الخامس والستين من الفتوحات قال واعلم ان عدد الجنات من حيث المراتب ثلاثة جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة أعمال ولكل واحدة منها أهل كما ذكره الشيخ فى الباب السابع والسبعين ومائتين من الفتوحات فأهل جنة الاختصاص الانبياء والاطفال والمجانين وأهل التوحيد العامى ومن لم تبلغه دعوة نبي وسميت بجنة الاختصاص لانها لم تكن عن عمل سابق وأهل جنة الميراث هم كل من دخل الجنة ممن ذكرناه من المؤمنين وهى الاماكن التى كانت معينة لاهل النار لو دخلوها كما ورد أنه يقال للمؤمن هذا مكانك من النار قد أبدلك الله به مكانا من الجنة قال وسبب وقوع هذا القول للمؤمن ان الوجود كله يطلب الانسان وليس بعض الوجود فى حقه أولى من بعض فاذا أمر الله بعبده الى الجنة بفضله وكرمه بقيت نسبته من النار تستدعى حظها ولا هاوكذا لكن من يدخل

قلت) فمم خلق الله تعالى هاتين الجنتين وهل خلقهما من مادة واحدة أم من مادتين (فالجواب) قد خلقهما الله من مادتين فأما الجنة المحسوسة فخلقها من رضاه وذلك الخلق كان بطالع الاسد الذى هو الاقليد ولذلك كانوا يقولون للشئ كن فيكون باذن الله تعالى وأما الجنة المعنوية التى هى روح هذه الجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح الالهى والكمال والابتهاج والسرور فكانت الجنة المحسوسة كالجسم وكانت المعنوية لها كالروح وقواه ولهذا سماها الله تعالى الدار الحيوان لحياتها فأهلها ينعمون فيها بها حساومعنى وقد ورد فى الحديث ان الجنة اشتاقت الى أربع بلال وعمار وعلى وسلمان فوصفها بالشوق الى هؤلاء وما أحسن موافقة هذه الاسماء فان بلالا مأخوذ من أبل الرجل من دائه اذا خلص منه وسلمان من السلامة من الآلام والامراض وعمار من العمارة أى بعمارة أهلها ايز ول ألم شوقها اليهم وأما على فهو من العلو أى يعلو على النار التى هى أختها وأطال فى ذلك ثم قال وتحقيق ذلك ان الناس فى هذه المسئلة على أربعة أقسام قسم يشتهى الجنة وتشتهيه الجنة وهم الاكابر من رجال الله عز وجل من رسول ونبي وولى كامل وقسم تشتهيه الجنة ولا يشتهيها هو وهم أرباب الاحوال من رجال الله الهائمون فى جلال الله عز وجل حتى حجبهم ذلك عن شهود الجنة ومافيها وهؤلاء دون القسم الاول لجهلهم بما تطلب حقائقهم وقسم يشتهى الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم عصاة الموحدين وقسم لا يشتهى الجنة ولا تشتهيه الجنة وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفى الجنة المحسوسة ولا خامس لهذه الاربعة أقسام (فان قيل) فما عدد أنواع الجنان (فالجواب) هى ثلاثة أنواع جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة أعمال (فان قيل) فمن أهل هذه الجنان (فالجواب) أما جنة الاختصاص فهى التى يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا حد العمل من أول ما ولد أحدهم الى انقضاء ستة أعوام غالبا و يعطى الله تعالى من شاء من عباده من جهة الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين عقلوا وأهل التوحيد العامى وأهل الفترات الذين لم يصل اليهم دعوة رسول من أهل التوحيد بالفطرة وأما أهل جنة الميراث فهم كل من دخل الجنة ممن ذكرناه من المؤمنين وهى الاماكن التى كانت معينة لاهل النار لو آمنوا ودخلوها وأما أهل جنة الاعمال فهى التى ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره فى وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر واعلم ان الرسل عليهم الصلاة والسلام ما فضلوا على غيرهم الا بجنة الاختصاص وأما فى العمل فيشاركهم غيرهم فيه (فان قلت) فاذن جنة الاختصاص الالهى لا تقبل التحجير ولا الوراثة ولا العمل (فالجواب) نعم وهو كذلك لانها انما هى فضل من الله تعالى يخص بها من يشاء من عباده (فان قلت) فكم فى جنة الاعمال درجة (فالجواب) درجاتها مائة درجة لا غير كما ان النار كذلك مائة درك كما مر فى مبحث النار * قال الشيخ محيي الدين ثم ان هذه المائة درجة تكون فى كل جنة من الجنان الثمانية وصورتها جنة فى جنة وأعلاها جنة عدن و يليها جنة الفردوس وهى أوسط الجنان و يليها جنة الخلد و يليها جنة النعيم و يليها جنة المأوى و يليها دار السلام و يليها دار المقامة وأما الوسيلة فهى اعلى درجة فى جنة عدن وهى لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة كما مر فى مبحث افضليته على سائر الانبياء والمرسلين وانما توقف حصولها له على دعاء أمته غيرة الهية ان ينفرد أحد دون الله تعالى بالغنى المطلق * وقال الشيخ محيي الدين ولا يخفى ان الراحة فى الجنة مطلقة وكذلك الرحمة وان كانتا ليستا

النار فى نسبته فى الجنة تستدعى حقها وملأها فقال له النار مكانك فى الجنة لو كنت آمنت بالله تعالى لدخلته فيزداد حسرة وندامة * قال
وأما أهل جنة الاعمال فهم أهل الاعمال الصالحة فمن لم يكن له عمل صالح فى دار الدنيا لا يكون له فى جنة الاعمال نصيب لان الناس انما ينزلون
فيها بأعمالهم فقط قال تعالى فى هذه الجنة ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وقال وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون قال وهذه الجنة
مشتملة على بضع وسبعين جنة على عدد شعب الايمان لا تزيد على عددها ولا تنقص والبضع من الواحد الى التسع فمن جمع شعب
الايمان كلها فهو الذى يتبوأ من الجنة حيث يشاء * قال وصورة تجاورة الجنان الثمانية بعضها بعضا صورة دوائر ثمانية جنة فى قلب جنة أعلاها جنة عدن وهى قصبة الجنة بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة ويلى جنة عدن فى العلو والفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار المقامة قال وكل جنة يصدق عليها اسم أخواتها فجنة النعيم جنة خلد ودار سلام وجنة مأوى ودار مقامة وهكذا * قال والوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعلى جنة عدن وتسمى فيها دار المقامة * قال ولسائر الجنان اتصال بهذه الوسيلة ليتنعموا بشهود طلعة صاحبها صلى الله عليه وسلم ويتفرع منها سائر الجنات فلها شعبة فى كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة فهى فى كل جنة أعظم منزلة تكون فيها * قال الشيخ فى الباب السادس والتسعين
ومائتين ودرجات الجنة على عدد دركات النار لانه ما من درجة الا ويقابلها درك من النار حتى انه تعالى لما قال فى أهل الجنة عليه
ولدينا مزيد قال فى أهل النار زدناهم عذابا فوق العذاب الا انه ليس فى النار دركة اختصاص كما سيأتى وايضاح ذلك ان الامر والنهى لا يخلو العبد
اما ان يعمل بهما أولا يعمل فان عمل بالامر كانت له درجة فى الجنة معينة لذلك العمل خاصة وفى موازنة هذه الدرجة المخصوصة لهذا العمل الخاص
إذا تركه الانسان درك فى النار لو سقطت حصاة من تلك الدرجة فى الجنة لوقعت على خط استواء فى ذلك الدرك من النار فاذا سقط الانسان

بأمر وجودى اذهما عبارة عن الامر الذى يلتذ به و يتنعم به المرحوم وذلك هو الامر الوجودى فكل من فى الجنة متنعم وكل ما فيها نعيم الا راحة النوم فان أهل الجنة ما عندهم من نعيمه شئ لعدم التعب والنصب وانما راحة النوم خاصة بأهل جهنم الكن فى أوقات كما تقدم فى الكلام عليها قال وهذا يدلك على ان النار محسوسة بلا شك ويؤيد ذلك قوله تعالى كلما خبت زدناهم سعيرا اذ النار لا تتصف بهذا الوصف الا من حيث قيامها بالاجسام لا من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة ولا النقص وانما الجسم المحرق بالنار هو الذى يسعر بالنارية وأطال فى ذلك (فان قلت) ان الله تعالى قد وصف الجنة بقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا مع انه ليس فى الجنة شمس ولا قمر فكيف يعرف أهل الجنة البكرة والعشى (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثامن والتسعين وثلثمائة ان لاهل الجنة مقادير يعرفون بها انتهاء مدة الشمس فى الدنيا فى طلوعها وغروبها فيعلمون بتلك المقادير حد ما كان فى الدنيا بكرة وعشيا وعند ذلك يتذكرون انه كان لهم فى الدنيا حالة تسمى الغداء والعشاء فيأتيهم الله عند ذلك التذكر برزق بكرة وعشيا فهو رزق خاص فى وقت خاص معلوم عندهم وما عدا ذلك فأكلها دائم لا ينقطع اذ الدوام فى الاكل هو عين النعيم الذى يكون به غذاء الجسم ولكن لا يشعر بذلك كثير من الناس وايضاح ذلك ان الانسان اذا أكل الطعام حتى شبع فليس ذلك بغذاء ولا هو يأكل على الحقيقة وانما هو كالجابى الجامع للمال فى خزانته والمعدة خزانة لما جمعه هذا الآكل من الاطعمة والاشربة فاذا جعل فيها أى فى المعدة ورفع يده فحينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير و ينتقل ذلك الطعام من حال الى حال وتغذيه بها فى كل نفس يخرج عنه دائما ولا يزال فى هذا دائما ولولا ذلك لبطلت الحكمة فى ترتيب نشأة كل متغذ ثم اذا دخلت الخزانة تحرك الطبع الجابى الى تحصيل ما يأخذها به فلا يزال الامر هكذا دائما أبدا فهذا هو صورة الغذاء فى المتغذى فعلم ان التغذى موجود فى كل نفس دنيا وأخرى وأطال الشيخ فى ذلك * وقال فى الباب الثامن والثمانين وثلثمائة فى قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة اعلم ان فى هذه الآية تعيين المعين وزيادة غير معين اذ الزيادة هى كل ما لا يخطر بالبال كما أشار اليه حديث ان فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر ولا بد أن يكون للبشر صفة غير معلومة ولا معينة منها يحصل له هذا الذى ذكر أنه ما خطر على قلب بشر موازنة مجهول لمجهول وفى القرآن العظيم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فنكر النفس ونفى العلم بما أخفى له من قرة أعين فعلمنا على الاجمال انه أمر مشاهد لكونه تعالى قرنه بالاعين ولم يقرنه بالاذن ولا بشئ من الادراكات وأطال فى ذلك (فان قلت) فما المراد بحديث الصور التى فى سوق الجنة هل هى برازخ أم لا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الباب الثانى والثمانين وثلثمائة انها كلها برازخ وذلك ان أهل الجنة يأتون الى هذا السوق من أجل هذه الصور التى تتقلب فيها أعيان أهل الجنة فاذا دخلوا هذا السوق صار كل من اشتهى صورة دخل فيها وانصرف بها الى أهله كما ينصرف بالحاجة مشتريها من السوق وقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخل فيها ويلبسها ويحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها بعينها واقف ينظر الى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل فى تلك الصورة وانصرف بها الى أهله والصورة كما هى فى السوق ما خرجت منه فلا يعلم حقيقة هذا الامر الذى نص

عليه الشرع ووجب به الايمان الا من علم نشأة الآخرة وحقيقة البرزخ وعلم تجلى الحق تعالى للقلوب وانه لا يكون الابصورة الاستعدادات اذ المشاهد لذلك يشهد ببصره تحوله فى الصور ويعلم عقلا انما ماتحولت قط لكل قوة أدركت بحسب ما أعطتها ذاتها وقد صدق الله تعالى العقل فى حكمه والبصر فى حكمه وله تعالى بنفسه علم آخر غير ما أدركه العقل والبصر انتهى (فان قلت) ما هذا الكثيب الابيض الذى يكون فى جنة عدن (فالجواب) هذا مسك أبيض تضع الملائكة عليه منابر الانبياء وأسرة الاولياء ومراتب المؤمنين كامر وجنة عدن هى قصبة الجنان وقلعتها وهى حضرة الملك الخاصة وحضرة خواصه لا يدخلها أحد من العامة الا بحكم الزيارة ذكره الشيخ فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة وأطال فيه ثم قال واعلم انه اذا أخذ الناس منازلهم فى الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رؤيته فيسارعون للرؤية على قدر مراتبهم ومسارعتهم الى الطاعات فى دار الدنيا سرعة وبطأ فان من الناس السريع ومنهم البطىء ومنهم المتوسط فاذا اجتمعوا فى الكثيب عرف كل شخص مرتبته علما ضروريا يجرى اليها فلا ينزل الا فيها كما يجرى الطفل الى الثدى والحديد لحجر المغناطيس ولو رام أحد أن ينزل فى غير مرتبته لما قدر ولو رام ان يتعشق لغير مرتبته لما استطاع بل كل واحد يرى فى منزلته انه بلغ منتهى أمله وقصده فهو متعشق لما هو فيه من النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا ولولا ذلك لكانت الجنة دار ألم وتنغيص عيش ولم تكن دار نعيم غير أن الاعلى له نعيم لما هو فيه فى منزلته وعنده نعيم الادنى وأدنى الناس من لا نعيم له الا بمنزلته خاصة واعلاهم الذى لا أعلى منه من له نعيم بالكل فعلم ان كل شخص مقصور عليه نعيمه وهذا حكم عجيب (فان قلت) فاذا وقع التجلى الالهى فهل هو عام لجميع المعتقدات فيأخذ كل واحد من ذلك التجلى الواحد حظه أم لكل شخص تجل مستقل (فالجواب) ليس هناك الا تجل واحد عام لسائر صور المعتقدات الشرعية فالتجلى واحد من حيث العين وكثير من حيث اختلاف الصور ثم ان الحق اذا رآه الخلق اذا زار بهم جل وعلا انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلى فظهر كل واحد منهم بنور على صورة ما شاهده بحسب استعداده (فان قلت) فهل من عرف الحق تعالى فى الدنيا فى سائر مراتب التنكرات الاسلامية يراه فى الآخرة كذلك أم لا (فالجواب) نعم يرى ربه فى صورة كل اعتقاد اسلامى فيا ألذها من رؤية فمثل هذا له نور كل معتقد كما ان من عرف الحق تعالى من طريق عقله فى طريقة من الطرق كان نوره بحسب تلك الطريقة فقط وقد تقدم فى مبحث رؤية الله عز وجل أقسام الناظرين الى ربهم فى الدار الآخرة ومراتبهم فراجعه (فان قلت) فهل شجرة طوبى أصل لجميع شجر الجنان كآدم عليه السلام لما جمع فى ظهره من البنين (فالجواب) نعم هى لجميع شجر الجنان كآدم بالنسبة لبنيه فان الله تعالى لما غرسها بيده وسواها نفخ فيها من روحه كما نفخ فى مريم عليها السلام ولذلك كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص من العلل التى لا دواء للعالم على برئها من حيث هو انسان فكما ان شرف آدم كان باليدين ونفخ الروح وكان ثمرة ذلك النفخ علم الاسماء كذلك كان شرف شجرة طوبى بغرسها باليد كما يليق بجلاله تعالى ونفخ الروح فيها وكان ثمرة ذلك النفخ تزينها بثمر الحلى والحلل اللذين هما زينة لكل لابس فاعطت شجرة طوبى كل ما فيها من ثمر الجنة كما أعطت النواة النخلة جميع ما تحمله من النوى الذى فى جميع ثمرها (فان قلت) فد

من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه الى ذلك الدرك قال واعلم ان الاعراف هو درج العمل بالامر والنهى ودرك ترك العمل بهما فهو ما منع صاحب الاعراف من النزول الى درك تلك الاعمال السيئة الا التوحيد وأطال فى ذلك ثم قال واعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم مل الجنان فالولى تنعم بجنته الا وهو صلى الله عليه وسلم متنعم بنعمته مشارك له فيها لان الولى ما وصل الى ذلك الا باتباعه له صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قائما به فى نعمه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة (٣٣٥) حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فله صلى الله عليه وسلم أجر جميع الانبياء ومن تبعهم لكونه نبي الانبياء ولكل نبي أجر من تبعه من غير أن ينقص من أجرهم شئ قال وأما منزلته صلى الله عليه وسلم يوم الزور الاعظم على يمين العرش ومنزلته يوم القيامة بين يدى الحكم العدل من حضرات الاسماء الالهية لتنفيذ الاوامر الالهية فكل أهل موقف يأخذون عنه فى ذلك الموطن لانه وجه كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب اعلام من الله تعالى يفهم عنه ما يريد على لسان ملك بصوت وحرف لكمال النعيم والانس وأما شجرة طوبى فهى فى منزل الامام على بن أبي طالب رضى الله عنه وهى بجانب مظهر نور فاطمة الزهراء رضى الله عنها فما من جنة ولا درجة ولا بيت ولا مكان الا وفيه فرع من شجرة طوبى وذلك ليكون سر كل نعيم فى كل جنة ونصيب كل ولى فيها من نور ابنته فاطمة رضى الله عنها فى جانب ذلك الفرع وأطال الشيخ فى ذلك فى الباب الحادى والسبعين وثلثمائة وقال فشجرة طوبى لجميع شجر الجنات كلها كآدم لما ظهر فيه من البنين وذلك ان الله تعالى لما غرس شجرة طوبى بيده ونفخ الروح زينها بثمر الحلى والحلل اللذين هما زينة لكل لابس فنحن على التحقيق أرضها كما قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وأعطت من حقيقتها ثمار الجنة عين ما هى عليه كما أعطت النواة النخلة وما تحمله مع النوى الذى فى ثمرها انتهى * قال واعلم ان جميع التفاضل الواقع فى النعيم بين الانبياء انما هو من حيث جنة الاختصاص وأما جنة الاعمال فهم فيها متساوون من حيث ان كل عامل لخير له جنة جزاء عمله ويقع التفاضل بحسب المشاهد فى الاعمال وقوة

تقدم مذهب الشيخ أبي طاهر رحمه الله في توالد أهل الجنة فما مذهب الشيخ محيي الدين في ذلك (فالجواب) أن مذهبه وجود التناسل في الجنة ووقوع التوالد من حيث الاجسام والارواح وعبارته في الباب التاسع والستين وثلثمائة اختلف أصحابنا في هذا النوع الانساني هل تنقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا فمن لم يكشف له قال بانتهائه ومن كشف له قال بعدم انتهائه * وقال ان التوالد في الآخرة في هذا النوع الانساني باق في المثل اذ الحق تعالى لم يوجد شيأ في العالم الذي لا أكمل منه الا وله مثال في خزائن الجود في كرسيه تعالى وتلك الامثال التي يحوي عليها تلك الخزائن لا تتناهى أشخاصها فالامثال في كل نوع توجد في كل زمان فرد في الدنيا والآخرة لبقاء كل نوع وجدمنه (فان قلت) فهل الحور العين على صورة نساء الدنيا أم لا تشبهها الا في الاسم فقط كما قاله ابن عباس بالنظر الى فواكه الجنة وما كيفية جماع الحور العين (فالجواب) صورة خلق جميع الحور العين على صورة خلق الانس مع انهن لسن بأناسي وأما صورة نكاحهن فكما ينكح الرجل منا المرأة الآدمية الانسانية كذلك ينكح الحور في الزمن الفرد وهذا النكاح خاص بالسعداء من بني آدم فليس للاشقياء نصيب من النكاح في النار * قال الشيخ محيي الدين في الباب التاسع والستين وثلثمائة بعد كلام طويل فعلم أن الرجل منا لو أراد أن ينكح جميع ما عنده من النساء والحور العين لنكحهن في لحظة واحدة من غير تقدم ولا تأخر لخرق العوائد هنالك وذلك مثل فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فهي تقطف دائما من غير فقدان مع وجود أكل وطيب طعم فاذا أفضى الرجل الى الحوراء أو الانسية كان له في كل دفعة شهوة ولذة لا يقدر قدرها لو وجدها أهل الدنيا الغشي عليهم من شدة حلاوتها فيكون من الشخص في كل دفعة ريح مثيرة تخرج من ذكره فتتلقاها رحم المرأة فيتكون من حينه فيها ولد في كل دفعة وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج مولودا مصورا مع النفس الخارج من المرأة وحاجرا طبيعيا فهذا هو صورة التوالد الروحاني في البشر مع الجنس المختلف والمتماثل ولا يزال الامر كذلك دائما أبدا (فان قلت) فهل يشاهد الابوان ما تولد عنهما من ذلك النكاح أم لا (فالجواب) نعم يشاهدان ما تولد منهما من ذلك النكاح ثم تخفى تلك الاولاد عنهما فلا يعودون كالملائكة التي تدخل البيت المعمور كل يوم لا يعودون اليه أبدا (فان قلت) فهل لهؤلاء الاولاد حظ في النعيم المحسوس (فالجواب) كما قاله الشيخ محيي الدين ليس لهؤلاء الاولاد نعيم محسوس ولا معنوي وانما نعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا بما يراه في حال نومه وذلك لما يقتضيه النشء الطبيعي فلا يزال النوع الانساني يتوالد لكن على هذا الحكم الذي ذكرناه (فان قلت) فما صورة توالد الارواح البشرية فانه بلغنا أن لها في الآخرة مثل ما لها في الدنيا من الاجتماعات البرزخيات مثل ما يرى النائم في النوم (فالجواب) ان صورة توالد الارواح في الآخرة صورة ما يرى النائم في الدنيا انه نكح زوجته وولدله ولد فكل من أقيم في هذا المقام ونكح زوجته من حيث روحها وروحه ولدله أولاد من ذلك النكاح الذي بينهما روحانيون يخالف حكمهم حكم المولودين من النكاح الحسي في الاجسام والصور المحسوسات فتخرج الاولاد ملائكة كراما الابل أرواحا طاهرة فهذه صورة توالد الارواح لكن لابد أن يكون ذلك عن تجل برزخي كتجلي الحق تعالى في الاحوال المقيدة فان البرزخ أوسع الحضرات لقبوله وجود المحالات العقلية فاذن صورة نكاح أهل الجنة صورة نشء الملائكة أو الصور من أنفاس الذاكرين

الاستعداد وضعفه * قال وأما الطائفة الذين يطعمهم الله تعالى في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهم أهل التوحيد في الافعال الذين يشهدون أعمالهم خلقا لله لا لهم حال مباشرة الاعمال فيعملونها امتثالا لامر الله من غير أن ينسبوا لها في أنفسهم جزاء فكان جزاؤهم غير محدود وذلك لان عيونهم لم ترأعمالهم وآذانهم لم تسمع به ولم تخطر أعمالهم على قلب بشر من غيرهم أو منهم لتجردهم عنها لله وحده ما عدا نسبة التكليف قال ويعرف (٣٣٦) أهل الجنة فيها الليل والنهار بالكشف والرؤية والمقادير التي في الفلك الاطلس المسمى بالبروج فيعلمون بذلك حد ما كان عليهم في دار الدنيا مما يسمى بكرة وعشيا وكان لهم في هذا الزمان في الدنيا حالة تسمى الغداء والعشاء فيتذكرونها هنالك فيأتيهم الله تعالى برزق خاص في ذلك الوقت الخاص فلذلك قال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اذ لا شمس هنالك ولا قمر قال ومعنى قوله تعالى في الجنة أكلها دائم ان الاكل لا ينقطع عنهم متى اشتهوه لا انهم يأكلون دائما فالدوام في الاكل هو عين التنعم بما يكون به الغذاء للجسم فاذا أكل الانسان حتى شبع فليس ذلك بغذاء ولا بأكل على الحقيقة وانما هو كالجابي الجامع للمال في خزائنه والمعدة جامعة لما جمعه هذا الآكل من الاطعمة والاشربة فاذا اختزن ذلك في معدته ورفع يده فحينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير وينتقل ذلك الطعام من حال الى حال ويغذيه بها في كل نفس فهو لا يزال في غذاء دائم ولولا ذلك لبطلت الحكمة في ترتيب نشأة كل متغذ ثم ان الخزانة اذا خلت من الاكل حرك الطبع الجابي الى تحصيل ما يملؤها به وهكذا على الدوام قال فهذا معنى قوله أكلها دائم وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة فراجعه قال واعلم ان الحركة التي كانت تسير بالشمس ويظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة في الفلك الاطلس الذي هو سقف الجنة وجميع الكواكب السيارة في النار كلها سابحة في أفلاكها الآن في أفلاكها على حد سواء قال ولولا ذلك ما عرف أهل التقويم الآن متى يكون الكسوف ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن أعيننا ولولا المقادير الموضوعة والموازين المحكمة التي

قد علمها الله تعالى لامة ومن ماعلم أحد منهم ذلك قال واعلم ان الكثيب الذي في جنة عدن هو مسك أبيض وجنة عدن هي قصبة الجنان وقلعتها
وحضرة الملك الخاصة ولا يدخلها الا الخواص الا بحكم الزيارة قال وفي هذا الكثيب منابر وأسرة وكراسي ومراتب لان أهل الكثيب أربع
طوائف رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنون وكل صنف منهم متفاضل وان اشتركوا في المنابر مثلا قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقال
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وقال ورفع بعضكم فوق بعض درجات يعني الخلق فدخل فيه جميع بني آدم دنيا وآخرة فاذا أخذ الناس
منازلهم في الجنة استدعاهم الحق تعالى الى رؤيته فيسارعون على قدر مراتبهم ومشيهم هنا في طاعة ربهم فان منهم البطيء ومنهم السريع
ومنهم المتوسط ويجتمعون في الكثيب وكل شخص يعرف مرتبته علما ضروريا يجري اليها ولا ينزل الا فيها كما يجري الطفل الى
الثدي لو رام احدهم أن ينزل
في غير مرتبته لما قدر ولو رام
ان يتعشق بغير منزلته لما
استطاع بل يرى في منزله انه
قد بلغ منتهى أمله وقصده
فهو يتعشق بما هو فيه من
النعيم تعشقا طبيعيا ذاتيا
ولولا ذلك لكانت دار ألم
وتنغيص ولم يكن جنة ولا
دار نعيم غير ان الاعلى له نعيم
بما هو فيه في منزلته وعنده
نعيم الادنى قال وأدنى الناس
منزلة مع انه ليس هناك أدنى
من لا نعيم له الا بمنزلة خاصة
وأعلاهم الذي لا أعلى منه
من له نعيم بالكل فعلم أن كل
شخص نعيمه مقصور عليه
فما أعجب هذا الحكم ثم اذا
نزل الناس في الكثيب
للرؤية وتجلى الحق تعالى
تجليا عاما كان التجلي واحدا
من حيث العين وكثيرا من
حيث اختلاف الصورة فاذا
رأوه انصبغوا عن آخرهم
بنور ذلك التجلي فمن علمه في كل
معتقد شرعي فله نور كل
معتقد ومن علمه في اعتقاد خاص لم يكن له سوى نور صورة ذلك المعتقد قال واعلم أن الخلق في حال
الرؤية لابد أن يفنوا عنهم فلم يقع لهم لذة في زمان رؤيتهم فان اللذة عند أول التجلي حكم سلطانها عليهم فافنتهم عنها وعن أنفسهم فهم في اللذة
في حال فناء لعظيم سلطانها قال وهذا ذوق غريب لا يعرفه الا من ذاقه فاذا ذاق لا يقدر على انكاره من نفسه قال واذا وقع لاهل الجنة رؤيته
عز وجل كان الناس فيها على اقسام فمنهم من يرى ربه بباصرة العين ومنهم من يراه بكلها ومنهم من يراه بجميع وجهه ومنهم من يراه بجميع
جسده وهذه تكون للانبياء وكمل ورثتهم بحكم التبع لهم قال وليس بين الخلق وبين ربهم هناك الا حجاب العظمة لا غير وهو انهم يرونه
بقدر وسعهم وطاقتهم لا غير من غير احاطة فقصورهم عن الاحاطة هو حجاب العظمة قال وتشبيهه صلى الله عليه وسلم رؤيتنا لله تعالى برؤيتنا
للشمس والقمر ليس المراد به رؤيتنا لهما حال ضوئهما وانما المراد رؤيتنا لهما حال كسوفهما لان البصر عند ذلك يدرك ذات الشمس والقمر

لله تعالى وما يخلق تعالى من صور الاعمال كما صحت بذلك الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطال في
ذلك في الباب السابق (فان قلت) فما الحكمة في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم دون أن يقول
ولكم فيها ما تريد أنفسكم (فالجواب) الحكمة في ذلك كما قاله الشيخ في الباب الثامن والعشرين
وثلثمائة ان ما كل مراد مشتهى اذ الارادة تتعلق بايجاد ما يلتذ به وبما لا يلتذ به وأما الشهوة فانها خاصة
بالملذوذ ولذلك كان السعداء يأخذون الاعمال بالارادة والقصد ويأخذون النتائج بالشهوة فمن
رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته فقد عجل له نعيمه ومن رزق الارادة في حال
العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة ينال النتيجة بشهوة ولكنها مرتبة دون الاولى (فان قيل) لم كانت
الشهوات في الآخرة لا تمنع شهود تجليات الحق تعالى ولا تحجب صاحبها كما هو حكم تناول الشهوات
في هذه الدار مع ان اللذة بالشهوات في الدار الآخرة أعظم من لذة شهوات الدنيا (فالجواب) انما كانت
شهوات الآخرة لا تحجب عن الله تعالى لان التجلي هناك على الابصار وليست الابصار بمحل للشهوات بخلاف
التجلي في هذه الدار فانما هو على البصائر والبواطن دون الظواهر ومعلوم ان البواطن هي محل الشهوات
ولا تجتمع الشهوات المذمومة والتجلي الالهي في محل واحد أبدا فلذلك جنح العارفون والزهاد في هذه
الدار الى التقلل من نيل شهوات النفوس في هذه الدار حين رأوها حاجبة لهم عن شهود الامر على
ما هو عليه اذ المانع عن ادراك العلوم والانوار والتجليات انما هو كدورات الشهوات والشبهات
الهادمة لركن الورع الشرعي في الجوارح مع ان كدورات الشهوات تؤثر في الاستعداد وتورث الحجاب
وان كان المطعم والمشرب والمنكح مثلا حلالا فافهم ذكره في الباب الخامس عشر من الفتوحات
(فان قيل) فكم يزور العبد ربه في كل يوم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن
والتسعين ومائتان زيارة كل عبد لربه في الجنة تكون على قدر صلاته كما ان رؤيته له في الآخرة
تكون على قدر حضوره معه في صلاته كما أن مجالسته لربه تكون على قدر فعله للواجبات والمندوبات وترك
الحرام والمكروهات في دار الدنيا كما ان مجالسة العبد لربه في المباح تكون على حسب النية فيه فان شهد العبد
ربه أو بنية صاحب التشريع في فعله للمباح ولم يفعله مع الغفلة كما هو الغالب كان حكمه حكم المندوب
فيحضر مع ربه هناك كما يحضر معه في فعل المندوب وان حجب عن ذلك وفعل المباح مع الغفلة فليس له حظ
مما ذكرناه (فان قلت) فهل نبق سدرة المنتهى يكون على عدد أهل الجنة كما قيل من غير زيادة أم هو
زائد على عددهم كما هو الحكم في فواكه الدنيا (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب السابق أن نبقها يكون
على عدد نسمة السعداء وأعمالهم بل نقول ان النبق عين أعمالهم وأطال في ذلك ثم قال نعلم انه ليس في جنة

التى لا تقبل الزيادة النورية ولا النقصان فهذا هو الادراك الحق لذات الشمس ولذلك لما قيل له صلى الله عليه وسلم أرأيت ربك يارسول الله فقال نور أنى أراه يعنى كيف أراه ونور مشائى يخطف الابصار لانه ليس من جنس النور المخلوق فالتشبيه من حيث ادراك الذات ليكمل به النعيم لا من حيث الاحاطة فنحيط بالحق تعالى كما نحيط بالشمس والقمر حال الكسوف وغيره فافهم ثم قال يعلم ان نور الرب الذى يقع فيه التجلى يوم القيامة وفى الجنة لا شعاع له فلا يتعدى ضوءه نفسه وذلك يدركه البصر وهو فى غاية الوضوح قال وأقسام الناظرين الى الحق تعالى لا تحصر اذ الرؤية تابعة لاعتقادهم فى دار الدنيا سعة وضيقا اجلالا وتعظيما وذلك ليجني كل أحد ثمرة اعتقاده فمنهم من حظه النظر الى ربه لذة عقلية ومنهم من حظه لذة نفسية ومنهم من (٣٣٨) حظه لذة حسية ومنهم من حظه لذة خيالية ومنهم من حظه لذة مكيفة ومنهم من حظه لذة غير مكيفة ومنهم من حظه لذة ينقال تكييفها ومنهم من حظه لذة لا ينقال تكييفها وهكذا فهم درجات عند الله كما كانوا فى الدنيا والفطر مختلفة من أصل المزاج الذى ركبها الله عز وجل عليه قال وهذا هو السبب فى اختلاف نظار الخلق بافكارهم فى المعقولات فما هؤلاء فى لذة النظر مثل ما تخيل اليهم فى نظرهم سواء قال واعلم ان خواص الاولياء والعلماء لا ينظرون ربهم الا فى مرآة نبيهم صلى الله عليه وسلم لكونها أكمل المرايا اذ هى حاوية لجميع المرايا قال وغير الخواص من الاولياء والعلماء ينظرون فى مرايا من هم على اقدامهم من الانبياء السابقين وذلك لان تجليه تعالى فى معارف قلوب الانبياء أتم وأكمل من تجليه فى قلوب غيرهم لاسيما فى باب الايمان بما جاءت به الرسل من الصفات التى تحيلها العقول فالكامل من لا يطأ أمكانا لا يرى فيه قدم الاتباع لنبيه صلى الله عليه وسلم أبدا قال ومن الاولياء من يطلعه الله تعالى انه على مستند كل معتقد فهذا يشارك الكل فى نعيم الرؤية فما أعظمها من لذة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * قال الشيخ رحمه الله وأما النار أعاذنا الله منها فاعلم يا أخى ان الله تعالى خلقها من تجلى قوله تعالى فى الحديث القدسى جعت فلم تطعمنى وظمئت فلم تسقنى الحديث وهذا من أعظم تنزل تنزل الحق تعالى به لعباده لطفا بهم ورحمة فمن هذه الصفة خلقت النار ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين قال واعلم ان عذاب أهل النار انما هو بما يكون فى النار لا بنفس النار اذ النار انما هى دار سجن أهلها وسكناهم لا غير وانما عذاب أهلها ابتلاء الله تعالى فيهم من الآلام متى شاء فعذابهم حقيقة من الله تعالى وهم محل له قال ونضج الجلود فى جهنم ليس عن النار حقيقة وانما هو متولد بين النار وأهلها انشأ من تجاورهما الا ان نفس جمرات النار محرقة بالنار فما هى النار انظر وتأمل * قال وما فى النار من الزمهرير

الاعمال قصر ولا طاق الا وغصن من أغصان هذه السدرة داخل فيه وفى ذلك الغصن من الثمر على قدر ما فى العمل الذى هو الغصن صورته من الحركات (فان قلت) فما حكم ورقها فى الحسن وعدمه (فالجواب) حكم ورقها ان فيه من الحسن بقدر ما حضر العبد فى ذلك العمل الذى الورق مظهره كما ان عدد أوراق كل غصن يكون على عدد ما فى ذلك العمل من الانفاس * قال الشيخ محيى الدين واعلم أن أسعد الناس بهذه السدرة أهل بيت المقدس كما ان أسعد الناس بالمقدس أهل الكوفة كما ان أسعد الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الحرم المكى كما ان أسعد الناس بالله عز وجل أهل القرآن اه ولم أطلع لهذا الكلام على دليل والله أعلم (فان قيل) فما حكمة الاكل من هذه الشجرة (فالجواب) حكمته زوال الغل من قلوب أهل الجنة فلا يزول الغل من قلب أحد منهم الا ان أكل منها والله أعلم (فان قلت) فما المراد بقوله تعالى فى فاكهة الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة هل المراد بذلك انها لا تنقطع فى فصول السنة أم المراد غير ذلك (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب التاسع والتسعين ان المراد بذلك عند بعضهم ما ذكر فى السؤال وهو ان الفاكهة تنقضى بانقضاء زمانها ثم تعود فى السنة الآخرة وان المراد انها دائمة التكوين لا تنقطع فهذا مبلغ علم العقول والذى عندنا نحن من العلم فى قوله لا مقطوعة ولا ممنوعة ان الله تعالى يجعل اكلها اذا قطعها ما يسمى قطفا وتناولا كما جعل الله تعالى لعالم الجن فى العظام رزقا وما نرى ينقص من العظام شئ فنحن بلا شك نأكل من ثمر الجنة قطفا مع كون الثمرة فى موضعها من الشجرة ما زالت عنه الانها دار بقاء يتكون فيها الامور ولذلك سميت دار تكوين لا دار اعدام ونظير ذلك سوق الجنة يدخل المؤمن فى أى صورة شاء من صور السوق مع كونه على صورته لا ينكره أحد من أهله ونحن نعلم ان قد لبسنا صورة جديدة تكوينية مع بقائنا على صورتنا فأين العقول والمعقول هنا (فان قيل) فهل يحجب أهل الجنة عن شئ منها أم هى كلها مشهودة لهم (فالجواب) ان من خصائص أهل الجنة انهم لا يغيب عنهم شئ من العالم بل العالم كله على مراتبه مشهود لهم مع كونهم غير متصفين بالنوم كما مر ايضاحه (فان قيل) هل يتنعم أهل الجنة بالتمنى (فالجواب) نعم يتنعمون بذلك بل هو من أعظم نعيمهم فلا يتوهم أحد منهم فوق نعيمه أو يتمناه الا حصل ووجد نفسه فيه (فان قيل) فما سبب اعطائهم هذا النعيم المقيم والجزاء العظيم الزائد على مدة طاعاتهم فى دار الدنيا (فالجواب) السبب فى ذلك نيتهم الصالحة التى كانوا عليها فى دار الدنيا وذلك ان أحدهم كان يتمنى لو أنه عاش أبد الآبدين لكان مطيعا لله تعالى لا يشرك به شيأ عكس أهل النار فلما قصرت بالمؤمن العناية الالهية ولم يستوف ما نواه من دوام الاعمال أعطاه الله تعالى نظير هذا التمنى فى الجنة فيكون له فيها كل ما يتمناه فلحق هذا بأصحاب تلك الاعمال التى كان نواها أبد الآبدين مع راحته فى دار الدنيا من التعب كما ورد ذلك فيمن نوى

أنه يقوم من الليل فأخذ الله روحه الى الصباح يكتب الله تعالى له أجر قيامه الذي نواه (فان قلت) قد بلغنا ان لنا جنة برزخية أخرى فما هي تلك الجنة (فالجواب) قد أشار القرآن الى هذه الجنة ولم يصرح بها وذلك في نحو قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى * قال الشيخ محيي الدين وانما كانت هذه الجنة برزخية لانها ما هي محسوسة كقوله تعالى متكئين على سرر مصفوفة ولا هي روحانية كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس قال وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومأنا اليه من النعيم الروحاني فقال للحواريين حين أوصاهم بوصية وفرغ منها اذا فعلتم ما أمرتكم به كنتم غدا معي في ملكوت السماء عند ربي وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه وأنتم هنالك ملتذون بجميع اللذات من غير أكل ولا شرب اهـ * قال الشيخ وانما صرح المسيح بذلك ولم يرمزه كما رمز كتابنا لان خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة ومطالعة كتب الانبياء وكانوا متهيئين لتصورها وقبولها بخلاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه اتفق مبعثه في قوم أميين أهل براري وجبال غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا فضلا عن معرفتهم بنعيم ملوك الآخرة فلذلك جاء أكثر أوصاف الجنان في كتابهم جسمانية تقريبا لفهم القوم وترغيبا لنفوسهم اهـ (فان قيل) فما الحكمة في كون أنهار الجنة أربعة من غير زيادة (فالجواب) انما كانت أربعة لان التجلي العلمي لا يقع الا في أربعة صور ماء ولبن وخمر وعسل ولكل قسم من هذه الاربعة أهل فأهل أنهار الماء هم أصحاب العلوم التي يدخلها الآراء وأصحاب أنهار اللبن الحليب الذي لم يتغير طعمه لعقده أو مخضه أو تربيبه لاصحاب الاستنباط الصحيح من الائمة المجتهدين وأصحاب أنهار الخمر هم الامناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه الصلاة والسلام وأصحاب أنهار العسل المصفى هم أهل العلم بالله تعالى وبشرائعه من طريق الوحي والايمان وصفاء الالهام اهـ (فان قلت) فما صفة التكوين الذي يعطاه أهل الجنة (فالجواب) صورته ان كل ما خطر لاحدهم تكوين شئ يكون أسرع من لمح البصر فلا يزال أهل الجنة يكونون ما شاؤا بارادة الله تعالى لارتفاع الافتقار والذلة هناك فان الذلة خاصة بأهل النار وما عند أهل الجنة الا العز (فان قلت) هل الحكم الاعظم في الجنة للاجسام أم للارواح (فالجواب) الحكم في الجنة للارواح لا للاجسام عكس الدنيا فتنطوي أجسام أهل الجنة في أرواحهم وتكون الارواح ظروفا للاجسام ويكون الظهور والحكم للارواح ولهذا يتحولون في أي صورة شاؤا كما هم اليوم عندنا الملائكة وعالم الارواح دون الاجسام * قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وقد زل بعض أهل الكشف فقال تحشر

هو أحد أركان النار لان الحقائق لا تتبدل وقد خاطب الله تعالى النار بقوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلولا أن من حقيقتها البرد ما بردت فالنار تقبل البرد كما تقبل الحرارة سواء (قلت) وهذا المحل يحتاج الى تأمل وتحرير وقد أطال الشيخ الكلام على النار في الباب الحادي والستين والباب الثاني والستين من الفتوحات والله أعلم قال واعلم ان النار لا تحرق من عصاة الموحدين الا جوارحهم الظاهرة فقط لان ايمانهم يمنع من تخلصها الى قلوبهم فانظر يا أخي عناية التوحيد بأهله كيف أمات جوارح جسده حتى لا تحس بالنار فهم كالنائم سواء حتى تأتيهم الشفاعة فاذا بعثهم الله من تلك النومة وجد والعيا نائم على باب النار ينتظرهم فاذا غمسوا في نهر الحياة الذي على باب الجنة دخلوا الجنة فلا يبقى في النار من علم أن الله اله واحد جملة واحدة قال ومحل ظهور سلطان الغضب في جهنم انما هو (٣٣٩) اذا دخل أهلها اليها اما اذا لم يكن فيها أحد فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها منهم متنعمون متلذذون يسبحون الله لا يفترون قال وانما احتاجت النار الى جرها بالسلاسل كما ورد لغلبة الرحمة منها على الموحدين فتقول أسأل شيأ فشيأ أهل الله تعالى أن يتطاول بالرحمة على عباده كما هو شأن بطانة الخير عند الملك فاذا حق الغضب الالهي على قوم غضبت لغضب الحق كما انه صلى الله عليه وسلم يقول سحقا سحقا لمن أخذ بهم ذات الشمال من أمته حين يقال له انك لا تدري ما أحدثوا بعدك بعد أن كان قال أمتي أمتي أول ما رآهم وهم يسحبون الى النار * وقال في موضع آخر انما امتنعت جهنم من الاتيان بسرعة واحتاجت الى جرها بالسلاسل للرحمة القائمة بها على من تنتقم منه وذلك لانها ما فتحت عليها من حين خلقت الاعلى مسبحة بحمده لا تعرف ما هي الاحكام التي استحق بها المكلف النار الا أن تعلم ذلك باعلام من الله تعالى فاذا جيء بها وأمرت بالانتقام من الجبابرة والعصاة جذبت اليها أهلها بالخاصية جذب المغناطيس للحديد وذلك لان الشهوات والافعال المحرمة كانت تجذبهم الى النار ورسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحجزهم عنها وهم يتفلتون من يده قال وقد أوجد الله تعالى جهنم بطالع الثور ولذلك كان صورتها صورة الجاموس وكان طعام أهلها اذا دخلوها طحال الثور الذي هو بيت الدم والاوساخ ومحل يجتمع فيه الدم الفاسد اذ الثور حيوان ترابي طبعه البرد واليبس فناسب ذلك أهل النار أشد مناسبة فيما فيه من الدمية لا يموت أهل النار وبما فيه من أوساخ البدن والدم الفاسد المؤلم لا يحيون ولا ينعمون بل كلما أكلوا من ذلك ازدادوا مرضا وسقما قال واعلم أن محل النار ما تحت مقعر أرض الجنة الذي هو سقف النار وبهذه النار يكون صلاح ما في الجنة من المأكولات والفواكه كما تؤثر الشمس النضج في فواكه أهل الدنيا والشمس والقمر والنجوم كلها في النار تفعل في الاشياء هنالك

النضج في العلو كما كانت تفعل النضج هنا في السفل قال وكما هو الامر هنا كذلك ينتقل الامر هناك بالمعنى وان اختلفت الصور والاحكام ألا ترى أن أرض الجنة مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النارية وأشجار الجنة مغروسة في تلك التربة المسكية فالمسك هناك بمثابة الزبل هنا في تعفين الارض لتطييب الثمر كما ذكره الشيخ في الباب السادس والثمانين قال واعلم أن جميع الكواكب التي في جهنم مظلمة الانوار لانور لها فالقمر والشمس مظلمان ويغربان في النار لكن بلا نور فصورة الكواكب فيها كصورة الكسوف التام عندنا فشمس جهنم شارقة لا مشرقة قال واعلم لم يكن أهل النار يشهدون نور الكواكب لما في الدخان من الكدورة وكما كانوا في الدنيا عمياء عن ادراك ما جاءت به الشرائع من الحق كذلك صاروا عميا في النار عن ادراك (٣٤٠) الانوار فليل أهل النار لا صباح له كما أن نهار أهل الجنة لا ليل له قال ولا يزال هذا الامر لفريقين أبد الآبدين ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لانه لا يوم بعده قال وهو يوم السبت لان القيامة تقوم يوم الجمعة وما يجيء وقت الضحى من يوم السبت حتى يقع جميع ما في يوم القيامة من الحساب وتعمر الداران باهلهما من ذلك الوقت وتغلق جهنم على أهلها غلقا لا فتح بعده وترى الخلق والشياطين فيها كقطع اللحم في القدر اذا أوقدت تحته نار قوية نسأل الله العافية (قلت) وتمام استقرار أهل كل من الدارين فيهما قبل انتهاء ضحى ذلك اليوم على ما سيأتي في انتهاء الكتاب عند قول الشيخ وينقضي يوم القيامة جميع ما فيه من المؤاخذات قال واعلم أن الفلك المكوكب مخلوق في جوف الفلك الاطلس وما بينهما من خلق الجنات بما فيها فهذا الفلك أرضها والاطلس سماؤها قال ومقعر فلك الكواكب هو الدار الدنيا ومن هناك الى ما تحته يكون استحالة جميع ما تراه الى الآخرة فينتقل من ينتقل من الدنيا تنى الى الجنة من انسان وغير انسان وما بقي بعد ذلك فهو في النار ذكره في الباب الحادي والسبعين والثلثمائة فعلم ان حد النار من مقعر فلك الكواكب الثابتة الى أسفل سافلين وذلك بعد فراغ الناس من الحساب قال واعلم ان أهل النار الذين لا يخرجون منها أربع طوائف المتكبرون والمعطلة والمنافقون والمشركون ويجمعها كلها المجرمون قال تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون أي المستحقون لان يكونوا أهلا لسكنى النار فهؤلاء الاربع طوائف هم الذين لا يخرجون من النار من انس وجن قال وانما جاء تقسيمهم الى أربع طوائف من غير زيادة لان الله تعالى ذكر عن ابليس انه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار الا بواسطته فهو يأتي المشرك من بين يديه و يأتي للمتكبر من عن يمينه و يأتي للمنافق من عن شماله و يأتي للمعطل من خلفه قال وانما جاء للمشرك من بين يديه لان المشرك رأى بين يديه

الارواح دون الاجسام حين رأى تطاير أهل الجنة كيف شاؤا وغاب عنه ما قلناه من انطواء الاجسام في الارواح فلو حقق الكشف في نظره لرأى الاجسام منطوية في الارواح (فان قلت) فهل تتفاوت أجسام أهل الجنة في الصفاء (فالجواب) نعم تتجوهر أبدانهم بحسب صفاء أعمالهم الصالحة في دار الدنيا فكل من كان أكثر اخلاصا في عمله وعلمه وتوحيده كان أنور وأشف (فان قلت) فاذا كان أهل الجنة ترشح أبدانهم مسكا وليس لهم فضلات كالدنيا فهل يكون لهم أدبار أم لا (فالجواب) لم يرد لنا في ذلك شيء من طريق النقل والذي يظهر انه ليس لاهل الجنة أدبار مطلقا لان الدبر انما جعل في الدنيا مخرجا للغائط ولا غائط هناك ولولا أن فرج الرجل يعني ذكره يحتاج اليه في جماع زوجته هناك أو للولادة ان وقعت لما كان لاهل الجنة ذكر ولا فرج (فان قلت) فكم عدد درجات الجنة (فالجواب) هي على عدد شعب الايمان لا تزيد ولا تنقص وقد ورد أن شعب الايمان بضع وسبعون شعبة والبضع من الواحد الى التسع فمن اجتمع فيه شعب الايمان كلها فهو الذي يتبوأ من الجنة حيث يشاء قال الشيخ محيي الدين وصورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضا صورة دوائر ثمانية جنة في قلب جنة أعلاها جنة عدن بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية اسوار بين كل سورين جنة ويلي جنة عدن في الفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم الى آخرها كما مر قال وكل جنة من هذه الجنان يصدق عليها اسم أخواتها فجنة النعيم مثلا جنة خلد ودار سلام وجنة مأوى وجنة مقامة الى آخره (فان قلت) فهل لهذه الجنان اتصال بمنزلة الوسيلة الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كونه هو المشرع لاتمامه لوابه الى دخول الجنة (فالجواب) نعم ما من جنة من هذه الجنان الا وهي متصلة بمقام الوسيلة وذلك لتنعم وابتهود طاعته صلى الله عليه وسلم فسائر الجنان تتفرع من مقام الوسيلة فلها شعبة في كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد صلى الله عليه وسلم لاهل تلك الجنة فهي في كل جنة أعظم منزلة تكون فيها (فان قلت) فهل درجات الجنة موازية لدركات أهل النار كما قيل (فالجواب) نعم هي موازية لها كما ذكره الشيخ في الباب السادس والتسعين ومائتين وايضاح ذلك أنه ما ثم الا أمر ونهي فان عمل العبد ما أمر به كانت له درجة وان عمل ما نهي عنه كانت له دركة موازية لتلك الدرجة لو سقطت من تلك الدرجة حصاة لوقعت على خط الاستواء لتلك الدركة من النار وكذلك الانسان اذا سقط من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك النزول لذلك العمل عين سقوطه الى ذلك الدرك فعلم أن محمدا صلى الله عليه وسلم مل ء الجنان فلا ولي يتنعم بجنته الا وهو صلى الله عليه وسلم متنعم معه بنعمته مشارك له فيها لان الولي ما وصل الى ذلك الا باتباع شريعته صلى الله عليه وسلم ولهذا كان سر النبوة فاعلا به في تنعمه وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها فله صلى الله عليه وسلم من لذة النعيم مثل لذة جميع العاملين بشريعته زيادة على ثواب أعماله الزكية وعلى ما قاله الشيخ

جهة غيبته ثابت وجود الله ولم يقدر على انكاره فجعله ابليس يشرك بالله فى ألوهيته شيأ يراه ويشاهده وانما جاء للمتكبر من جهة اليمين لان اليمين محل القوة فلذلك تكبر لقوته التى أحس بها من نفسه وانما جاء للمنافق من جهة شماله الذى هو الجانب الاضعف لكون المنافق أضعف الطوائف كما ان الشمال أضعف من اليمين ولذلك كان فى الدرك الاسفل من النار ويعطى كتابه بشماله قال وانما جاء للمعطل من خلفه لان الخلف ماهو محل نظر فقال له ماثم شئ قال فهذه أربع مراتب لاربع طوائف ولهم من كل باب من أبواب جهنم جزء مقسوم قال وهى منازل عذابهم فاذا ضربت الاربعة التى هى المراتب فى السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلا عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة * قال وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفا منها ألف (٣٤١) الله تعالى الكلمات وظهر بها الكفر والايمان فى العالم فترجم بها كل شخص عما فى نفسه من ايمان وكفر وكذب وصدق لتقوم حجة الله على عباده ظاهرا بما تلفظوا به * قال وانما كان لجهنم سبعة أبواب لان أبواب الجنة كذلك سبعة وأما الباب الثامن فخاص بجنة الرؤية وهو الباب المغلق فى النار ويسمى باب الجحيم فلا يفتح أبدا قال وانما كان الامر كما ذكرنا لان صورة هذه الابواب صورة الباب الذى اذا انفتح انسد به موضع آخر فعين غلقه لمنزل فتحه منزلا آخر فأبواب النار اذا غلقت عين فتح أبواب الجنة (قلت) وأهل كل باب مبينون فى القرآن فأهل جهنم هم الذين كفروا بربهم وأهل السعير هم الشياطين وأهل اللظى هم كل من أدبر وتولى وجمع فأوعى وأهل سقر هم كل من لم يصل ولم يطعم المسكين وخاض مع الخائضين وكذب بيوم الدين وأهل الجحيم كل هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم اذا تتلى عليه آيات الله قال أساطير الاولين وأهل الحطمة هم كل همزة لمزة جماع للمال يحسب ان ماله أخلده وأهل الهاوية هم كل من خفت موازينه والله أعلم قال واذا دخل ابليس النار يكون ملأها فانه لا يعذب أحد فيها الا وابليس سبب تعذيبه ومشارك له فيه قال صلى الله عليه وسلم ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها فبهذا الاعتبار كان ملء النار بحقيقته فانه ما دخل أحد النار الا وافتتح له قال وهذا سر كون مستقره فى النار فى الطبقة الرابعة فابليس هو تحقيقا عنه بالنسبة للدركات السفلية وانما ذلك للاحاطة والشمول قال ويكون عذابه فى النار تارة بالزمهرير المضاد لنشأته وتارة بالنار قال ونظير ذلك الجسم الحساس يكون حياته بخروج النفس فاذا منع بالشنق أو الخنق انعكس راجعا الى القلب فأحرقه فمات قال وأهل النار من الجن هم الكفار لا غير لانه ليس فى الجن مشرك ولا معطل ولا منافق ولهذا قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك الآية فألحق تعالى الشيطان بالكفار

تقى الدين السبكى وغيره ان جميع شرائع الانبياء كلهم من باطنه صلى الله عليه وسلم من حيث انه نبى الانبياء كلهم فله مثل أجر جميع العاملين بجميع الشرائع (فان قلت) فما أعظم منزلة تكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الآخرة (فالجواب) ان أعظم منزلة تكون له وقوفه بين يدى الله عز وجل كما ينبغى لجلاله لتنفيذ الاوامر الالهية فى ذلك اليوم العظيم فهو الترجمان فى حضرة الملك العدل جل وعلا دون جميع الخلق * قال الشيخ محيى الدين ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام ان أهل الموقف كلهم يأخذون عنه فى ذلك الموطن لانه هنالك وجه كله يرى من جميع جهاته وله اعلام من الله تعالى فى كل جهة يفهم منه ما يريد (فان قلت) ففى أى منزل يكون أصل شجرة طوبى (فالجواب) كما قاله الشيخ محيى الدين فى الباب الحادى والسبعين من الفتوحات والشيخ ابن أبى المنصور فى رسالته ان أصل شجرة طوبى فى منزل الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه لان شجرة طوبى هى حجاب مظهر نور فاطمة الزهراء رضى الله عنها فما من جنة من الثمان ولا درجة فيها ولا بيت ولا مكان الا وفيه فرع من شجرة طوبى لا يعرف غالب الناس أين أصلها حتى ان بعض من كشف له عن أحوال الجنة زعم ان أشجار الجنة أصولها فى الهواء دون الارض حين لم ير الا الفرع والحال انها مغروسة فى أرض الجنة التى هى مسك أذفر وأصل ذلك كله حتى يكون سر كل نعيم فى الجنان وكل نصيب للاولياء متفرعا من نور فاطمة رضى الله عنها فان فى كل فرع تدلى فى بيت أو قصر أو مخدع جميع ما يطلب العبد فى الجنة من ثمر وحلل وطير وحور عين وغير ذلك (فان قلت) فما معنى قوله تعالى أكلها دائم وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فان الآية الاولى تقتضى دوام الاكل والثانية تقتضى تخصيصه بوقت دون وقت (فالجواب) ان معنى قوله تعالى أكلها دائم أى لا ينقطع عنهم شئ متى اشتهوه ولا انهم يأكلون دائما لكن لما كان الغذاء يمد الجسم بالقوة كان ذلك بمثابة من يأكل دائما (فان قلت) فما الفرق بين لذة أكل الدنيا وأكل الجنة (فالجواب) الفرق بينهما ان أكل الدنيا تزول لذته اذا نزل الى الجوف بخلاف أكل الآخرة فلذته تدوم مدة بقائه فى البطن حتى ينزل عليه طعام آخر يتجدد له لذة أخرى أعظم مما قبلها وهكذا (فان قلت) فما معنى قوله تعالى بكرة وعشيا مع انه لا شمس هناك ولا قمر كما فى دار الدنيا (فالجواب) كما قاله الشيخ فى الفتوحات ان معناه مقدار البكرة والعشى بالنظر لاحوال الدنيا قال وذلك لان الحركة التى كانت تسير بالشمس وبظهر من أجلها طلوعها وغروبها وجودة فى الفلك الاطلس الذى هو سقف الجنة وجميع الكواكب السيارة سابحة فيه كسباحتها الآن فى أفلاكها على حد سواء قال ولولا ذلك ما عرف أهل التقويم فى الدنيا متى يكون الكسوف ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن أعيننا ولولا المقادير الموضوعة والموازين الحكمية التى قد علمها الله تعالى للامة وسبق ما علم أحد منهم متى يكون الكسوف (فان قلت)

ولم يلحقه بالمشركين وإن كان هو الذي يوسوس للانس بالشرك حتى يشركوا فكل مشرك كافر وليس كل كافر مشركا أما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الاله الحق ليسترها عن النظر في الادلة والآيات وتعيينها في عيسى مثلا وأما شركه فباتخاذه مع الله إلها آخر ويلحق به من آمن ببعض وكفر ببعض وتأمل قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم ما قال لقد أشرك لانه لم يجعل مع الله إلها آخر انتهى فليحرر هذا المحل فانه دقيق قال واعلم ان أهل النار يتزاورون لكن على حالة مخصوصة وهي أنه لا يتزاور الا أهل كل طبقة مع طبقته كالمحرور يزور المحرورين والمقرور يزور المقرور فلا يزور محرور مقرورا وعكسه بخلاف أهل الجنة للاطلاق والسراح الذي لاهلها المشاكل للنعيم ضد ما لاهل النار من الضيق والتقييد (٣٤٢) وقال واعلم انه ليس في النار دركة اختصاص كما في الجنة لان الناس انما يعذبون في النار بأعمالهم لا غير وما أخبرنا الحق تعالى قط انه يختص بنقمته من يشاء أبدا فما نزل من نزل النار الا بأعماله فقط قال ولهذا يبقى فيها أماكن خالية فيخلق الله تعالى لها خلقا يعمرونها وهو قوله تعالى فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي حسبي حسبي قال وانما دخل زيادة العذاب على الطائفة التي قال الله تعالى فيهم زدناهم عذابا فوق العذاب من جهة أنهم أضلوا غيرهم وأدخلوا عليهم الشبه فالزيادة المذكورة خاصة بالائمة المضلين واضلالهم من أعمالهم حقيقة فما ثم زيادة الا من هذه الحيثية فافهم قال وأشد العذاب على أهل النار ما يقع في بواطنهم من التوهمات فانهم لا يتوهمون قط عذابا أشد مما هم فيه الا تكون في نفوسهم لوقته واليه الاشارة بقوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة قال واعلم أن أطول الناس مكثا في جهنم من عصاة الموحدين هو من يمكث فيها نحوا من خمسين ألف سنة ثم يخرج منها بالشفاعة قال وانما قلنا نحوا وقد من خمسين ولم نقل خمسين لانا ما سمعنا من كمل الخمسين على يقين وانما استر وحنا الى ما قلناه من قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة والمقدار انما يكون تقريبا ولا يقطع بتحديده قال وينقضي بيوم القيامة جميع ما فيه من المؤاخذات لعصاة الموحدين فلا يبقى في النار بعد ذلك اليوم احد ممن وحد الله تعالى ولو مرة في عمره مات على ذلك فيوم القيامة متصل بيوم الدنيا وليس بينهما الا ليل البرزخ وفي فجر هذه الليلة تكون نفخة البعث وفي طلوع شمس يومه يكون اتيان الحق تعالى للفصل والقضاء كما يليق بجلاله وفي قدر ركعتي الاشراق ينقضي الحكم وتعمر الداران باهلهما فكل منهم خالد فيما هو فيه قال وليس عند أهل النار الذين هم أهلها نوم وانما يكون النوم فيها للعصاة الموحدين فقط وهذا القدر الذي ينعمون به في النار ويستريحون فمنهم من ينام الالف سنة ومنهم من ينام الاحد عشر ألفا ومنهم الى قريب الخمسين ألف سنة على

فهل يصح في الجنة رفع حجاب العظمة لاحد من الخواص حتى يرى الخواص ربهم على وجه الاحاطة به (فالجواب) حجاب العظمة الذي هو كناية عن عدم الاحاطة به تعالى لا يرفع أبدا وانما المراد بكمال الرؤية له تعالى زيادة انكشاف أمر لم يكن لاهل الجنة قبل ذلك اذ لو كشف حجاب العظمة لاحاط الخلق علما بربهم ولعرفوه تعالى كما يعلم هو نفسه ولا قائل بذلك فليست لذة الرؤية الواقعة لاهل الجنة كلهم الا مزيد انكشاف لهم لا غير ولذلك قال المحققون انه تعالى يرى بلا كيف (فان قلت) فما الوجه الجامع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته (فالجواب) هذا من تعليق الاسباب على مسبباتها ومعلوم ان الكل من الله تعالى فمن نظر الى توقف دخول الجنة على العمل قال انه دخل الجنة بعمله ومن نظر الى خالق السبب قال انه دخل الجنة بفضل الله ورحمته ونقل الشيخ الكامل الراسخ محيي الدين بن العربي في الباب التاسع والثمانين والمائتين من الفتوحات عن الشيخ أبي مدين امام الجماعة رضي الله عنه انه كان يقول يدخل السعداء الجنة بفضل الله ويدخل الاشقياء النار بعدل الله وكل أحد ينزل في داره بالاعمال ويخلد فيها بالنيات اهـ قال الشيخ محيي الدين وهو كلام صحيح وكشف مليح خبر عليه حشمة وأدب ووقار اهـ والله تعالى أعلم * (خاتمة) * اذا سجد أهل الاعراف السجدة التي يؤمرون بها يوم القيامة رجحت ميزانهم وسعدوا ودخلوا الجنة قال الشيخ محيي الدين وهذه السجدة هي آخر ما يبقى من حكم تكاليف الدنيا فان يوم القيامة برزخ بين الدنيا والآخرة فله وجه الى أحكام الدنيا به دعي أهل الاعراف الى السجود الذي رجحت به ميزانهم وله وجه الى الآخرة به جوزوا بأعمالهم قال وما منع أهل الاعراف من الوقوع في النار حال كونهم كانوا على الجسر الا وجود توحيدهم فهو المانع لهم عن الوقوع حتى وجدت منهم هذه السجدة فانظر يا أخي عناية التوحيد بأهله فالحمد لله رب العالمين * وليكن ذلك آخر كتاب اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم ونفع به مؤلفه وكاتبه وسامعه والناظر فيه * وقد ألفته بحمد الله في دون شهر وطالعت الفتوحات على عدد مباحثه فكنت أطالع على كل مبحث جميع الكتاب لاخذ النقول المناسبة له وقد عد ذلك من الكرامات فان الفتوحات عشر مجلدات ضخمة فعلى ذلك الحساب قد طالعت في كل يوم الفتوحات مرتين ونصفا فمقدار ذلك خمسة وعشرون جزأ كل يوم وقد قدمنا في مبحث الكرامات انه يجب على صاحب الكرامة أن يؤمن بها كما يؤمن بها اذا وقعت على يد غيره فالمؤلف أول مؤمن بهذه الكرامة فلله الحمد أولا وآخرا * وكان الفراغ من تأليفه في يوم الاثنين المبارك سابع عشر رجب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بمنزل المؤلف بمصر المحروسة بخط بين السورين هذا ما وجد كله بخط المؤلف بقوله طالعت الى آخر الكلام تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

ما مر قال وذلك من رحمة الله بعصاة الموحدين قال فعلم أن أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون لقوله تعالى لا يفتر عنهم يعني العذاب وهم فيه مبلسون ذكره في الباب العشرين من الفتوحات قال وإذا نام عصاة الموحدين يكون نعيمهم في منامهم بالرؤيا الحسنة فيرى نفسه مثلا أنه خرج من النار وصار في فرح وسرور وأكل وشرب وجامع ثم إذا استيقظ لا يرى شيئا كما يرى أهل الدنيا ذلك في منامهم سواء قال ومنهم والعياذ بالله من يرى نفسه في منامه ذلك في بؤس وضر وعقوبات وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل الله العافية (قلت) فقد كذب وافترى من نقل عن الشيخ محيي الدين أنه كان يقول إن أهل النار يتلذذون بدخولهم النار وإنهم لو أخرجوا منها لتعذبوا بذلك الخروج وإن وجد نحو ذلك في شيء من كتبه فهو مدسوس عليه فإني مررت على كتابه الفتوحات المكية جميعه (٣٤٣) فرأيته مشحونا بالكلام على عذاب أهل النار وهذا الكتاب من أعظم كتبه وآخرها تأليفا وأنا أسأل بالله العظيم كل ناظر في هذه الخاتمة إذا وجد دليلا لكلام الشيخ من الكتاب أو السنة فليلحقه بموضعه أو دليلا على ضد كلامه فليكتبه كذلك في موضعه فإن كلام أهل الكشف لا يمشي كله على ظاهر النقول على أن أكثر اختلاف أهل النقل وأهل الكشف إنما هو في الكيفيات والملل وأما الأحكام فلا خلاف عندهم فيها إذا الكشف الصحيح لا يجيء قط إلا مؤيدا للشريعة ولا يقبل من صاحبها إن قدر مخالفته لها * واعلم يا أخي أني لم أذكر عن الشيخ رحمه الله في هذه الخاتمة إلا بعض الأمور التي تحتملها العقول وأما ما لا تحتمله العقول فتركناه حتى يشاهده أهل الجنة إذا دخلوها وأهل النار إذا دخلوها والحمد لله رب العالمين والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقد جاء بحمد الله تعالى كتابا نفيسا يخضع له عنق كل منصف ترك التعصب والحمية النفس فإن الشيخ رضي الله عنه كان من أكابر العارفين كما ذكرنا ذلك في خطبة الكتاب وقد أخبرني شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين الحنبلي الفتوحي رحمه الله بعد أن اطلع عليه وكتب عليه وبعد حلفه بالله عز وجل أنه طول عمره ما مر على خاطره حكم واحد مما فيه ولا مما في الجواهر والدرر فرضي الله عن أهل الإنصاف وأرجو من مدد الله ثم من مدد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون جميع ما رقمناه بأناملنا منة وشافيا لنفوسنا وحفظا لأرواحنا ليكون ذلك وسيلة إلى العمل ببعض ما فيه من الأخلاق المحمدية والآداب الشرعية ونسأل الله تعالى أن يخلصنا من الدنيا على الرضا والتسليم وأن يخلص أخلاءنا بالنظر إلى عوراتنا دون عوراتهم وأن لا يفضحنا بظنوننا ودعاوينا وأن لا يعاملنا بما يخفى علمه علينا من عظيم زلاتنا وقبيح إراداتنا ودقيق خطراتنا وكيف لنا بذلك في هذا الزمان الذي هو محل ظهور العجائب والأحوال الرديئة وقد استولت علينا غالب الأعمال التي أهلك الله بها

وقد أنشد العالم العلامة الشيخ محمد الكومي في مدح هذا الكتاب

يواقيت علم في عقود عقائد * إذا صاغ معناها فقهاء جواهر
وما هي إلا وهبة الله للذي * حباه وقد عافاه عنه مآثر
هو العبد للوهاب وتر زمانه * بعلم له في الشرق والغرب سائر
محق لمحيي الدين أحيا علومه * وناصره نعم الولي وناصر
فبارينا أوفى جزاء لسعيه * فمنه بدا علم عظيم ووافر
ومن حاز شيئا من نفائس كتبه * له الله يعطي ما يروم ويجابر
وناظمه الكومي يدعى محمدا * عليه من الله الكريم ستائر

وأنشد الشيخ أحمد الأبوصيري

لقد رحم الرحمن عبد الواهب * من الخير والإحسان هديا مفصلا
طلا وجلا كل التفاصيل أجملت * فما أحسن التفصيل إذ جاء مجملا
بعيني رأيت البدر في وسط هالة * فقل رحم الرحمن عبدا تفضلا

وجد بخط مؤلفه * يقول راقمه عفا الله عنه قد كتب على مسودة هذا الكتاب جماعة من مشايخ الإسلام بمصر وأجازوه ومدحوه ومن جملة ما كتبه الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي في مدح مؤلفه وقد اجتمعنا على خلق كثير من أهل الطريق فلم نر أحدا منهم حام حول معاني هذا المؤلف وأنه يجب على كل مسلم حسن الاعتقاد وترك التعصب والانتقاد ونعوذ بالله من حصول حسد يسد باب الإنصاف ويمنع من الاعتراف بجميل الأوصاف وما أحسن ما قال بعضهم

ومن البلية عذل من لا يرعوي * عن جهله وخطاب من لا يفهم انتهى

ومن جملة ما كتبه شيخ الإسلام الفتوحي الحنبلي رضي الله عنه لا يقدح في معاني هذا الكتاب إلا معاند مرتاب أو جاحد كذاب كما لا يسعى في تخطئة مؤلفه إلا كل عار عن علم الكتاب حائد عن طريق الصواب وكما لا ينكر فضل مؤلفه إلا كل غبي حسود أو جاهل معاند جحود أو زائغ عن السنة مارق ولإجماع أئمتها خارق اه ومن جملة ما قاله شيخنا الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي رضي الله عنه بعد كلام طويل وبالجملة فهو كتاب لا ينكر فضله ولا يختلف اثنان بأنه ما صنف مثله انتهى ومن جملة ما قاله الشيخ شهاب الدين عميرة الشافعي رضي الله عنه بعد مدح الكتاب وما كنا نظن أن الله تعالى يبرز في هذا الزمان مثل هذا المؤلف العظيم الشأن فجزاه الله عن الملة المحمدية خيرا ونفعنا ببركاته وحشرنا في زمرته اه وكان من جملة ما قاله الشيخ ناصر الدين

الامم السالفة والقرون الماضية فيحدث بذلك تبارك وتعالى كثير عما نابنا بأعمالنا وقد قرب انشقاق القمر الاخروي بقوة عسكر الظلم والظلام وقبض العلماء من العمل بما وانقبض الضلال فلا تغتم الدنيا الا على حثالة كلا ترتفع فى منخل التعليل الا النخالة وقد وصف بعض أدباء المائة السادسة زمانه فقال قد صارت حكماء أهل زماننا ذبابا وعلماؤه ذئابا وقروده فضلاء ونهوده عقلاء وتجاره حوفية وتجاره صوفية وثعالبه زهادا وثعابينه عبادا وأتقياؤه نصاحا وشفعاؤه نصاحا وعقاربه وعاظا وحياته حفاظا استغنوا بالفضائح عن النصائح وعن المعارف بالمغارف وعن الطيبة بالغيبة وعن أسرار الغيوب بأسرار العيوب فلا الآيات السماوية تذكرهم ولا الآيات النفسانية تجمعهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى من كل خطأ وزلل وقع من جوارحي الظاهرة والباطنة الى وقتي هذا عدد كل ذرة فى الوجود قال ذلك وكتبه مؤلفه العبد الفقير الى عفو ربه ومغفرته ومسامحته عبد الوهاب بن أحمد بن على الشعراوي عفا الله عنه وعن والديه وعن مشايخه وجميع المسلمين وكان الفراغ من تأليفه فى يوم الاحد حادي عشري شهر رمضان المعظم قدر سنة ثنتين وأربعين وتسعمائة من الهجرة الشريفة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل وأنا أستغفر الله العظيم وأتوب اليه من الاقوال والافعال والحمد لله رب العالمين

اللقاني المالكي بعد مدح الكتاب ومؤلفه واعلم ان المعتزلة وغيرهم من الفرق الاسلامية وان ذممنا علماءهم فلا يقدح فى حقهم نقل شيء من مذاهبهم فى كتبنا فانهم على كل حال معدودون من أهل القبلة غير محكوم بكفرهم وان أخطؤا طريق الاستقامة التي عليها أئمة الشريعة ألا ترى الى الامام الزمخشري وان جنح الى مذهب المعتزلة كيف وهو معدود من الائمة وعلماء الامة وغالب الكتب مشحونة بأقواله من غير نكير فكما لا يخرج المقلد فى الفروع لامام من الائمة خطؤه فى فهمه عن الانتساب الى مذهبه كذلك علماء الامة من المعتزلة وغيرهم لا يخرجهم خطؤهم عن كونهم من العلماء وقد تبع جماعة من الائمة مذاهب أهل الاعتزال كالحليمي وغيره ولم يقدح ذلك فى امامته لدقة منازع الفرق وخفائها على غالب الافهام وكذا طريق الصوفية لا يقدح فيها عدم فهم من ليس من أهلها اهـ ومن جملة ما قاله الشيخ محمد البرهمتوشي ونقلته من خطه على نسخة المؤلف بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين الحمد لله الذي بذكره تتم الصالحات وبتوفيقه تنال الدرجات والصلاة والسلام على سيد السادات ومعدن الكرامات وعلى آله وصحابته والتابعين لهم باحسان الى انقراض الساعات وبعد فقد وقف العبد الفقير الى الله تعالى محمد بن محمد البرهمتوشي الحنفي على اليواقيت والجواهر فى عقائد الاكابر لسيدنا ومولانا الامام العالم العامل العلامة المحقق المدقق الفهامة خاتمة المحققين وارث علوم الانبياء والمرسلين شيخ الحقيقة والشريعة معدن السلوك والطريقة من توجه الله تاج العرفان ورفعه على أهل هذه الازمان مولانا الشيخ عبد الوهاب أدام الله النفع به للانام وأبقاه تعالى لنفع العباد مدى الايام وحرسه بعينه التي لا تنام فاذا هو كتاب جل مقداره وباهت أسراره وسحت من سحب الفضل أمطاره وفاحت فى رياض التحقيق أزهاره ولاحت فى سماء التدقيق شموسه وأقماره وتناغت فى غياض الارشاد بلغات الحق أطياره فأشرقت على صفحات القلوب باليقين أنواره فأسأل الله الكريم أن يمن على العباد بطول حياته والمسؤل من فضله واحسانه وصدقاته ان لا يخلي العبد من نظره ودعواته وأن يمتعنا بطول بقائه وحياته آمين

حمدا لمن غرس فى قلوب أحبائه توحيده فأثمرت اغصانه نصر الدين القويم وتشييده وانجذبت قلوبهم الى حق العقائد ولطالما أنت أرشدتهم الى تبيين هاتيك القواعد وصلاة وسلاما على سيدنا محمد من من نور فضله استمدت الفتوحات ومن بحر علومه اغترفت جميع المخلوقات وعلى آله واصحابه وكافة اتباعه وأحبابه أما بعد فقد تم بعونه تعالى طبع كتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر للقطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني وهو لعمري كتاب جل عن ان يصل القلم فى مدحه للغايات كيف لا وقد تضمن ثمرات ما فى الفتوحات وقد تحلى هامشه بالكبريت الاحمر فى علوم الشيخ الاكبر لمؤلفه أيضا وذلك بالمطبعة الميمنية بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر

المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابي الحلبي

ذي العجز والتقصير وذلك فى أواخر شهر شعبان

المعظم سنة ١٣٠٦ هجريه على

صاحبها أزكى الصلاة

وأتم التحيه

آمين



كتاب اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الاكابر
للامام العارف الربانى سيدى عبد الوهاب
الشعرانى نفعنا الله والمسلمين
ببركاته وأفاض علينا
من نفحاته
آمين

(محلى الهوامش بكتاب الكبريت الاحمر فى بيان علوم الشيخ الاكبر لصاحب اليواقيت والجواهر المذكور ضاعف الله تعالى له أسنى الاجور)